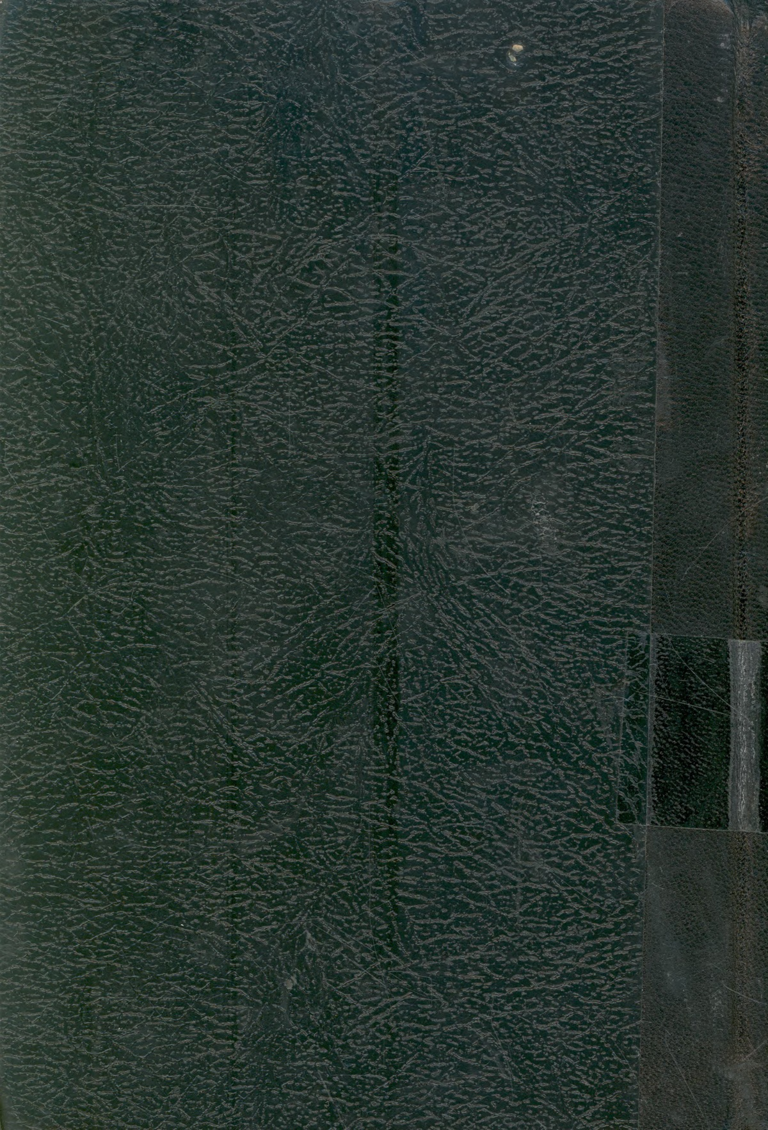
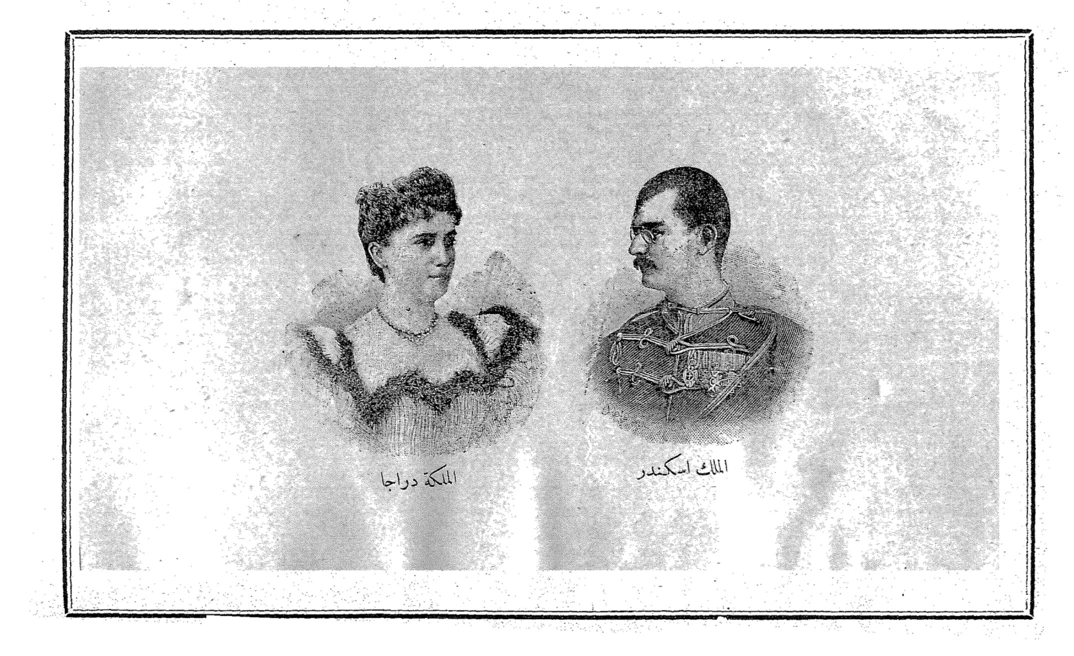




الملك اسكندر

الملكة دراجا

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١

المُلْك وحقوق الملوك

وحادثة السرب

لم نرَ للكلام على حادثة السرب تمهيدًا افضل من فصل كتبهُ حضرة المحامي الفاضل داود بك عمون ونشرناهُ في المقطم على اثر هذه الحادثة قال فيهِ :

ما برح الخلاف قائمًا منذ القدم بين الملوك والشعوب على طبيعة الملك وحقوق الملوك يدعي الاولون ان الملك حق الهي وانهُ وديعة في ايديهم من الخالق لا يحاسبون عنهُ الاَّ امامهُ وليس للبشر عليهم مراقبة ولا محاسبة اساءوا في استعمال سلطتهم ام احسنوا وان طاعتهم امر واجب محتم والانتقاض عليهم اثم فظيع محرم

والشعوب تعتقد ان الملك انابة من الجمهور لشخص معين بشروط معلومة يجوز للجمهور مناقشتهُ الحساب عن كيفية تأديتهِ لها وعزلهُ منها وعقابهُ اذا لم يحسن القيام بها او اساء استعمالها

ولم تنفرد ملوك الغرب بهذه الدعوى بل ادعاها ايضًا ملوك الشرق وكانت منتشرة عند العرب في الجاهلية وقد عرضت هذه العقدة لكليب المشهور فلم يتعرَّض لحل الخلاف حلاًّ قانونيًّا بل ذكر المذهبين وقتل الملك وتركنا نتشوق الى معرفة رأيهِ فقال

ان يكن قتلنا الملوك حرامًا او حلالاً فقد قتلنا لبيدا

ثم جاء الاسلام بالخلافة الانتخابية والبيعة الجمهورية فقضى على مذهب القائلين بقولهم الى ان انتهى عهد الخلفاء الراشدين

اما اليوم وقد ترقت العقول وارتقت النفوس فلم يبقَ لهذا المذهب انصار الاَّ القوة والرهبة في بعض الممالك الشرقية او المتصلة بالشرق كالصين وايران وروسيا وحسبك دليلاً على ذلك

ان اعظم الدول مدنية وحضارة فرنسا وانكلترا قد حاكمت كلٌّ منهما احد ملوكها ونفذتا عليهما حكم الاعدام ولم يغنهما حقهما المزعوم فتيلاً . وقد اضطرَّ الملوك بعد الثورة الفرنسوية مرضاةً لشعوبهم ان يتقيدوا بقوانين ونظامات تعرف بالدستور او القانون الاساسي تخول للشعب بواسطة نوابهِ حق التشريع وادارة الاحكام بمفردهِ او بالاشتراك مع الملك ويتعهد كل من الملك والشعب باحترام ذلك الدستور ويقسم الملك بشخصهِ والشعب بلسان نوابهِ يميناً مغلظة على ذلك. ومملكة السرب من الممالك ذوات الدستور الاَّ ان ملكها الشاب لم يزل على ما يظهر من رأي القائلين بالمذهب الاول وهذا من الغرابة بمكان فانهُ اذا جاز لسليل البوربون ان يعتبر شخصهُ فوق عامة البشر وحقهُ الهيًّا لتقادم عهد بيتهِ بالملك الرفيع والشرف الاثيل فما رأيك في هذا الاعتقاد عند سليل راعي الخنازير

فالملك اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبهِ في استعمال حقوقهِ الشخصية كاقترانهِ بامرأة عاقر من بيت وضيع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فيكتسب لبلادهِ حليفاً ينفعها عند الحاجة ووريثاً يقيها اخطار الاضطراب والحرب الاهلية عند انتخاب خلف لهُ فتغيرت بذلك قلوب رعيتهِ عليهِ ولم يقف عند هذا الحد بل انهُ غدر بعهدهِ لامتهِ وحنث بيمينهِ لها وتعدى على حقوقها بايقافهِ الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى اوطارهُ الاستبدادية ثم اعادهُ كأن الدستور ملكهُ يعطيهِ اذا رضي ويستردهُ اذا غضب

فيتضح مما تقدم انهُ رحمهُ الله استوجب المؤاخذة واستحق المحاكمة

بقي اذًا ان نبحث في كيفية محاكمتهِ وايصال القصاص اليهِ وهنا نسلّم بأنهُ كان يجب محاكمتهُ محاكمة قانونية بكل مظاهرها وان الذين قتلوهُ لم تكن لهم صفة لمد يد الاذى اليهِ وان الانسانية كانت تقضي بعزلهِ او نفيهِ ولكن هذا الامر سهل نظريًّا اما في الواقع فهو مستحيل او في حكم المستحيل . اما محاكمتهُ بالطرق المعتادة فبالبداهة غير ممكنة فاي موظف يرفع الدعوى عليهِ واي قاضٍ يحاكمهُ والموظفون والقضاة في يدهِ يوليهم ويعزلهم متى شاء . واذا فرضنا وجود قضاة للحكم عليهِ فهل يرضى بان يساق الى المحاكمة صاغرًا ولهُ الحرس والانصار والاعوان فما هي الاَّ الحرب الاهلية وما تنتجهُ من تعطيل اعمال وقتل رجال وتيتيم اطفال

واما نفيهُ او سجنهُ فلا يعودان بفائدة لان الملك يبقى ما عاش سبب خوف وفتنة واقلاق لراحة بلادهِ لا تهدأُ لها حال ولا يطمئن لها بال فضلاً عن تداخل الدول في امرهِ واعادتهِ بالقوة الى ملكهِ فلذلك رأى الثائرون ان اسهل الطرق للتخلص من استبدادهِ اعدامهُ فاعدموهُ مختارين بذلك اخف الشرين . والحق يقال انهُ لم يكن لهم سبيل آخر يسلكونهُ ليخرجوا من

ذلك المأذق الاَّ رضوخهم للصغار واقامتهم على الذل . نعم اننا لا نبرئهم لقتل نفس من غير محاكمة قانونية مهما كانت الاحوال ولكننا نجد لهم ما يخفف جرمهم بمخالفة الملك نفسهِ للقوانين التي كان قد اقسم انهُ يحترمها فلسان حالهم ينشدهُ

فلا تجزعن من خطة انت سرتها واول راض خطة من يسيرها

والذي نراهُ انهُ لا بدَّ من محاكمة الذين قتلوهُ وان اول عمل للملك الجديد سيكون اجراء تلك المحاكمة ولكن سيجدون من سوءِ تصرف القتيل وبغض الشعب لهُ ما يشفع في ذنبهم فيمحوهُ او يكاد

وفي هذا الحادث عبرة للحكام تذكرهم انهم اذا كانوا قد أُعطوا قوةً وجاهاً ومالاً واجلالاً يستمدونها من الهيئة المحكومة فما ذلك الاَّ مقابل حسن خدمتهم لها وجزاء سهرهم عليها لا ليتمكنوا من قهرها بقوتها واذلالها بعدتها وقتلها بسلاحها . ولله در شوقي حيث قال

ان ملكت الرقاب فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء

يسكن الوحش للوثوب من الأَ سر فكيف الخلائق العقلاء انتهى

هذا ولما كتب الكاتب ذلك لم يكن قد اطَّلع على التفاصيل التي وردت بعدئذٍ عن محاولة هؤلاء القتلة اغتيال ملكهم وزوجتهِ بالسم وعن التمثيل بهما على صورة تقشعرُّ منها الابدان وتدلُّ على ان الطبيعة الوحشيَّة تغلَّبت عليهم فلم يعد غرضهم ابعاد الملك عن سرير الملك ولو بقتلهِ بل الانتقام منهُ ومن زوجتهِ باية صورة كانت والمحرّك الاول لهم ولغيرهم من المتواطئين معهم على هذه المكيدة ليس الاحتفاظ بدستور البلاد لكي تزيد سعادتها ويمنع عنها الحيف بل انتزاع مقاليد الاحكام من اسرة مالكة وتسليمها الى اسرة اخرى ولا مزية لاسرة على اسرة كأنهم مأجورون لهذا المنكر فارتكبوا فظيعة من اكبر الفظائع قتلوا ملكاً وزوجتهُ واخويها واناساً آخرين حتى لا يبقى امامهم احد يطالبهم بما فعلوا وحاولوا تقويض اعظم ركن من اركان العمران قضاء لاغراض ذاتية

اما بلادهم فكانت سائرة في سبيل الارتقاء سيرًا حثيثًا وللعائلة التي قرضوها اغنيالاً فضل كبير عليها وايضاحاً لذلك نورد الفذلكة التالية من تاريخها

السرب قطعة من شبه جزيرة البلقان يحدها من الشرق رومانيا والبلغار ومن الغرب بلاد البوصنه ومن الشمال بلاد المجر ومن الجنوب البانيا. وقد هاجر اهاليها اليها من بلاد المجر سنة ٦٣٨ للميلاد واعتنقوا الديانة المسيحيَّة وبقوا اربع مئة سنة تحت سلطة امرائهم. وحاولت الدولة البيزنطيَّة الاستيلاء عليهم فلم يتم لها ذلك . وقوي شأنهم في عهد اميرهم اسطفان دوشان (١٣٣٦ —

١٣٥٦) فانهُ استولى على بلغاريا ومكدونيا والبانيا واكثر بلاد البلقان وطمع في انشاء مملكة منيعة تقاوم مملكة الترك لكنهُ توفي قبلما استتب لهُ ذلك وخلفهُ ابنهُ وكان ضعيف الرأي فانقسمت بلادهُ وتضعضعت احوالها فتغلَّب الاتراك عليها سنة ١٣٨٩ فصارت ايالة من ايالات الدولة العثمانية لكن اهاليها بقوا يمنُّون انفسهم بالاستقلال وحاولوا ذلك مرارًا ولاسيما في عهد اسكندر بك الالباني في اواسط القرن الخامس عشر

ومرَّت عليهم ثلاثة قرون بعد ذلك والانكشارية يذيقونهم الذل الوانًا حتى انقرضت عيال كثيرة منهم. وسبي منهم في وقت واحد مئتا الف نفس بيعوا عبيدًا وكان فتيانهم يؤخذون منهم كل سبع سنوات ويربون في الاستانة لينظموا في سلك الانكشارية

وضمت بلاد السرب الى مملكة النمسا سنة ١٧١٨ ثم ردت الى الدولة العثمانية سنة ١٧٣٩ واخيرًا عيل صبر السربيين فنهضوا نهضةً واحدة سنة ١٨٠٤ بقيادة رجل باسل اسمهُ قره جورج وهومن مقتني الخنازير فطرد الانكشارية من البلاد واستولى على بلغراد وغيرها من الحصون . ولما أُمضيت معاهدة بخارست بين الدولة العلية والروس جاء فيها ان السرب تستقلُّ استقلالاً اداريًا وتقيم حامية عثمانية في كل حصونها . لكن الجنود العثمانية عادت فدوخت البلاد كلها فهرب قره جورج الى بلاد النمسا وثار السربيون ثانية سنة ١٨١٥ واختاروا لهم زعيمًا اسمهُ ميلوش اوبرنوفتش وهو من الرعاة ايضًا فتغلب على الجنود العثمانية حتى لم يبقَ منها في البلاد الاَّ حامية الحصون . وظل ميلوش هذا زعيمًا لاهالي السرب في طلب الاستقلال وقتل مناظرهُ قره جورج ونوديَ بهِ حاكمًا على البلاد واعترفت بهِ الدولة العلية اميرًا عليها في معاهدة بخارست وحصرت الامارة في نسلهِ لكنهُ كان مستبدًّا فاضطرهُ شعبهُ الى التنازل لابنهِ ميلان سنة ١٨٣٩ وتوفي ميلان هذا تلك السنة فخلفهُ اخوهُ ميخائيل وتقوى حزب الاسكندر ابن قره جورج فطرد ميخائيل واقامهُ اميرًا على السرب واعتمد ميخائيل على الباب العالي وحكومة النمسا بدلاً من الاعتماد على روسيا وكان عاجزًا عن ادارة الاحكام فكثر مبغضوهُ واضطروهُ الى التنازل سنة ١٨٥٩ واعادوا ميلوش الاول من منفاهُ ونصبوهُ اميرًا عليهم وتوفي بعد سنتين فخلفهُ ابنهُ ميخائيل واخذت البلاد تفلح في ايامهِ فخمدت البغضاء من بين احزابها وساد النظام والقانون وبث في الناس حياة جديدة فانتظمت الجندية وسارت البلاد في مراقي الفلاح وخرجت آخر حامية تركية منها ١٨٦٧. وقُتل الامير ميخائيل في السنة الثانية قتلهُ أُناس من حزب قره جورج فخلفهُ ميلان الرابع وفي ايامهِ نشبت الحرب بين الترك والروس ونالت السرب استقلالها التام واضيفت اليها ثلاثة اقضية ونودي بالامير ميلان ملكًا عليها في السادس من

شهر مارس سنة ١٨٨٢ ثم تنازل عن الملك لابنهِ اسكندر سنة ١٨٨٩ وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٩٠١ اما ابنهُ فكان عمرهُ ١٣ سنة لما تنازل لهُ ابوهُ فعين لهُ الاوصياء الى ان يبلغ سن الرشد لكنهُ قبض على ازمة الملك في ١٣ ابريل سنة ١٨٩٣ وعمرهُ ١٧ سنة واقترن بالسيدة دراجا ماشين في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٠ وهي اكبر منهُ بتسع سنوات وكانت من وصائف امهِ

وحكومة السرب دستورية وكان لها دستور اقرَّت عليهِ الجمعية العمومية في ٢ يناير سنة ١٨٨٩ فالغاهُ الملك اسكندر سنة ١٨٩٤ وعاد الى دستورها القديم الموضوع سنة ١٨٦٩ ثم وضع لها دستورًا جديدًا في ابريل سنة ١٩٠١ حصر فيهِ وراثة الملك بنسلهِ من الذكور والاناث . والقوة التنفيذية محصورة في الملك يساعدهُ مجلس النظار والقوة التشريعية في الملك بالاتحاد مع الجمعية العمومية ومجلس الشيوخ

ومساحة بلاد السرب ١٨٦٣٠ ميلاً مربعًا وكان عدد سكانها في آخر سنة ١٩٠١ مليونين و ٥٣٦ الفًا وهي زراعية كثيرة الحراج والمراعي وفيها كثير من القطعان والبساتين وكان عدد سكانها مليونًا و ٩٠٠ الف نفس سنة ١٨٨٤ فزادوا ٣٠ في المئة في اقل من عشرين سنة وعاصمة بلادهم بلغراد فيها نحو سبعين الف نفس والاهالي مسيحيون على مذهب الكنيسة الارثوذكسية وبينهم نحو عشرة آلاف من الكاثوليك ونحو عشرين الفًا من مذاهب اخرى . وعندهم مدرسة جامعة فيها قسم للفلسفة وقسم للحقوق وقسم للهندسة عدد تلامذتها ٤٦٣ واساتذتها ٦٢ وست عشرة مدرسة عالية فيها نحو ٦٠٠٠ تلميذ منها مدرسة للبنات فيها نحو ٩٠٠ تلميذة ومدارسهم الابتدائية كثيرة فيها اكثر من مئة الف تلميذ . والتعليم الابتدائي اجباري مجاني . وفيها عدا ذلك مدرسة حربية ومدرسة تجارية ومدرسة زراعية ومدرسة لزرع الكروم خاصة ومدرسة لعلم المساحة هذا عدا المدارس الخاصة وملاجىء الايتام وكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة اربعة في المئة فقط من السكان سنة ١٨٧٤ وهم الآن اربعة اضعاف ذلك وايراد الحكومة آخذ في الازدياد المستمر فقد كان ٦٣ مليون فرنك (دينار) سنة ١٨٩٨ فبلغ ٧٨ مليون فرنك سنة ١٩٠٠ وصادراتها ووارداتها جارية هذا المجرى ايضًا واكثر صادراتها من المواشي والحاصلات الزراعية والجلود والخمور . وكل مقابلة بين حاضرها وماضيها تدل على ارتقاء مستمر فيها

والسربيون اقوياء الابدان ميالون الى الحرب طبعًا يحبون بلادهم ويتغنون بمدحها ويميلون الى الرقص والطرب . شجعان مضيافون كبار الهمم لكنهم حادو الطبع سريعو الغضب يميلون الى الافراط وهذا يفسر اقدامهم على ما ارتكبوهُ اخيرًا من المنكر ثم ابداءهم دلائل البهجة والسرور

ما يلزم من الغذاء

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ تشتندن الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية فاقتطفنا منها ما يأتي قال الكاتب :

ليس بين المسائل التي يشتغل الانسان بحلها ما هو اعظم شأناً لخير الفرد والمجتمع الانساني من مسألة تغذية الجسم . فان الانسان يأكل ليعيش وليدّخر قوة تمكنهُ من القيام باعماله اليومية فاذا لم يكن الغذاء كافياً اختلت آلة الجسم واذا كان زائداً عن القدر اللازم اضرّت تلك الزيادة بالجسم كما لو كان الغذاء ناقصاً عنهُ لانها تستلزم اسرافاً في النفقة وفي قوى الجسم يفضي الى انهاكهِ عاجلاً او آجلاً . ولا يخفى ان وظيفة الطعام امداد الجسم بالمواد التي يستخلص منها القوَّة اللازمة لهُ فكلُّ زيادة عن المطلوب انما هي حمل ثقيل عليهِ تفضي الى اختلالهِ واعتلالهِ

هذا واذا كانت حالة الجسم الفسيولوجية حسنة اصبح صالحاً للعمل ادبيًّا وعقليًّا وماديًّا . والَّا تعرَّض للامراض والعلل الادبية والاجتماعية والعقلية والبدنية . فلا بدَّ للعقل الصحيح والآداب القويمة والقوة البدنية من جسم سليم . والغالب ان يكون الخروج عن حدود الاعتدال في المعيشة داعياً الى الانهماك في الشهوات او نذيرًا بهِ . فان الصحة والقوة والآداب تتوقف على اتمام شرائع الطبيعة وعليهِ فالواجب يقضي على كل أُمة ترغب في ترقية قواها البدنية والعقلية والادبية ان تبحث في ماهية تلك الشرائع حتى تتمكن من الجري على سننها والَّا فان عاقبة العصيان الوقوع في مخالب الفقر وارتكاب الجرائم وانتياب الاسقام البدنية وكلل الشعور الادبي وغيرها من المحن التي تصحبنا ما دمنا احياء ويتوارثها الخلف عنَّا

والحاجة شديدة في هذا الزمان الى درس قوانين الغذاء والتغذية درساً دقيقاً لانها اساس المعيشة الحسنة والى معرفة ما يلزم لاستخدام الطعام على اتمّ الطرق واكثرها اقتصاداً للجسم ومعرفة اقلّ ما يستطيع الجسم ان يعيش بهِ من الغذاء وتأثير انواع الطعام المختلفة في نموّ الجسم واعادة قواهُ وتأثير الحالة العقلية في الهضم والتغذية . وهذه المسائل كلها قابلة للحلّ وعلى حلها يتوقف شفاء كثير من الاسقام

اما آراؤنا في كمية الطعام اللازمة للفرد المتمتّع بالصحة ونوعهِ لحفظ توازن الجسم في حالتي الراحة والعمل فمبنية على ما اعتاد المتمدنون عملهُ لا على ما يجب ان يعملوهُ قضاء لحاجات

الجسم . فقد سمّى السر وليم روبرتس الفم "ضمير الطعام [١]" وقال ان هناك افواها كثيرة لا تصلح لما جعلت لهُ وربما كان ذلك ناشئاً عن فساد طرق المعيشة . فان ما اعتادهُ الناس عموماً من التسليم بمطالب النفس والخضوع لاوامر الذوق بلا نظر الى حاجات الجسم الفسيولوجية يفضي بهم طبعاً الى مقياس فاسد للمعيشة مخالف للشرائع الطبيعية كل المخالفة

وقد جمع كثيرون من علماء الفسيولوجيا احصاءات عما يلزم الفرد من الطعام كلَّ يوم منهم العالم فويت الالماني وانووتر الانكليزي . فالاول يذهب الى انهُ يلزم الرجل الذي يعمل عملاً معتدلاً ١١٨ غراماً من الطعام المحتوي على البروتيين او الالبومين [٢] و٥٦ غراماً من الدهن و٥٠٠ غرام من المواد الهيدروكربونية كالسكر والنشا وفيها كلها من الحرارة ما يساوي ٣٠٥٥ وحدةً . واذا كان العمل شاقًّا لزمهُ ١٤٥ غراماً من البروتيد و١٦٠ غراماً من الدهن و٤٥٠ غراماً من الكربوهدرات وفيها ٣٣٧٠ وحدة من وحدات الحرارة . وأما الثاني فمن رأيهِ ان الانسان الذي يعمل عملاً معتدلاً يحتاج يوميًّا الى ١٢٥ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٣٥٠٠ وحدة من الحرارة . وان الذي يعمل اعمالاً شاقة يحتاج الى ١٥٠ غراماً من البروتيد ومقدار من المواد الدهنية والهيدركربونية يكفي لتوليد ٤٥٠٠ وحدة من الحرارة

والعلماءُ متفقون عموماً على ان هذين التعديلين صحيحان وان الفرد لا يحتاج الى اكثر مما هو مذكور فيهما على وجه التعديل . واذا ثبت ان هذا القدر اكثر من اللازم لحاجات الجسد فالنتيجة ان قسماً من الطعام يقدَّر ثمنهُ بالمال الكثير ذاهب سدًى على حين انهُ يمكن ان ينفق في وجهتهِ فيعود بالفائدة المطلوبة . فان العامل المُعيِل الذي يهمهُ الاقتصاد في نفقاتهِ اذا اقتصد تلك الزيادة انفقها على تعليم اولادهِ او مشترى اشياء لا غنى لاهل بيتهِ عنها في ترقية آدابهم وعقولهم مثل الكتب المفيدة واشباهها

على ان البعض يعترضون على هذا النوع من الاقتصاد ويعدونهُ ضرباً من البخل ومبالغة في الشحّ والتقتير . فقد اصبح همنا في هذه الايام ان تكون موائدنا حافلة بالوان الطعام وانواع الشراب وان نأكل ونشرب قدر ما تشتهي نفوسنا من كلّ ما لذَّ وطاب وصار المتوسط

(١) اي القوة المميزة بين الطعام الجيد والرديء تشبيهاً لهُ بالضمير الادبي وهو القوة المميزة بين الخير والشرّ كما لا يخفى

(٢) البروتيين او البروتيد احد المواد الاصلية التي تتألف منها انسجة الجسم او اللحم . والالبومين مادة أخرى من تلك المواد الاصلية وهو ما نسميهِ بالزلال

الحال لا يكتفي الاَّ بمشترى الاطعمة الفاخرة الغالية الثمن ظنًّا منهُ انهُ ان فعل ذلك حسنت صحة اهل بيتهِ وزادت قوتهم وان اقتصاداً مثل هذا يعرّض صحة اولادهِ للخطر

ولا يخفى ان طعام الانسان مقسوم ثلاثة اقسام الاول البروتيدات او الالبومينات ومنهما اللحم والبيض والجبن والجلوتن او الصمغ الذي في الحنطة . والثاني الكربوهيدرات كالسكر والنشا والثالث المواد الدهنيَّة وهي اما حيوانية واما نباتية . ومن خصائص المواد البروتيدية انها تحتوي على نحو ١٦ في المئة من النيتروجين. والمواد الدهنية والنشوية تحتوي على كربون وهيدروجين واكسجين فقط . اما المود الدهنية والهيدروكربونية فتحترق دقائقها في الجسم وتتحول الى غاز الحامض الكربونيك وماء . واما المواد البروتيدية فانها تفرز غاز الحامض الكربونيك وماء وكلّ ما فيها من النتروجين على شكل مواد نتروجينية متبلورة في مفرزات الجسم . ووظيفة هذه المواد امداد انسجة الجسم بالدقائق اللازمة لبنائها مكان الدقائق المندثرة منها ولذلك لا يستطيع الجسم ان يعيش بدونها طويلاً . واما وظيفة المواد الدهنية والهيدروكربونية فمعظمها توليد القوة . والمواد الدهنية اصلح من المواد الهيدروكربونية لذلك فان الغرام منها يفيد مثل غرامين من المواد الهيدروكربونية بالتأكسد او الاتحاد بالاكسجين . واعلم ان مواد الطعام المختلفة لا تفيد الجسم مباشرة بل لا بدَّ من ان تهضم اولاً ثم تمتص وتتمثَّل وبعد ذلك يعتريها الانحلال فيخرج ما فيها من القوَّة التي تظهر في شكل حرارة او حركة. ففائدة الطعام يتوقف كثير منها على اكتمال هضمهِ واستعمال الجسم لهُ . والافراط في تناول المآكل البروتيدية يفضي الى زيادة الفضول النتروجينيَّة وهذه الفضول تؤثر في الجهاز العصبي وغيرهِ من اجهزة الجسم قبل افرازها منهُ وتؤدي الى نتائج وخيمة . وكذلك يقال عن الافراط في تناول المآكل غير النيتروجينيَّة فانهُ يكلف الجسم عناءً لا لزوم لهُ اذ لا بدَّ من هضمها وامتصاصها والاَّ اختمرت في المعدة والامعاء وفسدت فأدَّت الى اسقام عديدة واذا امتصَّ الجسم منها ما يزيد عن حاجتهِ ذخر تلك الزيادة في هيئة الدهن ولكنهُ يتحمَّل حملاً لا لزوم لهُ فيعيق سير آلتهُ

فيظهر من ذلك ان تناول مقدار من الطعام يزيد عن حاجة الجسم الفسيولوجية ليس من الحكمة في شيء وربما ادى الى اضرار جسيمة لانهُ يوقع الخلل في آلة الجسم بدلاً من ان يزيدها قدرةً حتى تتمكن من قضاء عملها اليومي وقد اثبتت تجارب بعض علماء الفسيولوجيا ان الانسان يستطيع ان يعيش وصحتهُ جيدة على نصف ما يقدرهُ العالم الالماني فويت وعلى اقلّ مما يظنُّ من المواد البروتيدية . ولكن لما كانت تلك التجارب لا تتجاوز مدة قصيرة من الزمن فلا يصحُّ اتخاذها دليلاً صادقاً على ما يلزم في المدات الطويلة فقد قال العالم الالماني شافر " انهُ يُشَك

في ما اذا كان الرجل المتوسط القامة والثقل يستطيع ان يعيش زمناً طويلاً على اقلّ من ١٠٠ غرام من المواد البروتيدية في اليوم. لكن اثبت العارفون ان كثيرين من سكان اسيا يأكلون من المواد البروتيدية اقلّ من الاوربيين بكثير . فان اهل الهند واليابان والصين يعوّلون في طعامهم على الارز وهو لا يحوي سوى قليل من البروتيد وعليهِ اتخذ بعضهم ذلك دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش على اقل مما يقدرونهُ لهُ غالباً من البروتيد ولكن ليس لدينا احصاءات يستدلّ منها ان الاسيوي الذي يعمل قدر ما يعمل الاوربي يحتاج الى اقلّ مما يحتاج اليهِ الاوربي من البروتيد بالنسبة الى ثقل جسمهِ . والواقع ان ما لدينا من المعلومات يدل على ضدّ ذلك"

فالحقيقة ضائعة بين هذا العالم وذاك وهي ضالتنا المنشودة في هذه المقالة فنقول :

جرَّب بعضهم عند كاتب هذه المقالة تقليل الطعام في نفسهِ مدة خمس سنوات فاعتدل بهِ واقتصد كثيراً فكانت النتيجة ان قواهُ الجسدية والعقلية تحسنت جدًّا ووجد انهُ يصلح لعمل ايّ كان من الاعمال من غير ان يشعر بالتعب العادي الذي يشعر بهِ الانسان بعد اجهاد قوتهِ البدنية . فهو يأكل قدر ما تشتهي نفسهُ ولكن ذلك القدر صار اقلّ مما يتناول الفرد منَّا عادةً

وبقي ثلاثة عشر يوماً في يناير الماضي تحت مراقبة كاتب هذه المقالة فكان يحلّل مفرزاتهِ كل يوم ليعلم مقدار البروتيد الذي ينفقهُ جسمهُ فظهر لهُ ان ذلك بلغ ٤١,٢٥ من الغرام كل يومٍ وبقي ثقل الجسم على حالهِ (١٦٥ ليبرة) وكان يتناول من البروتيد يوميًّا نصف المقدار في مقياس فويت ولم تكن المواد الدهنية والنشوية والسكرية تحلُّ محل البروتيد او تسدُّ نقصهُ . وكان مطلق اليد في اختيار ما شاء لطعامهِ وقد اوصي باتباع عاداتهِ في تناول الطعام . فظهر من تحليل مفرزاتهِ ان فيها من النيتروجين ما يعادل انفاق ٤١,٢٥ من الغرام من البروتيد يوميًّا على المتوسط فقد كانت تزيد حتى تبلغ ٤٧,٠٥ وتنقص حتى تصل الى ٣٣,٠٦ غرام

واستؤنفت مراقبتهُ في فبراير فكان طعامهُ ومفرزاتهُ تحلَّل تحليلاً دقيقاً كلَّ يومٍ ليعلم مقدار ما يتناول من البروتيد والمواد الدهنية والنشوية وكان طعامهُ بسيطاً مؤلفاً من حبوب مطبوخة ولبن وسكر يتناول قدر ما يشاء منهُ مرتين في اليوم . وبقي كذلك سبعة ايام . وكان الطعام يوزن وتركيبهُ الكيماوي يعيَّن قبل تناولهِ . فبلغ متوسط ما تناولهُ من البروتيد في اليوم ٤٥ غراماً وتناول من الدهن والنشا ما يكفي للحصول على نحو ١٦٠٠ وحدة من الحرارة كل يوم . وهذا ليس شيئاً بالنسبة الى مقاييس الطعام المعوَّل عليها . فان اقلَّ ما يجب ان يتناولهُ

الانسان من البروتيد كل يوم بموجب مقياس فويت يبلغ ١١٨ غراماً وما يولده من الحرارة ٣٠٠٠ وحدة

وربَّ سائل يسأل هل كان الطعام الذي تناوله الشخص المذكور آنفاً كافياً لحاجات جسمهِ او لجسم رجل زنتهُ ١٦٥ ليبرة . والجواب على ذلك انهُ كان يأكل ما تطلبهُ نفسهُ الى الشبع وكان حرًّا في اكل اكثر منهُ اذا اراد. والجواب الفسيولوجي ان وزن جسمهِ بقي على حالهِ في الستة الايام المذكورة ومقدار الداخل اليهِ من النيتروجين والخارج منهُ بقيا متساويين تقريباً وعليهِ فالطعام المذكور آنفاً كان كافياً لحاجات جسم الرجل على بساطتهِ وقلة كميتهِ بالنسبة الى الكمية الواجبة في عرف علماء الفسيولوجيا

وهناك سؤَال آخر وهو هل يقدر الانسان ان يقوم باعمالهِ وهو يأكل طعاماً كافياً فقط لحفظ وزن جسمهِ على حالهِ وحفظ توازنهِ الفسيولوجي . وللجواب على ذلك نقول ان الرجل المذكور أُخذ الى كلية يايل حيث روَّض بدنهُ على الالعاب الرياضية بادارة الدكتور اندرسون. وهذا ما كتبهُ الدكتور اندرسون في تقريرهِ عنهُ : —

" روَّضت المستر فلتشر على ما يلعبهُ المتقدمون في الجمنستيك من الالعاب الشاقة التي لا يستطيع المبتدئون لعبها بلا تعب والم وتأثيرها شديد في القلب والرئتين وعضلات الاطراف والجذع . وهي لا تعلَّم للمبتدئين لعنفها . فكانت النتيجة انهُ لعبها بسهولة لا مزيد عليها وبلا الم وعادت عضلاتهُ في اليوم التالي الى ما كانت عليهِ قبل اللعب ولم يظهر عليها اثر التسمم بالحامض الكربونيك وكانت ضربات قلبهِ سريعة ولكنها منتظمة وعادت الى حركتها الاصليَّة باسرع ممَّا تعود اليهِ في قلوب الذين من ثقلهِ وسنهِ . وقد ادهشني انهُ يستطيع عمل ما يعملهُ لاعبو الجمنستيك المتمرنون على اللعب من غير ان يبدو عليهِ اثر التعب . وخلاصة الامر ان المستر فلتشر يعمل هذا العمل باكثر سهولة واقلّ تعب من جميع الذين تروضوا عندي وكانوا من سنهِ "

وممَّا لا بدَّ من ذكرهِ ان المستر فلتشر لم يروّض جسمهُ عدة شهور في ما سوى المشي العادي . ومع ان طعامهُ كان قليلاً ولم تزد كميتهُ على نصف الكمية اللازمة لحفظ قوام الجسم باتفاق العلماء فقد ظهر انهُ كان كافياً لامداد جسمهِ بالقوة اللازمة للرياضة لانهُ اتمَّ الالعاب المذكورة بلا تعب ولا الم ولم يحمّل قلبهُ ورئتيهِ ما هو فوق طاقتها ولم يفقد جسمهُ شيئاً من ثقلهِ

هذا من حيث الاقتصاد الفسيولوجي واما من حيث الاقتصاد المالي فان ثمن الطعام الذي

اكلهُ في السبعة الايام وظهر انهُ كافٍ لحاجات جسمهِ بلغ ٧٧ سنتاً (١) او ١١ سنتاً في اليوم وهو اقلّ من القليل في جنب ما ينفق على الطعام العادي . وقد اعترف المستر فلتشر انهُ اتّبع هذه الطريقة من المعيشة خمس سنوات وانهُ يتناول الطعام مرتين في اليوم وانهُ اصبح مولعاً بالسكّر والمواد النشوية على العموم ومتجنباً لأكل اللحوم. وان صحتهُ حسنة على الدوام ويرى نفسهُ صالحاً للعمل في كل آن . ومن عادتهِ مضغ الطعام كثيرًا حتى يمتزج باللعاب جيداً سواء كان سائلاً او جامداً فيسهل بذلك الهضم والانتفاع باجزاء الطعام المغذية انتفاعاً تامًّا

فيستنتج من التجارب المذكورة آنفاً وقلة تعويل بعض الامم الاسيوية على المآكل اللحمية في طعامها ومذاهب القائلين بوجوب الاقتصاد على اكل الفواكه والخضر انهُ يمكن البشر ان يزيدوا في الاقتصاد الفسيولوجي عما هم عليهِ الآن . فان كانت الامور المتقدمة حالات شاذة عن القاعدة العمومية وجب ان نعلم ذلك والاَّ فان كان يمكن الانسان عموماً ان يعيش جيداً على اقلّ ممَّا يعدّهُ العلماء ضروريًّا للمعيشة وجب ان نتحقق ذلك ايضاً . لانهُ ان كانت المقادير المعينة من الغذاء الآن زائدة عن الحدّ اللازم كنا والاقتصاد على طرفي نقيض فضلاً عن اننا نعرّض انفسنا لحالات مناقضة لقواعد الصحة وبالتالي منافية للراحة والرفاهة

وممَّا لا يحسن الاغضاء عنهُ قبل اختتام هذه المقالة ان تجارب كثيرة في هذا الصدد جُرّبت في كلية كمبردج حديثاً وفي البندقية وعرضت على الجمعية الطبية الانكليزية ومؤتمر الفسيولوجيا الدولي الذي عقد في تورين بايطاليا اخيرًا فجاءت نتائجها مؤيدة لنتائج التجارب التي جربت في المستر فلشر (انظر مقالة في جزء نوفمبر سنة ١٩٠١ من المقتطف حيث وصفت تجارب البندقية)

وقد وعد الكاتب في الختام ان يستأنف التجارب من هذا القبيل بمعاونة بعض العلماء اظهارًا للحقيقة كلها وترفيعاً لشأن العلم

هذا ويتضح من هذه المقالة ومن المقالة التي نشرناها سنة ١٩٠١ عن التجارب التي أُجريت في البندقية ان جمهور الاغنياء والاواسط يأكلون اكثر من مضاعف ما تحتاج اليهِ ابدانهم وان علماء الفسيولوجيا يقدرون الطعام اللازم للانسان اكثر ممَّا يلزم لهُ حقيقة . ولا بدَّ من ان تشيع هذه الحقائق ويكون منها نفع عميم في حفظ الصحة وتقليل النفقات

(١) السنت جزء من مئة من الريال الاميركي وهو يعدل مليمين

ميخائيل انجلو



تتوالى القرون وتكرُّ العصور ويصبُّ نهر الحياة في بحار الابدية ملايين من النفوس لا يُحفَظ من اسمائهم الاَّ عدد قليل يعدُّ على الاصابع الواحد منهم بمقام الف بل بمقام الوف . هؤُلاء مشاهير الزمان الذين اشرنا اليهم في الجزء الثالث من اجزاء هذا السنة . وكنَّا نودُّ ان نذكر ترجماتهم واحدًا واحدًا من اولهم الى آخرهم لو وسعنا المقتطف

وقد كنَّا نطالع الآن وصفًا بديعًا للتاج اجمل بناء في بلاد الهند ادَّعاهُ الاوربيون واثبت الواصف ان بانيهُ من اهالي الهند انفسهم ولكن من هو وما هو اسمهُ وممن تعلَّم صناعتهُ ومن ترجمهُ من الكتَّاب — كل ذلك طوتهُ الايام ويحتمل ان صاحب التاج جازاهُ كما جوزي سنمار في قصص العرب رماهُ من اعلاهُ حتى لا يبني بناء آخر مثلهُ

وقس عليهِ كثيرين غيرهُ من الذين انشأوا حضارة العرب حقيقةً وكان لهم اليد الطولى في البناء والنقش والفلاحة والصناعة والتجارة فان اسماءهم نسيت او لم تذكر في كتب الوفيات الاَّ عرَضاً وانما ذكرت فيها اسماءِ الامراء والشعراء والفقهاء كأن حضارة الامم تقوم بما يقزونهُ من البلدان وينظمونهُ من الشعر ويؤلفونهُ من كتب التفسير ولا شأن لمن يستثمر خيرات الارض ويجرُّ اليها المغانم وينشئُ فيها المعالم

خطرت لنا هذه الخواطر ونحن نقرأُ تلك المقالة ثم التفتنا الى اسماء المشاهير عند الاوربيين فوجدنا انهُ من الف رجل فاقوا غيرهم في الشهرة على ما يستدل من الاعتناء بترجماتهم كان اسم ميخائيل انجلو النقاش الايطالي الثلاثين اي ان الذين فاقوهُ في اعتبار الاوربيين ٢٩ نفساً من اشهر المشاهير والذين فاقهم تسع مئة وسبعون نفساً . فهو في المئة الاولى من الالف وفي الثلث الاول من المئة الاولى لا يفوقهُ الاَّ ٢٩ رجلاً من اشهر القواد والشعراء والفلاسفة مثل نبوليون ويوليوس قيصر والاسكندر المكدوني وشكسبير وهوميروس وملتون وباكون وارسطوطاليس واسحق نيوتن وقد قُدِّم على سقراط وكنت وليبنتز وكرومول ولويس فيليب وفردرك الكبير ولورد بيرُن ودانتي وڤرجيل . فرأَينا ان نثبت ترجمتهُ في هذا الجزء ونبحث عن باني التاج في الجزء التالي

ولد ميخائيل انجلو سنة ١٤٧٥ وابوهُ من اهالي فلورنسا ومن وجهائها وكانت لهُ ثروة طائلة فقدها كلها ولكنهُ بقي محتفظاً بشرف نسبهِ فلما ظهر من ولدهِ الميل الى الرسم والنقش نهاهُ عنهُ حاسباً انهُ لا يليق بمقام اسرتهِ وكان يقول انهُ قد خسر اموالهُ كلها ولم يعد في طاقتهِ ان يعيش مثل اقرانهِ لكنهُ يفتخر بانهُ لم يتدانَ الى الاكتساب بالتجارة او بالصناعة . وليس من الانصاف تشديد الملام عليهِ اذ كان اهل زمانهِ يقولون قولهُ ويعتقدون اعتقادهُ لكن رغبة الولد كانت شديدة فلم يستطع ابوهُ ان يصرفهُ عن عزمهِ . وكان يقول بعد ذلك انهُ رضع هذا الميل مع اللبن لان اباهُ كان قد سلمهُ الى امرأَة زوجها نحَّات لكي ترضعهُ وتربيهُ فكان يرى اعمال زوجها في طفوليتهِ فأُشرب حب النقش مع اللبن . وبعد خصام شديد بينهُ وبين ابيهِ دخل صانعاً عند مصوّر اسمهُ غرلنداليو وعمرهُ ثلاث عشرة سنة فقط لكي يقيم عندهُ ثلاث سنوات . وكانت البلاد حولهُ مملوَّة بفاخر المصنوعات من الصور والتماثيل والمباني والنقوش فكانت رغبتهُ تزيد اتقاداً كلما وقع نظرهُ عليها . ودرس مبادئ التصوير اولاً لكن ميلهُ الاشد كان الى النقش وعمل التماثيل فلقي معيناً لهُ في شخص لورنزو دي مديتشي [1] ودخل مدرستهُ قبل ان

(١) المديتشي اصحاب فلورنسا وطسكانا كلها نشأُوا في القرن الرابع عشر وكانوا تجاراً جمعوا ثروة وافرة

يتمم السنوات الثلاث عند غرنلندايو ويقال ان غرنلندايو هو الذي اشار عليهِ بدخول المدرسة وتوسل الى لورنزو لكي يقبلهُ لما رأى من نباهتهِ واجتهادهِ وكان رئيس المدرسة من تلامذة دوناتلو النحَّات الايطالي الشهير فجعل يقابل المصنوعات الحديثة بالقديمة ويحضر مذاكرات مهرة النقاشين والنحاتين ورغبتهم في التوفيق بين مصنوعات الوثنيين وما تقتضيهِ الديانة المسيحيَّة فظهرت عليهِ مخايل النجابة في المباحث الفلسفيَّة كما ظهرت في الاعمال الصناعيَّة

ولم يتم ثلاث سنوات في تلك المدرسة حتى توفي صاحبها لورنزو وخلفهُ ابنهُ بيرو وورث منصب ابيهِ ولكنهُ لم يرث اخلاقهُ وهمتهُ ورأى ميخائيل انجلو ان الخطوب ستتفاقم في عهد الولد فترك المدرسة وهرب الى بولونا وكان قد بلغ العشرين من العمر وصنع فيها ثلاثة تماثيل لكنيستها ثم دعي الى فلورنسا لعمل بعض التماثيل فعاد اليها وكانت شهرتهُ قد ذاعت وصنع فيها تمثالاً لاله الحب آخذًا فيهِ مأخذ القدماء فاشار عليهِ بعضهم أَن يطمرهُ في التراب حتى يصير كالتماثيل القديمة المنبوشة من الارض ليرى كيف يقبل الناس عليهِ ففعل ذلك عازمًا ان لا يزيد ثمنهُ لكي لا يكون فعلهُ من قبيل الخديعة بل من قبيل التسلية فاشتراهُ الكردينال سان جورجيو حاسبًا اياهُ من مصنوعات القدماء ودفع ثمنًا كبيرًا للتاجر الذي باعهُ اياهُ . واكتشف الكردينال ذلك حالاً فاستردَّ مالهُ من التاجر وأُخبر ميخائيل انجلو انهُ اذا جاء رومية وجد فيها رواجًا كبيرًا لمصنوعاتهِ فاسرع اليها واقام فيها بضع سنوات ولكنهُ لم يجد اولاً الرواج الذي انتظرهُ . وكان الاضطراب السياسي سائدًا على رومية حينئذٍ فاقام فيها خمس سنوات مكرهًا وكان يعمل بجد واجتهاد لان اباهُ صار يعتمد عليهِ في معيشتهِ ولو بقي حاسبًا تعاطيهُ صناعة التصوير وعمل التماثيل مما يحط من قدرهِ . ولم يوافقهُ ميخائيل على هذا الرأي ولكنهُ كان حريصًا على اسم عائلتهِ متفانيًا في خدمتها حتى انهُ كان يتحمل ما لا يتحملهُ طبعهُ من المشاق وشظف العيش لكي يكتسب ما يقوم بنفقات بيت ابيهِ . والقى ابوهُ اعتمادهُ عليهِ فكان يتناول كل درهم يكتسبهُ وينفقهُ في بيتهِ كأَن ابنهُ عبد مخلوق لخدمتهِ

وشرع بعد قليل في عمل تمثال داود المعروف بالجبَّار صنعهُ من قطعة كبيرة من الرخام كان غيرهُ قد شرع في نحت تمثال آخر فيها منذ اربعين سنة فغيَّر شكل التمثال وصنع منها تمثال شاب عابس واحكم صنعهُ فجاء منطبقًا على القواعد العلميَّة والفنيَّة حتى دُهش منهُ كل مَن رآهُ . وجُمع كل ارباب الفن في فلورنسا ليختاروا لهُ مكانًا مناسبًا لهُ فوضعوهُ امام قصر

وجادوا بها في المصالح العامة فصاروا حكام البلاد . ولورنزو من اشهرهم وكان عادلاً حليماً منشطاً للعلوم والفنون وهو من الشعراء المعدودين انشأ المدارس الكثيرة واغدق خيراتهِ على العلماء والصناع والفلاسفة

الحكومة سنة ١٥٠٤ وبقي هناك الى سنة ١٨٧٣ فنقل الى دار مدرسة الفنون . ولم يقتصر على عمل التماثيل بل اشتغل بالتصوير ايضاً وصوَّر بعض الصور الشهيرة . ولكن لم يطل عليهِ الوقت حتى دُعي الى رومية دعاهُ البابا يوليوس الثاني ومن ثم ابتدأ عصر جديد في اعمالهِ الفنيَّة

لما وصل رومية طلب منهُ البابا ان يصنع لهُ ضريحاً يكون منقطع النظير فصنع رسم الضريح واختار لهُ الرخام من مقالع كرارا وشرع في عملهِ ولكن حدث ما شغل بال البابا عن اتمام العمل ولم تعد النفقات تدفع الى ميخائيل وخشي من كيد مناظريهِ فهرب من رومية وعاد الى فلورنسا لكن البابا تغلب على خصومهِ وعاد فاستدعاهُ ورحَّب بهِ وامرهُ ان يصنع لهُ تمثالاً كبيرًا من النحاس لينصبهُ في بولونا فاقام خمسة عشر شهرًا على عمل هذا التمثال ونصبهُ في اوائل سنة ١٥٠٨ وهو يمثل البابا جالساً بحلتهِ والتاج على رأسهِ لكن اهالي بولونا ثاروا بعد ثلاث سنوات ورموا التمثال وكسَّروهُ

واستدعاهُ البابا الى رومية وانتدبهُ لتزيين سقف كنيسة سكستوس بالصور ولم يكن ميَّالاً الى التصوير ميلهُ الى عمل التماثيل فتذمَّر من ذلك اولاً لكنهُ تغلَّب على طبعهِ وصوَّر الصور المطلوبة فجاءت خير ما قامت بهِ شهرتهُ وكانت حياتهُ جهادًا مستمرًّا بين اميالهِ الطبيعيَّة والعوائق الكثيرة المحيقة بهِ وهو بين هذه وتلك مستمرٌّ الدأب لا يكلُّ ولا يملُّ . ولم يتم تلك الصور الاَّ سنة ١٥١٢ فجاءت آية من آيات التصوير . ثم عاد الى اتمام ضريح البابا وتوفي البابا بعد اربعة اشهر وطلب وارثهُ ان يصغّر الضريح عمَّا رسمهُ اولاً فصغَّرهُ لكنهُ بقي عظيماً فخيماً ولا يعلم كم كان قبل ذلك

ونُصب البابا ليون العاشر فارسل ميخائيل انجلو الى فلورنسا لكي يبني واجهة كنيسة فيها ويزينها بالتماثيل

ومرَّت السنون وهو يعمل اعمالاً لا يميل اليها الى ان صوَّر صورة الدينونة واتمها وعرضها سنة ١٥٤١ فجاءت آية في فن التصوير وعين في السنة الثانية مهندساً لكنيسة مار بطرس فاقام في تجديدها وتزيينها الى ان وافتهُ منيتهُ سنة ١٥٦٤

وهو اشهر رجل بين رجال النهضة الايطالية فقد كان من امهر المصورين والنقاشين وكان ايضاً شاعرًا وبنَّاءً وعالماً بالهندسة الحربيَّة . ولهُ ايطاليا بل اوربا كلها مديونة في اتقان فني التصوير وعمل التماثيل كما انهُ هو مديون لما رآهُ فيها من آثار الاقدمين

شكوى اللغة العربية

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي ... وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمتُ فلم اجزع لقول عداتي
ولدتُ ولمَّا لم اجد لعرائسي ... رجالاً واكفاء وأدتُ بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقتُ عن آيٍ بهِ وعظاتِ
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق اسماء لمخترعاتِ
انا البحر في احشائهِ الدر كامنٌ ... فهل ساءلوا الغوَّاص عن صدفاتي
فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني ... ومنكم وان عزَّ الدواء اساتي
فلا تكلوني للزمان فانني ... اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزًّا ومنعة ... وكم عزَّ اقوام بعز لغاتِ
اتوا اهلهم بالمعجزات تفنناً ... فيا ليتكم تأتون بالكلماتِ
ايطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتمُ ... بما تحتهُ من عثرة وشتاتِ
سقى الله في ارض الجزيرة اعظماً ... يعزُّ عليها ان تلين قناتي
حفظنَ ودادي في البلى وحفظتهُ ... لهنَّ بقلب دائم الحسراتِ
وفاخرتُ اهل الغرب والشرقُ مطرقٌ ... حياءً بتلك الاعظم النخراتِ
ارى كلَّ يوم في الجرائد مزلقاً ... من القبر يدنيني بغير أناة
واسمع للكتَّاب في مصر ضجةً ... فاعلم ان الصائحين نعاتي
أيهجرني قومي عفا الله عنهم ... الى لغة لم تتصل برواةِ
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الافاعي في مسيل فراتِ
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الالوان مختلفاتِ
الى معشر الكتَّاب والجمع حافلٌ ... بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإمَّا حياة تبعث الميت في البلى ... وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعدهُ ... ممات لعمري لم يُقَسْ بمماتِ

محمد حافظ ابرهيم

نهج العلم صراط مستقيم

مربع العلم لا ديار اماما فيهِ تستشعر القلوب هياما
هو يقري الارواحَ فضلاً ونُبلاً وهي تقري الاجسام منها سقاما
وتراهُ يسقي القلوب برودًا حيث تذكي في عقوتيها(١) ضراما
مربع فيهِ للعلى آنسات حسنت مألفًا فطابت مقاما
كم جلونا من المعاني عروسًا واجتلينا من البيان مداما
ورشفنا من العلوم زلالاً وبللنا من الزلالـــ اواما
وهجرنا ديار سلمى واروى واجتنبنا التشبيب والآراما
روض علم تستشعر العين منهُ في مغانيهِ هيبةً واحتراما
فترى الهيئة ارتقت فارتنا من نجوم العلى وجوهًا وساما
فلكم اوضحت خفيًّا لنظا رِ اليها وقرّبت اجراما
وترى البدرَ قابَ قوسين قدشا خَ وان اشبه الحبيب ابتساما
هرمًا صافحَ الفضاءَ بدورٍ جالَ فيهِ فاولدَ الأياما
اخرجتهُ عن كبدها الارض محمو مًا الى فسحةِ الفضا مستضاما(٢)
نبذَتهُ ولم تراقب لهُ حُرْ مةَ قربي ولم تراعِ ذماما
فاحتفت فيهِ ظلمةُ الجوّ اذ قد اطفأَت من لظى جواهُ اواما
وكستهُ الشمسُ المنيرة منها ثاقبًا يصدعُ الدُّجى والظلاما
مذ رأتهُ عن امهِ الارض منفيًّا حَبتهُ من نورها انعاما
فاباحَ الضياءَ من احد الشطر ينِ وَجهًا والاخرَ الإظلاما
ثم لما رأتهُ عنها قصيًّا جذبتهُ فراغ منها انهزاما
غير ان القربى تريهِ اقترابًا واِباهُ يوليهِ نأيًا ترامى
فهو يسري ما بين جذب ودفع ويرى السيّر بين ذاك لزاما

وترى (الكيمياء) تثمر علمًا جل بالاختبار حتى تسامى
صافحتها كفُّ الاوائل لمَّا انسوا من سنا ضياها ضراما

(١) ساحتيها (٢) اشارة الى اشتقاق القمر من الارض

اجهدوا النفس والنفيس وافنوا زَهْرَةَ العمر لم ينالوا مراما
طلبوا مبدأ الحياةِ اغترارًا وتحرّوا من الغنى (٣) اوهاما
ثمَّ لما اتاهم عَرَضًا ما جلَّ نفعًا في العلم قالوا سلاما
فهي خرقاء انتجتْ ايَّ علمٍ رُبَّما انتج اللئامُ كراما
وتحرّى الصحيح (دلتون) لمَّا نظَّم الكيمياء درًّا نظاما
اين هذا من (جابر) ذي مراء جدَّ في الكسر اذ رآهُ التئاما
فهو يبغي الاكسير جهلاً ودلتو نُ تحرَّى بها امورًا جساما
وهي كم انتجت عجيبًا وابدت فائداتٍ للعلم كانت دعاما

صاحِ ما هذه التي تظهر الخا في وقد جدَّ في السَّرار اكتتاما
ابرزتْ مضمر الخباءِ بالرَّسمِ وقد كانْ في الخفاء اقاما
هي نصفُ الاكسير دقَّت فجلَّتْ يكبرُ الدَّهرُ شأنها اعظاما
مخضت عالم (الفتوغراف) لمَّا شدَّ (رنتجن) ازرها احكاما
شاهد (الباريوم) قد ضاء فاستا مَ بهِ بارقَ النجاح وشاما
واطاعتهُ من اشعة (اكسٍ) شامساتٌ لم تلوِ عنهُ الزماما
مثلما سخَّر الاثيرُ (لمركو ني) وقد كان صعبهُ لن يُراما
نصبٌ قد اقامها تقنص الشا ردَ منهُ فتستبين المراما
كيف من بالعراق فورًا بلاسلـ كٍ يُري الرَّأي من يحلُّ الشاما

ما التي قد تأزرت مطرف الرِّ يح عليها الغمامُ القى لثاما
شاهدت قبَّةَ السماء عليها من سنا الشهب نثرة ونظاما (٤)
فشأتها (٥) والغازُ يخفر منها كبدًا كان بالعلى مستهاما
وتسامت من حيث يصعدها غا زٌ بها خفَّ يستريث (٦) النعامى
كرهت صحبة الورى فاستطارت واستطالت على السماء مقاما
اترى ظنَّت الثريَّا مدامًا ام ترى ظنَّت النجومَ ندامى
نازعتها الريح السرى فاستشاطت وعلتْ غاربًا لها وسناما

---

(٣) اشارة الى تطلبهم الاكسير (٤) من منازل القمر
(٥) سبقتها (٦) يستبطئ

واعتلت فوق عالم الارض حتى ... نشرت في العلى لها اعلاما
ثم جاشت بها الحمية اذجر ... رَّ عليها السحاب جيشاً لهاما
طالباً نصر أُمةٍ الريح لمَّا ... ملأ الارض والسماء قتاما
مذ تبدى يسوق منهُ ركاما ... خالتها يذبلاً يقلُّ شماما[7]
فاختبت يزجي الدلوح[8] وقد جلل ... وجه النهار منهُ ظلاما
فانبرت نحوهُ وقد جاش من غيـ ... ـظٍ ولكنها الدُّ خصاما
واستشاطت غضبي عليهِ وقدا ... بسمها الغيظُ شرةً وعراما[9]
ثم شقَّت احشاءَهُ وتعالت ... حيثُ مدت فوق الغمام غماما
كم قتيل مضى بها وشهيد ... جرعتهُ على يديها حماما
ثم لما انتهى بها السير حارت ... ثم القت للارض منها الخطاما

اظهر العلم للورى معجزات ... بينات تخالها احلاما
انطق البكم اكسب الصم سمعاً ... مثلما علَّم الجماد الكلاما
لك يا ناطق(الفنغراف)حالٌ ... فيهِ ادهشتَ بالبيان الاناما
قد ابحت المكتوم من كل سرٍّ ... لم تراعِ عهداً ولم تخشَ ذاما
كم رأينا للكهرباء عجيبا ... تٍ امورٍ تحير الافهاما
وروينا لها احاديث حازت ... حادث المجد والمعالي القدامى
فهي كم قرَّبت بعيداً وجرَّت ... مثقلات وكم انارت ظلاما
سخَّروا ثائر البخار وزجرَ ... البحر بل مدَّهُ لها استخداما
واحالوا اشعة الشمس فيها ... قوةً قبل ذاك ان تستاما

كم اساغوا من الطبابة كأساً ... عاد منها سيف المنون كهاما[10]
مذ اماطوا الستار عن كل مكرو ... بٍ ازاحوا الكروب والآلاما
انبتوهُ ليعلموا كيف يحيا ... فاتَّقوا شرهُ فكان سلاما
فتأملهُ في الجلاتين تبصر ... لالوفِ الالوف منهُ ازدحاما
دقَّ جسماً عن ان تراهُ عيون النا ... سِ واعتامَ للفنا الاجساما

---

(٧) اسما جبلين (٨) السحاب الكثير الماء
(٩) الشرَّة الحدة والطيش والعرام الشراسة (١٠) الكهام الكالّ

وعجيبٌ من كائنٍ قد تناهى صِغَرًا اوسع الورى اعداما
سارَ فيهِ (بستورُ) يعجم منهُ مخبرًا عزَّ قبلهُ اعجاما
وارتقوا في الجراحة المرتقى الاسمى فساموا الفساد فيها اهتضاما
كم درأنا (بالمصل) داءً دويًّا وكفانا "التلقيح" داءً عقاما

وتناهوا في فهم كلّ خفيٍّ فحسبنا افكارهم الهاما
نهضوا للعلى على حينِ انَّا ما برحنا عن المعالي نياما
احسنوا للحجى الوفادة لمَّا ان حفظنا للجهل فينا مقاما
فالى مَ الهجودُ والناس ايقا ظٌ وماذا القعودُ والعلمُ قاما
هل رأينا الطريق وعرًا وقد جـ ـدَّ بهِ الناس فاجتنبنا الزحاما
ام رأينا هذي الحياة جهادًا فخشينا في ذا الجهادِ الصداما
لا يساوي اولو البطالة من قد ربحَ الوقت خلسةً واغتناما
لا يساوي المجاهدين قعودٌ اخلدوا للهوى وخانوا الذماما
شاهدوا بارقَ التمدن فاستا موا اذاهُ اقبحْ بهم سوّاما
تركوا منهُ ما استطاب اغترارًا واجتنوا منهُ ما امرَّ التزاما
ليس من سنَّة التمدن ان نمسي على الجهل والهوى قوّاما
ليس من سنة التمدن ان تطوي الصدورُ الاحقاد والاوغاما
ليس من سنة التمدن ان تستقرئ اللهو او تديم المداما
انما سنة التمدن ان تنهض بالعلم والعلاء قياما
انما سنة التمدن ضمٌّ واجتماعٌ لا يعرف الانقساما
انما سنة التمدن ان تُلقي على الصعب في العلى مقداما
انما سنة النجاح ثباتٌ فيهِ تلقى لدى الشتات اعتصاما
انما تدركُ النجاح عليًّا تٌ نفوسٍ تعانق الاقداما
نشأَتْ في فضيلة العلم والتهذيب حتى لا تعرف الاثاما
يا لقومي في مَ وحتى مَ نلقي امرنا في يد الهوى استسلاما
ان بقينا والجدُّ عنا قصيٌّ فاقرئونا عن المعالي السلاما

النبطية احمد رضا

منزلة الشعر من التاريخ

١٨ اوهام العرب

ولا بأس بايراد شيءٍ من اوهامهم فمن ذلك

١ً ذهابهم الى ان دماءَ المتضاغنَين لا تختلط معًا قال المتلمس

احارث لو انَّا تُساط دماؤنا   تزايلنَ حتى لا يمس دمٌ دما (١)

وقال المثقَّب العبدي

فلو انَّا على حجر ذبحنــا   جرى الدميان بالخبر اليقينِ

٢ً زعمهم ان لكل شاعر تابعًا من الجن يلقّنهُ الشعر قال ابو النجم العجلي

اني وكل شاعر من البشَرْ   شيطانهُ انثى وشيطاني ذَكَرْ

وقال جرير بن عطية

رأيت رقى الشيطان لا تستفزُّهُ   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال الفرزدق في وصف قصيدة لهُ

كأَنها الذهب العقيان حبَّرها   لسان اشعر خلق الله شيطانا

وكانوا يزعمون ان اسم شيطان الفرزدق عمرو . وقال الاعشى ميمون في شيطانهِ وكان يدعوهُ مسحلاً

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعَوا لهُ   جُهُنَّام جدعًا للهجين المذمَّمِ (٢)

ومما يروونهُ لحسان بن ثابت قولهُ

ولي صاحب من بني الشيصبان   فحينًا اقول وحينًا هُوَهْ (٣)

وذهبوا الى ان الجن لا ياكلون قال شمير بن الحارث الضبي

اتوا ناري فقلت منون قالوا   سراة الجنّ قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم   زعيم نحسد الانس الطعاما

لقد فُضِّلتمُ بالاكل فينــا   ولكن ذاك يعقبكم سقاما

أَمِطْ عنا الطعام فانَّ فيهِ   لآكلهِ النقاصة والسقاما (٤)

---

(١) تساط تخلط (٢) قيل ان جهنام اسم تابعة عمرو بن قطن وكان عمرو يهاجي الاعشى . وجدعًا للهجين اي الزمهُ الله الجدع اي قطع عنهُ الخير . والهجين هنا اللئيم . والمذمم المذموم

(٣) الشيصبان اسم قبيلة من الجن والهاء في هوه هاء السكت (٤) امط نحِّ .

وقد مرّ معنا عند الكلام عن تدمر انهم قالوا ان الجن هم الذين بنوها بالصفاح والعمد فاثبتوا لهم احتراف البناء (٥)

وزعم آخرون ان الجن بارعون في فنون الغناء ودليلهم قول القطامي

تبيت الغول تهرج ان تراهُ وصنج الجنّ من طرب يهيمُ

وقالوا ايضاً بمعرفتهم فنون القتال قال ابو دهبل الجمحي

جنّية او لها جنٌ يعلمها رمي القلوب بقوس ما لهُ وترُ

وزعموا انهم يوقدون الشُعَل في الليل قال الاعشى ميمون

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجنّ بالليل في حافاتها شُعَلُ

وانهم يتعرّضون للناس فيثيرون وساوسهم قال كهدل الراجز

وابعثْ لهُ يا ربّ عنا شغّلا وسواس جنّ وشلالاً مدخلا
وجَرَباً قشرًا وجوعاً أطحلا (٦)

وكانوا اذا تغالوا في وصف غادة حسناء قالوا انها جنية قال حسان بن ثابت

جنيّة ارّقني طيفها تذهب صبحًا وترى في المنام

وكانوا يعتقدون بان الجن يتلوّنون كالغول قال امية بن ابي عائذ الهذلي "صحارٍ تغوّل جِنّانها (٧)"

٣ً الغول

والغول عندهم حيوان وصفهُ عنترة العبسي بقولهِ

والغول بين يديّ يخفى تارة ويعود يظهر مثل ضوء المشعلِ
بنواظر زرق ووجه اسود واظافر يشبهن حدّ المنجلِ

وقال ابو المضراب عبيد بن ايوب

ولله در الغول اسي رفيقة لصاحب قفرٍ خائف يتقتّرُ (٨)
فلما رأت ان لا اهال وانني شجاع اذا هزّ الجبان المطيّرُ
اتتني بلحن بعد لحن واوقدت حواليّ نيرانًا تبوخ وتزهرُ (٩)

وكانوا يزعمون انهُ يتكلم كالبشر وانهُ اذا ضرب ضربة واحدةً مات فان ثُني عليهِ عاش (على ما هو شائع بين البسطاء حتى الآن) قال تابط شرًّا

---

(٥) ذاك قول مَن يأخذ كلام النابغة مأخذ الحقيقة لا المجاز (انظر صفحة ١٠٧٩ من المجلد اا ٢٧ من المقتطف) (٦) القشر مصدر بمعنى اسم الفاعل والقاشر الكاشط. والاطحل الذي يأخذ منه الطحل وهو وجع الطحال (٧) الجنان جمع جان وهو اسم جمع للجن (٨) يتقتر يتهيأ للقتال

(٩) باخت النار خمدت وزهرت اضاءت

واني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان (١٠)
فشدّت شدةً نحوي فاهوى لها كفي بمصقول يمان
فاضربها بلا دهش فخرّت صريعًا لليدين وللجران (١)
فقالت عد فقلت لها رويدًا مكانك انني ثبتُ الجنان
فلم انفكّ متكئًا لديها لانظر مصبحًا ماذا دهاني
اذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان

وكانوا يسمون اناث الغول سعالي وسعالى مفردها سعلاة وسعلاة قال الاشتر النخعي

خيلاً كامثال السعالى شزّبًا تعدو ببيض في الكريهة شوس

٤ً التمائم

وكانوا يتخذون التمائم لدفع الاذى قال علقمة بن علقة

ولا مُلقٍ لذي الودعات سوطي أُلاعبهُ وريبتهُ اريدُ (٢)

وقال عبدالله بن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم طفلة زانها اغرُّ وسيمُ (٣)
يتقي اهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقى والتميمُ (٤)

وقد ذكر ابو ذئيب الهذلي فساد ذلك بقوله

واذا المنية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفعُ

٥ً الصفَر

ومن اوهامهم ان في البطن دويبة مثل الحية يسمّونها الصفَر تعتري من به شدة الجوع قال اعشي باهلة

لا يتأرى لما في القدر يرقبهُ ولا يعضُّ على شرسوفهِ الصفرُ (٥)

٦ً السلوانة

ومن اوهامهم السلوانة وهي خرزة شفافة اذا دفنتها في الارض ثم بحثت عنها رأيتها سوداء

(١٠) السهب الفلاة والصحصحان ما استوى من الارض (١) الجران مقدم عنق البعير من مذبحهِ الى منحرهِ وقد اطلق هذا الشاعر الجران على كل عنق فدخلت بذلك عنق الغول فكان قولهُ مجازًا مرسلاً من باب تسمية الشيء باسم جزئهِ (٢) الودعات خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة تتفاوت في الصغر والكبر (٣) الطفلة الرخصة الناعمة والوسيم الحسن
(٤) الرقى جمع رقية وهي العوذة والتميم جمع تميمة وهي خرزة رقطاء يتعوَّذ بها
(٥) تأرى الشيء تحرَّاهُ . والشرسوف مقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن

فكانوا يسحقونها ويسقون ماءها لمن ابتلي بحب فيزول عنهُ الحب ويسلو وتسمى هذه الخرزة سلوة وسلوانًا قال عروة بن حزام في السلوة

فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة الاَّ بها سقياني

وقال رؤبة مسلم لا انساك ما حييتُ لو اشربُ السلوان ما سليتُ

ما بي غنى عنك وان غنيتُ

وفي لسان العرب ان السلوان "هو ما يؤخذ من تراب قبر ميت فيذرُّ على الماء فيسقاهُ العاشق ليسلو عن المرأة فيموت حبهُ" واستشهدوا على ذلك بقول بعضهم

يا ليت ان لقلبي من يعللهُ او ساقيًا فسقاني عنكِ سلوانا

وقال بعضهم الساوانة حصاة يسقى عليها العاشق الماء فيسلو وعلى ذلك شاهد النحاة

شربتُ على سلوانة ماء مزنة فلا وجديد العيش يا ميُّ ما اسلو

٧ً الطيرة

ومن اوهامهم ايضًا الطيرة فانهم كانوا يتشاءمون ويتفاءلون قال تميم بن ابي مقبل العامري

انَّا مشائيم ان امسيت جاهلنا يوم الطعان وتلقانا ميامينا

وقال المقنَّع الكندي

وان يزجروا طيرًا بنحس يمرُّ بي زجرتُ لهم طيرًا يمرُّ بهم سعدا

وقال علقمة الفحل

ومن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامتهِ لا بدَّ مشؤُومُ

وكان منهم من يتفاءل بالسانح قال ذو الرمَّة

خليليَّ لا لاقيتما ما حييتما من الطير الاَّ السانحات واسعدا

ويتشاءم بطير الشمال قال ابو ذؤَيب

زجرتُ لها طير الشمال فان تكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

ومما تشاءموا بهِ نوع من الطير يسمى الاخيل قال الفرزدق

اذا قَطَنًا بلَّغتنيهِ ابن مدرك فلُقِّيتِ من طير اليعاقيب اخيلا

وقال حسان بن ثابت

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأَخيلا

قال العيني محمود "اهل نجد يتيمنون بالسانح دون البارح واهل الحجاز بعكس ذلك قال النابغة (الذبياني) وهو نجدي فتشاءم بالبارح

زعم البوارح ان رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الاسودِ

وقال كثير وهو حجازي ممن يتشاءم بالسانح

اقول اذا ما الطير مرّت مخيفة سوانحها تجري ولا استثيرُها

فهذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازي والحجازي لغة النجدي فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدي

فبيني على طير سجيس نحوسةٌ واشأم طير الزاجرين سنيحُها(٦)

وقال الاعشى وهو نجدي

اجارهما شرٌّ من الموت بعد ما جرت لهما طير السنيح باشأم

وقد ذكر الكميت الاسدي عدم مبالاته بهذا الوهم في قوله

ولا انا ممن يزجر الطير همهُ اصاح غرابٌ ام تعرّض ثعلبُ

ولاالسانحات البارحات عيشة امرّسليم القرن ام مرّ اعضبُ (٧)

وذكر لبيد العامري كون هذا الوهم باطلاً بقوله

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

اما النابغة الذبياني فاطال الكلام في تفنيد هذا الوهم حيث قال

تعلَّم انهُ لاطيرَ الاَّ على متطيّرٍ وهو الثبور(٨)

بلى شيءٌ يوافق بعض شيء احايينًا وباطلهُ كثيرُ

وأُنشد لمرقش السدوسي

لا يمنعنّك من بقا ء الخير تعقادُ التمائمْ

ولقد غدوتُ وكنت لا اغدو على واقٍ وحاتمْ (٩)

فاذا الاشائم كالاَيا منِ والايامن كالاشائمْ

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ

قد خُطَّ ذلك في الزبو رِ الاوليّات القدائمْ

وفي كلام علقمة والكميت ولبيد والنابغة شواهد على ان ذوي العقول الثاقبة من العرب كانوا ينكرون الطيرة وما كان قول النابغة "زعم البوارح" الاَّ من باب متابعة القوم لا من باب الاعتقاد ولذلك قال زعم وزعم مطية الكذب

امين ظاهر خيرالله

(٦) السجيس الدائم (٧) الاعضب المكسور القرن (٨) الثبور الهلاك

(٩) الواقي الصرد وهو طائر والحاتم الغراب

عمران العراق

ديانة اهالي بابل

يتعذَّر البحث عن عمران العراق من غير التفات الى العقائد الدينيَّة التي كانت سائدةً فيهِ كما يتعذَّر البحث عن عمران غيرهِ من الممالك القديمة من غير نظر الى اديان اهاليها . لان للعقائد الدينية اليد الطولى في جمع الامم وسن الشرائع وتقرير الاحكام وتوجيه اميال النفس الى الخير او الى الشر . وتكون العقائد مسبَّبات في اول الامر ثم تصير اسباباً تتولَّد من تأثير الافعال الطبيعية في النفس ثم تتسلط عليها تسلُّطاً مطلقاً

وقد يُظنُّ لاول وهلة ان البحث عن العقائد البابليَّة المكتتبة بمثابة البحث عن اقدم ما تخيَّلهُ الانسان او ما اوحي بهِ اليهِ لان الكتابات التي تحويها قديمة جدًّا تمتدُّ الى اقدم عهد وُجدت الكتابة فيهِ . غير ان النظر في هذه الكتابات دلَّ على ان تلك العقائد تغيَّرت وتبدَّلت قبلما ضُمِّنتها الكتابات البابليَّة بعصور كثيرة وصار منها دينان مختلفان الدين العام دين جمهور الشعب والدين الخاص او الرسمي وهو دين رجال الدولة وخاصَّة الامَّة . الاول كثير الخرافات والاوهام يكاد يكون مزيجاً من التنجيم والطلاسم والثاني كثير القواعد والاحكام مؤلف من اصلين مختلفين اصل سماري واصل سامي الاول مبني على وجود ارواح هيوليَّة حالَّة في كل جسم . وقد يُرَى الجسم ولا ترى روحهُ او ترى الروح ولا يرى الجسم الذي تحتلهُ او يرى الجسم وترى الروح ايضاً . فالصخر يرى جسمهُ ولا ترى روحهُ والصاعقة ترى روحها ولا يرى جسمها والسهم المنطلق عن الوتر يرى جسمهُ وتُرَى روحهُ ايضاً اي حركتهُ التي توصلهُ الى الغرض وتوقعهُ فيهِ

والاصل الثاني وهو السامي مبني على وجود الهٍ متسلط على الكون مثل سائر الاديان الساميَّة ولما سكن الساميون مع السماريين في بابل على ما تقدم وامتزجوا بهم اقتبس السماريون منهم الاعتقاد بوجود الله وكانوا يعتقدون ان للسماء روحاً وللارض روحاً وللعمق روحاً ولكل شيء روحاً فما يسميهِ الساميون اله السماء يسميهِ السماريون روح السماء لكن معتقد السماريين يختلف اختلافاً جوهريًّا عن معتقد السماريين فان هؤلاء كانوا يعتقدون ان اله السماء شبيه بالناس في كل اوصافهِ وهذه الاوصاف اكمل فيهِ منها في الانسان وهو ذكر وانثى ولهما ولد وارث لهما وبكلمتهِ برأ المخلوقات من العدم وهو قادر ان يعيدها الى العدم

ويسمي الساميون هذا الاله " بعلاً " اي سيدًا او زوجاً كما تسمي المرأة زوجها بعلاً .

وقد اختلفت البعول باختلاف القبائل فكان لكل قبيلة بعل خاص بها ثم لما تحضّرت تلك القبائل وبنت المدن صار لكل مدينة بعل خاص

وقالوا ان هذا البعل يتجسّم في جسم الشمس فهي الاله الحسي ملك السماء والارض . وكما ان للشمس فعلين متناقضين انماء المزروعات وانضاج الاثمار من الجهة الواحدة وتيبيس المزروعات وتجفيف الاثمار من الجهة الاخرى فهي نافعة وضارّة معاً

من هذين الاصلين اي الاصل السماري والاصل السامي تألفت الديانة الرسمية في بابل والديانة العامة ايضاً فالساميون اعطوا السماريين آلهتهم وكهنتهم وهياكلهم وشعائرهم الدينية . والسماريون اعطوا الساميين اعتقادهم بالارواح والسحر والطلاسم والكتب الدينية . ولم يكن عند السماريين في اول الامر كهنة لخدمة الآلهة بل سحرة لدفع اذى الارواح لانهم كانوا يعتقدون ان الارواح تضرّ ولا تنفع فلا بدّ من ساحر يدفع اذاها عن الناس بتعزيمه ومن ذلك نشأ الطبّ لدفع اذى الامراض . ثم رأوا ان ثلاثة من تلك الارواح تستحق ان ترفع على غيرها روح السماء وروح الماء وروح العمق او ما تحت الارض حيث تذهب ارواح الناس بعد الموت وحيث تجمع الارواح الشريرة فاحلّوها محلاً رفيعاً وعبدوها وبنوا لها الهياكل واقاموا الكهنة لخدمتها وكان ذلك قبل اتصالهم بالساميين

وكانوا يرصدون الكواكب فحسبوا ان لها علاقة بمصالح الناس واشركوا معها الارواح فالّهوها ومن اقدم هياكلهم هيكل في نبور للاله مل ليل او ال ليل اي مولى عالم الارواح وهيكل في اريدو على بحر فارس لايا اله القمر. ولما كانت اريدو مركز التجارة كان سكانها يرحلون الى البلدان القاصية ويزيدون اختباراً ويأتي مدينتهم التجار من اماكن مختلفة فيستفيدون منهم علماً ومعرفة فصار الهها اله العلم والنور الذي يسرّ بنفع الناس ومنحهم نعمة العمران وساعده في ذلك ابنهُ ويسمونهُ اساري وكان يعلن مشيئتهُ للناس ولقبوهُ بالمنعم او الرحيم

فصار في البلاد مصدران للعقائد الدينيّة الواحد في نبور شمالي بلاد بابل وهو يثبت السحر والطلاسم والشر والظلمة وكل ما يخشى والثاني في نبور جنوبي البلاد وهو مصدر النور والعلم الذي ينعم بالخيرات على بني الانسان ويشفي امراضهم. وقالوا ان الاله ايا هو اول مشترع واول من اوجد العمران وابنهُ اساري يبعث الموتى ويرد اليهم الحياة

ثم لما امتزج الساميون بالسماريين حسبوا ان مل ليل الهُ نبور هو الههم بعل وصاروا يعتقدون انهُ متسلّط على العالم العلوي والسفلي وابقوا اسم ايا على حالهِ وقالوا ان سلطتهُ تمتد على المياه كلها وابنهُ اساري هو مردخ اله بابل. ولما قوي شأن بابل قوي شأن هذا الاله ايضاً

فاحتل محل ابيهِ كما احتل زفس الاصغر محل زفس الاكبر عند اليونانيين . وكان السماريون يسمُّون روح الجو انو فقال الساميون انهُ اله الجو وعبدوهُ في مدينة ارك وعبدوا اله القمر في مدينة اور على الضفة الغربية من الفرات

ويقال جملة ان الساميين الهوا بعض الارواح التي كان السماريون يعتقدون بوجودها لكن تعذَّر عليهم ان يؤلهوها كلها فابقوا ثلثمئة روح منها وستمئة روح للارض والاولى هي جند السماء التي كان بعل ربًّا لها

واقتضت اللغة السامية وجود الهة مع الاله لان فيها صيغة للمؤنث بازاء المذكر فقالوا انهُ توجد بعلة كما يوجد بعل لكن مقام المرأة لم يكن رفيعًا عندهم كمقام الرجل فانحطَّ مقام الاهاتهم عن مقام آلهتهم الَّا مقام استار او الزهرة لانها كانت من آلهة السماريين وكان السماريون يجلون مقام المرأة على ما تقدَّم فبقيت على مقامها الرفيع

وكان السماريون يعتقدون ان تموُّز روح الينابيع والغدران فقال الساميون انهُ عشيق الزهرة وان ناب خنزير الشتاء قتلهُ او انهُ فقع من حرّ الصيف فجعل النساء يجتمعن كل سنة في شهر حزيران (جون) وينحن عليها وينتفن شعورهن . وقالوا ان الزهرة نزلت الى الهاوية لتنقذهُ فتعذَّر عليها انقاذهُ وقد نظموا هذه القصة شعرًا كانوا يتغنون بهِ في عيدهِ

وكانوا يعتقدون ان الشمس تشرق وتغرب من بين جبلين يحرسهما رجال اجسامهم كالعقارب ورؤُوسهم في السماء واقدامهم في الهاوية ووراء الحد الغربي الذي تغرب فيهِ الشمس البحر المحيط ومياه الموت ووراءها جزيرة الخالدين حيث يقيم الابرار المقربون والى هناك نُقل نوح بعد الطوفان اما غيرهم من بني الانسان فينحدرون بعد الموت الى الهاوية حيث تطير الارواح كالخفافيش في الظلام. هناك ارض الظلمة والنسيان ولها سبعة ابواب وسبعة حرَّاس يمنعون الارواح ان تهرب من سجنها ويبتلعون الاحياء ابتلاعًا. والالاهة اللات ترقب ماء الحياة النابع من تحت عرشها الذهبي وامامها اخيلة الابطال القدماء وكلٌّ منهم متوَّج بتاج خيالي وجالس على عرش خيالي لا ينهضون عن عروشهم الَّا حينما تأتيهم روح ملك من ملوك الارض لتنضم اليهم فينهضون لتحيتها

ثم نبغ في البلاد اناس فاقوا غيرهم ذكاء فجمعوا المعتقدات القديمة ومحَّصوها والَّفوا منها نظامًا دينيًّا فقالوا انهُ كان في البدء خلاء العمق فنشأ منهُ الالهان الاولان لخوم ولخامو ثم الالهان انصار وقيصار وهما الجو الاعلى والاسفل واخيرًا آلهة الساميين العظيمة انو وبعل وايا واجتمعت هذه الالهة كلها لخلق السماء والارض ولكن نشبت الحرب اولاً بينها وبين طيامات

تنين العمق فتطوَّع الاله مردخ لقتالهِ فدحرهُ هو واتباعهُ وصنع جلَد السماء من جلدهِ وماء الينابيع من دمهِ ووُضع للعمق حدٌّ لا يتعداهُ فيغمر الارض ويردها خاوية كما كانت. ووضعت الشرائع والقوانين للاجرام السمويَّة حتى لا تتعدَّى مداراتها بل تكون مقياساً للازمنة والاوقات ثم خلقت النباتات والحيوانات وخلق الانسان ليتسلَّط عليها وقد خلق الانسان من تراب الارض لكنهُ جُعل ابناً للآلهة لانهُ خُلق على شكلها ومثالها



ورُسمت مبارزة مردخ لطيامات على جدران هيكل بعل في بابل وهي المرسومة في هذا الشكل ولعلهم اشاروا بذلك الى الزمن الذي كانت فيهِ مياه الفرات ودجلة غامرة بلادهم ثم حجزوها واحيوا البلاد وعمَّروها

وكان عند البابليين كتب دينية يؤتمن عليها الكهنة ويتعلمها خاصة الشعب ولا تخفى امورٌ كثيرة منها على عامتهم ولاسيما الاناشيد والتراتيل فان جمهور الشعب كان يتغنى بها في الحفلات الدينية وقد جمعوا هذه الاناشيد في كتاب فكان كالفيدا عند الهنود والتوراة عند اليهود ولغتهُ سمارية لانها كانت اللغة الدينية . وكانوا يدققون في تلاوتهِ ومن لحن فيها فسدت عبادتهُ . وترجموا هذه الاناشيد الى اللغة السامية ووضعوا لها علامات لتقييد لفظها السماري حتى لا يلحن احد في تلاوتها ثم أُضيفت اليها اناشيدُ منظومة للشمس نظمها الساميون لكنهم كتبوها باللغة السمارية القديمة وكانوا يختمون كل نشيد من اناشيدهم بكلمة امانو التي

تقابل كلمة آمين بالعبرانية او العربيَّة

وكانت الخدمة الدينية مستمرة فكانوا يقرّبون ذبيحةً كل يومٍ ويعيّدون اعيادًا مختلفة في كل شهر من شهور السنة وعندهم رسوم دينية لليل كما عندهم للنهار وكانوا يحفظون ايام الاهلَّة بالتدقيق وكل يوم سابع . وكلمة سبت العبرانيَّة والعربيَّة من كلمتي سا اي قلب وبات اي نهاية يعنون بذلك انهُ يوم الانتهاء من العمل واراحة القلب . وكانت سبوتهم في اليوم السابع من الشهر القمري والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين وكان عندهم سبت آخر في التاسع عشر من الشهر لانهُ نهاية سبعة اسابيع . وحرَّموا الاعمال على انواعها في السبوت ولم يجيزوا للملك اكل اللحم المطبوخ فيهِ ولا اللحم المدخَّن ولا تغيير الثياب ولا لبس الحلل البيضاء ولا تقديم الذبائح ولا ركوب المركبات ولا اصدار الاوامر الملكيَّة . وحرموا على الكهنة الطيرة والتفاؤُل ووصف الادوية في ايام السبوت وكان رجال الدولة يفرضون على الشعب الصوم والاعتكاف في بعض الايام اذا اصاب البلاد ضيق مثال ذلك انهُ لما تهدَّدت قبائل الشمال بلاد بابل على عهد الملك اسرحدون امر الانبياء بان يصوم الشعب مئة يوم ومئة ليلة يحيونها بالصلاة والابتهال لكي يرفع اله الشمس خطيتهم ويدرأ عنهم شرَّ الغزاة وكذلك لما قمع الملك اشوربنيبال ثورة بابل بعد حصارٍ طويل قال ان الانبياء امروهُ لكي يطهر مجالس الرحمة وينقي طرق الحفلات التي تدنَّست ويسترضي الآلهة والالاهات بابتهالاتٍ خاصة ومزامير التوبة

وكانوا يطهّرون الارض التي يبنون فيها هياكلهم بسكب الخمر والزيت والعسل. والهياكل مربعة في ساحة كبيرة فيها برج عالٍ من طبقاتٍ متدرّجة يضعون محراب الاله في اعلاه ويستخدمونهُ للارصاد الفلكية وهو يماثل المرتفعات التي كانت تستعمل في بلاد كنعان . قال هيرودوتس ان قمة البرج التي في هيكل بعل مردخ ببابل لم يكن فيها سوى مقعد ومائدة

وتوضع صورة الاله في محرابٍ داخل الهيكل وهو ما يسمَّى بقدس الاقداس وامامها مائدة ذهبية عليها خبز الوجوه وتحتها البركو او مجلس الرحمة حيث يجلس الاله الاعظم وتحيط بهِ الآلهة على حسب معتقدهم وامام هذا المحراب مذبحٌ مصفحٌ بالذهب ومرحضة من النحاس تقابل البحر في هيكل سليمان وتكون واقفة على رؤُوس اثني عشر ثورًا من النحاس وهي تمثل العمق الذي تطفو الارض عليهِ

وقد اكتشف العالم رسام في نينوى هيكلاً قديمًا فيهِ مذبح يُصعَد اليهِ بدرج وامامهُ عند مدخل الباب تابوت فيهِ صفيحتان من الرخام طول كلٍّ منهما قدمٌ وعرضها ثلثا قدم وضعهما

اسور نزربال ملك اشور وكتب فيهما خبر انشائهِ لذلك الهيكل . ولما وجدنا ظنّ العلماء النساطرة انهما لوحا الوصايا العشر في تابوت العهد. ويكون في الهيكل احياناً حجرٌ قائم يسمّى بيت إيل يُمسَح بالزيت ويُحسَب ان روح الاله تحلُّ فيهِ. وظلّت الذبائح تُقدَّم لهذه الحجارة الى عهد نبو خذنصّر وخلفائهِ

وكانت ذبائحهم الدينيَّة من البقر والغنم والمعزى والحمام وتقدماتهم من الاثمار والبقول والخبز والخمر والزيت والطيوب وتختلف تقدماتهم فبعضها للخطية وبعضها للشكر

وكهنتهم طائفة كبيرة وكان لرئيسهم السلطة الدينية والدنيوية فكان هو الملك ثم استولى على المُلك غيرهُ فلم يبقَ لهُ الاَّ السلطة الدينيَّة ثم اشترك في هذه السلطة كثيرون فلم يبقَ لهم رئيس واحد ويتلو ذلك كثيرون من الخدم للاعتناء بادوات الهيكل ومسحها بالزيت وتقديم القرابين ومنهم الانبياء الذين ينبئون بمشيئة الالهة ويرافقون الجيوش ويحدّدون الازمنة التي يحسن فيها الهجوم ثم معبّرو الاحلام

وكان بعض الكهنة خصياناً وهم قائمون في هيكل الزهرة لخدمتهِ مع العذارى المتبتلات لخدمتها وهؤلاء العذارى كنَّ يسكنَّ في الهيكل ويجوز لهنَّ ان يقتنينَ الاملاك ويتعاطينَ التجارة ليعطينَ جانباً من ربحهنَّ للهيكل وكان بعضهنَّ من العيال الشريفة بل من عائلة الملك وهنَّ غير النبيَّات اللواتي كنَّ يتنبأن باسم الزهرة وغير البغايا اللواتي انقطعنَ للبغاء في خدمتها . وقد كان لهؤلاء الكاهنات النبيات هيكلٌ في اربلا تنبأْنَ فيهِ لاسرحدون نبوات كثيرة لم تزل محفوظة الآن وقد قلنَ في واحدة منها ما تعريبهُ " لا تخف يا اسرحدون اني انطق بروح النبوة ولا اخفي عنك شيئاً اعداؤُك يذوبون من امام قدميك كما تذوب السيول في سيوان انا السيدة العظيمة زهرة اربلا التي جعلت اعداءك يهربون امام قدميك اين الكلمات التي كلمتك بها حتى انك جحدت انا زهرة اربلا اعطيك اعداءك الاوكيين اسلمهم ليدك واسير امامك والى جانبك لا تخف انت في وسط الذين يبرئونك انا في وسط جيشك اتقدمهُ واقف منتظرة "

وكان الكهنة يتقاضون اموال الهياكل من الشعب كله فيأخذون العشور من كل احد من الملك الى الصعلوك فقد ذكر ان الملك نابونيدس دفع العشور لهيكل سبّارة خمسة امناء من الذهب اي ٨٤٠ جنيهاً حين ارتقائهِ الى عرش الملك ويستدل من ذلك انهُ وجد من النقود في خزانة القصر ما يساوي ٨٤٠٠ جنيه. وكان للهيا كل اوقاف بعضها يقوم الفلاحون على خدمتهِ وهم مرتبطون بهِ كأنهم ارقاء وهم في الحقيقة احرار اي انهم لا يباعون مع الارض

بثمن ولكن لا يباح لهم ان يفارقوها وبعضها يقوم الكهنة على خدمته وبعضها يؤجر للمستأجرين

وكانت هذه الفرائض الدينية معروفة لدى خاصة الشعب اما العوام فكانت ديانتهم قائمة بالسحر والطلاسم لا غير ولذلك كان جمهور البابليين من اهل الاوهام فكانوا ينصبون الثيران المجنحة على ابواب قصورهم وسائر مبانيهم لكي تطرد الابالسة وتمنعها من دخول المنازل وهي مثل الشديم والكاروبيم عند اليهود وكأنهم كانوا يحسبون الدنيا مملوءة بالابالسة والارواح الشريرة التي ليس لها من شغلٍ الاَّ الايقاع بالناس وتعذيبهم فكانوا اذا شربوا ماء او اكلوا طعاماً حسبوا انهما لا يخلوان من الارواح الشريرة ولا بد من طردها منهما بالتعزيم قبل الاكل والشرب ونسبوا كل الامراض والاوصاب الى هذه الارواح الشريرة وقالوا انهُ يمكن منعها او نزعها بالعزائم والتمائم وان الجنون من فعل الشيطان خاصةً فلا يزيلهُ الاَّ الساحر او الراقي. والَّفوا كتباً كثيرة ضمنوها العزائم والرُّقى التي كانوا يخرجون بها الارواح الشريرة او يمنعون ضررها ومن قبيل ذلك ربطهم حجاباً حول اعضاء المريض بخيطٍ يُعقد سبع مرات

وزعموا ان الارواح والغيلان تُفلت من اجسام الموتى ومن الهاوية في ظلمة الليل وتمتصُّ دماء الاحياء وان الكابوس واحد منها يركب صدر النائم قاصداً خنقهُ ورئيس هؤُلاء الابالسة ليلة زوجة ليل وقد اقتبس اليهود هذا الاسم من البابليين فذكروها بلفظ للث في نبوة اشعيا

وكان للابالسة كهنة خاصُّون بها يعبدون زهرة غير الزهرة المعبودة في ديانة المملكة ويلجأ اليهم عامة الشعب ليكتبوا لهم العُوَذ والتمائم التي تقيهم شرَّ الابالسة فيتحجبون بها او يضعونها على ابواب بيوتهم دفعاً لدخول الاذى اليها وفي آخر كل عوذةٍ او تميمة الكلمات الآتية انا فلان ابن فلان الذي معبودهُ الاله الفلاني اضرع اليك واطلب منك والثم يديك واسجد لك طالباً ان تهلك الساحر والساحرة اللذين سحراني لكي اعيش واسرّ قلبك

اما خاصة الشعب فكانوا يترفعون في الغالب عن هذه الخزعبلات ويتقدمون الى معبودهم كما يتقدم اليه المتعبدون في كل زمان ومن اناشيدهم في مثل ذلك ما ترجمتهُ

لقد اغتاظ الرب مني فليرضَ عليَّ
ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ
لترضَ الالاهة التي لا اعرفها
ليرضَ الاله الذي لا اعرفهُ والالاهة التي لا اعرفها
يا الهي خطاياي عديدة ومعاصيَّ كثيرة لا اعرف ما هي خطيتي ولا ما هي معصيتي
نظر الربُّ اليَّ في حموّ غضبهِ واعلن الله نفسهُ لي وهو ساخط عليَّ

استعنتُ فلم اجد معيناً . بكيتُ ولم اجد معزّياً . ناديتُ بأعلى صوتي ولم يسمع احد لي . هوذا انا مضطرب في ضيقي ولا اجسر ان ارفع عينيَّ . الى الله الرحيم التفت وارفع صلاتي . اقبّل قدميَّ الهتي وابلّلهما بدموعي فتستحيل خطاياي الى نِعَم ومعاصيَّ تبدّدها الرياح . انزع عني آثامي الكثيرة نزع الثوب . يا الهي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفر خطاياي . يا الهتي معاصيَّ سبعة اضعاف سبعة اضعاف فاغفري خطاياي

وهذه الصلاة وجدت في مدينة اردو وتاريخها قبل ابرهيم الخليل بقرون كثيرة ومن قبيلها نشيد لإِله القمر نُظم اولاً في هيكل اور المدينة التي وُلد فيها ابرهيم الخليل قبل عهدهِ بزمنٍ طويل ويقال فيها

يا ابي الطويل الاناة والكثير الغفران الذي في يدهِ حياة كل انسان
البكرُ القدير الذي صدرهُ يسع كل شيء ولا يقع تحت قياس
العليُّ في الاعالي انت انت وحدك انت العليّ
مَنْ هو العليُّ في الارض انت انت وحدك انت العليّ
مشيئتك معلنةٌ في السماء والملائكة تسجد لك ومشيئتك معلنةٌ على الارض والارواح السفلى تجثو لك وتلثم التراب

ومن هذه الاناشيد ما يظهر منهُ ان البابليين او فريقاً من خاصتهم كانوا يعتقدون بوحدانيَّة الله وقد بيَّن السر هنري رولنصن ان فريق الموحدين هؤلاء نشأ اولاً في مدينة ارك وعلَّم ان الهة الكلدانيين المختلفة انما هي مظاهر من الاله الواحد انو . ولم يكثر انصار هذا المذهب ولكن كان الميل الى التوحيد شائعاً بين خاصة البابليين حتى لما صارت بابل عاصمة المملكة صار الهها مردخ الاله الاعظم او اله الآلهة وكاد الناس يقتصرون على عبادتهِ كما يظهر من الدعاء الآتي الذي دعا بهِ الملك نبوخذنصَّر وهو

الى مردخ سيدي اصلّي ومنهُ اطلب . كلمة قلبي اتجهت اليهِ فقلت ايها الملك انت الكائن منذ الازل رب الوجود

الملك الذي تحبهُ والذي تدعوهُ باسمهِ كما يحسن في عينيك هو الذي تهديهِ وتحرسهُ وتسيّرهُ في سبيل البرّ انا الملك الذي يطيعك انا عمل يديك انت خلقتني وائتمنتني على ملك جماهير من الناس حسب مشيئتك الصالحة التي قضيت بها عليهم كلهم ايها السيد اعنّي على محبة عظمتك ودع خوف لاهوتك يسكن قلبي وامنحني ما تراهُ صالحاً لان منك حياتي

قال الاستاذ سايس بعد ترجمة هذه السطور ان من يصلي هذه الصلاة ليس بعيداً عن ملكوت الله

غرائب الاحلام

انَّ رأينا في الاحلام معروف وهو انها كلها هواجس واضغاث غير منتظمة ان صدق شيءٌ منها فمن قبيل الاتفاق . والذين يدَّعون انهم حلموا احلاماً صحت تماماً لو كتبوا ما حلموا بهِ وقابلوا بينهُ وبين ما يحدث لوجدوا بينهما بوناً شاسعاً لا يصحُّ معهُ ان يقال ان ماحدث دلَّ الحلم عليهِ . ولكن من الناس مَن يبقى الحلم في ذهنهِ صورة غير واضحة فاذا حدث لهُ حادث بينهُ وبين الحلم اقل علاقة عادت صورة الحلم الى ذهنهِ على شكل جديد منطبق على ما حدث ولو بعض الانطباق فيحسب ان ما تصوَّرهُ في اليقظة هو نفس الحلم الذي حلم بهِ في المنام

وقد اطَّلعنا الآن على مقالة في مجلَّة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها طريق الاحلام بقلم لادي كري زوجة لورد كري الذي كان سفيرًا لانكلترا في الاستانة وهي من اشهر الكاتبات باللغة الانكليزية وابلغهنَّ . وظاهر الامر انها تصدق بعض الاحلام او بعض ما يجيء فيها ولعلها لو تحرَّت كتابة كل حلم كما كُتب الحلم الاخير من الاحلام التالية لوجدتها كلها اضغاثاً نقلُّ عن ظنون اليقظة صحَّة . وهذه خلاصة مقالتها

من الاحلام ما يؤثر في نفس الحالم تأثيرًا خصوصيًّا يُشعرهُ باهميتها وانها ليست مثل بقية الاحلام التي يحلمها وهي لا يمكن ان يكون سببها تلبك المعدة بأكل المآكل الغليظة ككثير من الاحلام التي تنشأُ عن التخمة . ومنها ما ينبئُ بحوادث تجري في المستقبل كما جرى لي في الحادثة الآتية التي ان لم يكن ما تمَّ فيها ضربًا من الانباء بالغيب بل مجرد صدفة واتفاق فهي صدفة اغرب من النبوءة واعجب

فقد حلمت ذات يوم اني دعيت لحضور وليمة وانا بعد صغيرة السن يصحبني شيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأُ على عصاهُ . وفي اليوم التالي دُعيت لحضور وليمة وكان شابٌّ قد عُيّن ليرافقني الى المائدة فلما ابطأَ جاءوا لي بشيخ بالٍ احنت الايام ظهرهُ وهو يتوكأُ على عصاهُ ليرافقني اليها بدلاً من الشاب فجزعت في بادئ الامر لمرآهُ ولاسيما لانطباقهِ على الحلم ولكنني سررت بصحبتهِ بعد ذلك وقصصت حلمي عليهِ ثم استطردنا في الحديث الى الاحلام وغرائبها فاعتذر عن ظهورهِ لي في الحلم على غير قصد منهُ وقال ان هذا شأن الاحلام فانها تأتي على ضدِّ ما يشتهي صاحبها ويريد وانهُ لما كان صغير السن كانت احلامهُ مملوءة بالمخاطر فلما صار كهلاً لم يكد يحلم بشيءٍ او اذا حلم لم يتذكر ما يحلمهُ وهو الآن شيخ فانٍ كثير الاحلام ومعظم احلامهِ عن ايام طفوليتهِ وصباهُ وما كان يجري لهُ في تلك الايام

وقد عرفت لورنس اولفنت وهو ممّن اشتهر باحلامهِ الكثيرة ودقة شعورهِ فقال لي انهُ لا يعرف سبب الاحلام النبوية وخصوصاً في الاحوال التي لا علاقة البتة فيها بين الحالم والمحلوم بهِ ثم قصّ عليّ احلاماً كثيرة من هذا القبيل اذكر منها القصة الآتية

وهي انهُ كان نائماً في منزلهِ بعد عودتهِ من اليابان ولم يكن بعدُ قد اتبع تعاليم هرس الاميركي(١). فحلم انهُ رأى رجلاً غريباً واقفاً بجانب فراشهِ ينظر اليهِ كأنما يستغيث بهِ او يطلب منهُ قضاء لبانة لهُ . فقال في نفسهِ وهو على تلك الحال ترى ما هي العلامة التي استطيع تمييز هذا الرجل بها اذا رأيتهُ في حال اليقظة ثم حدق اليهِ فلم يرَ في اول الامر ما يميزهُ تمييزاً خصوصيّاً عن غيرهِ ولكنهُ رأى بعد طول التفرّس فيهِ ان في وسط جبهتهِ ثقباً كبيراً مستتراً تحت شعر ناصيتهِ كأنهُ جرح معولٍ والدم يقطر منهُ وعند ذلك أفاق من نومهِ بغتةً

ومضت سنة تعرّف في غضونها بهرس المذكور وقبل تعاليمهُ وتبعهُ هو وثمانون تلميذاً من اتباعهِ الى غابة من غابات اميركا حيث انقطعوا الى درس مذهبهِ وهم بمعزل عن هذا العالم وغرورهِ وفي ذات يوم ركب اولفنت جوادهُ وخرج للتنزه فلقي جماعة من الفعلة الانكليز يصلحون الطريق المحاذية للغابة حيث كان هرس واتباعهُ مقيمين فانفرد رجل عنهم وتفرّس في وجه اولفنت طويلاً كأنهُ يعرفهُ ولكنهُ لم ينبس ببنت شفة فلحظ اولفنت انهُ هو الرجل الذي رآهُ في منامهِ منذ سنة . فسألتهُ عمّا اذا كان قد رأى في جبهتهِ أثراً للجرح الذي رآهُ فيها وهو نائم . فأجاب كلاّ ولكن تمهلي قليلاً فسكتُّ وانتظرت

وكان الفعلة يستعدون للذهاب الى حانوت قريب من ذلك المكان ليستريحوا فيها فقرَّ رأي اولفنت على موافاتهم الى ذلك المكان بعد ساعة ليستقصي امر الرجل ولكنهُ لما وصل علم ان الرجل تخاصم هو وآخر من رفاقهِ فضربهُ رفيقهُ بمعول في جبينهِ فسقط الى الارض مغشيّاً عليهِ ونقلوهُ الى غرفة اولفنت لانهُ كان مشهوراً عندهم بالطب والعرافة ولكنهُ مات بين يديهِ ومات معهُ سرُّ الحلم الذي حلمهُ اولفنت ان كان لهُ سرٌّ

وهناك حادثة من هذا القبيل جرت معي . وهي اني كنت ليلة من ليالي نوفمبر المكفهرة نائمة واذا بي أراني في شارع ضيق وسمةُ الفقر بميسمهِ وكان الضباب كثيفاً حتى خيل لي انهُ

(١) احد مشاهير المصلحين الاجتماعيين ولد في انكلترا سنة ١٨٢٢ ولكن اباهُ هاجر الى اميركا وعمرهُ اربع سنوات وهو صاحب طريقة دينية معروفة باسم " اخوية الحياة الجديدة " واتباعها يحترمون التوراة ويحاربون قدر الزواج ويقال ان لهُ نحو الفي نفس من الاتباع وهم منتشرون في انحاء العالم ومنهم لورنس اولفنت المذكور في هذه القصة وزوجتهُ

شارع من شوارع لندن وكنت راكبة مركبة فوقفت بي امام باب منزل من احقر منازل الشارع وكان معي صرر جئت بها لغرض معلوم . ففتح الباب فرأيت خلفهُ امرأة لابسة قبعة قذرة ترتجف كأنها مصابة بالبرداء . وكان الممرّ مظلماً ضيقاً ينتهي الى دار صغيرة وقد مدَّ فيها حبل نشرت عليهِ ملابس كأنها اطمار بالية وفي ارضها نقع من المياه القذرة تشمُّ منها رائحة الصابون فأخذ مني الاشمئزاز والنفور مأخذها . وبينما انا على تلك الحال سمعت صوتاً كأنهُ صوت حفر في الارض وصوت صدمات ثقيلة عند قدميَّ فالتفت الى غرفة عن يميني فرأيت رجلين من الذين يكفنون الموتى قد انحنيا فوق شيء اسود مستطيل وكانا يجرّانهِ . فحوّلت وجهي الى المرأة التي فتحت لي الباب وسألتها عن ذينك الرجلين فلم تجب بكلمة بل ضحكت ضحكة استهزاء فأمعنت النظر في وجهها فرأيتهُ مشوه الخلقة قبيحاً وزاد استقباحي لها لما رأيتها ذات لحية وصوت يشبه صوت الرجال الاَّ انها لابسة ملابس النساء . فذعرت من منظرها وقلت في نفسي اني افضل ان اكون مع المكفنين اشاهد ما يفعلان على ان اكون واقفةً مع هذه المرأة ففررت الى الغرفة المذكورة واغلقت بابها ورائي

غير اني لم أرَ احداً فيها مع انني رأيت المكفنين يدخلانها وكان كلُّ ما رأيتهُ سجادة بالية عليها رسوم ورق الكرنب وعدة كراسي ومقعد محوك من شعر الخيل . وللغرفة شبّاكان مشرفان على الشارع مكسران وستائرها اشبه بالشباك لا تدفع نوراً ولا تقي برداً . ثم اطللت على الشارع فقلت في نفسي ما اقبح هذه المناظر التي اراها وما اشدَّ سوادها فان النفس تنقبض منها والصدر يضيق لرؤيتها ثم مرَّ جنديٌّ من الحرس لابس ملابسهُ الحمراء ومرّت بازائهِ فتاة لابسة ملابس زاهية فابرقت اسرتي وسرّي عني لاني لم اعد اراني منقطعة عن العالم وانا في تلك الغرفة المدلهمة

هذه نهاية حلمي وقد انقضى وترك في مخيلتي اثرًا سيئًا ثم حدث لي ما يشبههُ

وتفصيل ذلك انهُ لم يكد يمرُّ على الحلم شهر حتى رأيتني في لندن في يوم اظلمت سماؤُهُ وتكاثف ضبابهُ واقفة امام باب المنزل الذي رايتهُ في نومي لمهمة إحسان اقضيها . وكان معي سلال وصرر تحتوي على طعام ولباس لفقيرة بائسة تسكن المنزل وهي تتقلّب على فراش المرض وكانت هذه اول مرة في عمري خرجت فيها لمثل تلك المهمة فلا يمكن ان يكون حلمي تذكّرًا لحادثة تشبهها لانها كانت فريدة في بابها . ولما فتح الباب نكص الشخص الذي فتحهُ الى الوراء وانزوى خلفهُ ليستر سحنتهُ القبيحة المشوّهة وكان ملتحيًا وعلى رأسهِ قبعة قذرة تشبه ما رايتهُ في الحلم وكذلك كلُّ ما رايتهُ في الدار لا يختلف بشيء عما رأيتهُ في منامي

وبينا انا مندهشة مما يجري درت الى اليمين لادخل الغرفة التي في الطبقة السفلى واذا بالمرأة — ان صحّت تسميتها امرأة — اشارت اليَّ ان اتبعها ثم صعدت امامي على درج ضيق يؤدي الى الطبقة العليا . وهذا هو الامر الوحيد الذي يختلف عما رأيتهُ في منامي واما سائر ما شاهدتهُ فكان ينطبق على الحلم كلَّ الانطباق . فاني رأيت سجادة عليها الرسم الذي رأيتهُ في الحلم ومقعداً مصنوعاً من شعر الخيل الى آخر ما هنالك . ولما التفتُّ الى الشباكين رأيتهما مكسرين ومصلحين على نحو ما رأيت في حلمي . ثم اشرفت منهما على الشارع فرأيت جندياً من الحرس وفتاتين سائرتين معهُ

اما المرأة التي جئت لمساعدتها فلها قصة طويلة ملخصها ان امها توفيت فتزوج ابوها امرأة قست عليها فهربت من بيت ابيها تخلصاً من الجور وعمرها خمس عشرة سنة فجاعت وأُغريت بالبغاء تخلصاً من الجوع اولاً ثم لكي تقيت طفلها الى ان توفي وكان يساكنها حينئذٍ رجل شرير سكير التهم كل ما كنت آتيها بهِ من الطعام وحاول ثلاث مرات ان يسلبني ما معي كما علمت بعدئذٍ ولم تكن نجاتي منهُ الاَّ بوصولي اليها قبل الميعاد المضروب او بعدهُ . ومن الغريب ان حلمي لم يلمَّ البتة بهِ ولا اشار اليهِ باشارة انذار تداركاً لشرّهِ على اهميَّة علاقتهِ بالقصة على ان الامور الطفيفة التي لا يعبأ بها مثل رائحة الهواء وحقارة المنزل والشخص الذي فتح الباب والجندي الذي مرَّ في الشارع والرسم المرسوم على البساط تطابقت كلها في اليقظة والمنام

وهذا حلم آخر قصهُ عليَّ احد اقاربي وكان عند رؤيتهِ لهُ جندياً في بورما فقال انهُ حلم ذات ليلة انهُ يشمُّ رائحة كريهة كما ينبعث من جثة غريق طال عليها البقاء في الماء . ثم رأى أباهُ تحت الماء ومنظرهُ كمنظر الاموات فاستيقظ من نومهِ وكتب تاريخ يوم الحلم وساعتهِ . وعلم بعد ذلك ان اباهُ وعملهُ وسق السفن في احد موانئ ارلندا كان يقود حصاناً جموحاً حذاء الرصيف فدفعهُ الحصان الى الماء فغرق وكان الوقت مساء فلم يعثروا على جثتهِ حتى بقيت مدة في الماء . وظهر لابنهِ ان اباهُ غرق في اليوم الذي رأى الحلم فيهِ وفي الساعة نفسها

ويقال ان من الاحلام ما ينبئُ بعكس ما يراهُ الحالم كأن تحلم ان رجلاً اعطاك بصلة فتأتيك هدية خاتم من الماس او تحلم انك ماشٍ عارياً في مكان عموميّ فتكون النتيجة انك تدعى الى حفلة رقص فتلبس فيها افخر ملابسك . وهاك قصة من هذا القبيل قصتها على سيدة تركية ايام كنت في الاستانة . وهي انها حلمت انها رأت ابنها وقد كان ملازماً في الجيش مكتوف اليدين ثم سيق الى ساحة امام الثكنة التي تقيم فرقتهُ فيها وأُعدم رمياً بالرصاص فجزعت لذلك الحلم لانها لم تعرف بما تأولهُ وخافت ان يكون نذيراً بسوءٍ يصيب ابنها في المستقبل

فقصّت ما رأتهُ على اهل بيتها صباح اليوم التالي ولكنها لم تقل انها حلمت بابنها بل وضعت شخصاً آخر موضعهُ وذلك لانهُ كان قد حضر بالاجازة حديثاً فخافت ان يؤثر حلمها تأثيراً سيئاً فيهِ . والشخص الذي احلتهُ محلهُ ضابط شابٌ من ضباط فرقتهِ . ثم لبست يشمكها وذهبت الى عرّاف لمشاورتهِ في الامر فقصّت عليهِ حلمها ولم تذكر شيئاً عن ابنها بل وضعت الضابط رفيقهُ موضعهُ . ففسَّر العرّاف حلمها بما حملها على الاطمئنان من نحو ابنها قائلاً انهُ من الاحلام التي تنبئُ بعكس ما سيجري وان صدر الضابط سيحلّى بالنياشين بدلاً من ان توثق يداهُ بالحبال كما رأت في منامها . وان اخذهُ الى ساحة الشكنة يعني ترقيتهُ الى رتبة قائد لفرقتهِ

فلما سمعت المرأة بهذا التعبير سرّت سروراً لا مزيد عليهِ ونهضت واقفة على قدميها ونادت باعلى صوتها قائلة للعرّاف "ولكني لم احلم بالضابط رفيق ابني ولا يهمني امر ترقيهِ بل حلمت بابني نفسهِ" فاجابها العرّاف بصوت خافت ولكن لماذا خدعتِني انكِ ستجنين جزاء جهلك لان النياشين التي كانت معدة لابنك سينالها رفيقهُ ولا قوة في الارض تستطيع ان تحرمهُ اياها

وكانت النتيجة ان الضابط المذكور نال النياشين كما قال العرّاف وحُرمها ابنها

وهذه قصة اخرى عن امرأة حلمت حلماً مفزعاً رأت ملاك الموت فيهِ امامها وخلفها "مشمّر الاردان للقبض" وشعرت بحرّ انفاسهِ وشاهدت عظام هيكلهِ فتشاءمت بذلك وظنّت انها لا تعيش كثيراً بعدُ ولكنها عمرت طويلاً وعاشت عيشة هنيَّة وتحرير الخبر اني دُعيتُ في صباي لقضاء عيدي الميلاد وراس السنة في منزل بداخليَّة البلاد فصحبتني اليهِ سيدة ذات جمال ودلال . وكان المنزل غاصّاً بالمدعوين والمدعوّات من الشبان والشابات ولم يكن بينهم سوى نفر من المتقدمين في السنّ يعدُّون على الاصابع . وفي مساء آخر ايام السنة اجتمعنا للسهرة ولعبنا العاباً كثيرة من جملتها لعبة للتكهُّن بما سيجري لكلٍ منَّا في المستقبل . وعند انقضاء السهرة وقفت رفيقتي وصاحت بغتة كمن هبط عليهِ وحي او الهام قائلة ليعتقد كلٌّ منَّا ان ما يحلمهُ هذه الليلة يتمُّ لهُ في السنة القادمة . واعلموا انهُ لا يجوز لأحد ان يكتم شيئاً من حلمهِ بل يجب ان يقصهُ علينا حرفاً حرفاً في صباح الغد ونحن على المائدة. فاتفقنا على ذلك ثم تفرقنا للنوم وصاحبتي تكاد "تروع مهابة وتذوب ظرفاً" وتطير مما بها من خفة الروح ورشاقة القدّ ولطافة العنصر ورقة المزاج

ولكن ما اصبح اليوم التالي حتى خرجت من غرفتها ضئيلة تدور على عينيها الجميلتين هالتان سوداوان ويلوح للناظر اليها انها اكبر مما كانت عليهِ بعشر سنين . وقد لاح لنا من منظر عينيها

انها كانت مستغرقة في البكاء . وكانت عصبية المزاج دقيقة الشعور حتى اعتقد كلٌّ منَّا انهُ ان هبط الوحي على احد منَّا في تلك الليلة فعليها اوكشف ضمير من ضمائر الغيب فلها . فلما ظهرت لنا بذلك المظهر خشينا ان يكون الالهام قد جاءها بما لا تحبُّ لنفسها ولا نحبهُ نحن لها

ولما رأيناها على تلك الحال لم نشأ ان نسألها عن السبب ولكننا اخذنا في قص احلامنا بعضنا على بعض آملين انهُ اذا جاءها الدور باحت لنا بغريب امرها . وهكذا كان فانهُ لما قص كلٌّ منا حلمهُ ولم يبقَ غيرها شرعت في الكلام بعبارات متقطعة وحدثتنا بما رأت في نومها اجابة لطلبها فأصغينا اليها بأشد الانتباه. وعند ما فرغت من الكلام اقترح بعضهم ان تكتب حلمها فتطبع عدة نسخ منهُ وتوزع على اصحابها . فامتثلت لما اقترح عليها وطبعت عدة نسخ من حلمها فاعطيتُ نسخة منها وها هو نصُّ الحلم على ما ورد فيها بلسان صاحبتهِ قالت :ـــ

"حلمت انني في حديقة عمومية من مدينة لا اعرفها وكان الزمن صيفًا . وكنت لابسة ثوبًا ابيض يجرُّ اذيالهُ على الارض . فلما اشتدَّ الحرُّ طلبت ظلاًّ اتفيأهُ واذا بصوت ارغن قد قرع مسمعي فالتفت الى الشارع القريب من الحديقة فرأيت كنيسة كبيرة والناس يهرعون اليها فقصدتها ودخلتها في من دخلها فشعرت ببرد كاد يصل الى قلبي فقلت في نفسي اني اجلس قرب الباب حتى اذا اشتد بي البرد خرجت ولم يشعر احد بخروجي . ولم يكن قربي احد فجلست على مقعد هناك اصغي الى ترتيل الرهبان وترنيمهم . وبينما انا اقلب اجفاني في الكنيسة والنور ضعيف قليل رأيت ان كل ما هناك من الستائر والملابس اسود اللون وعلمت ان اللحن الذي يلعب بهِ على الارغن لحن حزن . فقلت لا بدَّ ان تكون الحفلة حفلة جنازة والميت رجلاً ذا شهرة

وبينما ان افكر في من عسى ان يكون ذلك الميت شعرت بمجرى هواء بارد قد لطم كتفي اليسرى ثم اضاء المكان فعلمت ان الستار المسدول على الباب قد أُزيح ولكني دهشت من برودة مجرى الهواء الذي اصاب كتفي على حين ان الحر شديد في الخارج فالتفت واذا بي أرى شبحًا يدخل الكنيسة على عجل وتبينتهُ فاذا هو شبح عزرائيل ملاك الموت ورأيت عظام القسم الاعلى من هيكلهِ ولم ارَ ما بقي منهُ لما حال بيني وبينهُ من الستائر والسجوف. وكان ماسكًا بيديهِ قوسًا وسهامًا محددة الرؤوس فلما رآني نزع في القوس ثم صوّب اليَّ سهمًا ورماني بهِ فملت من امامهِ فاخطأني واصاب السهم جانب المقعد الذي كنت جالسة عليهِ . ثم سار في سبيلهِ مهرولاً وهو ينزع بالسهام ذات اليمين وذات اليسار حتى غاب عن الابصار بعد ما صار الهواء الذي في اثرهِ بارداً كالجمد فاصابني منهُ نفحة شعرت بقرسها وقرّها

فذعرت مما رأيت وحمدت الله على السلامة ثم نهضت من مجلسي وخرجت من الكنيسة حيث دخل عزرائيل تجنباً لهُ وحذر الالتقاء بهِ فلما صرت الى الخارج شعرت بحرّ الهواء . فتمشيت في المقبرة وانا لا اكاد امسّ اديم الارض بنعليّ من خفة الوطء وثوبي يسحب ذيلهُ ورائي . فجعلت اقف امام بعض القبور ريثما اقرأ ما عليها من الكتابات وكان معظمها باللاتينية فلم افهم منهُ الاّ القليل . وما زلت كذلك حتى وصلت الى قبر حفر حديثًا فدنوت منهُ ونظرت الى قعر الحفرة وقلت في نفسي لعلهُ قبر الميت الذي يجنزونهُ في الكنيسة . ثم درت لاخرج من المقبرة وادخل الحديقة العمومية ثانيةً فما شعرت الاّ وذيل ثوبي قد علق بشيءٍ على الارض فانحنيت لأجردهُ مما علق بهِ فاطبقت اصابعي على راس سهم مثل الذي نجوت منهُ وانا في الكنيسة واذا بي اراهُ قد غرز في ثوبي والصقهُ الى حافة القبر كما بمسمار . فالتفت الى جهة الكنيسة واذا عزرائيل واقف خلف ضريح منصوب على احد القبور وفي يدهِ قوسهُ وهو مكشّر عن اسنانهِ وعلى وجههِ سيماء الانتصار . وحينئذٍ اشتدّ صوت الارغن وعلت نغمات لحن الحزن الذي كانوا يلعبونهُ عليهِ حتى خيّل لي ان الارض كادت تميد بي وتمور فصحت صيحة شديدة وافقت من نومي . ومضت هنيهة من الزمن قبلما ادركت انني كنت في حلم . وما زال صدري ضيقاً ونفسي منقبضة الى الآن "

والحق يقال ان فاتحة السنة الجديدة كانت فاتحة شؤم ونحس عليها . فاشار اصدقاؤها عليها بالانهماك في حفلات لندن تسلية لافكارها فافادها ذلك اولاً ثم عادت اليها سوداؤها فكانت تكثر التردد الى الكنيسة ولم تكن تأكل سوى النزر اليسير . ولم تزل تسقم وتهزل حتى ظنّ الذين لم يعرفوا شيئًا من دخيلة سرّها انها مصابة بمرض عضال . واشتدّ بها الهزال على مرّ الايام حتى باتت ادقّ من العود وارقّ من الخيال فكتبت كتب وداع واعدت هدايا تذكار لنحو خمسين نفساً من اصدقائها وكانت تنوي ارسالها اليهم حتى تصلهم في صباح اليوم الاول من السنة الجديدة التي ظنت ان شمسها لا تشرق عليها وهي في قيد الحياة

ولم يمضِ على ذلك اسبوع حتى اخذت تشعر ان حالها تحسن وزرتها حينئذٍ فرأيتها تنزع طوابع البريد التي كانت قد الصقتها على الكتب ورزم الهدايا وهي جذلة مسرورة كما كنت اراها في ايام صباها . وكان كلّ ما رأتهُ في نومها وخشيت سوء عقباهُ اضغاث احلام وضرباً من الاوهام

فهذا خبر حلم كامل التفصيل مسرود الحوادث مرّ على ذهن امرأة شديدة التأثر فكان حديث خرافة لاشبه فيهِ للحقيقة . ولكنّ هذه هي طريق الاحلام . انتهى

العاديَّات المقلَّدة

لا يجلس المرء ساعة في قهوة من قهاوي القاهرة حتى يمرّ بهِ عشرات من باعة العاديَّات (الآثار القديمة) كالجعلان وقطع النقود وفصوص الخواتم واشباهها فيعرضوا عليهِ بضاعتهم لمشتراها فيقلبها بين يديهِ وينقدها بعينيهِ نقدًا دقيقًا ويتردَّد في مشتراها طويلاً ليس لانهُ عرف غثَّها من سمينها وميَّز صحيحها من كاذبها اذ معرفة ذلك تنحصر في اشخاص قلائل زاولوا شراء الآثار القديمة وبيعها السنين الطوال بل لانهُ شاع واشتهر ان سوق تقليدها وتزويرها رائجة في كلّ مكان وان اعظم الخبيرين بها قد يخطئون التفريق بين القديم الصحيح والجديد المقلَّد منها فضلاً عن الذين لا يلمون بشيءٍ عنها

وقد اخطر هذا على بالنا ما قالهُ رجل من موظفي المتحف البريطاني من ان تقليد الآثار القديمة بلغ مبلغًا عظيمًا حتى صاروا يتقنونهُ في اقصر الاوقات . فكثرت الاشياء المقلدة في اوربا وانتشرت في كل جهاتها حتى بات الناس يشكّون في ما اذا كان هناك آثار قديمة حقيقيَّة ودخل منها الشيء الكثير الى المتاحف الاوربية رغمًا عن نقد الناقدين وخبرة الخبيرين من موظفيها

وممَّا أثار الخواطر في هذا الموضوع أمر التاج الذهبي الذي اشتراهُ متحف اللوفر في باريس منذ سنوات وعدَّ من خيرة ما فيهِ من المعروضات والآثار القديمة فانهم يؤكدون الآن ان ذلك التاج ليس قديمًا بل ان صانعًا روسيًّا ماهرًا صنعهُ لرجل غير معروف سنة ١٨٩٦ وادعى ذلك الرجل انهُ تاج الملك سايتفارنيس وقد اعترف الصانع بفعلتهِ

على ان الحقيقة لا تزال مكتومة مجهولة اذ ممَّا يدعو الى الحيرة والريبة في امر ذلك التاج انهُ بيع لمتحف اللوفر بثلاث مئة جنيه وفيهِ من الذهب وحدهُ ما يساوي هذه القيمة . فلا يعلم ما وجه ربح صاحبهِ منهُ الاَّ ان يكون فيلسوفًا اراد ان يعلِّم الناس انهُ مهما بلغ مبلغ علمهم وادعائهم الكمال فلا يزال علمهم جهلاً وكمالهم نقصًا

وفي لندن وحدها الوف من الذين يعيشون من صنع الآثار التي يدعون انها قديمة وهي قد تكون بنت يومها . وما عليك الاَّ ان توصيهم بصنع ما شئت فيأتوك بعد ايام قليلة بما أوصيت بهِ كأنما هو من عهد عاد . وفي هولندا كثيرون يقلدون عمل الآنية الفضية القديمة ويغيّرون هيئتها الخارجية بما يضيفون اليها من المواد الكيماوية حتى يخيّل للناظر اليها انها من

بقايا القرون المتوغلة في القدم . وفي اثينا معمل لتقليد الآثار القديمة لا يستطيع العارفون تمييز مصنوعاتهِ من الآثار الحقيقيَّة . وهم يبيعون التمثال الصغير فيهِ بمئتي جنيه او ثلاث مئة على حين انهم لا ينفقون على صنعهِ جزءًا من مئة مما يبيعونهُ بهِ . ومما يتباهى رئيس المعمل بهِ ان مصنوعات معملهِ موجودة في نصف متاحف اوربا العمومية ومجموعات الآثار الخصوصية

وفي فرنسا معمل لصنع قطع من الرخام يدعي صاحبها انها من آثار بومباي التي دمرها بركان بزوف في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي وتباع القطعة منها بمئة جنيه او نحو ذلك وهي متقنة الصنع دقيقة التقليد حتى تخفى حقيقة امرها على اعظم الخبيرين

ومن الاشياء التي كثر تقليدها فصوص الخواتم التي نقشت عليها رؤُوس اشخاص وصور طيور وحيوانات ورموز اخرى حتى انهُ يحكى ان رجلاً من اعيان الروس جمع مجموعة منها انفق عليها خمسة آلاف جنيه ولكن تبيَّن لهُ بعد ذلك ان كثيرًا منها مقلَّد لا حقيقي . ولما اعيتهُ الحيلة في فرز المقلَّد منها عن الحقيقي باعها كلها بجزء مما انفقهُ عليها فكانت صفقة خاسرة

وفي لندن ومنشستر قوم يصنعون قطع الاثاث ويدَّعون انها قديمة كانت توضع في قاعات القصور الكبيرة في عهد الملكة اليصابات وانها حفظت الى هذا اليوم ويبرزون شهادات لتعزيز دعاويهم

واميركا غنية بهذه المقلدات وقد وصفها احد الذين يصنعون الكراسيّ على مثال الكراسي التي كانت تستعمل في القرن السادس عشر فقال " اننا نصنع الكراسيّ على المنوال المطلوب ثم نغمسها في سائل معلوم حتى يعلوها الصدأُ وتظهر بالية ونرميها ببعض طلقات من بندقية محشوة بالخردق حتى يلوح للناظر اليها ان السوس نخرها لطول عهدها

ويقول بعض الخبيرين ان التحف التي ابتاعها المستر مورغان الغني الاميركي الشهير ودفع ثمنها نحو مليونين من الجنيهات اكثرها مقلَّد وقد احكم صانعوها صنعها حتى خفي امرها عليهِ وعلى الذين يستعين بهم في نقد ما يشتريهِ

على ان اغرب ما وصل الينا من حوادث تزوير العاديَّات حادثة شابيرا المشهورة . وشابيرا هذا رجل اسرائيليّ بولونيّ اعتنق الديانة المسيحيَّة وسيم قسيسًا وجاء سورية وقد رايناهُ فيها وعرفناهُ . وبيان خبرهِ انهُ زار السر ولتر بزنت رئيس جمعية النقب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين يطلعهُ على كتاب قال عنهُ انهُ يدحض آراء علماء اللاهوت الحديثين كلهم ولم يشأ في بادىء الامر ان يبيح لهُ بسرّ اكتشافهِ ولكنهُ باح بهِ اخيرًا بعد الحاح شديد وعلى وجههِ سيماء الاستياء كأَنهُ اكره على افشاء السر اكراهًا . فقال ان الكتاب المذكور

نسخة من سفر تثنية الاشتراع مكتوبة على رق ثم اراهُ قسماً منهُ وهو يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى مبالغة في التظاهر بالحذر والتحوُّط واذا بهِ مكتوب بالاحرف الفينيقيَّة التي وجدت على الحجر الموابي بحبر اسود جميل وكانت الكتابة واضحة جلية مع انهُ مرَّ عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواهُ . وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو ان الكتاب وجد محفوظاً في كهف جافٍ من بلاد موآب. فالحَّ السرّ والتر بزنت عليهِ ان يعلن اكتشافهُ للعالم فتردَّد اولاً ثم رضي ان يطلع رجلين عليهِ وهما الدكتور جنسبرج من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كوندر الذي مسح القسم الغربي من فلسطين

فدعاهما السر والتر بزنت الى منزلهِ في اليوم التالي فظن الدكتور جنسبرج ان الدعوة عمومية تشمل موظفي المتحف البريطاني كلهم وعليهِ حضر هو وجميع موظفي المتحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كوندر ايضاً فاطلعهم شابيرا على كتابهِ فدهشوا لذلك كثيراً وقال احدهم ان الرقّ يشبه الرقّ الحديث في منظرهِ وهو يدلُّ على اتقان صناعتهِ في ايام موسى ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية " ان هذا الاكتشاف من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة ". وقال الكبتن كوندر " ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان . فان ما هو مذكور فيهِ من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تماماً وموسى لا يذكر شيئاً عن موتهِ "

وكان في جملة المدعوين وليم سمبسون محرر جريدة " لندن نيوز المصورة " فلم يصدق دعوى شابيرا وكان يعرف جميع ما في بلاد موآب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة فقال للسر والتر بزنت انهُ ليس في بلاد موآب كلها كهف جافٌ ليحفظ فيهِ هذا السفر

وبينما كان العلماء يتداولون السفر و ينقبون فيهِ ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنهُ جاء المسيو كلمان جانو من باريس لرؤيتهِ فقال " اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب فانهم قطعوا الرقّ الذي كتب عليهِ من حواشي الدروج العبرانية القديمة . اما الكتابة فكتابة امس "

واتضح لهم بعد طول البحث ان قول جانو صحيح فرُدَّ السفر الى شابيرا ولم يطلب احد مشتراهُ منهُ . فجزع جزعاً شديداً افضى بهِ الى ان شنق نفسهُ

وعجيب في امر المشغوفين بجمع العاديات انهم كثيرًا ما يكتشفون ان بين مجموعاتهم اشياء مقلدة ومزورة ولكنك تراهم غير مبالين بذلك كأن لم يكن شيء فقد عرفنا رجلاً اشترى اثرًا ظنهُ قديماً ثم اتضح لهُ انهُ حديث فلم يقلل ذلك من قدر الاثر في عينيهِ بل ما زال يجلهُ ويكرمهُ و يضعهُ مع غيرهِ من الآثار القديمة كأَنهُ واحد منها

غرائب "المعاشات"

ان كانت خزينة الحكومة المصرية تئنُّ من ثقل المعاشات الكثيرة التي تؤديها الى رجال خدموها في شبابهم وكهولتهم فاقعدتهم الشيخوخة عن السعي واعجزهم الهرم عن مداومة العمل فهناك خزائن تؤدي الاموال الى اناس لم يمدُّوا يدًا الى مساعدة حكوماتهم بل لم يحركوا اصبعًا في جرّ مغنم اليها او دفع مغرم عنها

واعظم شاهد على صحة ذلك الخزينة الانكليزية فانها تؤدي الى بعض افراد الانكليز معاشات سنوية كبيرة لغير سبب معقول حسب الظاهر سوى المحافظة على التقاليد القديمة التي اشتهر الانكليز بها . وبيان ذلك انها تدفع معاشًا سنويًّا قدرهُ اربعة آلاف جنيه الى دوق ولنتون الرابع لان جدّ ابيهِ دوق ولنتون الاول المشهور خدم بلادهُ خدمة جليلة بانتصارهِ على بونابرت في معركة واترلو وباعمال حربية اخرى . وقد اعطت دوق ولنتون الاول ٤٠٠ الف جنيه في حياتهِ وبلغ مجموع ما اعطت ورثاءهُ منذ مماتهِ الى الآن ١٦٠ الف جنيه

وتعطي لورد نلسون خمسة آلاف جنيه كل سنة لانهُ ابن اخي الاميرال نلسون الكبير بطل ترفلجار الشهير حتى بلغ ما دفعتهُ الى نلسون وورثاء لقبهِ ما يزيد على ٧٠٠ الف جنيه وسيظلون ينقدون ذلك المقدار من الذهب ما داموا يتوارثون ذلك اللقب

وكانت الحكومة الانكليزية تدفع مبلغ اربعة آلاف جنيه الى وارثي لقب دوق ملبرو ولكن دوق ملبرو الذي توفي اخيرًا اتفق معها على استبدال معاشهِ منذ خمس عشرة سنة فدفعت اليهِ مبلغ ١٠٧ آلاف جنيه . فبلغ مجموع ما دفعتهُ الى دوق ملبرو الاول وورثائهِ منذ مئة سنة الى الآن نحو نصف مليون جنيه

واعظم معاش تدفعهُ الخزينة الانكليزيَّة معاش دوق رتشمند وهو ١٩ الف جنيه وكأنهُ ربا مال قدرهُ ٣٨٠٠٠٠ جنيه على معدل ٥ في المئة واصل هذا المعاش ان الملك كارلس الثاني منح عائلة رتشمند ان تأخذ شلنًا على كل طن من الفحم الحجري يصدر من نهر التين ثم ابدل الملك جورج الثالث ذلك بمال سنوي مقدارهُ ١٩ الف جنيه كما تقدم وهي بمثابة ربا ٣٨٠ الف جنيه

وفي عهد كارلس الثاني مُنح رجل من اسلاف دوق جرافتن الحق في اختيار ما شاء من الخمور التي تجلب الى انكلترا من الخارج ودفع ثمنها على ما يعينهُ هو فكانت تلك الاثمان اسمية. وتوارث اعقابهُ ذلك الحق الى اوائل القرن الماضي فتنازل رئيس عائلة جرافتن حينئذٍ عن ذلك الحق على شرط ان تمنحهُ الخزينة هو وورثاء لقبهِ معاشًا سنويًّا قدرهُ ٦٨٧٠ جنيهًا.

وما زالوا يتناولون هذا المعاش منذ ذلك الحين اي مدة ٩٥ سنة فبلغت جملة ما تناولوهُ نيفًا و٦٥٠٠٠٠ جنيه

وكان دوق نورفوك وهو من اغنى اغنياء الانكليز ينقد معاشًا قدرهُ ٤٠ جنيهًا في السنة ولكنهُ استبدلهُ منذ سنتين او ثلاث سنوات بمال قدرهُ ٨٠٠ جنيه . واصل ذلك المعاش ان احد ملوك الانكليز منحهُ لاحد اسلاف الدوق المذكور وهو اول صري منذ اربع مئة سنة لاشتهارهِ في معركة من المعارك . وقد بلغ ما دخل جيب الدوق واسلافهِ من هذا القبيل ١٥٥٠٠ جنيه ما عدا الثماني مئة جنيه المذكورة آنفًا

وينقد لورد ردني معاشًا يبلغ الفي جنيه في السنة وذلك لانهُ ورث لقبهُ عن بحّار باسل اشتهر منذ ١٢٠ سنة او اكثر بتدمير الاسطول الاسباني الذي كان يهاجم حصن جبل طارق . فبلغ مجموع ما نالتهُ عائلة ردني بسبب بسالة ذلك السلف نحو ربع مليون جنيه وما نالهُ لورد ردني الحالي وحدهُ ٧٨٠٠٠ جنيه

ويأخذ فيكونت هاردنج ثلاثة آلاف جنيه كلّ سنة لان جدّهُ اشتهر في حروب الهند فنال ثلاثة توارثوا هذا اللقب ١٧٠ الف جنيه

ويأخذ لورد نبير الفي جنيه كلّ سنة منذ سنة ١٨٩٠ لان لورد نبير الاول دوخ بلاد الحبشة على ما هو معلوم لاطلاق الاسرى منها

وليس من الانصاف ان القائد العظيم يستخدم كل قوى عقلهِ ويلقي بنفسهِ في مواقع الخطر كما فعل كتشنر وغيرهُ من القوّاد العظام ثم تستكثر عليهِ مئة الف جنيه وموسى او ادورد التاجر او المضارب باسهم الترنسفال يكتسب من بسالة كتشنر ومهارتهِ ملايين الجنيهات ولا احد يستكثر عليهِ ذلك

اما المعاشات التي تدفعها الحكومة المصرية سنويًّا فتبلغ الآن نحو ٤٣٠٠٠٠ جنيه مصري ولو لم يستبدل بعضها بالاموال والاطيان لبلغت ستمئة الف جنيه او اكثر . ثم ان الاطيان التي اعطتها لمستحقي المعاشات بدل معاشاتهم لو بقيت في حوزتها الى الآن لزاد ثمنها اضعافًا مضاعفة . وقد بلغت الاموال التي أُعطيت معاشات في العشرين سنة الماضية ٨٦٥٥٧٤٥ جنيهًا والاموال التي دفعت في استبدال المعاشات ٦١٢ ٣٦٣٣ جنيهًا فان كانت الحكومة الانكليزية قد دفعت الوف الجنيهات لاناس اعلوا منار مجدها وملّكوها زمام التجارة وافاضوا عليها ينابيع الثروة فالحكومة المصرية دفعت مئات الالوف لاناس لم ينفعوها نفعًا يذكر او اضرّوا بها ضررًا لا يقدَّر

ولعلَّ اكثر البلدان دفعاً للمعاشات الولايات المتحدة الاميركية فأن حكومتها تدفع في السنة ٢٨ مليوناً من الجنيهات معاشات وذلك اكثر ممَّا تدفعهُ على اي فرع آخر من فروع ادارتها كما يظهر من الجدول الآتي الذي قدرت فيهِ نفقاتها لسنة ١٩٠٣ الحالية

المعاشات	١٣٨	مليون ريال
البريد	١٣٢	" "
الحربيَّة	١٣٠	" "
الملكيَّة	١٢٦	" "
البحرية	٨٥	" "
ربا الدين	٢٧	" "
ادارة هنود اميركا	١٣	" "
والجملة	٦٥١	

وعلى كثرة المعاشات التي تدفعها لا تشكو ضيماً بل ان ثروتها آخذة في الازدياد على اسلوب لم يرَ الناس لهُ مثيلاً

دروس الازهر

من رسالة لحضرة الفاضل السيد مصطفى بك بيرم قدمت الى مؤتمر اللغات الشرقية الذي عقد بمدينة همبرج في اوائل سبتمبر الماضي

ان الدين الاسلامي الحنيف لا يمنع من تعلم اي علم من العلوم المعروفة الآن بين الازهريين بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعيات والعقليات وغيرها من العلوم التي تقوي ملكة الفكر . ومن كان في شك ممَّا نقول فما عليهِ الاَّ ان يلقي نظرة على تاريخ القرون الاولى من الاسلام ومحافظتها على الدين مشهورة فيرى ان جيدها كان مزداناً بكثير من فحول العلماء الذين نبغوا في هاتهِ العلوم النافعة والَّفوا فيها المؤلفات العظيمة وبثوا فيها التعاليم المفيدة ونشروها في اطراف الارض قاطبة

وكان المسلمون كافة من خليفتهم الى اميرهم ووزيرهم يتضافرون للأخذ بيد هاتهِ العلوم العقلية ومن يشتغل بها لما رأوا من فائدتها معاشاً ومعاداً . ذكر صاحب كشف الظنون : " ان

الخليفة الثاني من بني العباس ابا جعفر المنصور مع براعتهِ في الفقه كان مقدماً في علم الفلسفة محبًّا لأَهلها وبالاخص علم النجوم "

وعلمنا التاريخ : " ان الخليفة المأمون العباسي كان يضطهد اعداء الفلسفة " وذكر لنا التاريخ : " ان الامير صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى قرية المعرَّة وقد عصى اهلها عليهِ فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما احس اهلها بالغلبة سعوا الى ابي العلاء المعري المشهور بتطرفهِ في الفلسفة وسأَلوهُ ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعهُ قائد يقودهُ (لانهُ كان كفيف البصر) فاكرمهُ الامير واحترمهُ ثم قال لهُ : " أَلك حاجة " . قال المعري : " الامير اطال الله بقاءهُ كالسيف القاطع لان متنهُ وخشن حدهُ وكالنهار الماتع اشتد هجيرهُ وبرد اصيلهُ خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين " . فقال الامير : " قد وهبتها لك وترحل عنها " . فانظر كيف وهب هذا الامير بلداً عصى اهلهُ لفيلسوف

وهذا عمر بن عيسى رئيس المعتزلة وهذا عمران بن حيطان الخارجيُّ كانا من الرواة الذين اعتمدهم الامام البخاري صاحب الصحيح . فانظر كيف كان لامام من اعظم ائمة السنَّة ان يصل سندهُ في الحديث بمتطرفين في الرأي فيلسوفين احدهما رئيس من رؤَساء المعتزلة والآخر خارجيٌّ

وذكر الامام ابو قاسم الحسين الاصفهاني في كتابهِ المسمى بالذريعة الى مكارم الشريعة : " حق الانسان ان لا يترك شيئاً من العلوم امكنهُ النظر فيهِ واتسع العمر لهُ الاَّ ويخبر بشمهِ عرفهُ وبذوقهِ طيبهُ ثم ان ساعدهُ القدر على التغذي بهِ والتزود منهُ فبها ونعمت والاَّ لم يُبصر لجهلهِ بمحلهِ ولغباوتهِ عن منفعتهِ الاَّ معادياً لهُ بطبعهِ فمن جهل شيئاً عاداهُ والناس اعداء ما جهلوا بل قال تعالى (واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم) . وحكي عن بعض الفضلاء انهُ رُئي بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل لهُ في ذلك فقال وجدتهُ علماً نافعاً فكرهت ان اكون لجهلي بهِ معادياً لهُ ولا ينبغي لعاقل ان يستهين بشيءٍ من العلوم . فانظر كيف كان المتقدمون ينظرون الى كل العلوم ويعتنون بها لينوروا بها افكارهم ويوسعوا بها معارفهم للانتفاع بما تجرهُ من الخير

فبقيت تلك العلوم النافعة المعروفة الآن بيننا بالعلوم الحديثة منتشرة زاهرة بين المسلمين لا يرمون من قرأَها بزيغ العقيدة ولا من استمعها بالضلالة والكفر . ومكث الحال على ذلك الى ان صارت السلطة الحقيقيَّة في الدولة الاسلامية للاعاجم من التتار والمغول . ولم يكن لاغلب اولئك الاعاجم ذلك العقل الذي راضهُ الاسلام الناهي عن الاستبداد والقلب الذي هذبهُ دين ذلك الصديق الذي جعل اول خطابهِ للناس بعد المبايعة : " ان رأَيتموني على حق

فأعينوني وان رأيتموني على باطل فردوني " . بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم كأنهم لبسوا الاسلام على ابدانهم ولم ينفذ منهُ شيء الى وجدانهم [1] فانقلب الحكم في ايامهم من الشورى الى الاستبداد ولكنهم وجدوا امامهم عقبة كبرى تمنعهم من مطلق التصرف في عباد الله . تلك العقبة هي العلوم التي تعرف المرء قيمتهُ وحقوقهُ وتدفعهُ لطلبها اذا رآها مهضومة وتعلمهُ ان لا يقتنع بشيء يقال لهُ ولو في امور الدين ما لم يكن مقترنًا بالدليل والبرهان . فلم يرَ الامراء طريقًا اسهل وصولاً لنيل مرادهم من اطفاء نور العلم الاّ محو العلوم خصوصًا العقلية منها وتقليص ظلها . فمالوا على العلم ميلة كانت هي القاضية . فاتسع المجال حينئذٍ لقصاصي السوء ووعاظ الشر ان يحشوا ما شاؤا في كتب الدين بما هو براء منهُ وابعدوا الناس بموضوعاتهم الكاذبة عن طلب الثمرة الحقيقية التي تطلب من تعلم العلوم . ومن ذلك العهد اخذت الهمم في القعود والعزائم في الخمول والقرائح في الجمود وهجرت العلوم التي اخترعها المسلمون وقد بلغ عددها وحدها مائة وتسعين علمًا [2] وصار كل علم لا يفهم بسبب ما طرأ على القرائح من الجمود يقال عنهُ في بادىء الامر ان قراءتهُ غير مستحبة او مكروهة ثم تترقى تلك الكراهة شيئًا فشيئًا الى التحريم. وانقلبت اوضاع التعليم حينئذٍ من واسع الاطلاق والبحث عن علل الاشياء وحقائقها الى ضيق التقليد والاكتفاء بالاخذ بظواهر العبارات التي قالها المتقدمون بلا تنقيب عن ادلتهم التفصيليَّة ولو لمعرفة استخراج النتائج من مقدماتها ولا بحث عن اولئك المتقدمين هل هم من ائمتنا الراسخين في العلم الذين يطمئن القلب للأخذ باقوالهم ام هم من اولئك المبتدعين المتلبسين بلباس السنة الذين تعمدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بوضعهم الاحاديث . ولكن رغمًا عن هذا التأخر العلمي العام فان سماء عرفان الامة الاسلامية ما كانت تخلو من نجوم ثواقب تشرق بأنوار علمية على حالك الجهل السائد وتقاوم بما في طاقتها وتجاهد مجاهدة الابطال لاعادة حالة التدريس الى ما كانت عليهِ في ايام عزنا ومجدنا العلمي

هاتهِ هي أدوار التعليم في العالم الاسلامي أجمع من بداية ظهورهِ لليوم وهي هي بنفسها التي مرت على الازهر في ادوار مختلفة

ذكر المقريزي " ان اول ما دُرس في الازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة فانهُ في شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس عليُّ بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر

(١) انظر كتابات الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في هذا الموضوع

(٢) راجع كتاب كشف الظنون

وأملى مختصر ابيهِ في الفقه عن اهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاقتصار وكان جمعاً عظيماً واثبت اسماء الحاضرين "

واعتنى الخلفاء الفاطميون كثيرًا بنشر مذهبهم باغداق نعمهم على المشتغلين بهِ من العلماء والطلبة. ذكر المقريزي : "ان الوزير يعقوب بن كلس لما تولى الوزارة في ايام الخليفة العزيز بالله رتب في دارهِ العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء المتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق والف كتاباً في الفقه يتضمن ما سمعهُ من المعز لدين الله ومن ابنهِ العزيز بالله وهو مبوَّب على ابواب الفقه يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ونصب لهُ مجلساً في يوم الثلاثاء يجتمع فيهِ الفقهاء وجماعة من المتكلمين واهل الجدل واجرى الارزاق وكان يجلس ايضاً في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاتهِ على الناس بنفسهِ واجرى الخليفة العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونهُ ارزاقاً تكفيهم في كل شهر وامر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيهِ بعد الصلاة الى ان تصلى صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير ايضاً صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلاً وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال " . فساد المذهب الفاطمي على مذهبي اهل السنة اللذين كانا منتشرين في مصر قبل الفتح الفاطمي (وهما المذهب الشافعي والمالكي) وصار هو المذهب المعمول بهِ في القضاء والفتيا وانكر ما خالفهُ ولم يبقَ ظاهرًا مذهب سواهُ . ذكر المقريزي : " في سنة ٣٨١ هـ ضُرب رجل بمصر وطيف بهِ في المدينة من اجل انهُ وجد عندهُ كتاب الموطإ لمالك بن انس رحمهُ الله "

وبقي الازهر منبتاً للفقه الفاطمي الى ان بني الجامع الحاكمي في سنة ٣٨٠ هـ فتحلق فيهِ حينئذٍ الفقهاء الذين يتحلقون في الجامع الازهر

وبقي مذهب الشيعة منتشرًا في مصر قضاءً وفي الازهر دراسة الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ فعادت لمصر حينئذٍ السنة المحمدية واول مذهب سني درس بالازهر المذهب الشافعي وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعي ولم يبقَ لهُ بالازهر من اثر سوى الجراية من الخبز تعطى لمن هو متمذهب بهِ وهذه الجراية تصرف الى يومنا هذا وقلل عددها شيئاً فشيئاً حتى صارت الآن تسعة ارغفة في اليوم تعطى لطالب من الذين يقرأون المذهب الفاطمي الآن بمصر بمدرسة صغيرة خاصة بهم

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية ان تلك العلوم لا بد وان تكون قد درست في الازهر في زمانهم اذ يبعد على من كانت مكتبتهم محتوية على مائة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب وعلى كرتين سماويتين احداهما من الفضة

يقال ان صانعها بطليموس نفسهُ وانهُ انفق عليها ثلاثة آلاف دينار وعلى خرط جغرافية ثمينة كالتي ذكرها المقريزي بقولهِ : " دخل هذه المكتبة (مكتبة الفاطميين) احد السياح فرأى فيها مقطعاً من الحرير الازرق غريب الصنعة فيهِ صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة اسماءُ طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير" ان لا يقرأوا تلك العلوم الفلكية والرياضية والجغرافية والطبية بأزهرهم

ولما انقرضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على ملك مصر شرع في تغيير الدولة الفاطمية وازالتها وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية واخرى للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وابطل الخطبة والتدريس من الجامع الازهر رغبة منهُ في ازالة كل اثر للفاطميين

وبقيت الدراسة معطلة في الازهر الى زمن الملك السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة فلما تولى ملك مصر في سنة ٨٦٥ هـ أعاد الى الازهر حياتهُ العلمية والدينية بسعي احد امراء دولتهِ وهو الامير عز الدين ايدمر الحلي وذلك ان الامير المذكور جاور الازهر بالسكنى فراعى حرمة الجوار وانتزع لهُ اشياء كانت مغصوبة واطلق لهُ من السلطان جملةً من المال وعمَّر الواهي من أركانهِ وجدرانهِ واصلح سقوفهُ وبلطهُ وفرشهُ حتى عاد جديدًا بعد ما كان باليًا

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص وتسابقت همم العلماء في اتقان آلاتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة فنبغ حينئذ بمصر ائمة اعلام يفتخر بهم اليوم العالم الاسلامي أجمع كالامام عز الدين بن عبد السلام والامام السبكي وابنائهِ . والشهاب القرافي . وابن هشام . والسراج البلقيني . وجلال الدين السيوطي وغيرهِ من المصريين . وابرهيم بن عيسى الاندلسي . وعز الدين عمر بن عبد الله عمر القدسي . والامام الاصبهاني . والامام الزيلعي . وابن الحاج محمد العبدري الفاسي وابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي . وتاج الدين التبريزي . والحافظ العراقي . والحافظ بن حجر العسقلاني . وعلاء الدين الحموي . والرضى الشاطبي . ومحمد بن محمد البغدادي . وشيخ الاسلام زكريا الانصاري . وقاسم ابن محمد التونسي . وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصي الارض لمصر لتعلم العلم في ازهرها

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضاً ولكن المشتغلين بها نزر من الطلبة

وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئًا فشيئًا الى الازهر كما تسرب الى غيرهِ من الجوامع الاسلامية الاخرى حتى تركت هذه العلوم من الازهر شيئًا فشيئًا قال الجبرتي: " كان

الوزير احمد باشا كور المتولي على مصر في سنة ١٢٦١ هـ من أرباب الفضائل ولهُ رغبة في العلوم الرياضية فلما استقرَّ بقلعة مصر قابل صدور العلماء منهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الازهر فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا : "لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت وكان للشبراوي وظيفة الخطابة بجامع السراية فكان يطلع يوم الجمعة ويدخل عند الباشا فقال لهُ الباشا : المسموع عندنا بالديار التركية ان مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق الى المجيء اليها فلما جئتها وجدتها كما قيل تسمع بالمعيدي خير من ان تراهُ . فقال لهُ الشيخ : يا مولاي هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف فقال واين هي وانتم اعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ونبذتم المقاصد فقال الشيخ : نحن لسنا اعظم علمائها وانما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم واغلب اهل الازهر لا يشتغلون بالرياضيات الاَّ بقدر الحاجة الموصلة لعلم المواريث كالحساب والغبار"

فبقيت تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية الفلسفية مهجورة من الازهر ينظر اليها بنظر السخط ويفر من سماعها فرار الصحيح من الاجرب حتى قال المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية في الحكومة المصرية في خططهِ ما نصهُ "وينهى اهل الازهر من يقرأ كتب الفلسفة ويشنون عليهِ الغارة وربما نسبوهُ للكفر"

ولكن بفضل الله وكرمهِ لم يطل الامر على ذلك كثيرًا حتى قيض الله لنا من امرائنا الكرام ووزرائنا الفخام وعلمائنا الاعلام من تنبه لاسباب تأخرنا العلمي وأخذوا في السعي لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للملكة الذهنية وخشية المفاجأة باعادة تدريسها للجامع بعد ما رسخ في أذهان الكثيرين ان بها ما يعدو على الدين رأى ولاة الامور ان يمهدوا السبيل لادخالها في الجامع الازهر بأخذ آراء افاضل العلماء الازهريين فكلفوا والدي المرحوم السيد محمد بيرم(٣) بهاتهِ المهمة العلمية . وبعد اخذ وعطاء بينهُ وبين المرحوم العلامة الشيخ محمد الانبابي شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الازهر والعلامة الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد استقرَّ الرأي ان يكتب لها استفتاءٌ صورتهُ: "بعد الديباجة . ما قولكم رضي الله عنكم هل يجوز تعلُّم المسلمين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنهُ بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لاسيما ما ينبني عليهِ منها زيادة القوَّة في الامة بمجاري بهِ الامم المعاصرين لها في كل ما يشملهُ الامر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الامة بمعنى ان يكون واجبًا وجوبًا كفائيًا على نحو التفصيل

(٣) من كبار مدرسي جامع الزيتونة ومدير عموم الاوقاف التونسية وقاضي محكمة مصر

الذي ذكرهُ فيها الامام حجة الاسلام الغزالي في احياء العلوم ونقلهُ علماء الحنفية ايضاً واقروهُ. واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الازهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها افيدوا الجواب لا زلتم مقصداً لاولي الالباب " فاجابهُ العلامة الشيخ محمد الانبابي بالفتوى الآتية : " بعد الديباجة . يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافية لانهُ لا تعرُّض فيها لشيء من الامور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليهِ مصلحة دينية او دنيوية وجوباً كفائياً كما يجب علم الطب لذلك كما افادهُ الغزاليُّ في مواضع من الاحياء وان ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل بهِ زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمهُ فضيلة . ولا يدخل في علم الهيئة الباحث عن اشكال الافلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم احكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكيَّة على الحوادث السفلية فانهُ حرام كما قال الغزالي وعلل ذلك بما محصلهُ انهُ يخشى من ممارستهِ نسبة التأثير للكواكب والتعرض للاخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطئ لخفاء بعض الشروط او الاسباب عليهِ لدقتها

واما الطبيعيَّات وهي الباحثة عن صفات الاجسام وخواصها وكيفيَّة استحالتها وتغييرها كما في الاحياء في الباب الثاني من كتاب العلم فان كان ذلك البحث على طريق اهل الشرع فلا منع منها كما افادهُ العلاَّمة شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذٍ اهمية بحسب اهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن في علم الطب وكمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح العباد . وان كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لانهُ يؤدي للوقوع في العقائد المخالفة للشرع كما افادهُ العلامة المذكور . نعم يظهر تجويزهُ لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأَمن عليهِ مما ذكر قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة على ما هو المعتمد فيهِ من اقوال ثلاثة : ثانيها الجواز مطلقاً ونسبهُ الملوي في شرح السلم للجمهور : ثالثها المنع مطلقاً ونسبهُ صاحب السلم لابن الصلاح والنووي . قال الملوي ووافقهما على ذلك كثير من العلماء ولما كان الامام النووي ممن يقول في المنطق بالمنع مطلقاً مشى على نظير ذلك في الطبيعة . فعدَّ في كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون ان يفصل . لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فنعتمدهُ هنا اذ لا فرق بذلك فان مظنة الضرر والنفع موجودة في كل منهما والظاهر ان موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة اذ غيرهُ لا محظور فيهِ اتفاقاً كالمنطق الخالص كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة

واما علم تركيب الاجزاء المعبر عنهُ بالكيمياء فان كان المراد بهِ مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لما يخشى منهُ على العقيدة الاسلامية فلا بأس بهِ بل لهُ اهمية حسب ثمرتهِ والاَّ جرت فيهِ الاقوال الثلاثة المتقدمة . واما العلم المعروف بعلم جابر ويسمى ايضاً علم الصنعة وعلم الكاف وهو الذي ينصرف اليهِ علم الكمياء عند غالب الناس فقد افاد العلامة ابن حجر في شرحهِ على المنهاج انهُ ان قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقتهِ وكان العلم الموصل لذلك يقينيًّا جاز تعلمهُ والعمل بهِ والاَّ حرم ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون بهِ فيما رأينا الاَّ على ضياع الاموال وتشتت البال وتغيير الاحوال

فعلم ان العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات وكذا الطبيعيَّات وعلم تركيب الاجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج اليهِ في الحجاج عن العقائد الدينيَّة والله سبحانهُ وتعالى اعلم"

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى الرسميَّة الآتية نمرة ۱۷۱ "ما افادهُ حضرة الاستاذ شيخ الاسلام موافق لمذهبنا وما استظهرهُ من ان الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة ايضاً وجيه والله سبحانهُ وتعالى اعلم"

ولم يتقرَّر رسميًّا ادخال بعض هاتهِ العلوم الاَّ في عصر سمو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الحالي أيد الله بهِ الاسلام فقد أصدر امرهُ العالي المؤرخ في ۲۰ محرم سنة ۱۳۱٤ هـ بتدريس بعض تلك العلوم في الازهر

فاصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الازهر الآن شاملةً للعلوم الدينيَّة وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الازهر كتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء قولاً وكتابةً واللغة متناً وادباً ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان

ولتنشيط الطلبة وحثهم على الاجتهاد في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً بالجامع الازهر اوجد اولو الحل والعقد بسعي افاضل المعتنين بهذا الجامع ونخص منهم بالذكر العلامة الغيور الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً مبلغاً ماليًّا قدرهُ ستمائة جنيه سنويًّا يعطى مكافأة للنابغين في هاتهِ العلوم المدخلة حديثاً فعظمت بذلك عنايتهم ونمت رغبتهم وابدوا من البراعة في تلك العلوم على قلة الزمن وحداثة العهد ما انبأ عن فرط ذكائهم وعظيم جدهم ولما اتضحت لهم فائدة تلك العلوم اقبلوا عليها اقبال العطاش على صافي الماء لا حبًّا بالمكافأة المالية بل رغبة في التحلي بالفوائد العلمية

متحف الاسكندرية ومكتبتها

اطلعنا في " الادجبشن غازت " على مقالة شائقة عن متحف الاسكندرية ومكتبتها الاولى من قلم عضو من اعضاء جمعية الآثار والعاديات في الاسكندرية وهي تشهد لغزارة علم الكاتب وسعة اطلاعهِ ودقة بحثهِ فرأينا ان نعربها وننشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفوائد الجزيلة قال :—

يعلم ادباء الاسكندرية ان متحفها ومكتبتها الاولى التي أسسها بطليموس سوتر (٣٢٢ — ٢٨٤ ق . م) بايعاز ارسطو ونظمها ابنهُ فلادلفوس (٢٨٤ — ٢٤٦ ق . م) كانا سبب فخرها ومجدها ايام كانت مركز العلوم والآداب . ولم يكن متحفها مكاناً لمجرد جمع الآثار القديمة كما هو عليهِ الآن بل كان اشبه بمدرسة كلية رئيسها كاهن ينتخبهُ الملك واوقافها كثيرة تدفع من ريعها رواتب اساتذتها . وكان حول المتحف اراضٍ فسيحة فيها حديقة عمومية والمقاعد مبثوثة في جوانبها والتلامذة يدرسون على معلميهم الشعر والرياضيات والفلك والطب

قال شارب في كتابهِ تاريخ مصر " وكان يؤمُّ هذا المتحف عدد كبير من الفلاسفة والمصورين والنقاشين والشعراء والمؤرخين وفحول الرياضيين حتى اصبح من ازهى معاهد العلم وازهرها في ذلك الزمن . ومن حسن حظ الاسكندرية حينئذٍ ان ملوكها كانوا يحبون العلم ويجلُّون قدر العلماء " . وكان في المكتبة ٤٠٠٠٠٠ سفرٍ ودرجٍ . وقد ترجمت التوراة الى اليونانية وكتب تاريخ مصر باليونانية كتبهُ الكاهن مانثو بامر بطليموس فلادلفوس ليوضعا في تلك المكتبة

وكان العالم الخطيب ديمتريوس فاليريوس الاثينوي مديراً اول للمكتبة ثم خلفهُ الشاعر زنودوتس الافسسي وهو اول من جمع قصائد هوميروس ونشرها . وكان اقليدس ابو الهندسة رئيس القسم الرياضي في عهد بطليموس الاول . ولما سألهُ بطليموس سوتر عن طريقة سهلة لتعلم الهندسة اجابهُ جوابهُ المشهور وهو قولهُ " ليس لها سكة سلطانية " ولعلهُ اشار بذلك الى عادة كانت جارية في بلاد فارس حينئذٍ وهي انهم كانوا ينشئون لملوكهم سككاً خصوصيَّة محاذية للسكك العمومية . وكان كليماكس القيرواني استاذاً لشعر الرثاء والتأبين واراسستراتوس القوصي وهروفيتوس الخلكيدوني اول من علَّم التشريح في عهد بطليموس سوتر بل اول من استنبط صناعة التشريح العملي . وكان معلّم الفلك في عهد بطليموس فلادلفوس العالم

ارسترخس الساموسي وهو اول من قال بدوران الارض حول الشمس . وكان مدير مكتبة المتحف في عهد بطليموس يورجيتس الفلكيُّ اراتوستنيس الذي وضع خريطة السماء وهو اول من علَّم ان الارض كرة وبيَّن كيف يقاس حجمها ومحيطها . وكان ارخميدس اشهر قدماء الرياضيين قد ادخل لولبهُ (الطنبور) الى مصر لري ارضها ولا يزال فيها منذ ذلك العهد الى الآن (اكثر من ألفي سنة)

وخلف اراتوستنيس على ادارة المكتبة المهندس ابوثينيوس وهو الذي شرح خواص الاشكال الاهليلجية والشلجمية والهذلولية . واكتشف هبارخوس ابو الفلك الرياضي والجغرافية في عهد بطليموس السادس مبادرة الاعتدالين واخترع اسطرلاباً قاس بهِ طول السنة فاذا هو ٣٦٥ يوماً وربع يوم

هؤُلاء بعض العلماء الذين عاشوا في عهد البطالسة الستة الأُول وكان اولئك البطالسة يقصدون المكتبة لكي يسمعوا خطب اولئك العلماء الاعلام ويستفيدوا منهم ويكونوا قدوة لشعبهم في طلب الفائدة

اما ما جرى بالاسفار والادراج التي كانت في المكتبة وعددها ٤٠٠ أَلف او ٧٠٠ أَلف فقد اختلفت الاقوال فيهِ واول من كتب عن ذلك الفيلسوف سنكا معلّم نيرون في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي اي بعد ما تلفت المكتبة بنحو مئة سنة فانهُ قال احترقت مكتبة الاسكندرية التي تحوي اربع مئة الف مجلَّد . وقال فلوطرخس في كتابهِ عن يوليوس قيصر بعد ذلك بسنوات قليلة ان قيصر كان يقاتل الجنود المصرية التي كانت بقيادة اخلاس ليحتلَّ مكاناً في حيّ القصر الملكي بالاسكندرية لان كليوباطرة فتنتهُ بمحاسنها بعد ما حملها ابولودورس اليهِ ملفوفة في بساط فاضطرَّ ان يضرم النار في سفنهِ التي في المرفإِ منعاً لوقوعها في يد الاعداء فاندلع لسان اللهب وامتدَّ الى القصر فأَحرق مكتبة الاسكندرية العظيمة

هذا ولم يذكر المؤَرخ الذي وصف احتراق السفن في حرب قيصر الاهلية شيئاً عن احتراق المكتبة ولا اشار سترابو الذي وصف الاسكندرية بعد ذلك باربع وعشرين سنة الى وجودها الاَّ اذا كان قد دمجها في المتحف الذي قال انهُ لم يمسَّهُ ضرٌّ . واغرب من ذلك ان شيشرون المشهور لم يقل كلمة عن تلك الخسارة العظيمة التي خسرها العلم والادب . على ان هذه كلها ادلة سلبية لا يعوَّل عليها في جنب الادلة الايجابيَّة التي عندنا غير قول فلوطرخس المذكور آنفاً منها ما قالهُ ديون كاسيوس (١٥٥ — ٢٢٩ ب . م) تأْييداً لقول فلوطرخس وهو " ان لسان اللهب امتدَّ كثيراً فأَحرق المرفأَ واهراء الحبوب ومخازن الكتب وغيرها ويقال

ان الكتب كانت كثيرة وثمينة ". ونشأ في القرن الرابع من التاريخ المسيحي جنديٌّ ومؤلف اسمهُ مارسلنوس فوصف مكتبة الاسكندرية بقولهِ " انها مكتبة ثمينة اتفق الكتّاب الاقدمون على ان ما فيها من الاسفار والادراج التي جمعها البطالسة بعد طول الجهد والعناء وعددها ٧٠٠ الف مجلد ذهبت طعم النار في حرب الاسكندرية حين دمر قيصر المدينة ". وكتب بولس اوروسيوس في تاريخهِ الذي الفهُ نحو سنة ٤١٦ مسيحية يقول "صدرت الاوامر في غضون القتال باضرام النيران في الاسطول الملكي الذي كان راسياً قرب الشاطىء فاتصلت النار بقسم من المدينة وحرقت ٤٠٠ الف كتاب كانت مخزونة في بناء قريب من مكان النار. فتلف بها ذلك الاثر العجيب المتضمن تاريخ نهضة اسلافنا الادبية الذين ابتدعوا تلك المجموعة العظيمة الجليلة وكانت دليلاً على سمو عقولهم "

فيمكن ان يستنتج من الروايات المتقدمة ان حرق المكتبة كان امرًا مسلَّماً بهِ عموماً من ايام فلوطرخس وليس هناك سبب كافٍ يحملنا على الشكِ فيهِ الآن

وهنا سؤَال آخر وهو هل احترقت ابنية المكتبة والمتحف ايضاً مثل محتوياتهما والاقوال متضاربة في ذلك . فقيصر يقول في اول تاريخ " حرب الاسكندرية " انهم لم يكونوا يستعملون الخشب في ابنية الاسكندرية وكانوا يصنعون سقوفها من الحجر بحيث كانت في مأمن من النار . ولكنهُ يقول فيما بعد انهُ لما احتاجت سفنهُ الى مجاذيف نزعت سقوف بعض الابنية العمومية وحوّل خشبها الى مجاذيف . والمرجح ان ابنية المتحف لم تتلف كلها بدليل ان سترابو يصفها ولا يعقل انها ترمَّم في مدة الاربع وعشرين سنة التي مرَّت منذ احتراقها ولا يشير سترابو اقلَّ اشارة الى هذا الامر. وان كانت المكتبة قسماً من المتحف فربما لم تحترق ايضاً

وقد قال الدكتور بطلر في كتابهِ الحديث " فتح مصر والاسكندرية " انهُ يكاد يكون من المؤكد ان بعض ابنية المتحف بقيت مستعملة الى ايام كركلاَّ القيصر الروماني الذي سفك الدماء في المدينة كالانهار (٢١٦ ب . م) وانَّ القيصر اورليانوس دمَّر ابنية المتحف سنة ٢٧٣ ب . م واعمل سيف الدمار في حي بروشيوم قصاصاً لاهالي الاسكندرية على عصيانهم وقال غيرهُ غير ذلك

هذا من حيث المتحف وما اصابهُ واما من حيث موقعهُ وموقع المكتبة فقد قال الدكتور بطلر ايضاً في كتابهِ المشار اليهِ ما يأتي " اما عن ترتيب ابنية المتحف وموقع المكتبة فلا يعلم شيءٌ اكيد وكذلك لا يعلم اين كان موقع المتحف " ولكن احد مواطنينا كتب حديثاً في هذا الموضوع وجزم " بان المتحف كان قائماً في الشارع الذي هو فيهِ الآن اي شارع النبي دانيال

بازاء جامع سعيد باشا وجوار القنصلية الفرنسوية . وكانت المكتبة جنوبهُ . واول من عين موقعهُ محمود الفلكي "

فلننظر الآن في هذا القول لنرى ان كان صحيحاً فنقول

ورد في رسالة لمحمود الفلكي عنوانها " الاسكندرية القديمة " وهي التي نقل الدكتور بوتي مدير المتحف عنها في كتابهِ المسمَّى " رسم مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة " ما يأتي : —

" وجد حجر كالخزانة في حديقة القنصلية البروسيانية في المربع الواقع بين شارع النبي دانيال والشارع الذي يمرُّ امام محطة سكة الحديد المؤدية الى القاهرة وشارع رشيد وعليها كتابة مآلها ان فيها مؤلفات كاتب كان قبل عهد الاسكندر . فثبت بذلك ان المكتبة العظيمة كانت في تلك البقعة . وقد اكَّد لي العالم الدكتور بروغش قنصل بروسيا في القاهرة سابقاً صحة ذلك وقولهُ حجة عندي وعند جميع علماء الآثار والعاديات في اوربا "

ومما يقولهُ الدكتور بوتي انهُ فتش الاوراق التي سلمتها اليهِ ابنة المستر هرس فوجد فيها المذكرة الآتية " حجر من الغرانيت وجد في اراضي المسيو دي لورين بالاسكندرية سنة ١٨٤٧ " . وقد وصف الدكتور بوتي الحجر فقال انهُ مستطيل الشكل طولهُ ١٧ عقدة وربع عقدة وعرضهُ ١٥ عقدة ونصف عقدة وفيهِ حفرة مماثلة لهُ في شكلهِ طولها ١٠ عقد وعرضها ٨ عقد وعمقها ٣ عقد. وقد ظن انها كانت محتوية على ادراج من البرديّ (بابيرس) وعلى احد جوانبهِ الخارجية كتابة يونانية يقال فيها " مؤلفات ديوسقوريدس "

اما المربع الذي تقدم القول عنهُ ان المتحف والمكتبة كانا فيهِ فقد كان مرتفعاً من ١٥ قدماً الى ٣٠ قدماً عن مساواة الشوارع المجاورة لهُ عند اكتشاف الخزانة الحجرية المذكورة آنفاً . وبقي نحو اربعين سنة على تلك الحال ثم مهِّد عند بناء بورصة طوسن وذلك قبيل انشاء المتحف الحديث وجمعية الآثار القديمة في الاسكندرية . وكان موقع منزل لورين الذي كان قنصل بروسيا ساكناً فيهِ سنة ١٨٤٧ عند الطرف الجنوبي الشرقي من المرتفع المشار اليهِ ولعلهُ كان ملك الكافليير دي لورين قنصل النمسا حينئذٍ . اما الخزانة فلا يعلم ماذا جرى بها على عظم اهميتها لمجموعة الآثار اليونانية في متحفنا الجديد

امَّا كتَّاب اليونان الذين سُمُّوا باسم ديوسقوريدس فكثيرون ولكن الذي اشتهر منهم قبل عهد الاسكندرية هو ديوسقوريدس تلميذ ايسقراط الخطيب الاثينوي (٤٣٦ — ٣٣٨ ق . م) وزمانهُ يوافق افتراض الدكتور بروغش من ان ديوسقوريدس المنقوش اسمهُ على

الخزانة هو نفسهُ مؤلف الكتب التي كانت فيها . ولكن اذا صحّ هذا الفرض وهو ما لا أخالهُ صحيحاً كان تعيين موقع اثر مشهور مثل مكتبة الاسكندرية بناءً على اكتشاف خزانة فارغة حجة واهية ضعيفة

ومما يجب ذكرهُ ان بُعد بورصة طوسن والحمراء والقنصلية الفرنسوية (المتضمنة في مربع محمود الفلكي) عن المرفإ التجاري قرب الطرف الشرقي من ميدان محمد علي يزيد على ست مئة متر . وهذه المسافة تقتضي ناراً عظيمة مثل التي شبت سنة ١٨٨٢ فاحرقت الميدان المذكور وابنية شارع شريف باشا حتى تصل من المرفإ الى بورصة طوسن وغيرها من الابنية الواقعة ضمن المربع المذكور

على ان مؤرخ حرب قيصر الاهلية يخبرنا ان المكان الذي احتلهُ قيصر اولاً من القصر الملكي كان متصلاً بالمشهد والمرفإ . فلو فرضنا أن موقع المتحف والمكتبة كان بين حيّ اليونان الحالي والبحر وموقع المشهد محل عمود فكتوريا الحالي سهل علينا اذ ذاك ان ندرك كيف يمكن ان تحترق المكتبة باتصال النار اليها من المرفإ

ثم استطرد الكاتب الى القول الشائع وهو ان مكتبة السرابيوم الملقبة بابنة المكتبة الاولى اخذها انطونيوس من برغاموس واهداها الى كليوباطرة فوضعتها في هيكل السرابيوم حيث عمود السواري الآن فبيَّن ضعف هذا القول وضعف السند الذي بني عليهِ وهذا السند هو قول فلوطرخس لكن فلوطرخس لا يقول ان انطونيوس فعل ذلك بل ان كافيسوس اتهمهُ بهِ لكي يحقرهُ عند اهل رومية . اما الكتَّاب الذين كتبوا في ذلك العهد وبعدهُ فلا يشيرون اقل اشارة الى ان مكتبة برغاموس نقلت الى الاسكندرية . وقد كتب استرابون بعد تاريخ النقل المزعوم بعشر سنوات وقال ان خزائن برغاموس وذخائرها كانت لا تزال فيها

هذا وقد وعد الكاتب باستطراد الكلام الى مكتبة السرابيوم وما حلَّ بها وهي المكتبة التي وقع الجدال في شأنها لما اوردهُ عنها عبد اللطيف البغدادي وابو الفرج الملطي من ان عمرو بن العاص حرقها بامر الخليفة عمر بن الخطاب وقام الباحثون المحدثون ونفوا ذلك بادلة نقليَّة وعقليَّة . وقد اشرنا قبلاً الى ما يرتئيهِ الدكتور بطلر احدث الباحثين في هذا الموضوع وهو ان مكتبة السرابيوم تلفت او تفرَّقت او أُخرجت من الاسكندرية قبل زمن الفتح لكن الكاتب لا يميل الى هذا الرأي على ما يظهر وسنرى ما يقولهُ في هذا الموضوع اما ما قالهُ الذين جاؤُوا قبل الدكتور بطلر فمتداول ووارد كلهُ في مقالة الدكتور بطلر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحرّ واسهال الاطفال

جاءَ الحرُّ وزهقت الاجسام منهُ وخصوصاً اجسام الاطفال فانهُ يسبب لهم اسهالاً ولبعضهم اسهالاً وقيئاً . والانكليز والاميركيون يسمون هذا النوع من الاسهال مرض الحرّ وهو يؤَثر في الجهاز الهضمي اي في المعدة والامعاء واذا اصاب الاطفال سُمّي هيضة الاطفال ثم ان الحرّ يسبب عرقاً غزيراً ينشأُ عنهُ ضعف في الجسم عموماً وفي الهضم خصوصاً بسبب ارتفاع درجة الحرارة ويساعد على تكون المكروبات في الالبان قبل شربها وبعدهُ فتختمر ويحدث الاسهال كما ذكرنا . وليست الهيضة المرض الوحيد الذي يصيب الاطفال في الصيف بل ان امراضاً اخرى تصيبهم بدليل كثرة الوفيات منهم في فصل الصيف بالنسبة الى الفصول الاخرى في مصر وفي غيرها

فبناءً على ما تقدم يجب على المراضع والامهات ان ينتبهنَ لتكون درجة حرارة اطفالهنَّ معتدلة ويتجنبن اطعامهم الاطعمة غير المغذية وسقيهم المشروبات المضرة ويحافظن على نظافة ابدانهم وملابسهم ويزلنَ من اذهانهنَّ الوهم الشائع وهو انهُ لا يجوز غسل الاطفال المرضى او الذين مرض احد والديهم بالزهري بدعوى ان الغسل بالماء يحدث المرض المذكور فيهم . ويجب عليهنَّ ايضاً ان لا ينمن مع اطفالهنَّ في فراش واحد ولا يعطينهم شيئاً من السفوف العسر الهضم المؤَلف من دقيق وسمن . ويمتنعن عن الارضاع المتكرّر فيرضع الطفل مرة كلَّ ساعتين او ثلاث . ويجب ان تكون المرضع جيدة الصحة لتكون جيدة اللبن غير حامل . ولبن الام السليمة البنية الغزيرة اللبن خير من لبن المرضع . اما مدة الارضاع فاقلها سنة واكثرها سنتان . ويجب ان يفطم الطفل في اوائل فصل الشتاء لا في فصل الحرّ . ويستعان عند الفطام بالغذاء اللبني

شروط الارضاع الصناعي

يؤْخذ اللبن لارضاع الطفل من بقرة واحدة حسنة الصحة خالية من المرض فيرضع مرة

كل ساعتين او ثلاث كما تقدم ويلزم اغلاء اللبن في اناء من فخار او صفيح نظيف ويحفظ في اناء من الصيني او الزجاج من الصباح الى المساء ومن المساء الى آخر الليل وهكذا . وكيفية ارضاع الطفل منهُ هي ان تؤخذ كمية من اللبن المذكور ويضاف اليها قدر ربعها من الماء القراح المغلي وذلك لكي تصير حرارة اللبن مثل حرارة اللبن الطبيعي لان البارد يحدث اسهالاً في بعض الاحيان ويكون ثقيلاً على معدة الطفل اذا لم يمزج بقليل من الماء . ثم يناول الطفل منهُ اما بملعقة صغيرة او بالفنجان نفسهِ واذا بقي شيء في الفنجان بعد شرب الطفل منهُ فلا يضف الى اللبن الاصلي . او تستعمل الرضاعة على شرط ان تنظف كلّ مرة بماء مغلي

الفطام

متى بلغ الطفل سنة ونصفًا او سنتين من العمر يفطم فيعطى طعامًا لبنيًّا مع قليل من الخبز او البسكت مدة شهر او شهرين وبعد ذلك يؤْخذ في اعطائهِ المرق والسوائل النباتية المؤلفة من ماء نقيّ واغذية نباتية مثل الشعير والارز والعدس المدشوش والبقول وغيرها ثم البطاطس الخ الدكتور حسن باشا محمود

تربية البنات الجسدية

فرق اهل العربيَّة بين الحسن والجمال فقالوا ان الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضائهِ . وسواءٌ صحَّ ذلك او لم يصحَّ فان في اعتدال القوام جمالاً غير ما يكون في لون الوجه وتناسب الاعضاء وهذا الاعتدال هو المقصود في هذه المقالة . ولا تستطيع كل امرأَة ان تكون بيضاء الوجه دقيقة الانف صغيرة الفم واسعة العينين ولكن كل امرأَة تستطيع ان تكون منتصبة القامة معتدلة القوام اذا تربَّت على ذلك من صغرها . والرجال يفضلون اعتدال القوام على حسن الوجه وهم مصيبون في ذلك لان اعتدال القوام يدل على جودة الصحَّة . وجودة الصحة ترافقها سلاسة الطبع غالبًا

ولا تعتدل قامة المرأَة الَّا اذا رُبيت البنت تربية صحيَّة من صغرها فاذا ربيت في بيوت الفلاحين وخرجت مع امها تستقي الماء وتحمل جرتها على رأسها ونامت حالما يظلم الليل وقامت قبل الفجر واكلت الطعام البسيط الساذج فتلك المعيشة كافية لتنمي جسمها وتعدل قوامها ولذلك تجد اكثر بنات الفلاحين منتصبات القامة معتدلات القوام كأَنهنَّ تماثيل الاهات الجمال ولولا قذرهنَّ وقلة اعتنائهن بوجوههنَّ وايديهنَّ لناظرن اجمل الجميلات . واما بنات المدن اللواتي يقصر والدوهنَّ همهم على تعليمهنَّ القراءة والكتابة ولغةً او لغتين غير ناظرين

الى تربية اجسامهنّ واعتدال قوامهنّ فتراهنّ جالسات في المدارس امام مكاتبهنّ محدودبات الظهر مطرقات الرأس خوصاوات العيون

وقد وضعت احدى السيدات القواعد التالية لتربية بنات المدن وهي

اولاً ان ينتبه الى صحة البنات فان كنّ نحيفات ضعيفات لا يسمح لهنّ ان يلعبن العاباً عنيفة شاقة مثل اخوتهنّ

ثانياً ان يمنعن عن رفع الاجسام الثقيلة لان العنف الشديد قد يصدع بعض عضلاتهنّ او اعضائهنّ الباطنة صدعاً لا يظهر للعيان كصدع اليد والرجل ولكن يبقى تأثيره في الجسم مدى الحياة

ثالثاً ان لا تروّض البنت بعض اعضائها وتترك البعض الآخر من غير ترويض فينمو بعضها على نفقة البعض الآخر

رابعاً ان تمنع من الوقوف والجلوس منحنية الظهر منخفضة الرأس فيصير يتعذّر عليها الانتصاب. وتمنع ايضاً من الجلوس امام النار او في زاوية البيت قافّة مجتمعة بعضها على بعض كما يفعل البنات عادةً اذا بردن

خامساً ان لا تلبس حذاء ضيقاً او عالي الكعب. وخير لها ان تمشي حافية دائماً من ان تلبس حذاء ضيقاً او عالي الكعب

سادساً ان تُحثّ على المشي في الهواء النقي والمشي البطيء لا يكفي ولا يفيد ولا بدّ من المشي السريع والركض وتزيد فائدة المشي في الاماكن المطلقة الهواء كالرياض والبساتين والمروج اذا انتبه البنات الى ما يرين فيها من انواع الطيور والنباتات والحشرات وتسابقنَ عدواً

سابعاً ان تحث على الانتباه الى جسمها وقامتها حتى يصير ذلك ملكة فيها فلا تعود تنحني الاَّ وهي تشعر انها انحنت ويجب ان تنتصب حالاً

ثامناً ان تدرَّب على التنفُّس من انفها لا من فمها لان الهواء الذي يدخل من الانف يتنقَّى في طريقهِ من جراثيم الفساد واما الهواء الذي يدخل من الفم فلا يتنقَّى

تاسعاً ان ترغَّب في انواع الرياضة التي تزيد التنفُّس فيتسع صدرها وتنتصب قامتها ويعتدل قوامها ويتمُّ لها ذلك اذا وقفت منتصبة كل يوم واطبقت فمها وتنفست من انفها مدة ما تعدُّ عشرين ثم ضبطت نفسها ست ثواني وكرَّرت ذلك مراراً مدة ست دقائق فانهُ لا يمضي عليها شهر حتى ترى فرقاً كبيراً في اتساع صدرها

عاشراً ان تُرَغَّب في الرياضة التي تقوي عضلات صدرها وبطنها وحقويها ورجليها اما

عضلات الصدر فتقوّى بمسك قضيب من الحديد باليدين واليدان وراء الظهر ممدوتان على طولها وعضلات البطن تقوّى بالانحناء الى اليمين ثم الى اليسار. وعضلات الحقوين والفخذين والرجلين تقوّى بحني الظهر ولمّ شيء خفيف عن الارض من غير ان تحنى الركبتان فاذا مارست البنت ذلك مدة تقوّت عضلات جسمها وانتصبت قامتها

ثم اذا تهذب عقلها بدت عليها مخايل الذكاء مع اعتدال القوام فزادتها جمالاً

تمريض المرضى

الفصل الثالث

امراض الجهاز العصبي . الفالج

اصدق وصف ينطبق على الجهاز العصبي هو انهُ يشبه راس اللفت فاللبُّ بمثابة الدماغ والجذور بمثابة الاعصاب التي تمتدُّ الى الظهر اي الحبل الشوكي والجذور الرفيعة التي تتفرع الى الذراعين والرجلين . فقد يتفق ان يعتلّ الدماغ وفروعهُ كلها وهو ما يسمونهُ بالفالج العام . واحياناً يعتلُّ نصف الجسم الايمن ويفقد الانسان قوة النطق وهذا يسمونهُ الفالج النصفي . او ان الرجلين تعتلان وهذا يسمى الفالج السفلي ومهما يكن نوع الفالج فهو من اعسر الامراض معالجة فان معالجتهُ تقتضي صبراً كثيراً وطول اناة . وهو لا يأتي فجأة بل ان صاحبهُ يفقد تدريجاً صحتهُ ويقاسي فقد الاحساس . ولكن الذي يأتي فجأة قروح تصيب الجسم لاسيما اذا كان المريض لا يستطيع ضبط مبرزاتهِ ويسمونها قروح الفراش . ففي معظم الامراض يمكن اجتناب هذه القروح اما في الفالج فان ذلك يستحيل غالباً ولكن يجب مضاعفة العناية بالمريض لمنع ظهور القروح ولذلك يجب اولاً ان يبقى جسمهُ نظيفاً وجافاً . وثانياً ان يمنع من النوم على جانب واحد فقط . وثالثاً ان يكون فراشهُ خالياً من النتوءات وان يغسل وركاهُ صباحاً ومساء بالصابون وان يفرك جلدهُ بالسبيرتو ثم بمذوب الحامض البوريك واخيراً ان ترش البودرة على ظهرهِ ويفرك جيداً براحة اليد

ومما يريح المفلوج كثيراً ان يقلب من جنب الى جنب لاسيما اذا كان تحت كتفيهِ مسندٌ يسندها وان يوضع تحتهُ كيس من الكاوتشوك المملوء بالماء ويمكن وضعهُ تحت كتفيهِ ايضاً لتخفيف الضغط لان القروح قد تظهر على الكتفين حتى المرفقين ايضاً

وليكن سرير المريض بعيداً عن الحائط بحيث يستطيع الشخص الذي يعتني بهِ ان يدور حولهُ بسهولة . ويقتضي لقلبهِ من جانب الى جانب شخصان . ويخيّل لمن يتولّى ذلك ان

المفلوج ثقيل جدًّا لما في تحريكهِ وقلبهِ من الصعوبة . اما طريقة قلبهِ فهي ان يضع شخص يدًا من يديهِ تحت وركي المريض والاخرى تحت كتفيهِ وان يضع الشخص الاخر يديهِ تحت يدي الاول ثم يرفعا المريض معًا ويقلباهُ على الجنب الآخر ويفركا جلدهُ بالسبيرتو او بمرهم وبودره فاذا كان الجلد مشققًا والقروح قد بدأت تظهر فلا يستعمل سوى المرهم البسيط وذلك ان يوضع منهُ على خرقة ناعمة بقدر القرحة ثم توضع الخرقة عليها ويوضع فوقها قليل من القطن المندوف وتثبت في مكانها بقطعة من المشمع

واذا كان المريض لا يستطيع ضبط بولهِ يلزم ان توضع تحتهُ قطعة من المشمع ويجب ان تكون ناعمة خالية من الطيات . وقد يحدث انهُ لا يستطيع ضبط مبرزاتهِ ايضًا فيلزم حينئذٍ ان يحقن يومًا بعد يوم . وطريقة ذلك ان يذاب بعض الصابون في ماءٍ حارّ ويوضع في الماء ملعقة من الزيت . واذا كان معهُ قبض شديد يجب ان يضاف الى المزيج ملعقة من التربنتينا. ثم يقلب على جنبهِ ويوضع المشمع تحتهُ . ويدهن رأس الحقنة بالفاسلين ويفرغ الهواء منها ثم يحقن المريض على مهلٍ

داء السكتة

يصيب هذا الداء صاحبهُ فجأة على الغالب بعد ما يشعر بانزعاج بسيط قبل ذلك بايام قليلة فيفقد الشعور وقوة التسلط على اطرافهِ ويصير تنفسهُ عسرًا مصحوبًا بصوت ويزرقّ وجههُ وتدركهُ الحمى . وسبب ذلك وجود جلطة دموية في الدماغ او اصابة الظهر بآفة على اثر صدمة او سقطة

والعلاج لذلك ان يوضع المصاب في الفراش وينقطع عن كلّ حركة ويعطى طعامًا سائلاً فقط . وتتبع جميع الوصايا المتقدم ذكرها في الفصل الماضي وخصوصًا ما تعلق منها بقروح الفراش

الصرع او داء النقطة

الصرع عكس الفالج والسكتة فبدلاً من ان يفقد المصاب بهِ قوتهُ وسهولة حركتهِ يصير ذا حركات شديدة غير ارادية تسمّى تشنجات . ويصيح صيحة قوية ويجمع اصابعهُ فوق ابهاميهِ وتجتمع الرغوة على فمهِ ويضرب بيديهِ ورأسهِ وسائر جسمهِ ويعضُّ لسانهُ

واول ما يجب عملهُ ان يمنع المصاب من الحاق الاذى بنفسهِ . ويلقى على ظهرهِ وتوضع فلينة او منديل بين اسنانهِ حتى لا يعضُّ لسانهُ وتحلُّ عرى قميصهِ وطوقهِ ويمنع من الاصطدام بالاشياء التي حولهُ . وليلاحظ كم تدوم النوبة التي تنتابهُ ويخبر الطبيب بذلك

ويجب ان تكون امعاء المصاب لينةً وان يكثر من الرياضة في الخلاء ويتجنب كلّ ما

يقلق بالهُ ويشغل خاطرهُ والاَّ ساء خلقهُ جدًّا . ومما يحزن ذكرهُ ان المصاب بالنقطة يحبُّ الاضرار بغيرهِ وهو كثير الخداع والكذب ويودُّ ان يظهر بمظهر الصلاح والتقوى امام الناس فيجب ان تعدَّ اعمالهُ هذه جزءًا من مرضهِ ويعامل بالتؤدة والصبر

التهاب اغشية الدماغ

هذا المرض يصيب الاطفال على الغالب ولكنهُ يصيب البالغين ايضًا . وقد يصير وافدًا في بعض البلدان . واعراضهُ اكثر ظهورًا في الاولاد منها في غيرهم . فيشعر الولد بضعف وانحطاط قبل ظهور المرض . ومتى ظهر فاول اعراضهِ القيءُ والم شديد في الراس وتقلُّص البطن وارتفاعهُ ثم يأخذ الولد يصيح ويهزُّ راسهُ ولا يعود يحتمل سماع الاصوات ولا رؤْية النور . وفي اول درجات المرض تشتدُّ الحمى ثم يعقبها سبات وتشنجات وتصير العينان ثقيلتين جامدتين

اما العلاج الاعتيادي فهو ان يوضع الولد المصاب في غرفة مظلمة بعيدة عن النور والصوت ويضجع على ظهرهِ وتوضع مخدة واطئة تحت رأسهِ ويطعم طعامًا سائلاً مقويًا

واذا اشار الطبيب بوضع كيس جليد على رأسهِ فليكسر الجليد قطعًا صغيرة وتغسل حتى تذوب النتوءات التي فيها ويفرغ الهواء من الكيس حتى يباشر الراس جيدًا ويوضع منديل تحتهُ ليمتصَّ الرطوبة ويمنع ابتلال المخدة . وليطعم المريض وهو مستلقٍ على ظهرهِ بواسطة فنجان خاصٍّ معدٍّ لذلك . وما يقال في معالجة الاطفال يقال في معالجة البالغين ايضًا

النفرالجيا والشياتكا

النفرالجيا الم في الاعصاب نفسها . وهي اما ان تكون في الوجه او في الذراعين او في غيرها فتسمى دائمًا نفرالجيا الاَّ اذا اصابت العصب الكبير الذي يمتد من الظهر الى الفخذين فالركبتين وهو المسمى العصب الوركي اوعرق النسا فتسمى حينئذٍ شياتكا . اما الالم فشديد الى الدرجة القصوى ولكن لما لم يكن هناك علامات ظاهرة تدل على وجود المرض فالغالب ان المريض قلما يجد بين اهلهِ واصحابهِ من يرثي لهُ . وهذا المرض يفاجئُ الجسم اذا كان ضعيفًا او منهوكًا بالعمل الشاق والهموم العقلية . وعليهِ فاحسن علاج هو تغيير الهواء والراحة واعطاء المقويات . وعند حدوث الالم يجب وضع الاشياء الحارة على مكانهِ مثل الفلانلا المسخنة واللزقات وغيرها والحقن بالمورفين وهذا الاخير منوط بالطبيب فقط

وكثيرًا ما يشتكي الناس من الم في الوجه عند ما تؤلمهم اضراسهم . والم الضرس عبارة عن تعرض اعصاب الضرس للهواء بسبب "تسوُّس" مادتهِ وحينئذٍ فالامر من متعلقات طبيب الاسنان

الجنون

الجنون مرض الدماغ والجهاز العصبي وهو مثل سائر الامراض اما ان يكون وراثيًا او اكتسابيًا حادًا او مزمنًا بطيئًا او فجائيًا ناشئًا عن خوف او حزن او فرح

وفي اوربا بيمارستانات كبيرة لعلاج المجانين و بعبارة الطف مرضى العقول ومعالجتهم فنٌّ قائمٌ بنفسهِ فلا بدَّ ان يتمرَّن الاطباء والممرضون عليهِ قبل مباشرتهِ

و يجب على الذين يتولون تمريض المجانين ان لا يتظاهروا بالخوف منهم وان يكونوا طوال الاناة صبورين لانهم ان كانوا لا يستطيعون ضبط انفسهم فلا يستطيعون ضبط غيرهم

والمجنون كثير المخاوف والحيل. فيجب على من يمرضهُ ان يكون مستعدًّا لتدارك امرهِ دائمًا فاذا عمد الى استعمال القوة والضرب فالواجب ان لا يقابَل بمثلهما بل ان تُتقى ضرباتهُ بهدوء وسكينة وتمسك يداهُ بلين وتنزلا على مساواة جسمهِ . واذا عمد الى الاضرار بنفسهِ بالانتحار وجب ان تراقب نوافذ غرفتهِ وينزع من الغرفة كلُّ ما يمكن ان يؤذي نفسهُ بهِ مثل الزجاج والسكاكين والقناني وغيرها . واذا استعمل الفاظ البذاءة والسباب كما هي عادة المجانين غالبًا فليترك وشأنهُ

واذا كان المريض امرأة اصيبت بالمالنخوليا (السوداء) بعد الولادة او رجلاً اصيب بها على اثر كثرة الهموم والاشغال فيجب ان يرسلا الى حيث يبدلان الهواء . فان تبديل الهواء وتغيير هيئة المعيشة الاولى يعودان على المريض بالشفاء ولكن اذا أُهمل امرهُ فربما صار مرضهُ مزمنًا و بات عالة على اهلهِ

ومن اعسر فنون الجنون تمريضًا حوادث المجانين الذين يأبون تناول الطعام فيؤدي بهم الامر الى الموت جوعًا . ففي البيمارستانات يستعملون ما يسمونهُ "الاطعام الاجباري" وذلك انهم يلقون المجنون على ظهرهِ ويمسكون ذراعيهِ ورجليهِ ويدخلون انبوبة في فمهِ حتى تصل المريء ثم يصبون فيها مرقة او لبنًا . واذا كان المجنون قويًا اقتضى خمسة اشخاص لاطعامهِ

وهناك شكل آخر من اشكال الجنون يصعب تمريضهُ وهو اذا كان المجنون قذرًا وسخًا يأبى ان يغتسل او ان يمشط شعرهُ ويميل الى اللعب بالاقذار والاوحال . فيجب من ثمَّ ان يعين لهُ شخص يحرسهُ ويراقب حركاتهِ بالصبر والثبات

على ان هناك مجانين بسطاء ودعاء يعاشرهم المرء ساعات قبل ان يكتشف نوع جنونهم مثال ذلك ان رجلاً ظنَّ نفسهُ حبة قمح فكنت تراهُ هادئًا ساكنًا فاذا رأى دجاجة فرَّ مذعورًا وهو يصيح مستغيثًا ظنًّا منهُ انها ستتبعهُ لتأكلهُ . وآخر ظنَّ نفسهُ ملك انكلترا وان

انكلترا كلها ملك لهُ فكنت تراهُ سعيداً مسروراً ولم يكن يتعرض لاحدٍ بسوءٍ

ويجب على الذين يمرّضون المجانين ان يكونوا اصحاب ذكاءٍ ودهاءٍ . ولا بدَّ ان كثيرين سمعوا حكاية الطبيب الذي امسكهُ ستة مجانين في غرفة وقالوا لهُ " هلمَّ بنا نقفز من احدى نوافذ هذه الغرفة الى اسفل ولكن يجب عليك ان تقفز امامنا اولاً فاذا ابيت ذلك عمداً الجأناك اليهِ مكرهاً " فاجابهم الطبيب ضاحكاً " لست ارى في القفز الى اسفل اقلَّ مهارة وانما كلُّ المهارة في القفز الى اعلى فهلمَّ يا رفاقي وانظروني اقفز الى اعلى " ثم ركض امامهم الى حديقة هناك وجعل يلاعبهم ويحاول القفز الى اعلى الى ان نجا منهم

ومما يعالج المجانين بهِ اقامة المراقص لهم واحضارهم الى مراسح التمثيل واللعب على البيانو امامهم وعمل الالعاب لهم في الخلاء . ولذلك نرى البيمارستانات اكثر المستشفيات اتقاناً واكملها ترتيباً ولو ما نراهُ فيها من الغرف المبطنة الجدران بالحشايا والممرضات والاطباء والمرضى ما كنَّا نعرف اين نحن عند زيارتنا لها . والذين رأوا الحبوس المظلمة التي كان المجانين يوضعون فيها في هذه البلاد والسلاسل التي كانوا يوثقون بها يندهشون عند رؤية البيمارستانات الجميلة في ممالك اوربا حيث يبذل الناس النفس والنفيس في تخفيف بلايا الانسانية وتوفير اسباب الخير والرفاه للامم

لسع الحشرات

اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولداً فاجتهد اولاً لتنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) من الجلد واغسل مكانهُ بروح الامونيا . واذا لم توجد روح الامونيا فاجبل كربونات الصودا بالماء وضعها على مكان اللسع . واذا لم توجد فضع عليهِ زيت الزيتون او عجين الدقيق . واذا امتصَّ احد الجرح بفمهِ حالاً بعد اللسع زال اكثر الالم . واذا اشتدَّ الالم فضع على الجرح لزقة من بزر الكتان

عضة الكلب الكلِب

اذا كانت العضَّة في طرف من الاطراف كاليد او الرجل فاربط العضو المعضوض فوق العضَّة ربطاً شديداً لقطع اتصال الدم بين ذلك العضو وبين القلب ثم مصَّ الدم من الجرح بمصاصة من الكاوتشوك . ويمكن مصهُ بالفم اذا لم يكن فيهِ جرح . واجبل التراب بالماء وضعهُ على مكان العضَّة الى ان يحضر كاوٍ كحجر جهنم يكوى الجرح بهِ ويجب غسل الجرح من التراب قبل كيهِ . ولا بدَّ من حفظ الكلب الى ان يُرَى هل هو مصاب بالكلَب او غير مصاب بهِ

باب الزراعة

مدارس الزراعة

وحاجة البلاد الكبرى

من يجل بين الفلاحين الآن ويقابل كبار المزارعين من اصحاب الاطيان الواسعة يرَ ثغوراً باسمة ووجوهاً متهللة لما يرون من ارتفاع اسعار الحاصلات ولاسيما القطن الذي كان ثمن القنطار منهُ منذ خمس سنوات اقل من جنيهين وقد بلغ الآن اربعة جنيهات او خمسة فان نفقات الزرع تسدُّ كلها من الجنيهين الاولين وما بقي ربح صافٍ للمالك او للمالك والمؤاجر وعليهِ فقد زاد دخل البلاد من القطن وحدهُ اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات. وكل الحاصلات الاخرى كالحنطة والذرة والفول والشعير تضاعف ثمنها تقريباً ولكن لما كانت تؤكل كلها في البلاد ولا يصدر منها الى الخارج الاَّ شيءٌ قليل فليس منها ربح للبلاد عموماً ولو ربح بها المزارع من غيرهِ من سكان القطر

اما الربح من القطن ومن كل ما يصدر من القطر لحقيقي تزيد ثروة البلاد على مقدارهِ فان كان عشرة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم فهو اكثر من ربح الذهب الذي يستخرج من الترنسفال لان اعظم ما بلغهُ ذلك الذهب في سنة واحدة نحو ١٥ مليون جنيه يذهب نصفها نفقات في استخراجهِ اما العشرة الملايين الزائدة في ثمن القطن فكلها ربح للزارع والتاجر ومعلوم ان مناجم الترنسفال اغنى مناجم الدنيا ذهباً فالقطن المصري اربح منها في سنة مثل هذه السنة. والمنتظر ان هذا الربح لا يقلُّ عن ذلك في المستقبل لجودة القطن المصري وشدَّة الحاجة اليهِ ولذلك لا عجب اذا بسمت الثغور وتهللت الوجوه

ولكن تلك الثغور الباسمة والوجوه المتهللة لاتلبث ان تنقبض وتعبس اذا عرض للزراعة عارض من ندوة او حشرات او اصاب المواشي مرض كالطاعون البقري الذي فشا الآن في القطر وعند كل حادث غير عادي يصيب الزراعة او المواشي لان الفلاحين على مهارتهم في اعمال الزراعة العادية لا يعلمون كيف يدفعون العاهات ولا كيف يتقونها ولا لوم عليهم لان اتقاء العاهات ودفعها يقتضي علماً خصوصياً بطبائع الارض والنباتات والحيوانات وما يصيبها من العاهات وهذا العلم يُعرَف بعضهُ بالاختبار ولكن لا يعلم كلهُ الاَّ في المدارس الزراعيَّة.

وقس على ذلك اموراً اخرى تتعلق بالزراعة او تبنى عليها كتصليح الارض واستحيائها وحفر المراوي والمصارف فيها وتكعيبها واختيار تقاوي المزروعات والسماد المناسب ومقاومة ما يعتري الارض من نشع وسبخ فان ذلك كلهُ يُعلَم بعض العلم بالاختبار ولكن لا يعلم جيداً الا بالدرس المدقق والوقوف على القواعد الكلية التي وصل اليها علماءُ الزراعة بعد البحث الدقيق والتجارب المتوالية

وقد رأينا في هذه الايام غيرةً تذكر لانشاء المدارس الصناعية في هذا القطر. ولا شبهة في ان هذه الغيرة في محلها والمدارس الصناعية أو الورش الصناعية لازمة للقطر لزوم المدارس العلمية ولكن لو جرينا على قاعدة تقديم الاهمّ على المهمّ لبذلنا هذه الغيرة في انشاء المدارس الزراعية اولاً لان الحاجة اليها امسّ . نعم ان الحكومة اجابت نداء البلاد وانشأت مدرسة زراعية وبغيرها كان يستحيل ان تنشأ مدارس أُخرى زراعية ولكن أين مدرسة واحدة من بلاد فيها اكثر من مليوني مزارع واكثر من خمسة ملايين فدان تزرع سنويًّا زرعتين او ثلاثًا فلو انشئ عشر مدارس زراعية تخرّج منها مئة طالب كل سنة ما كان ذلك كثيرًا عليها لانهُ يجب ان يكون كل ناظر زراعة من العارفين بقواعد الزراعة وما يتصل بها . واذا فرضنا ان الناظر الواحد يستطيع ان يتولَّى مراقبة ألف فدان وجب ان يكون في البلاد خمسة آلاف ناظر من المتفنّنين في الزراعة علماً وعملاً فلا تستطيع المدارس ان تخرّج هذا العدد من الطلبة حتى يتضاعف زمام الاراضي الزراعية

هذا وفي البلاد فريق يظن ان الحكومة تستطيع ان تفعل كل شيءٍ ويجب عليها ان تفعل كل شيءٍ لكن هذا الظن آخذ في الزوال من الاذهان وحسبُ الحكومة انها انشأت اول مدرسة زراعية وانها علّمت بعض الشبان الذين يستطيعون ان يعلّموا غيرهم في المدارس التي ينشئها اهل البر والاحسان فعسى ان تبدو رغبة المحسنين في انشاء المدارس الزراعية كما بدت في انشاء المدارس الصناعية فيخدموا بلادهم خدمة لا تقدر

الطاعون البقري

كنا بالامس نسمع بتفشي هذا الوباء في طرف افريقية الجنوبي أي بلاد الترنسفال فاذا بنا نراهُ فاشياً الآن في طرفها الشمالي أي في القطر المصري ويعلم القرَّاءُ انهُ فتك بمواشي الترنسفال فتكاً ذريعاً حتى اقتضت الحال ارسال اطباء خصوصيين لدرسهِ ومعرفة اعراضهِ واحوال سيرهِ وسائر ما يتعلق بهِ لكي يتمكنوا من اكتشاف الدواء الشافي لهُ ولكنهم لم يوفقوا الى نتيجة كافية لذلك وغاية ما نؤَملهُ انهُ يقف عند حدهِ في هذا القطر بفضل الاحتياطات التي

اتخذت وان وطأتهُ تكون خفيفة رحمة بالزارع والفلاح من الاهالي

وقد فشا هذا الوباء في القطر المصري منذ عشرين سنة وفشا ايضاً نحو منذ اربعين سنة ففتك فتكاً ذريعاً . ويقال انهُ دخل بلاد الانكليز منذ سنين كثيرة فاهلك ثلاثة ملايين من مواشيها

أما ما فعلتهُ الحكومة فهو أن نظارة المالية طلبت من صندوق الدين ٢٠ ألف جنيه لتنفقها على الاحتياطات التي تتخذها مصلحة الصحة لمقاومة الوباء . واصدرت مصلحة الصحة عدة منشورات الى المديرين والمفتشين البيطريين بما يجب عملهُ في هذا الشان . وابلغت نظارة الداخلية المنشورات التي اصدرتها مصلحة الصحة عن الوباء للمديريات والمحافظات واردفتها بمنشور آخر حضت فيهِ اصحاب الشان من الموظفين على ابلاغ مصلحة الصحة كل اصابة مشتبهة واتخاذ التدابير التي اشارت بها هذه المصلحة

وارسلت نظارة الحربيّة فصيلة من الطوبجيّة الى الاماكن التي ظهر الطاعون البقري فيها لمساعدة رجال الصحة على منع انتقال المواشي من الاماكن الموبوءة الى الاماكن السليمة . واستقدمت مصلحة الصحة الباشمفتش البيطري وسائر المفتشين البيطريين الذين سافروا بالاجازة الى انكلترا

اما اعراض هذا الوباء المهمة فهي

اولاً ارتفاع درجة الحرارة من ٤٠ الى ٤١ ونصف بمقياس سنتغراد

ثانياً امتناع الاجترار

ثالثاً سيلان مواد لعابيّة كثيرة من الفم

رابعاً تقرُّح اللسان والفم والانف

خامساً التهاب المهبل

سادساً اسهال مع هزال سريع واخراج روث قاتم كريه الرائحة

سابعاً عسر التنفس وسرعتهُ

ثامناً وجود دم في البراز والبول

تاسعاً فقد اللبن من ضرع البقر وكثرة اسقاط الابقار الحاملة

عاشراً ينفق الحيوان في الحال بعد ما يصاب بالعوارض المتقدمة

وقد قالت مصلحة الصحة في احد منشوراتها ان رجال العلم اكتشفوا منذ مدة علاجاً لمنع عدوى هذا الوباء وتخفيف وطأتهِ وذلك ان تحقن المواشي السليمة بقليل من دم الحيوان المصاب

والمصل الذي اكتشف حديثاً للوقاية من هذا الداء فلا تنقل العدوى اليها وان هذا العلاج جُرّب في الهند وجنوب افريقية والسودان فافاد فائدة عظيمة ومنع انتشار المرض وقد ارسلت الى الهند وجنوب افريقية تطلب مقداراً عظيماً منهُ

ورفع جناب الدكتور بنشنج تقريراً عن سير الطاعون البقري في القطر المصري الى عطوفة ناظر الداخليَّة قال فيهِ ان جميع مراكز مديريَّة البحيرة تعد كأنها تلوثت وكذلك يعدُّ مراكز امبابة والجيزة في مديريَّة الجيزة وانهُ جاءهُ كتاب من المستر برانش يخبرهُ فيهِ انهُ وجد ثورين نافقين وثلاثة حيوانات أُخرى مصابة بهذا الداء في شباس الشهدا بمركز دسوق فدل ذلك على ان العدوى امتدت الى مديريَّة الغربيَّة

فاتخذت جميع الاحتياطات اللازمة لايقاف سير المرض واقفلت جميع الكباري لمنع مرور المواشي من ضفة الى ضفة اخرى ومنعت القوارب من الجولان في النيل ولكنهُ يخشى ان يستحيل منع المواشي من الانتقال بسبب انخفاض المياه وسهولة عبور المواشي من بعض الجهات التي انخفض ماؤُها

وقد حقن مئات من المواشي بما في مخازن الصحة من المصل الواقي من الوباء في مديريَّة البحيرة في الايام الاخيرة ولم يؤَجل الحقن بهِ الى الآن الاَّ لمعرفة نتيجة التجارب التي جربوها منذ ايام

وقد انشئَ معمل لصنع المصل في العباسية وحقن منهُ اربع مواشٍ لاستخراج المصل منها ولكن لا ينتظر الحصول على مصل من هذه المواشي قبل اربعة اسابيع على الاقل

وحقن كثير من المواشي السليمة في مديرية البحيرة وبعض المواشي في مديرية الجيزة بالصفراء وطريقة هذا العلاج قائمة بحقن الحيوانات السليمة بعشرة سنتمترات مكعبة من الصفراء المستخرجة من حيوان نافق او مصاب بالطاعون البقري منذ سبعة ايام

وهذا العلاج يقي الحيوانات التي تعالج بهِ من الطاعون مدة ثمانية اشهر على الاقل ولكن فائدتهُ لاتكون مثل الحقن بالمصل والدم غير انهُ يتخذ وسيلة لمقاومة الوباء ريثما يصل المصل المطلوب الى مصلحة الصحة

ثم ابدى اسفهُ لان الاهالي يبالغون في اخفاء الحيوانات المصابة عن عمال الصحة كما كانوا يفعلون ايام الكوليرا والطاعون البشري فقد وجد المفتش الانكليزي ثلاثة حيوانات مصابة بالطاعون منذ ٢٦ الجاري في عزبة بمركز امبابه فقتلها بمساعدة البوليس وأكد لهُ الاهالي انه لا توجد اصابات أُخرى عندهم ثم ورد من هذا المفتش ما يفيد انهُ وجد حيوانين آخرين

نافقين واربعة مصابة بالطاعون في تلك الناحية ولا ريب ان هذه الاصابات كانت موجودة عند اكتشاف المفتش للثلاث الاصابات الاولى ولكن الاهالي اخفوها عنهُ فاذا كان مثل هذا الانكار والاخفاء يحدث في مركز تطوف فيهِ الجنود مشاةً وفرسانًا وعمّال الصحة للبحث عن الاصابات فما بالك بالمراكز التي تخلو من الملاحظين والمراقبين

ثم بسط الامل ان تشديد العقوبة على الذين يخنون الاصابات يأتي بفائدة عظيمة ولكنهُ يخشى أن يكون الضرر قد وقع فعلاً وقال ان الوفيات بهذا الداء تبلغ من ٨٥ الى ٩٠ في المئة اذا لم يراقب كما يجب فاذا لم يتحد اصحاب المواشي على مدّ يد المساعدة الى رجال الصحة في اتخاذ الاحتياطات الوافية فالمرجح عدم الوصول الى ايقاف الوباء

موسم القطن

ثبت الآن ان الموسم الماضي يقصر عن ستة ملايين قنطار بنحو ربع مليون قنطار او أكثر فقد بلغ الوارد منهُ للاسكندرية حتى اواخر يونيو ٩٦٤ ٦٩٧ ٥ قنطارًا يقابلها في العام الماضي الى هذا التاريخ ٣٢٥ ٤٦٦ ٦ قنطارًا او نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار فالفرق بين السنتين نحو سبع مئة الف قنطار الّا ان انكلترا اخذت من الموسم الاخير أكثر مما اخذت من الموسم الذي قبلهُ ولعلّ السبب في ذلك نقص الوارد اليها من اميركا

ولا يُعلَم حتى الآن كيف يكون الموسم المقبل لكن مساحة المزروع كبيرة ونمو النبات جيّد غالبًا ولو تأخر كثيرًا في بعض الجهات البحرية لكثرة الامطار التي هطلت في اوان الزرع واذا سلِم من الآفات الجويَّة ومن الحشرات فلا يبعد ان يبلغ سبعة ملايين قنطار. وسواءٌ بلغ هذا الحد او زاد عليهِ فلا خوف من هبوط الاسعار الحاضرة الّا اذا حدث في الدنيا حادث غير منتظر كحرب كبيرة او مصيبة اخرى تصيب البشر لان الاخبار عن موسم اميركا لا تدل على انهُ سيفوق موسم العام الماضي بل هي بالضد من ذلك تنبئ بضعفهِ وتأخرهِ وهبْ انهُ بلغ ما بلغ في العام الماضي او زاد عليهِ قليلاً فقلة المتأخرات هذا العام وازدياد الطلب على القطن الاميركي في اميركا نفسها وازدياد عدد الناس الذين يستعملون المنسوجات القطنية سواءٌ كان بزيادة المواليد على الوفيات او بافتتاح اسواق جديدة للتجارة كل ذلك يدعو الى ازدياد المقطوعية من القطن عمومًا

وللقطن المصري خاصةً محلٌّ لا يقوم فيهِ مقامهُ قطن آخر لانهُ لطول اليافهِ (شعرتهِ) ودقتها ومتانتها ينسج مع الحرير او تمط خيوطهُ فتصير كالحرير لمعانًا وتستعمل بدلاً منهُ في

كثيرٍ من المنسوجات التي كان يستعمل فيها ولهذا كلهِ يرجَّح ان ثمن القطن المصري في الموسم المقبل لا يهبط عن السعر الذي وصل اليهِ الآن الاَّ لاسباب تجارية او عمومية يتعذر معرفتها من الآن

بزرة القطن

قل الوارد من بزرة القطن هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي لقلة الموسم لكنَّ ثمن البزرة لم يرتفع كما ارتفع ثمن القطن لانها لا تستعمل الاَّ لعصر الزيت وهذا تشاركها فيهِ حبوب اخرى مختلفة الانواع فلا يُنتظر ان يغلو ثمنها الاَّ اذا اصاب تلك الحبوب الزيتيَّة محلٌ غير منتظر

زيت البترول والحشرات

لا شبهة في ان زيت البترول افعل علاج لقتل الحشرات التي تسطو على الاشجار ولاسيما الحشرات القشرية التي تمتص عصارها . ولزيت البترول فعل خاص بالحشرات حتى ان مجرَّد اتصالهِ بها يقتلها ولا يعلم سبب ذلك تمامًا حتى الآن وزيت البترول النقي الذي يستعمل للاضاءة غالي الثمن حتى لقد يزيد ثمنهُ على المنفعة التي تحصل منهُ الاَّ انهُ يوجد زيت آخر رخيص الثمن جدًّا وهو زيت البترول نفسهُ قبل ان يتكرَّر و يتنقى . وقد ظهر من التجارب في اميركا ان هذا الزيت غير النقي اصلح لقتل الحشرات من الزيت النقي ولاسيما اذا استعمل شتاء لقتل الحشرات القشرية التي تلصق باشجار الليمون واثمارهِ

قال احد الثقات من الاميركيين ان هذا الزيت استعمل كما يستعمل الزيت النقي فظهرت لهُ مزية على الزيت النقي في انهُ لا يخرق قشر الاشجار بسهولة كالزيت النقي ولا يتبخَّر كلهُ بسهولة مثلهُ وحينما يتبخَّر يبقى منهُ قشرة على الشجر عدة اشهر

وقال آخر اني اعد زيت البترول غير النقي احسن علاج لقتل الحشرات وهو يستعمل مخففًا وغير مخفف ولكن لا بدَّ من الحكمة والاعتناء في استعمالهِ

الاَّ ان انواع زيت البترول غير المنقى كثيرة ولا بدَّ من اختيار الانواع التي ثبت بالتجارب انها افعل من غيرها في قتل الحشرات



كتاب البؤساء

الجزء الاول

قابلت جرائد القطر المصري هذا الكتاب بما لم تقابل بهِ كتاباً آخر قبلهُ لان واضعهُ فكتور هيجو من اكابر ارباب النظم والنثر بالفرنسوية ومترجمهُ الناظم الناثر محمد افندي حافظ ابرهيم من ارباب الانشاء العربي ومن نخبة شعراء العصر . ولا تسهل الترجمة مالم يكن المترجم مالكاً ناصية اللغتين المترجم منها والمترجم اليها وما لم يكن بين اللغتين مشابهة في الاساليب والتعابير . اما امتلاك ناصية العربية نظماً ونثراً فمما امتاز بهِ المترجم وهو يعرف الفرنسوية معرفة كافية ولكن المشابهة بين الفرنسوية والعربية قليلة جداً وذلك مما يزيد الترجمة وعورة الاَّ اذا حذا المترجم حذو المترجمين الاولين الذين نقلوا عن الفارسية واليونانية والسريانية فشحنوا لغتنا بالالفاظ والتعابير العجمية واخذناها عنهم ونحن نحسبها من لباب عربية مضر . اما المترجم فتوخَّى مخالفة ذلك فعانى اشد المشاق في نقل المعاني الفرنسوية وافراغها في قالب عربي متين

وكتاب البؤساء Les Misérables من اشهر الروايات الفرنسوية وابلغ ما كتبهُ فكتور هيجو نثراً وهو على ما فيهِ من المواعظ والحكم وبلاغة الانشاء سلس العبارة مألوف الالفاظ والتعابير يقرأهُ الاولاد بين العاشرة والخامسة عشرة من عمرهم فلا يتعذر عليهم فهمهُ . قرأهُ اولادنا بالفرنسوية وهم في هذا السن فما اضطروا الى استخدام كتب اللغة

وفي الكتاب اسهاب يملهُ كثير الاشغال ضيق الوقت ولكن من كان في سعة من وقتهِ قد لا يترك صفحة منهُ ولو قضى شهوراً في قراءتهِ ولذلك كثر رواجهُ وتُرجم الى لغات عديدة فربح منهُ واضعهُ وطابعهُ ومترجموهُ وناشروهُ فقد نشرهُ واضعهُ سنة ١٨٦٢ وطبعهُ بعشر لغات في وقت واحد في باريس وبركسل ولندن ونيويورك وميلان وليبسك وانفرس ومدريد وورسو وبشت وريو جنايرو . فجرى في تأليفهِ وترجمتهِ ونشرهِ في عواصم اوربا واميركا مجرًى تجاريًّا حتى يحصر الكسب المالي منهُ فيهِ وفي الذين تولوا ترجمتهُ وطبعهُ ونشرهُ . فهو عمل تجاري كبير الربح كما انهُ مصلح ادبي كبير النفع . ولو اعتمد المترجم العربي على "الترجمة التجارية" التي ازدراها ما بلغ اثني عشر هلالاً في تعريب مئة وخمسين صفحة واضطرَّ ان يهمل ضعفيها

بل كان عرّبها كلها في اثني عشر يوماً وجاءت اروج واريج

وقد ترك المترجم القسم الاول من الكتاب وابتدأ من القسم الثاني واختصر في اكثر الاماكن واسهب في غيرها وافرغ بعض المعاني في الفاظ كالدر او هي اثمن كقوله عن جان فالجان "ولا يعلم الاّ الله ما الذي حلّ بعده بتلك الارملة واولادها وقد خلّفهم على مدرجة من سيول الحوادث يعبث الجوع بأحشائهم ويلعب اليأس بأرواحهم وليس لهم معين ولا نصير وقد ركب كلٌّ منهم رأسهُ وهام على وجههِ من فرط الجوع وتغلغل في ظلمات هذا الوجود ولحق بمن ابتلعتهم تلك الظلمات من البؤساء وتشتتوا في البلاد وجرَّ عليهم الدهر ذيل النسيان فنسيهم حتى ذلك السجين في سجنهِ انساهُ اياهم كرُّ الغداة ومرُّ العشي وتتابع البلاء وتوالي الشقاء". الاّ انهُ اهمل هنا معنىً فلسفيًّا ردَّدهُ المؤلف مرارًا وهو ان نوع الانسان آخذ في التقدُّم مثل جيش جرار سائرٍ في فتوحهِ ولا بد من ان يقع كثيرون منهُ في الطريق لضعفهم او لعوارض تعرض لهم فلا يعبأ الجيش بهم ولا يقف عن سيرهِ لاجلهم بل يبقى حاثًّا الركاب الى ان يصل الى الغرض المطلوب . وقد عبَّر المؤلف عن ذلك بقولهِ la sombre marche du genre humain

وفاقت بلاغتهُ بلاغة الاصل احيانًا على مايظهر لنا كقولهِ "وكأن الطبيعة لم تزحزح هذا النقاب عن وجه القمر في تلك الفترة الاّ لتوضح لعيون الكون عمل ذلك الجاني لعلهُ يذكر او يخشى فلقد كان القمر منذ زمن لا يتعدى شطر الساعة مقنَّعًا بغمامةٍ سوداء وقد انجلت عنهُ في اللحظة التي اوشك فيها ان يعثر هذا الشقي باعواد السرير . ومن رأى ذلك المضطجع (المطران) على فراشهِ رأى رجلاً قد قام على رأسهِ حارسان من المهابة والجلال يتألق في وجههِ نور اليقين ويجول في محياهُ ماء البشر وترتسم على وجههِ آيات الرضى والقبول وتكتسي شفتاهُ بابتسامة الامل الفسيح ويتأرَّج من اردانهِ ريح التوكل" وكقولهِ . "هل كان يسمع صوت ذلك الهاتف السماوي الذي بات ينذرهُ بعقباهُ ويكل لهُ الخيار بين خلتين اما نزوع عن الغواية فسموٌّ الى مقام الابرار واما استرسال في الضلالة فهبوط الى قرار الفجار ويوضح لهُ سبيل الحياة بين امرين اما سعادة دونها سعادة ذلك العابد واما بؤس خير منهُ بؤس المصفد في قاع السجون"

الاّ ان هذه القلائد الدرية شيبت مرة او مرتين بالفاظ وتعابير لا تصلح ان تنتظم في عقد هذا الكتاب والكمال لله

وحبذا لو راعى المترجم مقام المتكلمين فلم ينطق الخدم بكلام منتقى لا ينطق بهِ الاّ كبار

المنشئين كقولهِ بلسان خادمة العابد (المطران) " لقد هبط المدينة رجل مريب ما رآه احد الاَّ وذعر من رؤيتهِ وقد مشى بحديثهِ الكبير والصغير فورد الاندية وولج الاخبية " الخ والكلام في الاصل بلسان الراوي لا بلسان مدام مغلوار

وعندنا انهُ اذا خلا هذا الكتاب من الكلام اللغوي الذي لم يألفهُ جمهور القراء زاد رواجهُ وكثر الانتفاع بهِ وهما غايتان لا يليق باحد اغفالها. وقد اهداهُ المترجم الى العلامة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . وفقهُ الله الى اتمام تعريبهِ ونشرهِ ونفع بهِ كما نفع باصلهِ

نوبار باشا

وما تمَّ على يدهِ

اهدي الينا كتاب بهذا العنوان يشتمل على اكثر مئتي صفحة الفهُ حضرة الاديب نجيب افندي مخلوف وضمنهُ اثني عشر فصلاً في شؤون مصر المختلفة والتقلبات التي طرأت عليها في حياة المرحوم نوبار باشا الشهير من ايام بوغوص بك يوسفيان الى عهد المغفور لهُ توفيق باشا الخديوي السابق · والفصول تبحث في حياة بوغوص بك يوسفيان كاتب سر محمد علي باشا وحياة نوبار باشا وعباس باشا الاول وسعيد باشا وقنال السويس وعلاقة نوبار باشا بالخديوي اسمعيل والامتيازات الاجنبيَّة والاصلاح القضائي وتنظيم المحاكم والمالية والخديوي توفيق باشا وماجريات حكمهِ

والكتاب مزين بالرسوم مثل رسم سمو الخديوي الحالي ونوبار باشا وبوغوص بك وسعيد باشا وعباس باشا الاول ودي ليسبس واسمعيل باشا وتوفيق باشا ومختار باشا الغازي ورياض شابا والمهدي والتعايشي وغردون باشا وهكس باشا واللورد كتشنر وغيرهم

منتخبات الحدَّاد

اهتمَّ حضرة الاديب حنَّا افندي نقَّاش بجمع الآثار الادبية التي خلفها فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وهي المقالات التي نشرها في الجرائد والتي لم يفسح لهُ الاجل في نشرها بل بقيت محفوظة في اوراقهِ ومعظم المقالات ادبيٌّ وبعضها سياسيٌّ واجتماعي وتاريخي اما الادبية فمنها مقالة في الفقير والغني واخرى في وصف ممثلة واخرى في الشبيبة في مصر وكيف يكون الاستقلال واما السياسية والاجتماعية والتاريخية فمنها مقالة في الانكليز واخرى في

الزواج واخرى في الطلاق واخرى في المرأة والعلم وغيرها في انتحار كليوبترا وهلمّ جرًّا . والمقالات كلها بليغة العبارة صحيحة التركيب تشهد بما اشتهر عن مصنفها المرحوم من حسن الذوق والتدقيق في مآخذ الانشاء

القول السديد

في حرب الدولة العلية مع اليونان

ألّف هذا الكتاب حضرة الفاضل علي رضا شاكر بك نجل المرحوم محمد شاكر باشا وهو يشتمل على ١٩٤ صفحة وهو وان يكن جاء متأخرًا الَّا انهُ يمتاز على الكتب العربيَّة التي تقدمتهُ في هذا الموضوع بصورهِ الكثيرة عن مواقع الحرب المذكورة والقواد الذين اشتهروا فيها من الفريقين المتحاربين . وفيهِ تفصيل المواقع وصورة معاهدة الصلح الرسمية التي عقدت بين الدولة العثمانية واليونان بعد انتهاء الحرب بموادها الست عشرة، ويلي ذلك فصل في اسباب الحرب بين الدولة العلية واليونان

الجامع الازهر

انتدبت الحكومة المصرية حضرة الفاضلين عزتلو احمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار ومصطفى بك بيرم وكيل النائب العمومي لينوبا عنها في مؤتمر علماء اللغات الشرقية الذي عقد في مدينة همبرج بالمانيا في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢. فخطب الاول في كتاب قديم عنوانهُ " العز والمنافع في المجاهدين بالمدافع " لمؤلفهِ ابرهيم بن احمد غانم الاندلسي . وخطب الثاني في الجامع الازهر . وقد طبع خطبتهُ واهدى الينا نسخة منها فاذا بهِ يبحث فيها عن تاريخ بناء الجامع المذكور وسبب تسميتهِ بالازهر وطريقة التدريس فيهِ ونموّهِ واروقتهِ المختلفة ودروسهِ الماضية والحاضرة ومدة الدراسة والمدرسين والطلبة وجميع ما يتعلق بهم . وقد نشرنا فصلاً منهُ في هذا الجزء لما احتواهُ من الفوائد وللدلالة على طريقة بحثهِ فيهِ

وممَّا جاء في هذا الكتاب ان عدد الطلبة بلغ ١٠٤٠٣ انفس في السنة الماضية منهم ٦٤٥ طالبًا اجنبيًّا اي ان الاجانب جزء من ١٦ جزءًا من الوطنيين . ومعظم الوطنيين من سكان الارياف وليس بينهم من سكان القاهرة سوى نفر قليل ومعظم الاجانب من السوريين فان عددهم ٢٦٤ طالبًا والاجانب كلهم ٦٤٥ طالبًا كما تقدَّم اي ان السوريين ٤٠ في المئة من مجموع الاجانب

" وقد احصي عدد المشتغلين بالعلم في الازهر سنة ٨١٨ هجرية فبلغ ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيالعة ومصريين ومغاربة "

الف ليلة وليلة

اتمت ادارة الهلال طبع الجزء الثالث من حكايات الف ليلة وليلة وهو يبدأ بالحكاية المئتين والثامنة وينتهي بالحكاية الثلاث مئة والحادية والثلاثين. والكتاب متقن الطبع حسن الورق مزدان بالصور وثمن النسخة منهُ عشرة غروش صاغ

تاريخ سيام

وقفنا الآن على هذا الكتاب وهو يتضمن تاريخ مملكة سيام من قلم حضرة عزتلو حكمت بك شريف باشكاتب المجلس البلدي في طرابلس الشام وكان قد ادرجهُ تباعاً في جريدة طرابلس الشام فاطلع عليهِ كلُّ من يقرأ تلك الجريدة من سكان المملكة العثمانية فلما جمعهُ في كتاب واحد واراد نشرهُ وبيعهُ لم تسمح لهُ ادارة مراقبة المطبوعات بذلك ولعل عذرها انها تخشى ان الكتاب المذكور يخدش الاذهان وهو العذر الذي تنتحلهُ في كل ما لا تريد نشرهُ

اللغة العربية

ألَّف حضرة الاديب جرجس افندي الخوري احد نائلي شهادة الكلية الاميركية في بيروت ومدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام كتاباً صغيرًا في صرف اللغة العربية ونحوها قال في مقدمتهِ " وما زلت اقيد ملاحظاتي اثناء التدريس متخذًا اذواق الاحداث والحدثات رائدي حتى اجتمع لديَّ مواد وملاحظات كثيرة " الف منها هذا الكتاب وقد ادخل اليهِ نوعاً جديداً من الاعراب سماهُ " الاعراب التصويري " اقتبسهُ عن كتب النحو الانكليزية تسهيلاً لمعرفة نسبة الكلمات بعضها الى بعض في الجملة. فنثني على همتهِ ونتمنَّى لكتابهِ الرواج

مطبوعات اخرى

ولدينا كتب اخرى صغيرة وكراريس في مواضيع مختلفة اهمها كتاب في اللغة البرتغالية لجامعهِ الاديب شكري افندي الخوري من السوريين المهاجرين الى البرازيل غايتهُ منهُ تسهيل

تعلُّم اللغة البرازيلية على الذين يهاجرون الى البرازيل من سورية . وهي همة يشكرهُ عليها كلُّ وطنيٍّ غيور على مصلحة ابناء وطنهِ مهتمٍّ بخيرهم

ومنها كتاب عنوانهُ تدبير غذاء الرضيع الفهُ حضرة الفاضل الدكتور علي افندي حلمي الطبيب الاختصاصي لمعالجة امراض الاطفال وقد بحث فيهِ عن كيفية ارضاع الطفل وواجبات الام نحو نفسها ونحو رضيعها من حيث النوم والاكل والشرب وسائر الامور الصحية. وهو كتاب لا غنى عنهُ لكل الذين تهمهم صحة اطفالهم

ومنها كتاب الآيات البينات في تفسير النبوَّات وهو الجزء الاول وفيهِ تفسير نبوات عاموس وعوبديا ويونان ترجمهُ حضرة الاديب اسحق افندي خليل احد معلمي المدرسة الأكليريكية القبطية الارثوذكسية

اما الكراريس فمنها رواية عنوانها غرائب روبرتس ترجمها عن الانكليزية حضرة الاديب شهاد افندي ابرهيم ناظر المدرسة الاميركية في السنطة وهي رواية حقيقية لا وهمية „ تمثل الادوار التي تنقلب على الانسان من سعادة وشقاء في حالتي الفضيلة والرذيلة "

ومنها كراس يتضمن ملخص اعمال الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت للسنة الماضية وهي سنتها الرابعة والثلاثون

وكراس آخر يشتمل على القانون الاساسي لجمعية تهذيب الشبيبة السورية التي انشئت في بيروت هذه السنة . وقد جاء في المادة الاولى والبند الثاني منها ان غاية الجمعية تهذيب الاحداث السوريين في المدارس العالية بقطع النظر عن مذهبهم ووطنهم وجاء في المادة الرابعة والبند الاول „ ان مركز الجمعية موقتاً في المدرسة الكلية الاميركية " ولم يرد في الكراس اسم الذين سعوا في تاسيس هذه الجمعية . ولكننا نتمنى لها النجاح والثبات على كل حالٍ لان قصدها محمود وسعاها مشكور

وبينها كراس لمؤلفهِ الاديب رضوان افندي حسين الفالوجي موضوعهُ الاصول الخطية وقد بحث فيهِ عن علم الخطّ او الكتابة واقسامهِ وكيفية كتابة الهمزة والالف والواو والياء في جميع مواضعها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) السيمناتوغراف

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . صفوا لنا آلة السيمناتوغراف

ج لا بدَّ من ان تتذكروا ان الاولاد يشعلون عوداً ويديرونهُ بسرعة فيظهر دائرة منيرة وسبب ذلك ان صورتهُ ترتسم في العين في كل نقطةٍ من مدارهِ ويصل الى آخر المدار قبلما تزول من العين صورة اول دائرتهِ فترى الدائرة كلها معاً . وعلى هذا المبدإ صُنع السيمناتوغراف اي على ان الصور التي ترتسم في العين لا تزول منها حالاً بل تبقى لحظة من الزمان فاذا وضعنا امامها صورةً وازلناها سريعاً ووضعنا مكانها صورةً أُخرى متممةً لها بانت الصورتان معاً في وقتٍ واحد والثانية متصلة بالاولى . فيصنع الورق الحساس قدةً طويلةً تلف على نفسها كالبكرة وتوضع في آلة التصوير الشمسي وتفتح الآلة امام المناظر التي يراد تصويرها وتفك القدة الملفوفة داخل الآلة وتلف على بكرة اخرى حتى ترتسم عليها صورة ما امام الآلة من الاشباح المتحركة رويداً رويداً ولنفرض ان امام الآلة رجلاً يأكل وضع يدهُ في صحفة امامهُ فترتسم صورتهُ كذلك على قدة الورق داخل الآلة وحينما يرفع يدهُ من الصحفة ترتسم صورتهُ ايضاً وقبلما تصل الى فمهِ ترتسم ثالثةٌ ثم ترتسم صورتهُ حينما يضع اللقمة في فيهِ وترتسم كذلك حينما يحرك فكيهِ لمضغ الطعام وحينما يرد يدهُ الى الصحفة وهلمَّ جرًّا . فاذا رأى انسان هذه الصور مارةً امام عينيهِ بسرعةٍ على التوالي رأى فيها رجلاً يأْكل طعامهُ من صحفة امامهُ يتناول الطعام بيدهِ ويلوكهُ بفيهِ كما لا يخفى . والسيمناتوغراف آلة توضع فيها هذه الصور المتوالية ويُعكس النور عنها او يخترقها ويقع منفرجاً على ستارٍ كبير وهي متحركة بسرعةٍ فتظهر الصور على الستار متتابعة تتابعاً لا تميزهُ العين اذا كان سريعاً بل تراها صورةً واحدة متحركة

(٢) الفانوس السحري

ومنهُ . ما هو الفانوس السحري

ج هو صندوق مبطنٌ بدهان اسود فيهِ من الامام عدسية كبيرة من البلور تكبر صور المرئيات ومن الوراء مرآة مقعرة تجمع

اشعة النور على العدسية وبينهما قنديل كهربائي او زيتي ساطع النور. تصنع لهُ صور شفافة على الزجاج وتوضع بين القنديل والعدسية فيقع نور القنديل عليها ويخرقها وينفذ العدسية ويمرُّ منها منفرجًا حاملاً رسم الصورة ويلقيها على ستار منشور امام الفانوس على بضعة امتار منهُ وتكبر الصورة او تصغر حسب بعد الفانوس عن الستار ويزيد اشراقها او يقلُّ حسب قوَّة النور او ضعفهِ وحسب اقتراب العدسية من محترق اشعة النور. ولا تدرك هذه الامور جيدًا الاَّ بدرس علم البصريات

(٣) كهربائية شلال اصوان

ومنهُ. هل مشروع توليد القوة الكهربائية من شلال اصوان وتوزيعها في انحاء القطر يفيد مصلحة تلغرافات الحكومة في ايجاد طريقة اسهل من الطريقة الحالية لتسيير آلاتها وعددها

ج كلاَّ لان القوة التي يمكن توليدها في اصوان لا يمكن نقلها الى الانحاء البعيدة الاَّ على اسلاك ثخينة جدًّا من النحاس يبلغ ثمنها الوفًا كثيرة من الجنيهات. فلا ينتظر ان تستعمل لذلك

(٤) المترادفات والقواميس

ومنهُ. افيدونا عن اسم كتاب للمترادفات العربية وقاموس عربي يسهل البحث فيهِ ويفي بمعاني الكلمات

ج لا نعرف كتابًا للمترادفات العربيَّة ولكن فقه اللغة والالفاظ الكتابيَّة يقومان مقامهُ. ونحن نعتمد على محيط المحيط واقرب الموارد من كتب اللغة واذا اشكل لفظ رجعنا الى لسان العرب وتاج العروس

(٥) الميكروب والمغنطيسية

ومنهُ. قلتم في عدد سابق ان احد العلماء اكتشف مكروبًا صغيرًا لهُ علاقة بالظواهر المغنطيسية والكهربائية فما هو وجه العلاقة بينهما

ج لا نتذكر اننا ذكرنا شيئًا من ذلك ولعلكم تشيرون الى الذرات الصغيرة التي سميناها بالشوارد وهي اصغر من الجوهر الفرد ولها علاقة بالكهربائية كما ابنا غير مرة. ونرجو ان تخبرونا في اي جزء ذكرنا علاقة الميكروب بالمغنطيسية

---

(٦) اليهود والاطفال

وستر باميركا. الخواجه الياس الغز. لهجت الجرائد بشان قتل اليهود للاطفال واستنزافهم دمهم لا تمام بعض الفرائض الدينيَّة فهل ذلك صحيح

ج ان ديانة اليهود مبنية على التوراة وليس في التوراة شيء يوجب قتل الاطفال لغرض ديني او يجيزهُ. ثم ان ادعاء هذه الدعوى عليهم سهل وتصديقها غيرة صعب على الذين يحسدونهم او يبغضونهم ولكن الادلَّة التي قامت على اثباتها لم تقنع المنصفين. فهي باطلة ولهم ان يطلبوا عقاب من يتهمهم بها

(٧) سبب الرياح

الواحات البحريَّة . عبد العزيز افندي واصف يقال ان سبب تكوّن الرياح هو من دوران الارض فما السبب في اختلاف مهابها وفي سكونها واشتدادها في اوقات مختلفة ما دامت الارض تتحرك في اتجاهٍ مخصوص لا يتغير وبسرعة واحدة لا تقلّ ولا تزيد

ج ان الرياح لا تتكوّن من دوران الارض بل من فعل حرارة الشمس بسطح الارض وبالهواء المباشر لها فان الحرارة تمدّد الهواء فيخف ويصعد فيندفع الهواء البارد الى مكان الهواء الذي تمدّد لارجاع الموازنة وتختلف الرياح باختلاف وجه الارض في تعرُّضهِ لاشعة الشمس ودرجات ارتفاعهِ وانبساطهِ واكتسائهِ بالنبات او بالرمال او بالمياه وبتعاقب الليل والنهار الى غير ذلك من الاسباب العمومية والموضعية . ولكن دوران الارض على محورها يغير اتجاه الرياح الجارية من القطبين الى خط الاستواء فان الهواء يخف عند خط الاستواء لاشتداد الحر هناك ويصعد فتاتي الرياح من ناحيتي القطبين الى خط الاستواء لارجاع الموازنة وتكون قبل مجيئها الى خط الاستواء دائرة مع الارض على محورها بسرعة دوران الارض فحينما تدنو من خط الاستواء تصل الى اماكن سرعتها في دوران الارض على محورها اشد من سرعة الاماكن التي اتت منها فلا تستطيع ان تجاريها بل تتأخر عنها الى الغرب لان الارض تدور من الغرب الى الشرق فتجري هذه الرياح قرب خط الاستواء من الشرق الى الغرب بسبب سرعة دوران الارض على محورها هناك من الغرب الى الشرق وهي الرياح التجاريَّة المشهورة وسميت كذلك لان سفن التجار الشراعية تترقبها وتستفيد منها. هذا هو تأثير دوران الارض في حركة الرياح وهو مضطرد على ما تسمح بهِ الفواعل الكثيرة التي تؤثر في حركة الرياح

---

(٨) عدوى السل

الحدث بلبنان الياس افندي الشويري. ذكرتم في الجزء الماضي في آخر الكلام على السل انهُ يجب تبييض غرفة المسلول وطلاء ما فيها من الاثاث الخشبي بالفرنيش فهل اذا طليت الحيطان بالجير المعروف عندنا بالطرش وطليت نوافذها بالمواد المستعملة عادة لدهن نوافذ البيوت يكون ذلك منطبقاً على المقصود من عبارتكم وكافياً لتطهير غرفة سكنها مسلول نحو ستة اشهر . ثم اذا كان ذلك كافياً لتطهير الحيطان والشبابيك فهل يلزم استعمال شيء لتطهير ارض الغرفة وهي مرصوفة بالجص والرمل والجير

ج الطرش بالكلس ودهن الابواب والشبابيك يفيان بالغرض ولا بدَّ من غسل الارض بالماء الغالي اكثر من مرة او بالماء

الذي اذيب فيهِ السليماني ويحسن تبخير الغرفة اولاً بالكبريت يحرق فيها بعد ان يقفل بابها وكواها لكي يتطهر سقفها ايضاً ثم تترك مفتوحة مدة قبل سكنها لان النور والهواء من خير المطهرات



سكة الخط الواحد

اهم ما حدث من التغيير والاصلاح حديثاً في سكة الحديد جعل المركبات تجري على خطٍّ واحدٍ بدلاً من خطَّين فتزيد سرعتها حتى تبلغ مئة ميلٍ او اكثر في الساعة . وتنشأ الآن سكة من هذا النوع بين لفربول ومنشستر ويقدّر منشئوها ان سرعة القطار عليها تكون مئة وعشرة اميال في الساعة فيصل من المدينة الواحدة الى الاخرى في عشرين دقيقة والمظنون انهُ اذا ثبت ذلك تنشيء شركات سكك الحديد خطوطاً مفردة بجانب خطوطها الحاضرة لتسير عليها قطارات الاكسبرس لا غير فتزيد سرعتها ولا تصطدم بغيرها

اشعة الراديوم

بيّن الاستاذ رذفرد انهُ ينبعث من الراديوم ثلاثة انواع من الاشعة سمَّاها باسماء الاحرف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية النوع الاول منها ذرات صغيرة تنبعث من الراديوم فتمتصها المعادن بسهولة قطر الذرة منها مثل قطر الجوهر الفرد من الهيدروجين وسرعتها عشر سرعة النور . والنوع الثاني مثل اشعة القطب السلبي المتولدة في انبوبٍ مفرغٍ من الهواء . والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن واشد نفوذاً منها

والنوع الاول هو الاهم وهو الذي تمتاز بهِ الاجسام المنيرة كالراديوم عن غيرها وهو ينبعث من الراديوم ولو كانت حرارتهُ مئة وخمسين درجة تحت الصفر

زلزلة وان

حدثت زلزلة عنيفة قرب بحيرة وان في التاسع والعشرين من شهر ابريل الماضي نخربت بها مدينة ملازجرد وسكانها الفا نفس وخرب بها اربع مئة بيتٍ من القرى المجاورة . ومركز الزلزلة قرب جبل سبان وقد سارت على امتداد وادي الفرات الشرقي

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في ولاية جورجيا باميرا في غرة يونيو نخربت مباني كثيرة وقتلت ٦٤ نفساً وكان عرضها ثلاث مئة قدم لا غير فانحصر ضررها في هذا الطريق الضيق . ومما

فعلتهُ انها نقلت الطابقين العلويين من معمل مبنيّ بالاجر فيهِ اربع طبقات وحملتهما مئات من الاقدام . واشتدت الظلمة مدة الزوبعة ومخن الهواء ولكنها لم تدم الاَّ دقائق قليلة

سيل جارف

حدث سيلٌ جارف في بعض ولايات اميركا في اواخر شهر مايو الماضي فخرب مدينة توبيكا وعلت بهِ مياه نهر مسوري ثلاثين قدماً

الجذام واكل السمك

عاد الدكتور هتشنصن من سياحتهِ في بلاد الهند مقتنعاً بصحة مذهبهِ وهو وجود علاقة سببيَّة بين الجذام واكل السمك لانهُ وجد بالاستقراء ان الذين يأكلون السمك المنتن يكثر بينهم هذا الداء اما الذين يأكلون السمك الجديد او المقدَّد المملح جيداً فلا ضرر عليهم منهُ وقد اشار بالغاء ضريبة الملح من بلاد الهند لكي يسهل على الهنود تمليح كل السمك حال صيدهِ

النور الكهربائي والنظافة

الظاهر ان النور الكهربائي خير الانوار كلها من حيث حفظ نظافة البيوت فلا ذبالة فيهِ ولا دخان لهُ ولا رائحة خبيثة تفوح منهُ ولا يفسد الهواء بهِ لكن قد ثبت الآن ان الغبار يتجمَّع على مصابيحهِ واسلاكهِ وعلى مقربة منها ايضاً اكثر مماَّ يتجمع على سائر جدران البيت كأن دقائق الغبار تنجذب اليهِ انجذاباً بالفعل الكهربائي فإما ان تلصق بهِ او تندفع عنهُ ثم تلصق بما يجاورهُ على ما هو معلوم من فعل الاجسام المكهربة بالاجسام الخفيفة القريبة منها. والهمة مبذولة الآن في جعل المصابيح واسلاكها لا يتجمع الغبار اليهِ

عدوى التيفويد

أُتي الى بلاد الانكليز باحرمة مماَّ كان مع الجيش في جنوبي افريقية والظاهر انها كانت ملوَّثة بمبرزات اناسٍ مصابين بالتيفويد فنقلت العدوى الى الذين تغطوا بها واصيب كثيرون منهم

التلفون بين لندن وبروكسل

تمَّ مدُّ خط التلفون بين لندن وبروكسل عاصمة البلجيك وقد احتفل بفتحهِ في اوائل الشهر الماضي والقسم الذي مدَّ منهُ تحت الماء بين خليج سان مرغريت في دوفر ولاپان في البلجيك طولهُ ٤٧ ميلاً وهو اطول خط من خطوط التلفون الممدودة تحت الماء. فان طول القسم الممدود تحت الماء من الخط الذي بين لندن وباريس يبلغ ٢٣ ميلاً فقط . اما الخط الذي بين لندن وبركسل فطولهُ كلهِ ٢١٠ اميال منها ٨٣ ميلاً في بر انكلترا و٨٠ ميلاً في بر البلجيك والباقي وهو ٤٧ ميلاً تحت الماء

المكروبات والالوان

اكتشف الدكتور جاكوبنز الالماني ان

الالوان الفاتحة لا تلائم انتشار المكروبات ونموّها . فاذا شيدت جدران المنازل والمستشفيات والمدارس وغيرها من الابنية العمومية بالالوان الفاتحة امتنع ظهور المكروبات فيها ودخولها اليها

الفوتغراف الكهربائي

قال المستر هنيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي انهُ رأَى في مرصد فلكيّ قرب رومية صوراً اصوّرت فيها الاشخاص والمناظر بالكهربائية وهي على بعد عشرين ميلاً على الاقل ومن رأْيهِ انهُ لا يبعد اننا نستطيع في المستقبل ان نصوّر من نشاء تصويرهُ من اهلنا واصحابنا وهم على بعد شاسع منا ونحن نخاطبهم بالتلغراف الذي بلا سلك

تثمين العاديات

فتح المسيو ادمون دريكلو المشهور بمعرفة الآثار القديمة مكاناً في بيروت لتثمين العاديَّات (الانتيكا) حتى لا يُغشَّ الذين يجدونها والذين يشترونها . وهو من اعرف الناس بالآثار الفينيقية واليونانية والرومانية لكثرة ما اشتغل بها منذ ثلاثين سنة الى الآن

حكٌّ طبيعيٌّ

في القسم الشمالي من استراليا الجنوبية نوع من النمل يسمى النمل المغنطيسي لانهُ يبني قراهُ بحيث يكون محورها الاطول متجهاً من الشمال الى الجنوب مثل الابرة المغنطيسية في الحك

رصاصة في الدماغ

اصيب ايطالي برصاصة خرقت دماغهُ ولم تضرَّ بهِ كثيراً سوى انها اضعفت بصرهُ ولما اصيب بها توجه الى مخفر البوليس بنفسهِ وشكا امرهُ الى رجالهِ وهو متمتع الآن بالصحة الكاملة

المدرسة الكلية السورية

وتنصيب رئيسها الجديد

احتفلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت بتنصيب رئيسها الجديد الدكتور هورد بلس ابن استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس رئيسها الاول وذلك في اواسط شهر مايو الماضي . ففي اليوم الاول وهو العاشر من الشهر وعظ الرئيس السابق وتليت خطب موضوعها اسس الايمان . وفي اليوم الثاني التأمت الجمعيات المدرسيَّة وجرت الالعاب الرياضية . وفي الثالث وهو يوم المتخرجين من المدرسة ويوم التنصيب اجتمع المتخرجون في الصباح برئاسة احدهم خليل افندي زيدان وخطب فيهم محمد افندي ابو عز الدين ب . ع قاضي الشوف وجرجس افندي نصار ب . ع مدير مدرسة سوق الغرب ويوسف افندي افتيموس ب . ع مهندس بلدية بيروت والدكتور حبيب مالك طبيب بلدية الكورة وقرأ الدكتور اسكندر بك بارودي محرر مجلة الطبيب

قصيدة ارسلها الدكتور اسعد رحَّال طبيب بلدية مرجعيون وخطب نجيب افندي مصور ب . ع وتلا قسطنطين افندي ثابت ب . ع قصيدة انكليزية وانيس افندي الراسي ب . ع قصيدتين عربيتين وخطب فارس افندي الخوري ب . ع والدكتور قيصر غريب وتلا كلٌّ من سليم افندي عبد الأحد ب . ع واسكندر افندي ابي شعر قصيدة في مدح الرئيس

وفي ظهر ذلك النهار جلس على مائدة معدة للاساتذة والمتخرجين من المدرسة نحو مئة وثلاثين نفساً اقاموا عليها ثلاث ساعات يتناوبون اطايب الحديث وهم يتناولون اطايب الطعام وكان الاحتفال حينئذٍ برئاسة الدكتور اسكندر بك بارودي وتكلم فيهِ الدكتور يوحنا ورتبات والدكتور قيصر غريب والدكتور وليم فان ديك والدكتور بركتسك وسعادة قنصل اميركا الجنرال والاستاذ ابرهيم افندي الحوراني والدكتور يعقوب ملاط والاستاذ اسعد الشدودي ثم تلا الدكتور اسكندر بك بارودي رسالة بعثنا بها الى هذا الاحتفال نيابةً عنا وقد نشرتها مجلة الطبيب فنقلناها عنها في آخر هذه النبذة لان فيها خلاصة تاريخ المدرسة في سنيها الاولى . ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر انتظم موكب المدرسة وسار الهوينا بالملابس الرسمية من غرفة العمدة الى النادي الكبير وكان غاصًّا بجمهور المدعوين من اهالي بيروت ونزلائها وافتتح الحفلة الدكتور جورج فورد ثم قام الدكتور دانيال بلس الرئيس السابق وخاطب ولدهُ الدكتور هورد بلس الرئيس الجديد وبيدهِ مفتاح المدرسة واوصاهُ بالامانة والاجتهاد والاحتفاظ بما سُلِّم من الوزنات وسلمهُ مفتاح المدرسة فاستلمهُ واجابهُ بابلغ عبارة انهُ يبذل جهدهُ ليؤدي الامانة حقها . ثم خطب القس هاردن بالنيابة عن المرسلين الاميركيين في سورية والدكتور بورتر بالنيابة عن عمدة المدرسة الكلية واسعد افندي خيرالله ب . ع بالنيابة عن متخرجي المدرسة وشكري افندي معلوف بالنيابة عن الطلبة وقام بعدهم حضرة الرئيس الجديد فخطب خطبة بليغة وبها انتهت تلك الجلسة . واحتشد القوم في المساء في النادي الكبير وافتتح الجلسة الدكتور اسكندر بك بارودي رئيسها بكلام تمهيدي عن التهذيب والعلم والتربية واختتمهُ بقصيدة تلائم المقام ثم خطب داود افندي نحول الصيدلاني في التربية واحمد افندي عباس الازهري وبولس افندي الخولي ب . ع والحاج محمد افندي الجمَّال واختتم الدكتور اسكندر بك البارودي الحفلة بالشكر والدعاء لصروح العلم بالعمران . ونهار الاربعاء وهو الثالث عشر من الشهر اقيمت اجتماعات ادبية ودينيَّة وتلا الدكتور مور خطاباً نشر بحيًّا ممثلاً بالفانوس السحري واشعة

رنجن واجتمع الحضور في قاعة بوست رجالاً ونساء وقدمت لهم المرطبات وتبادلوا كؤوس المسرات . اما الرسالة المشار اليها آنفاً فهي

ايها الاساتذة والتلامذة اسيادي واخواني .

يسهل عليكم ان تتصوروا كم اتمنى ان اكون بينكم الآن امتع طرفي بمشاهدة اساتذتي الذين نشأتُ في ظلهم وتناولت منهم مبادئ العلم والتهذيب . واخواني الذين ربيت معهم كالاخوة في بيت واحد مشتركين في اقتباس انوار العلوم . وتلامذتي الذين قضيت السنين ارقب نمو عقولهم وازدياد معارفهم كما يرقب الاب نجاح بنيهِ . وقد حرمت مما تمتعون بهِ الآن ولكن لا يصعب عليَّ ان اراكم بعين الخيال واتصوركم في دار فسيحة وحولكم قصور فخيمة شيدت للعلوم والفنون وجمعت فيها نفائس الكتب وبدائع الآلات والادوات وغرائب الاحياء والمتحجرات . فهل تتصورون الحالة التي كانت فيها مدرستنا منذ ثمان وثلاثين سنةً حينما وضع اساسها المعنوي في ذلك البيت الصغير شمالي الدار التي شادها الطيب الذكر الخالد الاثر المرحوم المعلم بطرس البستاني وجعلها مقرًّا لمدرستهِ الوطنية هناك اجتمعنا بضعة عشر تلميذًا وكان رئيسنا الدكتور بلس كهلاً في عنفوان قوتهِ . ولم يكن ذلك الاساس كبيرًا تنبسط عليهِ الآمال ولا فخيما تتطال اليهِ الاعناق لكنهُ كان راسخًا على صخرين متينين — حاجة البلاد وهمة المنشئين

كانت حاجة البلاد ماسَّة الى مدرسة كبيرة تعلم العلوم الطبيعية والطبية ولغةً اجنبية من اللغات التي اشتهرت كتبها بتهذيب الاخلاق . والحاجة ام الاختراع فاذا وُجدت وشعر بها ذووها لم يتعذر عليهم ان يجدوا ما يقوم بها . وقد ابنت في سطور وجيزة كتبتها منذ عهد غير بعيد عن رئيسنا الدكتور بلس ان الرغبة في العلوم والمعارف انبعثت في صدور السوريين بعد سنة ستين فانشأُوا المدارس الكثيرة لتعليم العلوم الابتدائية على مثال المدارس التي انشأَها لهم المرسلون الفرنسويون والاميركيون ولم يبقَ الاَّ ان تنشأَ لهم مدرسة كلية تعلم العلوم العالية فلما انشئت وقعت منهم احسن موقع لانها وفت بحاجة كانوا يشعرون بها ويودون ان يجدوا ما يسدها

وكان من نصيب هذه المدرسة ان قيَّض الله لانشائها اناساً كبار الهمم كبار النفوس لم يدخروا وسعًا في ارساخ اركانها واعلاء بنيانها فاعتمدوا في حياتها المالية على الامة الاميركية امة النمو والارتقاء والكرم الحاتمي منشإ المحسنين المتفضلين على نوع الانسان . وفي حياتها العلمية والادبية على انفسهم وعلى من انضمَّ اليهم من الاساتذة

كان الدكتور بلس يعلمنا الجبر والفلسفة العقلية والادبية فوق اهتمامهِ بموارد المدرسة المالية وادارتها الداخليَّة . والمرحوم الدكتور فان ديك الكيمياء والفلك والباثولوجيا .

والدكتور ورتبات التشريح والفسيولوجيا . والدكتور بوست الجراحة والنبات والحيوان . والاستاذ ضدج الاقتصاد السياسي والتاريخ . والمعلم اسعد الشدودي الرياضيات والفلسفة الطبيعية . والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي النحو والبيان . عدا معلمي الانكليزيَّة والفرنسويَّة وكان الاساتذة كلهم يهتمون بتاليف الكتب وجمع المجاميع الطبيعية فوق اهتمامهم بالتعليم والتطبيب فلم يمضِ على المدرسة اربع سنوات حتى شعرت سورية بها ورأت بلاد الشرق اجمع ان فيها قوة جديدة لتهذيب العقول وتكبير النفوس . ولا انسى يوم حضر متصرف بيروت الاحتفال الاول باعطاء الشهادات العلميَّة وسمعنا نخطب في مواضيع ادبيَّة وطبيعية وفلسفية باحثين عمَّا يرقي بلادنا ويوسع عقولنا فاعرب عن تمام الرضى وشدَّد عزائمنا وعزائم اساتذتنا

وقد مضى على المدرسة الآن اكثر من ثلث قرن والتلامذة الذين تخرجوا فيها يعدون بالمئات ولكن الذين استفادوا منها وانبثت فيهم الحياة العلميَّة يعــدون بالالوف وتلامذتها منتشرون الآن في مشارق الارض ومغاربها في اسيا واوربا وافريقية واميركا واستراليا وجزائر البحر . وفي كل مكان وصل اليهِ المتكلمون بالانكليزيَّة من البريطانيين والاميركيين هناك تجد تلامذة المدرسة الكليَّة السوريَّة يزاحمون اكبر الامم همة من قلب افريقية على خط الاستواء الى اصقاع كاننديك في اقاصي الشمال ومن اطراف بلاد اليابان شرقًا الى اطراف اميركا غربًا وفي ايديهم المصباح الذي اسرجوهُ في هذه المدرسة

فاذا حق للعامل ان يفتخر بعملهِ فلرئيسنا الاول وللاساتذة الذين قامت بهم هذه المدرسة من حين انشائها الى الآن الفخر الاكبر والفضل الاعم

وانت ايها الرئيس الجديد المكرَّم لقد سُلِّمت وزنات وافيات والاحتفاظ بها وانماؤُها لا يقلاَّن قيمة عن ايجادها من العدم وقد يكونان اصعب منهُ مراسًا لكن اخوانك وتلامذتك وكل المحبين لهذه المدرسة واثقون انك ابن بجدتها وانك ستبني كما بنى ابوك لاسيما وان الاساتذة الذين شاركوهُ في انشاء هذه المدرسة وتوطيدها وتوسيعها وابلاغها الدرجة التي وجدتها فيها يعضدونك كما عضدوهُ . فاقبل من ابناء المدرسة المقيمين في الديار المصرية التهانئ القلبية بالمنصب الرفيع الذي رقيت اليهِ عن اهلية واستحقاق والله نسأل ان يهنئك بهِ ويهنئ والديك بك ويمتعك ويمتع اخوانك الاساتذة بمشاهدة خير اثمار من اعمالهم في الدارين

واقبلوا يا اسيادي واخواني تحية مشوق يزفها اليكم من بلاد يرقب اهلوها اعمالكم ونجاحكم لا زلتم اساطين العلم ومصابيح الهدى

القاهرة في ٧ مايو سنة ١٩٠٣

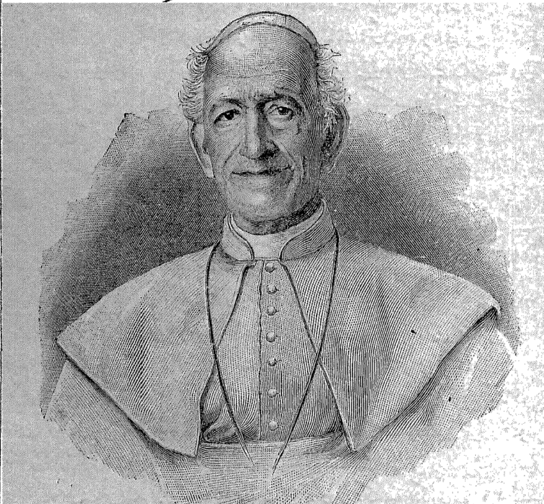
فهرس الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٧ جماد اول سنة ١٣٢١

البابا ليون الثالث عشر



لا يسع مؤرخ القرن التاسع عشر الاَّ ان يعقد فصلاً طويلاً للبابا ليون الثالث عشر واعمالهِ العمومية في الربع الاخير من هذا القرن ولو تجنَّب كل بحث ديني في تاريخهِ لان اعمال

هذا الحبر العظيم احلّتهُ ارفع محل بين رؤساء الاديان المهتمين بمصالح العباد الدينيَّة والدنيويَّة

وهو من اسرة ايطالية كريمة النسب ولد في الثاني من شهر مارس سنة ١٨١٠ وكان يفتخر بنسبهِ واهتم في حداثتهِ بجمع شجرة عائلتهِ . وُضع في مدرسة اليسوعيين بفتربو وعمرهُ ثماني سنوات ثم نقل الى مدرستهم في رومية (كولاجيو رومانو) وكان كثير الدرس بالغ الاجتهاد فنال رتبة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . واتجهت اليهِ الانظار وبدت همتهُ وغيرتهُ على مصلحة الجمهور في تخليص دوقية بنيفنتو من عبث اللصوص . وارتقى في المناصب الكهنوتية حتى سيم اسقفًا لمدينة دمياط (بالاسم) وارسل الى بلاد البلجيك "قاصدًا" رسوليًّا ولم يكن يعرف كلمة من اللغة الفرنسويَّة حينئذٍ فعكف على درسها ولم يصل الى البلجكا الاَّ وقد صار يعرف من هذه اللغة ما يكفي للتكلُّم بها . واقام في بركسل ثلاث سنوات درس فيها مبادئ حكومتها الدستوريَّة وكان يديرها ليوبولد الاول اعقل ملوك اوربا وهي على ضد ما كان جاريًا في المدن الايطالية حينئذٍ . ويقال ان ذلك اثَّر في نفسهِ وفي توجيه افكارهِ وظهرت نتيجتهُ فيهِ لما رقي الى السدَّة البابوية . الاَّ ان احد عارفيهِ وهو الوزير رتازي الايطالي قرين كافور قال عنهُ ما يدلُّ على ان ما بدا منهُ كان خلقيًّا غير مكتسب ففي كتاب بعث بهِ الى زوجتهِ يقول " تكلمتُ كثيرًا منذمدة عن الكردينال بتشي (وهو اسم عائلة البابا لاون الثالث عشر) مع الملك ليوبولد احكم ملوك اوربا واشدهم فراسةً وكان قد عاشرهُ ودرس اطوارهُ لما كان قاصدًا رسوليًّا في بلجيكا وعندهُ انهُ لا يتساهل الاَّ في الامور الطفيفة وتساهلهُ يكون في العرض لا في الجوهر مع ما هو متَّصف بهِ من سمو العقل والاستقامة التامَّة والاحترام الجزيل للسلطة المدنية . وسيكون اشدَّ خضوعًا من سائر الاساقفة لما تقضي بهِ العناية ولكن تعلُّقهُ بالسدَّة البابوية بالغ الدرجة القصوى والمبادئ التي يجري عليها ثابتة في نفسهِ لا تتغير وهو شديد العزيمة لا يحول عن امر عقد نيتهُ عليهِ . وحقًّا انهُ من الرؤساء الذين يضطرُّ المرءُ ان يحترمهم ويعجب بهم "

ونقل من بلجيكا وجعل اسقفًا لبروجيا ثم جعل كردينالاً سنة ١٨٥٣ ولكن لم يُشرَك في تدبير امور الكنيسة الاَّ بعد اربع وعشرين سنة فقضى هذه المدة في تدبير امور رعيتهِ على مقتضى طرق الاصلاح الحديثة فانشأ بيوت الايتام ومستشفيات المرضى وملاجئ المنقطعين واتاها بالمديرين من بلاد البلجيك واصلح سكك البلاد ورمم الكنيسة الكبرى وبنى ٣٦ كنيسة جديدة . اما العمل الذي اهتمَّ بهِ اكثر من غيرهِ فهو نشر التعليم الابتدائي والثانوي والعالي وتعليم خدَمة الدين العلوم الدنيوية . وكان وهو في بلجيكا قد شارك اهل النهضة الكاثوليكية

الحديثة التي نشأت في مونخ حاسباً ان الخطر الذي تخشاهُ الكنيسة من العلوم الحديثة والافكار الجديدة لا يدفعهُ الاَّ اناس يعرفون العلوم الدينيَّة والعلوم الدنيوية معاً. وحثَّ على تعليم خدمة الدين علم الفسيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا وما اشبه من العلوم الطبيعيَّة وكذلك التاريخ السياسي وحوادث الايام. ثم توسَّع في هذه الآراء لما رقي الى السدَّة البابوية ونشر منشوراتهِ المختلفة فان مدارها على حاجة الكنيسة السياسيَّة والاجتماعية وعلى الاتفاق بين تعاليمها والتقدُّم العقلي والادبي . وكان يحسب ان الزمان خير مصلح وما لا يتمُّ في عصرهِ من الاصلاح المطلوب يتم في عصر خلفائهِ. ولم يسلم بحق الحكومة الايطالية في نزع السلطة المدنية من يد الباباوات ولكن حكمتهُ واعتدالهُ احلاهُ محلاًّ رفيعاً في عيون رجال السياسة الايطاليين

وتوفي الكردينال انطونلي سنة ١٨٧٦ وكان بمثابة وزير الداخلية في الفاتيكان فدعاهُ البابا بيوس التاسع الى رومية وجعلهُ مديرًا للخزينة الباباوية خلفاً عن الكردينال انجلس لان الكردينال انطونلي كان يعرف قدرهُ ويحسبهُ مناظرًا لهُ على ما يقال فابقاهُ بعيداً عن رومية. وتوفي البابا بيوس التاسع في ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ واجتمع مجمع الكرادلة في ١٨ منهُ وكان فيهِ ٦٢ كردينالاً ووقع الانتخاب عليهِ في الاجتماع الثاني فانتخب باربعة واربعين صوتاً

علاقتهُ الخارجية

مع ايطاليا — جرى على سياسة سلفهِ في حسبانهِ الحكومة الايطالية مهتضمة لحقوق الكرسي البابوي لكنهُ لم ينفك عن حسبان الايطاليين اولاداً للكنيسة فلما دارت الدائرة على جنودهم في بلاد الحبشة وأُسر كثيرون منهم اوفد وفداً خصوصياً الى الملك منلك ليسعى في نجاتهم من الاسر لكنهُ فعل ذلك من باب ديني محض لا من باب سياسي

مع المانيا — لقد اجتهد في تمكين علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع كل حكومات العالم ما عدا الحكومة الايطاليَّة وكتب يوم انتخابهِ الى امبراطور المانيا وقيصر روسيا ورئيس جمهورية سويسرا يخبرهم بذلك ويطلب منهم الرفق بالكاثوليك القاطنين في بلدانهم . وكانت الحرب الدينية مستعرة في المانيا حينئذٍ لكن الحكومة الالمانية كانت قد ملَّتها لا سيما وان بسمارك كان قد اخذ في مناضلة الاشتراكيين وودَّ ان تكون لهُ اصوات الكاثوليك في مجلس النوَّاب ففازت رومية ولبي بسمارك مطالبها . وحكَّمت المانيا قداستهُ في الخلاف الذي كان بينها وبين اسبانيا فسرَّ بذلك وأبى ان يتخذ منزلة الحكَم لكنهُ امعن نظرهُ في الخلاف الذي بينهما مليًّا وعرض عليهما حلاًّ ارضاهما وزارهُ امبراطور المانيا الحالي سنة ١٨٨٨ ثم زارهُ ثانية سنة ١٨٩٣ هو وزوجتهُ وقامت المانيا مقام الحامي للكاثوليك من الالمان في الشرق فلم يعترض على

ذلك ولا ايده رسميًّا لئلاَّ يغيظ فرنسا التي كانت تُحسَب دائمًا حامية الكاثوليك في الشرق. وقد كسبت رومية في المانيا قدر ما خسرتهُ في فرنسا او اكثر

مع فرنسا — لقد ابدت الحكومة الفرنسوية كل ما امكنها ابداؤُهُ من دلائل الاستقلال عن رومية والمخالفة لها واعترض البابا على ذلك شديد الاعتراض لكنهُ حضَّ الكاثوليك على وجوب طاعة الحكومة لان ذلك اساس الراحة والامن وصرَّح علانية ان الحكومة الجمهورية هي الحكومة التي اختارها الفرنسويون لانفسهم فطاعتها واجبة عليهم لكن الحزب الاكليريكي قويٌّ في فرنسا وغير راضٍ عن الحكومة الحاضرة ولولا شدَّة رغبة رومية في مسالمة الجمهورية الفرنسوية لما صبرت على ما يصيب هذا الحزب من الضيم ولولا صبرها لكانت العاقبة اوخم

مع انكلترا — كان يكرم المرحومة ملكة الانكليز شديد الاكرام ويعجب بسياستها وكانت هي تحترمهُ وتجلُّ مقامهُ . واتفق ان قام في بلاد الانكليز في هذه الاثناء رجلان عظيمان من افضل رجال المذهب الكاثوليكي وهما الكردينال نيومن والكردينال مننغ فسيرة هذين الفاضلين وكتاباتهما وسعي الراهبات في اعمال الرحمة واتساع ابواب المعاشرة والمخالطة كل ذلك ساعد على ازالة النفور القديم المستحكم بين البروتستانت والكاثوليك وتطرَّف بعض قسوس البروتستانت وطلبوا ان يجروا في رسوم كنيستهم على مثال كنيسة رومية حتى حسب البابا ان اتحاد الكنيسة الانكليزية بالكنيسة الرومانية امرٌ قريب او ممكن وحثَّ رؤَساء الكنيسة الانكليزية على هذا الاتحاد ولكنهُ طلب مطالب يستحيل ان يقبلوا بها ولولا ذلك ما كان هذا الاتحاد مستحيلاً

مع النمسا — اما علاقتهُ مع حكومة النمسا والمجر فيقال انها لم تكن على تمام المسالمة لكن الواقفين على تفاصيل الامور يقولون انهُ لم يكن في امكانهِ ان يجري معها على غير ما جرى عليهِ وكانت علاقتهُ مع امبراطور النمسا والمجر على تمام المودة والصفاء لان الامبراطور من اتقى الناس واشدهم تمسكًا بالسدَّة البابوية وقد امتنع عن رد الزيارة لملك ايطاليا في رومية لكي لا يغيظ قداستهُ

مع روسيا — كانت العلاقات السياسية مع روسيا قد انقطعت في عهد البابا بيوس التاسع فلما رقي البابا ليون الثالث عشر الى السدَّة البابوية كان اول شيءٍ فعلهُ انهُ كتب بيدهِ كتابًا الى قيصر الروس يعلمهُ بذلك وكتب اليهِ ايضًا يهنئهُ بالنجاة من مكايد النهلست سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ فتساهلت روسيا كثيرًا في تعيين الاساقفة للكاثوليك من رعاياها واحسنت معاملتهم وردت اسقف ورسو من منفاه في سيبيريا . وبعث البابا منشورًا الى

اساقفة بولندا سنة ١٨٩٤ اوجب فيهِ عليهم " ان يبذلوا الجهد حتى تتأصل في نفوس الكهنة والرعية مبادئ الاحترام لاهل المناصب والخضوع للشرائع والقوانين " وبعث سفيرًا خصوصيًّا الى موسكو سنة ١٨٩٦ لحضور الاحتفال بتتويج القيصر الحالي وكان اول ناصريهِ في المؤتمر الذي عقد لمنع الحرب او لتقليل المعدات الحربيَّة

هذا ومما تذكرهُ لهُ المجلات العلمية بالشكر انهُ فتح ابواب مكتبة الفاتيكان لكل طلبة العلم من كل الامم والمذاهب من غير تمييز وابتاع كتب قصر البرغازي واضافها الى مكتبة الفاتيكان وامر بان ينتقى من كتب المراجعة (كالقواميس ودوائر المعارف) ثلاثون الف كتاب توضع وحدها تسهيلاً لمراجعتها . وصُورت التوراة المعروفة بالنسخة الفاتيكانية وطُبعت ونشرت . واضيفت الآلات اللازمة الى مرصد الفاتيكان وسلّمت ادارتهُ الى فلكي ماهر

وكانت وفاتهُ في التاسع عشر من شهر يوليو الساعة الرابعة بعد الظهر على اثر اعتلال طويل

اقتسام المسكونة

قام الفاتحون في سالف العهد ودوَّخوا الممالك فغنموا اموالها وسبوا سكانها او ضموها الى بلادهم فساسوها وجبوا منها الخراج وعبأوا الجنود . كذا فعل ملوك مصر وبابل واشور واقتفى خطواتهم ملوك اليونان والرومان ثم خلفاء العرب ولا تزال هذه المناظرة بين الشرق والغرب ولكن اهالي الغرب اي اهالي اوربا ونسلهم في اميركا قد حملوا على الشرق حملة عنيفة في السنين الاخيرة فامتلكوا افريقية كلها ما عدا مراكش والحبشة وطرابلس الغرب وكادت مصر تعدُّ من املاكهم لان لهم فيها السلطة التامة . وخرجت انكلترا من هذه المعمعة بثلاثة ملايين من الاميال المربعة ما عدا مصر والسودان . وفرنسا باربعة ملايين ميل . وكلٌّ من المانيا والبلجكا بمليون ميل واسبانيا والبرتغال بمليون ميل وايطاليا باكثر من نصف مليون . لكن ليس العبرة باتساع البلاد بل بما فيها من السكان والخيرات ولذلك فنصيب انكلترا من افريقية اكبر من نصيب غيرها وادسم

وفي اسيا وجزائرها سبعة عشر مليونًا من الاميال المربعة وقد كان النصيب الاوفر منها لروسيا كأنها ارادت ان تجبر ما نقصها في افريقية فنشرت لواءها على سبعة ملايين من الاميال المربعة . واكتفت انكلترا بمليونين ولكنهما من اغنى الاراضي واكثرها سكانًا . واخذت هولندا ٧٤٠ الف ميل وهي ايضًا بلاد غنية كثيرة السكان . وغنمت فرنسا واميركا بلادًا صغيرة .

وعيون الدول الاربع الكبرى اي روسيا وانكلترا وفرنسا والمانيا طامحة الآن الى الصين وكوريا وافغانستان وبلاد فارس وقد وضعت روسيا يدها على منشوريا . ولا يبقى دولة اسيوية مستعزَّة بنفسها وجارية مجرى الدول الاوربيَّة الاَّ اليابان على ضيق رقعتها . ويقال جملة ان عشرة ملايين ميل من اسيا صارت في يد الاوربيين الآن ولا يزالون يطلبون المزيد فروسيا والمانيا وفرنسا تترصَّد الممالك العثمانية وروسيا وانكلترا تراقبان ايران وافغانستان وتتناظران عليهما وفرنسا وانكلترا تتباريان على سيام ويبعد عن الظن ان تبقى تبت للصين زمنًا طويلاً فلا يبقى من اسيا خارجًا عن قبضة اوربا الاَّ اربعة ملايين ميل مربع





الشكل الاول

البقع السوداء هي الاراضي الكثيرة السكان التي يزيد سكان الميل المربع منها على ٦٤ نفسًا

والاراضي التي فيها خطوط مائلة متوازية لا تزال من المجاهل التي لم يعلم ما فيها وهي في افريقية واسيا واميركا الجنوبية واستراليا

اما الارقام فهي قيمة التجارة في كل قارة بالنسبة الى الميل منها ففي اوربا يخص الميل ٨٢٠ جنيهًا وفي اميركا الشمالية ٦٨ جنيهًا وفي استراليا ٤٦ جنيهًا وفي اميركا الجنوبية ٢٦ جنيهًا وفي اسيا ٢٠ جنيهًا وفي افريقية ١٥ جنيهًا

ومعلوم ان اميركا الشمالية والجنوبية صارتا للاوربيين ونسلهم فهم يملكون الآن اوربا كلها ما عدا قطعة صغيرة في شرقيها للدولة العثمانية . واميركا كلها من غير استثناء وافريقية كلها ما عدا مراكش وطرابلس الغرب وبلاد الحبشة ونحو ثلثي اسيا ولهم ايضًا استراليا واكثر جزائر البحر . ومساحة الارض الصالحة للسكن ٤٧ مليون ميل مربع واحد واربعون مليونًا منها خاضعة للاوربيين ونسلهم في اميركا وستة ملايين لغير الاوربيين ولكن كلمة الاوربيين نافذة فيها . واذا قسم الاوربيون الى سلاف وجرمان ولاتين وجدنا الجرمان يملكون ١٧ مليون ميل واللاتين

خمسة عشر مليون ميل والسلاف تسعة ملايين ميل

هذا من حيث مساحة الارض اما من حيث عدد السكان فاذا حسبنا سكان الارض ١٦٠٠ مليون نفس فسبع مئة وخمسون مليون نفس منهم خاضعون للجنس الجرماني (اي الانكليز والالمان والهولنديين الخ) و٢٥٠ مليوناً للجنس اللاتيني و١٧٠ مليوناً خاضعون للسلاف و٤٠٠ مليون خاضعون للصينيين و١٠٠ مليون للاتراك

ومن الغريب ان جانباً كبيراً من الارض لا يزال مجاهل كما ترى في الشكل الاول فان الاراضي المغطاة بالخطوط المتوازية لم يعرف ما فيها حتى الآن وبعضها اجتازهُ اهل السياحة





الشكل الثاني

كل ما فيهِ خطوط افقية من الشرق الى الغرب فهو اراضٍ صالحة للزراعة

وكل ما فيهِ خطوط عمودية من اعلى الى اسفل فهو اراضٍ لا تزرع لكنها تنبت نباتاً

وكل ما هو اسود فاحم فهو صحارٍ جرداء

وكل ما فيهِ نقط (وهو غرينلندا شمالاً والاراضي حول القطب الجنوبي) فهو مغطى بالجليد

وروَّاد الحضارة من طرف الى طرف ولكنهم لم يجولوا فيهِ حتى يتيسر لهم وصفهُ غير انهم باذلون الهمة في كشف مجهولاتهِ ومسح فيافيهِ ووصف ما فيها من حيوان ونبات وجماد

وتختلف الاراضي كثيراً في خصبها الطبيعي واستعدادها للعمران كما ترى في الشكل الثاني فالبلدان التي رُسمت فيها خطوط افقية متوازية من الشرق الى الغرب اراضيها صالحة للزراعة ومن ذلك القطر المصري وبلاد الراس والترنسفال وجانب كبير من اواسط افريقية وبلاد اوربا كلها وسيبيريا الاَّ اطرافها الشمالية وبلاد الهند والصين وشرقي استراليا والجانب الاكبر من اميركا الشمالية والجنوبية

والبلدان المغطاة بخطوط عمودية سهول لا تزرع و المغطاة بالسواد صحارٍ جرداء لا تنبت شيئاً . وهذان الشكلان يحتملان شرحاً آخر سنعود اليهِ في جزء تالٍ

خليل غانم

هو رجل من رجال سورية المعدودين ومن زعماء النهضة الحديثة الذين زرعوا ولم يجنوا ولكن لا بدَّ من ان يأتي زرعهم بالثمار في ابَّانها . ولد في بيروت سنة ١٨٤٦ ودرس في مدارس العازاريين في لبنان وذهب الى فرنسا سنة ١٨٦٨ وعاد منها فعيّن مساعد سكرتير لرشيد باشا والي سورية حينئذٍ . ثم جُعل ترجماناً للولاية وبدت حميتهُ الوطنيَّة في المقالات التي كان يكاتب بها الجرائد وفي المخابرات مع قناصل الدول الاجنبيَّة فانهُ كان يدافع فيها عن حقوق بلاده وحكومتها والَّف كتاباً في هذا الموضوع طُبع في احدى جرائد الاستانة

وكان مغرماً بآداب اللغة الفرنسويَّة ونظم فيها قصيدة طويلة عن حرب الاستقلال الايطالية ورفع قصيدةً أُخرى الى البرنسس كليوتلدا حين زيارتها لبيروت مع البرنس نبوليون

ولما كان اسعد باشا والياً لسورية قبل ارتقائهِ الى منصب الصدارة اعجب بهِ فاقنعهُ بالذهاب معهُ الى الاستانة وجُعل هناك رئيساً لسكرتيرية الصدر الاعظم وبقي في هذا المنصب سنتين من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧

ثم عين مندوباً عن ولاية سورية في مجلس المبعوثان سنة ١٨٧٧ واقترح مدحت باشا عليهِ وعلى اغوب باشا ان يساعداهُ في انشاء دستور يوافق الممالك العثمانية فانشىء هذا الدستور وبقي المترجم يناضل عنهُ الى آخر نسمة من حياتهِ . وحمل هو واحمد افندي الخطيب التركي على الحكومة العثمانية لنفيها مدحت باشا وقال قولهُ المشهور وهو "ان السلطان لا يستطيع ان يسترجع الدستور بعد ان منحهُ لشعبهِ" فأُمر بالرحيل عن الاستانة فسار الى باريس واقام فيها واشتغل بالتجارة ومكاتبة الجرائد الفرنسوية والانكليزية والعربيَّة والَّف كتابا عربيًّا في الاقتصاد السياسي . وكتاباً فرنسويًّا في السلاطين العثمانيين وهو في مجلدين كبيرين

وقد كان غرضهُ الذي يسعى اليهِ وضع دستور عام لجميع الرعايا العثمانيين ومنع الاجانب من المداخلة في شؤون المملكة العثمانية وكان صادق الوطنية اديباً انيساً لطيف المعشر توفي في ٢٣ يونيو الماضي اثر داء عياء ولهُ من العمر سبع وخمسون سنة واحتفل بدفنهِ في مونبارناس وادَّت فصيلة من الجنود الواجب في مثل تلك الحال لانهُ حامل نشان اللجيون دونور

ناموس النشوء في تقدم العمران

اشرنا في اواخر كلامنا في الجزء الثالث من مقتطف هذا العام الى وجود فروق يختلف بها الحيّ عن المجتمع في شأن الارتقاء والآن نحن آخذون في ذكرها ملخصةً فنقول :

في الارتقاء الحيويّ تتدرَّج حياة الفرد اختفاء وضياعاً في المجموع حتى تستغرق فيهِ. واما في الارتقاء الاجتماعي فالامر بالعكس أي ان حياة المجموع وقفٌ على حياة الفرد ابدًا . فلا تزال الاولى تهبط في سلَّم السيادة والاستقلال والثانية تصعد في مراقي الشأن والعلاء حتى تختفي حياة المجموع في حياة الفرد كأَنما الاولى تموت عن الثانية فداء

وبيانهُ موجزًا ان في هيئة الاجتماع العائلي الاولى كان وجود الفرد مختفياً أو مستغرقاً في وجود المجموع حتى لم يكن الاول يعرف باستقلالهِ الشخصي. وكانت حياتهُ وحقوقهُ وواجباتهُ وقفاً على خدمة العائلة . وكانت اعضاء العائلة مرتبطةً برباط الدين والسياسة خدَماً لسيدها وكبيرها. فكان يحق للاب ان يتخلى عن ابنهِ وهو طفل واذا كبر الطفل جاز لابيهِ ان يبيعهُ بيع الرقيق او يعاقبهُ حين العصيان بالموت . وكانت الزوجة كذلك مستعبدة لزوجها معدودة بمثابة الابنة. فلم يكن الزواج الا ناقلاً لها من عبودية الى أُخرى. ولم يكن يحق للفرد ان ينقل ملكهُ الى آخر مبايعةً حتى يحلف المتبايعان باحد اسلافهما ممن قد ماتوا قبل عدة قرون

وجملة القول لم يكن يجري شيء يشبه عقد البيع بين المتبايعين الفردين بل كان ذلك موكولاً الى مشيئة سيد يسمى باسم خاصّ. بل لم يكن للفرد في هاتيك الازمان تصوُّرٌ او خيالٌ لمعنى العقد على الاطلاق. وكان جلُّ ما يدركهُ ذهنهُ انهُ وُلِدَ لسيدهِ كالعبد يتصرف بهِ تصرُّف المالك بالمملوك

ولما ارتقت الهيئة الاجتماعية الى ما فوق ذلك من الاطوار السياسية بقي شيءٌ من ضياع الفرد في المجموع زمناً فكانت حقوق الفرد تنكر عليهِ الاَّ اذا كان عضوًا في الهيئة الحاكمة ولم يكن نصيبهُ من تلك الحقوق الشخصية الاَّ بعض الشيء . ففي عهد الجمهورية الرومانية واليونانية كانت مصلحة الفرد وقفاً على مصلحة الحكومة ولم يكن يتسنى للفرد ان ينال حظاً من حقوقهِ الاَّ بعد ان مضى على ذلك ازمان متطاولة وتقلبت على الامم احوال عديدة في جملتها ارتقاء الشريعة الرومانية ايام الامبراطورية الاخيرة فارتقت فيها اهمية حقوق التملك وشرائع العقود . ولما نشأ نظام الاقطاع (في القرون المتوسطة) كانت نسبة المزارع لمولاهُ مقرَّرة

محدودة بقوانين نظامية بما ورثت الامم لذلك العهد عن الشرع الروماني وبهذا الاعتبار كان لهذا النظام الميزة على ما سبقهُ من انظمة الشعوب

وفي اعتقاد المحققين من علماء الاجتماع ان هذه كانت النقطة التي ارتقت منها سيادة ارباب الاقطاع الى تألف الامة بما اتّسع للفرد من نطاق الحرية الشخصية الى حدٍ يفوق الحد الذي ارتقت فيهِ العشائر الاولى الى شعوب سياسيَّة. وقد كان للكنيسة الرومانية في ترقية الحرية الشخصية من هذا الوجه يدٌ كما كان لها في تمهيد اسباب الاتحاد بالجامعة الوطنيَّة العامَّة. ذلك ان الرهبانية كانت تؤيد الروح الجمهوري حتى في اثناء حكومة الاشراف فجعلت بنفوذها تقدُّمَ الفرد موقوفاً على استعدادهِ الشخصي وامتياز الفرد منوطاً بقواهُ العقلية وصفاتهِ الادبيَّة

وتقدم الصناعة ايضاً كان في جملة العوامل المؤيدة لحقوق الحرية الشخصية. فان الصناعة بتفرُّعها وتشعبها جعلت الفوز للافراد الممتازين بقواهم الشخصية ايًّا كانت طبقتهم حتى امست حقوق الفرد وهي الكلُّ في الكل بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً بين الناس وبعد ان كان الفرد يحيا لارباب الحل والعقد صار هؤُلاء يعدون حياتهم وقفاً على حياة الفرد

وهذا كلهُ على عكس الواقع في النشوء العضوي. ذلك اولاً لان حياة الجزء في هذا النشوء تُستغرَق تدريجاً في حياة المجموع حتى تختفي فيهِ. واما في الارتقاء الاجتماعي فليست حياة المجموع الاَّ تابعةً خادمة لحياة الفرد كما تقدَّم وثانياً لان ارقى حيوان او نبات هو الذي في اجزائهِ من الحرية اقل ما يستطاع. بخلاف المجاميع العليا من هيئة الاجتماع فان حرية الافراد فيها على اسمى درجاتها واوسع حدودها

وعلى ذكر هذا التفريق بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع يناسب ان نذكر هنا ان بعضهم زعموا ان الاجتماع ليس الاَّ نوعاً من انواع الاحياء بالذات فقالوا ان المدينة الجامعة تقابل قلب الحي وطرقها تقابل الاوعية الدموية فيهِ وان بضائعها الجوالة هي المواد المغذية السارية في البدن. وان النقود بمثابة الدم وان اسلاك الانباء اسلاك الاعصاب وان افراد سكانها تقابل اعضاء الحي المؤلف هو منها. فيقال في هذه المقابلات انها لا تخلو من سموّ الشأن في درس التاريخ وفنّ الاقتصاد فان سبنسر قد اورد كثيراً من هذه المقابلات الجامعة بين الفائدة والرشاقة الاَّ انها مع ذلك لا تخرج عن حدّ المقارنة التشبيهيَّة وليست في شيءٍ من وحدة الجنس. وكذلك ليتره مع ابداعهِ في تقريرهِ "ان نسبة الاقتصاد السياسي الى علم الاجتماع كنسبة وظائف التغذية الى علم الحياة" قد ابقى فسحةً وسيعةً بين الجسم الحي وهيئة الاجتماع. فان الفارق الذي لا يُفارق هنا هو ان الحياة الاخلاقية في الاجتماع في كلٍّ من

الاجزاء . واما في الجسم الحيّ فليست كلاً الاّ في المجموع

قال سبنسر في تحصيل هذه الاحكام الكلية الواردة في هذه المقالة

" من ذلك كلهِ يُرى ان التقدم حكم ضروريٌ لا اصطناعيٌ ولا اتفاقيٌ . وان التمدُّن بعض الطبيعة لا امرٌ خارج عنها على حد نشوء الجنين من الأُم وانتشار الزهرة من الكمّ . وكل ما طرأ او يطرأُ على النوع الانساني من التغيرات انما هو فعل ناموس عام يجري على الخلائق العضوية باسرها . فما دام الجنس البشري في الوجود وما دامت هذه النواميس على نظامها واحكامها فلا بدّ ان تنتهي هذه التغيرات ببلوغها ما يقرب من حدّ التمام. وقد عقَّب على ذلك بعضهم بقولهِ " كما يتنبأُ الفلكي عن الاحداث السموية يتنبأُ الاجتماعي ان ناموس الملاءمة سيبقى جاريًا على حكمهِ التدريجي في المستقبل السعيد الى ان تتمّ الموازنة او تكاد بين الامة ومحيطها فتحقق حينئذٍ اماني كل انسان بمفردهِ اذ يتم التوازن بين مطالبهِ ووسائل تحصيلها كما يتم الوفاق بين رغائبهِ ورغائب ذويهِ ومجاوريهِ . هذه هي الحجَّة العليا التي يحلم بها العقلاء والغرض الاقصى الذي يسعى وراءهُ الفضلاء . حقوق مقدسة ينالها كل فردٍ من الامة حسب قواهُ وواجباتٌ معينة يقوم بها للمجموع وهذا منتهى ما يتمنَّى المرء في دنياهُ "

هذا وربما عدَّ بعض القرَّاء ان كلَّ ما جاء في هذه المقالة هو من قبيل الحقائق المقرَّرة عند جمهور اهل العلم لا ردَّ عليها ولا تعقيب والواقع هو ان الباحث النزيه يرى لبعض ارباب النظر الدقيق مآخذ على بعض احكامها تستوقف المنصف عن القطع بها والاقرار عليها . وفي جملة ما رأيناهُ من ذلك على وجه الاجمال امران

الاول هو ان منشأ تلك الغيريَّة الباعثة على ارتقاء المجموع في رأي البعض ليس اجتماعيًا محضًا كما ادَّعاهُ هذا الفريق من الطبيعيين نشأ بمجرَّد التغيرات الضرورية الاجتماعية بل ان الغيرية فطرية في كل انواع الحيوان سابقة لارتقاء الاجتماع وعلة اصيلة للمبدإِ الاجتماعي لا نتيجة لازمة عنهُ في طورٍ منهُ كما يدَّعي اولئك . وان الغيرية التي يظهر انها ترتقي بارتقاء الاجتماع الطبيعي ليست هي الغيرية الحقيقيَّة الاساسية المقومة لاركان الآداب وهذا يسوق الى الامر الثاني وهو

الثاني ان ارتقاء هذه الغيرية بارتقاء الاجتماع على ما يقول سبنسر وتبَّاعهُ ليس على الحقيقة آيلاً الى صلاح العمران فانهُ يظهر من خلال هذا التمدن الجديد انانية مرتقية او شرٌّ مرتقٍ سيقوض اركانهُ ويقرض بنيانهُ كالسوس الناخر في الغصن الناضر حتى تكاد تلك الانانية الاولى الهمجية لا تعدُّ شيئًا بجانب هذه الانانية المدنية ويقولون ان ما نرى من روائع

هذه الحضارة وسواحرها وبدائعها ومفاخرها ليس الاَّ مرعًى نبت في الدِّمَن فلا يروق عاقلاً حتى تروق الدفين جودة الكفن . وان في مقاتل هذا العمران المترقي دفائن وبيلة وكوامن دخيلة ستهوي بهِ الى مهاوي الهلكة والدمار يريدون بذلك انانية ارباب السيادة والصولة والحول والاقتدار ورجال الغنى وملوك الاحتكار ويوقنون ان ناموس بقاء الانسب الطبيعي ليس هو المعتدي الباغي ولا هو العامل وحده على فناء الضعيف . وانما هو حجَّة المستأثر القاهر ومعذرة الطامع الظالم والقوي الجائر . ويعتقدون انهُ اذا قيض لابن المدنية صلاح او اصلاح فما هو نابت من هذه الارض ولا هو متأتٍ عن جانب البشرية المتقلبة بين طامع ظلاَّمٍ وبائس يولد في الشقاء ويعيش على الجيف ويموت كالانعام

ولقد وُلدنا كسائر المولودين من انسان وحيوان نرضع من الأُم لبانها ونغذى حبها وحنانها وننشأ على بذلها واحسانها ونحن نرى من حولها كل حيٍّ في الوجود يولد بهلاك غيرهِ ويحيا في مهاد الكرَم والجود. نشاهد الطبيعة بعين الفطرة الساذجة تحنو على بنيها وتجود بطيّب عناصرها حتى تحيا الارواح وتتغلَّى الابدان بما لا تعدلهُ الكنوز ولا يقوَّم بالاثمان . وكان جل ما سمعناهُ من افواه المربين من جانب السرير وعلى مائدة الطعام انهُ لولا الفدى ما عاش ولد وانهُ لا يحيا جسد حتى يفنى اسد . ثم دخلنا غرفة الدرس فحسبنا اشرف ما غُرِس في اعماق الفؤاد أن اسعاد المرء ذويهِ احق دين يوفيهِ. وان اكرم نبيل من مات في سبيل اخيهِ فلا يتصوَّر الذهن تعريفًا للخير الاَّ انهُ الايثار على الذات لنفع الغير. حتى اذا بلغنا طور المطالعة وتهيأ لنا النظر في شيء من الفلسفة ومذاهبها رأينا نفرًا عاشوا بالاحسان ولولا الاحسان ما عاشوا ينادون ان الغيرية وما تطويهِ من مكارم الانسانية ان هي الاَّ اضغاث احلام وبنيَّات اوهام بل غوايات المنابر ونفايات الايام وان الفلسفة تنفيها والعلم سيفنيها فقلنا ما عسى ان يكون حال الدنيا على هذا يا ربَّاهُ اهذا يكون مآل الولد ومن ربَّاهُ أحلمٌ هو الذي يتجلَّى من شريعة الطبيعة وسنَّة الوجود حتى ينقلب النفع ضرًّا والخير شرًّا . ام هو الانسان الكفور شرُّ ما ربَّت الطبيعة وافسد من دبَّ على الارض يجحد النعمة وهي حياتهُ ويكفر بالرحمة وبدونها مماتهُ . ثم لجَّ بنا داعي البحث والتنقيب فوقفنا على اقوال متفرقة لاهل العلم الطبيعي والفلسفي تنفي ما عزاهُ الانانيون للعلم وهو منهُ براء كالقول بطروء الآداب ونفي الالزام الادبيِّ وان اللذَّة غاية والفضيلة وسيلة الى ما يلحق بذلك من هادمات دعائم العمران على ما ننوي تلخيصهُ ونشرهُ ان شاء الله

دمشق مترى قندلفت

منزلة الشعر من التاريخ

﴿١٩﴾ الصداق

اما الصداق عندهم فكان الرجل يسوقهُ الى المرأة وهو في الغالب من النياق . وقد ذكر عنترة العبسي ما كان من امرهِ في طلب الصداق قال

ترى علمت عبيلة ما أُلاقي   من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بالربا والمكر عمي   وجار عليَّ في طلب الصداقِ
فخضت بمهجتي بحر المنايا   وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوق والرعيان وحدي   وعدت اجدُّ من نار اشتياقي

ولم يكن الصداق محدودًا فكان حسب تراضي الفريقين . ولذلك نجد جريرًا يعين مهر بنات قومهِ سبعين ناقة بدليل ما قالهُ في احدى قصائدهِ رادًّا على الفرزدق

سبعون والوصفاء مهر بناتنا   اذ مهر جعثنَ مثل حبِّ البندقِ (١)

وكثيرًا ما تكون قلة المهر دليل ذلَّة المهورة قال جرير

لقد جُرّدت يوم الحداب نساؤُكم   فساءت مجاليها وقلَّت مهورُها

﴿٣٠﴾ استخدام الاماء والعبيد

لاخلاف في ان العرب كان عندهم الاماء والعبيد والخدام قال عروة بن الورد " واني عبدٌ عندهم وابي عبدُ " وقال سبرة بن عمر الفقعسي

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها   تظنُّ اماءً والاماء حرائرُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

فلعلي ان يكثر المال عندي   ويعرَّى من المغارمِ ظهري (٢)
وتُرَى اعبدٌ لنا واواقٍ   ومناصيف من خوادم عشرِ (٣)

وقال عمر بن كلثوم التغلبي

بأي مشيئة عمرو ابن هند   تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

---

(١) الوصفاء جمع وصيف وهو الغلام المملوك . وجعثن اسم اخت الفرزدق
(٢) المغرم ما ينوب الانسان في مالهِ من ضرر لغير جناية كتحمل الديات والاطعام في النائبات
(٣) المناصيف جمع منصفة وهي الخادمة

تهدّدنا وتوعدنا رويدًا متى كنّا لأُمك مقتوينا(٤)

وقال عدي بن زيد

متكئًا تُصفَقُ ابوابُهُ يسعى عليهِ العبد بالكوُبِ(٥)

٣١ الصبوح والغبوق

وكانوا يشربون اللبن ويعاقرون المدام اما صباحًا ويدعونهُ صبوحًا قال عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا(٦)

واما مساء ويدعونهُ غبوقًا قال عنترة العبسي

كذب العتيق وماء شن باردًا ان كنت سائلة غبوقًا فاذهبي(٧)

وقال المخبل السعدي

واهلكني شيبان في كل شتوة لقلبيَ من خوف الفراق وجيبُ(٨)

اشيبان ما ادراك ان رب ليلة غبقتك فيها والغبوق حبيبُ

وكان الغلمان يطوفون بكؤُوس المدام قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس محتلق الذفرى شديد الحزامْ

وكذلك كانت القيان يتعاطين سقي الشراب قال عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يومًا فجاءت قينة في يمينها إبريقُ

٣٢ الغناء

وكان للغناء عندهم شأن وكانت القيان ذات براعة بهِ قال طرفة عمرو بن العبد

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسدِ(٩)

اذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدَّدِ(١٠)

وكنَّ يستعملن آلات فمن ذلك "المزهر" قال احيحة بن الجلاح الأوسي

(٤) المقتوي الخادم والزوزني في شرح المعلقات بقول القتو خدمة الملك

(٥) صفق الباب أُغلق ورد او فتح . الكوب كوز مستدير الراس لا عروة لهُ ولا خرطوم

(٦) الصحن القدح العظيم (٧) كذب وجب . ومعنى البيت عليك بأكل العتيق وهو التمر اليابس وشرب الماء البارد ولا تتعرضي لغبوق اللبن وهو شربهُ عشيًا

(٨) شيبان بفتح الشين وكسرها . قال الجوهري شيبان وملحان شهرا قماح وهما اشد الشتاء بردًا سميا بذلك بما عليها من الثلج والصقيع وهما الكانونان . والوجيب الخفقان

(٩) ندامى جمع ندمان وهو النديم . والقينة الامة المغنية . والمجسد الثوب المصبوغ بالجسد وهو الزعفران

(١٠) على رسلها اي على وقارها . والمطروقة التي بها ضعف

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهوة وشاربها

" والصنج " قال الاعشى ميمون

ومستجيبًا تخالُ الصنج يسمعهُ اذا ترجعُ فيهِ القينة الفُضُلُ (١)

" والقصّاب " قال رؤبة " في جوفهِ وحي كوحي القصّاب (٢) " وقال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسميـ ـن والمسمعات بقُصّابها (٣)

" والعود " قال ابن مقبل

فضلى تنازعها المحابضُ رَجْفها حذّاء لا قطع ولا مصحال (٤)

وقال النمر بن تولب

قامت تباكى اذ سبأت لفتية زقًا وخابية بعود مقطعِ (٥)

وكان العزيز المبجل اذا قدم من سفر خرجت الاماء لاستقبالهِ ينشدن الاهازيج المطربة. ولما دخل النبي مكة يوم الفتح استقبلتهُ اماء مكة يصفقن ويقلن

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع (٦) وجب الشكر علينا مادعا لله داع

وكان الرجال ايضًا يشتركون بكل ذلك وكانوا يسمون الضرب بالدف والغناء قلسًا وتقليسًا وقيل ان التقليس هو استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو قال الكميت يصف ثورًا طعن في الكلاب فتبعهُ الذباب لما في قرنهِ من الدم

ثم استمرّ تغنيهِ الذباب كما غنّى المقلس بطريقًا بمزمارِ

وكانوا في الاسفار يتخذون الحداء باعث تنشيط ابلهم وتجديد قواهم ويتداولونهُ الواحد بعد الآخر ولطالما اتخذوا الحداء وسيلة للتعريض باشياء قال الحطيئة

فلم اشتم لكم حسبًا ولكن حدوت بحيث يستمعُ الحداء

وكثيرًا ماجرّ ذلك التعريض سفك الدماء كما كان من حداء زيادة بن زيد بن مالك وهدبة بن خشرم وحديثهُ طويل اثبتهُ الاصبهاني في الاغاني

٣٣ مزج المدام

اختلفوا في المدام هل الاولى شربها صرفًا او ممزوجة قال حسان بن ثابت في الصرف

---

(١) امراة فضل اذا كانت متنضلة في ثوب واحد (٢) القصاب المزمار

(٣) الجلّ الورد فارسي معرب . والقصاب جمع قاصب وهو الزامر (٤) اي منقطع عن الضراب

(٥) المحابض اوتار العود . ورجعها جوابها والمراد بالجواب هنا صوتها . حذاء قصيرة . والقطع المقطوعة والمصحال ذات البحة (٦) الوداع وادٍ بمكة وثنيات الوداع منسوبة اليهِ

ان التي ناولتني فرددتها قُتِلت قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصلِ

وعابت اخت جذيمة الابرش ما كان من تعاطي اخيها الصرف اذ قالت لهُ

ذاك من شربك المدامة صرفًا وتماديك في الصبي والمجونِ

وقد امتدح حسان الممزوجة بقولهِ

كأَن سبيئة من بيت رأْس يكون مزاجها عسل وماه

قال الشيخ عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب " انما اشترط ان يمزجها لانها خمر شامية صليبة فان لم تمزج قتلت شاربها . وخصَّ العسل والماء لان العسل احلى ما يخالطها وانهُ يذهب بحرارتها واما الماء فيبرّدها ويلينها "

وقيل ان الخمرة الممزوجة كانت شراب الملوك ولذلك عابت اخت جذيمة اخاها لعدولهِ عن عادة امثالهِ بشربهِ لها صرفًا . والى هذا يذهب من يقول ان رأْسًا في قول حسان " كأَن سبيئة في بيت رأْس " بمعنى رئيس لا انهُ اراد بيت رأْس اسم القرية التي في ناحية الاردن من الشام وكانت هذه القرية مشهورة بجودة الخمر وفيها مانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك واليها اشار النابغة الذبياني في قولهِ

نمين قلالهُ من بيت راس الى لقمان في سوق مقامِ

وقد عللوا مزج الخمرة بكراهية اخراجها لهم عن عقولهم في معاطاتها صرفًا قالوا والى ذلك اشار عدي بن زيد بقولهِ

ربَّ ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالِ

فانهُ يكني بركب يشربون الخمر بالماء الزلال عن الملوك الذين كانوا في عصرهِ . ولعدي ايضًا من قصيدة اخرى قولهُ

فدعا بالصبوح يومًا فجاءَت قينة في يمينها ابريقُ
قدَّمتهُ على عُقارٍ كعين الـ ديك صفّى سلافها الراووقُ (٧)
ثم كان المزاج ماء غمام غير ما آجنٍ ولا مطروقُ

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي يصف شربهُ

أَلا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحصَّ فيها اذا ما الماء مازجها سخينا (٨)

(٧) العقار الخمر · والراووق المصفاة (٨) مشعشعة اي ممزوجة بالماء · والحص الزعفران ·

﴿ ٣٤ ﴾ نضح الخيل بالخمر

وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهنَّ وبايديهنَّ زجاجات الخمر فينضحن جيادهم بها قال حسان بن ثابت

تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

﴿ ٣٥ ﴾ الرايات

وكان لكل قبيلة راية يرفعونها ويدعونها ايضاً عَلَماً ولواء قال ابو زيد الطائي

وانا فوق كل مجد لواء فاضل في التمام كلَّ لواء

وقال عنترة بن شداد العبسي

ولقد عدوت امام راية غالب يوم الهياج وما عدوتُ باعزلِ

وكان اللواء لا يدفع الاَّ الى صنديد مقذَّف قال النابغة الذبياني

لهم لواء بكفَّي ماجد بطل لا يقطع الخرق الاَّ طرفهُ سامي

وكانت الويتهم ذات رسوم قال النابغة الذبياني

فوارس من منيلة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقابُ

يريد بالعقاب راية عليها رسم العقاب . وكان بعضهم يغزون متساندين اي من اقوام متعددة وحينئذٍ يسمون اشائب ولم يكن ذلك بالممدوح قال النابغة الذبياني

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزت كتائب من غسان غير اشائبِ

ولكنهم كانوا لا يرون في ذلك عيباً اذا كان عددهم عظيماً كما قالت ليلى بنت لكيز التغلبي في تحريض قبائل عديدة مستصرخة اياهم لينقذوها من يد الاعجام

قل لعدنان فديتم شمروا لبني الاعجام تشمير الوحى

واعقدوا الرايات في اقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى

يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى

وكانوا فضلاً عن تميزهم بالرايات يتخذ كل قوم منهم (شعاراً) اعني نداء خاصاً قال النابغة

مستشعرين قد الفوا في ديارهم دعاء سوع ودعميٍّ وايوبِ

امين ظاهر خير الله

سخينا اي جدنا وكان من عادة العرب اذا انتشوا ان يجودوا قال عنترة

واذا سكرتُ فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلمِ

واذا صحوت فلا اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

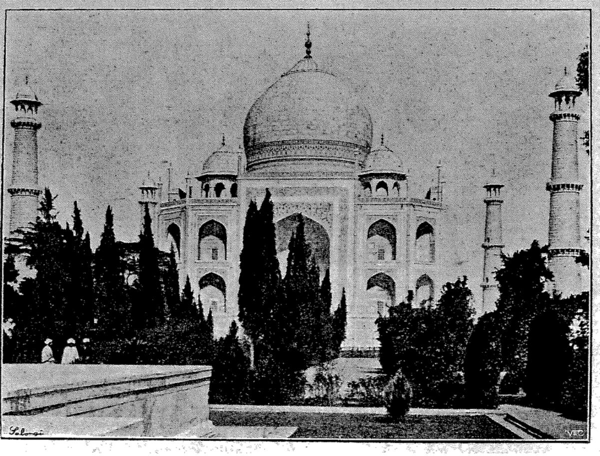
التاز وبانيهِ

ليس من تلك المباني بل جوًى في قلب عاهلْ
تخِذ الجوهر متناً والحواشي من جنادلْ
من حجار احكمت اشكا لها تلك الشمائلْ
يتجلّى في سناهُ مثل بدر في المنازلْ
او نفوس من ذكاء الا عقل باتت في هياكلْ
او فتاة ذات دلٍّ تتهادى في غلائلْ
اسفرتْ فالقلب مني بين ولهان وواهلْ
وبعينيَّ خشوعٌ وارتجاف في المفاصلْ
وبانفاسي على وجدي تولاّني دلائلْ
ذلك التاز الذي فاقت بهِ الهندُ الاوائلْ

قال بعضهم "اذا بلغت مدينة اكرا في ليلة قمراء فحثّ الركاب الى التاز. ولو كان وصولك اليها في الهزيع الاخير من الليل". وقال آخر "ان كل ما كُتب عن التاز منذ مئتين وخمسين سنة اي منذ بنائهِ الى الآن لا يفي بوصفهِ وستمضي مئتان وخمسون سنة اخرى قبل ان يقوم مَن يقوم بذلك". وقال القس اوروك في كتابهِ عن الهند "ما هو التاز" ثم اجاب بما ترجمتهُ "مدفن امرأة مدفن زوجة ملك عظيم مدفن زوجة هام بها زوجها مدفن لها ولهُ بناهُ اجابةً لطلبها لكي يدفن فيهِ الى جانبها

"يمتاز التتار بتأنقهم في بناء مدافنهم فقد بنى كل ملك منهم مدفناً لنفسهِ. والتاز من بناء شاه جهان حفيد السلطان جلال الدين محمد الملقّب باكبر اقامهُ لزوجتهِ ممتاز زماني ولنفسهِ

"على ميلين من المدينة باب كبير كأنهُ من بناء الجبارين يذهل الناظر اليهِ ويستحق ان تشد اليهِ الركاب من شاسع الاقطار فاذا مررت فيهِ رأيت امامك جنّة يانعة في ظل ظليل وماء نمير. سرو باسق وماءٌ دافق ومنفرج امامهُ دكتان الواحدة فوق الاخرى السفلى من الحجر الاحمر علوها عشرون قدماً واتساعها الف قدم في مثلها عرضاً والعليا من الرخام الابيض علوها خمس عشرة قدماً واتساعها ثلاثمئة قدم في مثلها عرضاً وعلى زواياها الاربع اربع مآذن من الرخام. والتاز بينها قناطر وسيعة وقباب رفيعة تنظرها عن بعد فتستصغرها ولكن لا تلبث ان تدنو منها حتى تراها تزيد فخامة ومهابة وجمالاً وجلالاً كأنها من تزاويق الخيال بل من بيوت



التاز مدفن ممتاز محال

المجد ذوات العمد الطوال. جدرانها مرصعة بالجواهر وقبابها مبطنة بالنضار الناضر ووراءها نهر الجمنا يسيل ماؤُهُ كذوب اللجين . ولا تظهر عظمة التاز في جزءٍ من اجزائهِ اذا شوهد على حدة لما فيهِ من دقة الصناعة ونحافة النقش فتضيع معها فخامة البناء لأن العقل والاختبار لم يعتادا رؤْية هذه الدقَّة مع هذه الفخامة . فهو من بناء الجبارين وصوغ الصاغة الماهرين حلية لخيمة قاعدتها ١٨٦ قدماً مربعةً وارتفاعها مئتا قدم أُنفق عليها اكثر من مليونين من الجنيهات تسمع الاصداء تحت قبابهِ كاشجى الانغام لانهُ خاوٍ خالٍ ليس فيهِ غير قبر وما حواهُ من رغام"

وقال القس هتشنصن في كتابهِ الحديث عن ملوك العالم "التاز حلم في رخام كما قيل على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اكرا انشأَهُ السلطان شاه جهان مدفناً لزوجتهِ ارجمند بنو بكم الملقبة بممتاز محال التي توفيت سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمهُ نادرشاه ملك الفرس ونقلهُ الى بلاد فارس وكان فيهِ الماسة الشهيرة المعروفة بقوه نور اي جبل النور وهي الآن من جواهر ملوك الانكليز

"والتاز مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر كريمة في جدرانهِ عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأَنها حواشٍ لما تحيط بهِ من النقوش وفي الغرف الاربع التي على زواياهُ صفائح كبيرة من الرخام الابيض عليها ازهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهارًا طبيعيةً وفي الزهرة الواحدة مئة حجر كريم او اكثر . وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى ضمن درابزون من المرمر وفوق كل ركن من اركانهِ الاربعة قبة مثل القبة العليا شكلاً على قناطر دقيقة والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة"

وكتب المستر هقل من مدرسة الفنون في كلكتا مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر بحث فيها عن باني التاز بحثاً مستفيضاً قال فيهِ" الشائع ان باني التاز بنَّاء ايطالي ومزخرفهُ نقَّاش فرنسوي كانا في خدمة شاه جهان . الاَّ ان هذا مبنيٌّ على ظنون ليس لها سند تاريخي . والاوربيون ومن يحذو حذوهم من الهنود اهل النشأَة الجديدة يخطئون في حكمهم على الفنون الهندية ولا يقدرونها قدرها لانهم لا ينظرون اليها بكل ملابساتها ولا يجرّدون انفسهم عما رسخ فيها من احتقار الفنون الشرقية . وكأَنهم نسوا ان صناعة التصوير والنقش في بلاد الهند متصلة بصناعة البناء لانها قائمة بزينتها فهي غير مفصولة عنها كما هي مفصولة في اوربا حيث انحطت صناعة التصوير حتى صارت واسطة لتزيين غرف الاكل والاستقبال

"والتاز منتهى ما وصلت اليهِ الفنون الهندية فاذا ثبت ان بانيهُ وناقشهُ من الاوربيين

ثبت ان الصناعة الهندية لا تبلغ حدها من الاتقان الاَّ اذا ساعدها ذكاء الصناع الاوربيين . وعليهِ وجب ان نبحث في الادلة التاريخية التي تثبت ما تقدم من ان باني التاز ايطالي وناقشهُ فرنسوي . ومن المحقق ان الذي انشأ التاز هو شاه جهان انشأهُ مدفناً لزوجتهِ ممتاز محال التي توفيت نفساء سنة ١٦٢٩ فحزن عليها حزناً مفرطاً وعزم ان يبني لها مدفناً يكون اعجوبة الزمان فاستدعى امهر بنائي سلطنتهِ من شيراز وبغداد وسمرقند وامرهم ان يصنعوا لهُ رسوماً واختار واحداً منها وامر صانعهُ ان يصنع لهُ مثالاً من الخشب ثم بني التاز على هذا المثال

" اما هذا البنَّاء او المهندس فمؤرخو الهنود متفقون كلهم على ان اسمهُ الاستاذ عيسى ثم اختلفوا في وطنهِ فقال بعضهم انهُ شيرازي وقال غيرهم انهُ رومي. وشكل التاز يدلُّ على ان بانيهُ شيرازي ولكن يحتمل انهُ اقام في القسطنطينية عاصمة بلاد الروم واستخدمهُ سلاطين آل عثمان قبل بنائهِ للتاز . وخالفهم الاب منريك الكاهن الاسباني الذي رأى التاز بعد الشروع في بنائهِ بعشر سنوات وقال ان بانيهُ رجل من اهل البندقية اسمهُ جيرونيمو ڤرونيو "

واورد الكاتب ادلة كثيرة على نقض هذا الخبر مما لا محل لاستيفائهِ هنا . وقال انهُ كان للتاز بابان من الفضة النقية أُنفق عليهما ١٢٧ الف ربيَّة نُزعا وصُهرا لما نهب الجات مدينة آكرا . والدرابزون الذي حول القبر كان اولاً من الذهب الابريز مرصعاً بالجواهر فمن المحتمل ان يكون شاه جهان استخدم اوستن الصائغ الفرنسوي في صياغة البابين والدرابزون ولكن مَن يمعن نظرهُ في المباني الكثيرة التي بنيت في ايام السلطان اكبر وما بعدهُ الى ايام شاه جهان وما فيها من بديع النقش والزخرفة يجد انها كلها شرقية نشأت وارتقت في بلاد المشرق فان العرب كانوا اولاً يبنون مبانيهم من الاجر ويغطونها بقطع من المرمر المختلف الالوان منظومة من اشكال هندسيَّة لانهم كانوا من السنيَّة الذين لا يجيزون رسم الصور فلما وجدوا حجارة البناء من الرخام ابطلوا اسلوبهم الاول وجعلوا يزخرفون الرخام بالنقش والترصيع ثم لما وصلت هذه الصناعة الى الشيعة وهم لا يحرّمون تصوير الصور تركوا الاشكال الهندسيَّة ورسموا بدلاً منها الصور الطبيعيَّة. وشاع ذلك قبل بناء التاج كما يرى في مدفن اعتماد الدولة جد السلطانة ممتاز محال فانهُ مغطًّى بالنقش المسمى بالمطيف وفيهِ المزاهر واشجار السرو واشكال مختلفة من الازهار . وتاريخ بنائهِ سنة ١٦٢٢ والتاز اكثر اتقاناً من مدفن اعتماد الدولة من هذا القبيل لان مدفن اعتماد الدولة تمثّل فيهِ الصور الفارسيَّة تمثيلاً واما التاز فالصور التي فيهِ تمثل الاشكال الطبيعيَّة نفسها اجابةً لطلب شاه جهان الذي اراد ان يكون مدفن زوجتهِ اجمل ما صُنع في الدنيا

وقد وجد الكاتب صوراً كتب عليها السلطان جهانجير والد شاه جهان في السنة التاسعة عشرة من ملكهِ انها من عمل الاستاذ منصور امهر مصوري عصرهِ وفيها رسم رجال بلاطهِ وبعض الطيور الهنديَّة وهي في غاية الاتقان وقد صنعت سنة ١٦٢٤ اي قبل بناء التاز بست سنوات وأُطر ثلاث منها منقوشة نقشاً يماثل نقش التاز حتى ان من يراها ويرى التاز يثبت لهُ ان ناقشهُ فارسي لا اوربي او انهُ اتَّبع الاسلوب الفارسي لا الاسلوب الاوربي. ولعل رسوم التاز منقولة عن رسوم هذه الصور. اما الصنَّاع الذين كانوا يعملون تحت يد مهندسهِ فهنود كلهم على ما يظهر من اسمائهم وكانوا من اساتذة الفن لان اجرة الواحد منهم على ما في السجلات الهنديَّة من مئتي ربيَّة الى ثمانمئة ربية

وخلاصة ما تقدم ان باقي التاز الذي رسمهُ وشارف بناءهُ رجل فارسي يقال ان اسمهُ الاستاذ عيسى ولا يعرف من امرهِ غير ذلك

ثم انتقل الكاتب الى وصف التاز وقال انهُ حلية من الحلى وصورة عقلية تجسمت في الرخام والحجارة الكريمة واودر ابياتاً في وصفهِ للسر ادون ارنلد وهي التي ترجمناها ونظمناها في صدر هذه السطور. وختم مقالتهُ بما ترجمتهُ

ان ما ذكرهُ الشاعر هنا ليس تصوُّراً عقليًّا استنبطتهُ المخيلة بل وصف حقيقة يدلُّ التاز عليها فان شاه جهان ومهندس التاز ارادا ان يمثّلا بهِ جمال ممتاز زماني وكمالها. والذين رأوهُ وانتقدوا بناءهُ بقولهم ان فيهِ نحافة نسائية اصابوا كبد الحقيقة في قولهم ومدحوهُ وهم يقصدون ذمهُ فان رسمهُ وبناءهُ ونقشهُ وزخرفتهُ كل ذلك مقصود بهِ ان يمثل تلك الغانية البديعة الجمال الذكية الفؤَاد بل هو شخصها بجمالها ودلالها وقدها واعتدالها وهي لا تزال واقفة تتهادى على ضفة الجمنا يهبُّ عليها نسيم الصباح ويجللها نور الاصيل او هو دليل احترام الهند لجمال نساء الهند

هذا وقد بحثنا في العام الماضي عن مقياس الشهرة عند كتَّاب العرب فنظرنا في كتب التراجمات وجمعنا اسماء الذين يدور ذكرهم على الالسنة وتُعمر بهم اندية الادب فاذا هم الامراء والشعراء والفقهاء وعدد قليل من الاطباء وعلماء اللغة وليس بينهم تاجر او مهندس او مدير عمل او مستنبط صناعة كأن اسباب المعاش ودعائم العمران من سقط المتاع حتى لا يستحق اربابها ان يذكروا بين اعيان الامَّة. والظاهر ان هذا الشان طرأ على بلاد الهند ايضاً بعد وصول العرب اليها فكانت نتيجتهُ ان العمران الذي ورثوهُ لم يدم الاَّ مقدار ما قاوى مخالب الدهر وعناصر الانحلال. ولا يتعذَّر اكتشاف السبب الاكبر لذلك لان الذين نخرهم الاكبر في شن الغارات وتنميق العبارات لا ينبغ منهم غير رجال السيف ورجال القلم

آثار البهنسى العلمية

البهنسى مدينة صغيرة معروفة بين بني سويف والمنيا كانت من المدائن العظيمة في زمن الفتح كما تدلُّ آثارها الكثيرة وقد ذكر الواقدي خبر فتحها فملأَهُ بالمبالغات حتى كأنهُ قصد تأليف رواية فكاهية لا ذكر حادثة تاريخيَّة فقال خرج صاحبها واسمهُ البطليوس لملاقاة خالد ابن الوليد في عشرين الف فارسٍ وخمسين الف راجل والف وثلثمئة فيل وكان في المدينة مؤُونة تكفي اهلها وما فيها من الجيوش عشر سنوات وكان للمدينة سور يمشي عليهِ خيَّالان متكاتفان . الى ان قال انهُ استشهد فيها يوم فتحت خمسة آلاف من اصحاب الرسول وانهُ قتل من الروم حينئذٍ ثلثمئة الف وصالح خالد من بقي من اهلها على الف الف مثقال من الذهب والف الف اوقية من الفضَّة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير . ثم نكث اهل المدينة عهدهم فقتل خالد منهم ثلاثين الفاً واسر عشرين الفاً وصاروا يجرُّون القتلى في المركبات ويطرحونهم كراديس في الحفر. الى غير ذلك من المبالغات التي لا يصدقها عاقل. ومهما كان اصل هذه هذه الروايات فلا شبهة في ان البهنسى كانت من المدن العظيمة في زمن الفتح وانها كانت من اعظم مدائن النصرانية

ونقل علي باشا مبارك في خططهِ ان مسطح ارض البهنسى كان نحو الف فدان وقال ان المقريزي اطال الكلام عليها في خططهِ فذكر انهُ كان يعمل فيها الستور البهنسيَّة ونسيج المطرَّز والمقاطع السلطانيَّة والمضارب الكبار والثياب المحبَّرة وكان ما يعمل بها شيء من الستور يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعاً وقيمة الزوج منهُ مئتا مثقال ذهب واذا صُنع بها شيء من الستور والاكسية من الصوف او القطن فلا بدَّ من ان يكون فيها اسم المتخذ لهُ مكتوباً . وكانت وقت فتح بلاد مصر حصينة الاسوار منيعة الابراج وكان لها اربعة ابواب في الجهات الاربع لكل باب ثلاثة ابراج وكان بها اربعون رباطاً وكنائس وقصور فلما أُخذت بالفتح تغيَّرت معالمها واندرس كثير من آثارها . واكثر اعمدة الجوامع القديمة أُخذت من كنائسها وهي معابد المصريين الاول . الى ان قال " فلو ازيلت الرمال عن انقاضها لظهر من آثارها اشياء كثيرة تنبيءُ عن تواريخ مدة الرومانيين واليونانيين وغيرهم "

هذا ما ذكرهُ علي باشامبارك في خططهِ وقد تحقق قولهُ الآن على اكثر ممَّا ظنَّ فكشف اهل النقب بين انقاض البهنسى كتابات كثيرة من عهد اليونان والرومان واهم ما كشفوهُ

الكتاب المعروف باللوجيا او اقوال المسيح استخرجوهُ من ارضها سنة ١٨٩٧ فكان لهُ اعظم شان في الدوائر العلميَّة والدينية

وقد كتب المستر غرنفل والمستر هنت الباحثان الشهيران يصفان ما كُشف حديثًا من الكتابات اليونانية واللاتينية في آثارها فقالا

رجعنا الى البهنسى في شهر فبراير الماضي حيث كان من نصيبنا ان نجد مجموعًا كبيرًا من صفائح البردي اليونانية سنة ١٨٩٧ . وقصرنا النقب هذه النوبة على تلّين فنزعنا الردم منهما حتى وصلنا الى الارض المبللة بماء النيل حيث لا يرجى وجود صفائح سليمة لو كانت هناك واكملنا نزع الردم منهما في ستة اسابيع فوجدنا مقدارًا كبيرًا من صفائح البردي من القرون الاربعة الاولى حتى كأَن التلين نفايات مكتبة كبيرة حافلة بالكتب الادبية والدينية. وقد وصلت هذه الصفائح الآن الى مدرسة اكسفرد وقرئَ بعضها وفي جملتها مجموعة اقوال المسيح وهي من القرن الثالث ولغتها تشبه لغة اللوجيا التي كشفت في البهنسي سنة ١٨٩٧ وبعض هذه الاقوال وارد في اماكن اخرى كقولهِ "ان ملكوت الله داخلكم" وقولهِ "كثيرون اولون يكونون آخرين وآخرون اولين" . وبعضها جديد لم يرَ من قبل ولها مقدَّمة يقال فيها "الاقوال التي قالها المسيح الرب الحي لاثنين من تلاميذهِ" . وبعض هذه الاقوال مختوم بقولهِ "من يتعجب يملك ومن يملك يستريح" . وقد استشهد اكليمدضس الاسكندري بهذه العبارة وقال انها واردة في انجيل العبرانيين . فمن المحتمل ان هذه الاقوال كلها مقتبسة من هذا الانجيل او من انجيل المصريين اما نحن فنرجح ان هذه الاقوال والاقوال الاولى التي في اللوجيا كان كلٌّ منها مجموعًا في كتاب على حدة ومحسوبة كانها اقوال المسيح

ووجد بُردي مكتوب باللاتينية من القرن الثالث فيهِ ملخص بعض كتب ليڤيوس اعظم مؤرخي رومية. وكتب ليڤيوس التي بعد الكتاب الخامس والاربعين مفقودة الآن لا يوجد الاَّ ملخصها اما الملخص الذي وجد في البهنسي ففيهِ زبدة الكتاب السابع والثلاثين الى التاسع والثلاثين وزبدة الكتاب التاسع والاربعين الى الخامس والخمسين . والذي لخص هذه لم يختر الحوادث التي اختارها صاحب الملخص المعروف . والملخص الذي وجد الآن كتب عليهِ احد المسيحيين جانبًا كبيرًا من الرسالة الى العبرانيين فهي اقدم ما وجد من العهد الجديد مكتوبًا على ورق البردي . ووجد بين هذه الصفائح ايضًا جانب من سفر التكوين فهو اقدم ما وجد من نسخ التوراة حتى الآن

ومَّما قرئَ من الكتابات غير الدينيَّة

(١) اناشيد كتبت في القرن الاول قبل المسيح من نظم شاعرة لعلها كورنا معلّمة بندار وعلى الجانب الآخر من ذلك البردي مقاطيع كثيرة من نظم الشعراء ليونيدس وانتيباتر وامنتاس وكلها جديدة لم تعرف لهم قبلاً

(٢) محاورة فلسفيَّة بين الطاغية فيسستراتس وبريفور وصولون وغيرهم من المشاهير

(٣) بردي من القرن الثاني فيهِ ابتهالات لالهة ذكرت اوصافها وقيل انها كانت معبودة في مصر وفي كل المسكونة وعلى الجانب الآخر من هذا البردي وصف علاج شافٍ استنبطهُ امهوتر وهو بمثابة اله الطب عند اليونان

ومن رأي الكاتبين ان تلال البهنسى لا تنقب كلها في اقل من ثلاث سنوات ولا بدَّ من ان يكشف فيها كثير من الكنوز العلميَّة فعسى ان تهتم الحكومة بحفظها من ايدي المتلفين الى ان تصل اليها ايدي العلماء المدققين

شرح الاحكام الشرعية

في الاحوال الشخصية

الشريعة الاسلامية واسعة النطاق كثيرة الفروع دقيقة الاختلافات صعبة المنال لوجود اصولها متفرقة في كتب القوم ولتشعُّب المذاهب فيها. وقد قضي الطلاَّب قروناً عديدة يستقونها من المصنفات الكبيرة كابن عابدين والبحر والنهر والزيلعي وغيرها مما يستغرق تصفحهُ السنين الطوال ناهيك عن درسهِ بامعان ودقة حتى خطر للمرحوم قدري باشا ان يجري فيها مجرى الغربيين في كتبهم القانونية فجمع الاحكام الشرعية المختصة بالاحوال الصحية والمعاملات ورتبها في مواد لسهولة حفظها ومراجعتها . والكتاب الذي امامنا هو الجزء الاول من شرح لكتاب المرحوم قدري باشا المسمَّى بالاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية وضعهُ حضرة العالم المحقق الشيخ محمد زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية في مدرسة الحقوق الخديوية توخَّى فيهِ تقريب هذه الاحكام من الطلبة مقتصرًا على ما تهم معرفتهُ للطالب والمحامي فجاء وافياً بالغرض لاغنى عنهُ للمشتغلين بهذا الفن الجليل

وقد سلك الشارح افضل الطرق في تمحيص اقوال الائمة مختارًا الاظهر منها او ما كان اكثر موافقة للعصر الحاضر ولاسعاد العباد اذ ان الشرائع وُضعت لراحة الانسان لا لتكون حجر عثرة في سبيلهِ . وامثلة ذلك في الكتاب كثيرة منها انكارهُ رأْي القائلين ان الاصل

في الطلاق الاباحة فانهُ فنَّد اقوالهم مستشهدًا بالقرآن الكريم والاحاديث النبوية مثبتًا ان الطلاق كفران للنعمة وقطع للمودة والرحمة التي جعلها الله تعالى بين الرجل وزوجتهِ وان الشريعة لم تبحهُ الَّا في احوال خصوصية لا يجوز التوسع فيها فانهُ امرٌ كبير لا يجب ان يقدم عليهِ الانسان اذا امكنهُ اتقاؤُهُ وانما اضطرَّ الشارع الى السماح بهِ دفعًا لشر اكبر منهُ وعلى ذلك الحديث "ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق"

وفي كلامهِ عن طلاق المكره والمخطئ والناسي خالف الامام ابا حنيفة وقال بمذهب القائلين بعدم وقوعهِ لاسباب قوية لا سبيل لردها. وقال ايضًا بأظهرية مذهب القائلين بعدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور فالقائلون بوقوعهِ يبنون رأيهم على كون عقلهِ قد زال بسبب معصية فلذلك يقع الطلاق عقابًا لهُ. وقد ردَّ عليهم الشارح بقولهِ "والظاهر عدم وقوع طلاق السكران ولو سكر بمحظور لان الطلاق ليس عقابًا لهُ فقط بل يترتب عليهِ قطع الزواج المترتبة عليهِ المصالح الدينية والدنيوية والاضرار بالزوجة وبأولادها منهُ وباهلها فلو اوقعنا طلاق السكران لعاقبنا غير المذنب ممن ذكر وهو غير جائز فلا يعاقب الَّا السكران وعقابهُ يكون بالحد لينزجر عن مثل هذا ويعتبر غيرهُ"

وقد خالف الشارح مذهب الذين يقولون ان نفقة طعام الزوجة تقدَّر "بقدر حال الزوجين يسارًا واعسارًا فان كانا موسرين فنفقة اليسار وان كانا معسرين فنفقة الاعسار وان كانا مختلفين حالاً فنفقة الوسط فلو كان الزوج هو الفقير لا يخاطب الَّا بقدر وسعهِ والباقي دين عليهِ الى الميسرة" فان في الحكم الاخير من هذه المادة غبنًا عظيمًا على الزوج. وقد اوضح الشارح ان الاظهر هو رأي القائلين بان النفقة تقدر بحسب حال الزوج وحدهُ فلا يكلف الَّا بقدر طاقتهِ واستشهد على ذلك بالآية "لينفق ذو سعة من سعتهِ ومن قدر عليهِ رزقهُ فلينفق مما آتاهُ الله لا يكلف الله نفسًا الَّا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا" وهذا الرأي فضلاً عن مطابقتهِ لنص الآية فانهُ اقرب الى العدل والانصاف

ومن المسائل التي اختلف العلماء فيها سقوط نفقة المرأة التي تمتنع عن السفر مع زوجها فقال بعضهم انهُ اذا كان السفر مسافة قصر فاكثر لم تسقط نفقتها وافتى غيرهم بخلاف ذلك. وقد جاء رأي الشارح في هذه المسألة موافقًا للعصر الحاضر الذي كثرت فيهِ الاسفار وسهلت فيهِ المواصلات بين الاقطار فانهُ قال بتفويض الامر الى القاضي الذي يستفتى فيهِ وعدم الاخذ بواحد من الاقوال على الاطلاق فان الزوج قد يكون غير مأمون ويريد ابعاد زوجتهِ عن اهلها بقصد الاضرار بها فعلى المفتي اذ ذاك ان لا يفتيهُ بقهرها على الانتقال معهُ ثم قد

يكون الزوج من مستخدمي الحكومة وتأمرهُ الحكومة بالانتقال الى مكان آخر فعلى زوجتهِ ان تتبعهُ . وخلاصة القول ان الفتوى بانتقال الزوجة او بعدم انتقالها لا تتوقف على مسافة السفر بل على كون الزوجة في امن من جهة الزوج

وقد اختلف واضعو القانون المدني الفرنساوي في هذه المسألة فانضم نابليون الى القائلين بوجوب انتقال الزوجة مع زوجها لان الزوجية تربط الزوجين في السرَّاء والضرَّاء وجميع احوال الحياة اينما وجدا وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليهِ الفقرة الاولى من المادة ٢١٤ من القانون المدني الفرنسوي التي تعريبها "على المرأة ان تسكن مع زوجها وان تتبعهُ الى اي محل يراهُ موافقاً لسكناهُ"

وفي الكتاب امور كثيرة من هذا القبيل تدل على تدقيق حضرة الشارح وسعة اطلاعهِ . وطريقتهُ في تفسير الاحكام العويصة حسنة سهلة المأخذ فانها تجلو غوامضها وتقربها من فهم القارىء . فنتمنى لهذا الكتاب الاقبال الذي يستحقهُ ونثني على مؤلفهِ لاتحافهِ طالبي الحقوق بهذا الكتاب النفيس نسيم برباري

الراديوم

اصبح هذا العنصر الشغل الشاغل لعلماء الطبيعة ومن لهم مشاركة فيها حتى الجرائد السياسيَّة والمجلات الادبيَّة لا تنفكُّ عن ذكرهِ واستقصاء اخبارهِ لانهُ كشف للعلماء اسراراً غامضة وظهر لهم بمظهر يخالف ما الفوهُ من نواميس الطبيعة واي مخالفة اشد من ان تضع جسماً في الجمد فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ وتضعهُ امام بعض الاجسام فيجعلها تنير في الظلام من غير ان ينبعث منهُ نور منظور . هذا شأن الراديوم فانهُ يوضع في الثلج فيذيبهُ ولا يبرد مثلهُ ويوضع امام حجر من الماس في الظلام فينير الماس كأنهُ عكس النور من جسم منير

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاشعة التي تتولد من الراديوم على ثلاثة انواع سميت باسماء الاحرف الثلاثة الاول من حروف الهجاء اليونانية . النوع الاول منها ذرات صغيرة تندفع من الراديوم بعنف شديد وتطير بسرعة فائقة . والنوع الثاني مثل المجاري السلبية المتولدة عند القطب السلبي في البطرية الكهربائية او عند القطب السلبي في انابيب كروكس وهي اوضح الاشعة المتولدة من الراديوم واكثرها نفعاً على ما يظهر حتى الآن وهي التي تجعل بعض الاجسام ينير في الظلام وتؤثر في الواح التصوير الشمسي ولو بعد ان تخرق لوحاً من الحديد

سماكتهُ عقدة (بوصة) والنوع الثالث مثل اشعة رنتجن و يفعل فعلها في التصوير ونحوهِ

قلنا ان بعض هذه الاشعة نافع ومن اوجه نفعهِ التي ظهرت حتى الآن ان يميز بهِ الماس عن الزجاج فاذا وضع حجر من الماس مع قطعة من الراديوم في غرفة مظلمة اضاء الماس ضوءًا ساطعًا واما الحجارة الزجاجيَّة التي يقلد بها فلا تضيءُ مطلقًا

الاَّ ان خروج الاشعة من الراديوم وتولدها بسببهِ ليسا بالمميز الوحيد لهُ ولا هو منفرد بهما لان عناصر اخرى تشاركهُ في ذلك حتى الماء الخارج من اعماق الارض كما بيَّن الاستاذ طمسن حديثًا . وكذلك لا يستغرب انبعاث الجواهر منهُ لان الاجسام التي تتبخر تطير الجواهر منها ولكن جواهرها التي تطير تبقى من نوعها تمامًا ولو تغير شكلها الطبيعي الظاهر واما جواهر الراديوم فتتغير صفاتها الكيماوية وتصير كأنها من عنصر آخر ويبقى منها غاز ثقيل في مسام ملح الراديوم اذا مرَّ على مادة ممَّا ينير نورًا فصفوريًّا جعلها تنير نورًا ساطعًا . ولم تعرف حقيقة هذا الغاز الكيماوية حتى الآن ولا تبقى قوة الانارة فيهِ الاَّ اياماً اواسابيع ثم انهُ يترك على ما يمرُّ عليهِ من الاجسام راسبًا جامدًا يختلف عنهُ ولا تعلم حقيقتهُ ايضًا . وتسهل اذابة هذا الراسب وترسيبهُ ثانيةً من غير ان يُرَى او يوزن او يستدلّ عليهِ بدليل آخر غير قوَّة الانارة التي فيهِ ولا يعلم ماذا يجري لهُ بعد ذلك . ويحتمل انهُ يتولَّد من كل العناصر متولدات مثل هذا ولكن لا سبيل الى الاستدلال عليها ولولا الانارة في ما يتولَّد من الراديوم ما كنا ادركنا وجودهُ

ثم ان هذا الراسب او المتولد يجري مجرى الغاز في مروروِ من انبوب الى آخر واذا بُرّد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت صار مثل السائلات ولم يعد ينتقل في الانابيب كالغازات ولكن تبقى قوة الانارة فيهِ

فما هو هذا الجسم او الغاز الذي يطير من الراديوم وكيف لا يدرك الاَّ بقوة الانارة التي فيهِ ولا يعرف لهُ ثقل مهما دقت الموازين . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج العالم الطبيعي في هذا المعنى

ان جواهر المادة ليست بسيطةً كما كان يُظن بل هي مركَّبة كلٌّ منها مؤَلف من دقائق صغيرة جدًّا متحركةً حركة مستمرة ضمن الجوهر وتبقى ضمنهُ بفعل كهربائي يوازن الجذب بالدفع فما دامت هذه الموازنة محفوظة فالجواهر تبقى على حالها ولكن يظهر ان دوام الحال من المحال في كل شيءٍ فان بعض هذه الجواهر وهو واحد من مليون او مليون مليون يقع خلل فيهِ فتزول الموازنة من بين دقائقهِ اما لزيادة سرعتهِ عن الحد الذي تحفظ فيها دقائقهُ بعضها مع

بعض او لسبب آخر فيتكسّر وتطير شظاياهُ بسرعة فائقة بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان وهي النوع الاول من اشعة الراديوم

فاذا اصابت هذه الشظايا حاجزًا فصفوريًّا جعلتهُ ينير واذا اصابت جواهر اخرى من جواهر الراديوم نفسهِ اضطرت ان تقف في سيرها فتتحوَّل حركتها الى حرارة فتزيد حرارة الراديوم قليلاً باستحالة حركة بعض جواهرهِ الى حرارة . اما الحركة التي كانت تحركها شظايا جواهرهِ فغير معروفة بين انواع الحركة المعروفة وهي الدوران والانتقال والاهتزاز والشد فيجب ان يزاد الآن الى هذه الانواع الحركة التي تحركها دقائق الجوهر الفرد

ثم ان خروج هذه الشظايا من الراديوم يصحبهُ ارتجاف في جواهرهِ فتخرج بعض دقائقها منها وهي صغيرة جدًّا ولصغرها تمرُّ في مسام الاجسام كأنها في فلاة قفراء حتى ان لوح الحديد الذي ثخنهُ عقدة لا تجد اقل صعوبة في اختراقهِ وهي النوع الثاني من اشعَّة الراديوم. وخروجها من الراديوم ينتج عنهُ ردُّ فعل فيهِ تتولد منهُ الاشعة الثالثة من اشعة الراديوم وهي مثل اشعة رنتجن كما تقدم

ثم ان جوهر الراديوم الذي خرج بعض دقائقهِ وطار منهُ لا يبقى جوهرًا كاملاً ولا تبقى فيهِ خواص عنصر الراديوم بل يصير عنصرًا آخر لا يعلم ما هو حتى الآن . لكن الجواهر التي يصيبها ذلك قليلة جدًّا بالنسبة الى ما حولها من الجواهر التي لا يصيبها شيءٌ فلا تدرك وحدها لان الجسم غير قائم بها بل هي فيهِ فضلة زائدة لا يعتد بها كأنها قطرة في بحر وذهاب بعض دقائقها يضعف قوتها فتصير اشد تعرُّضًا للتمزُّق والتفرُّق فتتمزَّق بعد ساعات او ايام ويتولَّد منها الراسب الذي اشير اليهِ قبلاً وهو غير ثابت ايضًا فيتمزق بعد مدة طويلة او قصيرة وقد تتولَّد منهُ مواد اخرى ولكن الاستدلال عليها صعب لانها ادق من ادق وسائل الكشف المعروفة

واسهب السر اوليفر لدج في تعليل ذلك بما لا يخرج عن حد الظنون وقال انهُ يمكن تفسير نور الحباحب الآن بان الحباحب تتحكم في حركة بعض دقائق جسمها حتى تكون نورًا كنور الراديوم بدلاً من ان تكون حرارة وقد اختار في ما قالهُ عن نور الراديوم وحرارتهُ مذهبًا من مذهبين وهو مذهب الاستاذين رذرفورد وصدي وترك مذهب السر وليم كروكس والدكتور جنصتن ستوني ومفادهُ ان الراديوم يجمع القوى من الاثير المحيط بهِ لان المذهب الاول اوجه من المذهب الثاني ولو لم تقم الادلة الكافية على تأييدهِ حتى الآن

هذا ولا بدَّ من ان يقوم اصحاب التلبثي الآن ويقولوا انهُ اذا خرج من جواهر الراديوم دقائق صغيرة تسير بسرعة عشرين الف ميل في الثانية من الزمان فما ادرانا انهُ لا يخرج من

جواهر الدماغ دقائق صغيرة عند التفكير تسير بمثل هذه السرعة وتؤثر في بعض العقول التي تقبل التأثر بها فيعلل بذلك انتقال الافكار على ما هو مشهور . الاّ ان المحققين يقولون لهم اثبتوا لنا انتقال الافكار اولاً بالدليل القاطع ومتى ثبت لا يتعذر اظهار سببهِ

ربة الحسن والقلم

مدادكِ في ثغر الزمان رضابُ — وخطكِ في كلتا يديهِ خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفهُ — فلا بدع في ان اليراع شهابُ
كلحظكِ او امضى وان كان آسياً — جراح اللواتي ما لهنَّ قرابُ
يمجّ كمثل الشهد مجتهُ نحلة — وان لم يكن فيما يمجّ شرابُ
ويكتب ما يحكي العيون ملاحة — وما السحر الاّ مقلة وكتابُ
فدونكِ عيني فاستمدي سوادها — وهذا فؤاد طاهر وشبابُ
أرى الكفَّ من فوق اليراع حمامةً — وتحت جناحيها يطير غرابُ
كأنَّ اديم الليل طرس كتبتهِ — وفيهِ تباشير الصباح عقابُ
كأن جبين الفجر كان صحيفة — كأن سطور الخط فيهِ ضبابُ
كأن وميض البرق معنًى قدحتهِ — كأن التماع الافق منهُ صوابُ
كأنكِ اما تنظري في كتابة — ذُكاءُ واوراق الكتاب سحابُ
اراكِ ترجّين الذي لستِ اهلهُ — وما كل علم إبرة وثيابُ
كفى الزهر ما تندى بهِ راحة الصبا — وهل للندى بين السيول حسابُ
وما احمق الشاة استغرت بظلفها — اذا حسبت ان الشياه ذئابُ
فحسبكِ نبلاً قالت الناس أُنجبت — وحسبكِ فخرًا ان يصون حجابُ
لك القلب من زوج ووُلْد ووالد — وملك جميع المالكين رقابُ
ولم تخلقي الاَّ نعيمًا لبائس — فمن ذا رأى ان النعيم عذابُ
دعي عنكِ قومًا زاحمتهم نساؤهم — فشوكل ماءٍ ناقع وسرابُ
تساووا فهذا بينهم مثل هـذهِ — وسيان معنى يافع وكعابُ
وما عجبي ان النساء ترجّلت — ولكنَّ تأنيث الرجال عجابُ

مصر — مصطفى صادق الرافعي

مصرع ملك

تتضمن ذكر مقتل الملك اسكندر والملكة دراجا زوجتهِ اللذين فتك بهما رؤساء الجيش السربي ونشر خبر حادثتهما المقتطف في الجزء السابق

لم اجد مثلهُ حبيبًا اساء جلب البغض حبهُ والعداء
ملك كان للهوى عبد رقٍّ يتولاهُ فاعلاً ما شاء
جعل الملك خاتمًا او سوارًا في يدَيْ زوجةٍ لهُ حسناء
ملكت قلبهُ وعرشًا شقيًّا لم يجد بين اهلهِ اكفاء
خادم رأسها تحمَّل تاجًا فهو التاج عزةً وإباء
وارتفاع الوضيع من غير حقٍّ لهو الرزء يجلب الارزاء
ثم قامت تريد ان تهب التاج أخاها تحكُّمًا واعتداء
فنبا في البلاد حزب انوفٌ لم يشأ ان يسوِّد الخدَماء
قال هبُّوا بنا فقد آن ان يضعف ملْكٌ يظنكم ضعفاء
علموا المستبدّ ان الرعايا تحسب الناس والملوك سواء
فاذا اصلحوا فذلك عدلٌ واذا أفسدوا استحقوا الجزاء
واتوا قصرهُ وقد بسط الليل عليهِ سحابة سوداء
وسكون الدجى يقول هلموا لا تخافوا في الارض من رقباء
غفلت عنكم العيون لاني قد جعلت الكرى عليها غشاء
فلقوهُ وقد خلا بالتي جرَّ هواها عليهِ ذاك البلاء
قال صدري اليكمُ فاقتلوني ودعوني اموت عنها فداء
فاستخفوا بهِ وساموهُ امرينِ طلاقًا لها أوِ استعفاء
او فهم جاءوهُ عبرة قوم حكَّموا في السياسة الاهواء
فأبى ان يذلّ من بعد عزٍّ وابى الحبُّ منهُ الَّا وفاء
والهوى يقتل العزائم حتى ينبذ المجدَ أهلهُ والعلاء
فقضى العاشقان قتلاً ومَن لم يرحم الناس لم يجد رحماء

قل لبعض الملوك في الشرق عدلاً قبل ان تسفك الدماء دماء
ذهب اليوم يوم كانت ملوك الارض فيها اربابها الاقوياء

وقضى العدل فيهم للرعايا ان يصيروا خدامها الامناء
ملك السرب مات قتلاً واضحى قاتلوهُ بقتـلهِ احياء
ضلَّ مَن يحسب الرجال ارقاء ومن يحسب النساء اماء
لم يجزْ سيدٌ ولا جار الاَّ بين قومٍ لا يعرفون اجتراء

القاهرة نقولا رزق الله

عمران العراق

العلم والتعليم

لا نعلم كم عدد العارفين بالقراءة والكتابة الآن في ولاية بغداد بالنسبة الى عدد الاميين ولكن اذا قسنا تلك الولاية بسائر الولايات العثمانية ترجح لنا ان العارفين بالقراءة والكتابة فيها كانوا منذ اربعة آلاف سنة اكثر منهم الآن بالنسبة الى سائر السكان كما ان عمران بلادهم كان ارقى مما وصل اليهِ في هذا العصر . ولو لم يكن لذلك مثيل في القطر المصري لعسر علينا تصديقهُ لكن القطر المصري قد نهض منذ عشرين سنة واذا استمرَّ عشرين سنة اخرى سائرًا في خطة ارتقائهِ لم يبقَ لنا سبيل للشكوى من تأخرهِ

وقولنا ان بلاد العراق كانت منذ اربعة آلاف سنة ارقى عمرانًا مما هي الآن لا يصدَّق ما لم تقم عليهِ الادلَّة وهذه الادلَّة متوفرة الآن بعد ان كُشف كثير من مكاتب البابليين وقرئ ما فيها من الكتب . وصفائح تلك الكتب ليست من الورق ولا من الرق ولا من البردي بل من الخزف ولذلك قاوت الدهر كل هذا الزمان والكتابة دقيقة جدًّا تتعذَّر رؤية بعضها من غير بلورات مكبّرة وهي منقوشة نقشًا قبل شي الخزف

وقد عقد الاستاذ سايس فصلاً مسهبًا في كتابهِ عن بابل واشور تكلَّم فيهِ على التعليم عند البابليين فقال ما خلاصتهُ

شاع التعليم في بلاد بابل من عصر السماريين وقد وجدت صفيحة لتعليم الكتابة وفي اعلاها القاعدة التي يتعلم التلميذ الكتابة عليها ويقال فيها "النجيب في المدرسة يرتقي كالفجر" وكان البنات يتعلمن القراءة والكتابة ومبادئ العلوم كالصبيان . وقد وُجدت مكاتيب كتبتها النساء من ذلك كتاب كتبتهُ امرأة الى ملك مصر وجد بين صفائح تل الامرنة . ويظهر من رقيم كتبهُ رجل الى خطيبتهِ او عشيقتهِ انها كانت تقرأُ وتكتب لانهُ يقول لها فيهِ

ما ترجمتهُ " الى السيدة كسبية هذا ما يقولهُ جميل مرودخ لتعطكِ الهة الشمس الحياة الابدية اني اكتب اليك لاسأَل عن صحتك فتكرمي عليَّ بالجواب وقد اتيت بابل ولكنني لم ارككِ فانشغل بالي . حينما يأْتين اليها ارسلي اخبريني حتى اطمئن تعالي في شهر مرسفان ودام بقاؤكِ للداعي

وقال الملك اشور بنيبال انهُ تعلم في القسم المختص بالنساء من القصر لكن الذين علموهُ كانوا رجالاً

ولم يكن تعلم القراءة والكتابة بالامر السهل لكثرة الحروف او العلامات الدالة على الحروف والكلمات ولكثرة المشابهة بينها ولو اختلفت معانيها ولكثرة الكتابة اساليب واختلاف الحروف باختلافها . وكان ينتظر من التلامذة ان يتعلموا ذلك كلهُ ولبعض حروفهم اكثر من لفظ واحد وكانوا يستعملون بعض العلامات للدلالة على المعاني من غير التجاء الى الحروف الهجائية وكان لابدَّ لهم من تعلم اللغة السمارية مع اللغة البابليَّة اي السامية او العامية ومن كلماتهم ما كان يكتب بحروف سمارية ويلفظ كأَنهُ مكتوب بحروف بابليَّة

والظاهر انهم كانوا يعتنون بتعليم اولادهم لان كتاباتهم الباقية الى الآن قليلة الغلط اللغوي وتكاد تكون خالية من كل غلط في التهجئة . وكتب التدريس غاية في الجودة وحسن الاسلوب وفيها كل ما يلزم لتسهيل العلوم وتقريب تناولها

وكان عندهم قواميس للغة السمارية وتفسيرها باللغة البابليَّة اي الساميَّة وكتب صرف ونحوٍ ذكرت فيها قواعد اللغة السمارية باللغة السامية . وكتب للمطالعة مشحونة بفصول وقطع مقتبسة من الكتب البليغة واكثرها باللغة السمارية ولكن تذكر معها ترجمتها باللغة العامية اي لغة بابل او اللغة الساميَّة وعندهم ايضاً تفاسير لكتب المؤَلفين الاقدمين فسروا فيها ما اشكل من الفاظها وعباراتها وما غمض من معانيها . وكان التلامذة يكتبون التمارين اما عن قاعدة توضع امامهم او من ذاكرتهم فيتمرنون بذلك على الخط والتهجئة ويستفيدون من معنى ما يكتبونهُ وبعض هذهِ القواعد تاريخي او جغرافي فيتعلم التلامذة بعض الامور التاريخيَّة او الجغرافية وهم يتعلمون الخط والتهجئة . وبعضها شعر او نثر بليغ فيتعلمون البلاغة وهم يتعلمون الخط

ومن رأْي الاستاذ سايس ان دقة الحروف التي كانوا يكتبون بها تدعو الى تبصر البصر لان منها ما لا يرى الأ بالبلورات المكبرة ولكنهم كانوا يكثرون من ترويض اولادهم في الخلاء فيعود بصرهم الى رؤْية الاشباح البعيدة

وكان في الكتاب من كتبهم صفائح كثيرة كل صفيحة منها بمثابة فصل قائم بنفسهِ ويكتب في آخر كل صفيحة عدد سطورها والكتاب الذي هي منهُ واول سطر من الصفيحة التي تليها حتى لا يقع خطأ في جميع الصفائح بعضها مع بعض . ويطلق على كل مجموعة من هذه الصفائح اسم الكلمة التي تبدأ بها الصفيحة الاولى منها فيقال مثلاً في آخر الصفيحة الرابعة من صفائح خبر الخليقة " فيها مئة وستة واربعون سطرًا وهي الصفيحة الرابعة من الكتاب الذي فاتحتهُ "الذي لم يعلن في الاعالي" " ويتلو ذلك السطر الاول من الصفيحة التالية .وكان عندهم فهارس كتبوا فيها اسماء الكتب التي في مكاتبهم واسماء مؤلفيها واول سطر من كل كتاب منها وكانوا يرتبون الكتب على رفوف في المكاتب وقد وجد المسيو ده سرزك ٣٢٠٠٠ كتاب منها في جنوبي بلاد الكلدان وكانت لم تزل على ترتيبها الذي رُتبت فيهِ منذ الفين وسبع مئة سنة

والمواضيع التي الفوا فيها كثيرة مثل التاريخ والجغرافية والشريعة والمراسلات العمومية والخصوصية واللغة وعلم الحيوان والجماد والفلك والتنجيم وعلوم الدين. واضافوا الى ذلك البحث في العيافة والعرافة وما اشبه من العلوم الخرافية .ووجد في مكاتبهم دواوين شعرية وكتب ادبيَّة ونسخ من الحجج والصكوك والشروط والاحكام الشرعية والكشوف عن المقتنيات فكانت مكاتبهم بمثابة الكتبخانات والدفترخانات تحفظ فيها كتب العلماء والادباء وسجلات الولاة والقضاة

وكان في كل مدينة كبيرة مكتبة من هذه المكاتب وكتَّاب او امناء يقومون على حراسة كتبها ونسخ ما قدُم عهدهُ منها وتصحيحهِ او تأليف كتب جديدة . ويراد بالتصحيح اعادة الحروف التي طمست لقدم عهدها وكان الكاتب لا يقدم على تصحيح حرف من ذلك الاَّ بعد ان يثبت الصورة التي وجدهُ فيها والصورة يظن انها كانت لهُ . وكان هؤُلاء الكتبة غاية في التدقيق والامانة فلا يلقون الكلام على عواهنهِ ولا يأْنفون من الاعتراف بالجهل اذا جهلوا شيئًا

واذا حارب ملوكهم بعضهم بعضاً قتلوا الرجال واستحيوا الكتب لاعتقادهم انها في حرز الالهة. فكانوا ينقلونها من مدينة اخرى كانها كنوز ثمينة ويضعونها في هيا كلهم غالبًا ولذلك كان نسخها والقيام على حفظها من الاعمال الدينية التي تنيل فاعلها رضى الالهة وغفران ذنوبهِ

وكانت المدارس تُبنى الى جانب المكاتب حتى يستفيد الطلبة من مطالعة الكتب. واتسعت مدارسهم على مرور الايام حتى صارت كليَّات جامعة كالكليَّة التي ذكرها المؤَرخ سترابو وقال انها كانت في ضواحي بابل والظاهر انها كانت لتعليم صناعة الطب خاصةً كما يظهر من كتاب طبي وجد فيها وهو الآن في دار التحف البريطانية

ولشيوع التعليم في بابل كثرت اساليب الخط ولم تعُد لهُ طريقة واحدة كما في البلدان

التي ينحصر العلم فيها في طبقة مخصوصة من الناس . وقد وُجدت نسخة من كتاب الخليقة نسخها ابن رجل فقير من الذين يُستخدمون لري الارض . فاذا تعلَّم اولاد الاجراء الفقراء القراءة والكتابة فذلك دليل على ان التعليم كان شائعاً تمام الشيوع . ويستدلُّ من بعض الحجج والصكوك ان العبيد كانوا يحسنون القراءة والكتابة ايضاً

ولم يقتصر تعليمهم على قراءة الكتب وكتابتها بل كانوا يضطرون الى تعلم اللغة السمارية القديمة بعد ان أُهملت ولم يعد يتكلَّم بها الاَّ العلماء وصارت كالعربيَّة الفصيحة بالنسبة الى العاميَّة او كاللاتينية بالنسبة الى الايطالية والفرنسوية

وكان اولادهم يتعلمون اللغة السمارية كما يتعلَّم ابناء اوربا اليوم اللغة اللاتينيَّة او كما يتعلَّم اولادنا العربيَّة المعربة بحفظ قواعد الصرف والنحو ومطالعة كتب الادب ودواوين الشعراء واستظهار كثير منها الاَّ انهم فاقونا في كتابة لغتهم البابلية فكانوا يترجمون من اللغة القديمة (اي السمارية) الى اللغة الحديثة (اي البابلية او الساميَّة) وبالعكس ولا يزال كثير من التمارين التي كانوا يتمرنون بها على هذه الصورة لتعلُّم اللغة القديمة محفوظاً الى الآن

ثم انهم كانوا يتعلمون لغات الامم المجاورة لهم ولما انتشرت اللغة الارامية لغة سورية وصارت لغة التجارة كالفرنسوية الآن صار البابليون يتعلمونها ويستعملونها في تجارتهم كما يتعلم اولادنا اللغة الفرنسوية . واقام التجار الاراميون اي السوريون في بابل واشور وانشأُوا فيها محلات تجارية واسعة كما اقاموا في مرسيليا وقرطاجنة ومصر في الزمن القديم وكما لا يزالون يقيمون حتى الآن في مراكز العمران فترى بيوتهم التجارية في الاسكندرية ومرسيليا وباريس ولندن ومنشستر ونيويورك . ولما جاء ربشاقى وزير سنحاريب الى اورشليم ليخاطب اهلها في امر التسليم على ما جاء في التوراة طلب رؤساء اليهود منهُ ان يكلمهم بالارامية لا باليهودية على مسامع الشعب فابى الاَّ ان يكلمهم باليهودية . ويستدل من ذلك انهُ كان يعرف الارامية واليهودية ايضاً مع انهُ لم يكن من علماء امتهِ بل من وزرائها

ثم ان اعتناءهم بتعليم اللغات دعاهم الى المباحث اللغوية ولا سيما الى البحث عن اشتقاق الكلمات في لغتهم واللغات المجاورة لهم وعن معاني الاعلام في اللغة السمارية القديمة

وكانوا يميلون الى علم التاريخ ولو لم يبرّزوا فيهِ كالاشوريين . وآخر ملك من ملوكهم كان مؤرخاً وباحثاً عن تواريخ اسلافهِ وقد نقب في اطلال المدن القديمة ليقف على الحقائق التاريخية

الاَّ انهم لم يقتصروا على العلوم الصحيحة بل عكفوا ايضاً على العلوم الباطلة كالعرافة والتنجيم وكان للعرافة شأن كبير عندهم لانهم كانوا يميلون الى البحث عن العلل فاذا رأوا شيئاً

سبق معلولاً وجرى على نسق واحد مرارًا قالوا انهُ علة لهُ فاذا دخل كلب بيتًا ولم يمرض احد من ابنائهِ اوكان مريضاً فشفي قالوا ان دخول الكلاب الى البيت فال حسن وان دخل بيتاً فمرض واحد من ابنائهِ اوكان مريضاً فاشتدَّ مرضهُ قالوا ان دخول الكلاب بيتاً شؤم على سكانهِ. واتفق ان ولدًا ولد من غير فم وانهدم بيت عند ولادتهِ فقالوا ان انهدام البيت نتيجة لازمة عن ولادة ولد من غير فم او مشوَّه الخلقة وهلم جرًّا. وقد جمعوا كثيرًا من هذه الحوادث الجزئية وبنوا عليها احكاماً كلية مع قلة الاستقراء فيها وقلّة الرابطة بين ما ظنوهُ علة وما ظنوهُ معلولاً

ومن هذا القبيل علم التنجيم فانهم استدلوا بالحوادث الفلكيَّة على الحوادث الارضيَّة وربطوها بها لكن علم التنجيم لم يكن عقيمًا لانهُ دعاهم الى تخطيط السماء وقسمة نجومها الى مجاميع وتعيين الابراج لنزول الشمس والقمر. وحسبوا اوقات الخسوف والكسوف بعد مراقبات كثيرة مدة سنين عديدة وكتبوا في النجوم ذوات الاذناب وفي اقترانات الشمس والقمر ومدة دوران القمر والزهرة. وقسموا السنة الى اثني عشر شهرًا كلاً منها ثلاثون يومًا واضافوا اليها شهرًا كل نحو ١٢٠ سنة ليزول الفرق وسمُّوا الشهور اولاً باسماء ابراج السماء وكان عندهم سنة قمريَّة وسنة شمسيَّة وحسبوا نجم العيوق مبدأً حسبوا منهُ بُعْد الشمس للاستدلال على بدء السنة ثم جعلوا يحسبون بداءة السنة من الاعتدال الربيعي. وهذه الحقائق وامثالها علمت اكثرها من المكاتيب الباقية الى الآن بين آثار بابل واشور ومصر مثال ذلك كتاب كتبهُ طبيب اسمهُ ارادنانا الى الملك اسرحدُّون يقول لهُ فيهِ اما من جهة الرعاف فيظهر من تقرير الرب ماج (اي رئيس الاطباء او الحكيمباشي) انهُ حدث نزف كثير امس نحو المساء لان الرفادة لم توضع في مكانها بل وُضعت خارج المنخرين فعاقت التنفُّس ووقعت حالما ابتدأ النزف فيجب ان توضع داخل المنخرين فتمنع الهواء وتوقف النزف واذا شاء سيدي الملك فاني اذهب غدًا بنفسي وارشدهم الى مايجب عملهُ". وكتاب آخر كتبهُ هذا الطبيب الى الملك يقول فيهِ "الى الملك سيدي من عبدهِ ارادنانا سلام ابديٌّ للملك سيدي ان حالة المصاب بالرمد آخذة في التحسُّن فقد وضعت رفادة على عينيهِ ونزعتها امس مساءً فوجدتُ عليها صديدًا كرأس الخنصر. ليفرح سيدي الملك وليطمئن بالهُ فان الرمد سيشفى تمامًا في سبعة ايام او ثمانية"

وكتب منجم اسمهُ ابيل استار الى ملك اشور وكان هذا الملك قد كتب اليهِ من نينوى ليرصد لهُ خسوف القمر وكسوف الشمس فقال "اما من حيث خسوف القمر الذي كتب اليَّ عنهُ سيدي الملك فقد اقمت الرصد على رصدهِ في اكد وبرسبَّا ونبر" ثم يتلو ذلك وصف الكسوف لكن الكتابة ممحاة تعسر قراءتها الان. الى ان يقول "وقد امرني سيدي الملك

ان ارصد كسوف الشمس ايضاً فوجدت بعد المراقبة ان الكسوف للقمر لا للشمس وقد كان تامًّا في بلاد الشام ووقع الظل على بلاد الاموريين وبلاد الحثيين وجانب من بلاد الكلدانيين "

ويظهر من ذلك انهُ كان عند البابليين مراصد كثيرة لرصد الافلاك وانهم كانوا يعرفون من علم الطب وعلم الفلك اكثر مما يعرف خلفاؤُهم الآن وقس على ذلك سائر العلوم. فاين ضاع ذلك العمران وماذا حلَّ بهِ ولماذا لا ترجع البلاد الى عهدها الاول اذا لقيت من العناية ما لقيت منذ اربعة الاف عام حين كانت وسائط العمران على اقلها في الدنيا كلها

التدوين في الاسلام

لا يعلم على التحقيق اذا كان العرب قبل الاسلام دوَّنوا شيئًا من آدابهم واخبارهم لغلبة الامية على سكان وسط الجزيرة اما في الاسلام فبدأ تدوين القرآن ثم تبعهُ تدوين الآثار وغيرها . اخرج البخاريُّ عن زيد بن ثابت قال ارسل اليَّ ابو بكر مقتل اهل اليمامة وعندهُ عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس واني لاخشى ان يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الَّا ان يجمعوهُ واني لارى ان يجمع القرآن. قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئًا لم يفعلهُ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيهِ حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال ابو بكر انك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعهُ. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان اثقل عليَّ مما كلفني بهِ من جمع القرآن. فقلت كيف تفعلان شيئًا لم يفعلهُ النبي (ص) فقال ابو بكر هو والله خير. فلم ازل اراجعهُ حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فتتبعت القرآن اجمعهُ من الرقاع والاكتاف والعشب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم اجدهما مع غيره " لقد جاءكم رسول من انفسكم " الى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها اه

هكذا دُوّن اول كتاب واشرفهُ في الاسلام اما العلوم الاخرى فقد ذكر احد الثقات ان اول من ألَّف في المغازي موسى بن عقبة بن صغار التابعين وقال بعضهم ان التدوين لم يحدث الَّا سنة سبعين للهجرة ويقال ان الصحابة دونوا شيئًا من الحديث . وفي صحيح

البخاريّ ان عمر بن عبد العزيز كتب الى ابي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبهُ فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل الاَّ حديث النبي (ص) وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلَّم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا . ولا عجب اذا كان هذا مبلغ عناية القوم في الصدر الاول بامر التدوين فقد ورد الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفي رواية بالكتاب

قال حسن صديق خان في ابجد العلوم واعلم انهُ اختُلف في اول من صنف فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصريّ المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة ذكرها الخطيب البغدادي وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ستين ومائة قالهُ ابو محمد الرامهرمزي ثم صنف سفيان بن عيينة ومالك بن انس بالمدينة المنوَّرة وعبد الله بن وهب بمصر ومعمرٌ وعبد الرزاق باليمن وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة وحماد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة وهشيم بواسط وعبد الله بن مبارك بخراسان

وقال بعض المؤرخين ان اول كتاب أُلف في الاسلام كان في القرن الثاني وهو كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير ثم تبعهُ كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن في السنين النبوية الماثورة ثم كتاب الموطأ . وقد انكر الامام احمد بن حنبل على مؤلفهِ الامام مالك في انهُ اتى ما لم يأتهِ الصحابة . وقال غيرهُ ان قد دوَّن مالك ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب بالمدينة وابن جريج وابن عيينة بمكة والتوزيّ بالكوفة وربيع بن الصبيح بالبصرة

حكى السيوطيّ ان المنصور لما حج قال لمالك قد عزمت ان آمر بكتبك هذه التي صنفتها فتنسخ ثم ابعث في كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم بان يعملوا بما فيها ولا يتعدوا الى غيرهِ فقال يا امير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل وسمعوا احاديث ورووا روايات واخذ كل قوم بما سبق اليهم واتوا بهِ من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم . ويحكى نسبة هذه القصة الى هرون الرشيد وانهُ شاور مالكًا في ان يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيهِ فقال لاتفعل فان اصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكلٌّ سنةٌ مضت قال وفقك الله يا ابا عبدالله

هذا ما كان من امر العلم الاسلامي اما العلوم السائرة فقد ذكر ابن عبد ربه ان عبدالله بن يزيد كان ناسكًا وخالد بن يزيد عالمًا لم يكن في بني أُمية ازهد من هذا ولا اعلم من هذا قال ابن خلكان كان خالد من اعلم قريش بفنون العلم ولهُ كلام في صنعة الكيمياء والطب

وكان بصيرًا بهذين العلمين واخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال لهُ مريانس الرومي ولهُ فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهنّ ما جرى لهُ مع مريانس وصورة تعلمهِ منهُ والرموز التي اشار اليها . وخالد مات سنة خمس وثمانين للهجرة

ويقول ابن خلدون ان اول من دوّن في الكيمياء عند العرب جابر بن حيّان امام المدونين حتى انهم يخصونها بهِ فيسمونها علم جابر قال وربما يُعزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها وربما نسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيّن ان خالدًا من الجيل العربي والبداوة اليهِ اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف لهُ بصناعة غريبة المنحى مبنيَّة على معرفة طبائع المركبات وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهمَّ الاَّ ان يكون خالد بن يزيد آخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمهِ فممكن . ويؤْخذ مما قالهُ محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي وكان قدم الشام فاتى عمتهُ امنة بنت سعيد بن العاصي وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليهِ فرآهُ فقال لهُ ما يقدم علينا احد من اهل الحجاز الاَّ اختار المقام عندنا على المدينة فظن محمد انهُ يعرّض بهِ فقال وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح (الجمال) فتزوجوا امك وسلبوك ملكك وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليهِ يعني الكيمياء وكان يعلمها — يفهم من قولهِ ان خالدًا كان يعاني الكيمياء وهذا يؤَيد ما رواهُ ابن خلكان من رسائلهِ فيها

وروى ابو عبيدة وابن خلكان وغيرهما ان كتب عمرو بن العلاء احد القراء السبعة وكان اعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر ان كتبهُ التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأَت بيتًا الى قريب من السقف ثم انهُ تقرَّا اي تنسّك فاخرجها كلها وقيل احرقها فلما رجع الى علمهِ الاول لم يكن عندهُ الاَّ ما حفظهُ بقلبهِ . وكانت ولادة عمرو بن العلاء سنة سبعين وقيل ثمان وستين وقيل خمس وستين وتوفي سنة نيف وخمسين ومائة . وكيف يا ترى بدأ التدوين من القوة والكثرة حتى بلغت كتب ابن العلاء مخدعًا كاملاً في منتصف القرن الثاني على ان ذلك لا يستكثر من العرب وقد كانت نشأتهم الاجتماعيَّة على ما عُرف من القوة المدهشة

وقال القرماني ان السفَّاح اول خلفاء بني العباس كان اول خليفة قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم واول خليفة ترجمت لهُ الكتب السريانية والاعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة واقليدس . وقال الذهبي في سنة ثلاث واربعين ومائة شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير فصنف ابن جريج بمكة ومالك الموطأ بالمدينة والاوزاعي بالشام وابن

ابي عمرويه وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان الثوري بالكوفة وصنف ابن اسحق المغازي وصنف ابو حنيفة الفقه ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبهُ ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وفي هذا العصر كان الائمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة

وقال الغزالي اذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيَّب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ . ولذلك كره ابو بكر وجماعة من الصحابة (رض) تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئًا ما فعلهُ رسول الله (ص) وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاهُ بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى اشار عمر (رض) وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرًا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليهِ في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر (رض) لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيف الموطإ ويقول ابتدع ما لم تفعلهُ الصحابة (رض) وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس (رض) بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيهِ سنناً مأثورة نبوية ثم كتاب الموطإ بالمدينة لمالك بن انس ثم جمع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام

محمد كرد علي

(المقتطف) يتضح مما تقدَّم على ما فيهِ من الاختلاف الكثير ان العرب لم يدونوا كتاباً من كتبهم الّا في اواخر المئة الاولى او اواسط المئة الثانية . ولا يخفى ان مدائن مصر والشام والعراق وسائر بلاد فارس التي فتحوها في القرن الاول كانت حافلة بالكتب والمكاتب وان صناعة الكتابة كانت معروفة عندهم فتوقفهم عن كتابة اخبارهم الى ما بعد الهجرة بسنين كثيرة امر عجيب في ذاتهِ واعجب منهُ ان يكتبوا في المئة الثانية ما سمعهُ اجدادهم في المئة الاولى ولا يخطئوا ونحن لا نستطيع اليوم ان نروي خبرًا سمعناهُ في العام الماضي او نصفَ حادثة شاهدناها منذ عامَين

مَنُّ النبات

كثيرًا ما ترى على اغصان الورد الطرية حشرات صغيرة جدًّا خضراء منتشرة بعضها بجانب بعض حتى تغطي الغصن الذي هي عليهِ . وترى مثلها على اغصان اللوز والخوخ وما اشبه لكنها تكون هناك سوداء او بنية اللون. وتراها ايضًا على بعض البقول كالخيار والقثاء والكرنب وهي اما خضراء او رمادية اللون. ويطلق عليها كلها اسم منّ النبات وهي من جنس واحد ولكن اختلاف طرق معيشتها والفصول التي تظهر فيها والنباتات التي تعيش عليها جعلها تختلف لونًا وتختلف بناء ايضًا فمنها ما يلصق بما يقع عليهِ من النبات بشوكة لولبيَّة يغرزها في ورق النبات او لحائهِ حتى لا تعصف بهِ الرياح ومنها مالا يستطيع الطيران ما لم يلقِ نفسهُ على ظهرهِ ويدور على نفسهِ بسرعة نحو خمس عشرة دورة

واغرب من ذلك ان من المن ما يتعاقب في تولدهِ فيلد اولادًا تخالفهُ تمام المخالفة حتى لا يظن احد انها اولادهُ ثم تلد هذه الاولادُ اولادًا مثل اجدادها تمامًا ويدور الدور على ما تقدم فيتماثل النسل الاول والثالث والخامس والسابع وهلمَّ جرًّا ويتماثل ايضًا النسل الثاني والرابع والسادس والثامن ولكن الاول لا يماثل الثاني ولا الثاني الثالث اي ان الولد يخالف اباهُ ويماثل جدَّهُ . وقد يعيش النسل الاول والثالث على ورق النبات واما النسل الثاني والرابع فلا يعيشان على الورق بل على الجذور تحت الارض

ونتفق انواع المن في انها كلها آلات حيَّة لصنع العسل او الدبس من عصار النبات . وقد ذقنا عسلها مرارًا فوجدناهُ مثل احلى انواع العسل طعمًا من ان عصار النبات الذي كان عليهِ مرٌّ عفص . فتراهُ يغرز خرطومهُ في قشر الاغصان او الاوراق ويمتص العصار منها ويخرجهُ من قرنين في ظهرهِ فيخرج منهما سائلاً دبقًا كقطر السكَّر . والنمل المشهور بحبهِ للمواد الحلوة الطعم واستنشاقهِ رائحتها عن بُعْد يسعى وراءهُ ويمتص عسلهُ او يدغدغهُ بقرنيهِ حتى يفرز العسل كأنهُ الحلاَّبات يحلبن البقر . واذا كان لا بدَّ للمن من ان يعيش على النبات فالنمل رحمة للنبات لا نقمة لانهُ اذا لم يتلقَّ العسل ويأكلهُ سقط على اوراق النبات وانبسط عليها وطلاها بطلاء كالغراء فتيبس لانهُ يسدُّ مسامها ويمنع تنفسها . غير ان فائدة النمل هذه يوازيها ضررهُ في نقل المن من غصن الى آخر . ويقال ان النمل لا يكتفي بتسويم بقرات المن وحلبها بل يزربها في قراهُ ايام اشتداد البرد حتى يغتذي بعسلها حينئذٍ

ونتفق اكثر انواع المن ايضًا في انها تبقى بلا اجنحة ما دام طعامها غزيرًا ومرعاها نضيرًا

ولكن اذا قلّ الغذاء وصار لا بدَّ لها من الرحيل او تموت جوعاً نبتت لها اجنحة فتشد الرحال لانتجاع مراعٍ جديدة

ومن اغرب ما في طبائع المن كثرة توالدهِ فان الواحدة منهُ تصير ٢٥ في يومين وكل واحدة من اولادها تصير ٢٥ في يومين آخرين وهلم جرًّا وسبب هذا التكاثر ان المن قلما يبيض بيضاً والغالب ان صغاره تتفرع من جسمهِ تفرُّعاً كما تتفرَّع البراعم من اغصان النبات ويتكرَّر ذلك الى ان يقبل فصل الشتاء ببردهِ فيبيض بيضاً حينئذٍ لان البيض اقوى على احتمال البرد من الحيوان الصغير اما في الربيع والصيف فيكون تولده بالتبرعم كالنبات ويكون كلهُ اناثاً تلد كذلك الى ان يحين الوقت الذي تبيض فيهِ بيضاً فتولد منهُ حينئذٍ ذكور تتزاوج مع الاناث وتبيض الاناث بيضاً

وقد بيَّن الاستاذ هكسلي بالحساب انهُ اذا ولدت كل منة كل ما تستطيع ولادتهُ وولدت كلٌّ من اولادها كل ما تستطيع ولادتهُ ايضاً الى عشرة اعقاب بلغ عدد العقب الاخير تسعة وعشرين رقماً من الارقام العددية اي عشرة الآف مليون مليون مليون فاذا حسبنا ان ثقل كل عشرة الاف منة حبَّة واحدة وحسبنا ان ثقل الرجل مليونا حبة فثقل اولاد تلك المنة الواحدة في العقب العاشر فقط ثقل خمسة آلاف مليون مليون رجل اي اكثر من ثقل سكان المسكونة ثلاثين مليون مرة . ولكن حياة المن ظل زائل تراهُ اليوم يغطي اغصان النبات واوراقهُ وتأتي في الغد او بعد ايام قليلة فلا تجد منهُ شيئاً فاين يذهب وكيف يضمحل

لكل شيءٍ آفة من جنسهِ وآفة المن ثلاثة انواع من الحشرات النوع الاول حشرة نمسية صغيرة جدًّا تبيض على المن بيضاً ميكروسكوبيًّا وتولد صغارها من هذا البيض وتخرق جلد المن وتأكل ما فيهِ فتغادرهُ قشرًا خاليًا خاويًا واذا نظرتَ الى غصن عليهِ المن تجد بينهُ قشورًا رقيقة يعبث بها الهواء وكل قشرة مثقوبة ثقبًا مستديرًا في ظهرها فمن هذا الثقب خرجت الحشرة النمسيَّة بعد ان التهمت ما في باطن المنة

والنوع الثاني دود الفراشة الصغيرة التي لها اجنحة بيضاء ضاربة الى الخضرة فانهُ يتلمَّس بين الاغصان لانهُ اعمى لا يبصر فيهتدي الى المن ويلتهمهُ يمتص ما في بدنهِ ويلصق جلدهُ بظهرهِ فترى الدودة وظهرها مرصَّع بجلود قتلاها

والنوع الثالث آكال المن وهو حشرة صغيرة تلتهم ستين منة في الساعة وضعنا حشرة منهُ على وردة مصابة بالمن ثم اتينا في اليوم التالي فلم نرَ عليها غير آثاره قشورًا دقيقة لاصقة بالاوراق والاغصان . ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

حقوق الصحف والمشتركون فيها

وضع صاحب المنار الاغر فصلاً مسهباً موضوعهُ قرَّاء الصحف المنتشرة . بيَّن فيهِ احوال المشتركين في مجلتهِ من حيث وفاء الحقوق فقال انهُ وجد مسلمي بلاد الروس احسن خلق الله وفاء . وان تجار العرب في الهند وجاوى وسنقافورة يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة . واسوأهم معاملة واكثرهم مطلاً واهمالاً مسلمو الهند وبينهم اهل الجزائر فان كثيراً من المشتركين في هذين القطرين ليقرأ المجلة او الجريدة عدة سنين ولا يخطر ببالهِ ان يرسل الى صاحبها شيئاً واهل المغرب الاقصى كاهل الجزائر الاَّ افراداً في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والبلاد العثمانية نزلت عليها آية الحجاب فلا كلام فيها

ثم انتقل الى القطر المصري فقال ان احسن الناس وفاء المهندسون ولعلَّ السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم فانها هي العلوم التي ليس فيها اوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعمى . اما علماء الدين او قضاة الشرع او القضاة عامةً فيحسب غير الخبير انهم احسن الناس وفاء لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل واداء الحقوق لكن ليس هذا الحسبان بصحيح . والمطل على اشدهِ في اهل البطالة ثم في كتّاب الدواوين وغيرها . ويكثر المطل والليّ وهضم حقوق العلم والادب في رجال القضاء ورجال النيابة

ومدح المشتركين في المنار من العمد ولم يستثنِ منهم الاَّ اثنين وشكا مرَّ الشكوى من مكاتبي الجرائد او طالبي مكاتبتها

وقد ذكرنا بحث صاحب المنار بحثاً مثلهُ للفيلسوف هربرت سبنسر ظهر لهُ منهُ ان خَدَمة الدين اقل وفاء بالحقوق من غيرهم . والتفتنا نحن الى المشتركين في المقتطف والمقطم في هذه العاصمة وقسمناهم الى ست فرق علماء وقضاة ومحامين ومستخدمي حكومة وتجار واصحاب املاك فوجدنا ان اكثر المشتركين في المقطم والمقتطف من اصحاب الاملاك ويتلوهم موظفو الحكومة فالتجار فالعلماء فالمحامون فالقضاة على هذه النسبة

اصحاب الاملاك	٥١	في المئة
موظفو الحكومة	٢٣	" "
التجار	١٠	" "
العلماء	١٠	" "

المحامون	٠٤	في المئة
القضاة	٢	" "

ولعلّ هذه النسبة موافقة لنسبة الاهالي الذين يحسنون القراءة ويستطيعون الاشتراك في الجرائد والمجلات . وليس العبرة بها بل بما يدفعهُ هؤُلاء المشتركون من قيم الاشتراكات وما يمطلون في دفعهِ حتى يضيع على اصحابهِ فقد جمعنا المتأخرات عند الذين كانوا مشتركين فوجدنا موظفي الحكومة وهم ٢٣ في المئة من المشتركين عندهم من المتأخرات لنا ٦٣ في المئة وعند اصحاب الاملاك والتجار ١٠ في المئة وعند المحامين ٧ في المئة وعند العلماء ٦ في المئة وعند القضاة ٤ في المئة . ونسبة قيم الاشتراكات والمتأخرات على ما ترى في هذا الجدول

اصحاب الاملاك	٥١	في المئة من مجموع المشتركين وعليهم	١٠	في المئة من مجموع المتأخرات
الموظفون	٢٣	" " " " "	٦٣	" " " " "
التجار	١٠	" " " " "	١٠	" " " " "
العلماء	١٠	" " " " "	٦	" " " " "
المحامون	٤	" " " " "	٧	" " " " "
القضاة	٢	" " " " "	٤	" " " " "

واذا حسبنا قيمة الاشتراكات السنويَّة الف جنيه وقيمة المتأخرات السنوية مئة وخمسين جنيها فالمتأخر منها عند كل طائفة من الطوائف المتقدمة ما يأتي

اصحاب الاملاك	قيمة اشتراكاتهم ٥١٠ جنيهات	يتأخر منها سنويًّا ١٥ جنيهًا	اي ٣ في المئة
الموظفون	٢٣٠ جنيهًا " "	" " ٩٤ ١/٢ " "	٤٠ ١/٢ " "
التجار	١٠٠ جنيه " "	" " ١٥ " "	١٥ " "
العلماء والمعلمون	١٠٠ " "	" " ٩ " "	٩ " "
المحامون	٤٠ جنيهًا "	" " ١٠ ١/٢ " "	٢٥ " "
القضاة	٢٠ " "	" " ٦ " "	٣٠ في المئة

وحينئذٍ تصير نسبة هذه الطوائف من حيث مبادرة افرادهم الى دفع الحقوق في اوقاتها على ما في الجدول التالي

اصحاب الاملاك	يتأخر عندهم	٧	في المئة من حقوق الجرائد والمجلات
العلماء	" "	٩	" " " " " "
التجار	" "	١٥	" " " " " "

المحامون	"	"	٢٥ في المئة من	حقوق الجرائد والمجلات				
القضاة	"	"	٣٠	"	"	"	"	"
الموظفون	"	"	١/٢ ٤٠	"	"	"	"	"

وهذه النتيجة تنطبق على نتيجة صاحب المنار الأ من حيث العلماء ولعلّ سبب ذلك اننا جمعنا معهم المعلمين . اما موظفو الحكومة فاكثرهم من المستخدمين الصغار لا من الموظفين الكبار ومن الغريب ان يدخل حضرات القضاة والمحامين في باب المطل ولو لم تكن النتيجة التي وصلنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب المنار لظننا حسابنا خطا

غير ان الذين عددناهم مماطلين في دفع اموال الجرائد ليسوا من مشتركي المقتطف والمقطم الآن بل قد قطعنا الجرائد عنهم كلهم ولعلنا اذا اعدنا هذه المقابلة بعد عام او عامين لم نجد من المماطلين بين المشتركين الاَّ عددًا قليلاً جدًّا

العرافة الحديثة

للمستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية وَلَع شديد بالبحث عن غرائب التنويم واعتقاد راسخ بان بعض الذين ينامون نوم الاستهواء يخترقون حجاب الغيب ويدركون المغيَّبات فهم من اهل العرافة في اوسع معانيها . وقد اضرم نار جدال عنيف في الجرائد الانكليزية بعد مقتل ملك السرب وزوجتهِ زاعمًا ان امرأة عرَّافة انبأت بذلك منذ العشرين من شهر مارس الماضي . ثم بسط الكلام على هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلتهِ فرأينا ان نترجمهُ هنا ونبقي حجتهُ على روايتها ثم نعقّب عليهِ بما يبدو لنا لاننا نخالفون لهُ في رأيهِ . قال :

ان اغتيال ملك السرب وزوجتهِ في بلغراد في الحادي عشر من شهر يونيو الماضي انبأت بهِ امرأة في مدينة لندن في العشرين من شهر مارس هذه السنة فوصفت تلك الفاجعة الدموية امام خمسة عشر شاهدًا وأُبلغ الخبر في اليوم التالي الى سفير السرب في انكلترا فبحث في الرابع والعشرين من الشهر عن صحَّة ما بُلّغ اليهِ وكتب في يوميَّتهِ حينئذٍ ما سمعهُ من احد الشهود عن وصف ما جرى وكتب بعد اربعة ايام كتابًا خصوصيًّا الى الملك اسكندر حذَّرهُ فيهِ من المتآمرين على قتلهِ داخل جدران قصرهِ فلم يعبأ الملك بتحذيرهِ وفي الحادي عشر من شهر يونيو قُتل الملك والملكة كما وصفت العرَّافة مع اختلاف طفيف في العرَض لا في الجوهر .

وقد اختلف الشهود في ما يتذكرونهُ من قولها فقال بعضهم انها أنبأت بقتل الملكة ايضاً وقال غيرهم انها انبأت بنجاتها وفي ما عدا ذلك اتفقوا كلهم في كل الامور

وقد ترددتُ كثيرًا في اختيار الطريقة التي ابسط بها الكلام على ما حدث ورأيت اخيرًا ان اتبع الطريقة التي يتّبعها قضاة التحقيق في تحقيق الجنايات فاثبت اولاً انهُ حدثت نبوءة عن اغتيال ملك السرب وزوجتهِ منذ شهر مارس الماضي وبُلّغتْ الى سفير السرب في لندن والسفير بلّغها الى ملك السرب ثم جمع شهادة الشهود الذين سمعوا تلك النبوءة ورأوا المرأة التي انبأت بها وهي في حال الانباء

وسفير السرب في انكلترا المسيو شدومل مجاتوفتش رجل مشهور بل هو اشهر رجل سياسي قام في بلاد البلقان وهو ايضاً عالم ومؤرخ ومن زعماء الديانة المعدودين ولهُ يد في انشاء الجريدة الدينيَّة التي تطبع في بلغراد لاجل تنوير ابناء الكنيسة الارثوذكسية وقد ترجم الى لغة البلغار كتاب سياحة المسيحي وتفسير الدكتور برون للاناجيل وكثيرًا من مواعظ لدن وسبرجن وكان وزيرًا للداخلية في بلادهِ منذ سنة ١٨٧٦ وعضوًا من اعضاء مجلس الشيوخ السربي وأُرسل سفيرًا الى الاستانة قبل مجيئهِ سفيرًا الى لندن . ولما التأم مؤتمر السلم في هولندا كان نائباً فيهِ عن بلادهِ وكان لهُ الشأن الاكبر بين النواب ولو كانوا نوّابًا عن اعظم الممالك . ولهُ مؤلفات تاريخيَّة كثيرة تدل على دقة بحث وسعة روية . وزوجتهُ انكليزيَّة وهي مؤلفة ايضاً ومؤلفاتها جعلت السرب والسربيين معروفين في اوربا . وهو معروف في كل عواصم اوربا وكل الذين يعرفونهُ يجلّونهُ ويكرمونهُ . وهاك ما شهد بهِ هذا الرجل الفاضل وهو بنصهِ (بعد حذف اسماء الاماكن) "انا شدومل مجاتوفتش اشهد هذه الشهادة التي اعتقد انها تامَّة مطابقة للواقع . لقد اهتممت بالمباحث النفسيَّة منذ عهد طويل وهذا جعلني اتعرف بالمستر ستد محرر جريدة البوردرلند ومجلة المجلات ولكونهِ يعلم رغبتي في هذه المباحث دعاني لاجتماع في مكتبهِ يوم الجمعة في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٣ حيث تمتحن امرأة عرّافة (سيكومترست اي تستدلُّ باشياء تلمسها على ما يتعلّق بها من الامور الماضية او المستقبلة) وهذا بعض كتاب الدعوة الذي ارسلهُ اليَّ المستر ستد حينئذٍ

"سيكون عندنا عرّافة صالحة يوم الجمعة التالي في موبرلي هَوْس وقد تعهدتْ ان تمتحن عرافتها امامنا اثنتي عشرة مرة الى عشرين اي تُعرَضُ عليها مواد لا تعرف شيئًا من امرها فتخبرنا عما تراهُ مما يتعلق بها فارجو ان تحضر وتجلب معك شيئًا او شيئين مما اذا رأتهُ العرّافة وانبأت عمّا يتعلق بهِ كان لكلامها وقع فيحسن ان تحضر معك مثلاً قطعة صغيرة من الجبة التي تكلم

عنها المستر ل — وقال انها عندك الآن وانهُ يسمح لي بها لهذا الغرض او شيئاً آخر تشرَّب من انفاس الملك ميلان او الملكة دراجا لعلنا نقف على شيء يتعلق بهما "

"فقبلتُ الدعوة وذهبتُ فوجدت المكان مزدحماً بالمدعوين ورأيت المرأة وأُخبرت ان اسمها مسز برتشل وقد تشكّت من ان الاحوال غير مناسبة لاظهار قوتها

"ومن الاشياء التي أُخذت الى هناك لتراها العرَّافة امضاء الملك اسكندر بالحروف السرية على ورقة وضعت في ظرف اتيت بهِ لنرى هل تعرف ما هو من لمس الظرف بيدها وتستطيع وصف الملك هذا كل ما قُصِد ولم نكن ننتظر اكثر منهُ

" وعُرض على العرَّافة اشياء كثيرة ثم توقفت عن التجارب بغتة فلم يعرض عليها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك اسكندر وانا هناك ثم خرجتُ وتركتُ الظرف مع واحد من الحضور وهو المستر ل — . الذي بقي هناك ليتعشى مع المستر ستد ومسز برتشل وآخرين ولم استطع انا ان ابقى واتعشى معهم لاني كنتُ مضطرًّا ان اذهب تلك الليلة الى قصر بكنهام ورجعت الى بيتي وانا احسب ان العرَّافة فشلت فشلاً تامًّا

"وفي اليوم التالي وهو الحادي والعشرون من شهر مارس زارني المستر ل — . وقال لي انهم امتحنوا العرَّافة بعد العشاء وانهُ اعطاها الظرف الذي فيهِ امضاء الملك فاصابها انفعال شديد ووصفت اغتيال الملك ومحاولة اغتيال الملكة داخل القصر وفصَّل لي تفاصيل اخرى تدلُّ على ان مسز برتشل رأت اغتيال ملكي وهو داخل قصرهِ . ويوم الثلاثاء التالي في الرابع والعشرين من شهر مارس زرت المستر ستد في مكتبهِ واخبرتهُ بما اخبرني بهِ المستر ل — . وسألتهُ عما اذا كان ذلك صحيحاً ولما عدت كتبت في يوميتي ما خلاصتهُ

"لندن في ٢٤ مارس سنة ١٩٠٣ ذهبتُ اليوم بعد الظهر الى موبرلي هَوْس لارى المستر وليم ستد (محرر مجلة المجلات) ولأسألهُ عما قالتهُ العرَّافة يوم الجمعة الماضي (٢٠ مارس) عن الملك اسكندر فقال لي ان المستر ل — . وضع في يدها ورقة صغيرة فمسكتها دقيقة ثم قالت هذا امضاء شاب في مقام عالٍ جدًّا نعم هذا امضاء ملك (ثم وصفت شكل الملك اسكندر) وقالت ان ملكتهُ بجانبهِ وهي سمراء واكبر منهُ ولكن يا الهي ماذا ارى اواهُ وا مصيبتاهُ ثم ركعت على ركبتيها وشبكت يدًا بيد ورفعت رأسها وهي مغمضة عينيها وصلَّت الى الروح العظيم لكي ينجيهما ان امكن وقالت اني اراهما كليهما الملك والملكة وهناك رجل اسمر وبيدهِ خنجر يحاول قتلها ابتدأ الصراع نجت الملكة اما الملك فقتل . وقد بلغ اضطرابها مبلغاً شديدًا ووصفت ما رأتهُ على مسمع كثيرين من النساء والرجال فتأثروا من وصفها شديدًا

"وبعد اربعة ايام اي في ٢٨ مارس كتبتُ كتاباً الى الملك اسكندر ورأيت انهُ يجب عليَّ ان احذرهُ من الخطر المحدق بهِ . ولم احفظ نسخةً من كتابي ولكنني اتذكر جيداً الفقرة التي حذرتهُ فيها ولم يزل عندي وصل مكتب البريد لانني ارسلت الكتاب مسجلاً (مسوكرًا .) اما الفقرة المشار اليها فقلت لهُ فيها اني اعلم ان جلالتكم تضحكون كما كنتم تضحكون دائماً حينما اكلمكم عن التنويم (كلارڤوينّس) ولذلك لا اقص عليكم كل ما علمتهُ اخيرًا من هذا القبيل ولكنني اتوسَّل الى جلالتكم ان تتخذوا كل الوسائل لسلامتكم وانتم راكبون او ذاهبون الى الكنيسة او المشهد وكذلك وانتم في قصركم لا سيما واني واثق ان البعض يتآمرون على اغتيالكم فيهِ

وقرات زوجتي هذا الكتاب قبلما ارسلتهُ وهي تؤكد الآن انهُ كان مكتوباً كذلك . وكنت قد تكلمت مرارًا مع الملك اسكندر عن هذه المظاهر النفسيَّة فكان يهزأُ بها ولا يحسب لها حساباً ولم احذرهُ قبل ذلك قط لكنني تأثرت من كلام هذه العرّافة جدًّا حتى ظننت ان الملك يدعوني اليهِ الى بلغراد رغماً عن انكارهِ صحة العرافة لكي يسمع مني تفاصيل ما حدث ولكن لم يتحقق ظني فلم يستدعني ولا اكترث لتحذيري . وما وردت اخبار اغتيالهِ تذكرتُ حالاً تحذيري لهُ واخبرت بعض رجال الصحافة بذلك فنشرتهُ جرائد المساء في ١١ يونيو"

وما تقدَّم كافٍ وحدهُ لاثبات ما اردت اثباتهُ اولاً وهو ان عرّافة انبأَت بهذهِ الفاجعة قبل حدوثها وان سفير السرب ارسل يحذر مولاهُ من ذلك بكتاب مسجل في شهر مارس الماضي . ولنأتِ الآن الى اثبات امور اخرى متعلقة بذلك وهي كيف صار هذا الانباء ومتى واين وايضاحاً لذلك اقول

اني دعوتُ اناساً كثيرين وفي جملتهم السفير مجاتوڤتش وارل غراي والمسترل — . والمستر غلبرت اليوت وغيرهم لكي يأْتوا يوم الجمعة في ٢٠ مارس ويشاهدوا بعض اعمال العرافة التي وعدتْ مسز برتشل ان تقوم بها في الاجتماع الاهلي الذي يعقد عندي مرةً كل اسبوع (At Home) في موبري هَوْس وابتدأَ الاجتماع الساعة الرابعة بعد الظهر وحضرهُ سبعون او ثمانون شخصاً وظهر بعد نصف ساعة ان الاحوال غير موافقة لمسز برتشل فصعدت الى الطبقة العليا من البيت وجرَّبت قوتها امام بعض الحضور فنجحت اكثر مما نجحتْ امام الجمهور وبقي الجمهور تحتُ وهم يتذاكرون في موضوع العرّافة (سيكومتري) الى ما بعد الساعة السابعة وفي نحو الساعة الثامنة ذهبنا الى مطعم غتي ورود يسانو وكنا ١٦ نفساً (وهنا ذكر اسماءهم وعنواناتهم الاَّ الشخص الذي سماهُ مسترل — . فابقاهُ كذلك نكرة لا تعرف لكنهُ قال

ان عندهُ اسمهُ وعنوانهُ وهو يفضل ان لا يشهر اسمهُ الآن)

وبقينا كلنا معاً ما عدا مستر مني الى ما بعد انباء مسز برتشل باغتيال ملك السرب وقد انبأَت بهِ بعد الساعة العاشرة وكان قد مضى علينا مجتمعين ست ساعات وقد تعبنا ومللنا ولم نكن ننتظر منها شيئاً غير عادي . ولا استعددنا لكتابة شيءٍ مما نسمعهُ ولا اظن ان احداً كتب شيئاً

وكان حديثنا على الطعام في مواضيع عمومية وكان المستر ل — . حاضراً فتكلمت أنا عنهُ وعن السرب ولكن لم يُذكر اسم الملك على ما اتذكر الآن ولا ذُكر ما يشير الى اغتيالهِ لا صريحاً ولا تلميحاً . اما مسز برتشل فامرأَة بسيطة تصنع بعض الادوية وتبيعها ولها عشرة اولاد ويظهر لي انها لا تهتم بأَمر بلاد البلقان ولا تعرف عنها شيئاً . وقد كتبتْ بعد ذلك في جريدة سنت جمس تقول انها لم تكن حينئذٍ تعرف شيئاً من امر السرب ولا تعرفُ اسم الملك ولا اسم الملكة ولا شيئاً من ماضي الملكة ولا مما لهُ علاقة بها وبزوجها وكانت وقت العشاء صامتة وعلى وجهها دلائل التعب والفشل لانها لم تفلح ولذلك لم اوجه حديثي اليها

وبعد العشاء اخذت تصف لكل واحد من الحضور ما كانت تشعر بهِ حينما كان يسلمها شيئاً مما معهُ ولما وصل الدور الى المستر ل — . جعل يشير اليها برأْسهِ وهي تكلمهُ كأنهُ يصادق على كلامها فانكر سكرتيري عليهِ ذلك لكن لم يكن لكلامها حينئذٍ علاقة بالانباء عن اغتيال الملك ولما تكلمت عن اغتيالهِ كانت مغمضة العينين ولم اعلم هل كانت تصف فاجعة حدثت في الزمن الماضي او فاجعة ستحدث ولم اعرف ما كان في الظرف الاَّ بعد ما اكملت وصفها . ثم لما فُتح لم استطع ان اقرأَ ما فيهِ لانني لا اعرف الكتابة السربية فسأَلت المستر ل — . عنها فقال انها امضاء الملك ثم جعل يتحدث معها

وكان هناك سيدتان من العرَّافات (كلارفوينت) فقالتا انهما رأَتا المنظر الذي رأَتهُ مسز برتشل حينما كانت تصفهُ وقالت احداها ان الجنود كانت لابسة اللباس الروسي

وذهبت مسز برتشل حالاً وبقي البعض ساعة اخرى ولما كنت راجعاً الى بيتي نحو نصف الليل التقيت بصحافي من اصدقائي اسمهُ ارثر هوكس واخبرتهُ بما حدث تلك الليلة وقد كتب بعد ذلك يقول " قرأْتُ عن اغتيال ملك السرب والملكة حين وصولي الى مديرا من بلاد الراس في ٢٢ يونيو ورأَيت في الداخلي تلغراف خبر الانباء بهذا المنكر في ٢٠ مارس بعدما تعشى البعض بدعوة المستر ستد وللحال اخبرتُ المستر ريد من اهالي يوهنسبرج الذي وجَّه التفاتي الى تلك الفقرة انني كنت حاضراً عند المستر ستد ذلك اليوم في مكتبهِ ولم يمكني البقاء

الى العشاء ولكنني التقيت بهِ نحو نصف الليل وركبت معهُ فاخبرني ان سيدة عرَّافة انبأتهم باغتيال الملك اسكندر والملكة دراجا فضحكتُ حينئذٍ لانني لا اصدق هذه الامور وقلت ان كل احد يمكنهُ ان ينبيء باغتيال ملك ولكن الانباء باغتيال ملك وملكة معاً امرٌ يفوق التصديق. وقد كتبت ذلك الآن تزكية للشهادات الكثيرة التي وردت عن الانباء بهذه الفاجعة قبل حدوثها"

ويظهر من هذه الشهادة انني كنت متأكداً حينئذٍ ان مسز برتشل انبأت بقتل الملك والملكة معاً

شهادة المستر ل — ·

سئل المستر ل — . ان يصف ماحدث وقت العشاء وبعدهُ فقال انهُ كان حاضراً لمَّا اعطي الظرف الذي فيهِ امضاء الملك لمسز برتشل وانهُ سمع وصفها لاغتيال الملك والملكة في القصر وابلغ خبر ذلك في الصباح الى المسيو مجاتوفتش وانهُ كان قد فتح الظرف وهو على العشاء وارى الامضاء لسكرتير المستر ستد وكان جالساً بجانبهِ بعيداً من مسز برتشل وهي لما أُعطيت الظرف لم تخرج الورقة منهُ وبعد ان أَنبأَت بما أَنبأَت أُخرجت الورقة من الظرف وسئل أَن يقرأ ما فيها وهي ورقة سادجة ليس عليها علامة التاج ولا شيء آخر ولم يكن أَحد من الحضور قد رآها غيرهُ هو وسكرتير المستر ستد . وكان وصف الملك والملكة كما وصفتهما مسز برتشل تماماً وكذلك ملابس الجنود السربيَّة تشبهُ ملابس الجنود الروسية . ولما أَتمت مسز برتشل عملها اخذ يتكلم معها فقالت لهُ انهُ لا بدَّ من الاغتيال كما رأَت ما لم تُبذَل الوسائل الفعالة لمنع ذلك. ولم تذكر اسم الملك ولا اسم الملكة

واتفق الشهود كلهم على ما تقدَّم الاَّ اثنين الاول سكرتير المستر ستد فانهُ قال انهُ لا يتذكر ان مسز برتشل جثت على ركبتيها مطلقاً ولا يتذكر شيئاً مماَّ حدث حتى يظن انهُ لم يكن في الغرفة حينئذٍ . والثاني المستر مكدونلد فهذا كتب في جريدة وستمنستر ان مسز برتشل قالت لما تناولت الظرف "ملكي" وقالت اقوالاً تنطبق على فاجعة السرب اذا أُريد تطبيقها عليها وفسَّر ذلك بقولهِ انها تعلم علاقة المستر ل — · بعائلة ملك السرب . اما الباقون فسئلوا كلهم عمَّا يذكرون وكُتبت خلاصة اقوالهم وعُرضت عليهم فامضوا على صحتها وهي :

وضع المستر ل — · ظرفاً في يد المستر ستد بعد الساعة العاشرة وقال لهُ امتحنها بهذا فاخذ المستر ستد الظرف وهو لا يعلم ما فيهِ وانتظر الى ان اتمَّت وصف ما طلبهُ منها الحضور حتى آخرهم وكانت قد تعبت وودت ان ترجع الى بيتها فوضع الظرف في يدها وطلب منها ان تجرّب مرة اخرى لعلها تجد فيهِ شيئاً فمسكتهُ بيديها وجلست وبقيت دقيقة ساكتة وقلَّبت الظرف في

يدها مرة او مرتين ثم قالت بصوت عالٍ واضحٍ " ملكيٌ شخص مهم — ملاك " ولما قالت ذلك اتجهت الانظار اليها فاصغينا لنسمع ما تقولهُ وجعلت تتكلم بسرعة من غير ان تتنفس لشدة انفعالها ولا دليل على انها كانت في غيبوبة. وكان كلامها عاديًّا قبلما سلمها المسترستد الظرف وقد اغمضت عينيها لكن ذلك تفعلهُ لكي تجمع افكارها وتكلمت كأنها تنظر من كوَّة الى داخل غرفة وتصف ما تراهُ فيها لاناس واقفين بجانبها . وكان على مقربة منها امرأتان من العرَّافات وهما مسز برتشلي ومسز منكس

وابتدأت بقولها " ملكيٌ شخصٌ مهم ملاك ها هو واقف في غرفة بقصرهِ اسمر اللون بدين الجسم طويل العنق ومعهُ امرأة ملكة سمراءُ واري هناك (واشارت الى زاوية في الغرفة) ولدًا " ولما قالت ذلك زاد اضطرابها فصرخت " اواه ما هذا لا اطيق النظر اليهِ هوذا رجل شديد السمرة هاجم على الغرفة وهو يحاول قتل الملك وقامت الملكة تتوسل اليهِ لكي يعفو عنهُ اواه " وصرخت صرخة شديدة وارتمت على ركبتيها حتى ظن المسترستد انها وقعت على الارض ومدَّ اليها يديهِ لكي ينهضها لكنها لم تقع بل شبكت يديها وبقيت تتكلم بصوت التفجُّع قائلة " ها هم يقتلونهُ خلِّصوهُ خلِّصوهُ جثت الملكة على ركبتيها تتوسَّل اليهم لكي لا يقتلوها وهم لا يسمعون لها. ما اشد الاضطراب وما اكثر اهراق الدماء . قتلوهُ وذهب توسلها عبثًا والآن طرحوها على جانبها وطعنوها بخنجر آه آهِ "

ولما قالت ذلك خارت قواها وكادت تنقلب على احد جانبيها لكن المسترستد انهضها واجلسها مكانها

ولما جثت على ركبتيها نهضت مسز برنتشلي وقالت نعم نعم اني اراهم يقتلونهُ . وتلتها مسز منكس وقالت وانا ايضًا وصارت كلما قالت مسز برتشل شيئًا تقول مسز منكس نعم نعم

ووقع الظرف من يد مسز برتشل لما زاد اضطرابها فتناولتهُ مسز برنتشلي وجعلت تصف الفاجعة وصفًا اقل وضوحًا من وصف مسز برتشل لها ثم قالت انظروا كيف اشتدت الظلمة انظروا الجنود آتين علينا وهم يطلقون الرصاص على كل من يلاقونهُ في طريقهم

فسألها احد الحضور مَن يشبهون . فقالت يشبهون في ملابسهم الجنود الروسيَّة ولكن اشتدت الظلمة فلم اعد ارى جليًّا (ان مسز برنتشلي زارت روسيا في العام الماضي) ثم قالت مات الملك الآن وما اشد الاضطراب وما اكثر سفك الدماء . قالت كل ذلك بسرعة بينما كان المسترستد يساعد مسز برتشل على النهوض والجلوس في مكانها فلم يُنتبَه الى قولها كثيرًا حينئذٍ ولكنها تقول الآن انها لا تزال تتذكر جيدًا ما رأتهُ وما قالتهُ

والتفت المستر ستد الى المستر ل — · الذي اعطاهُ الظرف كانهُ يسألهُ عمَّا فيهِ لاننا كنا كلنا سمعنا مسز برتشل تصف اغنيال ملك وملكة ولكن لم نكن نعلم اي ملك واية ملكة وقال لهُ ما يحوي هذا الظرف . فقال المستر ل — · انظر وفتح الظرف واخرج منهُ ورقة بيضاء عليها امضاء اسكندر وقال الملك

فقال المستر ستد وهل وصفها صحيح

فقال المستر ل — · حرفيًّا · كل ما وصفت بهِ القصر والملك والملكة على تمام الصحَّة

وكانت مسز برتشل قد عادت الى نفسها فقالت للمستر ل · ان كل ما رأيتهُ سيتم حرفيًّا اذا لم تتخذ الوسائل اللازمة لمنعهِ قريبًا

وقد عُرضت مسودَّة هذا التفصيل على الذين كانوا حاضرين فامضوا كلهم على صحة ما فيها الاَّ سكرتير المستر ستد الذي قال انهُ لا يتذكَّر شيئًا من ذلك والمستر مكدونالد الذي فسَّر اولاً ما حدث ثم انكرهُ

ووعد المستر ستد في ختام هذه المقالة ان يتبعها بمقالة اخرى يذكر فيها بحث جمعيَّة المباحث النفسيَّة في هذه الحادثة

هذا ونحن نعرف المستر ستد ونعترف لهُ بالفضل والنبل ولكننا لا نبرئهُ من الميل الى تصديق الخرافات التي من هذا القبيل . ولا نقول ان احدًا من الحضور حاول الخداع عمدًا ولكن ذلك لا ينفي ان يكون المستر ل — · خدع مسز برتشل عن غير قصد وهو لا يدري فان محاولة قتل ملك السرب وزوجتهِ كانت منويَّة كما ثبت من شواهد كثيرة ولا يبعد ان يكون ذلك قد بلغ المستر ل وانهُ اطلع مسز برتشل عليهِ من حيث لا يدري لان من الناس من يفعل فعلاً واذا قلت لهُ فيهِ انكرهُ كل الانكار وهو غير كاذب في انكارهِ اما لانهُ ينسى حالاً ما فعلهُ او لانهُ فعلهُ وهو في حالة من التعقُّل غير حالتهِ العادية · وكذلك مسز برتشل يحتمل ان تكون قد سمعت كثيرًا عن وصف ملك السرب وزوجتهِ وقصرهِ والمكايد التي تكاد لهُ وهي في حالة من التعقل غير حالتها العادية ثم عادت الى هذه الحالة لما اصابتها النوبة العصبيَّة التي وصفت فيها ما وصفت · اما الخداع فنستبعدهُ عنها وعن المستر ل — · ولكننا لا ننفيهِ نفيًا باتًّا لان كثيرين من مدعي العرافة اعترفوا قبل موتهم انهم كانوا يخدعون الناس خداعًا · ومن المحتمل ايضًا ان سكرتير المستر ستد مشارك لها في الخداع وقد لجأ الى الانكار التام ابعادًا للشبهة لكن هذا الاحتمال بعيد ولا يسوغ لنا ترجيحهُ ما دمنا نجهل من هو الرجل ونجهل اخلاقهُ . وما دامت مسز برتشل ماهرة الى هذا الحد في رؤْية الغيب او ما يأتي بهِ

الغد فلماذا لا تستعمل مهارتها في ما يكسبها الثروة بدلاً من عمل الادوية ويفيد بلادها فوائد سياسيَّة لا تقدَّر بمال . على مَ لم يستعن بها المسترستد على معرفة ما آلت اليهِ حرب الترنسفال وما تأول اليهِ الاحوال السياسيَّة في بلاد الصين والعلاقات الدولية بين انكلترا وروسيا والحرب الدموية في الصومال والقلاقل المتوالية في ارلندا والمناظرات التجارية بين انكلترا واميركا والمانيا ونحو ذلك ممَّا يدفع الناس الوف الجنيهات لمعرفة عشر معشارهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الفصل الرابع

الامراض العمومية

القلب

ان ما تستطيعهُ الممرضة في امراض القلب قليل جدًّا وغاية ما تقدر عليهِ انها تسهر على المريض وتراقبهُ وتطعمهُ وتعتني براحتهِ . وهذا يصدق فقط على الذين يضطرهم مرض قلبهم الى الاقامة في السرير لان كثيرين يصابون بمرض في القلب وهم لا يقيمون في السرير بل يتعاطون اعمالهم ويعيشون سنين كثيرة

وامراض القلب مختلفة والتمييز بينها من عمل الطبيب اما الممرضة فعملها ان تجعل المريض يستريح في سريرهِ . وهناك نوعان من امراض القلب الواحد يستدعي ان يستريح المصاب بهِ راحة تامة مستلقياً على ظهرهِ والثاني يستدعي من يبقى جالساً في سريرهِ ويسند بالمساند والوسائد حتى يسهل عليهِ التنفس . وتعلم الممرضة ذلك من رؤيتها المريض فاذا رأتهُ ينهض رأسهُ ويحاول الجلوس حينما يريد التنفس فهو في حاجة الى ان يسند بالمساند والوسائد واذا رأتهُ يفضل ان يستلقي ويخفض رأسهُ وجب ان تبقيهُ مستلقياً . اي عليها ان تجاريهُ على مرادهِ ولا تجادلهُ ولا تزعجهُ لان المصابين بامراض القلب يكونون سريعي الانفعال لشدة ما يقاسونهُ من الالم ولصعوبة التنفُّس عليهم فيجب على الممرضة ان تكون صبورة وتعاملهم باللين وتسلم لهم بكل ما لا ضرر منهُ

وهناك امران يجب الانتباه اليهما في امراض القلب الواحد تدفئة المريض والآخر جعلهُ يتنفس الهواء النقي . فاذا اريد تدفئة قدميهِ تملأ زجاجة عادية ماء سخنًا وتسد سدًّا محكمًا وتوضع بين قدميهِ ومتى دفئت القدمان دفئ الجسم كلهُ . واذا كان المريض يحاول التنفس فيستصعبهُ او يزرقُّ وجههُ فليوضع بحيث يصيبهُ الهواء النقي وليسقَ قليلاً من العرق الممزوج بالماء السخن وليكن طعامهُ خفيفًا مغذيًا . ولهُ ان يأْكل ما شاء من الطعام اذا كان يستطيع هضمهُ ولكنهُ اذا ملأَ بطنهُ من الطعام وساء هضمهُ آل ذلك الى تعب قلبهِ حتمًا

واذا تورَّمت قدماهُ وجب ان يخبر الطبيب حالاً ويجب حينئذٍ منع المريض من المشي ومن الجلوس في سريرهِ

الكبد

ان البرد الشديد والحر الشديد والاشربة الروحية كل ذلك يضر الكبد . فعلى من كان معرضًا لداء الكبد ان يتجنب البرد والحر والمسكرات . ولكن من ادواء الكبد ما لا يمكن منعهُ كحصاة الكبد وخراجهِ وسرطانهِ . ويمكن وضع اللزق والفلانلا المسخنة على مكان الالم . والكبد على الجانب الايمن وهي تبتدئ حيث تنتهي الرئتان اي عند منتهى الاضلاع واذا كانت الممرضة تجهل موضع عضوٍ من الاعضاء لكي تضع عليهِ لزقة او حرَّاقة او اما اشبه فلتسأَل المريض عن المكان الذي يشعر ان الالم فيهِ وتضع العلاج عليهِ

خرَّاج الكبد

تقدَّم ان الصديد يتكون غالبًا بعد التهاب الرئتين وتدعو الحال الى عمليَّة جراحيَّة . ويحدث مثل ذلك في الكبد فتلتهب وتشتد الحرارة ويتبع ذلك تولد خرَّاج . ولا بدَّ من شق هذا الخراج ووضع انبوب فيهِ ينزح بهِ الصديد ويوضع الغيار المضاد للفساد و يربط برباط عريض يمكَّن بدبابيس موقية كما يفعل في عمليَّة الرئة . والفرق الوحيد هو ان الرئتين تمتدان من اعلى الصدر الى آخر الاضلاع والكبد تبتدئُ من آخر الاضلاع وتمتد حسب ما فيها من الالتهاب

اليرقان

اليرقان حادث عن خلل في الحوصلة المرارية فيصفر فيهِ الجلد والعينان والبول والعرق وتختلف صفرتها من لون الزعفران الى الاسود المسمر . والاسباب مختلفة ويجب ترك البحث عنها الى الطبيب الذي يشخص العلة و يصف لها العلاج . واذا تألَّم المصاب فلتوضع لهُ لزقة على كبدهِ فيخف المهُ ولو الى حين . ومِمَّا يفيدهُ ايضًا الحمامات السخنة فانها تريحهُ

وتصلح لون جلدهِ وتمنع التهابهُ وتكوُّن الطفح عليهِ

وطعام المصاب باليرقان يجب أن يكون سائلاً وقليلاً . واليرقان العادي يدوم من عشرة ايام الى اربعة اسابيع ولكنهُ قد يبقى عدة اشهر

الاستسقاء

يحدث الاستسقاء بسبب خلل في الكبد او غيرهِ من الاعضاء ويمكن اعتبارهُ عرضاً لا مرضاً ولكنهُ من نتائج آفات الكبد ولذلك استطردت الكلام اليهِ هنا . فان البطن يمتلئ ماء بسبب مرضي فيتعب منهُ المريض تعباً كثيرًا . ويزول هذا الماء احيانًا بالقيام في الفراش والوسائل العلاجيَّة ولكن تدعو الحال في احوال اخرى الى بزل البطن واستخراج السائل منهُ فيزول تعب التنفس

ولا بدَّ قبل اجراء هذه العملية من استحضار اناء كبير وانائين اصغر منهُ حتى يملأ احدهما بالسائل الخارج من البزل ثم يوضع الثاني مكانهُ بينما يفرَّغ الاول في الاناء الكبير ويضع بعض الاطباء مبزلاً في الثقب ويتركونهُ حتى يخرج السائل منهُ ويجب ان يوضع مشمَّع تحت المريض وتوضع تحتهُ ملاءة مطويَّة اربع طيَّات والاَّ تبلَّل فراشهُ من السائل

واحسن وضع للمصاب بالاستسقاء ان يسند بالمساند ويوضع مسند تحت قدميهِ حتى لا يزحل عن سريرهِ بسبب ثقلهِ ويتعسر اليهِ النهوض . واذا زحل تعذَّر على الممرضة وحدها ارجاعهُ الى وضعهِ الاول فيجب ان تساعدها ممرضة اخرى او شخص آخر ويضع كل منهما ذراعيهِ تحت ذراعي المريض ويرفعانهِ ويقف احدهما على جانب من جانبي سريرهِ

ولا بدَّ من تدفئة المصاب بالاستسقاء ويحترس من ان يصاب بقروح الفراش في اليتهِ وكعبيهِ لان الاستسقاء يمتد الى قدميهِ ايضاً واذا نطِّلت رجليهِ بماء سخن شعر براحة كثيرة . ويجب ان يكون طعامهُ سائلاً ومغذيًا لان ملء المعدة بالطعام الكثير يزيد تعبهُ

الكليتان

قلت ان الاستسقاء من اعراض امراض الكبد . وهو ايضاً من اعراض امراض الكليتين ووظيفة الكليتين افراز البول فاذا مرضتا ولم تعودا تقومان بوظيفتهما اجتمع البول في البطن والساقين والجسم كلهِ فاذا كان العليل نظيف الجسم يستحمُّ بماء سخن كل يوم فمسام جلدهِ تساعدهُ على افراز البول ولكن اذا كانت المسام مسدودة ساءت حالهُ ما لم يساعدهُ الطبيب بالادوية التي تعرّقهُ وترد الكليتين الى وظيفتهما

وقد يكون مرض الكليتين حادًّا تصحبهُ حمى ويتلوَّن معهُ البول لونًا قاتمًا وتقلُّ كميتهُ .

وقد يكون مزمناً من غير حمّى ويكون لون البول طفيفاً وكميتهُ عادية . والمصابون بالمرض المزمن قد يعيشون عشرين سنة وهؤلاء لا يحتاجون الى شيءٍ من التمريض ولكن يجب ان يتقوا البرد ويعتمدوا على تدبير الطعام وليس كذلك الحوادث الحادّة حيث تشتد الحرارة ويقل افراز البول ويلزم الاعتناء التام بتدبير الطعام . ويجب حينئذٍ تدفئة المصاب بتدثيرهِ بالاحرمة وتنطيل رجليهِ بالماء السخن ويسقى اللبن فقط ثم مرق الفراخ واذا نقه او ازمنت علتهُ يطعم السمك والفراخ ولحم الحملان مع الخضر . ويحسن ان يطعم شوربا الخضر واللبن

الاسهال والدوسنطاريا

قد يحدث الاسهال من سوء الهضم او البرد او سل الامعاء . لذلك يجب معرفة السبب اولاً . وصوّم العليل ودفئهُ واسقهِ كاساً من اللبن السخن كل ساعتين فيشفى من الاسهال سريعاً واذا لم يشفَ فاستشر الطبيب لان الاسهال اذا أُهمل امرهُ صار مزمناً ولو لم يكن ناتجاً عن مرض

والدوسنطاريا اسهال شديد مؤلم تتقرّح فيها الامعاء ويخرج الدم مع البراز . اسقِ العليل مسهلاً من زيت الخروع واعتنِ بهِ شديداً اكثر مما تعتني بهِ اذا كان مصاباً بالاسهال البسيط واحفظ مبرزاتهِ الى ان يراها الطبيب

الديابيطس او البول السكري

في الديابيطس يستحيل الدم الى سكر وتضعف القوة رويداً رويداً . ويشعر العليل بعطش شديد ويكثر بولهُ فيجب ان يكال بول الاربع والعشرين ساعة ويخبر الطبيب عن مقدارهِ . ولا داعي لحفظهِ اربعاً وعشرين ساعة ما لم يطلب الطبيب عينةً منهُ لامتحانها . والصعوبة الكبرى في الديابيطس تدبير طعام العليل لانهُ يمنع عن مآكل كثيرة فيصعب عليهِ وعلى من يمرضهُ اختيار الطعام المناسب لهُ . ولا يمنع عن البيض واللبن والزبدة والجبن والخضر كالاسباناخ والكرنب والهليون والجرجير والخس الخيار والطماطم والزيتون والزيت والخل وانواع المكبوسات . ولكنهُ يمنع عن الفول والبازلا والبطاطس والجزر واللفت والبنجر والرز والتابيوكا والماكروني ويمنع ايضاً عن الخبز ويطعم بدلاً منهُ كسراً محمَّصة او نوعاً خاصاً من الخبز يصنع لمن كان مصاباً بالديابيطس وهو غالي الثمن نوعاً . ويمكنهُ ان يشرب الماء والقهوة والشاي وماء الصودا والبن والليموناضة ويأكل من الفاكهة البرتقال والليمون الحلو والخوخ والجوز من كل الانواع ما عدا الكستنا (ابو فروة)

الكَلَب

يحدث الكَلَب من عضَّة حيوان مصاب بالكَلَب والغالب ان يكون كلباً ولا بدَّ من ان تكون العضة بالغة تجرح العضو المعضوض والاَّ فلا ضرر منها · ومدة الحضانة من اربعين يوماً الى عدة اشهر ولذلك جرت العادة في بلاد المشرق ان يسهَّر المعقور في الليلة الاربعين ويمنع من النوم وهي عادة سيئة لا نفع منها مطلقاً · والكَلَب من افظع الادواء والمصاب بهِ يخاف من الماء خوفاً شديداً ومن كل سائل حتى انهُ يجزع من رؤْية الانية التي توضع فيها السوائل فيصيبهُ تشنج ويتكوَّن الزبد على فمهِ ويرتمي ويضرب نفسهُ بما حولهُ فيجب ان يوضع في غرفة خالية من الاثاث ويبسط فيها حصير او بساط ويترك فيهاحينما تصيبهُ النوبة لئلاَّ يعض احدًا فيعديهُ وحينما تزول النوبة يسكن ويعود اليهِ رشدهُ ولا يعود منهُ ضرر ولكنهُ يعلم ان آخرتهُ دنت · ويموت بعد يومين الى اربعة

والعلاج المستعمل الآن للكَلَب حسب طريقة باستور يمنع الكلب اذا استعمل في وقتهِ ولكن اذا لم يستعمل في وقتهِ وانتشر السم في البدن لم يعد العلاج ينفع شيئًا

مدة الهضم

الجسم يغتذي ممَّا يهضمهُ من الطعام لا ممَّا يأْكلهُ منهُ فقد يأْكل كثيرًا فيتعب معدتهُ ويخسر اموالهُ على غير جدوى كما ابنا في الجزء الماضي في الكلام على ما يلزم من الغذاء · ثم ان الاطعمة المختلفة تختلف كثيرًا في الزمن الذي يقتضيهِ هضمها فبعضها سريع الهضم يهضم في ساعة من الزمان وبعضها بطيءُ الهضم لا يهضم الاَّ في اربع ساعات او اكثر · وقد اتَّصل الباحثون في هذا الموضوع الى وضع الجدول التالي ذكروا فيهِ انواع الاطعمة المختلفة وما يقتضيهِ كلٌّ منها من الزمن لهضمهِ · وهي مرتبة هنا حسب حروف الهجاء

دقيقة	ساعة		دقيقة	ساعة	
٠٠	١	الارز	٣٠	٢	البطاطس المقلو
٤٥	٣	البنجر المسلوق	٠٠	٢	التبيوكا
٣٠	٣	البيض المسلوق	٠٠	٢	التفاح الحامض
٣٠	٣	البيض المقلو	٣٠	١	التفاح الحلو
٠٠	٣	البيض تامبرشت	٣٠	٣	الجزر المسلوق
٣٠	٣	البطاطس المسلوق	٣٠	٣	الجبن

دقيقة	ساعة	
١٥	٣	خبز الذرة
٣٠	٣	خبز القمح
٠٠	٢	الديك الرومي المحمَّر
٣٠	٣	الزبدة
٠٠	٤	شوربة لحم البقر
٠	٣	شوربة الفراخ
٣٠	٢	الفول الاخضر
٠٠	٣	الفول اليابس
٠٠	٢	الكرنب الاخضر
٣٠	٤	" المسلوق
٠٠	٢	اللبن المغلى

دقيقة	ساعة	
١٥	٢	اللبن بلا اغلا
٠٠	٣	لحم البقر روستو
٠٠	٤	لحم البقر المقلو
٠٠	٤	لحم البط الاهلي
٣٠	٤	لحم البط البري
٣٠	٢	لحم الحمَل المسلوق
٠٠	٣	لحم الضان المسلوق
١٥	٣	" " روستو
٠٠	٤	لحم عجل مسلوق
٣٠	٤	لحم عجل مشوي
٠٠	٢	لحم الوز المقلو

ويضاف الى ذلك ان من المواد السهلة الهضم الاروروط والهليون والقنبيط والبرتقال والعنب والفرولة (كبوش القش) والخوخ (الدراقن) ومن المواد العسرة الهضم الجوز على انواعهِ والكمثرى والبرقوق (الخوخ) والكرز والخيار والقثاء والبصل والمخللات على انواعها والكعك . ومن المواد التي بين بين الخبز والتفاح ومطبوخ الاثمار .

خلاصة الاثمار

يؤْخذ الثمر الكثير العصارة ويهرث في اناء كبير حتى يصير ربًّا ويوضع على النار حتى يسخن جيدًا ثم يصب في منخل دقيق الشعر ويترك حتى يتصفَّى منهُ فيفرغ في قناني واسعة الفم وتسد جيدًا وتوضع في اناء كبير فيهِ ماء بارد ويوضع على النار ويترك حتى يغلي ثلث ساعة ويرفع الاناء عن النار حينئذٍ ويترك حتى يبرد والقناني فيهِ فما في القناني يستعمل في عمل الشربات ونحوها لان فيهِ طعم الثمر الذي استخرج منهُ

واذا كان الثمر قليل العصارة كالتفاح والكمثرى فيوضع في اناء ويغطَّى بالماء ويغلى حتى ينضج جيدًا فيهرت ويوضع في منخل ويترك حتى يتصفى الماء منهُ من غير عصر ويوضع في قناني ويتم العمل كما تقدَّم . اما ما يبقى في المنخل فلا يصلح لذلك اذا اريد ان تكون الخلاصة شفافة لعمل الشربات اما اذا لم يرد ان تكون شفافة فلا يترك من الثمر الَّا القشر والبزر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سؤال

عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق

سئلت دليلاً واضحاً على وجود الاله تعالى كأَنهم في شك منهُ او من شدة الظهور كان الخفاء وكيف خلق الخلق أمن ذاتهِ تعالى او من شيءٍ غيرهِ او من عدم وكيف الفنا والاعادة

فان كان الخلق من عدم فمن عدم بالصورة او من عدم بالذات فان كان من عدم بالصورة كالثوب قبل نسجهِ كان معدوماً بالصورة موجوداً بالمادة فسلم وان كان من عدم بالذات فما هو العدم واين محلهُ ام خلقوا من غير شيء وكيف يحصل من العدم شيءٌ وهو لا شيء

وان كان الخلق من شيءٍ غير ذاتهِ تعالى فما هو ذلك الشيء وهل هو حادث او قديم فان كان حادثاً فمن اي شيءٍ حدث وان كان قديماً فهل تعدد القدماء وتساوت القدرة وتم الوفاق كلاَّ لو كان فيهما آلهة الاَّ الله لفسدتا

وان كان الخلق من ذاتهِ تعالى فهل امتدت منها وفيها صور الخلق طوراً بعد طور وهل هي كلها او بعضها فان كانت كلها فكيف يتساوى الحادث بالقديم وهل كل فرد منها مسيطر على نفسهِ وان كانت بعضها فاين محلها منهُ وهل هناك حلول او لا غيرية فلا حلول اذ الشيء لا يحل في نفسهِ فيكون قديماً بالذات حادثاً بالصورة وهو تعالى مهيمن عليها بعضهُ على بعض

وهل تجلَّى تعالى بنفسهِ لنفسهِ فظهر من عالم الملكوت وهو الباطن الروحاني وهو الوجود المطلق وهو مرتبة الحق باعتبار الذات الى الصورة منهُ وهي مرتبة الارواح ثم الى عالم الملك وهو الظاهر الجسماني وهو مراتب اشباح الخلق كما ظهرت بالروح بشرية الحية من باطن العصا ثم عادت العصا من باطن الحية الى سيرتها الاولى وكل منهما عين الاخرى للدلالة على البدء

والاعادة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

وهل هو تعالى لا يزال واحدًا بالذات وان تعدد بالصور فهي منهُ وترجع اليهِ كالثلج في الماء فهو منفصل منهُ بالصورة غير مباين لهُ متصل معهُ بالذات غير ملتحم فيهِ فهو منهُ بالتكوين واليهِ يرجع بالتحليل فهو تعالى المكان والكائن وهو الدهر وهو الأَول والآخر والظاهر والباطن

وهل مراتب الخلق وان انفصلت بالصورة فهي متصلة بالذات وعاملة بها كالمركبة الكهربائية بالنسبة لمجرى تيارها الكهربائي فهي متحركة ومشرقة بهِ فلا انفصال يقطع المدد ولا اتصال يمنع الحركة كذلك الانسان مع ربهِ ابصر بهِ واسمع ما لهم من دونهِ من ولي ولا يشرك في حكمهِ احدًا

وهل الدليل القائم على وجود التيار الكهربائي بفعلهِ من الحركة والاشراق وان لم نبصرهُ يصلح دليلاً على وجود الاله تعالى وخلقهِ الخلق وتدبير شؤُونهم وان لم تدركهُ الابصار دون البصائر اذ لا سبيل الى وجود مصنوع من غير صانع والمصنوع لا شك موجود فلا سبيل الى انكار الصانع فهو المحمود في مرتبة الحق وهو الحامد في مراتب الخلق

وهل الدليل القائم على وجود الصانع الحادث وتعددهِ وترقي صنعتهِ في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة كالنجار والنجارة والحداد والحدادة يصلح دليلاً على وجود الصانع القديم ووحدتهِ وكمال علمهِ وقدرتهِ وظهور صنعتهِ كاملة على أَبدع اتقان كالارض ومعادنها والسموات وكواكبها والماء والهواء والنبات والحيوان ولو كان حادثًا لتعدد وكان ناقصًا في العلم والقدرة وظهرت صنعتهُ غير كاملة وترقت في التحسين بترقيهِ في العلم وتنازعهِ بالكثرة وما دامت على حال واحدة من كمال التنظيم فصانعها قديم بلا ابتداء وفرد واحد وكامل وباقٍ بلا فناء وقائم على تدبيرها بعلم واختيار يمنع الحركة القسريَّة لامتناع تماثلها في افرادها صنع الله الذي أَتقن كل شيءٍ وهو اقرب اليهِ من حبل الوريد

وطلب ان يكون الدليل على ذلك وجيزًا في المبنى غزيرًا في المعنى لا تقليد فيهِ ولا شطط يقنع بهِ من الناس الوسط فيكون بديهيًا عند الاعلى وقريبًا من فهم الادنى يقبلهُ العقل ويساعد عليهِ النقل

واني لاطرحهُ بالجرائد والمجلات العلميَّة لعل بصيرًا من العلماء يتفضل بالاجابة فنظهر بالدليل الصحيح والقول الرجيح فيثبت الحق ويرتفع الشك والسلام المعتمد على ربهِ

منصور الشريف

المدارس السورية الانكليزية

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد السادس من المقتطف الاغر بامضاء " تاجر " انتقد فيها ما كتبتهُ عن المدارس المذكورة وطلب ايضاح بعض الامور التي يرغب في ازالة اثرها من نفسهِ فارجوكم نشر هذه الكلمات اجابةً لسؤلهِ وان لم يكن فيها زيادة فائدة للقراء

ان حضرتهُ قد حصَّل من قراءة المقالة ما لم يحصّلهُ سواهُ وفاتهُ ما لم يفُت غيرهُ اما ما حصّلهُ وحدهُ فهو ان الامضاء س . خ . امضاء كاتبة وانها تعلَّمت في المدارس المشار اليها مع ان آداب الكتابة تقضي بان لا يفتَّش عن كاتب لا يريد ان يعلن اسمهُ . ويحتمل ان الامضاء امضاء كاتب عارف باحوال المدارس الانكليزية لان ضمير المتكلم يطلق على المذكر والمؤنث

واما ما فاتهُ ولم يفت غيرهُ فهو فضل هذه المدارس وذلك ظاهر من سياق الكلام في ان المدرسة الداخلية هي اول مدرسة في سورية (قانونيَّة علَّمت اللغات الاجنبيَّة والبيانو والتطريز الخ . وفن التعليم) قبلما انشئ غيرها بزمان " والفضل للمتقدم " وان نجاحها السريع حرَّك همة الغير حتى نسجوا على منوالها . واما فائدتها فهي لوجود فروعها التسعة والخمسين في انحاء عديدة ولكثرة اقبال الطالبات اليها حتى بلغ عددهنَّ ٤٦٨٠ اربعة آلاف وستمائة وثمانين كما اثبتناهُ في المقالة المذكورة وقد سها حضرة " تاجر " عن قراءة الصفر الى اليمين مع انهُ ظاهر ظهور فضل المدارس السورية الانكليزية

واما نسبتنا عمل الرئيسات اللواتي تولين ادارتها الى انهُ " ابتغاء لوجه الله الكريم وحبًّا للقريب " فهو لكونهنَّ خدمنَ هذه الخدمة الشريفة بدون اجرة لا بل انهنَّ انفقنَ من اموالهنَّ المبالغ الطائلة في سبيل انجاح هذه المدارس

ومع ان الاقرار بالفضل واجب فاقرارنا بهِ لا يمنع ان يكون غيرهنَّ ممن حذا حذوهنَّ و بذل النفس والنفيس في خدمة العلم والوطن من اهل الفضل نظيرهنَّ يستحق المديح والاكرام وان يخلد اسمهُ في بطون الصحائف كما ان قولنا ان حضرة التاجر " تاجر " امين صادق في معاملتهِ يقنع بالارباح القليلة لا يمنع ان يكون غيرهُ من التجار من ذوي الصدق والاستقامة وفي هذا القدر كفاية

س . خ .

مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام

لئن فضل الشرقيون رجالهم على النساء ونظروا الى المرأة نظرة الازدراء فذلك لا ينقص من قدرها ولا يحط من مقامها طالما هي أمٌّ وامرأة تدبر العائلة بحسن ادارتها وتربي

الاولاد بفضل آدابها وتلهم الرجل بسديد رأيها وترقي البلاد باعداد رجالها

ولم يكن للمرأة قدر يُذكر ولا مقام يُعرَف حتى قامت المدارس لتعليمها وشيدت دور الادب لتهذيبها فخرجت منها تضاهي الرجل بمضاء العقل وتجاربهِ في ميدان العمل الى حدّ أدرك الرجل عنده مقام المرأة الجديد فطرح عنهُ ما كان في عقلهِ من احتقارها ورأت هي منهُ ذلك فأخلصت لهُ محبتها وأُنعشت بروح الحريَّة فسارت في مضمار الارتقاء شوطاً بعيداً

نظر الغربيون بوجهِ الحكمة الى اهمية المرأة في التربية وعرفوا مواضع الخلل فيها فاصلحوها وكاد ان يقضى على المراة في الشرق لولا نفحة علم هبَّت فأحيت ما كان ميتاً من حقوقها واظهرت ما كان غامضاً من عجائبها وأبانت في مدارسنا السورية للبنات من قوة المرأة واهليتها ما لم يحلم بهِ اجدادنا من قبلنا. فقد احتفلت في ٢٦ حزيران من هذهِ السنة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام بمنح شهاداتها لخمس من الفتيات وما أزفت الساعة الاّ ووفد القوم الى المنتدى الاميركي حتى اذا غصَّ بهم افتُتح الاحتفال بالصلاة انبرت المنتهيات الخمس بحللهن البيضاء فتلت الآنسة هيلانة جرجس خطاباً في "اللغة الانكليزية" والآنسة انيسة صراف خطاباً "في السعي وراء المال" والآنسة زهية غراب خطاباً في "المهاجرة" والآنسة روزا نحاس خطاباً في "الخمول في الشرق" والآنسة مناشة حكيم خطاباً في "التهذيب الحديث والوداع" وقد أظهرت كلٌّ منهن من سعة الاطلاع والبراعة في الالقاء ما حملنا على الاعتراف بفضل المدرسة المذكورة وتقديم الثناء للقائمين بها الذين لا يألون جهداً في اعلاء شأنها. ثم تلاهنَّ حضرة الخطيب السنوي الاستاذ داود افندي قربان بخطاب انيق في "الوراثة الطبيعية" بيَّن فيهِ ما يجب على الوالدين ان يورّثوهُ لاولادهم الذين سيتصفون باوصافهم وينشأون على نشأتهم ومنحت الشهادات بين التصفيق والانغام وارفضَّ الجمهور وهم يدعون لمشيّدات العلم بدوام البقاء

طرابلس الشام ا. ا خ

ردٌّ على انتقاد

اطلعتُ على ما ورد في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة لحضرة الاديب (باحث مستفيد) تحت عنوان منزلة الشعر من التاريخ فرأيت في كلامهِ الامور الآتية

(١) مؤاخذة مجلة المقتطف بتنويهها بفصول مقالتي

(٢) شكوى من التطويل في مقالتي

(٣) ادعاؤُهُ انني لم اكد اعثر على شيء لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي

نظموا فيهِ الاشعار التي استشهدت فيها

(٤) ان النقود وُجدت في زمن اسبق من الزمن الذي رويتُ ان العرب كانوا يتعاملون فيهِ بالنقود

(٥) انهم لولا تعاملهم بالنقود لما كانوا بشرًا

(٦) كون وزن النقود والذهب والفضة دليلاً على ضعف العمران

(٧) ذكر ملابس العرب لا يدل على ارتقائهم

(٨) ان التيجان اقدم استعمالاً من زمن العرب

(٩) القول ان العرب كانوا يأكلون ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه

وسأجيب على كل ذلك

البحث الاول

حبذا لو جاد حضرة المنتقد الفاضل باسمهِ الكريم ليكون تأدُّبي في مناظرتهِ اتمّ بل لاتحقق ما اذا كان لي ان اجاذبهُ عنان المناظرة اولا . فقد ذكر حسن باشا زاده في شرحهِ رسالة كلنبوي " ان للمناظرة آدابًا تسعة .... ثامنها انهُ ينبغي ان يحترز عن المناظرة مع اهل المهابة والاحترام " وقال عبد الوهاب الآمدي في شرح الولدية "ولا تباحث المهيب المحتشم"

ثم ان مواد الاقيسة تختلف مكانتها باختلاف المتناظرين فما يجب على فريق ان يسلم بهِ قد لا يجب على فريق آخر التسليم بهِ فلو عرف كلٌّ منّا مناظرهُ لكانت سهام احتجاجهِ اسدَّ تصويبًا وارمى رمية . فضلاً عن ان البلاغة مطابقة الواقع لمقتضى الحال . ومقتضى الحال يطلب تعيين المخاطب

ومالي اعدد اوجه الاحتجاج في هذا الصدد وقد تصدَّى حضرتهُ لمعارضة منشئي المقتطف الفاضلين في قدر بحث علمي وهما اللذان ما برحا منذ نحو ثلاثين عامًا يستخرجان من مناجم الابحاث المفيدة درر الفوائد فيرصعان بها قلائد المعقول والمنقول وقد خبرا اذواق قراء مجلتهما فعرفا اية ابحاث هي اسوغ في آذانهم واعلق باذهانهم . فهل بلغ حضرتهُ مبلغهما في كل ما ذكر ليكون لرأيهِ من الوقع ما لرأيهما

اقول هذا تطويلاً في البحث على ما ينسبهُ اليَّ حضرة المنتقد ولو شئت لقلتُ لم يكن التنويهُ مني فيتعين الجواب عليَّ

البحث الثاني

قال حضرة المنتقد " فتنشرونها على ما فيها من التطويل كأنها من المكتشفات العصريَّة والمبتدعات المفيدة "

اجيب ماذا يريد حضرتهُ بقولهِ " على ما فيها من التطويل " فان اراد اعطاء كل بحث حقهُ من الاستيفاء فهل يرى في ذلك بأساً. وان اراد ان من الشواهد ماهو متفق المعنى موحَّد الغاية فذلك يكون لاختلاف تلك الشواهد في الوضوح او لتعدد قائليها او لاعتبارات اخرى. والمسلك الذي سلكت فيهِ هو مسلك جلة العلماء والمنشئين ألا يرى ان مجلة المتطف في مقالتها "مشاهير الزمان" المدرجة قبيل انتقادهِ بصفحاتٍ اتت بثلاثةِ شواهد متفقة المعنى موحَّدة الغاية مع ان ذاك البحث ليس مما يشتجر بهِ عوامل الاختلاف . وهكذا نجد سيبويه امام النحاة يورد على القاعدة الواحدة عدة شواهد انظر مثلا "باب ما اواخر الاسماء فيهِ الهاء" فانهُ قد قال فيهِ "واعلم ان الشعراء اذا اضطرُّوا حذفوا هذهِ الهاء في الوقف وذلك لانهم يجعلون المدة التي تلحق القوافي بدلاً منها وقال الشاعر (ابن الخرع) (متقارب)

كادت فزارة تشقى بنا فاولى فزارة اولى فزارا

وقال القطامي قفي قبل التفرُّق يا ضباعا

وقال هدبة عوجي علينا واربعي يا فاطما "

وهذه الشواهد الثلاثة في بحث واحد لغاية واحدة . وهذا الامام ابن منظور اللغوي مع ما اشتهر عنهُ من تلخيص المطوَّلات واكتفائهِ بالزبد نجدهُ في معجمهِ لسان العرب يسرد الشواهد العديدة في البحث الواحد للقصد الواحد مثال ذلك قولهُ ان الصراري هو الملاَّح (البحَّار) " بدليل قول الفرزدق

ترى الصراريَّ والامواج تضربهُ لو يستطيع الى بريّة عبرا

وكذلك قول خلف بن جميل الطهوي

ترى الصراريَّ في غبراء مظلمة تعلوهُ طوراً ويعلو فوقها تيرا [1] "

فاكتفي بهذه الشواهد خشية التطويل واقول ان سرد الشواهد المتعددة في البحث الواحد للغاية الواحدة لهُ مواقع هي اشبه بما يذكرهُ علماء المعاني من مواقع ذكر المسند اليهِ

ولعل حضرة المنتقد يذهب في عبارتهِ السابق ايرادها الى نكتة بديعية هي الاتيان بالمديح في معرض الذم فألبس عبارتهُ مظهراً تبدو بهِ المؤاخذة وهو يبطن الثناء ويؤيد هذا الظن اذا

(١) تير جمع تارة

اعتبرنا كأَن في قولهِ "كأَنها من المكتشفات العصرية" واردة للتأْكيد على مثال ما يتخرج قول امرئ القيس

أَحارِ بن عمرٍ كأَني خمر ويأْتي على المرء ما يأْتمر

اي انني خمر. اقول ان كان هذا ما ارادهُ فان فريقاً كبيراً في طليعتهِ حضرة الكاتب البليغ والباحث المدقق محمد افندي كردعلي يرى غير ما ارتاهُ ويقول انني آخذ ما خذ الاختصار ويشير عليَّ بالتطويل وارى ان القول ما قالهُ هذا الفريق فقد اوجزت الكلام في معظم الفصول التي اوردتها وكان الأَولى ان استوفيَ البحث فمن ذلك

(في فصل الطيوب) ذكرتُ في فصل الطيوب ان الرجال كانوا يتطيبون واهملتُ الفصل بين الطيوب الخاصة بالنساء والطيوب المشتركة بين الفريقين . فقد روي عن ابراهيم النخعي انهُ قال "انهم كانوا يكرهون المؤَنث من الطيب ولا يرون بذكورتهِ بأْساً" قال شمر "اراد بالمؤَنث طيب النساء مثل الخلوق والزعفران وما يلوّن الثياب واما ذكورة الطيب فما لا لون لهُ مثل الغالية والكافور والمسك والعود والعنبر"(٢) واقول هذا القول اغلبيٌّ فقد ورد ان الذكور كانوا يتطيبون بمؤَنث الطيب قال الاعشى

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنتُ بها قديماً مُولَعا

الخمر واللحم السمين واطّلي بالزعفران فلن ازال مولَعا

والزعفران من مؤَنث الطيب كما ترى ذلك في كلام شمر

(وفي فصل الصنائع) اهملتُ من فصل الصنائع ذكر الخياطة وقد ورد من شواهدها قول الاعشى

وانبئتُ قيساً ولم ابلهُ كما زعموا خير اهل اليمنْ

يشقُّ الامور ويجتابها كشقّ القراري ثوب الرَّدَنْ (٣)

(وفي بحث الاستياك) اهملت انهم كانوا يتخذون المساويك من خشب الزيتون ايضاً . قال النابغة الجعدي

كأَن فاها اذا "تحدّث" من طيب مشمّ وحسن مبتسمِ

يُسَنّ بالضرو من براقش أَو هيلان او ناضرٍ من العُتُمِ (٤)

(٢) عن مادة انث في لسان العرب (٣) يشق الامور اي يبرمها ابراماً . ويجتابها اي يقطعها على احسن الوجوه . والقراري نسبة الى القرار اراد بهِ الخياط . الردن الخز عن المقاصد النحوية للعيني

(٤) يسن يسوك . الضرو شجر طيب الرائحة والعتم الزيتون . و براقش وهيلان واديان في اليمن

(وفي بحث الغياصة) اهملتُ ما اوردتهُ في هذا الرد من شواهد الصراري وشواهد أُخرى تؤيد وجود الملاحة عند العرب

(وفي بحث الحدادة) اهملت ذكر اشتهار بني تميم بالحدادة نظرًا لما هو مشهور من هجاء جرير للفرزدق بان اباءهُ كانوا قيونًا كقولهِ

كان العنان على ابيك محرَّمًا والكير كان عليهِ غير حرامِ

كما اهملت استطراد البحث في قول النابغة الذبياني

وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قمصاء ذائل

فقد ذهب بعضهم كقدامة بن جعفر الى ان المراد بسليم سليمان بن داود النبي فغيَّر اسمهُ لضرورة الوزن (٥) فانَّ ذلك البحث طويل ربما اخرجني عما رسمتهُ لنفسي

البحث الثالث

قال حضرة المنتقد "ولكن يرى لدى امعان النظر انهُ لم يكد يعثر على شيءٍ لا ينتظر وجودهُ عند العرب في الزمن الذي نظموا فيهِ الاشعار التي استشهد بها"

اجيب انني قلت " الشعر اهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار " ولم اقل اننا " نعثر على شيءٍ لا ينتظر وجودهُ الخ " فيكون لاعتراضهِ وجهٌ

ثانيًا ان اعتراضهُ يتحمل ضمنًا الادعاء ان العثور على المنتظر لا يعدُّ ذا شأن . وهو ادعاء باطل فاننا نجد روَّاد العاديات لا ينقبون عنها الَّا حيث ينتظرون العثور عليها ومع ذلك فان ما يعثرون عليهِ يعدونهُ من التحف

ثالثًا ليس كلُّ ما ينتظر معلومًا واضرب لذلك مثلاً وهو انني لمَّا مثلتُ روايتي وفاء السموأل جاء فيها " سلام ايها الملك الهمام " فانكر عليَّ بعض الادباء ان يكون السلام على الملوك عند العرب في الجاهليَّة هكذا وانما كان بأبيت اللعن فقلت اولاً ينتظر ان يكون السلام بالعبارة التي وردت في كلامي فرُدَّ عليَّ بان المنتظر قد لا يكون حادثًا حينئذٍ استشهدت بقول امية "سلام ايها الملك اليماني " ولهذا قلت " ابيت اللعن وردت تحيَّة تستدل انها احدى التحيات الواردة في مخاطبة الملوك لا التحية الخاصة كما يزعم البعض (٦)"

وعلى ذلك فبما ان بعض المنتظر غير معلوم . وكل ما ليس بمعلوم يكون في نشرهِ فائدة

(٥) انظر فصل ائتلاف اللفظ والوزن من كتاب نقد الشعر

(٦) انظر الصفحة ٤١١ من مجلد المقتطف ٢٧

مَّا كان في ما انشرهُ عند من يعدُّهُ ،منتظرًا غير معلوم فائدة هي منية لمطالع الاديب

البحث الرابع

قال حضرة الاديب " ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد الاسكندر "

" وان العرب لا يُعقل الأ انهم يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم "

واثباتنا انهم كانوا يستعملون النقود المستعملة عند الامم المتاخمة لهم كاثباتنا انهم كانوا يطبخون الطعام و يلبسون الثياب

اجيب على المقدمة الاولى

لم اتعرض للبحث في " متى وُجدت النقود عند العرب " وخلاصة ما كان مني انني اوردت في الابحاث التي سبقت فصل استعمال النقود ان العرب كانوا ذوي ارتقاء في العمران (٧) .ثم قلت ان "النقود وسيلة التعامل عند الامم الراقية في العمران (٨)" فكان قياس كلامي ما يأتي

كان العرب من الامم الراقية في العمران . والامم الراقية في العمران كانت تتعامل بالنقود . فكانت امة العرب تتعامل بالنقود .اذن فلا يرِدُ على قولي قولهُ " ان استعمال النقود قديم جدًّا من قبل عهد اسكندر "

واجيب على المقدمة الثانية هذا قول مطلوب البيان

واجيب على النتيجة (اولاً) لا مناسبة بين المحمول والمحمول عليهِ فقد تترقى المدنية الى مكانة سامية في العمران ولا نقود . ولا يعيش انسان بلا طعام

(ثانيًا) لا اعلم من اين اتى بهذه النتيجة فان انكر كونها نتيجة فالمطلوب اثبات صحتها

ثم انهُ لا يعزب عن حضرتهِ ان المؤرخ يجب عليهِ ان يذكر ما كان من ابحاث تاريخهِ استطرادًا والاَّ كانت ابحاثهُ غير مستوفاة . وقد وضعتُ فصل النقود دفعًا لتوهم ان العرب كانوا لا يتعاملون بالنقود كما سيرد في هذا الرد

ولا خلاف ان الشعر العربي لم يصل الينا من بدء استعمالهِ وانما وصل الينا ما ورد منهُ قبيل الاسلام بقليل فالشعراء الاولون مجهولو الاقوال ولو وصلت الينا اقوالهم لاتخذنا منها حججًا تاريخية مكانتها من الاعتبار بمكانة تلك العصور

وكما ان في تعدُّد الاهرام فوائد تاريخيَّة كذلك في تعدد اشعار العصور فوائد تاريخيَّة

(٧) انظر الفصل الثاني من مقالة منزلة الشعر المدرج في الجزء ١١ من المجلد ٢٧ من المقتطف والفصل الثالث في الجزء ١١ و الجزء ١١١

(٨) الجزء الاول من المجلد ٢٨

فالعصر الدارس شعرهُ لا نستطيع معرفة مدنيتهِ كما لو كنَّا وقوفًا على شعرهِ

ولما كان عصر استعمال النقود من زمن "قديم جدًّا قبل عهد الاسكندر" كما يقول حضرة المنتقد كان الوقوف على بدء استعمال النقود مما يقوم عذري اذا لم استطع تعيينهُ من الشعر

وقد تقاضاني حضرة المنتقد بحثًا آخر هو ايراد شاهدٍ على صك العرب الجاهلية نقودًا فان الشواهد التي استشهدتُ بها منها ما يدل على كونها مجتلبة من نقود الامم المتاخمة ومنها ما لا يدلُّ على شيءٍ سوى تداولها بين العرب . وهذا البحث قد اعرتهُ التفاتًا خاصًّا لاسيما بعدما اشار عليَّ بهِ ولكني لم اظفر لهُ بشاهد شعريٍّ مع كل ما بذلتهُ من الاهتمام . وقد ظفرت بشاهدٍ غير شعري ذكرهُ المبرد في كتابهِ الكامل وهو

" وحدثني التوازي عن ابي عبيدة او الاصمعي عن ابي عمرو قال . قال لي رجل من اهل القريتين [٩] اصبتُ ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم واربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس فخفت السلطان فأخفيتها [١٠] " ولم اورد هذا الشاهد في مقالتي لانهُ من المنثور

امين ظاهر خير الله

حمة النحلة والزنبور

اني قرأت بمجلة المقتطف جزء سابع سنة ١٩٠٣ صفحة ٦٠٢ تحت عنوان لسع الحشرات ما يأتي : اذا لسعت نحلة او لسع زنبور ولدًا فاجتهد اولاً لنزع الحمة (اي شوكة النحلة او الزنبور) وهذا التفسير غلط محض لان الحمة السم والضر كما جاء في كتاب اداب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينوري (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى انها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرهما وكذلك هي من الحية لانها سم ومنهُ قول بن سيرين يكرهُ الترياق اذا كان فيهِ الحمة يعني بذلك السم واراد لحوم الحيات لانها سم ومنهُ قولهُ لارقية الاَّ من نملة او حمة ولذا ارسلت لكم بهذا لتصليحهِ وتصليحهِ بالعدد القادم . ولي بعد درج هذا التصليح شيءٌ آخر والسلام

(المقتطف) جاءنا هذا التصحيح او الانتقاد من غير تخليص من البريد ومن غير امضاء فاستلمناهُ من البريد على خلاف عادتنا من اهمال ما يرسل الينا من غير تخليص ونشرناهُ على غير عادتنا من اهمال ما يأتينا من غير امضاء . اما استلامهُ فكان خطأً واما نشرهُ فكان

---

(٩) قال المبرد ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لطسم وجديس

(١٠) في الصفحة ٤٢١١١ من نسخة الكامل المطبوعة سنة ١٢٨٦

لاظهار فائدة والفائدة هي انهُ اذا اختلف اهل اللغة واهل علم في معنى كلمة مستعملة في ذلك العلم فالقول ما قالهُ اهل العلم في ذلك المعنى · ومن هذا القبيل كلمة حمة فان علماء اللغة يقولون ان معناها السم لكنهم لا يحتمون ان معناها السم لاسواهُ فقدقال صاحب لسان العرب "الحمة السم وقال بعضهم هي الابرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك او تلدغ بها"

وظاهر من ذلك ان علماء اللغة الذين نقلوا العربية عن اهلها رأوا ان بعض العرب يستعملون الحمة بمعنى شوكة الزنبور والعقرب واكثرهم يستعملها بمعنى السم لكن المتكلمين في طبائع الحيوان وعليهم المعول في اسماء اعضائهِ لهم ان يسموا كل عضوٍ من اعضائهِ بما يشاؤون سواءٌ وافقوا في ذلك علماء اللغة او لم يوافقوهم كما ان الصرفي والنحوي والبياني والعروضي والمنطقي يستعمل كلٌّ منهم في علمهِ كلمات كثيرة موافقة لوضعها او غير موافقة لهُ ككلمة صرف ونحو وماضي ومضارع وامر وسالم وصحيح ومعتلّ ومثال واجوف وناقص ومبتدإٍ وخبر ومنصوب ومجزوم ومضاف ومسند وتورية واستعارة وجناس وقافية وفاصلة وموضوع ومحمول الى غير ذلك ممَّا يعد منهُ ولا يعدَّد

فهل استعمل المتكلمون في طبائع الحيوان الحمة بمعنى ابرة النحل والزنابير والجواب نعم وهاك ما قالهُ امام المتكلمين في طبائع الحيوان من العرب كمال الدين الدميري قال في كلامهِ على النحل ما نصهُ "ومن خصائص الملك ان لهُ حمة يلسع بها" وكلامهُ حجة لا تردُّ



باب الزراعة

مثال الاباعد

ابعدية المسيو بايرلي

طالما بلغنا عن ابعدية المسيو بايرلي مدير البنك العقاري المصري انها مثال الاباعد المصرية في الاعتناء بالزراعة وخدمة المواشي فقصدناها في هذهِ الاثناء لكي نرى الاساليب المتَّبعة فيها ونصفها لحضرات القراء الذين لم يشاهدوا تلك الابعدية لان السبيل الذي يرجى منهُ النفع الاكبر لاهالي هذا القطر هو اتقان الزراعة اتقانًا تامًّا حتى ان الفدان الذي يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من الحنطة او خمسة قناطير من القطن يصير محصولهُ ثمانية ارادب من

الحنطة او ثمانية قناطير من القطن وقس على ذلك سائر حاصلات الارض . وهذهِ النتيجة اي زيادة الحاصلات من خمسة الى ثمانية او عشرة مقدورة لكل ارباب الزراعة في اكثر الاباعد والسبيل اليها غير متعذر على احد وهي تقوم باتقان الحرث والعزق والتسميد والري والصرف وانتقاء التقاوي كما سيظهر من الشرح التالي

ذهبنا الى ابعدية المسيو بايرلي من الزقازيق في مركبة اوصلتنا اليها في نصف ساعة والطريق اليها متحفّر كثير المرتفعات والمنخفضات يعلوهُ الغبار احياناً حتى يسد المنافس لكثرة ما يمرُّ عليهِ من المركبات والمواشي والقطعان . والاطيان على جانب الطريق جيدة التربة بعضها مهمل وبعضها مخدوم خدمة حسنة ولو خُدِمت كلها الخدمة الواجبة لكانت مزروعاتها من اجود مزروعات القطر لكن الاهمال والتقتير باديان على كثير منها ولا سيما اذا قوبلت باطيان المسيو بايرلي التي بلغ فيها الاعتناء والكرم على الزراعة مبلغاً يفوق الوصف

ولم نكد نصل الى حدود ابعدية المسيو بايرلي حتى بدت لنا دلائل العناية في مجرى الوابور والاشجار المغروسة على ضفتيهِ والنبات المزروع علفاً للغنم وكان حضرة الخواجا انطون خير وكيل المسيو بايرلي ومدير ابعديتهِ ينتظر قدومنا فاستقبلنا ببشاشتهِ المعهودة وشرع من ساعتهِ في اطلاعنا على ما الابعدية من المباني والآلات والادوات والاساليب المختلفة فقضينا نحو اربع ساعات كلها بحث وفائدة

والابعدية الف ومئتا فدان والظاهر انها لم تكن من جيد الاطيان لانها واطئة نوعاً حتى ان مياه المصارف التي حولها تبلغها اذا لم تطهَّر وهذا مما يزيد فضل المسيو بايرلي ووكيلهِ الخواجه خير اللذين اوصلاها الى هذه الدرجة من الخصب بعد ان كانت ارضاً سبخة ومما يثبت لاهالي القطر ان كل الاطيان التي يمكن ان تروى وتصرف تجود بالري والصرف وحسن الخدمة حتى تصير مثل اجود الاطيان

ومما يستوقف النظر اولاً ان كل ما ينقل في هذه الاطيان ينقل بمركبات على سكك حديدية ففيها سبعة عشر كيلومتراً من الخطوط الضيقة تنقل عليها الحاصلات والردم والسباخ ويسير عليها النظار اقتصاداً في الوقت والقوة وتوفيراً للنفقات . وقد بقينا نحو ثلاث ساعات راكبين مركبة يجرها بغل ونحن ننتقل في الاطيان من جهة الى اخرى ولو سرنا تلك المسافات مشياً على الاقدام لقضينا سبع ساعات وانهكنا التعب

ثانياً مزارب المواشي ومخازن الحاصلات وهي كلها واسعة عالية مطلقة الهواء مبنيَّة بالطوب الاحمر ومسقوفة بالقرميد وارضها مفروشة بالاسفلت تمتد فيها الخطوط الحديدية .

ومزارب المواشي منفصلة عن مخازن الحاصلات وهي ثلاثة يسع المزرب (الدوار) منها اربعين زوجاً من الثيران ونحو عشرين فرساً او بغلاً ومئتي رأس من الغنم · وتقف المواشي ورؤُوسها متقابلة على معلفين متوازيين متقابلين بينهما طريق عرضهُ متران مفروش بالاسفلت والسكة الحديدية تسير وراء المواشي من هنا ومن هناك لجلب الردم ونقل السباخ · والخيل والغنم في جناحين على جانبي المزرب. والمزارب كثيرة الشبابيك فضلاً عن ارتفاع سقفها الفائق فلا تشم فيها اقل رائحة خبيثة حتى كأن المواشي قائمة في الخلاء تظللها مظلَّة عالية من اشعَّة الشمس وهذا مما يدعوها الى زيادة الاكل ولكنهُ يزيد قوَّتها ايضاً . وقد كانت المواشي تملأُ المزارب الثلاثة ولكن استُغني عن جانب منها بعد جلب محراث بخاري كما سيجيء

وصحة المواشي جيدة جدًّا ولم يصل اليها طاعون المواشي ولا سبيل لوصولهِ اليها على ما يظهر لانها تشرب من ماء بئر ولا تخالط المواشي الاجنبيَّة . لكن اساليب العدوى مختلفة فقد عديت الفراخ التي هناك بكولرا الفراخ وماتت كلها والظاهر ان العدوى وصلتها بواسطة العصافير على ما يظنهُ حضرة الوكيل

والمخازن كبيرة مثل المزارب وهي غرف فسيحة ارضها مفروشة بالاسفلت ومع ذلك لا تنجو الحبوب فيها من السوس اذا اقامت من سنة الى اخرى وقد رأَينا فيها الفول الباقي من علف المواشي من السنة الماضية ضربهُ السوس حتى اتصل بكل حبة منهُ · والحبوب مفصولة في المخازن كل نوع على حدة وهي عرَم كبيرة جدًّا لكثرة ما يستغلُّ منها

ثالثاً عزب السكان وقد دخلنا عزبتين منها وفي كل منهما جامع بناهُ المسيو بايرلي احسن بناء واستوفى فيهِ الشرائط الصحيَّة كلها. اما بيوت الفلاحين انفسهم فلا يظهر انها ارتقت عن حالة السداجة التي تكون في سائر العزب كأَنَّ سكَّانها لا يستطيعون ان يصنعوا شيئاً لانفسهم من تلقاء انفسهم فيرون بيت المالك ووكيلهِ ومستخدميهِ ومخازن الغلال ومزارب المواشي كلها مبنية احسن بناءٍ ونظافتها تامة ولا يهتمون بتنظيف مساكنهم مثلها . بل يرون قفران النحل ومرتفقات الجوامع انظف من بيوتهم ولا تاخذهم الغيرة . وهذهِ خلَّة تشغل البال لانهُ ان لم توجد في الفلاحين محبة الاقتداء بالغير والتمثل بمن هم احسن منهم لا ترتقي حالهم مهما بذِل من الوسائل لترقيتهم

رابعاً مخمر السباخ· قلنا ان الردم تحت المواشي وجمع السباخ من تحتها وتحت الدواب والغنم دائمان لكن سباخ هذهِ الحيونات لا يكفي اطياناً مساحتها ١٢٠٠ فدان وقد بُذِلت العناية في عمل السباخ الصناعي من نفايات الزراعة وغائط السكان ومايستخرج من مراحيض الجوامع

في المدن القريبة كالزقازيق و بردين

وصُنِع في الارض حوض كبير جدًّا قائم الزوايا وبُطن من الداخل بالسمنت فتقص عيدان الذرة وكل نفايات النبات وتوضع في هذا الحوض ويوضع معها تراب ويصب عليها كل ما يمكن الحصول عليهِ من بول وغائط وماء قذر . واسفل الحوض منخفض تجمع فيهِ المياه المتجلبة ثم ترفع بطلمبا يديرها ثور وترسل في انابيب معدنية وتنصب ثانية على ما في المخمر فيختمر كل ما فيهِ ويتحلل ويستحيل الى سماد تفوح منهُ رائحة النشادر ثم يرفع ويمزج بقليل من فصفات الجير حتى يصير منهُ فصفات الجير النشادري و ينقل الى الغيطان وتسبخ بهِ الارض المعدَّة لزراعة الذرة فيحرث معها ويبقى فيها منهُ من الغذاء ما يكفي للقمح والقطن اللذين يزرعان بعد الذرة

والحوض المشار اليهِ مقسوم قسمين حتى يستعمل قسم منهُ بينما يملأُ القسم الآخر . والاسلوب المستعمل لنزح مراحيض الجوامع واجرائها الى هذا المخمر تدل على تمام الاعتناء والمهارة والحرص على الانتفاع بكل شيء

خامسًا المحاريث — المحراث المستعمل هناك هو المحراث البلدي ويفضّلهُ حضرة الوكيل لخفتهِ ولانهُ لا يغور كثيرًا في الارض . وقد صلح الاطيان بالقصابيَّة البلديَّة لكنهُ يستعمل ايضًا محراثًا بخاريًّا كبيرًا من معمل فَوْلرله' وابوران بخاريان كبيران قوَّة كلٍّ منهما ١٦ حصانًا فيسير الوابوران على جانبي الحوض ويجرَّان المحاريث بحبل ثخين من اسلاك الصلب ذهابًا وايابًا ويتقدمان رويدًا رويدًا الى ان يُتّما حرث الحوض كلهِ وهما يحرثان في النهار من ١٥ فدانًا الى ٢٥ فدانًا حسب كون الارض صلبة او لينة . وثمن هذين الوابورين والمحاريث التي يجرانها ثلاثة آلاف جنيه واسلحة المحاريث لا تقلب الارض كثيرًا كسكك المحاريث الافرنجيَّة فهي شبيهة باسلحة المحاريث البلدية ولكنها اشد غورًا منها في الارض فترفع التراب الاسفل وتقلل خصب الارض مدة سنتين او ثلاث الى ان تمضي مدة كافية لفعل الهواء والشمس . اما التخطيط فيكون بالمحاريث البلدية

غير ان هذا المحراث البخاري غالي الثمن ثقيل على الارض ويصعب نقلهُ فيها اذا كانت كثيرة المراوي وقد علمنا من الخواجه انطون صباغ انهُ اشترى محراثًا بخاريًّا يجرهُ وابور واحد متصل بهِ وهو رخيص ثمنهُ الف جنيه ويحرث في النهار اكثر من عشرين فدانًا حرثًا جيدًا يقوم مقام حرثتين بالمحاريث البلدية فاذا بقي جاريًّا هذا المجرى فقد انحلَّت بهِ عقدة كبيرة من عقد الزراعة في هذا القطر وهو عدم وجود المواشي الكافية وغلاء العلف واجور الانفار

سادساً سائر ادوات الزراعة هي كثيرة جدًّا اخصها آلة الضم وآلة الدراسة وقد رأَينا آلة الدراسة تدرس الحنطة ولها فم كأَنهُ الهاوية يلتهم اغمار الحنطة باسرع من البرق تدرسها الآلة وتغربل الحنطة وتفرزها وتلقي الحبوب الكبيرة في كيس والمتوسطة في كيس ثانٍ والدقيقة في كيس ثالث ويخرج التبن منها مكسَّرًا مدعوكًا وهي تدور بآلة بخارية قوتها ثمانية احصنة وتدرس في النهار غلة ستة فدادين اي نحو ٤٨ اردبًا من الحنطة و٩٦ حملاً من التبن لان متوسط غلة الفدان هذه السنة ثمانية ارادب من القمح و١٦ حملاً من التبن

ومنها آلة انتقاء التقاوي وهي غرابيل اسطوانية مختلفة الثقوب فتفرز الحبوب الرقيقة وحدها والكبيرة وحدها ولا يستعمل للتقاوي الَّا الحبوب الكبيرة وبهذه الواسطة انتقي القمح والشعير والذرة السبعينيَّة حتى صارت حبوبها من اجود ما يكون ومحصولها من اكثر ما يكون

ومنها ميزان يزن الحاصلات وتخرج منهُ ورقة كتب عليها مقدار كل زنة وآلات لتكسير القلاقيل . وهناك ورشة لتصليح الآلات والادوات

سابعًا الاعتناء بالمراوي والمصارف وتبطين بعضها بالسمنت او زرع نوع من الزنبق على حافاتها حفظًا لها من الانهيار وزرع الاشجار على جوانبها تظليلاً للسابلة وانتفاعًا بجسورها . واكثر الاشجار من شجر سريع النمو بلغ ساق بعضهِ ١٢ مترًا ارتفاعًا ونحو ٣٠ سنتيمترًا قطرًا مع ان عمرهُ سبع سنوات . والاهتمام بهذهِ الاشجار كثير حتى انهُ زرعت غابة كبيرة منها . وزُرعت اشجار اليوكالبتوس في اماكن كثيرة للاستظلال بظلها والانتفاع بخشبها هذا عدا الحديقة الخاصة ببيت المالك وما فيها من اشجار الفاكهة والازهار والرياحين

ثامنًا الاعتناء بتربية النحل للانتفاع بعسلهِ وبتلقيحهِ لازهار المزروعات بعضها من بعض وقد استُغلَّ من العسل هذا العام نحو ٦٠٠ كيلو وهي تستخرج بآلات استخراج العسل وتوضع في حناجر من الزجاج والعسل شفاف ابيض ضارب الى الصفرة يباع الكيلو منهُ باثني عشر غرشًا

وليس في الارض الآن زراعة غير القطن وهو تامّ مخضرّ الورق كثير الطرح ويظن حضرة الوكيل ان محصول الفدان هذا العام لا يكون اقل من محصولهِ في العام الماضي ان لم يكن اكثر منهُ

هذا ولا شبهة في ان النفقات التي أُنفقت على هذه الاطيان كثيرة جدًّا ولكنها لم تضع سدًى بل كل جنيهٍ أُنفق عليها زاد في قيمتها جنيهات وقد بدأَت فائدتهُ تظهر في زيادة الريع فان الريع يزيد الآن عامًا فعامًا والنفقات تقلّ عامًا فعامًا وهذا غاية التدبير الزراعي . ولا شبهة في انهُ انفقت فيها نفقات كثيرة يمكن الاستغناء عنها لانهُ لم يُتبع في تنظيمها دستور كان معروفًا

في هذا القطر فهي الآن دستور ما يتلوها فيجتنب الذين يجرون على مثالها النفقات الزائدة ويقتصرون على ما ثبت لزومهُ ونفعهُ بالاختبار وكأنها مدرسة زراعيَّة ودار امتحان افادت الذين شاهدوها وستبقى فائدتها تتجدَّد ما دام الناس ينتفعون من اختبار غيرهم

الهليون (كشك الماظ)

الهليون ويعرف في مصر باسم كشك الماظ نبات معروف يؤتى باغصانهِ الطرية من اوربا وتباع بثمن غالٍ جدًّا · وهو يزرع الآن في القطر المصري ولكن ما رأيناهُ منهُ لا يقابل بما يأتي من اوربا لا من حيث غلاظهُ ولا من حيث بياضهُ ولا من حيث نضارتهُ ولذلك لا يباع غاليًا مثل الهليون الذي يؤتى بهِ من اوربا . واذا امكن ان يزرع في القطر المصري ويكون ابيض غليظًا طريئًا مثل الهليون الذي يرد من اوربا فمنهُ ايراد وافر جدًّا اكثر من ايراد كل زراعة اخرى . نعم انهُ لا يمكن ان تزرع زراعات واسعة منهُ لان مقطوعيتهُ محدودة في هذا القطر ولكن اذا كثرت زراعتهُ ورخص ثمنهُ فلا يبعد ان يصدر منهُ الى اوربا بدل ما يرد منها الآن وسوقهُ رائجة في اوربا فيكون منهُ ربح وافر جدًّا

ويجود الهليون قرب الشطوط البحرية اكثر ممَّا يجود في داخليَّة البلاد اذا تساوت وسائل الزرع والتسميد ولكن اذا بذلت العناية التامة في الزرع والتسميد في داخليَّة البلاد بعيدًا عن البحر جاد فيها ايضًا

والارض التي يزرع فيها يجب ان تكون رمليَّة ومن اجود الاراضي الرملية وان تسبخ التسبيخ الكافي سنويًّا فاذا تمَّ لها ذلك بقي يجود فيها عشرين او ثلاثين سنة · ويراد بالارض الرملية ما كان الرمل فيها اكثر من الطين لا ما كانت رملاً صرفًا

ولا بدَّ من حرث الارض التي يزرع فيها حرثًا عميقًا جيدًا وان تسمَّد قبل الزرع بسماد كثير من السباخ البلدي والجوانو وما اشبه ويجاد حرثها حتى ينعم ترابها جيدًا

وتخطط الارض خطوطًا بين الخط والآخر نحو اربعين سنتمترًا وعمق الخط خمسة سنتمترات ويزرع البزر فيها في اواخر فصل الشتاء حينما يصير يمكن عزقها . والنبات الذي ينبت من هذه البزور اما ان يراد نقلهُ وعمرهُ سنة او يراد نقلهُ وعمرهُ سنتان فاذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنة يخفف بعدما ينبت حتى يبقى بين النبتة الواحدة والأُخرى سبعة سنتمترات واذا اريد نقلهُ وعمرهُ سنتان لا يخفف مادام زرعهُ منتظمًا

ويعزق النبات بعزَّاقة صغيرة بعدما ينبت وتنزع منهُ الاعشاب باليد ثم يخفَّف اذا اريد

غرسهُ وعمرهُ سنة ويعزق ثانية بعد اسبوعين ولا بدَّ من ابقائهِ نقيًّا من الاعشاب كل فصل الربيع والصيف واذا ترك في مكانهِ السنة الثانية فلا يحتاج في الربيع والصيف التاليين الاَّ العزق ونزع الاعشاب

والرطل من البزر ينبت منهُ عشرة آلاف نبتة . ويمكن ان يزرع الهليون من قرامي تشترى من مربي الجنائن اختصارًا في الوقت ويغرس الهليون في كل الاراضي ولكن الاراضي الرملية اصلح لهُ من غيرها بشرط ان تكون عميقة التربة جيدتها لان جذورهُ تغور في الارض الى عمق عميق وكلما زاد خصب الارض زاد نموهُ فيها ولا بد من حرثها حرثًا عميقًا جيدًا في فصل الخريف ثم تمهَّد حتى ينعم ترابها وتسبخ بالسباخ البلدي في الربيع يضاف الى الفدان ستون او سبعون حملاً او قنطاران من دقيق العظام او النصف من الاول والنصف من الثاني ثم تحرث حرثًا عميقًا وتزحف ويضاف اليها السماد مرةً ثانية اذا كان خصبها قليلاً

غرس الهليون — يمكن غرس الهليون في الخريف ولكن يفضل ترك الخريف والشتا لزيادة اعداد الارض ثم يغرس في اول الربيع . وهو يغرس حينئذٍ على ابعاد متساوية من قدم ونصف الى ست اقدام وقد قال المستر برل الاميركي في كتابهِ عن الحقول والبساتين انهُ وجد بالاختبار ان بُعد خمس اقدام بين الخطوط اصلح من غيرهِ بشرط ان تكون الارض محروثة حرثًا عميقًا جيدًا ومسمدة كما يجب فيجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام وعمقها ثماني عقد ويجعل البعد بين غرس وغرس قدمًا ونصف قدم ويزرع الغرس وتبسط جذورهُ وتغطى بالتراب ويلبد ويطمر الغرس كلهُ حتى يعلو التراب عقدةً فوق رأسهِ . فاذا غرس الهليون على هذه الابعاد وسع الفدان ٥٥٠٠ غرس

وطول القرمية الى آخر رأسها نحو عقدتين فاذا جعل سمك التراب فوقها عقدة بقيت ست عقد تحت سطح الارض اي بقي فوقها ست عقد من الحفرة التي زرعت فيها وحينما يفرخ النبات يتعهد بالعزق ويكرَّر ذلك في فعل الصيف حتى تمتلئ الخطوط واذا جاء فصل الخريف صارت الارض مستوية

وفي الخريف يوضع السماد في الخطوط وتحرث الارض على جانبي كل خط ثم تمهد ثانية في الصيف التالي بالعزق وتنزع منها الاعشاب . وفي الخريف الثاني تحرث الخطوط على الجانبين ويضاف اليها سماد مختمر جيدًا او مسحوق العظام وتحرث ثانية حتى يعود التراب الى فوق الخطوط . وتعزق في الربيع حتى تكاد تستوي . ويظهر الهليون حينئذٍ وتقطع منهُ الفروخ الكبيرة ولكن لا يقطع كثير منها لئلاَّ يضعف النبات

ثم يحرث في الصيف كما حرث اولاً ويسمد في الخريف ويكرَّر حرثهُ في الصيف وتسميدهُ في الخريف كل سنة ويعزق في الربيع حتى ينعم ترابهُ ويكوَّم فوق الاغراس واذا بقيت منهُ اغراس كبرت وازهرت وجب قطعها قبلما يتكوَّن فيها بزر لئلاَّ يقع البزر منها على الارض وينبت فيها فيتلف الاغراس

ويضاف الى الارض ملح في السنة الثالثة يذر على الفدان نحو اردب منهُ او يمزج بالسباخ ويوضع في الخطوط ولا ضرر اذا زيد الملح كثيرًا حتى تغطت بهِ الارض اما اذا كانت الارض ساحلاً بحريًّا يتخلل الملح هواءهُ فلا داعي لاضافة الملح اليها

وتقطع فروخ الهيلون في اواسط الربيع ويكون قطعها اولاً ثلاث مرات في الاسبوع ثم تقطع كل يوم مرةً او مرتين وتحزم حزماً وتوضع في السلال واقفة على كعوبها ولا توضع وضعاً آخر لئلاَّ تتلف

وهي تقطع حينما يصير ارتفاعها ست عقد فوق سطح الارض فتقطع على اربع عقد تحت سطح الارض فيكون طولها عشر عقد وهو الطول الكافي عادة وتحزم بقشر عريض حتى لا تنجرح

ويبزر الهيلون حينما يصير عمرهُ سنتين وثمرهُ قرمزي اللون اذا نضج في الثمرة منهُ ثلاث بزرات الى ست وحينما ينضج يقطع الغصن الذي هو فيهِ ويمرث ثمرهُ حتى يخرج البزر منهُ ويوضع في الماء فيغرق البزر ويطفو الرب الذي كان حولهُ. ويكرَّر غسل البزر حتى ينظف جيداً ثم يجفف في الشمس وفي الهواء وهو ينبت اذا زرع بعد سنة او سنتين الى ثلاثة

زراعة الموز

من مقالة للمستر بونابرت من اساتذة المدرسة الزراعية الخديوية

يزرع في القطر المصري اربعة انواع من الموز

الاول البلدي وتعلو شجرتهُ نحو ١٤ قدماً وهو كثير الانتشار في حدائق القاهرة وثمرهُ قصير ثخين خالٍ من البزر يبلغ طولهُ اربع عقد الى خمس ولونهُ ضارب الى الخضرة ولبهُ كثير السكَّر عطري الرائحة وينضج ثمرهُ من ابتداء الخريف الى اوائل الربيع

الثاني اصابع الست وثمرهُ صغير قصير يبلغ طولهُ ثلاث عقد وليس فيهِ بزر وهو دقيق منحنٍ ولونهُ اصفر ذهبي من الخارج وهو اقل ثمناً من الموز المتقدم واكثر وجودهِ في الخريف

الثالث الموز الصيني او الهندي وثمرهُ منحنٍ كالهلال دقيق طويل طولهُ نحو خمس عقد الى ستة وقشرتهُ صفراء غليظة ولبهُ خالٍ من البزر وطعمهُ لذيذ جدًّا ورائحتهُ طيبة وشجرهُ قصير

جدًّا وقد نجحت زراعتهُ في القطر المصري وانتشر زرعهُ في ضواحي الاسكندرية في ناحيتي القباري والرمل وعلى طول الترعة المحمودية وسيصير الوحيد في القطر المصري لانهُ اجود من غيرهِ وقشر اثمارهِ متين فيسهل اصدارهُ الى الخارج

الرابع الموز الاميركاني وثمرهُ كبير جدًّا يبلغ طولهُ من ٧ قراريط الى ١٤ قيراطاً وفيهِ بزور وهو قليل السكر فلا طعمهُ لذيذ ولا رائحتهُ طيبة فلا يصلح الاَّ للطبخ

وزراعة الموز من الاعمال الزراعيَّة الوافرة الربح وهي الآن محصورة في الحدائق ولكن ينتظر ان يتسع نطاقها فتشمل جانباً كبيرًا من الاراضي الزراعيَّة

الارض الموافقة لهُ — ينمو الموز في كل الاراضي ولاسيما الطينية الرملية الكثيرة الغذاء والمسام

كيفية غرسهِ — يُغرس من الفسائل او الخلفة وهي الفروع التي تتولد عند اصل شجر الموز والاحسن ان تقلع صغيرة وطول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف الى اربع ونصف او خمس حسب نوع الموز ويجب ان تكون نامية من اشجار سليمة ينضج موزها باكرًا . وتحرث الارض جيدًا وتحفر فيها حفر البعد بينها من ٨ اقدام الى ١٢ قدماً ويكون البعد بين الخطوط من ١٠ اقدام الى ١٣ قدماً وتكون الحفر على طول قناة الري عمقها ٤٠ سنتيمترًا ويوضع في الحفر قليل من السباخ البلدي المختمر جيدًا ويطمر من الخلفة قدم ويداس التراب حولها جيدًا حتى لا يتخللهُ الهواء ويجفف الاصل المطمور والجذيرات حال نموها . ويزرع في الفدان ٣٥٠ شجرة ثمن كل شجرة منها من غرش ونصف الى غرشين . ويصلح الزرع في كل شهر من شهور السنة وافضل الاوقات من منتصف فبراير الى آخر مارس

الخدمة اللازمة — ينمو الموز بسرعة ويثمر في آخر السنة الثانية من زرعهِ وتتولد الفسائل (الخلفة) عند اصلهِ فيترك منها ثلاث فسائل او اربع ولا بدَّ من عزق ارضهِ حول اصولهِ وتسميدها بالسباخ البلدي المختمر جيدًا كل عام وتقطع شجرة الموز حينما يقطع ثمرها وتترك واحدة من فسائلها مكانها ويدوم ذلك ما دام الثمر جيدًا فاذا ظهر فيهِ ضعف تقلع القرمية كلها ويزرع موز جديد بدلاً منها

الري — يحتاج شجر الموز الى ري كثير فيروى حينما يزرع ثم يروى بعد ذلك في فترات قصيرة الى ان تثبت جذورهُ في الارض . ومتى ظهر ثمرهُ يروى في فترات طويلة ولا بد من ان يكون في الارض مصارف تصرف المياه بها

الجني — يجنى الموز قبلما ينضج جيدًا ويعلق في مكان مظلم او بين التبن حتى يتم نضجهُ ويحلو طعمهُ وتطيب رائحتهُ

السماد ووزن القطن

ابنا غير مرة ما كان من فعل السماد الكيماوي في مقدار غلة القطن ولم نبين هناك مقدار تأثيره في تصافي القطن اي فيما نتج من القطن الشعر من كل قنطار قطن . وقد بيّن المستر فودن في مقالة نشرها حديثًا ان الخواجات خريمي وبناكي وشركاءهم حلجوا لهُ انواع القطن المسمدة على اساليب مختلفة كل نوع على حدة فوجد تصافي القطن الينوفتش المزروع في ميت الديبة على ما في هذا الجدول

اسم السماد	الجنية الاولى	الثانية
السباخ البلدي	٩٤ ٣/٤	٩٨
اعلى فصفات البوتاسا	٩٦ ١/٢	٩٨ ٣/٤
اعلى فصفات البوتاسا ونيترات الصودا وكبريتات النشادر	٩٧ ١/٢	١٠٠ ١/٤
من غير سماد	٩٥	٩٧ ٣/٤

اما القطن المزروع في الجيزة وهو من الميت عفيف فبلغ صافي المزروع بعد الذرة مسبخًا بالسباخ البلدي ١٠٤ ١/٢ ومسبخًا بالاسمدة الكيماوية من النيترات والفصفات ١٠٦ ١/٢

ويستدل من ذلك كلهِ ان السماد الكيماوي يزيد التصافي نحو رطلين في القنطار سواء كانت الارض قوية كارض الجيزة او ضعيفة كارض ميت الديبة

موسم القطن

بلغ الوارد الى الاسكندرية من الموسم الماضي حتى الرابع والعشرين من يوليو ٥٧٠٠٠٠٧ اي خمسة ملايين وسبع مئة الف قنطار وذلك اقل مما ورد في العام السابق بنحو سبع مئة وسبعين الف قنطار . وقد زاد المتصدر الى انكلترا نحو مئة وسبعين الف قنطار ونقص المتصدر الى اوربا نحو سبع مئة الف قنطار وكذلك نقص المتصدر الى اميركا ١٦٥ الف قنطار

اما الموسم الحاضر فاسعارهُ تتراوح حوالي ١٤ ريالًا . هذه هي اسعار الكنترانات ويضاف اليها ثمن البزرة . ويرجح جمهور الباحثين انهُ سيفوق الموسم الماضي في مقدارهِ ولكنهُ ينقص عن الموسم الذي قبلهُ فيبلغ ستة ملايين وربع ويقدرهُ المبالغون في جودتهِ بسبعة ملايين والمبالغون في رداءتهِ بستة ملايين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الخزان والهواء

اسيوط . جورجي افندي خير . هل يطرأُ تغير على الطقس في اصوان واسيوط في مستقبل الايام بسبب انشاء الخزانين فيهما

ج لا يحتمل ان يطرأَ تغير على هواء (طقس) اسيوط لان تبخر الماء فيها من الخزان لا يزيد كثيرًا عما كان يتبخر من النيل قبل انشاء الخزان . اما اصوان فلا يبعد ان تتغير حرارة هوائها بعض الشيء لان الخزان ولَّد فوقها بحيرة كبيرة واسعة السطح فيزيد التبخر منها في فصلي الربيع والصيف عما كان قبلاً زيادة كبيرة

(٢) الاحلام

ومنهُ . يحلم الانسان في بعض الاحيان حلمًا وهو نائم ثم يستيقظ ويسرد كل ما شاهدهُ في حلمهِ فهل كانت قوة العقل اثناء الحلم في حالة الصحو فلم يأْخذ العقل الراحة المطلوبة لتجديد قواهُ او كانت في حالة النوم والنوم موت قصير المدة يفقد المرء فيهِ جميع الاحساسات فكيف يفتكر من كان فاقدًا للحركة والشعور

ج لا يحلم الانسان وهو مستغرق في النوم بل وهو في الدقائق الاخيرة قبلما يستيقظ تمامًا اي حينما يكون بعض قوى عقلهِ نائمًا والبعض الآخر مستيقظًا اما ما يظنهُ من ان الحلم دام ساعات كثيرة فوهم والحقيقة انهُ لا يدوم اكثر من بضع ثوانٍ او دقائق لان الانسان قد يغفل خمس دقائق فقط فيحلم فيها حلمًا طويلاً كثير الحوادث وقد يسمع صوت مدفع قبلما يستيقظ فيبني عليهِ معركة حربيَّة كثيرة الوقائع ولا تكون المدة من حين سمع صوت المدفع الى ان استيقظ سوى دقيقة من الزمان

(٣) هل الحب اختياري

ومنهُ . هل الحب اختياري او اضطراري

ج اضطراري بمعنى انهُ اثر في النفس لازم عن مؤثرات في الخارج لكن الارادة القوية تتصرف في هذا الاثر فتزيدهُ او تضعفهُ كأَنها تحرك تأْثيرات اخرى تساعد التأْثير الاول او تقاومهُ

(٤) حلم في حلم

مصر . عطا افندي فهمه . حلمتُ مرةً حلماً وحلمتُ في آخرهِ انني استيقظت وقصصت الحلم على احد اصحابي ففسَّرهُ لي ومضيت الى حيث اشتغل فوقع لي تفسير الحلم كما فسرهُ لي تماماً. ثم استيقظت من نومي حقيقةً وتذكرتُ كل ما كان واستغربتهُ فكيف يقع للانسان انهُ يحلم ثم يحلم انهُ قصَّ حلمهُ على من فسَّرهُ لهُ وتمَّ التفسير كما فسرهُ

ج ان الاحلام من قبيل الهواجس التي نهجس بها ونحن بين النوم واليقظة او من قبيل الافكار التي نفتكر بها في النهار فان الانسان وهو جالس في القاهرة يفتكر احياناً بصديق لهُ مقيم في الاسكندرية مثلاً وينتقل فكرهُ حالاً اليها فيتصورها ويتصور نفسهُ فيها وانهُ يرى اصدقاء آخرين ويذاكرهم في بعض الشؤُون ويوافقهم او يخالفهم الخ الّا انهُ اذا كان مستيقظاً كانت قوة الحكم فيهِ مستيقظة فتصلح خطأ الوهم ويبقى مقتنعاً انهُ في القاهرة لا في الاسكندرية وان ما تصوَّرهُ افكار لا حقيقة لها واما اذا كان غافلاً او نائماً كانت قوة الحكم فيهِ نائمة عن قضاء عملها فلا تصلح خطأ وهمهِ فيعتقد ان ما تخيَّلهُ واقع حقيقة . فاذا كنتم تهجسون في الاحلام وتفسيرها فلا يبعد انكم تحلمون بذلك كما لا يبعد انكم تفتكرون بهِ وكل ما يُحتمل ان يفتكر بهِ الانسان يحتمل انهُ يحلم بهِ ايضاً

(٥) امتناع البلى

مصر . الخواجا ميخائيل يساراني واولادهُ قرأنا في جريدة الوطن مقالة رواها احد القادمين من الحبشة الى القطر المصري قال انهُ لما وصل هو ورفاقهُ الى الصحراء التي بين رابيلي وكيلوبي ضربوا خيامهم ليستريحوا من وعثاء السفر وارسلوا الخدم لقطع الاخشاب لاشعالها اثناء الليل حتى لا تقارب الضبع من مواشيهم وبينما كان خادمان صاعدين الى شجرة رأيا حبشيين مائتين فرجعا بعد قطع الخشب واخبرا بالذي شاهداه فذهب صاحب المقالة مع الخادمين لرؤْية ذينك الميتين فوجدوهما صلبين كالخشب ومع مضي السنين على موتهما لم تنتفخ اوداجهما ولم يمسهما الدود باذًى وقد كان معهم طبيب غربي فعجب لرؤْيتهما على تلك الحال مع مضي الاعوام على وفاتهما من غير ان يشوه الموت وجهيهما فما قولكم في صحة هذه الحادثة الغريبة

ج لا محل للريب في ان جثَّة الميت تحفظ من البلى اذا كانت في قفر ليس فيهِ ميكروبات الفساد ولا حشرات تأْكل اللحم هي او ديدانها لان بلى الاجسام الميتة لا يحدث الّا من ذلك اي ان ميكروبات الفساد تسطو عليها وتحللها والحشرات التي تأْكل اللحم كالنمل او تأْكل ديدانها اللحم كالذباب تسطو عليها ايضاً ولا تبقي الّا العظم فاذا كانت الارض قفرًا جاف الهواء فالغالب ان الاحياء

الصغيرة كالميكروبات والنمل والذباب لا تعيش فيها وكذا اذا كان شديدة البرد كالاصقاع الشمالية المتجمدة فان الحيوانات التي يطمرها الثلج فيها تبقى سنين كثيرة محفوظة من البلى ولذلك نرجح صحَّة الرواية التي اشرتم اليها لاننا لا نرى سبباً علميًّا للريب فيها

(٦) الكنة والحماة

ومنهم . لماذا تبغض الكنَّة حماتها والابنة امها ويبغض الابن اباهُ واعداء الانسان اهل بيتهِ . فهل ذلك ناتج عن سوء التربية منذ الصغر او هو امر طبيعي مغروس في فطرة الانسان

ج ان ما هو مغروس في فطرة الانسان مخالف لذلك الاَّ من حيث الكنَّة وحماتها. فان الواقع هو ان الابنة تحب امها حتى تكاد تفتديها بنفسها والابن يحب اباهُ ويتجشم اشد المشاق لاجلهِ وما من احد يسهر على المرأة وهي مريضة مثل ابنتها ولا احد يهتم بخلاص الرجل من ضيقتهِ مثل ابنهِ وما شذَّ عن ذلك فسببهُ الغالب فساد التربية . اما الكنَّة وحماتها فسبب الخلاف بينهما تناظرها في محبة زوج الكنة ابن الحماة والتسلط على بيتهِ فان كلاًّ منهما تشعر ان الاخرى تحاول سلبها شيئًا ممَّا يحق لها ولو كان ذلك وهمًا

(٧) مدة سبي بابل

ومنهم . كم كانت مدة سبي بابل

ج سبعين سنة كما تنبأ عنها النبي ارميا فقد جاء في سفرهِ ما نصهُ "هانذا ارسل آخذ كل عشائر الشمال يقول الرب والى نبوخذراصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الارض وعلى كل سكانها .... وتصير كل هذه الارض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة" . وجاء في سفر دنيال ما نصهُ "في السنة الاولى لداريوس ابن احشويروش ... انا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب الى ارميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب اورشليم" ويتلو ذلك الكلام عن صلاة دانيال واجابة الرب

---

(٨) صناعة الخياطة

بيروت . جرجي افندي نقولا باز . قرأنا في بعض الجرائد انهُ تألفت شركة اميركيَّة تنوي انشاء محلاَّت للخياطة في عواصم اوربا الكبيرة وادخال الزي الاميركي اليها فهل فاق الصنَّاع الاميركيون الاوربيين في صناعة الخياطة واين يمكن تعلم هذه الصناعة تعلمًا متقناً جدًّا

ج كلاَّ ولم نسمع ان الاميركيين يدَّعون هذه الدعوى بل هم وغيرهم يعترفون لخياطي باريس بالسبق ولكن يحتمل ان يكون المراد انشاء محلات كبيرة للخياطة في عواصم اوروبا برأس مال اميركي لاجل الربح التجاري . وقد اشتهرت باريس وفيينا ولندن بمهارة خيَّاطيها فالتعلم في واحدة منهنَّ يفي بالغرض

(٩) آلة الابصار

الزقازيق . عبد الحميد افندي علي . اطلعنا في الجرائد المحلية على ذكر آلة اخترعها الدكتور بيتر ستنس تجعل العمي يبصرون حتى من كان اعمى من ولادتهِ فهل ذلك صحيح ؟

ج كلاَّ ولكن العمي يدركون ما حولهم بغير حاسة البصر وقد ادَّعى بعضهم انهُ صنع آلة كهربائية تتأثر بامواج النور وتوضع على صدغ الاعمى فيشعر بتأثرها من امواج النور حتى اذا تدرَّب على هذا الشعور فقوي فيهِ صار يُدرك سببهُ . الاَّ ان ذلك كلهُ لا يزال في معرَّض البحث ولم يتقرر حتى الآن

---

(١٠) جمال الانكليزيات

بيروت . احد المشتركين . قرأت في مقتطفكم الزاهر السنة الماضية قولكم "المشهور ان نساءَ الانكليز اجمل النساء منظرًا" ولم اسمع ان احدًا قال ذلك قبلكم والمعروف عن الجميع ان الانكليزيات اقلّ جمالاً من غيرهنَّ من نساء اوربا فما هو برهانكم على انهنَّ اجمل من غيرهنَّ ؟

ج ان الباحثين في موضوع الجمال يقولون القول الذي ذكرناهُ فان كنتم قد وقفتم على بحث باحثٍ ثقةٍ خالف ذلك فاتحفونا بهِ لكي ننشرهُ في المقتطف

(١١) صحة السيمياء

ومنهُ . اراكم تنفون السيمياء وتقولون انها مثالات خيالية وهمية . وقد شاهدت امرًا اقصهُ عليكم وهو اني رأيت في احد الملاعب رجلاً اخذ ردائي ولبسهُ وجلس على كرسي في منتصف الملعب امام الجمهور وقال اربطوا يديَّ ربطًا وثيقًا بالكرسي فربطناهُ وكنا ثلاثةً اقمنا ثلاث دقائق نربطهُ ثم أُلقي عليهِ غطاءٌ اسود وفي اقل من عشر ثوانٍ رفع عنهُ الغطاء واذا بردائي في يد رجل واقف والرجل المربوط جالس على الكرسي كما كان فلبست ردائي واذا هو هو بعينهِ ثم خلعتهُ واعطيتهُ للرجل الواقف وأُلقي الستار على الرجل المربوط ثم كُشِفَ عنهُ فاذا هو لابس ردائي كما كان اولاً ففككنا يديهِ ورجليهِ واخذنا الرداء منهُ . وانا اعلم ان ما حدث لم يحدث بقوة سحرية ولكن كيف حدث ان لم يكن بالسيمياء

ج للمشعوذين اساليب كثيرة في اجراء هذه الحيلة وامثالها سنأْتي على تفصيلها في فرصة اخرى

(١٢) نمو الشعر

ومنهُ . قرأت في المقتطف غير مرة انهُ اذا تكرر قلع الشعر مرارًا كثيرة لم يعد ينمو وقد كررت قلع شعرة كذلك ولا تزال تنمو فما هو السبيل الى منع نموها

ج السبيل الاكيد لمنع نمو الشعر ان تحرق بصلتهُ بابرةٍ كهربائيةٍ

(١٣) الحقد المسبب عن الاديان

طنطا . الخواجا جوزف دهان . هل يزول يوماً ما الحقد الذي توجدهُ الديانات المختلفة

ج متى تعلَّم الناس وتهذَّبوا انكروا ان في الدين الذي يدينون بهِ شيئاً يوجب ايغار الصدور بالحقد واوَّلوا ما يحمل منهُ هـذا المحمل حتى لا يقال انهم يدينون بشيءٍ يناقض ما يقتضيهِ ارتقاء الانسان . ويظهر من امعان النظر في المخلوقات من اول تاريخها الى الآن ان الارتقاء سنَّة طبيعيَّة شاملة لها فلا يبعد ان يصل بهِ الناس الى حالة ينتفي فيها الحقد وغيرهُ من الشرور التي تدعو الى التأخُّر

(١٤) فائدة الاديان

ومنهُ . ما قولكم في الاديان بنوع عام هل افاد تشعُّبها تقدُّم النوع الانساني او اخَّرهُ

ج تتعذَّر مقارنة شيءٍ موجود بشيءٍ غير موجود فاذا عاش الناس حصَّة من الدهر على دين واحد غير متشعب وروقب تقدمهم فيها امكن مقارنة ذلك بتقدُّمهم واديانهم متشعبة والاَّ فلا . ولا يخفى ان الدين او التديُّن اسم لجميع ما يتعبَّد بهِ من محبة المعبود والخضوع لهُ والاتكال عليهِ والخوف منهُ والشكر لهُ كما عرَّفهُ دارون في كتابهِ اصل الانسان فاذا كان المعبود موصوفاً بكمال الحنو والرحمة والعدل وبانهُ أب لبني البشر شفوق عليهم كما هو في اكثر الاديان الشهيرة فلا بدَّ من ان ترقي عبادتهُ عبادهُ وتؤلف بين قلوبهم والاَّ ففيها خلل او في فهمها خطأ

(١٥) تاريخ الحشيش

دمياط . عبد الغني افندي الجمال . نرى ان بلوى الحشيش قد عمت ومصائبهُ تعاظمت فنرجو ان تخبرونا بالتفصيل عن منشاءِ وتاريخهِ .

ج لقد كتبنا مقالتين مسهبتين في هذا الموضوع الواحدة في المجلد السابع عشر صفحة ٥٨٣ والثانية في المجلد السابع والعشرين صفحة ١٠٩ فعليكم بمراجعتهما . اما سؤالكم الآخر فسنجيب عنهُ بالتفصيل قريباً

(١٦) هوَس العلماء

النبطية . احمد افندي عارف الزين اجبتم عن سؤال في الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين ان من يصدق باستحضار الارواح من العلماء لا يخلو عقلهُ من هوَس او خلل . فكيف ذلك وبلغنا ان المعتقدين باستحضار الارواح من جلة العلماء

ج اننا عللنا ذلك في الجواب الذي تشيرون اليهِ . وذكاء العقل وتفوّقهُ في بعض العلوم لا يوجب ان يكون على تمام الصحة في كل شيءٍ بل قد يكون على الضد من ذلك للسبب الذي ذكرناهُ هناك

باب الاخبار العلمية

غرائب العمق

من رأى علماء اوربا والمسالك المترامية التي يسلكونها في خدمة العلم يقول انهم مسخَّرون لذلك تسخيرًا لا ينتظرون اجرًا ولا شكورًا فبينا ترى علماءنا يهملون ما بين ايديهم وما تتوقف عليهِ دنياهم ترى اولئك العلماء يبحثون في طبقات الجو واعماق البحر عن شيءٍ جديد يضيفونهُ الى معارف الناس . والبحث في اعماق البحر بلغ حدًّا قاصيًا جدًّا في السنين الاخيرة حتى سخَّروا لهُ البوارج الحربيَّة وطافوا لاجلهِ الاقطار الشاسعة من القطبين الى خط الاستواء واستنبطوا جرافات تغوص الى اعمق الاغوار وتصعد بما فيها من حيوان ونبات وجماد. ومعلوم انها تمرُّ في قاع البحر كالطيور والقواطع ولا تجرف منهُ الَّا جزءا صغيرًا جدًّا لا يبلغ واحدًا من مليون مليون مما فيهِ ومع ذلك وجد في ما استخرجتهُ جرَّافات سفينة واحدة نحو الفي نوع جديد وثانمئة جنس من الاجناس الجديدة . وجرَّافة عرضها بضع اقدام لا ينتظران تجرف الحيوانات الكبيرة كالحيتان والتنانين ولذلك لم يجرف بهذه الجرافات الَّا الحيوانات الصغيرة لما ارسلت سفينة البترس الانكليزية الى الاوقيانوس الباسيفيكي منذ عامين استخرجت حيوانات مائية حية عن عمق اربعة اميال ونصف والماء هناك بارد كالثلج وضغطهُ شديد جدًّا يبلغ اربعة اطنان ونصف طن على كل عقدة مربعة

وقاع الاوقيانوس عميق جدًّا يبلغ عمق نصفهِ اكثر من ميلين ويبلغ عمق بعضهِ اربعة اميال او خمسة وهو كثير المرتفعات والمنخفضات كوجه الارض وفيهِ جبال شامخة تظهر لنا جزائر صغيرة قائمة فوق وجه الماء وما هي الَّا رؤُوس جبال شاخصة من جوف البحر مثال ذلك ان البركان موناكيا ارتفاعهُ فوق سطح البحر نحو ثلاثة اميال وهو غائر في الماء ثلاثة اميال اخرى فارتفاعهُ الحقيقي نحو ستة اميال. ويبلغ غور البحر في بعض الاماكن نحو ستة اميال وارتفاع بعض الجبال البارزة منهُ نحو اربعة اميال فالفرق بين اعلى جبال البحر واخفض اغوارهِ نحو عشرة اميال فعمق البحر اعظم من ارتفاع البر واذا جمع البر من قارات الارض كلها ورمي في الاوقيانوس الباسيفيكي لم يملأ سبعهُ

اكبر المعامل الكيماويَّة

في بادن بالمانيا اكبر معمل كيماوي في

الدنيا ففيهِ ٦٠٠٠ عامل و١٤٨ كيماويًّا و٧٥ مهندسًا و٣٠٥ كتَّاب . والمباني في هذا المعمل ٤٢١ ويتبعها ٥٤١ مسكنًا لسكن العمال و٩١ مكتبًا وفيهِ ٢٥٣ آلة بخارية قوتها ١٢٦٠ حصانًا و٢٧ ميلاً من سكك الحديد و٣٨٧ مركبة لنقل المواد الكيماوية

عدد سكان الصين

ظهر الاحصاء الرسمي اسكان الصين واذا فيهِ ان عدد سكان الصين الاصلية ٤٠٧ ملايين نفس وعدد التابعين لها ١٩ مليونًا وجملة السكان ٤٢٦ مليونًا . واكثر ولاياتها سكانًا هونان وفي الكيلومتر المربع منها ٢٠٠ نفس فهي اقل ازدحامًا من بلجكا لان عدد السكان في الميل المربع من بلجكا ٢٢٠ نفسًا

آثار ابيدوس

من اهم ما كشفهُ علماء الآثار المصرية هذا العام في ابيدوس آثار عشرة هياكل بني الواحد منها على انقاض الآخر في مدة ٤٥٠٠ سنة اي من سنة ٥٠٠٠ قبل التاريخ المسيحي الى سنة ٥٠٠ قبلهُ وهناك ادلة على ان الهيكل الذي كان في عهد الدولة الرابعة من الدول المصرية خرب وابطلت منهُ الذبائح الدينية فجاء ذلك مؤيدًا لما قالهُ هيرودوتس المؤرخ وهو ان الملك خوفو باني الهرم الاكبر اقفل الهياكل وابطل الذبائح . ووجد تمثال من العاج لهذا الملك وهو اول تمثال كشف لهُ حتى الآن

مقدار الذهب

قدّرت دار الضرب في اميركا مقدار الذهب الذي استخرج من الارض كلها منذ اكتشاف اميركا الى سنة ١٩٠٠ بما يساوي ٢٠٠٠ مليون جنيه وهي تزن ١٦٢٧٢ طنًّا واذا سبكت برجًا اسطوانيًّا قطر دائرهِ ٢ قدمًا بلغ ارتفاعهُ ٨٦ قدمًا ويزيد ارتفاعهُ الآن نحو متر كل سنة بما يستخرج سنويًّا من الذهب

مقاومة البعوض في الاسمعيلية

كتب سكرتير ترعة السويس العام الى الماجور روس يقول ما ترجمتهُ اننا اتبعنا مشورتكم في ردم الحفر والخنادق وسكب الزيت في الصهاريج والبرك ومنع المستنقعات على انواعها من جهات الاسمعيلية ووزعنا الكينا والاستركنين على السكان مجانًا منذ شهر ابريل سنة ١٩٠٢ فقلت الحمَّى منذ دسمبر الماضي بالنسبة الى ما كانت عليهِ في السنين الماضية ولم يستأصل بعوض الملاريا حتى الآن ولكن الذي مُسك منهُ وُجد خاليًا من العدوى كأَنهُ لم يجد سبيلاً لاخذ العدوى من احد لقلة حوادث الحمى . وقلَّ البعوض العادي حتى كاد يزول تمامًا وصار يسهل على الانسان ان ينام من غير ناموسية (كلة) ولا يمكن الحكم البات في نتيجة هذه الاعمال

قبل مضي شهر اغسطس ونوفمبر اللذين تكثر الملاريا فيهما ولكننا نرجو ان الوسائل التي اشرت بها لا تبقي للملاريا اثرًا في مدينة الاسمعيلية

الراديوم والسرطان

قيل ان الدكتور غوسنبور النمسوي جرَّب فعل اشعة الراديوم بالسرطان فوجد انها تشفيهِ تمامًا

سمك النيل

اهتمت الحكومة المصريَّة بالبحث عما في النيل من انواع السمك واناطت بعض رجال العلم بذلك وكانت انواع السمك المعروفة في النيل تسعين نوعًا فاكتشف عشرة انواع جديدة

الراديوم والميكروبات

اطَّلعنا على صور مستنبتات ميكروبيَّة عُرِضت لاشعَّة الراديوم فماتت الميكروبات التي فيها حيث وقعت الاشعة عليها وبقيت نامية متكاثرة حول ذلك الاَّ ان مدة التعرض لاشعة الراديوم طويلة من ست عشرة ساعة الى اربع وعشرين ساعة

مستقبل عواصم اوروبا

حسب بعضهم ما سيبلغهُ سكان العواصم الكبيرة في اوروبا واميركا سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٠ اذا بقي نموها جاريًا مجراهُ فكان كما في هذا الجدول

١٩١٠

لندن وضواحيها	٧٤٩٠٤٠٠
نيويورك وضواحيها	٤٩٥٣٠٠٠
باريس وضواحيها	٤١٣٩٩٩٠
برلين وضواحيها	٢٩١٤٥١٧
شيكاغو وضواحيها	٢٥٧٤٢٢٩
فيلادلفيا	١٦٩٧٤٠٠
بطرس برج	١٣٣٩٧٢٨

١٩٢٠

لندن وضواحيها	٨٥١٦٢٥٦
نيويورك وضواحيها	٦١٩١٢٥٨
باريس وضواحيها	٤٧٥٩٥٨٩
برلين وضواحيها	٣٣٢٢٥٤٩
شيكاغو وضواحيها	٣٤٧٥٢٠٩
فيلادلفيا وضواحيها	٢٠٠٢٩٣٢
بطرس برج	١٥٠٠٤٩٥

وقد كان عدد السكان في هذه المدن سنة ١٩٠٠ هكذا

لندن وضواحيها	٦٦٥٢١٤٥
نيويورك وضواحيها	٣٨٣٣٩٩٩
باريس وضواحيها	٣٥٩٩٩٩١
برلين وضواحيها	٢٥١٢٢٥٣
شيكاغو وضواحيها	١٨٣٨٧٣٥
فيلادلفيا	١٣٦٩٦٣٢
بطرس برج	١١٣٢٦٧٧

وعدد السكان في الميل من مدينة باريس ٧٩٣٠٠ ومن برلين ٦٧٦٠٢ ومن نيويورك

٤٠٠٠٠ ومن لندن ٣٧٠٠٠ ومن بطرس برج ٢٨٢٦٠ الاَّ ان الازدحام يبلغ اشدَّهُ في بعض الاحياء من نيويورك حيث يبلغ عدد السكان ٦٣٠٧٤٠ في الميل لكن ذلك محصور في ثلاثة افدنة ونصف ويبلغ ١٣٢٠٠٠ في مدينة لندن وذلك في ٣٥٧ فداناً

اكبر عائلة

اكبر عائلة في العالم عائلة ملك سيام فان لهُ زوجتين شرعيتين وثمانياً وثمانين سرية واثنين وسبعين ولداً

طعام الملوك

لامبراطور الالمان غرام شديد باكل يخنة السماني وملكة هولندا باكل الافخاذ المقلوَّة . وملك اسبانيا مولع باكل لحم البقر غير الناضج . وملك ايطاليا بنوع من الحلوى وقيصر روسيا بالسمك المقلوّ بالزيت ورئيس جمهورية فرنسا بلحم الضان وملك انكلترا بالكستلاته المصنوعة من الضان ايضاً . وكان جدُّ ملك ايطاليا الحالي مولعاً بأكل الخبز والجبن حتى انهُ كان يأخذ منهما معهُ الى مراسح التمثيل

اكبر ماسة

وجد الكبتن جوغنسن الانكليزي ماسة كبيرة في جنوب افريقية وهي الآن في امستردام عاصمة هولندا حيث تقطع وتصقل وثقلها ٩٧١ قيراطاً وثمنها مئة الف جنيه

قضية طويلة

بين عائلتين ايطاليتين دعوى طويلة عريضة رفعت منذ اربعة قرون ولم تنتهِ الى الآن . والخلاف فيها على غابة واسعة مضت عليها هذه المدة الطويلة ولم يمس احد شجرة منها . وفي تلك الغابة بقع اقتتل رجال العائلتين فيها منذ مئتي سنة واهرقوا الدماء ولكنهم لم يفوزوا بطائل من ذلك ولا تزال الدعوى اليوم حيث كانت امس

ضحية العلم

كان احد اطباء النمسا يبحث في عدوى الطاعون فدخل قليلٌ من سمهِ جسمهُ عرضاً من جرح فأصابهُ الطاعون وتوفي بهِ سريعاً

مرض النوم والخيل

وجد الدكتور دتون والدكتور طُد اللذان مضيا الى بلاد غامبيا ليبحثا عن مرض النوم انهُ يصيب السود والبيض على حدٍّ سوى وان الخيل تصاب بهذا المرض او بمرض يشبههُ في اعراضهِ

العلم العملي

يمتاز العلم الطبيعي الآن بسرعة استعمالهِ وبناء الاعمال النافعة عليهِ فلم يكن احد يظن ان الهواء السائل يفيد علم الطب لكنهُ افادهُ على طريقة غير منتظرة فان ميكروب الحمَّى التيفويدية لا يصنع لقاح يقي منهُ الَّا اذا وضع

في الهواء السائل فانهُ يبرد حينئذٍ بردًا شديدًا ويصير ينكسر اذا سُحق فيصنع منهُ لقاح يقي من الحمى التيفويدية. ولم يشتهر امر الراديوم حتى صنع بعضهم اشارة صغيرة منهُ توضع على راس البندقية او المدفع فترى ليلاً باشراقها فتكون مرشدًا لتسديد المدفع او البندقية الى الغرض

الاكابي في الاثار المصرية

لا يخفى ان السر هري جنستن اكتشف حيوانًا في افريقية بين الفرس والزرافة سمي الاكابي كما يسميهِ اهالي البلاد التي وُجد فيها وقد ثبت الآن ان المصريين القدماء كانوا يعرفون هذا الحيوان فانهم صوروا معبودهم ست اخا اوسيرس بصورة انسان لهُ رأس حيوان يشبه رأس الاكابي ويظهر من ذلك ان هذا الحيوان كان موجودًا في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف سنة وهو لا يوجد الآن الَّا في اعالي الكنغو

خيل السباق

لا يعلم بكم كان العرب يقومون سوابق الخيل مع انهم كانوا يغالون بها جدًّا ولكن يظهر من بيع ابنائهم لاسبق جيادهم بخمس مئة جنيه الى ثمانمئة جنيه انهم لم يكونوا يغالون بها اكثر من ذلك اما الاوربيون فبلغوا من المغالاة بالسوابق في هذا العصر مبلغًا يفوق التصديق وهاك اثمان بعض خيول السباق التي باعوها حديثًا مع اسمائها

	جنيه
فلَينغ فكس	٣٧٥٠٠
اورمُند	٣٠٠٠٠
مدلر	١٤٥٠٠
لافلش	١٢٦٠٠
بلاراثول	١٢٥٠٠
سبتر	١٠٠٠٠
كمبيرر	٠٩١٠٠
ايسونومي	٠٩٠٠٠
بزيبَدي	٠٨٨٠٠
هرفستر	٠٨٦٠٠
غالوبن	٠٨٠٠٠

واكثر البائعين والمشترين اوكلهم من الانكليز

سرعة الرسائل البرقية

ارسلت جريدة التان الفرنسوية تلغرافًا قصدت ان يدور حول المسكونة ويعود اليها وهو كلمتان فقط "التان باريس" فعاد الى باريس الى مكتب التان في خمس ساعات ونصف بعد ان طاف حول المسكونة برًّا وبحرًا وبلغت اجرتهُ ٦٥ غرشًا وسار بطريق مالطة وعدن وسنقافورة وبرسبان وفانكوفر ووصل الى السلك الفرنسوي في الاوقيانوس الاتلنتيكي الى اوربا فباريس مسافة اربعين الف ميل

فهرس الجزء الثامن من المجلد الثامن والعشرين

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٢١

مركيز سلسبري

مركيز سلسبري اكبر ساسة الانكليز في هذا العصر قضى نحبهُ مساء السبت في الثانية والعشرين من شهر اغسطس . أُصيب بالتهاب الكلية في أَوائل يونيو الماضي وخالطهُ ضعف القلب وزاد ضعف قلبهِ رويدًا رويدًا حتى قطع الرجاء من شفائهِ وتوفي من غير أَلم فجاءت وفاتهُ خاتمة حياة طويلة مفعمة بعظائم الاعمال ولكنها بعيدة عن محبة الابَّهة والظهور

وُلد في هتف[illegible] ببلاد الانكليز في الثالث من فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفي فيها في الرابعة والسبعين من [illegible] وهو من سلالة وليم سسل لورد برلاي الذي نشأَ في اواسط القرن السادس عشر وكان من اكبر [illegible]راء الملكة اليصابات

درس في مدرسة اتن ومدرسة اكسفرد واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٥٠ ونال رتبة بكلوريوس في العلوم وساح بعد ذلك في الاقطار فبلغ استراليا وزيلندا الجديدة فعرف احوال الناس وبلدانهم وعاد سنة ١٨٥٣ وطُلب منهُ ان يعود الى المدرسة للتدريس ففضل حزون السياسة على سهول العلم ودخل مجلس النواب نائبًا عن ستمفرد من حزب المحافظين وبقي في هذا المنصب الى ان توفي ابوهُ سنة ١٨٦٨ وآلت اليهِ القابهُ فدخل مجلس الاعيان باسم مركيز سلسبري

واقترن [illegible] ١٨٥٧ بابنة قاضٍ مشهور اسمهُ البارون الدرصن وكانت من نوابغ النساء في قواها العقلية الموروثة من والدها فساعدتهُ على ولوج ابواب السياسة والانشاء وجعل يكاتب بعض الجرائد الشهيرة ويكتب المقالات الانتقاديَّة وكان يدافع عن الكنيسة وعن المحافظين. وامتازت خطبهُ حينئذٍ كما امتازت بعدئذٍ بعبارات لا تخلو من قوارص الكلم كقولهِ دائمًا اعمال الحكومة انها اليق بال[illegible]امين منها برجال السياسة ثم اضطرَّ ان يعتذر عن ذلك الى المحامين . وكقولهِ

مَن يستفيد شيئًا من جريدة ثمنها نصف غرش (بني) . واشهر جرائد المحافظين تباع الآن بنصف غرش . وكقولهِ عن اللورد جون رسل انهُ يعامل الدول الاجنبيَّة بالقحَّة قويةً كانت او ضعيفة . ولم يبدُ جوهرهُ ولا ظهرت مقدرتهُ الاَّ لما نبغ غلادستون و بدت شدة عارضتهِ في توسيع نطاق الانتخاب

ولما أَلَّف لورد دربي الوزارة سنة ١٨٦٦ دعا صاحب الترجمة اليها واعطاهُ وزارة الهند من غير ان يكون قد استعدَّ لها الاستعداد العادي فبدت مهارتهُ حالاً قولاً وعملاً

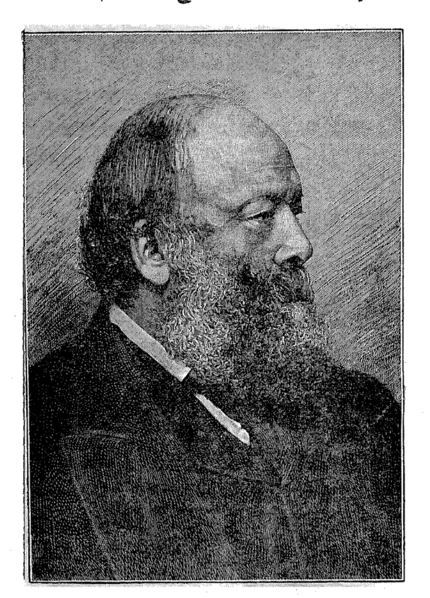
ولم يكد يدخل مجلس الاعيان حتى بدت مقدرتهُ ورأى فيهِ مَن يعجب بفصاحتهِ وقوة عارضتهِ فانهُ كان خطيبًا مفوَّهًا وعبارتهُ وجيزة اللفظ دقيقة المعنى خالية من البرقشة البديعية . واتفق ان المسائل التي عُرِضت على الاعيان لينظروا فيها حينئذٍ كانت من المسائل التي يودُّ هو البحث فيها فقال ان المسائل الهامة التي مثل هذه لا يليق بوزارة ان تهتمَّ بها وهي في اواخر ايامها بل لا بدَّ من عرضها على البلاد كلها . اي لا بدَّ من اعادة الانتخابات قبل النظر فيها اما مجلس الاعيان فشأنهُ الموافقة على ما يجمع عليهِ جمهور النواب اذا اجمعوا عليهِ من تلقاء انفسهم معتقدين صحتهُ وهاك ما قالهُ في هذا الصدد

" اذا رأيتم ان اهالي بلادكم ارتأوا رأيًا وانهم معتقدون صحة شيءٍ اعتقادًا صريحًا وجب عليكم ان تجاروهم . وقد لا تسرُّون بذلك او قد تودون تحويلهُ على صورة اخرى . ومن البين ان اعضاء الوزارة الذين يُطلَب منهم ان يفعلوا ما يخالف رأيهم واعتقادهم يستطيعون ان يستعفوا منها واعضاء مجلس النواب الذين يُطلَب منهم ان يعضدوا امرًا مناقضًا لاعتقادهم يستطيعون ان يتركوا مجلس النواب واما انتم فلا تستطيعون ذلك وعليهِ لا يبقى امامكم الاَّ ان تسلموا لرأي الامة اذا اتفقت على امر مخالف لرأيكم والاَّ بطلت اعمال الحكومة "

ولم تمضِ عليهِ مدة طويلة حتى اضطرَّ ان يجري على هذا المبدإِ فان الوزارة التي تألفت حينئذٍ اثبتت امرًا يتعلق بالكنيسة الارلندية مخالفًا لرأيهِ فقال للاعيان ان هذا الامر كان منظورًا لما جرت الانتخابات فالاكثرية التي انتخبت الاحرار واعطتهم مقاليد الاحكام كانت تعلم غرضهم وسياستهم فرأيهم رأيها ولذلك هو رأي الاكثرية ولا بدَّ لنا من الموافقة عليهِ . وكان من رأيهِ ان تعطي الحكومة الرواتب للكهنة الكاثوليك في ارلندا ولو فعلت ذلك لاصطنعتهم ونجَّت تلك البلاد من القلاقل

وتوفي لورد دربي الاكبر سنة ١٨٦٨ وكان مشيرًا لمدرسة اكسفرد الجامعة وهو من العلماء والكتَّاب وقد ترجم اشعار هوميروس الى الانكليزية . فانتُخب مركيز سلسبري خلفًا لهُ فافاد

المدرسة فوائد جمّة لانهُ كان يشتغل بالعلم ايضاً رغماً عن اشتباكهِ بمهام السياسة سواءٌ كان في الوزارة او خارجاً عنها لكن اشتغالهُ العلمي كان في المواضيع الطبيعيَّة كالكيمياء والفلسفة الطبيعيَّة اكثر منهُ في علم الاحياء وفلسفة العلوم الطبيعيَّة والاَّ ما ارتكب الخطأ الذي ارتكبهُ في خطبتهِ التي خطبها لما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني حينما اجتمع في



مركيز سلسبري

اكسفرد سنة ١٨٩٤ وهي التي ترجمناها ونشرناها في المقتطف بعنوان مجاهيل العلم وقد قال السر ميخائيل فوستر العالم الفسيولوجي الشهير في صدد ذلك ما ترجمتهُ "لقد ندَّد لورد سلسبري رئيس المجمع البريطاني بالمذهب الداروني فلما قام هكسلي ليشكرهُ على جاري العادة انبعثت اصوات البشر والترحيب من الجمع المزدحم حتى صمت الآذان وكأَنَّ لسان حالهم يقول

هذا هو الخادم الامين الذي خدم العلم اكثر من خمسين عاماً خدمة صادقة ناظراً الى الحق بعزم شديد ومرادنا ان يعلم ان اتعابهُ لم تذهب سدًى . وكان لورد كلفن زعيم علماء الطبيعة قد قام قبلهُ ليشكر اللورد سلسبري وقال ان الخطبة التي اصغوا اليها برغبة وتشوُّق قد دخلت ميداناً فيهِ سعة للعلم والفكر فاقتيدت بها افكارهم من العصور الوسطى الى اواسط القرن الحاضر فظهر لهم ان مدارس اكسفرد بقيت في طليعة علماء العصر . وقد سمعوا عن اعمال داروين العظيمة التي جعلت الناس يفتكرون ويجاهرون بافكارهم كما يشاؤُون . وان اساليب علم الحياة التي لم يضعها داروين بل وسَّعها كثيرًا ورقَّاها ثبت انها نافعة جدًّا للعلم والدين وللعقل. ويظهر من خطبة الخطيب من اولها الى آخرها انهُ من طلبة العلم ومن رجالهِ الذين لا يحصرون انفسهم ضمن دائرة ضيقة من دوائرهِ بل يتسعون فيهِ ويشتغلون بكل فرع من فروعهِ . وقد وقف اكثر قواهُ لعلم السياسة ولو جرى على مقتضى طبعهِ لفضَّل ان يقفها للمباحث الكيماويَّة او نحوها من المباحث العلمية . ثم استدعى وجوب الشكر لهُ على خطبتهِ المفيدة . فلما قام الاستاذ هكسلي يؤَيد طلب الشكر على جاري عادتهم (وهم يختارون لذلك خيرة رجالهم) قال

انهُ كُلِّف هذا العمل الشريف وهو تأييد الشكر ولكنهُ يأسف لان صحتهُ منعتهُ عن حضور هذا الاجتماع السنوي منذ سنين عديدة فنسي الرسوم المتبعة في مثل ذلك واضطر ان يراجع في ذهنهِ ما كان يجري في المجمع في الايام السالفة منذ اربعين عاماً فرأى انهم كانوا يقتصرون على الشكر والمدح بعد تلاوة خطبة الرئاسة ويتركون الجدال والمناظرة الى الاجتماعات الاخرى التي تجتمعها اقسام المجمع . ثم قال ان خطبة الرئيس جزيلة الفائدة وحريَّة بان يُنظر فيها في قسم البيولوجيا . وان فيها كثيرًا مما يعجب بهِ جدًّا ويوافق عليهِ اتم الموافقة . واستطرد الى مسألة النشوء ومذهب داروين فقال انهُ جرت فيهما مناظرة عنيفة بين بعض العلماء منذ اربع وثلاثين سنة وهي التي اشار الرئيس اليها فقال انصار داروين ان انواع النبات والحيوان غير ثابتة على حال واحدة بل تتغير دواماً وقد تولَّد بعضها من بعض وتولَّدت كلها من اصول قليلة العدد فقال الناس عنهم انهم يقصدون تقويض اسس الدين والصلاح وان النسبة بينهم وبين الحيوانات الدنيا قريبة جدًّا ولذلك يحسبون اصل الانسان منها . الاَّ ان آراء الناس تغيرت كثيرًا في هذه الاربع والثلاثين سنة التي مرَّت لانهُ رأى الخطيب يصرّح في خطبتهِ جهارًا ان القول بثبوت الانواع على حالها قد نُفي نفياً مطلقاً . وان قليلين يشكُّون الآن في ان بعض افراد النوع الواحد من انواع الحيوان قد تختلف بعضها عن بعض اكثر مما يختلف نوع عن آخر من انواع الحيوان كلها . فهذه القضايا التي يقول بها اصحاب

النشوء هي اساس مذهبهم وعندهم ان مذهب دارون ومذهب سبنسر ومذهب هكل ومذهب وسمن ليست النشوء عينهُ بل هي مذاهب ذهب اليها اصحابها تفسيرًا لكيفيَّة حدوث النشوء فهي مبنيَّة على النشوء ولكنها ليست اياهُ . اما النشوء فثبت على مقاومة خصومهِ كل هذه السنين . وقد ختم لورد سلسبري على صحتهِ تلك الليلة بخاتم الرئاسة . ثم رحَّب بلورد سلسبري لاعتناقهِ مذهب النشوء جديدًا وشكرهُ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن نصراء دارون الذين لم يزالوا في قيد الحياة على ما اثني بهِ على ذلك الرجل العظيم . فشكرهُ لورد سلسبري ووافقهُ على اقوالهِ "

وانتقلت الوزارة الى المحافظين سنة ١٩٧٤ فرأَسها دزرائلي وجعل مركيز سلسبري وزيرًا للهند وضربت المجاعة اطنابها في تلك البلاد حينئذٍ فارتأَى البعض ان يمنع خروج الحبوب منها فرفض سلسبري ذلك حاسبًا مصادرة التجارة اضرَّ من كل ضرر فكانت النتيجة ان تجار الحبوب صاروا يرسلون حبوبهم الى الاماكن التي ظهرت فيها المجاعة فقلَّ ضررها . وفي عهد تلك الوزارة لُقّبت الملكة فكتوريا امبراطورة لبلاد الهند وهو الخاطر الذي خطر على بال دزرائلي واثبتهُ في رواية تنكرد التي عربناها ونشرناها في المقتطف منذ اربع سنوات فاخرجهُ من القوة الى الفعل كما اخرج غيرهُ من الخواطر . اما راي مركيز سلسبري من قبيل معاملة الانكليز للهنود فاوضحهُ في خطبة خطبها في مدرسة كبرس هل سنة ١٨٧٥ حيث قال

" ان جمهور اهالي الهند راضٍ بحكمنا كما اعلم عن ثقة ولقد كثر تغيُّر الملوك على بلاد الهند حتى لم يعُد الهنود يأْنفون من تغيُّر ملوكهم غير ان الحكومة لا تثبت اذا شعر المحكوم انهُ ذليل في عيني الحاكم وشعر الحاكم انهُ اعز من المحكوم ويجب ان يذلهُ . فالذين يذهبون من انكلترا الى بلاد الهند لكي يذلوا اهلها هم اعداء انكلترا الذين يجب عليها ان تخشى شرهم لان في طاقتهم ان يقضوا على حكمها في تلك البلاد . ولكنني واثق ان الجميع يعرفون ما يجب عليهم وان التلامذة الذين يخرجون من هذه المدرسة ويذهبون الى بلاد الهند يذهبون اليها كدعاة للعمران شاعرين انهُ يُطلب منهم ان يمكّنوا ربط الاتحاد بين انكلترا وتلك البلاد العظيمة التي كان من نصيبنا ان نتولَّى حكمها "

ويظهر لنا ان كثيرين من الانكليز يجرون هذا المجرى ولولا ذلك ما تمكنوا من البقاء في بلاد الهند ولا في هذا القطر ولكن البعض لا يجرون عليهِ بل قام في نفوسهم ان اذلال الرعيَّة يرفع شأْن رعاتها . ولو كانوا كثارًا في مستعمرات انكلترا لما قامت لها قائمة فيها

وحدثت حوادث البلغار سنة ١٨٧٦ ونهض غلادستون يثير البلاد على الحكومة ونشبت

الحرب في السرب والجبل الاسود وطلبت روسيا لها الهدنة واشارت انكلترا بعقد مؤتمر الاستانة ليشير بما يجب عملهُ لتسكين الخواطر في البلدان العثمانية وعينت مركيز سلسبري نائباً عنها في ذلك المؤتمر فمرَّ بعواصم اوربا وذاكر وزراءها وهو ذاهب الى الاستانة ولم تكن الدولة العلية راغبة في عقد هذا المؤتمر كما يظهر من التلغراف الذي بعث بهِ صفوت باشا الى سفير تركيا في لندن ولا كانت روسيا راغبة فيهِ

والتأم المؤتمر في دسمبر تلك السنة وكانت انكلترا قد وضعت الشروط التي يجب ان تراعى فيهِ وهي حفظ الحالة التي كانت في السرب والجبل الاسود قبل الحرب وامتناع الدول كلهنَّ من الاستفادة من حوادث تركيا وحفظ البلاد العثمانية مع ادخال الاصلاح اليها مضموناً بضمانات كافية

وفُضَّ المؤتمر في ٢٠ ينايرسنة ١٨٧٧ من غير ان يأْتي بنفع وشهرت روسيا الحرب واعلنت انكلترا انها تبقى على الحياد ما دامت الحرب لا تمس مصالح رعاياها في مصر وترعة السويس والدردنيل وما دامت روسيا غير عاملة على اخذ الاستانة نفسها . فلما تقدَّمت جنود الروس في البلقان اوجست انكلترا شرًّا وسأَلت روسيا عما تنويهِ للاستانة وامرت اسطولها ان يذهب الى الدردنيل في ٢٣ ينايرسنة ١٨٧٨ . وأُمضيت شروط الصلح بين تركيا وروسيا في ٣ مارس وهي المعروفة بشروط سان ستفانو ولما أُعلنت بعد ثلاثة اسابيع قامت انكلترا وقعدت واضطرَّ لورد دربي ان يستعفي من وزارة الخارجية فأُسندت الى مركيز سلسبري فنشر منشورهُ المشهور لوكلاء بريطانيا في كل البلدان ومفادهُ ان مركز تركيا قد حُدِّد في معاهدة باريس التي وقَّعتها الدول الاوربيَّة سنة ١٨٥٦ فكل ما يغير مركز تركيا الآن يجب ان يكون باتفاق تلك الدول . واشار بعقد مؤتمر برلين وبوضع شروط أُخرى للصلح غير شروط سان ستفانو . ورأَت روسيا ان لا مناص لها من امر من امرين اما القبول بعقد هذا المؤتمر او محاربة انكلترا ولم تكن مستعدة للحرب فقبلت بالمؤتمر كرهاً

فعُقِد المؤتمر وجاءهُ دزرائلي وسلسبري من قبل انكلترا بعد ان عقد سلسبري معاهدة سرية مع سفير روسيا في لندن افشت جريدة الغلوب امرها

ونتائج ذلك المؤتمر معلومة لدى الخاص والعام وهي ان روسيا لم تعد تعبأُ بخلل يحدث في تركيا ولا عجب اذا سُرَّت بهِ لانهُ ينيلها منها ما لا تنالهُ بالسلاح . وذئاب اوربا تجمهرت من كل صقع لخطف ما تستطيع اختطافهُ من ارزاق العثمانيين والمرابون الاوربيون قضوا لبانتهم فاسترهنوا اعظم موارد السلطنة ولا يزالون يطلبون المزيد

وسقطت وزارة دزرائلي سنة ١٨٨٠ وقامت وزارة غلادستون وتوفي دزرائلي في السنة التالية فخلفهُ سلسبري في زعامة المحافظين وفي غضون ذلك احتلَّت انكلترا مصر وتركت السودان وكادت تنشب الحرب بينها وبين روسيا على حدود الافغان فكان لسلسبري مجال واسع لمناضلة وزارة الاحرار الى ان سقطت سنة ١٨٨٥ وكان قد خلا لهُ الجو فاستدعتهُ الملكة واسندت اليهِ رئاسة الوزارة وهي اول مرة تولَّاها ولم تطل مدة وزارتهِ فاعيدت الانتخابات فكانت الاكثريَّة للاحرار لكنهم انقسموا بسبب لائحة الاستقلال الاداري لارلندا واعيدت الانتخابات ففاز المحافظون وبلغت اكثريتهم ١١٨ بمن اتحد معهم من الاحرار ودامت وزارتهُ هذه النوبة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٢ وحدثت في غضونها حوادث مهمة كقيام بولنجه في فرنسا وعقد المحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا واتفاق انكلترا والمانيا على اقتسام ما تمتلكانهِ في افريقية وما تنويان امتلاكهُ فيها وسكون القلاقل في اوربا في اواخر هذه المدة واتساع الخرق بين قسمي حزب الاحرار

وأُعيدت الانتخابات العموميَّة سنة ١٨٩٢ ففاز الاحرار باكثريَّة قليلة وعاد غلادستون الى دست الوزارة وصادق مجلس النواب على لائحة الاستقلال الاداري لارلندا لكن مجلس الاعيان رفضها . واضطرَّ الضعف غلادستون الى ترك الوزارة للورد روزبري فظلت في يد الاحرار الى اواسط سنة ١٨٩٥ حين استعفت لسبب طفيف وأُعيدت الانتخابات فكان الفوز للمحافظين وانصارهم المتحدين وعاد سلسبري الى الوزارة ولا تزال الحكومة في يد المحافظين الى الآن

وحدثت المذابح الارمنية في هذا الاثناء فقام خطيباً ينذر بالويل والدمار وهو يحسب أَنَّ الكلام يقوم مقام الحسام وفاتهُ انهُ ان كانت انكلترا محقة في التعرُّض لشؤُون تركيا الداخلية فالتعرُّض لا يكون بالكلام وان كانت غير محقة فالكلام لا يجدي نفعاً . ولو كان للرعايا الانكليز مصلحة مالية في منع المذابح الارمنية لمخرت بوارجهم فوق جبال طورس أَلاَ ترى ان مصالحهم جمعت مئات الالوف من الجنود ودوَّخت بهم بلاد الترنسفال من اقصاها الى اقصاها . وكل وزير يهمل مصلحة بلادهِ المالية اهتماماً بغيرها فهو خائن عهد الامانة لامتهِ ولذلك لا يلام سلسبري اذا اهتمَّ بمصلحة بلادهِ ولم يهتم بسواها لان مصالح الغير لها مَن يهتم بها وليس في قوانين البشر ما يوجب على وزير دولة من الدول ان يهمل مصلحة دولتهِ ويهتم بمصلحة دولة اخرى

وفي غضون هذه الوزارة استُرجعت بلاد السودان بامر منهُ باغت بهِ الحكومة المصرية لما علم ان المعدات الحربية تهيأَت لاسترجاعها . وخيف من وقوع الحرب بين انكلترا والولايات

المتحدة الاميركية بسبب التخوم في فنزويلا ثم انقضى الخلاف بالتحكيم . وضُمَّت بلاد الترنسفال الى الاملاك البريطانية بعد حرب شيبت الولدان . واتفقت الدول الاوربية على اخماد ثورة البكسر في الصين وحمَّلت الصين نفقات الحرب فامست مديونة لاوربا باموال طائلة تضطر ان توفي رباها سنة بعد سنة وتصغي الى اوامرها كما يصغي المديون الى الدائن والضعيف الى القوي . واعيدت الانتخابات مرة ثانية فزادت اكثريَّة المحافظين والمتحدين معهم وترك سلسبري حينئذٍ وزارة الخارجيَّة وبقي في رئاسة النظار . وفي العام الماضي امضيت محالفة بين انكلترا واليابان الى خمس سنوات وهو الذي وضع اساسها . وتوفيت الملكة فكتوريا فاقرَّهُ ابنها في منصبهِ وكان يود ان يحضر تتويجهُ ثم يستعفي من مناصب الحكومة لشيخوختهِ وضعف صحتهِ ولكن التتويج تأخر بسبب مرض الملك فاضطرَّ ان يستعفي قبلهُ ورفع استعفاءهُ في ١١ يوليو من العام الماضي فاثنت البلاد كلها مع مليكها عليهِ لانهُ خدمها خدمة صادقة بالهمة والنشاط والحكمة والسداد

وخُطَب سلسبري ومقالاتهُ التي نشرها في الجرائد والمجلات تملأُ مجلدات كبيرة ويظهر منها كلها انهُ كان محبًّا لوطنهِ عاملاً على رفع منارهِ يخالف غلادستون في بعدهِ عن الافراط والتفريط وكان لهُ في زوجتهِ اكبر معين فانها كانت تشاركهُ في اشغالهِ السياسيَّة فيطلعها على كل شيءٍ ويعتمد على رأيها وهي كانت من نوابغ النساء عقلاً وذكاءً ثم لما مرضت وتوفيت جعل اعتمادهُ بعدها على ابنتهِ الصغرى فكانت بمقام كاتم اسرارهِ

وكان شديد التدين متمسكًا بعقائد الكنيسة الانكليزية وتدينهُ كان الجامعة بينهُ وبين غلادستون وسبب التواد بينهما مع انهما كانا في السياسة على طرفي نقيض. ولولا خوضهُ غمار السياسة لكان من العلماء الطبيعيين الذين يشار اليهم بالبنان. ولم يترك البحث العلمي ولاسيما في الكيميا فكان يلجأُ اليها كلما طلب الراحة من متاعب السياسة

ولم يكن شديد الالفة ولا خبيرًا باقدار الناس بنوع عام لكنهُ كان يعرف الناس المشتغلين معهُ ويقدرهم قدرهم وكانت الملكة فكتوريا تكرمهُ وتعدهُ من اصدقائها المخلصين لعرشها وتثق بآرائهِ السياسيَّة ثقة تامة . وكان الاعيان كلهم يجلون قدرهُ ويصغون الى اقوالهِ كانها منتهى الحكمة والسداد وقد كانت كذلك لانها مبنية على اسس وطيدة وهي احترام الحرية الشخصية وحقوق الغير والاحتفاظ بما ورثتهُ الامة الانكليزية من اسلافها من المجد والعظمة والابتعاد عن الحروب وويلاتها بكل واسطة ممكنة . هذا لباب سياستهِ التي اقامها مدة خدمتهِ لبلادهِ

بحث في الكامل

﴿ النقد عند الافرنج ﴾ تفرَّغ بعض كتَّاب الغرب للنقد حتى صار عندهم علماً خاصاً برأسهِ وجُعلت لهُ جرائد ومجلاَّت همُّها نقد التآليف وتبيان صحيح الكلام من فاسدهِ مما لا تخفى فائدتهُ للطالع واصحاب التآليف والمتصدين للافادة ان كانوا احياء . ولقد اشتركتُ في احدى المجلاَّت العلمية الباريزية ست سنين كانت جُلُّ استفادتي من مقالة ينشرها رئيس التحرير وهي في نقد تأليف نُشر حديثاً . فيبدأُ الناقد بذكر المؤَلف اولاً وايراد طرف من ترجمة حياتهِ وتعيين منزلتهِ من العلم والادب ثم يجول في المؤَلَّف جولة يبين فيها موضوعهُ وثمرتهُ غضةً كانت او فجّة . وهنا بيت القصيد في هذا الباب والفائدة التي يستلذ اقتباسها الراغبون في الوقوف على الحقائق والعمل بمضامينها . وإنَّ من عزّت اوقاتهُ وبعُد عليهِ التقاط المعارف من مظانها وطلابها من تضاعيف الصحائف ليستغني بتلاوة اعمدة قليلة عن الخوض في المطوّلات ويجتزئُ من تعبهِ بتعب غيرهِ

فالنقد عند الغربيين من الفنون الراقية كما كان عند العرب ايام استبحرت حضارتهم وزخرت بحار علومهم . وطريقة العرب عبارة عن شروح وردود والمقصد واحد . وقد رأيت ان أُحاول احتذاء مثال الاسلاف والاخلاف وان لم يدرك الظالع شأو الضليع ولم يتساوَ قُلٌّ وكثر فتخيرت الكتب القديمة بدل الحديثة اذ قلما يؤَلف لعهدنا بلغتنا ما يستحق عناء البحث على هذه الطريقة فابدأُ الآن بالكلام على كتاب الكامل في اللغة والادب . والتأليف كما قال ابو حيَّان يكون اما لاختراع معدوم او لجمع متفرق او تكميل ناقص او تفصيل مجمل او تهذيب مطول او ترتيب مخلَّط او تعيين مبهم او تبيين خطإٍ

﴿ مؤَلف الكتاب ﴾ هو ابو العباس محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرِّد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ كان اماماً في النحو واللغة ألَّف التآليف النافعة منها كتاب الكامل وهو من أُمهات كتب الادب في العربية ومنها كتاب المقتضب والروضة وغيرها . ذكر ابن خلكان ان المبرّد اخذ الادب عن ابي عثمان المازني وابي حاتم السجستاني واخذ عنهُ نفطويهِ وغيرهُ من الائمة . وكان المبرّد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب صاحب كتاب الفصيح للاستكثار منهُ وثعلب يكره ذلك ويمتنع منهُ . قيل لختَن ثعلب (زوج ابنتهِ) لِمَ يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرّد فقال لان المبرّد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وثعلب مذهبهُ مذهب المعلمين فاذا

اجتمعا في محفل حُكِمَ للمبرّد على الظاهر الى ان يُعرف الباطن . وكان المبرّد كثير الامالي حسن النوادر ونظم فيهِ وفي ثعلب ابن العلاّف ابياتاً سائرة وهي

ذهب المبرّد وانقضت ايامهُ وليذهبنْ إثر المبرّد ثعلبُ
بيت من الآداب اصبح نصفهُ خَرِباً وباقي بيتها فسيخربُ
فابكوا لما سلب الزمان ووطّنوا للدهر انفسكم على ما يسلبُ
وتزوّدوا من ثعلب فبكاس ما شرب المبرّد عن قريب يشربُ
واری لكم ان تكتبوا انفاسهُ ان كانت الانفاس ممَّا يكتبُ

وكان المبرّد كثيراً ما ينشد في مجالسهِ

يا من تلبس اثواباً يتيهُ بها تيهَ الملوك على بعض المساكينِ
ما غيّر الجُلُّ اخلاق الحمير ولا نقش البراذع اخلاق البراذينِ

﴿ وصف التأليف ﴾ كتاب الكامل "يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثَل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة" فسّر ما وقع فيهِ من كلام غريب او معنى مستغلَق وشرح ما عرض فيهِ من الإعراب شرحاً شافياً واجاد في انتقاء نُتَف من صحيح الكلام الجزْل الذي يُتّخذ حجة في الصحة وانموذجاً في الفصاحة واظنُّ المبرّد في اختيارهِ للكامل احسن من اختيارهِ للروضة وكأنهُ فيما يظهر جعل الكامل للصحيح من الكلام والروضة لفاسدهِ وبضدها تتبيّنُ الاشياء

ويخيَّل لي ان ابن عبدربّهِ الاندلسي لم ينصف المبرّد عند ذكرهِ في العقد الفريد سوء الاختيار وانهُ اغلب على طبائع الناس من حسن الاختيار فقال : ألا ترى ان محمداً بن يزيد النحوي على علمهِ باللغة ومعرفتهِ باللسان وضع كتاباً سماهُ بالروضة وقصد فيهِ الى اخبار الشعراء المحدثين فلم يختر لكل شاعر الا ابرد ما وجد لهُ حتى انتهى الى الحسن بن هانئ وقلما يأتي لهُ بيت ضعيف لرقة فطنتهِ وسبوطة بنيتهِ وعذوبة ألفاظهِ فاستخرج لهُ من البرد ابياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها وهي :

ألا لا يلمني في العقار جليسي ولا يلحني في شربها بعبوسِ
تعشَّقها قلبي فبغّض عشقها اليَّ من الاشياء كل نفيسِ

واين هذا الاختيار من اختيار عمرو بن بحر الجاحظ حين اجتلب ذكرهُ في كتاب الموالي فقال ومن الموالي الحسن بن هانئ وهو من اقدر الناس على الشعر واطبعهم فيهِ ومن قولهِ

فجاء بها صفراء بكراً يزفها اليَّ عروساً ذات دَلّ معتقِ

فلما جلتها الكاس ابدت لناظري محاسنَ ليث بالجمال مطوّقِ

ومن قولهِ ساعٍ بكاس الى ناس على طرب كلاهما عجب في منظر عجبِ

قامت تُريك وشمل الليل مجتمع صبحًا تولّد بين الماء والعنبِ

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء درٍ على ارض من الذهبِ

وجُلُّ اشعارهِ الخمريات بديعة لا نظير لها نخطر بها كلها وتخطاها الى التي جانستهُ في بردهِ فما احسبهُ لحقهُ هذا الاسم المبرّد الاّ لبردهِ " انتهى

لا يتبرم المطالع بقراءة الكامل اذ يتراوح فيهِ بين النثر والنظم والآثار والاخبار على ان ابوابهُ ليست على نسق واحدٍ في الطول والقصر فقد ينتهي الفصل الواحد في صفحتين او ثلاث وقد ينتهي الآخر الى مئة وخمس واربعين صحيفة او اقلّ من ذلك كما هو الشأن في باب اخبار الخوارج فانهُ استغرق خمس الكتاب مع انهُ لم يبدأهُ على ما قال لتتصل فيهِ اخبارهم "ولكن ربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون ويقترح المقترح ما يفسخ بهِ عزمَ صاحب الكتاب ويصدُّهُ عن سننهِ ويزيلهُ عن طريقتهِ ". بهذا اعتذر المصنف عن هذا الباب وقد اجاد فيهِ ما شاء واتى من انباء زعماء الخوارج بما يبعث معناهُ الاسى في النفوس ويحكم مبناهُ ملكة الفصاحة في الالسن مثل اخبار عمران بن حطان وقَطَريّ بن الفجاءة وغيرهما من رجال الاسلام وامراء الكلام

والمؤلف في كل ما اوردهُ من الفوائد التاريخيَّة والادبيَّة ابان عن افكار سامية ومقاصد شريفة فهو حرٌّ فيما نقل حرٌّ فيما أملى متفضلٌ على التاريخ فيما ضم شتاتهُ من اخبار الاباضية والصفرية والازارقة . وربما سئم بعضهم من ذكر اسماء وانباء يقرأها ولا يكاد يفهمها في الغالب فعليهِ اذا وقع لهُ شيء من ذلك ان يتّهم عقلهُ وعلمهُ فقد طال العهد بيننا وبين العرب الخُلّص وضعُف سندُ علومهم بحيث اصبحنا لا نقدر ما ورثوناهُ حقَّ قدرهِ الاّ اذا توفّر المرء على الدراسة وخالطت تلك المعاني الروح مخالطة الصهباء للماء وتمكنت من النفوس تمكن الفصاحة من السن العرب العرباء

﴿ منثور الكامل ﴾ في هذا الكتاب من الكلام المُرْسَل العربي البحت الذي لم تَشُبْهُ شائبة التكلّف ما لو استظهرهُ من شدا شيئًا من الأدب لغلا قولهُ وسمت منزلتهُ . فما نقلهُ رسالة عمر ابن الخطاب في القضاء الى ابي موسى الاشعري "وهي التي جَمَعَ فيها جُمَلَ الاحكام واختصرها باجود الكلام وجعل الناس بعدها يتخذونها اماما ولا يجدُ محق عنها مَعدلاً ولا ظالم عن حدودها محيصاً " وهي :

اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنَّة متبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانهُ لا ينفع تكلُّم بحقٍ لا نفاذ لهُ. آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادَّعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الاَّ صلحاً احلَّ حراماً او حرَّم حلالاً . لا يمنعك قضاءٌ قضيتهُ اليوم فراجعتَ فيهِ عقلك وهُديتَ فيهِ لرُشدك ان ترْجع الى الحق فان الحقَّ قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مَّما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادَّعى حقًّا غائبًا او بينة أمدًا ينتهي اليهِ فان احضر بينتهُ اخذت لهُ بحقهِ والاَّ استحللتَ عليهِ القضية فانهُ انفى للشك واجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض الاَّ مجلوداً في حدّ او مجرَّبًا عليهِ شهادة زُور او ظنينًا في ولاءٍ او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأَ بالبينات والايمان . واياك الغَلَق والضجر والتأَذي بالخصوم والتنكُّر عند الخصومات فان الحقَّ في مواطن الحق يُعظِم الله بهِ الاجر ويحسن بهِ الذُّخر فمن صحَّت نيتهُ واقبل على نفسهِ كفاهُ الله ما بينهُ وبين الناس ومن تخلَّق بما يعلم الله انهُ ليس من نفسهِ شانهُ الله فما ظنك بثواب غير الله عزَّ وجلَّ في عاجل رزقهِ وخزائن رحمتهِ والسلام

وهنا اندفع المؤَلف على عادتهِ في شرح المستغلق من "حكيم الاخبار وبارع الآداب" فقال ما ملخصهُ : قولهُ آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك سوِّ بينهم وتقديرهُ اجعل بعضهم أُسوة بعض . لا يطمع شريف في حَيْفك في ميلك معهُ لشرفهِ . فيما تلجلج في صدرك تردد واصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل في فمهِ فلا تزال تتردد الى ان يسيغها او يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للعيي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان . ظنينًا في وَلاءٍ او نسب هو المتهم واصلهُ مظنون وهي ظننت التي تتعدَّى الى مفعول واحد تقول ظننتُ بزيد وظننت زيدًا اي اتهمتُ . درأَ دفع . الغَلَق ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوءِ الخلق رجل غَلِقٌ من قولهم أُغلق عليهِ امرهُ اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن اي لم يوجد لهُ تخلُّص

ومما يروى لاختصارهِ وسمو افكارهُ ما اوردهُ من ان الاحنف بن قيس لما مات وكان موتهُ بالكوفة مشى المصعب بن الزبير في جنازتهِ بغير رداءٍ وقال اليوم مات سيد العرب فلما دُفن قامت امرأَة على قبرهِ فقالت : "لله درُّك من مُجَنٍّ في جَنَن (اي مستور في قبر) ومُدْرَج في كفن فنسأَل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير

دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنتَ في المحافل شريفًا وعلى الارامل عطوفًا ولقد كنت في الحيّ مُسَوَّدا والى الخليفة موفَّدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين " . قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة ابلغ ولا اصدق معنى منها . قلت ومن طالع سيرة الاحنف وخبر تلك النفس الكبيرة يرَ ان رثاء هذه المرأة لهُ من ابلغ ما خطهُ الرجال والنساء وتمثل لهُ سلامة الفطرة الخالصة عن رَين التصنع. واحرِ ببعض من يدعون الادب لعهدنا فينبرون في المقابر لتأبين ميت عزيز ان يقتدوا بهذه الاعرابية في اختصار مراثيهم فما قلّ وقرّ خير مما كثر وفرّ . فان بعضهم قد يستوقفون الحضور ساعة في وهج الشمس وبرد الشتاء يلوكون الكلام ويبعدون عن المرام فتكون المصيبة ثنتين عناء الخُطَب وعناء الخَطب

﴿ منظومة ﴾ يظهر ان المبرّد طالع كثيرًا من دواوين العرب وانتقى طرفًا صالحًا منها فجاء ما وقع اختياره عليهِ زبدة لزُبد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختاره ابو تمام الطائي من شعر العرب العرباء ومن الانموذجات ما نقلهُ من طريف شعر الحرث بن ظالم من قوله وكانهُ شعر معاصر

فلما فقدتُ الصوت منهم واطفئتْ مصابيح شُبَّت بالعشاء وانؤُرُ
وغاب قُمَير كنتُ ارجو غيوبهُ وروَّح رعيان ونوَّم سُمَّرُ
ونفَّضتُ عني العين اقبلت مشية الـ حُباب وركني خيفة القوم ازورُ
فحييتُ اذ فاجأتها فتولَّهت وكادت بمكنون التحية تجهرُ
وقالت وعضَّت بالبنان فضحتني وانت امرؤٌ ميسور امرك اعسرُ
اريتك اذ هُنَّا عليك الم تخف رقيبًا وحولي من عدوّك حُضَّرُ
فوالله ما ادري التعجيل حاجة سرت بك ام قد نام من كنت تحذرُ
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى اليكِ وما عين من الناس تنظرُ
فيا لك من ليل تقاصرَ طولهُ وما كان ليلي قبل ذلك يَقْصُرُ
ويا لك من ملهى هناك ومجلس لنا لم يُكدّرهُ علينا مكدِّرُ
يمجُّ ذكيَّ المسك منها مفلَّج رقيقُ الحواشي ذو غروب مؤشَّرُ
يرفُّ اذا يفترُّ عنهُ كأنهُ حصى برَد او أُقحوانٌ منوِّرُ
وترنو بعينيها اليَّ كما رنا الى رَبْرب وسط الخميلة جؤْذرُ
فلما تقضَّى الليل الَّا اقلَّهُ وكادت توالي نجمهِ تتغوَّرُ
اشارت بان الحيَّ قد حان منهم هبوبٌ ولكن موعدٌ لك عزْوَرُ

فما راعني الا منادٍ برحلهِ وقد لاح مفتوق من الصبح اشقرُ
فلما رأت من قد تثوَّر منهم وايقاظهم قالت أشر كيف تأمرُ
فقلت أباديهم فإما افوتهم واما ينال السيف ثأرًا فيثأرُ
فقالت اتحقيقًا لما قال كاشحٌ علينا وتصديقًا لما كان يؤثرُ
فان كان ما لا بدَّ منهُ فغيرهُ من الامر ادنى للخفاء واستَرُ
اقصُّ على اختيَّ بدء حديثنا وما لي من ان تعلما متأخَّرُ
لعلَّهما ان تبغيا لك مخرجًا وأن ترحُبا سربًا بما كنتُ أحصَرُ
فقامت كئيبًا ليس في وجهها دمٌ من الحزن تذري عبرة تتحدَّرُ
فقالت لاختيها اعينا على فتًى اتى زائرًا والامرُ الامر يُقدَرُ
فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتا اقلي عليك اللومَ فالخطب أيسرُ
يقوم فيمشي بيننا متنكرًا فلا سرُّنا يفشو ولا هو يظهرُ
فكان مجنِّي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصرُ
فلما اجزنا ساحة الحيّ قُلن لي الم تتقِ الاعداء والليل مُقمِرُ
وقلن أهذا دأبك الدهر سادرًا اما تستحي او ترعوي او تفكَّرُ

(شرحهُ : شبّت اوقدت . انؤر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو . قُمَيْر انما صغرهُ لانهُ ناقص عن التام وهذا في اول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد . السمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلاً . والحباب حية بعينهِ . نفضتُ عني العين احترست منها وامنتها والنَّفضة امام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق . أزوِر يعني متجافيًا يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق . ذو غروب . غرب كل شيءٍ حدهُ وانما يعني الاسنان . ومؤشرله أشر وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعًا يقال لاسنانهِ أشر فهذا الشائع الذائع واما الشنب فهو عندهم جميعًا برْد في الاسنان . التوالي التوابع . تتغور تغور فتذهب مأخوذ من الغور . هبوب انتباه . عزوَر موضع بعينهِ . أيقاظهم جمع يقظ . اباديهم اظهر لهم . ان ترحبا تتسعا اي تتسع صدورها من قولهم فلان رحيب الصدر . أحصر أضيق بهِ ذرعًا . مجنّي ترسي . وقولهُ ثلاث شخوص والوجه ثلاثة اشخص ولكنهُ لما قصد الى النساء انّث على المعنى وابان ما اراد بقولهِ كاعبان ومعصر)

❁ جملة فوائدهِ ❁ من يدرس الكامل تتوفر لديهِ مادَّة مهمة من فُصَح اللغة وشواردها ويقف على جانب من قواعد النحو والصرف والبيان مما لا غنى لمتأدب عن معرفتهِ دع ما هنالك

من اخبار الخلفاء ومجالس العلماء. فمما نصَّ عليهِ من الفوائد عند شرحهِ : — قتلنا اخانا للوفاء بجارنا — ان ذلك يكون على ضربين احدهما ان يكون نخَّم نفسهُ وعظمها فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع بهِ والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كبرًا ولا ينبغي على حكم الاسلام ان يكون هذا مستعملاً الاَّ عن الله عز وجل لانهُ ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى : انا انزلناهُ في ليلة القدر . وانا اوحينا اليك. وكل صفات الله اعلى الصفات واجلها فما استعمل في المخلوقين على تلك الالفاظ وان خالفت في الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الاَّ ما وصفنا قبلُ من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار او متكبر كان عليهِ عيبًا ونقصًا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبدىء المعيد الخالق البارىء ولا يليق ذلك بمن تكسرهُ الجوعة وتطغيهِ الشبعة وتنقصهُ اللحظة وهو في كل أُمورهِ مُدَبَّر

ومما يؤثر من اخبار الخلفاء ما رواهُ عن الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليهِ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ يأمرهُ بالقدوم عليهِ هو وعمَّالهُ وان يستخلفوا جميعًا . قال فلما قدمنا اتيتُ يرفأ (مولى عمر) فقلت يا يرفا مسترشدٌ وابن سبيل اي الهيئات احبُّ الى امير المؤمنين ان يرى فيها عمَّالهُ فأومأ اليَّ بالخشونة فاتخذت خُفَّيْن مطارقَيْن ولبست جبَّة صوف ولُثت عِمامتي على رأسي فدخلنا على عُمَر فصفَّنا بين يديهِ فصعَّد فينا وصوَّب فلم تأخذ عينهُ احدًا غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولَّى من اعمالنا قلتُ البحرين قال كم ترتزق قلت الفًا قال كثير فما تصنع بهِ قلت اتقوَّت منهُ شيئًا واعود بهِ على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا باس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصفّ فصعَّد فينا وصوَّب فلم تقع عينهُ الاَّ عليَّ فدعاني فقال كم سنُّك قلت خمس واربعون سنة قال الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوَّعت لهُ فأُتي بخبز واكسار بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت انظر اليهِ يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت اقول يا امير المؤمنين ان تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فيؤْتى بالخبز ليِّنًا واللحم غريضًا . فسكن من غربهِ وقال اههنا غُرْتَ قلت نعم فقال يا ربيع انَّا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ثم امر ابا موسى باقراري وان يستبدل باصحابي

(قولهُ فلثتها على رأسي ادرت بعضها على بعض على غير استواء الصلائق ما عمل بالنار طبخًا وشيًّا يقال صلقت الجنب اذا شويتهُ وصلقت اللحم اذا طبختهُ على وجههِ . وسبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصهُ يريد الحوّارى والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابيّ اذا كان في ذلك اللون . آكسار بعير فان الاكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليهِ من اللحم . نعى على قوم شهواتهم عابهم بها ووبخهم . غرت ذهبت يقال غار الرجل اذا اتى الغور وناحيتهُ مما انخفض من الارض وانجد اذا اتى نجدًا وناحيتهُ مما ارتفع من الارض . غربهُ حدهُ . خفين مطارقين مطبقين يقال طارقت نعلي اذا طبقتها ومن قال طرقت او اطرقت فقد اخطأ)

هذا ما ساعد عليهِ المقام للبحث في الكامل وهو على الجملة من خير ما في الايدي من كتب الادب مشكول محل الاشكال من الفاظهِ تغلب الصحة والضبط على الطبعة المصرية منهُ حريٌّ بالمكاتب ان تزدان بهِ وبالناس ان يتأدبوا بالنظر فيهِ ولا غرو فهو الكامل باسمهِ ومسماهُ والكمال لله وحدهُ محمد كردعلي

فردريك الكبير ملك بروسيا

تمهيد — اذا بسط القارئُ اللبيب خريطة اوربا امامهُ يرى في شماليّ المانيا على سواحل البلطيك بقعة من الارض حول برلين يقال لها براندنبرج Brandenburg كانت امارةً مستقلة تحت زعامة مركيز من آل هوهنزلرن Hohenzollern والى شرقيها بقعة اخرى يقال لها امارة بروسيا تحت امرة دوق . ففي بدء القرن الثامن عشر كان صاحب براندنبرج اميرًا خطيرًا ذكيّ الفؤاد وفيهِ دهاءٌ سياسيّ وطمعٌ شديد فغلب على بروسيا وضمها الى امارتهِ وجعلهما مملكة واحدة باسم مملكة بروسيا بمصادقة امبراطور المانيا واتخذ برلين عاصمة واقام فيها ملكًا باسم الملك فردريك الاول وكان لهُ ولد في العاشرة من عمرهِ اسمهُ فردريك وليم جعلهُ وليًّا للعهد حتى اذا ادرك الثامنة عشرة زوَّجهُ بصوفيا دوروثي بنت جورج منتخب هانوفر الذي تبوأ بعد حينٍ عرش انكلترا وتلقب الملك جورج الاول

مولد فردريك وحداثتهُ

وفي ٢٤ يناير سنة ١٧١٢ وُلد لولي العهد غلامٌ سماهُ فردريك والمملكة البروسيَّة يومئذٍ في السنة الثانية عشرة من عمرها فلما بلغ الشهر الرابع عشر توفي جدهُ فردريك الاول مؤسس

الدولة ووسدت الاريكة لابيهِ فردريك وليم فاصبح هذا الطفل وليًّا لعهدهِ

وكان الملك الجديد غريب الاطوار غرابةً حملت مؤرخيهِ على رميهِ بالجنون فبدأ ملكهُ بصرف بطانتهِ وخدمهِ وبيع خيولهِ والاقتصاد في النفقات واطّراح ما توجبهُ ابهة الملك والرجوع الى شظف العيش والكد في العمل . ولو وقف عند هذا الحد لاجاد وافاد ولكنهُ تجاوز الى الافراط فيهِ فكان يسير بين الناس في الشوارع متوكئًا على عصاهُ يضرب بها من غير حساب كل من استثار غضبهُ ولو كان الذنب طفيفًا كحسن البزة والاقتداء بالفرنسويين ولا فرق عندهُ ان يكون المضروب رجلاً او امرأةً والرجل كبيرًا او صغيرًا ولهذا كان الناس يهربون من بين يديهِ

ومع ان المملكة كانت ضيقة النطاق ودخل خزينتها قليلاً فان الاقتصاد مكّن صاحبها من جمع المال الكافي لحشد جيش جرّار يناهز المئة الف من الرجال ومن تدريبهِ تدريبًا حسنًا حتى اصبح قوةً عظمى تضاهي قوى اعظم الدول يومئذٍ على انهُ كان يقوم على تدبير ذلك بنفسهِ غير مدخرٍ وسعًا ولا مشفقٍ على الجند من تحمل الصعاب

ورأى ان يربي ابنهُ تربيةً عسكرية ليكون جنديًّا ولكن الطفل كان نحيفًا ولم تبدُ منهُ امارات النشاط والقوة اللازمتين للجندي فضلاً عن انهُ كان محبًّا لاختهِ ولهلمينا حبًّا مفرطًا وفيهِ ميل للقراءة والموسيقى فحسبها ابوهُ تخنثًا ونشأت فيهِ عاطفة الاحتقار للطفل ثم ازدادت شدةً حتى صارت كرهًا

كل هذا وفردريك او فريتز كما كانت تدعوهُ اسرتهُ طفل صغير فلما بلغ السادسة من عمرهِ حشد ابوهُ سريةً من ابناء السراة عدتهم مئة وجعلهم تحت امرةِ ابنهِ ثم زاد في عددهم حتى صاروا كتيبةً اقام فريتز عليها قائدًا برتبة اميرالاي (كولونل)

وفي السنة السابعة من عمرهِ سلمهُ للمعلمين وامرهم ان يعلموهُ العلم والفن العسكري بمنتهى الشدة والصرامة غير مشفقين عليهِ ولا ناظرين الى مقامهِ منهم فاحتمل من هذا التعليم اشد العناء سيما من استصحاب ابيهِ لهُ في رحلاتهِ وفي استعراض الجيوش

وترعرع فريتز ناشئًا على غير ما احب ابوهُ من الاميال والاذواق لان فردريك وليم اراد تعويدهُ شظف العيش في الطعام والمنام واللباس والمبيت فلم يقع ذلك من الغلام موقع القبول بل كان عليهِ مرغمًا

ولم يكن هذا كل الاختلاف بين الاب وابنهِ بل اختلفا في التعليم ايضًا لان الملك كان اميًّا لا يحسن القراءة والكتابة بخلاف فريتز فانهُ مال الى المطالعة منذ الصغر وكلف بدراسة اللاتينية كلفًا شديدًا غير ان اباهُ كان يكره تلك اللغة حتى اذا دخل يومًا على ابنهِ وهو يقرأُ على

استاذهِ في كتابٍ لاتيني احتدم غيظاً ورفع عصاهُ ليضرب الاستاذ ففرَّ هارباً

واذا كان هذا مبلغ سخط الملك من دراسة لغةٍ كانت لذلك العهد عنوان العلم والحكمة عند الاوربيين فكيف يؤاخذ على غضبهِ من اشتغال ابنهِ بالموسيقى ونظم الشعر

وما برحت مسافة الخلف تزداد بينهما انفراجاً يوماً بعد يومٍ حتى تنغَّص عيش الصبي وبات لا يرى لهُ فرجاً الاَّ بمحبة امهِ واختهِ ولهفتهما عليهِ غير ان الملك شعر بمقامهِ منهما فسرت اليهما بغضاؤُهُ — كل ذلك والصبي دون العاشرة من عمرهِ على انهُ في تلك الآونة رُزق الملك صبي آخر سماهُ اغوسطس وليم فمال اليهِ وتمنى لو يموت فريتز فتكون ولاية عهدهِ للطفل وهو ينشئهُ على ما يحب . ومع هذا كلهِ ما برح يشدد النكير على فريتز ليتخلق باخلاقهِ

امانيُّ الملكة

كانت الملكة صوفيا دوروثي من فضليات النساء اللواتي يحرصنَ على اولادهن وينظرن نظراً بعيداً الى مصالحهم وكان لاخيها (جورج) ولي عهد انكلترا ابن اسمهُ فردريك دوق كلوستر هو خليفتهُ من بعدهِ وابنة حسناء اسمها اميليا فخطر للملكة ان تسعى بزواج ابنها باميليا وابنتها ولهلمينا بابن اخيها الاَّ انها صادفت صعاباً لان اخاها وزوجها كانا قد اجتمعا في حداثتهما واختلفا فاختصما ونتج عن خصامهما كرهٌ شديد . فضلاً عن ان بعض الدول الاوربية رأَت ان العقد المزدوج يزيد الرابطة وثوقاً بين انكلترا وبروسيا فتنال هذه بذلك حولاً وعزة

الاَّ ان الملكة لم تدخر وسعاً بل سعت جهدها فاقرَّ البلاط الانكليزي على خطبة الاميرة ولهلمينا لدوق كلوستر ولكنهم لم يقطعوا العدال في اعطاء يد الاميرة اميليا لفريتز

وكان لامبراطور المانيا سلطة على الملوك والامراء الخاضعين لسيادتهِ فكأَنهُ رأَى يومئذٍ ان بروسيا على صغرها اصبحت ذات حولٍ وطول بقوة عسكرها المدرَّب وان خزينتها قد طفحت بالنقود فخاف من استفحال امرها اذا تمَّ العقد المزدوج الذي تسعى اليهِ الملكة فاصدر امراً يحظر بهِ الزواج المنويّ

ولم يكن الملك فردريك وليم ليمتعض لهذا المنع لانهُ ينطبق على رأْيهِ وانما كان راغباً فقط في تزويج ابنتهِ بالامير الانكليزي وليس براضٍ عن تزويج ابنهِ لئلا تجيءَ عروسةٌ من انكلترا بالثروة الطائلة وبالعيش الهنيء الذي لا يرضاهُ ويخشى ان يلتفَّ حولها جماعة من بطانتهِ فيتأَلف لابنهِ حزبٌ ينازعهُ الامر على ان في رفضهِ واصرارهِ مخالفة يتوخاها لملك انكلترا . ولهذا كلهِ رضخ للامر الامبراطوري واجاب انهُ يسمح بزواج ابنتهِ فقط اما ابنهُ فلا ولما علم ملك انكلترا بذلك اعلن انهُ راغب في العقدين معاً وليس في واحدٍ منهما فقط

وفي يونيو سنة ١٧٢٩ ورد نعي الملك جورج ملك انكلترا ومع ان فردريك وليم كان يكرههُ شديداً تأثر لموتهِ وشرع يظهر التديّن والتقشف

يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً لكنها خطراتٌ من وساوسهِ

وفي تلك السنة استصحب ابنهُ وهو في السابعة عشرة من عمرهِ للاجتماع باغسطس ملك بولونيا وقد اتى درسدن عاصمة ساكسونيا فاقام فريتز ثمة نحواً من شهرٍ حيث كان البلاط مملوءًا بالفساد فوقع في شركهِ حتى اذا عاد الى بوتسدام مرض مرضاً شديداً لازمتهُ الوعكة منهُ زمناً طويلاً بعد شفائهِ

اما امهُ فظلّ مبدأُ العقد المزدوج شغلها الشاغل لان اخاها جورج الثاني تولى الاريكة الانكليزية واصبح ابنهُ وليًّا لعهدهِ ولم يكن فريتز قد رأى اميليا ابنتهُ ولكنهُ رأى صورتها وابصر عليها ملامح الجمال فرغب فيها وكتب الى امها باشارة الملكة ينوه برغبتهِ في مصاهرتها من غير ان يعلم ابوهُ بشيءٍ من ذلك ولو علم لاقامت قيامتهُ لان كره الفتى كان قد بلغ فيهِ اشدهُ واصبح يحقرهُ ويضربهُ في الاحايين بقبضة يدهِ على اذنيهِ او بعصاهُ اينما اتفق كل هذا وفريتز يحاول استرضاءهُ عبثاً فكتب اليهِ مستعطفاً فاجابهُ معنفاً لائماً محقراً ما شاءت فظاظة اخلاقهِ

واذ كان مدمناً شرب الخمر أُصيب بداء النقرس فزادت بهِ شراسة الخلق وشكاسة الطباع واصبح يندفع بالشتائم والسباب على امرأتهِ وكل اسرتهِ حتى لم يبقَ لاحدٍ منهم جسارة عليهِ الاَّ بنتهُ الثانية فردريكا على انها كانت يومئذٍ في الخامسة عشرة من عمرها وقد اوشكت تزف لخطيبها الماركيز انسباخ فسألها ابوها يوماً على المائدة عما تنوي عملهُ في ترتيب بيتها بعد زواجها فاجابت انها تجعل طعام مائدتها احسن من طعامهِ وخدمتها اكثر ترتيباً واذا رزقها الله اولاداً عاملتهم بالحسنى على غير ما يعامل اولادهُ ولا تجبرهم على اكل ما يكرهون

فامتعض لهذا الجواب واحتدم غيظاً ولكن على ولهلمينا وفريتز وشرع يضربهما بصحاف الطعام فلما اخطأهما عنف الملكة لسوء تربية اولادها . فنهض القوم عن المائدة ولكنهم لم يجدوا منصرفاً الاَّ بالمرور من امام كرسيهِ فرفع عكازهُ وصوَّبهُ على رأس ولهلمينا فخلت من تحت الضربة ولو اصابتها لاودت بحياتها فلم يرضهِ هربها واوعز الى الخدم ان يجروا الكرسي الجالس عليهِ ليلحق بها وكاد يدركها لو لم يفسح اولئك الخدام لها مجالاً

وفي ذات مرةٍ كان فريتز يتعلم الموسيقى على استاذ ساكسوني اسمهُ كوانتز وهو مستترٌ في بوتسدام فدخل عليهِ الرقيب واخبرهُ بوصول ابيهِ وكان الفتى لابساً حلة افرنسية فخلعها ولبس الرداء العسكري وجلس يتظاهر باشتغالهِ بدروسهِ فلما دخل الملك رآهُ ضافراً شعرهُ على

الطرز الافرنسي ثم ابصر الحلة التي خلعها عنهُ فاحتدم غضباً والقى بها في النار ومال الى المكتبة وجمع ما كان فيها من المؤلفات الافرنسية وامر كتبياً ببيعها بابخس الاثمان وعنّف وليّ عهدهِ تعنيفاً شديداً

الجنون فنون

في سنة ١٧٣٠ ذهب فرديك وليم الى بولونيا واستصحب ابنهُ معهُ ليحضرا استعراض الجنود فلم يفتر عن اهانتهِ في حضرة مضيفهما ملك بولونيا وسراة بلادهِ من الرجال والنساء فعظم ذلك على فريتز حتى عقد العزم على الفرار الى انكلترا بصحبة صديقهِ الملازم كات ولكن علم ابوهُ بذلك فارسل وقبض عليهما ولما جيء بابنهِ الى حضرتهِ نهض اليهِ وقبض على مخنقهِ ثم اقتلع بيدهِ خصلة من شعر راسهِ وبعد ذلك ضربهُ بعصاهُ على وجههِ فادماهُ وامر بسجنهِ في احدى القلاع لانهُ اعتبرهُ من قادة الجند وقد حاول الفرار فاستحق العقاب بالموت وشرع يقول انهُ لا بد من الحكم عليهِ وعلى اختهِ ولهلمينا وقطع رأسيهما ولم يكن لولهلمينا ذنب الاَّ حبها لاخيها واشفاقها عليهِ ثم امر فقبض عليها وجيء بها اليهِ فشرع يضربها على صدغيها حتى اغمي عليها فاراد ان يقذف بها من النافذة ولكن امها واخوتها حالوا دون عملهِ ولما افاقت حبسها في حجرتها واقام رجلين على خفارتها

وعقد مجلساً حربياً حكم على الملازم كات بالحبس سنتين وقيل مدى الحياة فاغتاظ من حلم المجلس وامر بهِ فقتل في ساحة القصر وجاؤُوا بفريتز الى النافذة لدى مقتل صديقهِ فلما ابصر الرأس وقد تدحرج أُغمي عليهِ كأَنهُ علم انهُ حكم عليهِ بمثل ذلك

الاَّ ان سخط الملك لم يأْخذ حدَّهُ لان امبراطور المانيا وملكي بولونيا واسوج عرفوا بعزمهِ على قتل ابنهِ واستفدحوا الخطب فيهِ فسعوا لديهِ بالعفو عنهُ فعفا

واعقب هذا ان فردريك وليم اراد غصب عاطفة ولديهِ فارغم ولهلمينا سنة ١٧٣١ على التزوج من مركيز بيريث .Baireuth واجبر فريتز على التزوج سنة ١٧٣٣ بالاميرة اليصابات بنت دوق برونسويك وكانت حسناء الخلق والخلق ولكن زوجها لم يَمِل اليها لانهُ غصب على التزوج بها حتى انهُ لما تمت حفلة الاكليل خرج من حجرتها ولم يرجع اليها قط فكان ذلك بدء انفصالهما الذي استمرا عليهِ سحابة اياهما غير ان فريتز لم يكن ليهمل احترامها ومراعاة شأْنها في الرسميات بل كان ينيلها من نفسهِ مقام الاميرة زوجة وليّ العهد ثم مقام الملكة حين افضت الاريكة اليهِ بوفاة ابيهِ سنة ١٧٤٠

تملُّك فردريك

تولَّى فردريك (فريتز) الاريكة وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ بعد ان قاسى العذاب

من ابيهِ واحتمل مضض البلوى حتى اثّرت السيئة في اخلاقهِ وكانت سعة مملكتهِ تناهز ٥٩ الف ميل مربع وعدد سكانها مليونين و٢٤٠ الفًا ولم يكن في دولتهِ دار ندوةٍ ولا دستور ولا شريعة غير ارادتهِ المطلقة فلما تبوأ الملك اعلن في الامة منشورًا يطلق فيهِ الحرية في الدين والآراء ونشر الكتب والجرائد

وكأن الاريكة بعثت فيهِ روحًا جديدة عرّفتهُ الشأن الملكي فلم يحفل بالاصدقاء الذين كانوا يلتفون حولهُ ولاعاقب الاعداء الذين اظهروا لهُ الجفاء ولم يكن من قبل يبالي بالجندية بل كان يكره منها خشونة عيشها ولكنهُ مذ القيت اليهِ مقاليد الامور مال بكليتهِ اليها وشرع يزيد في عددها وبذل جهدهُ في الاهتمام بشؤون الدولة مخصصًا للعمل بها معظم وقتهِ

وكان ميالاً الى العلم والعلماء فسعى في تقريبهم منهُ وتنشيطهم وزيادة سوادهم في مملكتهِ وانشأ لهم مجمعًا علميًا وشرع يراسل علماء اوربا واخص منهم ڤولتر الفرنسوي الشهير

حروب فردريك ومغازيهِ

حدثتهُ نفسهُ منذ بدء جلوسهِ بالفتح والكسب فارسل سريةً من عسكرهِ الى حصنٍ قديم فامتلكهُ حتى افتداهُ صاحبهُ بمبلغ من المال

وبعد ذلك مات الامبراطور شارل السادس غير تاركٍ ولدًا ذكرًا فتولَّت اريكة النمسا ابنتهُ ماريا تريزا زوجة فرنسوى ديوك لورين وكانت في مقتبل العمر لم تحنكها التجارب وليس في خزينتها مالٌ وافر ولا في مملكتها جيش منظم فطمع فردريك في امتلاك شيءٍ من بلادها واتجهت انظارهُ الى قطرٍ على تخومها الجنوبية الشرقية يسمى سيليسيا Silesia فيهِ نحو مليونين من السكان ولم يرَ في اقتحامهِ وضمهِ الى مملكتهِ امرًا عسيرًا لخلوهِ من الحامية ومن الحصون والقلاع فلما انتصف الشتاء ولم يبقَ خوفٌ من ارسال بعوثها دخل القطر ودوخهُ في بضعة اسابيع وعاد الى برلين ظافرًا منصورًا

فنهضت ماريا تريزا كأنها اللبوة تحمي اشبالها فادهشت اوربا وحيَّرت فردريك فسيَّر الى سيليسيا ستين الفًا فاحتدم القتال وكان هائلاً لاسيما وان الدول الاوربية تحفزت للقتال وخاضت غمراتهِ في نصرة احد الفريقين جريًا مع السياسة على ان معظم الناس حتى الملوك والوزراء استعظموا فعلة فردريك واستعظموا نهضة ماريا تريزا ولكن فرنسا كانت ترغب في اضعاف النمسا فنصرت بروسيا وخالفتها انكلترا شأنها حينئذٍ في كل اعمالها وانحازت الى النمسا ودخول هاتين الدولتين في الحرب جرَّ ذيلهُ على غيرهما من الدول الاوربية كاسوج وبولونيا فضلاً عن الممالك والامارات الالمانية فاصبحت اوروبا كشعلة نار اتصل لهيبها الى مستعمرات

الدولتين فرنسا وانكلترا ولا تسل عن الدم المهراق وعن المال المبذول فان ذلك يكاد لا يقع تحت الحصر ولما وقع النزال اظهر فردريك من الحنكة والدربة في ابواب القتال والدهاء في السياسة ما اكسبهُ الظفر ولكنهُ لم يرعَ للفرنسوية عهداً بل صالح على امتلاك نيس Neisse سرًّا عن انصارهِ وعاد الى برلين في اواخر سنة ١٧٤١ ظافرًا

ثم سعى بحالف فرنسا وساكسونيا وباڤاريا على تجديد الحرب لامتلاك ولاية موراڤيا Moravia النمسوية الواقعة الى جنوبي سيليسيا حتى اذا تمَّ لهم الظفر احتزَّ منها قطرًا عرضهُ نحو خمسة اميال على طول تخومهِ وترك الباقي غنيمة لساكسونيا

وزحف في بدء سنة ١٧٤٢ غير مبالٍ بالامطار والثلوج والعواصف غير ان حلفاءهُ لم يكونوا مندفعين الى الحرب بمثل مطامعهِ فتلكأوا عن خوض غمرات القتال في ابَّان الشتاء فانفرد بالعمل لا يعبأُ بالصعاب وابلى ابلاءً حسنًا حتى ظفر فعاقدتهُ النمسا على الصلح تاركةً لهُ سيليسيا . فشرع يسدد شؤُونها ويسعى بنشر الامن في بلادهِ منحرفًا في سياستهِ عن خطة حلفائهِ الى موالاة النمسا ظاهرًا لكن ذلك لم يكن طويل الامد لان ماريا تريزا ارادت تتويج زوجها الدوك فرنسوى ده لورين امبراطورًا على المانيا فخالفها فردريك واحبط مسعاها بمساعدة فرنسا فانتخب شارل البرت ملك بافاريا امبراطورًا

ولم تكن ماريا تريزا قد اغترت بمصافاة فردريك ولكنها قعدت عنهُ حتى فازت عساكرها على فرنسا وفتحت بوهيميا وباڤاريا وطردت الامبراطور الجديد ورأَت ان الحروب الدامية قد مرَّنت عسكرها على القتال واظهرت حنكة بضعة من كبار قادتها واستفزت الامة للذود عن حياضها يومئذٍ حدثتها نفسها باسترجاع سيليسيا

فلما عرف فردريك بذلك مال سنة ١٧٤٤ الى فرنسا فحالفها وعاقد امبراطور المانيا المطرود على الولاء واشترط على حلفائهِ ان ينال جزاء الظفر ثلاثًا من ولايات بوهيميا

ثم اقتحم بوهيميا واحاط على حاضرتها براغ Prague وثمت وقعت الحرب الهائلة فجرَّت الويل على البلاد ونال عسكرهُ من الجوع والقتال نيلاً عظيمًا حتى اضطر ان يلجأَ الى سيليسيا في ابان الشتاء وان يعاني في القهقرى اليها اشد العناء فانزل العسكر في قراها واتى برلين ليعدَّ الاهبة لمتابعة الحرب وكانت غزواتهُ قد استنزفت مال الخزينة وما اذ دخر ابوهُ . ثم وردهُ النبأُ بان النمسويين الظافرين لاحقون بعسكرهِ المخذول الى سيليسيا وان الامبراطور الالماني قضى نحبهُ كل ذلك وفردريك لم يظهر الضعف كأَن الصعاب لا تقوى على ايهان قواهُ اذ عاد الى ساحة الحرب وقاتل الاعداء قتالاً مريعًا فظفر بهم وردهم على الاعقاب خاسرين وفتح درسدن

عاصمة ساكسونيا وعاد الى برلين منصوراً سنة ١٣٤٦

فوضعت الحرب اوزارها بضع سنوات قضاها فردريك وهو يدبر شؤون بلادهِ ساعياً في انماء ثروتها عاملاً على تحسين صنائعها وتعزيز تجارتها ونشر الآداب فيها

لكن ماريا تريزا لم تكن خلال ذلك راضية عن اغتصاب سيليسيا من قبضتها بل كلما ذكرت على مسمعها اذرفت عليهـا الدمع سخيناً وكان على اريكة روسيا يومئذٍ الامبراطورة اليصابات وهي تكره فردريك كرهاً شديداً فمالت الى النمسا وحالفتها عليهِ وكانت بولونيا اتبع لروسيا من ظلها فلحق ملكها بالامبراطورة وكذلك انضمت فرنسا الى الحلفة لانهُ كان لملكها عشيقة يقال لها الماركيزة ده بومبادور وقد غلبت عشيقها على التصرف بامرهِ وكان قد بلغها ان فردريك يهزأ بها ويسخر من تسلطها فامتعضت وحملت الملك على الانضمام الى اعداء فردريك

وعلم فردريك بما كان وان القوم يتألبون عليهِ حتى اذا غلبوهُ اقتسموا بلادهُ بينهم لا يتركون لهُ منها الاَّ امارة صغيرة لا شأن لها فتحفز لمفاجأتهم وكانت فرنسا حينئذٍ تحارب انكلترا مصوّبة نظرها لامتلاك هانوفر فتحالف فردريك والانكليز لكن هذه الحلفة لم تجدِ بروسيا نفعاً لان قوة انكلترا كانت بحرية اكثر منها برية ولذلك انحصرت المساعدة الانكليزية باداء نحو ثلاثة ملايين ريال في السنة

اما فرنسا فحشدت على الرين جيشاً جراراً وكذلك اجتمع الروس في بومارانيا والنمساويون على تخوم سيليسيا وانضم السويديون الى الحلفة ووقفوا في ليفونيا وبهذا التألب اصبحت بروسيا محاطة بنطاق من الاعداء غير ان فردريك سار بمئة الف من كماتهِ فاقتحم ساكسونيا وفتح عاصمتها درسدن وضرب على اهليها ضريبة فاحشة فجاء النمساويون لنصرة حلفائهم ووقعت بينهم الحرب هائلةً فاجلت عن انكسار النمساويين وارتدادهم فاسرع فردريك الكرة الى بوهيميا حيث وجد العدو مخيّماً في ظاهر حاضرتها براغ فحمل عليهم حملةً صادقة كثرت فيها القتلى من الجانبين ولكنها اجلت عن نصرهِ والتجاء النمساويين الى المدينة فحصرها وصب عليها نيران المدافع وفتك فيها الجوع والوباء وما زال يشدد عليها الحصر حتى جاء النمساويون لنجدتها فوقع القتال وانكسر فردريك فارتدَّ بمن بقي من جيشهِ الى قلعة برسلو في سيليسيا ولحق بهِ النمسويون والفرنسويون فواقعوهُ واجلوهُ عن القلعة وظنوا ان قوَّتهُ قد اضمحلَّت ولكنهُ عاد فكسرهم في اواخر سنة ١٧٥٧ واسر منهم عشرين الفاً وغنم غنائم وافرة وكرَّ على برسلو فملكها تسليماً وزحف منها على الروس فردهم خاسرين وطردهم من البلاد ثم مال على الاسوجيين ففروا من لقائهِ

وفي الربيع التالي تجدد القتال فانكسر فردريك وشدَّ المتحالفون روابط الاخاء وانضمت

اليهم كل ممالك المانيا واماراتها الكاثوليكية لان بروسيا ونصيرتها انكلترا بروتستانتيتان فزحف سنة ١٧٥٩ عسكر المتحدين فرنسا والمانيا وروسيا وبولونيا واسوج على فردريك فلقيهم بثمانين الفًا عند فرنكفورت فكسرهم ابتداء ولكنهم عادوا فكروا عليهِ وكسروهُ وارتدَّ في ظلام الليل فلم يلحقوا بهِ واذ كان هماماً لا تضعضع حوادث النوائب بل تزيدهُ همةً ونشاطاً اسرع فلمَّ شعث جيشهِ المكسور واستحضر المدافع من القلاع الداخلية فاصبح بعد اندحارهِ ببضعة ايام واقفاً لمواقعة العدو حتى زمن الشتاء. وتعذر القتال فانفصل المتحاربون ولكنهم عادوا في ربيع سنة ١٣٦٠

وكان كماة البروسيانيين المدربين قد ذهبوا وقوداً لنار الحرب فملأ فردريك مواضعهم بمن اخذ من الاحداث والفلاحين واسرى الاعداء حتى اجتمع لديهِ من هذا اللفيف خمس وسبعون الفًا برز بهم لقتال مئتين وخمسين الفًا وانما ناهضهم بحذقهِ وذكائهِ حتى ادهش العالم وحارب فانتصر في معظم المواقع واحبط مساعي المتحدين فارتدوا اونة الشتاء مدحورين

ولم تكن مواقع سنة ١٧٦١ ذات نتائج مهمة لان فردريك تحصَّن في موقعٍ منيع لم يجسر المتحدون على الدنو منهُ ولكنهم حصروهُ طويلاً حتى الشتاء فانقلبوا راجعين

يومئذٍ امسك الانكليز عن فردريك اداء المساعدة الماليَّة واوشك اليأس يستولي على البروسيانيين لو لم ترد الانباء بموت اليصابات امبراطورة روسيا في بدء سنة ١٧٦٢ فخلفها بطرس الثالث وكان كارهاً لماريا تريزا محبًّا لفردريك فاصدر امرهُ بانسحاب عسكرهِ من بين المتحدين وانضمامهم الى فردريك ولحق بهم الاسوجيون على الاثر غير ان فردريك لم ينتفع من هؤلاء النصراء لان بطرس الثالث قتل وشيكاً وخلفهُ امرأتهُ كاترينا الثانية فاستدعت عسكرها من ساحة القتال

وبعث فردريك فدسَّ لرجال الدولة العلية العثمانية ان يحاربوا النمسا فاجابوا ثم نهض وهاجم النمساويين فكسرهم كسرةً هائلة ذهبت بامال ماريا تريزا لما رأت من فراغ خزينتها وتقدم العثمانيين اما فردريك فشرع ينهب بوهيميا وساكسونيا حتى اسرعت النمسا لمصالحتهِ مصدقةً على ضمّ سيليسيا الى ملكهِ فتمَّ الصلح سنة ١٧٦٣ وبهِ تمَّت حرب السنوات السبع

ولمَّا عاد فردريك الى بلادهِ ظافرًا صرف عنايتهُ الى اصلاح مملكتهِ وتقدمها فاسرعت في الارتقاء على انها ولئن حاربت السنين الطوال واستطالت بالغلب على جوارها فما برحت ضيّقة النطاق قليلة الساكن لا تباري في السعة والعدد والغنى الدول العظمى التي بارتها في القتال ولذلك كان من مقاصد ملكها ان يوسع نطاقها ما وسعهُ الجهد

وكان في جوارهِ مملكة بولونيا مساحتها ٢٨٤ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرون

مليونًا وهي تتاخم ايضًا النمسا وروسيا وكانت الفوضى ضاربةً اطنابها فيها فشرعت الدول الثلاث تتباحث في شؤونها في خلواتٍ سريَّة عازمةً على اقتسامها ولعلَّ هذا العزم خطر لفردريك اولاً لانهُ اشد معاصريهِ طمعًا وقد سعى لنيلهِ حثيثًا. الا تراهُ قدَّم لروسيا لائحةً اولى فشغلت عن اجرائها ثم خلا في نيس بامبراطور المانيا الذي انتهت اليهِ الامبراطورية سنة ١٧٦٩ فزيَّن لهُ ذلك بالرغم عن ارادة امهِ ماريا تريزا ثم اعاد عليهِ الكرة سنة ١٧٧٠ حتى ارتضى وعاد فردريك فقدَّم لروسيا لائحة التقسيم ثانيةً فاجازتها على ان يكون لها ٨٧٥٠٠ ميل وللنمسا ٦٢٥٠٠ ميل ولروسيا ٩٤٦٤ ميلاً فقط

ثم اتخذ الحلفاء صندوقًا عامًّا ادروا عليهِ من اموال خزائنهم الثلاث وانفقوا منهُ عن سعةٍ في استرضاء بعض نبلاء بولونيا وبعد هذا سيروا بعوثهم فملكوا البلاد ونال فردريك جزاء عملهِ

ومذ ضمَّ القطر البولوني الى مملكتهِ شرع في اصلاحهِ بهمةٍ حملت واصفيهِ على القول ان عملهُ في السلم كان عظيمًا يعادل عمله في الحرب . وهكذا ظلَّ يزيد في عزة ملكهِ حتى توفي في ١٧ آب سنة ١٧٨٦ في الخامسة والسبعين من عمرهِ والسادسة والاربعين من ملكهِ

ولقد انصفهُ من لقبهُ بالكبير الاَّ ان اراءهُ الدينية والادبيَّة كانت منحطة كثيرًا تسقط من قدر اعمالهِ العظمى في الحرب وكانت لهُ مشاركة في التأليف اذ الَّف تاريخًا لعصرهِ سمَّاهُ Histoire de mon temps اسهب فيهِ بذكر شؤون اوروبا في ذلك الحين واعتمدهُ المؤرخون في نقلهم

واذ رأى بلادهُ من غير شريعة ترتاح اليها الناشئة الجديدة وضع لها سنة ١٧٤٦ شرعة الاصلاح المعروفة بقانون فردريك Code Frederick

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

٣٦ الفدية

وكانوا عقيب الحرب يعمدون الى مفاداة الاسرى وكثيرًا ما يفتدي الاسير نفسهُ بشيءٍ معيَّن قال القطامي

فني نادي اسيركِ ان قومي وقومكِ لا ارى لهمُ اجتماعا

وقد صرَّح ابو اذينة اللخمي ابن عم الاسود بن النعمان اللخمي بان الفدية تكون اما من الخيل والابل واما من الفضة والذهب حيث قال

قد عرّضوا بفداءٍ واصفين لنا خيلاً وإبْلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علامَ نقبل منهم فدية وهمْ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

٣٧ المراعي

استجاد النابغة الذبياني السعدان مرعى للابل في قوله

الواهب المئة المعكاء زيّنها سعدان توضح في اوبارها اللبَدِ (١)

واستجاد اليعضيد والجرجار كلاً ترعاهُ الخيل في قوله

يتحلّب اليعضيد من اشداقها صفرًا مناخرها من الجرجارِ (٢)

وقد ذكر ابو وجزة المكنان والقطب في اثناء وصفهِ حمارًا فعدَّهما من افضل الاعشاب قال

تحسّر الماءُ عنهُ واستجنّ بهِ إلفان جُنّا من المكنانِ والقُطَبِ (٣)
جمادبين حُسُوماً لا يعاينهُ رعيٌ من الناس في اهل ولا غرَبِ (٤)

والحلّة . قال ابو حنيفة هي شجرة شاكة تنبت في غلظ الارض اصغر من العوسجة وورقها صغار ولا ثمر لها وهي مرعى صدق قال

تأكلُ من خِصب سيال وسَلَمْ وحِلّةٍ لمّا توطّأْها قدَمْ

والخُلّة والحَمْض . قال ابو عمرو الخلة ما لم يكن فيهِ ملح ولا حموضة والحمض ما كان فيهِ حمض وملوحة قال الكميت

صادفنَ ودابة المغبوطَ نازلَهُ لا مرتع بعدت من حمضهِ الخُلَلُ

والعرب تقول الخلّة خبز الابل والحمض لحمها او فاكهتها اوخبيصها وفي المثل انك مختل فتحمّض اي انتقل من حال الى حالٍ قال الطرماح

لا يني يُحمِضُ العدوّ وذو الخلـ ـة يُشفَى صداهُ بالإحماضِ

وكانوا يعدُّون الملح والغسويل اردأ المراعي قال الربيع الكامل (الربيع بن زياد العبسي)

ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحًا وغسويلا

---

(١) المعكاء من الابل السمان الغلاظ . السعدان نبت ذو شوك يسمى شوكه حسكًا و يشبه بهِ حلمة الثدي وهو مغبر اللون حلو . واللبد ما تلبد من الوبر الواحدة لبدة

(٢) اليعضيد بقلة من الاحرار مرة لها زهرة صفراء . والجرجار عشبة طيبة الريح لها زهرة صفراء

(٣) تحسر اي انكشف . واستجنّ استتر . وجنا مبني للمجهول سترا . المكنان من الشعب وورقتهُ صفراء وهو لين كلهُ والقطب جمع قطبة ضرب من الشوك يتشعب منها ثلاث شوكات كانها حسك

(٤) الجمادبان الشهران المعروفان . وحسوماً دوُوبًا

٣٨ السرج

وكانوا ينيرون منازلهم بالسُرُج قال النابغة الجعدي

اضاءت لنا النار وجهاً اغرَّ ملتبساً بالفؤاد التباسا
يضيء كضوء سراج السليـ ط لم يجعل الله فيهِ نحاسا (٥)

٣٩ العِيَب

وكانت نساؤُهم يحفظن ملابسهنَّ في عِيَب . قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فزينك في شريطك ام عمرو وسابغة وذو النونين زيني (٦)

والشريط العيبة . وقال علقمة الفحل

كميت كلون الارجوان نشرتهُ لبيع الرداء في الصُّوان المكعَّبِ (٧)

٣٠ القمار بالقداح

وكان القمار شائعاً بين كبراء العرب قال عفيف بن معدي كرب الكندي

وودعتُ القداح وقد اراني لها في الدهر مشغوفاً رهينا

وكانوا يعدونهُ من دلائل الشرف فاذا ذكروهُ افتخروا بهِ قال زهير بن ابي سلمى المزني مادحاً هرم بن سنان بن ابي حارثة المري وقد استطرق الى مدح اهل بيتهِ

ان قامروا قمروا او فاخروا فخروا او ناضلوا نضلوا او سابقوا سبقوا

وقال ايضاً

والاَّ فانَّا بالشربَّة فاللوى نعقر امَّات الرباع ونيسرُ (٨)

وقال النابغة الذبياني

هلاَّ سألتِ بني ذبيان ما حسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البَرَما (٩)
اني اتمم ايساري وامنحهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الأُدُما (١٠)

واما القداح فلم أرَها مجموعة في شعر قديم . وقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ

فذ وتوأم رقيب نافسُ والحلس. والرابع قيل الخامسُ
كذلك المسبل والمعلَّى مما على النصيب قد تولَّى
ثم السفيح والمنيح الوغدُ ليس لهُ الى النصيب رشدُ

(٥) السليط الزيت والنحاس الدخان (٦) السابغة الدرع (٧) الصوان الوعاء الذي يصان فيهِ الرداء (٨) الرباع جمع رباعي بالتخفيف وهو من الحيوان الذي القى رباعيتهُ (٩) البرَم البخيل (١٠) الادم جمع ادام

ووجه القمار هو انهم كانوا يشترون جزورًا فينحرونهُ ويقسمونهُ ثمانية وعشرين قسمًا ويتساهمون عليهِ بعشرة قداح يسمونها الازلام وهي المذكورة في الابيات ويفرضون لسبعة منها انصبة مقدَّرة فيجعلون للفذ نصيبًا واحدًا وللتوأم نصيبين وللرقيب ثلاثة وهكذا الى المعلَّى فان لهُ سبعة انصبة واما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها وكانوا يكتبون على كل قدح اسمهُ ويجمعون هذه القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها في يد رجل عدل يسمونهُ المجيل او المضيض فيجيلها في تلك الخريطة ويخرج منها قدحًا للرجل منهم فمن خرج لهُ قدح من ذوات الانصبة اخذ نصيبهُ ومن خرج لهُ قدح لا نصيب لهُ غُرّم ثمن الجزور . ولنعد الى شعر النابغة فهو يقول انهُ اذا كانت اصحاب القداح اقلّ سهامًا من سبعة كان يتمم السبعة فيأخذ ثلاثة انصباء اي مكان ثلاثة وانهُ يعطي اصحابهُ نصيبهُ المرة بعد المرَّة . وتسمى القداح ايضًا سهامًا واحدها سهم . ومن هذا الوجه استعار عروة بن الورد السهم للمنية حيث قال

فان فاز سهم للمنية لم اكن   جزوعًا وهل في ذاك من متأخرِ

وقد ذكر المنيح قال

مطلًّا على اعدائهِ يزجرونهُ   بساحتهم زجر المنيح المشهَّر

وكانوا يقمرون بالابل . قال سبرة بن عمرو الفقعسي

نحابي بها اكفاءنا ونهينها   ونشرب في اثمانها ونقامرُ

وبالخيل . قال علقمة الفحل

وقد يسرت اذا ما الجوع كلَّفهُ   معقب من قداح النبع مقرومُ
لو ييسرون بافراسٍ يسرت بها   وكل ما يسر الاقوام مغرومُ

﴿ ٣١ ﴾ العطاء

كان الشهير في عطايا الملوك منح مئة من الابل . وربما اتبعوها بالخيول المطهمة وبالجواري الحسان واردفوها بنفيس الملابس والورق والعقيان . قال النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر

الواهب المئة المعكاء زيَّنها   سعدان توضح في اوبارها اللبدِ
والراكضات ذيول الريط فانقها   برد الهواجر كالغزلان بالجردِ (١)

(١) "فانقها نعم عيشها . والهواجر جمع هاجرة وهي الحر الشديد . والجرد الموضع الذي لا ينبت فيهِ شيء . والمعنى يهب الجواري اللواتي يرفلن باذيالهنَّ" عن شرح ديوان النابغة للبطليوسي باختصار

والخيـل تمزع غرْبًا في اعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البردِ [٢]

واما المكثر في وصف الاعطية فهو الاعشى ميمون بن جندل صناجة العرب لكثرة قصده الملوك فمن ذلك قوله

الواهب المئة الهجان وعبدها قطنًا تشبهها النخيل المُكرَعا [٣]

وقوله هو الواهب المئة المصطفا ة اما مخاضًا واما عشارا [٤]

وقوله هو الواهب المئة المصطفا ة كالنخل زينها بالرَّجَنْ [٥]

وقوله من قصيدة متناهية في الجودة مدح بها قيس بن معدي كرب الكندي مطلعها

رحلت سمية عدوة اجمالها غضبي عليك فما تقول بدا لها

هذا النهار بدا لها من همها ما بالها بالليل زال زوالها

الى ان يقول

وسبيئة مما يعتق بابـل كدم الذبيح سلبتها جريالها

وغريبـة تأتي الملوك حكيمـة قد قلتها يقال من ذا قالها

ولقد نزلتُ بخير من وطئ الحصى قيس فاثبت نعلها وقبالها

الواهب المئة الهجان وعبدها عوذًا تزجي خلفها اطفالها [٦]

والقـارح الاحوى وكل طِمِرَّة ما ان تنال يد الطويل قذالها [٧]

وما احسن قوله فيهِ ايضًا

ان قيسًا قيس الفعال ابا الاشـ ـعث امست اعداؤُهُ لشَعُوب [٨]

ذا كم الماجد الجواد ابو الاشـ ـعث اهل الندى واهل السيوب [٩]

كل عام يمدُّني بجموم عند ترك الطعان اوبنجيب [١٠]

تلك خيلي منهُ وتلك ركابي هنَّ صغرٌ اولادها كالزبيب [١]

(٢) المزع شدة السير · والغرب الحدة واول الجري · والشؤبوب الدفعة من المطر

(٣) القطن والقطين اتباع الملك وهو حال وتشبهها بالخطاب · والمكرع من النخيل ما غرس حول الماء

(٤) المخاض الحوامل من النوق والعشار التي اتى عليها من حملها عشرة اشهر

(٥) رجن الناقة اذا حبسها للعلف ولم يسرحها

(٦) الهجان من الابل البيض الكرام · وعوذًا جمع عائذ يريد الحديثات النتاج · وتزجي تسوق

(٧) القارح من ذي الحافر الذي شقَّ نابهُ وطلع وهو بمنزلة البازل من الابل · والاحوى اي خالط خضرتهُ سواد او صفرة · والطمرة الفرس ذات القوائم الطوال والقذال من الفرس مقعد العذار خلف الناصية

(٨) شعوب علم للمنية (٩) السيوب جمع سيب وهو العطاء (١٠) الجموم الفرس الكثير الجري (١) الركاب الابل لا واحد له من لفظهِ · وصغر جمع اصغر بمعنى اسود

وقال عارف الطائي

والله لو كان ابن جفنة جاركم ما ان كساكم حطةً وهوانا
ولكان عادتهُ على جيرانهِ ذهبًا وريطًا رادعًا وجفانا (٢)

اراد بابن جفنة عمرو بن الحارث الغساني ملك غسان

ولم يكن عطاء المئة من الابل خاصًّا بالملوك دون الامراء فقد كانت الامراء تجود بمئة ناقة منحة للمستمنح قال بشر بن حازم في عمرو بن ام اناس

والمانح المئة الهجان بأُسرها تزجي مطافلها كجنة يثربِ (٣)

وقال اوس بن حجر في مديح فضالة

الواهب المئة المعكاء يشفعها يوم النضار باخرى غير مجهودِ

وقد تكون العطية دون ذلك واقلّ ما يجودون بهِ بعير اوشاة قال مالك بن جعدة الثعلبي

فانك يوم تأتيني حريبًا تحلُّ عليَّ وقتئذٍ نذور (٤)
لأُمك ويلة وعليك اخرى فلا شاة تنيل ولا بعيرُ

وقال ابو دهبل الجمحي

يا ناق سيري واشرقي بدمٍ اذا جئتِ المغيرهْ
يا ناق ثم عنقتِ من دلجي ومن نص الظهيرهْ
سيثيبني اخرى سوا كِ وتلك لي منهُ يسيرهْ

٣٣ صحاف الفضة وقصاع الخلنج

ورد في ترجمة النابغة الذبياني انهُ كان يتناول الطعام في صحافٍ من الفضة. ولعلَّ ذلك كان مما اهدتهُ الملوك فقد كانت الملوك تجود بذلك قال الاعشى ميمون بن جندل في الاسود بن المنذر

يهب الجلَّة الجراجر كالبسـ تان تحنو لدردق اطفالِ
والمكاكيك والصحاف من الفضـ ة والضامرات تحت الرحالِ (٥)
وجيادًا كأنها قضب الشو حط يحملن شكَّة الابطالِ (٦)
ودروعًا من نسج داود في الحر ب وسوقًا يحملن فوق الجمالِ (٧)

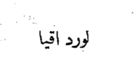
(٢) الرادع الذي فيهِ اثر الطيب

(٣) تزجي تسوق · ومطافل وهي ذات الطافل من الانس والوحش (٤) الحريب المسلوب المال

(٥) المكاكيك آنية يشرب فيها الخمر · والصحاف القصاع والضامرات النجب من الابل

(٦) الشوحط ضرب من شجر الجبال يتخذ منهُ القسي · وقد شبه الجياد بقضبانها ووجه الشبه الضمر · والشكة السلاح الكامل (٧) الوسوق جمع وسق وهو الحمل

ملوك البيرة



لورد اقيا



لورد هِندِلِب



لورد برتن

وربما اتخذوا الكؤوس من فضة قال لبيد

فدعدعا سرَّة الركاء كما دعدع ساقي الاعاجم الغربا(٨)

وهذا شاهد استعمالها عند الاعاجم واما استعمالها عند العرب فدليله قول النابغة

وتسقى اذا ما شئت غير مصرَّد بزوراء في حافاتها المسك كانع(٩)

وقد اتخذوا القصاع من شجر الخلنج قال عبد الله بن قيس الرقيات

ان يعش مصعب فانَّا بخير قد اتانا من عيشنا ما ترجي

يهب الالف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج(١٠)

امين ظاهر خير الله

رجال المال والاعمال

لورد اڤيا

جاء في الانباء البرقية منذ ايام ان لورد اڤيا الارلندي تبرَّع بخمسين الف جنيه اعطاها الملك الانكليز تذكارًا لزيارتهِ مدينة دبلن لكي يوزعها على المستشفيات في ارلندا سواءٌ كانت للبروتستانت او للكاثوليك وعلى مستشفى السل في نيوكسل . وقد ذكرنا منذ بضع سنوات ان هذا المحسن تبرَّع بمئتين وخمسين الف جنيه دفعةً واحدة لتوسيع نطاق علمٍ اصبح من انفع العلوم لنوع الانسان والحيوان وهو علم البكتيريولوجيا اي العلم الذي يبحث عن الميكروبات والامراض الناشئة عنها وكيفيَّة معالجتها . وقلنا هناك انهُ رجل كريم وهب هبات اخرى قبل الآن لهذا الغرض ثم رأى البلاد الانكليزية محتاجة الى دار كبيرة مثل دار باستور يبحث فيها العلماء عن طبائع الميكروبات فوهبها هذا المال الطائل (انظر باب الاخبار العلميَّة في مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩)

وها نحن موردون الآن طرفًا من ترجمتهِ ووصف العمل الذي جمع منهُ ثروتهُ

من عادة الانكليز انهم اذا أُعطوا لقب الاعيان اضطروا الى ترك اسم عائلتهم والتسمي باسم آخر اذا سبقهم احد من عائلتهم الى رتبة الاعيان وابقى اسم العائلة لنفسهِ كما ترى في

(٨) دعدع ملأ . والركاء اسم موضع . والغرب جام فضة

(٩) التصريد شرب دون الري . والزوراء مشربة من فضة مستطيلة شبه التلتلة والقدح كذا جاء في لسان العرب . وقال شارح ديوان النابغة زوراء دار بالحيرة للنعمان هدمها جعفر وهو وهم . وكانع لاهق

(١٠) البخت جمال طوال الاعناق . والخلنج شجر . فارسي معرب تتخذ من خشبه الاواني

تلقيب السر افلن بارنج بلقب لورد كرومر حينما نال لقب لورد لان واحداً من عائلتهِ سبقهُ الى رتبة اللوردية ولقَّب نفسهُ لورد بارنج . اما اذا كان هو اول من نال رتبة الاعيان في اسرتهِ فالغالب ان اسمها يبقى لهُ كما ترى في لورد كتشنر ولورد ملنر . ولورد إِفيا من عائلة غوينس وهي عائلة ارلندية خطت اول خطوة في سبيل الثروة على عهد جدها ارثر غوينس وكان خمَّاراً يصنع البيرة السمراء فانهُ ابتاع خمارة كبيرة في مدينة دبلن وجرى في عمل البيرة فيها على احدث الاساليب المعروفة حينئذٍ . والبيرة شراب يستحلهُ الاوربيون حتى الذين يحرّمون شرب الخمر منهم ويشربهُ رجالهم ونساؤُهم واولادهم على حدٍّ سواءٍ ولذلك لا يعدُّ عملهُ وبيعهُ من المحرمات بل من اساليب الصناعة والتجارة المحللة التي يقبل عليها الناس من كل الطبقات

واحبَّ ارثر غوينس مدينة دبلن واهتم بما يرقيها لانهُ افلح فيها فاكرمهُ اهلها وعدُّوهُ من الوجهاء بينهم . ولما شبَّ اولادهُ اشركهم معهُ في عملهِ

والولد الثالث من اولادهِ واسمهُ بنيامين ولد سنة ١٧٩٨ ولما شبَّ ابدى من الهمة في ادارة الاعمال ما جعل اباهُ يعتمد عليهِ ويسلم ادارة معملهِ اليهِ فنظمهُ ووسعهُ حتى ابلغهُ حدًّا يفوق كل ما قدَّرهُ لهُ ابوهُ . وهو اول من اهتمَّ باصدار البيرة الارلندية الى مدن انكلترا وسكتلندا واضطرَّ ان يغير انواعها لكي توافق اذواق الناس الذين ارسلها اليهم فعمَّت مصنوعاتهُ البلاد الانكليزية كلها وانتشرت في اوربا وفي اميركا ايضاً لان شاربي البيرة وجدوا فيها شراباً سائغاً لم يذوقوا اطيب منهُ قبلاً فكثر الطلب عليها حتى فاق ما كان ينتظرهُ لكنهُ كان الرجل الذي اذا عرضت لهُ المصاعب قابلها بالحزم واذادعت اعمالهُ التوسُّع لم يرضَ لها بالضيق فاخذ من ساعتهِ يوسع معملهُ حتى ابلغهُ حدًّا يفوق التصديق ووضع فيهِ مراجل كبيرة جدًّا وآنية لم يرَ مثلها صنَّاع البيرة في بلد من البلدان لكبر حجمها حتى صار معملهُ اكبر معمل من معامل البيرة في المسكونة ولا يستطيع المرءُ ان يسير فيهِ من طرف الى طرف الَّا بسكة حديديَّة تجرها آلة بخارية . وبقي من سنة ١٨٢٥ الى سنة ١٨٦٠ يدير هذا المعمل بهمة لا تعرف الملل يوماً بعد يوم من الصباح الى المساء . يراقب كل فرع من فروعهِ ويرشد العمَّال في اعمالهم ويختار الاكفاء منهم ويعتمد عليهم في ادارة الفروع المختلفة كل ذلك ورائدهُ اللطف والدعة مع العمال حتى كانوا كلهم يعدُّون انفسهم من اصدقائهِ لا من صناعهِ

فجمع ثروة طائلة وكان كثير المبرَّات ينفق على مدينة دبلن وفقرائها بسخاءٍ حاتمي فعدَّهُ اهاليها اعظم رجل بينهم يلقون بهِ الملمات ويقابلون نوائب الدهر ومنحوهُ كل القاب الشرف التي في طاقتهم منحها

ومن اعماله الخيرية الكبيرة انهُ جدَّد بناء كنيستهم الكبرى سنت باترك وانفق على تجديدها ١٦٠٠٠٠ (مئة وستين الف جنيه) واستخدم لهُ امهر مهندسي العصر وامهر بنّائيهِ ولما اتمّ تجديدها انتُخب عضواً في البارلمنت الانكليزي عن مدينة دبلن وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٦٨ وبلغت تركتهُ الخصوصية حينما توفي مليوناً ومئة الف جنيه وبقي معملهُ يزيد اتساعاً واتقاناً بعد وفاتهِ وكان لهُ ولدان شاركاهُ في ادارتهِ وهما ارثر غوينس وادورد غوينس وجريا على خطتهِ بعد وفاتهِ ومنح اولهما لقب لورد ارديلون والثاني لقب لورد إِڤيا . اما الاول فباع نصيبهُ لاخيهِ بمليون جنيه وتنحى عن العمل وبقي اخوهُ فيهِ وكانت ولادتهُ (وهو لورد اڤيا) سنة ١٨٤٧ ودرس في مدرسة دبلن الكلية ونال منها لقب دكتور في الشريعة المدنية واستقلَّ بعمل البيرة سنة ١٨٨٠ لما ابتاع نصيب اخيهِ وادارهُ بهمة ونشاط ثم باعهُ الى شركة مساهمة سنة ١٨٨٦ بستة ملايين من الجنيهات واكثر اسهمها لهُ وكان ثمن السهم الاساسي عشرة جنيهات فبلغ منذ سنتين ٥٥ جنيهاً

وحذا حذو ابيهِ واخيهِ في الانفاق على الاعمال الخيرية وانفق اكثر من مليون جنيه على بناء البيوت الصحية لفقراء مدينة لندن ومدينة دبلن فافاد الفقراء فوائد لا تقدَّر ولا يزال يزيد كرماً وهو يزيد غنى ولا عجب اذا ارتقت بلاد يكون فيها كثيرون من امثالهِ

لورد هِنْدلِب

البيرة شراب منعش يُصنَع من الشعير المختمر ويصح ان يطلق عليها اسم الجعة لانها كانت معروفة عند العرب بل عند المصريين القدماء لكن الاوربيين خصوها بالشراب الذي يعالج بحشيشة الدينار ولا دليل على ان هذه الحشيشة كانت تستعمل في استخراج الجعة فابقينا كلمة بيرة على حالها لئلاَّ تفوت هذه الدلالة وتلتبس البيرة بشراب آخر يستخرج من الشعير ولا يعالج بحشيشة الدينار

ذكرنا في الفصل السابق سيرة بيت غوينس الذين اثروا من عمل البيرة وصاروا من اشراف الانكليز . ولكن مقطوعية البيرة كبيرة جدًّا فقد كان لها في البلاد الانكليزية ٧٢٨٨ معملاً سنة ١٨٩٨ وبلغ دخلها السنوي حينئذٍ ١٢١٤٠٥٢٢ اي اكثر من اثني عشر مليون جنيه ودخْل معمل بيت غوينس وحدهُ ٦٥٢٦٢٨ جنيهاً اي نحو خمسة في المئة من دخل المعامل كلها فلا بدَّ من وجود معامل اخرى كبيرة لعمل البيرة

ومن اصحاب هذه المعامل بيت السوب ومعملهم قديم جدًّا اخذوهُ من بيت ولسن وهؤُلاء من بيت برتن ويمتدُّ تاريخهُ الى قبل ايام الملكة اليصابات وآل الى بيت السوب سنة ١٨١٢

وكان اسم مديرهِ حينئذٍ صموئيل السوب وكان كبير الهمَّة فوسَّع المعمل ووفَّر ارباحهُ وانتقل منهُ الى ابنهِ هنري السوب الذي صار لورد هِنْدلب الاول وهو الذي وسع المعمل وجعلهُ من اكبر المعامل واوفرها ربحًا وجاء ابنهُ بعدهُ فورث منهُ قوَّة العقل وقوَّة الارادة . ولما آل المعمل الى صموئيل السوب حوَّلهُ الى شركة مساهمة وكان دخلهُ السنوي قد بلغ ٢٣٠ الف جنيه وكانت مبانيهِ تشغل اكثر من ٤٠ فدانًا والى جانبهِ ارض مساحتها ١٤٠ فدانًا لكي يملأها اذا دعت الضرورة . ولم يمضِ الاَّ زمن يسير بعد ان تحوَّل الى شركة مساهمة حتى صار دخلهُ السنوي ٤٨٦ الف جنيه

ولم يعش لورد هندلب طويلاً بل توفي سنة ١٨٨٧ وكان كريمًا ولاسيما على العمَّال الذين يعملون في معملهِ ولورد هندلب الحالي شاب ولد سنة ١٨٧٧ وانتظم في الجيش وحارب في الترنسفال

لورد برتن

ومن اكبر عمَّال البيرة في البلاد الانكليزية لورد برتن وكان جدُّهُ صانعًا فقيرًا اسمهُ وليم باس ينقل البيرة من مكان الى آخر لبيعها فخطر لهُ ان يصنعها هو ويبيعها وكان ذلك سنة ١٧٧٧ فصنع معملاً صغيرًا لعملها ورثهُ منهُ ابنهُ واسمهُ ميخائيل باس ووسعهُ واستعان برجلين من الاكفاء فاشركهم معهُ فاشتركا في ربحهِ ومات اولهما وخلَّف اكثر من مليون جنيه ومات الثاني تاركًا نحو ثلاثة ملايين جنيه ولا يزال اولادهما مشتركين في هذا المعمل

وكان ميخائيل باس يصدر اكثر البيرة التي يصنعها الى بلاد روسيا وبلغهُ ذات يوم ان حكومة الروس فرضت مكسًا ثقيلاً على البيرة الاجنبيَّة فلم يعد في امكانهِ ان يصدر بيرتهُ اليها ولم يبقَ امامهُ الاَّ الاسواق الانكليزية فاضطرَّ ان يصلح بيرتهُ حتى توافق ذوق الانكليز وكان ذلك سبب نجاحهِ وثروتهِ ولو بقي يصدر البيرة الى بلاد الروس كما كان يفعل اولاً لبقيت بيرتهُ من النوع الرخيص الثمن القليل الرواج القليل الربح لكنهُ استفاد من هذا النائبة كما يستفيد كل ارباب الهمم من نوائب الدهر

واختلف تجار البيرة الذين يأخذونها الى بلاد الهند مع صاحب المعمل الذي يصنعها لهم فعرضوا بيرتهُ على المستر باس وسألوهُ عما اذا امكنهُ ان يصنع لهم بيرة مثلها فاخذها وحللها حتى عرف اساليب عملها وعمل بيرة مرة مثلها او اجود منها وارسلها الى بلاد الهند فراجت فيها رواجًا عظيمًا ويبلغ ثمن البيرة التي يصنعها معمل باس الآن خمسة ملايين جنيه كل سنة وجانب كبير من هذا الثمن ربح صافٍ لاصحاب هذا المعمل

ورقي ميخائيل باس الى رتبة الاشراف سنة ١٨٨٦ باسم لورد برتن

البابوية وانتخاب البابوات

رأيت في الجزء الماضي من المقتطف خبر وفاة البابا لاون الثالث عشر وطرفًا من ترجمتهِ وقد رأيت ان اجمع مختصر تاريخ البابوية ووصف مركزها الحالي في المجتمع الدولي

كان النصارى في اول نشأتهم كالاشتراكيين في هذا العصر لا رؤساء لهم يجتمعون لعبادة الله وإمامهم اشدهم ورعاً واقدرهم على الوعظ والارشاد تركوا الرئاسة المدنية للامم الذين يسودونهم قائلين لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لانهُ ليس سلطان الاَّ من الله. ثم لما كثر عددهم وقوي شأنهم خصوا الرئاسة الدينية باربعة من اساقفتهم سموهم بطاركة وهم بطاركة رومية والقسطنطينية وانطاكية والاسكندرية عواصم ولايات الامبراطورية الرومانية وجعلوا لاسقف اورشليم رتبة بطريرك شرف

وكان البطاركة اصلاً متساوين في الرتبة والمقام الاَّ ان بطاركة رومية حاولوا من اول الامر السيادة على غيرهم بدعوى انهم خلفاء بطرس الرسول . ولم يأتِ القرن الخامس للميلاد حتى كانوا قد فازوا بمطلبهم واعترف الامبراطور الروماني بالاسقف انوسنتس الاول رئيساً عامًّا للكنيسة المسيحية . والمرجح ان اول من لُقّب بلقب بابا بمعناهُ الحالي هو غريغوريوس الكبير الذي تولَّى رئاسة الكنيسة الرومانية من سنة ٥٩٠ الى ٦٠٤ للميلاد

وساعد البابوات في نيل الرئاسة العامَّة ما كان لرومية مقر كرسيهم من السلطان في تلك الايام حين كانت عاصمة العالم والمرجع الاعلى للممالك في احكامها وسياستها فزعامتها للعالم في المسائل السياسية ساعدت بطاركتها على الوصول الى الزعامة الدينية ايضاً . ولما نقل قسطنطين الكبير كرسي الملك الى عاصمتهِ الجديدة خلا لاسقف رومية الجو فصار الآمر الناهي الوحيد فيها وزد على ذلك ان الامبراطورين لجأُوا اليهِ مرارًا في صدّ غزوات قبائل الشمال التي كانت تتهدد المملكة الرومانية فكان يفعل بسلطتهِ الدينية وهو اعزل من السلاح المادي ما كانت تعجز عنهُ جنود الامبراطورين فلذلك علت منزلتهُ وعمَّت هيبتهُ . ولما سقطت الامبراطورية الغربية زادت سلطة البابا وصار اعلى اصحاب المقامات في اوربا . وكان البابوات في تلك الايام يفضون المشاكل بين مدن ايطاليا وقبائل البربر الشمالية فاصبحوا الحكَم العام تتقاضى اليهم الممالك وتجري على احكامهم

وارسلت رومية دعاتها الى فرنسا وجرمانيا وجزائر بريطانيا وغيرها من ممالك اوربا تدعو الناس الى النصرانية فاهتدوا بهديها وانشأُوا الكنائس واشربت قلوبهم حب رومية التي دعتهم

من الظلمات الى النور فكانوا يرسلون اساقفتهم اليها لينالوا البركة من يد البابا اعترافاً بخضوعهم لهُ . وبقي بابا رومية رئيساً عاماً للنصرانية الى ان وقع الخلاف الشهير بين النصارى في مسأَلة وضع الايقونات في الكنائس فاتخذت كنيسة رومية والكنائس التابعة لها الوجهة المخالفة لقرار المجمع القسطنطيني الذي عُقد سنة ٧٥٤ والذي اتبعتهُ الكنائس الشرقية . وزاد الخلاف بين رومية والقسطنطينية حتى آل الامر الى انفصال الكنيستين الشرقية والغربية في القرن الحادي عشر فخسرت رومية بذلك سلطانها في الشرق لكن حالفت ملوك اوربا وامراءها فكانت تستعمل سلطتها الدينية في توطيد سلطتهم وكانوا يستخدمون جيوشهم في الذود عنها وتمليكها المدن والمقاطعات كما فعل بين وشارلمان وغيرهما وهكذا تأَسست سلطة البابا الزمنية التي بقيت الى ان استولى الايطاليون على رومية سنة ١٨٧٠

وساعد البابوية في توسيع نطاق سلطتها الزمنية ما كانت عليهِ اوربا في القرون الوسطى من الجهل فادَّعت الكنيسة ووافقها شارلمان ان الكهنة خارجون عن سلطة المحاكم السياسية مدنيًّا وجنائيًّا فلا يحاكمون الَّا امام محاكم الكنائس . ثم توسعت بالامر وحكمت بان لها الاختصاص بالنظر في كل المسائل المتعلقة بالازواج والارامل واليتامى لعلاقتها بالدين . ولم تقف عند هذا الحد بل ادعت الاختصاص بالنظر في المسائل الجنائية ايضاً بدعوى ان الجناية تعدٍ على شريعة الله فللكنيسة الحق في معاقبة الجانين . وبهذه الطريقة اصبح الكهنة قضاة للشعب ينطقون بالاحكام ويكلون تنفيذها الى الحاكم الزمني . ولما كان الاساقفة تابعين لرومية كان استئناف احكامهم يرفع الى البابا فاصبح الحكَم الاعلى لا مرد لحكمهِ واصبح الملوك والامراء كالشرطة ينفذون احكامهُ ويأْتمرون باوامرهِ

وفي اواسط القرن العاشر قام اوتو الكبير ملك المانيا فاعاد الى الامبراطورية الرومانية مجدها الذي كانت عليهِ في زمن شارلمان وبقي ملوك المانيا يتوارثون هذه الامبراطورية التي دعيت بالامبراطورية الرومانية المقدسة حتى اخذها منهم نابليون الاول . ولما قويت السلطة الزمنية في القرن العاشر اجتمع في المملكة الرومانية المقدسة حاكمان يتنازعان السلطة البابا والملك وتضاربت الآراء في نسبة احدهما الى الآخر . قال البعض ان كلاًّ منهما مستمد سلطتهُ من الله تعالى فهما اذاً متساويان وكلاًّ منهما متمم للآخر احدهما يحكم الانفس والآخر يحكم الاجساد وعلى الملك ان ينفذ بسيفهِ قوانين الكنيسة ويدفع عنها غارات الهراطقة والاعداء . وقال حزب البابا ان لصاحب السلطة الروحيَّة التقدم على صاحب السلطة الزمنية . وذهب حزب الملك الى ضد ذلك وكل من الحزبين استشهد على صحة قولهِ بآياتٍ من الانجيل

فسرها على ما يوافق دعواهُ

غير ان السلطة الزمنية ما زالت تنمو وتتقوى وتستقل عن السلطة الدينية حتى لم يبقَ لهذه سوى بعض مقاطعات ومدن اهداها اليها شارلمان وغيرهُ الى البابوات . ولما نهضت ايطاليا حديثاً نزعت املاك البابا منهُ شيئاً فشيئاً حتى لم يبقَ لهُ الاَّ مدينة رومية فعارضتها فرنسا في ذلك وارسلت فصيلة من الجيش لحمايتها حتى اضطرت الى استرجاع جنودها منها سنة ١٨٧٠ حينما نشبت الحرب بينها وبين بروسيا فاستغنم فكتور عمانوئيل تلك الفرصة وضم رومية الى ايطاليا وجعلها عاصمة المملكة . وكان حينئذٍ في كرسي البابوية بيوس التاسع فاقام الحجة على ايطاليا واستغاث بدول اوربا فلم يغثهُ احد . وبديهي انهُ لما كان للبابا املاك زمنية كان جامعاً في يدهِ سلطة روحية وسلطة سياسية في ما يختص بالحكم في مقاطعاتهِ وكانت بقية الدول تعد مملكة البابا مستقلة عما حولها وتحترمهُ كملك زمني فوق ما لهُ من الاحترام الديني بصفتهِ الرئيس الاعظم للكنيسة الكاثوليكية . فلما كان ما كان من استيلاء ايطاليا على رومية وتجريدها البابا من املاكهِ دخلت البابوية في دور جديد هو الدور الحالي واصبح خليفة مار بطرس في مقام فريد بين الملوك لا شبيه لهُ

ولا مراء ان وجود مملكة للبابا ولو صغيرة جعلهُ مستقلاً في اعمالهِ لا سلطة لغيرهِ عليهِ . غير ان تجريد دولة ايطاليا لهُ منها تركهُ وحيداً فريداً . ولو كان رئيساً لكنائس ايطاليا وحدها لما اهتم احد بامرهِ بل كانوا تركوهُ وشأنهُ مع الايطاليان لكنهُ رئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم اجمع وكلها تنظر اليهِ كنائب المسيح على الارض وراعيها في المسائل الدينية فيهمها اذاً ان لا يكون تابعاً لدولة من الدول بل يكون مستقلاً عنها كلها اذ لو فرضنا انهُ كان تابعاً لاحداها لتمكنت تلك الدولة بواسطتهِ من المداخلة في اعمال بقية الممالك الداخلية فتكسب بذلك قوة وسلطاناً لا يقدَّران

وقد ادرك الايطاليون من البداءة ان العالم الكاثوليكي ينظر بعين القلق الى مصير البابوية بعد فتوحات فكتور عمانوئيل فعرض الكونت كاڤور سنة ١٨٦١ على فرنسا وعلى الڤاتيكان ان يتنازل الفاتيكان عن املاكهِ فتضمن لهُ ايطاليا الاستقلال التام في اعمالهِ الدينية ويكون لهُ الامتياز الذي للملك وتدفع الدول الكاثوليكية نفقات الكنيسة فابى بيوس التاسع الموافقة على ذلك . ثم عرضوا عليهِ اسلوباً آخر سنة ١٨٦٨ وهو ان يترك مستقلاً في الفاتيكان وحي ليونين (وهو واقع بين نهر التيبر والفاتيكان ويبلغ عدد سكانهِ خمسة عشر الفاً) فابى ايضاً . ثم جددوا هذا الاقتراح سنة ١٨٧٠ وضمنوا للبابا جميع الامتيازات التي للملوك فاصرَّ على الاباء .

ولما استولى فكتور عمانوئيل على رومية رأى ان اول واجب عليهِ هو ازالة الشك الذي ربما خامر بقية الدول الكاثوليكية من جهة بقاء البابا مستقلاً فاصدر قانون الضمانة في ١٣ مايو سنة ١٨٧١ لانهُ خاف انهُ اذا لم يفعل ذلك هجر البابا رومية فتخسر برحيلهِ عنها الشيء الوحيد الباقي من عظمتها السابقة التي جعلتها في مقدمة الممالك المسيحية

اما الاساس الذي بني عليهِ قانون الضمانة فهو وجود كنيسة حرة في بلاد حرة . وقد تركوا للبابا المقام الملكي الذي كان فيهِ لكنهم جردوهُ من املاكهِ فاصبح ملكاً بلا مملكة . وملخص ما جاء في هذا القانون ان ليس للبابا املاك قط بل لهُ الانتفاع ببعض القصور كالفاتيكان وقصر لاتران مع ما يتبعهما من الحدائق وان هذه القصور وما احتوت عليهِ من المعارض والتحف تكون معفاة من الضرائب ولا يمكن بيعها او نزع ملكيتها للمنفعة العامة وشخص البابا مقدس كشخص الملك ولا يمكن محاكمتهُ امام المحاكم الجنائية وكل تعدٍّ عليهِ او مكيدة ضدهُ تجازى كما لو كانت موجهة الى الملك نفسهِ . ويؤدى للبابا حيثما سار في ايطاليا نفس الاحترام الذي يؤدى للملك ولهُ التقدُّم على الملك في الحفلات الرسمية وهي الطريقة التي جرى عليها بقية الملوك الكاثوليك . ولا يمكن لمأموري الحكومة الايطالية الدخول الى قصر البابا حال تأدية واجباتهم بغير اذن منهُ ولقداستهِ ارسال السفراء لدى الدول وقبول السفراء منهم ايضاً ولهُ ان يجري شؤُون سلطتهِ الدينية بتمام الاستقلال وان يتخابر مع الكاثوليك في كل العالم من غير مراقبة او معارضة من قبل الحكومة الايطالية . ولما كانت ادارة الكنيسة تقتضي نفقات طائلة قطعت لهُ ايطاليا مالاً سنوياً حسب آخر ميزانية عملها في مملكتهِ . لكن الفاتيكان رفض قبول هذا المال ولم يأخذ شيئاً منهُ حتى الآن

قلنا ان مقام خليفة مار بطرس بين الدول مقام فريد لا شبيه لهُ . فالبابا ايطالي الجنس يولد ويعيش في ايطاليا لكنهُ غير تابع لها بل هو مستقلٌّ وشخصهُ مقدس كشخص الملك وخارج عن سلطة المحاكم الايطالية . وهو مجرد تمام التجريد عن الاملاك الزمنية التي هي اهم اختصاصات الملوك اذ وجود الملك يستدعي وجود المملكة . واساس علاقات الدول بعضها مع بعض هو عدم المداخلة اي ان كلاًّ منها حرة في اجرآتها الداخلية بخلاف علاقاتها مع كرسي البابوية فانها مبنية على ما للبابا من حق المداخلة في احوال بقية الممالك واجراء المراقبة والتأديب . فللبابا في كلٍّ منها نفوذ سياسي وديني وبموجبهِ تداخل البابا لاون الثالث عشر في الانتخابات الالمانية. غير ان بعض الدول احتاط لذلك فقرَّر عدم نشر شيءٍ من منشورات البابا قبل تصديق الحكومة عليهِ

وخلاصة القول ان البابا ايطالي لكنهُ غير تابع لايطاليا وملك ولكنهُ اصبح بلا مملكة ولهُ حق المداخلة في امور بقية الممالك حالة كونها لا تسمح احداها للاخرى بذلك . وظاهر مما تقدم انهُ لا يزال كما كان في القرون الوسطى في مركز دولي يساعدهُ على حفظ السلام بين الممالك الاوربية وعلى دعوتها الى الاتحاد والتعاون في كل ما يؤُول الى راحة البشر ولرفع شأن الانسانية

وقد احتجَّ البابا بيوس التاسع الذي سقطت رومية في ايامهِ على حكومة ايطاليا وامتنع عن قبول المال السنوي الذي قطعتهُ لهُ واعتصم بقصر الفاتيكان ولم يعد يخرج منهُ وسار البابا لاون الثالث عشر على خطتهِ في ذلك لاسيما وانهُ خلفهُ والجرح لا يزال دامياً والافكار مضطربة

هذا من حيث تاريخ الباباوات ومقامهم الديني والسياسي . اما كيفية انتخابهم فهو انهُ حينما يتوفى احدهم ينوب الكامرلنج عن مجمع الكرادلة في ادارة اعمال الكنيسة ثم يجتمع المجمع المذكور في الفاتيكان وتقفل الابواب والنوافذ بناء بالحجارة الاَّ باباً واحداً للخروج والدخول منهُ وبعد حضور القداس في اليوم الاول يقسم الكرادلة اليمين المعتادة في هذه الاحوال ثم يخرج الاجانب ويقفل الباب ويبقى الكرادلة مع خدمهم والطبيب والبنَّاء والنجار وخلافهم ويجري الانتخاب مرتين في اليوم قبل الظهر وبعدهُ فاذا لم ينل احد المرشحين اكثر من ثلثي الاصوات تحرق اوراق الانتخاب مع قليل من القش المبلل فيصعد لها دخان كثيف من مدخنة عالية ويعلم الناس في الخارج ان كرسي البابوية لم يزل خالياً . فاذا نال احدهم العدد اللازم من الاصوات أُحرقت الاوراق وحدها فلم يصعد لها دخان فيعلم الجمع حينئذٍ انهُ تم الانتخاب . ويتقدم اقدم الكرادلة الى المنتخب ويسألهُ عما اذا كان يقبل المنصب وعن اللقب الذي يختارهُ ثم يلبسونهُ الحلة البابوية ويؤمر البنَّاء فيفتح النوافذ التي يكون قد سدها ويقف الكردينال الاول في شرفة كنيسة مار بطرس ويقول للشعب باللاتينية ما ترجمتهُ

" أُبشركم بفرح عظيم فقد انتخبنا بابا الكردينال فلان المعظم وقد اتخذ لنفسهِ الاسم الفلاني " . ثم يظهر البابا الجديد للجمهور المجتمع في ساحة مار بطرس ويمنحهم البركة الرسولية " لمدينة رومية وللعالم اجمع "

وقد تم في هذا الشهر انتخاب قداسة البابا الحالي الكردينال جوزف سارتو الذي اختار اسم بيوس العاشر وتوّج في كنيسة مار بطرس يوم الاحد في ١٠ منهُ امام جمهور عظيم يربو على خمسين الفاً

ن . ب

الهيدروسكوب

نشط الايطاليون للاكتشاف والاختراع كأنهم يريدون ان يعيدوا عصر ايطاليا الاول وزمانها الذهبي حينما كانت مقصد العلماء ومصدر العلم والعرفان فقد كان لهم الشأن الاول في اكتشاف سبب الحمَّى الملارية وقام منهم الشاب مركوني وادهش العالم بتلغرافهِ وذاع الآن اسم شاب آخر اسمهُ بينو اخترع منظارًا ترى بهِ اعماق البحر سماهُ بالهيدروسكوب ومركبًا يغوص في الماء وآلة تصل الى الكنوز والدفائن التي في قاع البحر وتستخرجها منهُ او تصل الى السفن التي غرقت وترفعها الى وجه الماء

وقد رأينا وصف ذلك في مجلة بيرصن من قلم صديقهِ الدكتور لبرتكريو فاقتطفنا منهُ السطور التالية

قال الكاتب سمعت حديثًا دار بين بينو وزوجتهِ قالت الزوجة " لقد زادت نفقاتنا جدًا واذا بقينا على هذه الحال امسينا فقراء " فقال لها بينو " خففي عنكِ يا عزيزتي فان في البحر كنوزًا لا تقدَّر وقد صارت في قبضة يدي انتشل منها ما اشاء " . ولا يستغرب منهُ هذا القول بعد ان اعجب بهِ ملك ايطاليا وامبراطور المانيا وحكومة اليونان وحربية الانكليز وكثيرون من رؤساء الشركات البحرية وعدوهُ من اكبر مخترعي العصر

كم في البحر من الكنوز التي غاصت بها السفن وكم فيهِ من السفن التي أُنفقت عليها بدرات الاموال وهي ملقاة الآن في قاعهِ . وكم سقط فيهِ من التحف والمصنوعات البديعة وكم في مشاهدة اغوارهِ وما فيها من المرتفعات والمنخفضات وانواع النبات والحيوان من فائدة علميَّة ولذة ادبية . وكل ذلك يرى بهيدروسكوب بينو ويستخرج بآلتهِ الرافعة

ثم ان صيد السمك صناعة واسعة النطاق يعيش منها الوف وألوف الالوف من الناس والصيادون يلقون شباكهم في البحر فتجيءُ بملئها سمكًا او تجيءُ بحمأة وقليل من الاعشاب لانهم لا يرون السمك في الماء فيطرحونها على التوكل فلا تمتلئُ مرةً حتى تصعد فارغة مئة مرة فاذا استعانوا بالهيدروسكوب ورأوا بهِ اعماق البحر لم يطرحوا شباكهم الاَّ حيث يجدون السمك فيقلُّ تعبهم وترخص الاسماك وهي اكثر انواع الطعام غذاءً فيعمُّ النفع ويشمل الفقراء

وبينو شاب كما تقدَّم عمرهُ ثلاثون سنة صغير الجسم كبير العقل شديد العزم يُتِّم من ابيهِ وامهِ وهو طفل فكفلهُ اخوتهُ وبدا ميلهُ للاكتشاف والاختراع وهو فتًى فحاولوا صرفهُ عن

ذلك فهرب منهم ولم يسمعوا اسمهُ بعد ذلك الاَّ حينما منحهُ ملك ايطاليا لقب الشفاليه جزاء استنباطهِ السفينة الغوَّاصة

ولما هرب من اخوتهِ ورأى نفسهُ وحيداً شريداً لا صديق لهُ ولا معين عكف على الدرس والبحث والتجارب وكان معهُ قليل من النقود مما تركهُ لهُ والدهُ فانفقهُ كلهُ واضطرَّ ان يحترف حرفة لمعيشتهِ فدخل فرناً كبيراً في جنوى وجعل يعمل فيهِ كاحد صغار العمال ورآهُ مدير الفرن (او معمل الخبز) وهو يرسم رسوماً على الورق فناداهُ وقال لهُ ما هذه الرسوم التي اراك تشتغل بها دواماً . فقال هذه رسوم قارب يغوص في الماء مسافة الف قدم ويسير بالبخار وهو تحت سطح الماء كما يسير فوق سطحهِ . واخذ يشرح لهُ اجزاءهُ المختلفة فسرَّ المدير بهِ واعتقد انهُ قادر على عمل قارب يسير تحت الماء وعفاهُ من العمل في المخبز ومدَّهُ بالمال لعمل هذا القارب وكان عمرهُ حينئذٍ اربعاً وعشرين سنة

واراد مرةً ان يمتحن آلة للتنفس في الماء فصنع وعاء كالتابوت وجلس فيهِ مع آلة التنفس المشار اليها وطلب من الذين معهُ ان ينزلوهُ في خليج جنوى بعد ان يسدوا باب الوعاء سدًّا محكماً ويبقوهُ في الماء الى ان يشير اليهم بآلة متصلة بالوعاء ولعلها جرس كهربائي . فانزلوهُ حسب طلبهِ ومرَّت دقيقة بعد اخرى وهو لا يشير اليهم فظنوا انهُ اختنق او أُغمي عليهِ واصعدوا الوعاء وفتحوهُ فنهض وجعل يعنفهم لانهم اصعدوهُ قبلما اشار اليهم وقال انهُ كان جالساً مستريحاً وهو يحل مسألة شغلت بالهُ

والغوَّاصة التي صنعها وفت بالمطلوب من اول تجربة وقد غاص بها اكثر من مئة وخمسين مرةً الى عمق خمس مئة قدم او اكثر وغاص مراراً اخرى كثيرة الى اقل من ذلك ووصف ما شاهدهُ في اعماق البحر من انواع الحيوان والنبات وصفاً شعريًّا بديعاً فقال انهُ رأى اسماكاً كالازهار وازهاراً كالاسماك وهي تختلف بحسب طبقات الماء فالاسماك التي على ستين قدماً تختلف عن الاسماك التي على ستمئة قدم وتكثر الاسماك على عمق معلوم حتى تصير كاوراق الحراج في فصل الصيف

وقد اقنعتهُ المناظر التي شاهدها في قلب البحر انهُ يمكن ان يصنع منظار ينظر بهِ ما في اعماقهِ وكان قد الَّف شركة لعمل الغوَّاصات وجُعل مديراً لها وكثرت اشغالهُ فلم تسمح لهُ بالتفرُّغ لعمل هذا المنظار لكنهُ عملهُ بعد سنتين من حين ارتسمت صورتهُ في ذهنهِ وسمَّاهُ بالهيدروسكوب وهو انبوب طويل في طرفهِ آلات بصرية مختلفة ومصباح كهربائي ساطع النور فينار قاع البحر بهِ وتنعكس صورتهُ على الآلات البصرية التي في الهيدروسكوب فتلقيها على ستار في السفينة

فيراها الذين ينظرون اليهِ كأَنهم ينظرون الى قاع البحر والنور ساطع عليهِ · ويستطيع ربان السفينة ان يرى بهِ اسفل سفينتهِ وجسرها الذي تبنى عليهِ وما يصيبهُ من العاهات

وقد رأَى واستخرج من قاع البحر امام بلاد اليونان تحفاً كثيرةً وقعت فيهِ منذ الفي سنة. واتفقت معهُ حكومة اليونان اخيرًا على ان يستخرج لها كل ما يجدهُ من التحف في ما يجاورها

وامتُحن هيدروسكوب بينو اول مرة امتحانًا عموميًّا في شهر يناير الماضي وحضر الامتحان كثيرون من ضباط البحرية ورجال العلم فرأَوا قاع البحر بواسطة الهيدروسكوب كأَن لا ماء بينهم وبينهُ ورأَوا فيهِ الصخور والحجارة والاصداف والاسماك والازهار وكل ما في قاع البحر وكتبوا تقريرًا عما رأَوا ووقَّعوا عليهِ

اما الآلة الرافعة التي ترفع الاجسام الثقيلة من قاع البحر كالسفن والمدرَّعات فاكبر نفعاً من كل ما استنبطهُ هذا الرجل . وقال الكاتب ان نظارة البحرية الانكليزية عازمة على امتحانها فاذا وفت بالغرض فهناك النفع الكبير والربح الكثير لانهُ استُنبط حتى الآن اكثر من اربعة آلاف استنباط لرفع السفن الغرقى من قاع البحر فلم تفِ بالمراد . ويغرق الآن اكثر من ١٨٠ سفينة كل شهر محمول كلٍّ منها اكثر من خمس مئة طن يبلغ ثمنها عدا ما فيها من الشحن الوفاً والوف الوف من الجنيهات فاذا عُرف مقرها بالهيدروسكوب ورُفعت بالرافعة انهالت ميازيب الثروة على صاحب هذا الاختراع وردَّ جانب كبير مما يضيع الآن ولا امل بردهِ . وكم من اختراع بسيط يخترعهُ رجل قليل العلم يفوق الاختراعات الكبيرة التي يستنبطها كبار العلماء

ولم نقف على وصف الرافعة التي استنبطها بينو ولا رأَينا صورتها ولكن الكاتب يقول انها تخالف في مبدإِها كل ما استنبط لهذه الغاية حتى الآن وهي من نوع الغوَّاصات ولكنها نوع خاص قائم بنفسهِ ومتانتها وقوتها تكفيان لرفع المدرَّعة الكبيرة من اعمق اعماق البحر . ولا يراد ان توصف قبل ان تجرَّب فاذا وفت بالغرض كما وفت غوَّاصتهُ وكما وفى هيدروسكوبهُ فيكون قد استنبط ثلاثًا من انفع الآلات قبل ان يناهز الثلاثين من العمر فما عسى ان يخترع بعد ذلك واين تقف سلسلة مكتشفاتهِ . وهل تحذو ايطاليا حذو اميركا وتحوّل قوَّة الخيال في الايطاليين من التصوير والتمثيل والنظم الى استنباط الآلات وابتداع الاساليب التي تزيد راحة الناس ورفاهتهم وهل يعود الى ايطاليا عصرها الذهبي الذي كانت فيهِ راقية اعلى مراقي النجاح وسائرة في طليعة ممالك الارض

الثلج في افريقية

ذكرنا غير مرة ان المستر مور وصل الى جبال القمر في قلب افريقية وشاهد الثلج عليها واكتشف ثلاثة من انهار الجليد . وقد وقفنا الآن على مقالة لهُ في هذا الموضوع وصف فيها ما شاهدهُ وصفاً بديعاً وبنى عليهِ حكماً ان صحَّ لم يبقَ للاوربيين املٌ كبير ان يعمروا افريقية ويجدوا فيها جبالاً باردة تخفف لظى الصيف وتغنيهم عن الرجوع الى بلادهم سنة بعد اخرى

ووجود الثلج في قلب افريقية على خط الاستواء تماماً امرٌ يبعد تصديقهُ على مَن لم يرَ الثلج هنالك ولا رأى تعليلهُ في كتب الطبيعيات . واما الذين لهم المام بالعلوم الطبيعية فيعلمون ان طبقات الجو باردة جدًّا لا حرارة فيها لان الحرارة انما تصل الى الارض من الشمس واذا مرَّت في الجو اللطيف الهواء القليل البخار المائي لم تسخنهُ لانهُ شفاف لها فتخرقهُ وتصل الى الارض من غير ان تخسر شيئاً ثم اذا وصلت الى الارض وكانت مائلة جدًّا لم تسخنها واما اذا كانت عمودية او قريبة من العمودية فانها تسخن سطحها والهواء المجاور لهُ. فلا تكون الحرارة الاَّ في سطح الارض وما يجاورهُ حيث تقع اشعة الشمس عمودية او قريبة من العمودية وفوق ذلك يبرد الهواء رويدًا رويدًا حتى يبلغ درجة الجليد اي الدرجة التي يجمد عندها الماء ويصير جليدًا ويصير بخار الماء ثلجاً . والحد الذي يبرد فيهِ الهواء الى هذه الدرجة يصل الى سطح الارض عند القطبتين لشدة ميل الاشعة هناك ويرتفع رويدًا رويدًا بالدنو من خط الاستواء حتى يبلغ ارتفاعهُ نحو سبعة آلاف قدم في جبال الالب وعشرة آلاف قدم في جبل لبنان وثلاثة عشر الف قدم الى اربعة عشر الف قدم عند خط الاستواء . فاذا كان جبل عند خط الاستواء ارتفاعهُ ١٥ الف قدم عن سطح البحر فقنتهُ تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة . وجبال القمر في قلب افريقية وجبال الاندس في اميركا الجنوبية من هذا القبيل فيبقى الثلج مغطياً قننها على مدار السنة ولو كانت على خط الاستواء لان ارتفاعها اكثر من اربعة عشر الف قدم

وقد يظن لاول وهلة انهُ اذا وُجد في قلب افريقية جبل يكسوهُ الثلج على مدار السنة فالهواء في ما يجاورهُ يجب ان يكون باردًا منعشاً كما هو في جبال الالب التي يكسوها الثلج ولكن ليس الامر كذلك لان بين المكانين فرقاً كبيرًا في وقوع اشعَّة الشمس فالاشعة التي تقع مائلة ينعكس اكثرها ولا تمتصُّ الارض الاَّ شيئاً قليلاً منها ولذلك لا يشتد الحر في الاصقاع القطبيَّة ولو اشرقت الشمس يوماً بعد يوم مدة شهر او اكثر لانها تشرق وتدور قريبة من الافق فتكون اشعتها مائلة جدًّا على سطح الارض فلا تمتص الارض الاَّ القليل من

حرارتها وكذا تقلُّ الحرارة في الصباح مع شروق الشمس لميل اشعتها حينئذٍ وتقلُّ في اواخر النهار ايضاً لولا ما يبقى في الارض والهواء من حر الظهيرة. والجبال التي يبقى قليل من الثلج على قنتها في الصيف حينما تكون اشعة الشمس عمودية يكسوها الثلج كلها الى سفحها في الشتاء والربيع حينما تكون اشعة الشمس مائلة

اما في ما يجاور خط الاستواء فاشعة الشمس تقع عمودية او قريبة من العمودية على مدار السنة فيشتد حرها في النهار صيفاً وشتاء ولا يبقى شيء منهُ في الليل بعد ان تغيب الشمس اذا كان المكان عالياً لطيف الهواء جدًّا لان حرارة النهار تشعُّ سريعاً ولا يحفظها الهواء اللطيف فتبرد الاماكن العالية بردًا شديدًا يجمّد الماء ويصيّرهُ جليدًا . والبخار المائي الذي يصل الى تلك الاعالي يستحيل ثلجًا كما ترى في مقالة اخرى في هذا الجزء فتبقى قنن تلك الجبال العالية البالغة حد الجليد مغطاة بالثلج والجليد على مدار السنة ولكنهما يبقيان محصورين فيها لا يطفَّان على ما حولها الى سفوح الجبال والسواحل البحرية كما يحدث في البلدان الشمالية والجنوبيَّة حيث يشتد ميل اشعة الشمس في فصل الشتاء

والجبال التي يغطيها الثلج في افريقية ثلاثة جبال اطلس في الجنوب الغربي في المغرب الاقصى وارتفاعها نحو ١٥٠٠٠ قدم وجبال القمر على خط الاستواء وارتفاعها نحو ١٨٠٠٠ قدم وجبل كنيا وارتفاعهُ نحو ١٩٠٠٠ قدم وهو الى الشرق الجنوبي من جبال القمر. ويقع الثلج ايضاً على جبال كميرون في غربي افريقية ولكنهُ لا يبقى فيها على مدار السنة لان ارتفاعها ١٢٤٨٠ قدماً فقط

وقد وصف المستر مور جبل كنيا وجبل القمر على اثر زيارتهِ لهما فقال " يرى جبل كنيا من سكة اوغندا فان القطار يقطع قفار الساحل الشائكة فيصل اولاً الى سهول يبَّست الشمس ما فيها من الاعشاب فظهرت كحقول حصدت ووراءها جبل منفرد لهُ قنتان كبيرتان اسم احداهما كيبو واسم الاخرى كيليما نجارو على الاولى منهما قليل من الثلج متفرقًا نتفاً اما الثانية فالثلج يكسوها كلها ويمتد على الشعاب التي حولها كاهداب الرداء ولكن شكل هذه القنَّة يمنع تكوُّن انهار الجليد حولها ولو كان الثلج كثيرًا عليها ولا تظهر انهار الجليد الاَّ في جبل كنيا نفسهِ وهو الى الشرق من القنتين المذكورتين فهناك انهار الجليد اي الجليد الذي يسير سيرًا بطيئًا في الشعاب على جوانب الجبل كأَنهُ نهر بطيءُ السير جدا حتى اذا بلغ سفح الجبل ذاب طرفهُ وبقي ما فوقهُ يمدهُ بالجليد وتقع عليهِ الحجارة من جوانب الجبل وهو سائر فيحملها على عاتقهِ ويلقيها حيث يلقي عصاهُ ويذوب من حر الهواء فتبقى هناك كوماً كوماً شاهدة على سير انهر الجليد كما هي في بلدان كثيرة . وتُرى هذه الحجارة على بعد شاسع من جبل

كنيا لا تصل اليهِ انهر الجليد الآن دلالة على انها كانت تصل اليهِ في غابر الزمن وان اقليم تلك البلاد كان اقل حرارة منهُ الآن . واذا قطعت جبل كنيا غرباً وسرت بين جبل الغون وبحيرة فكتوريا بلغت سهلاً عالياً ينتشر امامك كالبساط وهو نجود تتخللها الآجام ويغطيها نبات البردي واذا سرت فيهِ غرباً بلغت سفح الجبال العظيمة المعروفة بجبال القمر

"زرت هذه الجبال في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولم يكن احد من اهالي اوربا قد وصل الى حد الثلج فيها ولا رأى احد انهر الجليد الجارية منها فكان غرضي الاول من المجيء اليها الوصول الى حد الثلج واكتشاف ما ربما يكون فيها من انهار الجليد . فصعدت مع رفاقي وضربنا في عرض الجبل من الشرق الى الغرب خارقين حراجهُ الكثيفة وتابعين مجرى نهر موبوكو وهو بارد الماء كالثلج الى ان بلغنا منعطفاً كالهلال رأيت فيهِ ثلاثة من انهر الجليد تسير الى الوادي في جهات مختلفة وقد اتشحت بوشاح الزبرجد. والثلج على هذا الجبل طبقات مرصوفة بعضها فوق بعض ثلج فجليد فثلج فجليد وهكذا وسبب ذلك ان الشمس تشرق بعد وقوع الثلج فيخور من شدة حرارتها ويندى سطحهُ ثم تغيب فيبرد سطحهُ حالاً ويجلد . وهذا شأن اماكن كثيرة في افريقية يشتد البرد فيها ليلاً حتى يجمد الماء ثم يشتد الحرُّ نهارًا حتى تذوب الاجسام

"ومعلوم ان اكبر عائق يعوق الاوربيين عن سكنى افريقية هو حرها الشديد فاذا كان فيها اماكن يبرد الهواء فيها حتى يماثل برد القطبين فلا بدَّ من ان يكون فيها اماكن اخرى بين بين لا برد قارس ولا حر لافح . هذا ما ظنهُ كثيرون ووطنوا نفوسهم عليهِ فكان غمامة صيف تقشعت على ما ثبت لي بالاختبار فان الاماكن العالية علوًّا كافياً لبرد الهواء قليلة وضيقة المساحة وبعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً تفصل بينها قفار قاحلة واجام كثيرة الحميات وجراثيم الحمى تبلغ الاماكن العالية حتى لقد اصيب البعض بها وهم على خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر

"ومقدار المطر الذي يقع سنويًّا يختلف اختلافاً كبيرًا من سنة الى اخرى ومن وقت الى اخر وتكثر العواصف وتشتد الزوابع وتنقضُّ الصواعق على الاشجار والبيوت فتمزقها وتصم الاذان بصوتها وتقع الامطار سيولاً جارفة فلا تبقي ولا تذر"

هذا ما قالهُ المستر مور ولعلَّهُ غير بعيد عن محجَّة الصواب ولو كان قلب افريقية مما يسهل تعميرهُ لما تقلَّص ظل العمران عنهُ الى الآن لكن ما تعذَّر على الاقدمين قد لا يتعذَّر على ابناء هذا العصر الذين ذللوا الصعاب فقد يحولون هجير خط الاستواء برداً وسلاماً وما ذلك على العلم بعسير

دلالة الغيم

وتحقيقات جديدة

الغيم بخار عائم في الهواء تقلّص بعضهُ حول دقائق الغبار فصار نقط ماءٍ صغيرة وجمد البعض الآخر من شدَّة البرد فصار قطعاً صغيرة من الجليد

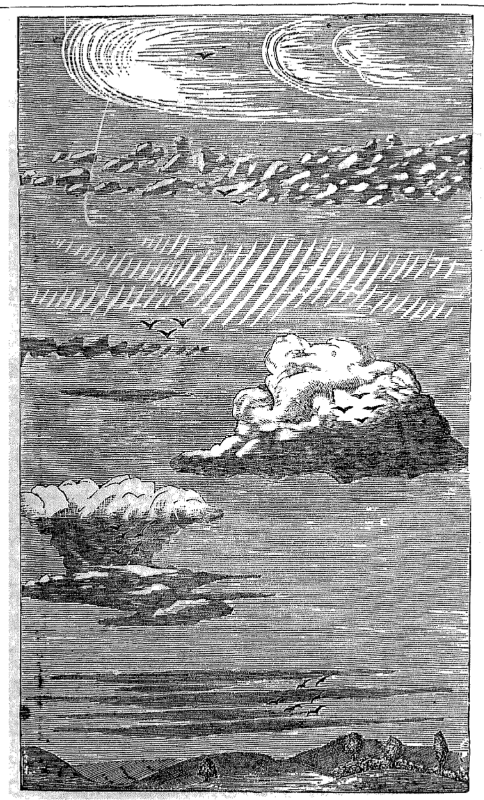
وهو يظهر على اشكال مختلفة لا تقع تحت حصر ولكن يظهر لدى امعان النظر فيها انهُ يمكن ردها كلها الى ثلاثة انواع اصلية وثلاثة فرعية ونوع سابع مؤَلف منها . هذا هو تقسيم لوك هوَرد لها منذ سنة ١٨٠٢ وقد جرى العلماءُ عليهِ حتى الآن ورأَوا انهُ ينطبق على انواع الغيم في كل البلدان والاقاليم

وللانواع الاصلية ثلاثة اسماءٍ لاتينيَّة وهي السرُّس اي المتجعد كالشعر الاجعد والكمولس اي المتراكم والستراتس اي المنبسط . واسماءُ الانواع الفرعية مركبة منها وهي السرُّكمولس والسرُّستراتس والكمولوستراتس والنوع السابع يسمَّى نمبوس ومعناهُ الغيم مطلقاً . وقد رُسمت هذه الانواع السبعة في الشكل المقابل

وكان المظنون ان الغيم لا يرتفع اكثر من خمسة اميال فوق سطح الارض فثبت بالمراقبة والقياس انهُ يرتفع اكثر من ثمانية اميال ويبلغ ارتفاعهُ احياناً ٤٣٨٠٠ قدم فيعلو فوق اعلى جبال الارض نحو خمسة عشر الف قدم

وقد ظهر من البحث ايضاً ان الغيم يكون في ثلاث طبقات مختلفة الطبقة السفلى منها تكون بين ٢٠٠٠ قدم و٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر والطبقة الوسطى تكون بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ قدم والعليا بين ٢٠٠٠٠ و ٢٧٠٠٠ قدم . ولا غيم بين الطبقة السفلى والوسطى ولا بين الوسطى والعليا كأَن الغيوم ثلاث مناطق محيطة بالارض لا اتصال بينها. هذا هو الغالب لكن السفلى قد تنحط عن ذلك فتصل ذيولها الى الارض والعليا قد تسمو فيبلغ ارتفاعها ٤٣ الف قدم او اكثر كما تقدَّم

والطبقة السفلى يدخل فيها الستراتس والكمولس واما الوسطى والعليا فتتكونان من السرُّس والسرُّكمولس . وقد يعظم الكمولس حتى يمتد من الارض الى اعلى طبقات الجو فيبلغ ارتفاع اعلاهُ ٢٠٠٠٠ قدم. واذا صعد الانسان في بالون في وسط غيمة مثل هذه وجدها مؤَلفة من ثلاث طبقات السفلى مزيج من الهواء الجاف والبخار والوسطى هواء جاف وبخار وماءٌ والعليا



النوع الذي فيهِ صورة طائر واحد هو السرُّس . والذي فيهِ طائران السركمولس . والذي فيهِ ثلاثة طيور السرستراتس والذي فيهِ اربعة طيور الكمولس . والذي فية خمسة النمبُس. والذي فيهِ ستة الستراتس

بخار برَد فصار جليداً وماءٍ وقطع صغيرة من الجليد وفي اعلى هذه الطبقة جليد صرف . وتنحط الحرارة هناك احياناً حتى تبلغ الدرجه ٧٥ تحت الصفر

اما السترانس وهو الغيم المنبسط فوق الارض فقلما يعلو فوق ٤٠٠٠ قدم ويتكون غالباً من انبساط غيوم الكمولس وقد يغطي وجه السماء الليل كلهُ ثم ينقشع حالما تشرق الشمس والاَّ صار من السحب المواطر

والسحب المواطر التي تُرى تحت الكمولس حينما تكثر الصواعق مزيج من الانواع الثلاثة وهي اكثف انواع الغيم

والى شمالي خط الاستواء منطقة من النوع السابع المعروف بالنُمبُس عرضها نحو ٣٠٠ ميل تحيط بالارض كلها و يقع منها مطر غزير على البلاد الحارَّة يتدفَّق منها تدفُّقاً كأنهُ من افواه القِرَب . ويغلب السكون هناك ولكن تتخلَّلهُ العواصف احياناً . وسبب هذه المنطقة الرياح التجارية الحادثة من دوران الارض وحرارة الانحاء الاستوائية

والغيوم تتكوَّن من البخار الصاعد من الارض والبحر وتختلف اشكالها والوانها باختلاف الحر والبرد ومجاري الرياح ووقوع اشعة النور . فكلما زاد الهواءُ حرارة قلَّ ظهور الغيوم حتى لا تكاد تراها في فصل الصيف في هذا القطر الاَّ نادراً مع ان الجو لا يخلو منها في البلدان البادرة حتى لقد وجدوا بالمراقبة ان السماءَ تكون غائمة سبعة اعشار الوقت في البلاد الانكليزيَّة فاذا انقشعت الغيوم ثلاث ساعات اطبقت سبع ساعات وذلك لان الهواءَ الحار يحمل مقداراً كبيراً من البخار الشفاف واما الهواءُ البارد فلا يحمل الاَّ مقداراً صغيراً منهُ فان زاد فيهِ تكاثف وصار ضباباً او سحاباً

والغيوم من اصدق الادلَّة على احوال " الطقس " ولاسيما اذا روقبت عند شروق الشمس وعند غروبها فاذا انتشرت حول الشمس وقت المغيب كأنها الاسماك في البحر وضرب لون الشمس الى الحمرة دلَّ ذلك على قرب عصف الرياح . واذا كان الغيم خطاً طويلاً فوق الشمس وقت غروبها عصفت الرياح الغربيَّة . واذا كان لونهُ رصاصياً عند مغيب الشمس دلَّ على مطر من غير ريح . والغيم الرقيق الذي اطرافهُ غير محدودة دليل الصحو واما الكثيف المحدَّد الاطراف فدليل المطر . وتختلف هذه الدلالات باختلاف الاماكن والاقاليم ولو جرت على وتيرة واحدة في المكان الواحد

السل وعلاجهُ الحديث

جاء محل عيادتي منذ ايام قليلة احد الافاضل وفي يدهِ عدد من اعداد المقطم ذُكر فيهِ شيءٌ عن دواء جديد للسل جرَّبهُ احد اطباء برلين ونجح في كثيرين من المصابين بالسل. وسألني هذا الفاضل رأيي في هذا العلاج وكيفية الحصول عليهِ وغير ذلك من المسائل التي تتكرر على مسامعي كل يوم ممن يقرأون في الجرائد اليومية عن الاكتشافات الطبية الجديدة وعن عجائب العلاجات الحديثة. فخطرت لي كلمة في هذا الموضوع ربما تجيءُ بفائدة فتنبهت العليل الى ان الشفاء لا يرجى من جرعة دواء حديث لاسيما في مرض مثل السل وكتبت هذه العجالة

لا يمر يوم الاَّ ونرى في الجرائد اليومية ذكر دواء جديد او علاج مفيد في باب الاكتشافات او في باب الاعلانات الطويلة العريضة القائلة ان الدواء الفلاني يشفي من العلة الفلانية او من اكثر العلل ونحو ذلك من الاقوال التي تضل العامة وتحيد بهم عن اتباع الطرق القويمة لنيل الشفاء من العلل او تخفيف الآلام. فان كثيرين من البسطاء يتهافتون على مشترى الادوية المار ذكرها ويتجرعونها وهم يتوقعون منها الشفاء السريع فاذا خاب املهم وجهوا ملامهم الى الطب والاطباء وما ذلك الاَّ لانهم يجهلون ما يجب على كل عاقل معرفتهُ وهو ان الطبيب الحاذق يدرس العليل وهو يدرس علتهُ فيصف لهُ ما يلائم طبعهُ ومزاجهُ وعلتهُ بمقادير مناسبة ولذا كانت استشارة الاطباء واجبة قبل اخذ الدواء

والسل داءٌ فتاك بجانب كبير من البشر واسع الانتشار في المعمورة حارب الانسانية منذ القرون السالفة ولا يزال ينتاب الناس على اختلاف طبقاتهم ورتبهم. عرفهُ اليونان والرومان وكثرت علاجاتهم لهُ منها ما يضحك اطفال هذه الايام ومنها ما يسلّم بهِ العقل. الاَّ ان حقيقة السل وسببهُ لم يعرفا تماماً حتى قام كوخ واكتشف الميكروب او الباشلس المعروف باسمهِ وبيَّن ان علاقة هذا الباشلس بداء السل والتدرُّن مستديمة. وبحث كوخ في هذا الموضوع بالغ الغاية في الدقة ومستوفٍ الى حدّ انهُ لم يزد عليهِ احد شيئاً مع انهُ قد مضى عليهِ سنون عديدة منذ ظهورهِ بل ان قول كوخ جُعل اساساً لكل مبحث في هذا الموضوع. وجملة القول ان كوخ اكتشف جسماً مكرسكوبيًّا مستطيلاً اعقف اذا جمع الف ميكروب منهُ لم يبلغ طولها كلها سوى ثلاثة مليمترات او اربعة يصبغ بالانيلين ويحفظ لون الصبغة ولو وضعت عليهِ الحوامض خلافاً لغيرهِ من انواع الميكروبات (ما عدا باشلس الجذام)

ووجد كوخ ان هذا الميكروب موجود في كل عضو من اعضاء الجسم المصاب بالتدرُّن

وكذلك في رئات المسلولين ونفثهم وانهُ اذا ربي في المواد التي يعيش فيها وطعمت بهِ بعض الحيوانات الصغيرة اصيبت بالتدرن. ويستنتج من ذلك انهُ هو علة السل وان الوراثة انما تساعد الباشلس باعدادها اجساماً صالحة لنموهِ اي ان ابن المسلول يكون جسمهُ مستعداً لقبول ميكروب السل اكثر من جسم من كان ولداه او اسلافهُ اقوياء اصحاء لا يعرفون السل

واعراض السل معلومة لدى الجمهور اكثر من اعراض اي مرض سواه لذلك لا اتعرض لذكرها هنا اذ ليس قصدي وصف العلة واعراضها وصفاً علمياً دقيقاً بل اظهار طريقة العلاج الحديثة لهذا الداء ومنها يعرف ان الشفاء لا ينال بالادوية والعقاقير بل بطرق المعالجة والمداراة والاعتناء وكلها امور اصبح لها المقام الاول في عرف الطب الحديث

تكثر جرائد اوربا واميركا من ذكر "السناتوريا" (المصحات) فانها اصبحت ملجأ المسلولين يعالجون فيها على الطرق الحديثة النافعة ويتمتعون بالراحة والرفاهة مما لا يحصل عليهِ الانسان في بيتهِ ما لم يكن من ذوي اليسار وقد اهتم اهل العاصمة بمسألة السل في العام الفائت والفوا لجنة كنت من جملة الذين دعوا للانضمام اليها والقصد منها مقاومة مرض السل في القطر المصري الاَّ ان الهمم فترت عن هذا المسعى الجليل وربما عادت يوماً اليهِ فاسفرت المسألة عن بناء "سناتوريوم" (مصح) في حلوان على شاكلة المصحات في البلاد المتمدنة

اما المبادئ التي تدور عليها المعالجة الحديثة في المصحات فهي هذه

(١) استنشاق الهواء النقي وتكييفهُ بحيث لا تتغير درجة حرارتهِ تغيراً يشعر بهِ

(٢) التغذية الجيدة الكافية لحفظ الجسم على وزنهِ الطبيعي اي كما كان قبل المرض

(٣) العيشة القانونيَّة المرتبة التي تعفي كل اعضاء الجسم لاسيما الرئتين من التعب

(٤) الرياضة المعتدلة

ولا بدَّ لي من شرح كل من هذه الامور الاربعة شرحاً موجزاً

(١) يفرض على العليل في المصحات ان يعيش في الهواء النقي دواما ولا يتعرض لتغيرات الحرارة مثل ان ينتقل من غرفة دافئة الى غرفة باردة وان تحفظ حرارة غرفتهِ نهاراً وليلاً مثل حرارة الهواء خارجاً بان تترك الشبابيك والنوافذ مفتوحة فلا يدخلها الاَّ الهواء النقي الخالي من الغبار ومن المواد الضارة وبذا يقوى جسمهُ فلا يعود يتعرَّض للزكام ولا تشتد عليهِ العلة فيتيسر للانسجة التي يكون قد بدأ فيها المرض ان تعود الى الشفاء قدر استطاعتها . ثم انهُ يترك وحده في كثير من الاوقات فلا يسمح لاحد ان يدخل غرفتهُ . ويدقق في مسألة انتقاء الفرش والاثاث لغرفتهِ ويعتنى اشد الاعتناء بتنظيف كل الادوات التي يمسها او

يستعملها وتوضع لهُ مبصقة فيها من المواد القاتلة للباشلس وبالاختصار يقال ان قسماً مهماً من معيشته يتوقف على الهواء النقي

(٢) التغذية الكافية بالرغم عن فقد شهية الطعام فيجبر على اكل كمية وافرة من الطعام لا تقل عمَّا كان يأكلهُ وهو سليم فيصرف نحو ساعتين احياناً ليتمكن من تناول الكمية المفروضة عليهِ. ويطعم ثلاث مرات في النهار ولا يمنع من المآكل التي يريدها ويطلبها بشرط ان تكون مغذية ومطبوخة طبخاً جيداً وينتخب لهُ ما كثرت فيهِ المواد الدهنية ويسقى كميات وافرة من اللبن مع هذه الوقعات الثلاث فيشربهُ كأنهُ الماء ويداوم على ذلك الى ان يعود جسمهُ الى وزنهِ الاصلي فيسقى حينئذٍ البيرا او النبيذ عوض اللبن حسب مقتضى الحال. وقد اكد الاطباء المكلفون بالمصحات ان كثرة الغذاء تاتي باحسن الفوائد الصحيَّة للمسلولين وانها احسن واسطة لهبوط درجة حرارة الحمى. وكثيرون من هؤلاء الاطباء يطعمون مرضاهم وهم واقفون امامهم يكلمونهم ويشجعونهم على الاكل

(٣) ترتب معيشة العليل حتى ينام ويأكل ويشرب في اوقات معينة وكذلك يسمح لهُ بالرياضة المعتدلة مثل المشي ببطءٍ وصعود التلال مسافات قصيرة تختلف من بضعة امتار الى ميل واحد او اكثر حسب مقدرة العليل ثم النزول من التلال ويمنع عن العدو او الركض فان ذلك يزيد عمل الرئتين ويرفع درجة الحرارة. وكذلك يمنع عن مباشرة كل مهيج من شانهِ ان يرفع الحرارة كالضرب على البيانو او لعب الورق او الشطرنج. ومن كان قد تمكن منهُ المرض يمنع من مقابلة اصدقائهِ ومعارفهِ خوف ان يتأثر من ذلك فيأول هذا التأثر الى معاكسة المعالجة

(٤) اما الرياضة ونوعها ومدتها فتتوقف على حالة المريض لذلك وجب ان تكون تحت مراقبة الطبيب دواماً يتدبر امرها معتمداً على شعور العليل وتأثير الرياضة على جسمهِ

وبالاجمال يقال ان معالجة السل الحديث تقوم بتوجيه القوى والافكار الى تقوية الاجسام وجعل انسجتها قادرة على مقاومة شر العدو الفتاك ألا وهو باشلس السل

قال احد اطباء هذه الايام وهو يبحث عن انتشار السل ووسائل الوقاية منهُ التي آلت الى تقليل عدد الوفيات بهِ عمَّا كانت عليهِ قبلاً "ان ارتفاع اجور العمال من كل الطبقات وتحسن المعيشة واتخاذ الوسائط الصحية كالاهتمام بامر مساكن الفقراء كانت السبب الاكبر في اضعاف قوة السل فقللت عدد ضحاياهُ". فعسى ان ينتبه القراء الكرام الى هذه الامور ويذكروا ان غاية ما ينظر اليهِ في علاج هذا الداء الهواء النقي والتغذية الكافية والعيشة القانونية والرياضة المعتدلة

انيسة صيبعة
دكتور في الطب والجراحة

طفل مدى الحياة

يرى الناظر في غرائب الخلق شذوذاً كثيرة لا تقع تحت حصر حتى في نوع الانسان الذي فاق انواع الحيوان جمالاً واعتدالاً ومرّت عليهِ القرون وهو يجاهد جهاداً يبقي اصلحهُ للبقاء . ومن هذه الشذوذ الاقزام الذين يبلغون تمام نموهم وهم صغار القد كالاطفال الذين عمرهم بضع سنوات حتى لقد زار هذا القطر قزم وقزمة جازا سن الشبيبة ولا يبلغ طول كلٍّ منهما ثلاث اقدام . لكن الاقزام الذين من هذا القبيل يكونون في الغالب كاملي البنية الجسدية والعقلية يسيرون مثل سائر الناس ويتزوج بعضهم ويخلفون نسلاً فهم رجال ونساء صغار الابدان لا غير ولكن من الناس من تمرُّ عليهِ السنون ويبقى صغير القد كالطفل ويبقى منظرهُ منظر طفل

قيل انهُ توفيت فتاة في المانيا منذ سنين قليلة وعمرها ثمانٍ وعشرون سنة وقد مضت عليها هذه السنون الطوال وهي تنام في سرير الطفل ومنظرها منظر طفل لا تفرق عنهُ الاَّ في كلامها وذكاء عقلها فانها كانت تتكلم مثل فتاة بالغة سن الادراك . وقد زعمت امها ان نمو جسمها توقف بسبب رعب اصابها وهي طفلة عمرها بضعة اشهر لكن ذلك بعيد عن التصديق لان الرعب اصاب الام ولم يصب البنت . ومهما يكن من السبب الذي اوجب توقُّف نموها فان جسمها بقي جسم طفلة مدى حياتها حتى كان الذين يزورونها يندهشون حينما يرون طفلة تكلمهم وتسائلهم وتجادلهم كأنها فتاة في العشرين من عمرها واسم هذه الفتاة ماري شومن

ومن قبيل ذلك فتاة اخرى توفيت في بلاد الانكليز وعمرها سبع وعشرون سنة وقد بقيت كل ايامها مثل طفلة عمرها سنتان او ثلاث وبقي عقلها صغيراً مثل جسمها وبلغت هذا السن ولم تستطع النطق فبقيت طفلة جسماً وعقلاً مع ما مرَّ عليها من السنين الاَّ انها كانت وديعة انيسة محببة الى الذين يرونها وكانت امها تعمل في معمل يعمل فيهِ النساءِ فاحبها نساءِ المعمل كلهنَّ وبكينها لما ماتت كما يبكين اولادهنَّ . واسمها سارا اغنس سمسن

ومنذ مدة جاءَت امرأَة دار الشرطة في مدينة لندن تطلب صدقة من صندوق الصدقات ومعها طفلة تظهر مثل ابنة سنتين او ثلاث وعمرها تسع عشرة سنة وكانت تتكلم مثل طفلة عمرها سنتان لا غير ولا تستطيع ان تفعل شيئاً غير ما يفعلهُ الاطفال الذين عمرهم شهران او ثلاثة فقط لكن رأسها كان كبيراً مثل رأس البالغ

وفي الولايات المتحدة الاميركية فتاة اسمها جني لودر عمرها اكثر من ستين سنة وثقلها نحو

١٦ أُقة وطولها نحو ٤٧ عقدة وهي في بقية الامور مثل الاطفال تماماً فلا تسرُّ الاَّ باللعب مع الاطفال ولا تعد نفسها الاَّ طفلة مثلهم . ولا تكلم الناس الاَّ في موضوع واحد وهو ما عساها ان تفعل حينما تكبر . وقد ترك لها والداها مالاً طائلاً فيعتني بها الاعتناء التام

وعُرض بالامس في اميركا ولد عمرهُ ست سنوات لكن الذي يراهُ يحسبهُ طفلاً عمرهُ ستة اشهر لا غير لانهُ مثل ابن ستة اشهر منظراً ووزناً وقد دخلت بهِ امهُ الى مجلس القضاء وهي تحملهُ على ذراعيها كالطفل الصغير . وفحص الاطباء هذا الولد وقرَّروا ان نموَّهُ توقف لفقد الغدَّة الدرقية احدى الغدد الكبيرة في العنق التي حار الاطباء في معرفة وظيفتها تماماً لكنهم عرفوا ان فقدها يوقف نمو الجسم

ومن اغرب هؤلاء الاطفال او المسوخ رجل اسمهُ يوحنا مورفي لما كان عمرهُ خمساً وخمسين سنة لم يكن وزنهُ سوى عشر اقات وتوفي وعمرهُ ست وخمسون وبقي حتى وفاتهِ لا يمشي ولا يقف ولا يجلس لان عظامهُ وعضلاتهِ كانت تخالف عظام الناس وعضلاتهم فصنعوا لهُ كرسيًّا خاصًّا كانوا يحملونهُ بهِ . وكان شنيع المنظر جدًّا لكنهُ كان يأكل ويشرب ويطرب مثل سائر الناس وكان رأسهُ سليماً وعقلهُ راجحاً وذاكرتهُ بالغة حد الاعجاز فكان يحفظ كل شيءٍ ويعيهِ ويستحضرهُ حتى اذكرتنا قصتهُ قصَّة شق وسطيح المذكورة في كتب العرب

وخلاصة ما ذكر عن شق وسطيح انهما كاهنان الاول منهما نصف انسان اي لهُ يدٌ واحدة ورجل واحدة وعين واحدة والثاني واسمهُ ربيع بن ربيعة الذيبي لُقّب سطيحاً لانهُ سطيح اي لا عظم لهُ ولا بنان وكان يطوى مثل الحصير ولم يكن لهُ رأس ولا عنق وانما وجههُ في صدرهِ . ونسبوا الى شق وسطيح اقوالاً يدلُّ ظاهر لفظها وما فيها من السجع المحكم على انها موضوعة كقول سطيح لربيعة بن نصر اللخمي احد ملوك لخم "احلفُ بما بين الحرَّتين من حنش . ليهبطنَّ ارضكم الحبش . وليملكنَّ ما بين ابيَن الى جرَش" فسألهُ الملك متى يكون ذلك افي زماني ام بعدهُ فقال "بل بعدهُ بحين . اكثر من ستين او سبعين . يمضي من السنين" . فقال هل يدوم ملكهم او ينقطع قال "ينقطع بضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين" . قال الملك ومن الذين يلي ذلك . قال "يليهِ ابن ذي يزن . يخرج عليهم من عدَن فلا يترك احد باليمن" . واحضر الملك شقًّا وسألهُ كما سأل سطيحاً فقال "بما بين الحرتين من انسان لينزلنَّ ارضكم السودان وليملكنَّ ما بين عدن الى نجران" . وسألهُ مسائل اخرى كما سأل سطيحاً فاجاب اجوبة تخالف اجوبة سطيح لفظاً وتوافقها معنًى وهي مثلها سجعاً

ويروى عن سطيح انهُ كان يسكن بمشارف الشام وجاءهُ ابن اختهِ عبد المسيح بن عمرو

الغساني فوجدهُ قد اشفى على الموت فحيَّاهُ فلم يجبهُ فرفع عبد المسيح صوتهُ وقال

اصمُّ ام يسمع غطريف اليمن يا صاحب الخطَّة اعيت مَن ومن

ففتح سطيح عينيهِ وقال "عبد المسيح . على جمل مشيح . وافى الى سطيح . وقد اشفى على الضريح . بعثك ملك ساسان . لارتجاس الايوان . وخمود النيران . ورؤيا الموبذان . رأى ابلاً صعابا . تقود خيلاً عرابًا . قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس . يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة سارة لم تكن بابل للفرس مقامًا ولا الشام لسطيح شامًا . وسيملك منهم ملوك وملكات . على عدد الشرافات وكل ما هو آتٍ آت

وكان كسرى انوشروان قد اوفد عبد المسيح الى سطيح يسألهُ عن الآيات التي ظهرت لهُ

ويستبعد ان يكون شق وسطيح كما وصفهما كتَّاب العرب اي ان احدهما شق انسان والآخر لا رأس لهُ وانما وجههُ في صدرهِ وكلاهما ينبئُ بالمستقبل ولكن لا يُستبعد ان يكونا مسخين ويكونا ذكيي الفؤاد واسعي الاخبار شديدي الحفظ فان بعض الاقزام المشوهي الخلقة غاية في الذكاء وسرعة الخاطر

العرافة الحديثة

وفاجعة ملك السرب

اوردنا في الجزء السابق خبر العرَّافة التي ادَّعى المستر ستد محرر مجلة المجلاَّت الانكليزية انها انبأت بفاجعة ملك السرب قبل وقوعها بثلاثة وثمانين يومًا . وعقَّبنا على ما ذكرهُ المستر ستد بما يتضح منهُ اننا مرتابون في صحة روايتهِ منكرون للنتيجة التي وصل اليها . وقد وعد المستر ستد ان يوافي القراء بما اثبتتهُ جمعيَّة المباحث النفسية في هذا الشان . وجاءتنا مجلَّة المجلاَّت الآن وفيها انجاز لوعدهِ لكنهُ جاءَ موافقًا لرأينا لا لرأيهِ فقد قال ان الجمعيَّة بعثت اليهِ رجلاً اسمهُ المستر بدنجتون في التاسع عشر من شهر يونيو اي بعد الفاجعة بثمانية ايام فذاكر سكرتيرهُ في ذلك ثم كتبت كاتبة الجمعية الى المستر ستد الكتاب الآتية ترجمتهُ

عزيزي المستر ستد

اشكرك على كتابك الذي بعثت بهِ اليَّ في ١٦ يونيو ردًّا على سؤالي عن الانباء بقتل ملك السرب

وقد عاد المستر بدنجتون الآن بعد ان ذهب الى محلك وكنتَ غائبًا عنهُ وذاكرَ سكرتيرك .

ويستدل ممّا علمهُ منهُ ان المسألة لا تستحق البحث ونحن آسفون على ذلك لان هذه المسألة من المسائل الكبيرة التي كان يمكن ان يبحث فيها بالتدقيق لوكان فيها مستندات يعوَّل عليها ولكن يظهر ان كل ما يعتمد عليهِ فيها مبنيٌّ على ذاكرة بعض الحضور لانهُ لم يكتب احد شيئاً حينئذٍ والحضور مختلفون في ما يتذكرونهُ عن بعض الامور الجوهرية اختلافاً كبيراً حتى يستحيل ان يثبت من اقوالهم شيءٌ . واذا نشرنا شيئاً عن ذلك وجب ان ننشر قول سكرتيرك وقول المستر مكدونلد اللذين يتفقان في ان العرّافة لم تنبئ بشيءٍ عن مقتل ملك السرب وانهُ جرى حديث كثير في ذلك الاجتماع عن السرب واحوالها السياسيَّة قبلما تكلَّمت العرّافة وان احد الحضور سأل العرّافة مسائل كثيرة مهمَّة عن السرب . ثم ان مسز برتشل نفسها كتبت في جريدة سنت جمس تقول ان الظرف الذي اعطيتهُ وفيهِ اسم ملك السرب كان مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأت ما فيهِ

ولا يخفى ان اثبات امر فوق ما تدركهُ قوانا المعروفة مثل معرفة المستقبل يستلزم ادلَّة قاطعة ويظهر لي ان ما جرى لا يقوم دليلاً على صحَّة ما تدعي صحتهُ ومع ذلك فنحن شاكرون لك غيرتك واهتمامك بتوجيه افكارنا الى البحث في هذه المسألة الداعية

السِّ جنصن

وقد اجاب المستر ستد عن هذا الخطاب جواباً شديد اللهجة جدًّا فلام جمعية المباحث النفسية لوماً عنيفاً لانها لم تهتم بالبحث عن هذه المسألة البحث الواجب ولانها تميل الى النفي اكثر ممَّا تميل الى الاثبات ولام رسولها المستر بدنجتون لانهُ اكتفى بسؤَال سكرتيرهِ ثم ادعى انهُ وجد تضارباً في اقوال الشهود وآخذ جمعية المباحث النفسية لانها تحجم عن البحث في قضية اذا لم يكن فيها مستندات مكتتبة حاسباً ان شهادة الشهود يجب ان تكفي لاثبات شيءٍ او نفيهِ اذ قيل على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة . واستشهد برجال النيابة والقضاء الذين يحكمون الاحكام بناءً على شهادة الشهود

وهنا موقع الضعف في احتجاج المستر ستد فانهُ اذا شهد شاهدان انهما رأَيا رجلاً يقتل رجلاً آخر فشهادتهما على القاتل سهل تصديقها ولاسيما اذا كانا من العدول ولكن اذا شهدا انهما سمعا عرّافاً يقول ان زيداً سيقتل عمراً بعد ثلاثة اشهر لم تقم شهادتهما عند القضاة دليلاً على ان زيداً هو القاتل لعمرو بل ربما حسبوهما والعرّاف من شهود الزور . وكذا اذا شهدا انهما رأَيا رجلاً يمشي في الهواء ولا تمس رجلاهُ الارض وهو غير معلَّق بشيءٍ لم تصدَّق شهادتهما ولو كانا من العدول بل اذا اهتمَّ احد بالبحث عمَّا شاهداهُ وجَّه بحثهُ الى الخلل العقلي

الذي جعلهما يريان ما لم يقع للبشر وما لا ينطبق على ناموس من النواميس المعروفة بل يناقض ناموساً مقرَّراً منها او الى سبب اعتقادها انهما رأيا ما لم يرياهُ حقيقة . لانهُ قد يحدث ان يعتقد الانسان انهُ شاهد شيئاً وهو لم يشاهدهُ او سمع شيئاً وهو لم يسمعهُ. والشواهد كثيرة على ذلك لا تقع تحت حصر روى لنا استاذنا الدكتور بلس ان امرأة شهدت انها رأت في صباها رجلاً يقتل آخر وقصَّت على القضاة واقعة الحال كما شاهدتها وكانت من الفاضلات المتدينات اللواتي يركن اليهنَّ ويؤخذ بقولهنَّ لكن ظهر بعد البحث والتحقيق ان القتل المشار اليهِ حدث قبل ان ولدت وان الصور التي كانت راسخة في ذهنها كانها رأتها بعينيها انما ارتسمت في ذهنها من سماعها قصَّة ذلك القتل في صباها مرةً بعد اخرى فبقي اثرها في نفسها وصارت تعتقد انها رأت ذلك عياناً

وهكذا انباء مسز برتشل باغتيال ملك السرب قبل اغتيالهِ بنحو ثلاثة اشهر فانهُ من الامور الخارقة التي لا تصدَّق الاَّ بنقض كثير من احكام العقل المعروفة واثبات احكام اخرى لهُ لا يؤيدها شيءٌ معروف من امرهِ . ونسبة الوهم والخطإ والخداع الى الشهود اقرب الى التصديق من مناقضة احكام العقل. واقرب من هذا وذاك التعليل الذي علَّلنا بهِ هذه الحادثة وهو ان فيها خداعاً غير مقصود . ولا نرى المسترستد مصيباً في تشديدهِ النكير على جمعيَّة المباحث النفسيَّة ولكننا نخشى ان تكون حملتهُ عليها مقوضة لاركانها لاسيما وان رغبة الناس فيها تقلُّ عاماً بعد عام . والعمر لا يكفي للبحث عن الحقائق فكيف يضاع في البحث عن الاوهام

ثم ان المسترستد لام جمعية المباحث النفسيَّة على اقوال تسرَّعت فيها في كتابها الذي بعثت بهِ اليهِ ان لم يكن عندها ادلة تعتمد عليها غير ما رواهُ المسترستد كقولها ان مسز برتشل استلمت الظرف مفتوحاً فلا يبعد ان تكون رأت ما فيهِ فقد قال المسترستد ان مسز برتشل لم تفتح الظرف ولا رأت ما فيهِ وهب انها فتحتهُ ورأت ما فيهِ فاسم ملك السرب كان مكتوباً بالحروف السربيَّة وهي تجهل قراءتها

وقال ان الكلام الذي جرى عن السرب لم يكن على مسمع من مسز برتشل او انهُ لم يُقل على مسمع منها كلمة واحدة تشير الى مقتل ملك السرب . ولاشبهة في ان المسترستد صادق في قولهِ ولكن ذلك لا ينفي ان يكون غيرهُ من الحضور اخبر مسز برتشل بما كان ينويهِ البعض لملك السرب ولو عن غير قصد منهُ . او ان ذلك كلهُ كان مقصوداً حتى يعلم بهِ سفير السرب ويعلم مولاهُ فيتجنَّب الخطر قبل وقوعهِ . والله اعلم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردٌّ على انتقاد

البحث الخامس

قال حضرة المنتقد "فلا يعقل الاَّ انهم كانوا يستعملون النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والاَّ فليسوا بشراً"

لا أعلم من اين جاء حضرة المنتقد بالجزم ان الانسان لا يكون انساناً الاَّ استعمل النقود فهل استعمال النقود فصل الانسان او خاصة شاملة لازمة لهُ كالضحك بالقوة . والحقيقة انهُ خاصة غير شاملة كالكتابة بالفعل فان العربي يستطيع ان ينال كل اسباب المعيشة بدون نقود ألا ترى ان قيس بن زهير يقول

ألم يأتيك والانبـاء تنمى ... بما لاقت قلوص بني زيادِ
ومحبسها على القرشي تشرى ... بادراعٍ واسيافٍ حدادِ

وعمرو بن كلثوم التغلبي يقول

فمـا أبقت الايام ملمال عندنا ... سوى جذم اذوادٍ محذقة النسلِ
ثلاثة اثلاث فاثمانُ خيلنا ... واقواتنا وما نسوق الى القتلِ

وفي قول قيس شاهد الحصول على السلاح بدون نقود . وفي قول عمرو شاهد الحصول على الخيل والقوت بدون نقود . واذا قلنا ان الاقوات من حاجات الحياة وقد اراد بها جميع حاجات الحياة من مأكل وملبس مجازاً من باب تسمية الكل باسم الجزء كان لنا ان نقول ان العربي يمكنهُ ان يشتري سلاحهُ وجوادهُ وطعامهُ وكساءهُ فينشد قول حاتم

سأذخر من مالي دلاصاً وسابحاً ... واسمر خطياً وعضباً مهنّدا

وذلك يكفيني من المال كلهِ مصونًا اذا ما كان عندي متلدا

ولا يخرج عن كونهِ بشرًا بل يكون كما مرَّ سابقًا جوادًا عزيز الجانب شاعرًا بليغ الاقوال خطيبًا نفيس المعاني

ومما اوردتهُ هنا يظهر جليًّا وجوب ادراج ما ادرجتهُ عن استعمال النقود لئلا يقال انني ادعي ضمنًا ان العرب كانوا لا يتداولونها باثباتي الشاهدَين الماريّ الذكر الاول في بحث الاتجار والثاني في بحث القيام على الماشية

البحث السادس

قال حضرة المنتقد "اما استعمال الوزن للنقود والفضة والذهب فان قام دليلاً فهو دليل على ضعف العمران"

اجيب (اولاً) اعجب من قول حضرة المنتقد ان وزن النقود دليل ضعف العمران فها نحن في عصر نقول ان عمرانهُ بالغ من الارتقاء ما لم يكن في العصور الماضية وموازين النقود عندنا متنوعة افيعدها دليل ضعف العمران فلا اشك ان قولهُ السابق كان وهم خاطر

بل انني لا اشك ان حضرتهُ بعد التروي يجزم بان استعمال الموازين للنقود من ادلة ارتقاء العمران . (ثانيًا) يزعم "ان استعمال الذهب والفضة وزنًا دليل ضعف العمران" و يسلم بان "اول من ضرب النقود في مصر المرزبان اريندس الذي ولي مصر من قبل كمبيس" فهل فاتهُ ان كمبيس "ملك من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٢ ق . م"(١) وان عمران مصر وقتئذٍ كان قد دخل في دور الذبول فاستعمال النقود اذن لم يكن في ارقى دور من عمران مصر بل جاء في دور الانحطاط فلا يكون دليل عظمة العمران بل دليل ضعفهِ وهذه النتيجة لا اقول بها ولكنني اقول انها مستخرجة من كلام حضرة المنتقد

ثم سلَّم "ان اليهود ضربوا النقود اما في زمن عزرا او في زمن سمعان المكابي" فاقول ان زمن سليمان كان ارقى من هذين الزمنين اذن ينتج ان النقود لم تستعمل في الزمن الارقى عمرانًا فكيف يعد "استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران"

ثم اننا لو سلمنا لهُ ان "نقود الاسكندر المكدوني اجمل من النقود التي تصك الآن" لكان ذلك حجة على فساد الادعاء بان "استعمال وزن النقود دليل ضعف العمران" وذلك لان النقود وقتئذٍ مع كونها اجمل من نقود عصرنا هذا لم تحل دون استعمال الوزن حتى ان يهوذا الاسخريوطي تناول ثمن المسيح وزنًا على القول الصحيح . وهنا نرجوهُ ان يفيدنا كيف يوفق بين

(١) في الصفحة ١١٥٧ من كتاب النهج القويم

القول بسمو عمران ذاك العهد لان نقوده كانت اجمل من النقود التي تصك الآن والقول بضعف عمران ذاك العهد بعينهِ لانهُ كان يتعامل بالذهب والفضة وزنًا وهذا التعامل " دليل ضعف العمران " ولي حجة عليهِ اوردها وهي " ان في ايام خلافة المامون زهت العلوم واينعت حدائق المعارف فبعث العلماءَ الى الاقطار وجمع من كتب اليونان كل ما طالت يدهُ اليهِ ثم استخلص نقاوتها وامر بترجمتها وتوزيعهِ على اهل بلادهِ . . . وقال آخرون انهُ بذل الى ثاوفيلوس قيصر القسطنطينيَّة مئة وزنة من الذهب على ان يبعث اليهِ بلاون الرياضي (٢) "

فاننا نجد في هذا القول دليلاً على استعمال الذهب وزنًا في عصر المامون ازهى العصور الاسلامية وكفى بهِ دليلاً على فساد القول "بان استعمال الذهب وزنًا دليل ضعف العمران"

البحث السابع

قال حضرة المنتقد " ولقد احسن في ما جمعهُ من الابيات التي توصف بها ملابس العرب رجالاً ونساءً ولكن كل ما ذكرهُ . . . لا يدل على ان العرب كانوا في عصر الجاهلية ارقى عمرانًا من الاحباش او السودان اليوم "

اجيب : ابنتُ تفنن العرب في نسيج ملابسهم واتخاذ بعضها من الغالي الثمن وفي ذلك دليل على البراعة في الصناعة والسعة في الغنى وهما من ادلة العمران ولم اتخذهما وحدهما دليل عمران الامة العربيَّة بل اضفت هذين الدليلين على ما سبقهما واتبعتهما بادلة اخرى . فليتمهل حضرة المنتقد في حكمهِ بمنزلة عمران العرب حتى يفرغ من مطالعة جميع ادلتهِ فان الفاضل والمفضول قد يجوز تساويهما في امور مشتركة بين الفريقين ولا يحول هذا الاستواء دون فضل الفاضل

البحث الثامن

قال حضرة المنتقد " وكان ملوك الامم يلبسون تيجان الذهب من قبل ايام سليمان . . . فاذا لبسها ملوك العرب بعد المسيح بقرون كثيرة فليس لذلك شأن يذكر "

اجيب : اذا كان سليمان لبس تاج ذهب فلا يدلُّ ذلك على ان ملوك العرب لبسوا التيجان الذهبيَّة فكان ما اوردتهُ من هذا القبيل لمجرد اثبات حقيقة ولو لم اثبت ذلك لكان مجال لاحتمال احد امرين اما القصور في البحث او ان ملوك العرب كانوا لا يلبسون تيجانًا

البحث التاسع

قال حضرة المنتقد " الاستدلال على عمران العرب بابيات يقال فيها انهم يا كلون

(٢) الفصل الرابع من المقالة العاشرة من كتاب صناجة الطرب

ويشربون ويلبسون ويبيعون ويشترون مثل سائر الناس ليس فيهِ شيءٌ من التنويه بقدرهم"

اجيب : ان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليشترون فقط أعترِضُ على اطلاقهِ يأكلون فان من المآكل ما يدل على المدنية كأكل الكلاب والجرذان والقطط الخ وان كان قولهُ "مثل سائر الناس" توجيهاً ليأكلون وما يتلو فهو توجيه فاسدٌ فقد اوردتُ ان معاطاة الشراب كان لهُ عند العرب اعتبار خاص فهم لا يشربون "مثل سائر الناس"

وبما ان الاعتراض عليَّ غير مستقيم التوجيه ولا الاطلاق ارجو المنتقد ان يتكرم بإحكام توجيههِ او اطلاقهِ ليصح لهُ انتاج ما انتجهُ

وفي ختام الردّ اشكر فضل حضرة المنتقد على ما تحرَّاهُ من الالماع الى وعوثة الطريق التي سلكتُ فيها شكرًا اسطرهُ من صميم الفؤاد امين ظاهر خير الله

التاز

بنوهُ على تلك اللحاظ الفواتكِ وصاغوهُ من نور الثغور الضواحكِ
فأمسى كمرآة السماء على الدجى وانجمها في شعرهِ "كالمشابكِ"
وأصبح يحكي اعين الروض نضرةً وفيها الندى مثل الدموع السوافكِ
ومنذ طوَوْا فيهِ شبابكِ لم يزل تلوح عليهِ مسحة من شبابكِ
بناهُ لكِ الباني فلم يلبث الهوى ان اقتادهُ حتى ثوى في جواركِ
سليهِ أهذا قلبهُ صار مدفنًا وقبركِ في السوداء ام غير ذلكِ
وتلك لآلٍ ام امانيُّهُ نفسهِ وذاك ظلام ام هموم المهالكِ
سليهِ فلو هشَّت عظامكِ نحوهُ لردت اليهِ روحهُ من سؤالكِ
وضعتِ ببناهُ فؤادًا فلم يجد سوى ملكهِ من حلية لشمالكِ
ونزّهتِ عن شركِ المحاسن فاغتدى لاجلك في الاحسان غير مشاركِ
فلا ما بنى كسرى ولا قصر جعفر ولا قصر غمدان ولا للبرامكِ (١)
كأني ارى افقًا تجلَّت نجومهُ كانك فيهِ بعض تلك الملائكِ

(١) ما بناهُ كسرى هو الايوان المشهور وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماهُ الجعفري وللبحتري اشعار في وصفهِ وغمدان بالضم قصر باليمن قال المجد : بناهُ يشرخ بأربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخلهُ قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعًا والبرامك هم البرامكة المشهورون

كأن قلوبًا في جمالك احرقت فذوَّبها الصيَّاغ بين السبائكِ
كأن اللآلي المشبهات أزاهرًا فرائدها بعض الدموع الشوابكِ
كأن ظلام القبر في لمعانها شعور الغواني بين حالٍ وحالكِ
كأن سناك في دياجيهِ نيةٌ تردد في قلب طهورٍ مباركِ
كأني أرى تلك المآذن ايديًا تشير الى الأفلاك أنكِ هنالكِ
بدائعُ نالت من يراعي ولم يكن يراع يباريهِ بهذي المسالكِ
أفضنَ على قلبي الجلالة والتقى فاصبحت منها بين ناسٍ وناسكِ
وان بناني للفؤَاد سنابك فأطلق جوادي ينطلقْ بالسنابكِ

طنطا مصطفى صادق الرافعي

الدرجة والميل

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قلتم في مقتطفكم الزاهر في الجزء الخامس من هذه السنة في باب المسائل ان طول الدرجة الارضية ٦٦ ميلاً مع ان المشهور ان الدرجة ٦٠ ميلاً فقط وربما استعملتم الميل العادي الانكليزي الذي طولهُ ١٧٠٠ يرد فهو اولاً لا ينطبق على الدرجة تمامًا وثانيًا يوجد انواع كثيرة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص بالميل فاي نوع منها عنيتم وثالثًا انهُ يوجد ميل لقياس واحد مخصوص عند كل علماء الارض وهو الميل الجغرافي اي واحد من ستين من الدرجة الارضية وانتم الآن تتكلمون عن الدرجة الارضية فكيف استعملتم غيرهُ دون تعيينهِ والميل الجغرافي واحد عند الجميع بيروت احد المشتركين

[المقتطف] لقد اصبتم في قولكم انهُ توجد انواع مختلفة من الميل ولكل دولة قياس مخصوص ولكنكم اخطأْتم في ان الميل الجغرافي واحد عند الجميع فان الميل الجغرافي عند الالمانيين $\frac{1}{15}$ من الدرجة فهو اربعة اميال من الاميال الجغرافية الانكليزية . واذا كان طول الدرجة ستين ميلاً عند خط الاستواء فلا يكون طولها كذلك في عرض مصر . واذا اعدتم نظركم على الجواب الذي تشيرون اليهِ وجدتم اننا لم نقصد هناك تحقيق طول الميل بل الارشاد الى الطريقة التي جرى عليها القدماء لقياس الارض . وحيث ان القدماء الذين قاسوا محيط الارض قالوا ان طول الدرجة بين الاسكندرية واصوان ٦٦ ميلاً (وقد ارادوا بذلك الميل الروماني وهو ٥٠٠٠ قدم رومانية او نحو ٤٨٥٠ قدمًا انكليزية) فجاريناهم في

ذلك لاظهار الطريقة التي جروا عليها في قياس محيط الارض . ومعلوم انهم لم يدققوا في قياس الدرجة ولا في قياس الارض ولذلك قلنا انهم استطاعوا ان يعرفوا محيط الارض بالتقريب من قياس مثل هذا . اما لوكان المراد الكلام على الميل الجغرافي او البحري لقلنا ان الدرجة على خط الاستواء ستون ميلاً ولكن هذا الميل يكون اطول من الميل الروماني الذي كان مستعملاً عند الاقدمين بنحو ١٢٠٠ قدم

اصلاح وهم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم قصيدة بليغة للشاعر الفاضل نقولا افندي رزق الله قال فيها ان الملكة دراجا كانت خادماً وانهُ نما في البلاد حزب انوف لم يشأ ان يسوّد الخدماء . واني اضن بالمقتطف ان يثبت قضية تاريخية على غير وجهها فاولاً ان مدام دراجا مشين التي اقترن بها ملك السرب لم تكن خادماً بل كانت عند امهِ وهي ملكة السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيهِ لما كان ملك السرب . والمنصب الذي كانت فيهِ لا تترفع عليهِ ابنة اكبر قائد او اكبر وزير عند ملكة بلادها . ونسب الملك اسكندر ليس ارفع من نسب الملكة دراجا . وثانياً ان الحزب الذي اغتالها لم ينقم عليها لان نسبها احط من نسب زوجها بل لاغراض سياسيَّة اشار اليها المقتطف

مصر احد القراء



غلة القمح ومستقبلهُ

لما وقف السر وليم كروكس خطيباً في مجمع العلوم البريطاني منذ خمس سنوات اشار الى ان عدد الذين يأكلون القمح يزيد سنة بعد سنة زيادة بالغة ولكن مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً الآن والتي يمكن ان تزرع في المستقبل لا تزيد على هذه النسبة فلا بدَّ من ان يقلَّ القمح في المستقبل القريب عن حاجة الناس فيغلو ثمنهُ جدًّا او تستعمل واسطة لزيادة غلتهِ وقال ان هذه الواسطة معروفة وهي تسميد الارض بسماد نيتروجي واشار بطريقة كيماوية اكتشفها لعمل هذا السماد

وقد اخذت الدلائل تدلُّ على تحقيق ما انبأ بهِ ولو لم يكن بالسرعة التي ذكرها فغلا ثمن

الحبوب رويدًا رويدًا ولاسيما القمح ويخشى الآن ان لا تكفي غلة هذا العام الناس الذين يعتمدون على القمح في طعامهم فقد كان متوسط غلة القمح في اوربا كلها سنة ١٨٩٨و١٨٩٩ و١٩٠٠ و١٩٠١ نحو ١٦٣ مليون كوارتر او نحو ٢٨٨ مليون اردب لان الكوارتر نحو اردب ونصف ٠وكانت غلة العام الماضي ٢١٣ مليون كوارتر وهي تفوق المعتاد وتفوق متوسط السنوات الاربع السابقة ومع ذلك لم تهبط الاسعار كثيرًا ولا زاد القمح في الاسواق والمخازن بل كان في اول اغسطس هذا العام اقل مما كان في اول اغسطس في العام الماضي بنحو خمسين الف كوارتر كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩٠٣		١٩٠٢	
المشحون لاوربا	٣٠٦٥٠٠٠	كوارتر	٢٩٤٥٠٠٠	كوارتر
المخزون فيها	٢٩١٥٠٠٠	"	٢٣١٠٠٠٠	"
المنتظر من اميركا	٢٩٠٠٠٠٠	"	٤٢٢٥٠٠٠	"
" من الارجنتين	٠٢٥٠٠٠٠	"	٠١٦٠٠٠٠	"
والجملة	٩١٣٠٠٠٠	"	٩٦٤٠٠٠٠	"

وقد بلغت غلة القمح في الدنيا كلها في العام الماضي ٣٧٥ مليون كوارتر ولا ينتظر ان تبلغ ذلك هذا العام ومن المؤكد انها لا تفوقهُ فاذا بلغتهُ وكان الموجود من الحنطة الآن في مخازن اوربا والمشحون اليها على الطريق والمنتظر ان يرد اليها من اميركا كل ذلك ينقص ٥٠٠٠٠٠ كوارتر عما كان في الصيف الماضي فكيف يكون حال اوربا في العام المقبل وقد قلّت المتأخّرات وزد السكان . وقد قدَّر بعضهم ان الممالك السبع الكبيرة في اوربا تحتاج في السنة الى ١٩٥ مليون كوارتر هكذا

بريطانيا	٣٠٠٠٠٠٠٠	كوارتر
فرنسا	٤٣٠٠٠٠٠٠	"
ايطاليا	٢١٠٠٠٠٠٠	"
النمسا والمجر	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
روسيا	٤٢٠٠٠٠٠٠	"
المانيا	٢٢٠٠٠٠٠٠	"
اسبانيا	١٥٠٠٠٠٠٠	"
والجملة	١٩٥٠٠٠٠٠٠	

او نحو ٢٩٣ مليون اردب فاذا اضفنا الى ذلك الممالك الصغيرة كبلجكا وهولندا نقصت غلَّة اوربا عن احتياج اهلها نحو ٢٤ مليون كوارتر او ٣٦ مليون اردب او نحو ثلاثة اضعاف غلة القطر المصري من القمح وسائر الحبوب وجب ان تجلبها من اسيا واميركا واستراليا

ويقول الناظرون الى المستقبل بعين الرضى والاطمئنان انهُ اذا غلا القمح وجد الناس حقولاً جديدة لزرعهِ فيها في سهول اميركا ورحاب السودان وفاتهم انهُ اذا وجدت الارض الصالحة لزرع القمح لا توجد ادوات الزراعة وسائر معداتها سريعاً ولا وسائل النقل الرخيص فالاماكن التي تجود فيها الحنطة وهي قريبة من مراكز العمران واسباب الزراعة ميسورة فيها لا يترك منها الآن شبر من غير زرع واما الاماكن القاصية فاذا عمرت حتى كثر الفلاحون فيها وكثرت وسائل النقل ورخصت فالقمح الذي يزرعهُ سكانها يأكلونهُ وما يزيد عنهم لا يكون كثيرًا يفي بحاجة البلدان القديمة . وزد على ذلك ان الاجور في البلاد الجديدة تكون اغلى من الاجور في البلدان القديمة والاَّ ما اهتمَّ الناس بالمهاجرة اليها ولا يوافقهم زرع الكثير من القمح لتصديرهِ الاَّ اذا كان غاليًا جدًّا فاذا رخص لم يعودوا يكثرون من زرعهِ

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الامر نرى مستقبل القمح مكفولاً في هذا القطر اذا اعتني بزرعهِ وانتقاء تقاويهِ الاعتناء الواجب فان الفدان الذي يجود قمحهُ لا تقل غلتهُ عن ثمانية ارادب الى عشرة ويبلغ تبنها ١٦ حملاً الى ٢٠ فيبلغ ايراد الفدان المزروع قمحًا على حسب اسعار القمح والتبن الحاضرة نحو ١٦ جنيهاً ويمكن زرع القمح في ميلوني فدان كل سنة في هذا القطر فيبلغ ايرادها منهُ نحو ثلاثين مليون جنيه اي نحو مضاعف ايراد القطن . وهب ان سعر التبن هبط فبلغ ثمن الحمل نصف ما هو الآن يبقى ايراد زراعة القمح نحو ٢٤ مليون جنيه في السنة هذا اذا اعتني الاعتناء الواجب بالزرع وانتقاء التقاوي . واذا زاد المحصول عن مقطوعية البلاد فلا خوف من كساد سوق القمح في اوربا الاَّ اذا اخطأَت كل التقادير التي يعوَّل عليها

الفول السوداني

زراعتهُ وتحقيقات مفيدة فيهِ من مقالة للعالم وليم فريزن في مجلة الزراعة في الهند الغربية وقد اضفنا اليها عبارات وضعناها بين قوسين اتمامًا للفائدة

زراعتهُ

الارض — تجود زراعة الفول السوداني في الاراضي الخفيفة المحروثة جيداً ولا بدَّ من ان يكون فيها شيء من الجير . واذا كان لون الارض فاتحًا اي ضاربًا الى البياض كان لون

الفول ضاربًا الى البياض ايضاً . وهذا يفضل على غيرهِ في التصدير وثمنهُ اغلى من ثمن الفول الاسمر الذي يزرع في الارض السوداء او الشديدة السمرة

إعداد الارض — تحرث الارض وتنعَّم جيداً الى عمق نصف قدم قبل فصل المطر وتسمد بالسباخ البلدي إما قبل زرع الفول السوداني فيها او في زمن الزراعة التي تسبق زراعتهُ

زمن الزرع — قبل دخول فصل الشتاء لان الفول السوداني لا ينبت ما لم تكن الارض رطبة

الزرع — يقشَّر الفول ويزرع في خطوط البعد بينهما من قدم الى ثلاث ويجعل عمقها ثلاث عقد تحت الارض . وبعض الزارعين يبلُّ الفول نحو ساعتين قبل زرعهِ . وتداس الارض فوق البزر ثم يوضع عليها قليل من التراب المحلول . (ولا يقشر في القطر المصري ولا يبل الاَّ اذا كانت الارض جافة)

الاعتناء بعد الزرع — لا يحتاج الفول السوداني الى عناية خصوصية غير طرد الطيور عنهُ لئلاَّ تأكلهُ حالما ينبت واستئصال الاعشاب التي تنبت بينهُ

زمن البلوغ — يبلغ الفول السوداني في جزائر الهند الغربية في اربعة اشهر الى ستة . وبعض الانواع الاميركية تبلغ في ثلاثة اشهر

الجمع — يجمع الفول السوداني بقلعهِ من الارض وينقى الفول منهُ باليد . وهذه الطريقة متعبة ولكنها تسهل اذا اعتمد على نوع من النبات يحمل فولهُ كلهُ في مكان واحد تحت اصلهِ

مقدار الغلة — مقدار غلة الفدان في جزائر بربادوز عشرون قنطارًا مصريًّا وقد يبلغ اربعين قنطارًا . ومقدار الغلة في الولايات المتحدة الاميركية من عشرة قناطير الى عشرين قنطارًا ومقدار الغلة في السنيغال حيث يعتمد على الحرث بالمحراث من ٢٧ قنطارًا الى ٦١ قنطارًا (وتبلغ الغلة في القطر المصري عشرين اردبًّا)

اكلاف الزرع —

الحرث	٢٥ غرشًا
العزيق	١٠ غروش
الزرع باليد	٢٠ غرشًا
التعشيب	١٧ "
الجمع	٧٥ "
	١٤٧ "

فاذا كانت الغلة ثلاثين قنطارًا وبيع القنطار منها بثلاثين غرشًا بلغت غلة الفدان تسعة

جنيهات تدفع منها اجرة الارض واكلاف الزرع فيبقى ربح كافٍ عدا ثمن اوراق النبات التي تؤكل علفاً

استعمالهُ

يؤكل الفول السوداني محمصاً ويستعمل لصنع الحلويات ويعصر الزيت الطيب منهُ فان زيتهُ كثير يبلغ ٣٠ الى ٥٠ في المئة من وزنهِ . وطعمهُ طيب ورائحتهُ حسنة وهو كثير الشبه بزيت الزيتون وزيت القطن . والانواع الجيدة منهُ المستخرجة على البارد تستعمل للطبخ ويعسر تمييزها عن زيت الزيتون والانواع الدنيا تستعمل لطبخ الصابون ولتزييت الآلات . وقد ورد الى مرسيليا ١٠٤٥٤٢ طنًّا من الفول السوداني سنة ١٩٠٠ واكثرها لطبخ الصابون ولاستخراج الزيت الطيب واكثرها من الاملاك الفرنسوية والانكليزية في غربي افريقية وقليل منها من الهند ويستعمل هذا الزيت للاضاءة ايضاً لكن نورهُ غير ساطع

وكسب الفول السوداني بعد عصر الزيت منهُ غنيٌّ بالمواد الهيدروكربونية والنيتروجينية وفيهِ كثير من الدهن وهو يحتوي على ٥٢ في المئة من المواد المكونة للحم (البروتيين) و٨ في المئة من الدهن و٢٧ في المئة من الكربوهيدرات فهو من اقوى انواع الغذاء المعروفة يشبه كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او يفوقهما غذاء

وجرّبت التجارب في بلاد الانكليز لمعرفة فائدة كسب الفول السوداني علفاً للمواشي فوجد انهُ مثل الفول تماماً وجرَّبهُ الدكتور روبرتصن في بلاد الهند علفاً للخيل والبقر والخنازير الخ فكان يطعم الثور الشغَّال اربعة ارطال من الكسب مع الدريس فتحفظ صحتهُ وقوتهُ . اما اذا اريد تسمين المواشي فلا علف اجود منهُ لذلك ويأتي لحمها جيداً جداً وكذلك لا اجود منهُ للبقر الحلَّابة فانهُ يزيد لبنها ويجيدهُ فيمزج ستة ارطال منهُ برطلين او ثلاثة من الرضَّة (النخالة) ويجبل مزيجهما بالماء . وقد علف البقر بهذا العلف سنوات عديدة فبقيت على تمام الصحَّة وبقي لبنها غزيراً . وهذا الكسب جيد للغنم ايضاً وهو اجود علف لها وكان يطعمها اياهُ مدقوقاً جافًّا

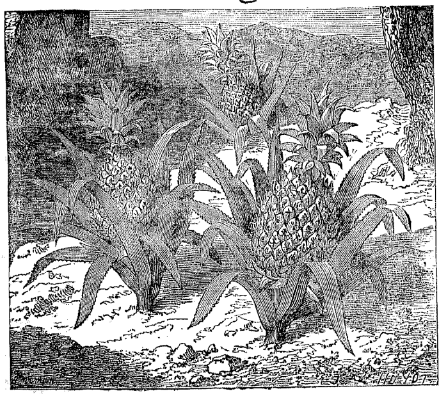
وورق نبات الفول السوداني علف جيد للمواشي واهالي الولايات المتحدة يحسبونهُ نافعاً جداً لها ولاسيما اذا بقي معهُ شيء من البزر . وقشر الفول السوداني يغذي ايضاً اكثر من قشر بزر القطن

وثمن الطن من الفول السوداني في بلاد الانكليز من تسعة جنيهات الى ١٧ جنيهاً حسب نظافتهِ وجودتهِ وحسن انتقائهِ وجفافهِ وبياض لونهِ . ويسهل قصرهُ حتى يبيضَّ لونهُ هكذا وهي

مثل طريقة الاستاذ هلفارد المستعملة في كليفورنيا يذاب ٦ ارطال من مسحوق القصارين و١٢ رطلاً من كربونات الصودا في ٥٠ جالونًا من الماء ويوضع الفول السوداني في هذا السائل خمس دقائق ثم ينزع منهُ ويغسل جيدًا ويوضع في مغطس آخر فيهِ ٦ اواقي من الحامض الكبريتوس في جالونين من الماء وتترك فيهِ خمس دقائق ثم تنزع منهُ وتغسل جيدًا وتفرش في الشمس حتى تجف ويتم قصرها في ربع ساعة فيزهو لونها وتنظف ولا يتغير طعمها ولا رائحتها واذا زرعت تنبت مثل غيرها دلالة على ان المواد الكيماوية لم تؤثر في لبها بل اثَّرت في القشر فقط

وسيأتي الكلام على كيفية زرع الفول السوداني في هذا القطر

زرع الاناناس



وصف بعضهم كيفية زرع الاناناس في البلاد التي يكثر زرعهُ فيها وهو نفسهُ من الذين يكثرون من زرعهِ فبنينا على كلامهِ السطور التالية

اهم ما يحتاج اليهِ الاناناس لخصبهِ ان تكون الارض خفيفة محلولة جافة وهو يجود فيها ولو كانت افقر من ان يجود فيها نبات آخر سواهُ بشرط ان يعتنى بها وتسمد جيدًا واهم شرط لصلاحية الارض ان تكون خفيفة محلولة مثل الاراضي الرملية الجبليَّة في هذا القطر لكي يسهل على جذيرات الفسائل ان تسري فيها

ولا بدَّ من ان تنقَّى الارض من كل ما فيها من الجذور وتحرث وينعَّم ترابها جيدًا وان تكون مصارفها مستوفاة حتى لا تبقى فيها اقل رطوبة لان نبات الاناناس لا يحتمل الرطوبة ولذلك تحفر فيها المصارف الضيقة قريبة بعضها من بعض حتى لا يكون بين المصرف والمصرف اكثر من عشرين قدمًا الى اربعين وتقطع بين المصارف ترابيع طول التربيعة منها ١٢ قدمًا وعرضها ١٠ اقدام تفصلها مماشٍ عرضها اربع اقدام

ويزرع الاناناس من الفسائل او الجذور التي تفرخ او الفروع او القرم او البزور واجودها الفروع او الفسائل التي تنبت من باطن الورق واكثر الاعتماد عليها فانها تنزع من امها وتزرع. واذا بلغ الاناناس وقطع نبت نبات جديد من جذورهِ مكانهُ فيُعتنى بهِ ويتجدد الزرع منهُ واذا نبت فرخان معًا ينزع احدهما ويزرع في مكان آخر

وبعض انواع الاناناس تفرخ فروخًا من اسفلها كالنخل وهي فسائل ايضًا فتنزع وتزرع لكنها بطيئة النمو. والذين يعتنون بزراعتهم لا يتركون هذه الفروخ حتى تكبر بل ينزعونها ويطرحونها حالما تظهر. اما القرمة فهي حزمة الاوراق التي تكون في اعلى ثمر الاناناس وهي تترك على الثمر في مزارع الاناناس لا تنزع منهُ لتزرع الاَّ اذا فسد الثمر او اكلتهُ الجرذان. ويحسن الاعتماد عليها في هذا القطر للابتداء بزرع الاناناس فيهِ ولو كان نموها بطيئًا

والبزور قليلة في الاناناس لا تتولَّد الاَّ في بعض انواعهِ

كيفية زرعهِ — تعدُّ الارض جيدًا ويؤْتى بالفسائل او الجذور المفرخة ويجب ان يكون طولها قدمًا او اكثر وان تختار من نبات جيد يحمل ثمرًا وتزرع ويجعل البعد بينها قدمين ويضغط التراب حولها ولا بدَّ من قص الاوراق السفلى من الفسيلة وبري الطرف المكسور بسكين ماضية حتى تندمل سريعًا

الاعتناء بهِ — يستدعي الاناناس عناية كثيرة لان الاعشاب تخنقهُ وتميتهُ ولا يستطيع مغالبتها كانهُ من اولاد الكبراء. واذا كانت الارض فقيرة يضاف اليها سماد جيد من البوتاس ومسحوق العظام او ما يماثل ذلك واما اذا كانت جيدة فلا داعي لتسميدها بل قد يضرُّ السماد بها فقد قال الكاتب ان ارض جمايكا لا تحتاج الى سماد بل يضرُّ السماد بها ولكن يبعد ان يبقى خصبها على درجة واحدة اذا تكرَّرت زراعة الاناناس فيها سنة بعد سنة

القطاف — يقطف الاناناس حينما يتم نموهُ ويبلغ حدهُ ولا يقطف قبل ذلك والاَّ فسد قبلما ينضج واذا نضج لم يكن طيب الطعم. ويترك مع الثمر قدر عقدة من الاصل ويعلق بها ٢٤ ساعة او اكثر حتى يجف ويصير معدًّا للتصدير. وحينما يصدَّر الثمر يلف بشيءٍ حتى لا

يترضَّض والغالب ان يلف بالتبن او القش و يرد كذلك الى هذا القطر من جهات الهند

الزراعة والميكروبات

من مقالة في مجلة العلم العام للدكتور شنيدر من اساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة

زُرعت الارض منذ الوف من السنين وحاول ارباب الزراعة من اول عهدهم ان يستغلوا منها اكثر ما يمكن من الغلة بأقل ما يمكن من التعب لكن لم يجرِ ذلك على طريقة علمية الاَّ منذ عهد قريب · والآن قد استعملت الاساليب العلمية التي تزيد خصب الارض وتجيد ما يستغل منها وما يرتبط بهِ من تربية الاشجار والمواشي وما اشبه ويظهر انهُ سيكون لعلم الميكروبات شأن كبير في ذلك

ومن بعض الميكروبات فائدة كبيرة للزراعة ومن بعضها ضرر كبير وسيكون الشغل الاكبر لارباب الزراعة استخدام الميكروبات النافعة واستئصال الميكروبات الضارة · ومن اهم هذه الميكروبات مايوجد منها في جذور القطاني كالفول والعدس ولست اخوض في تاريخ اكتشافها وفعلها في النبات الذي توجد فيهِ بل اقتصر على ذكر ما فعلهُ البعض للانتفاع بهذه الاحياء وما يمكن ان تؤَدي اليهِ في المستقبل

فقد ثبت بالامتحان ان هذه الميكروبات تستطيع اخذ النيتروجين من الهواء وتمثيلهُ للنبات حتى يغتذي بهِ ولولا ذلك ما استطاع ان يأخذهُ من الهواء مباشرة وبعضها يعيش في جسم النبات نفسهِ كميكروب القطاني (ريزوبيا) الذي يعيش في عقد جذور الفول وهو يأخذ النيتروجين ويصنع منهُ مركبات يسهل على النبات الاغتذاء بها فكأنهُ يقيم في جذورهِ لاجل تغذيتهِ . وبعضها يعيش في التراب الذي حول جذور النبات كالذرة والقمح ويركب المركبات من النيتروجين ويبثها في الارض حول الجذور لتغتذي منها

لما ثبت ذلك جعل علماء الزراعة يجربون التجارب الكثيرة لاضافة الميكروبات النافعة الى التقاوي او لتطعيم الارض بها فتكللت بعض تجاربهم بالنجاح وسمي الطعم الذي تطعَّم بهِ الارض ليكثر فيها الميكروب الذي تستفيد منهُ القطاني بالنيتراجين الاَّ ان الذين امتحنوهُ لم يجمعوا على فائدتهِ دائمًا وبعضهم يقول انهُ يفيد كثيرًا في الارض البكر التي لم تزرع قبلاً واما في الاراضي الزراعية الجيدة ففائدتهُ قليلة · والظاهر انهُ ثبت الآن ان الارض التي زرعت فيها المزروعات القرنية كالفول واللوبياء والبرسيم يكون فيها ما يكفيها من ميكروبها فلا يزيد خصبها باضافة النيتراجين اليها واما الارض التي لم تزرع فيها هذه المزروعات

فالمرجح انها تستفيد كثيرًا من اضافة النيتراجين اليها. ثم انهُ اكتشف ميكروب ينمو حول جذور النباتات ذوات الحبوب كالذرة والقمح ويأخذ النيتروجين من الهواء ويركب منهُ مركبات يسهل على جذور النبات الاغتذاء بها ولا يزال العلماء يمتحنون فعل الميكروبات في خصب المزروعات

....

اصلاح الجنائن

اهدى الينا احد الفضلاء بالامس قفصًا من الفاكهة فيهِ عنب اسود كبير الثمر مستديرهُ رقيق القشر صغير العجم كلهُ ربٌّ وسكَّر ما عهدنا عنبًا مثلهُ في هذا القطر. وفيهِ ايضًا اربعة اشكال من المنجو الاول كبير الثمر جدًّا يبلغ طول الثمرة منهُ ١٢ سنتمترًا وعرضها تسعة والثاني صغير الثمر جدًّا طول الثمرة منهُ نحو سبعة سنتمترات وعرضها نحو خمسة والثالث متوسط بينهما والرابع طويل اعقف من طرفيهِ الى جهتين متخالفتين كعلامة المدة التي توضع فوق الالف وهو طويل كالاول لكنهُ دقيق لا يزيد عرضهُ على خمسة سنتمترات او ستة. والظاهر ان زراعة المنجو اتسعت جدًّا فقد رأيناهُ يباع في اكثر المحطات من العاصمة الى دمياط

ومن انواع الفاكهة التي انتشرت زراعتها وجاد نوعها الخوخ (الدراقن) فقد رأينا منهُ نوعًا كبير الثمر خاليًا جلدهُ من الزغب لا يكاد يفرق عن الخوخ الجيد الذي ينبت في سواحل الشام

واعتنى البعض بجلب اشكال التين الشامي وزرعها من الابيض والاحمر والاسود فجادت كلها وذقنا ثمرها فوجدناهُ على لذتهِ المعهودة في بلاد الشام

واعتني كثيرون بزرع البطيخ من تقاوي البطيخ اليافاوي فجاء البطيخ عندهم جميل المنظر طيب الطعم يقارب البطيخ اليافاوي في اكثر خواصهِ

وكثر زرع الشليك (الفرولة) حتى رخص ثمنهُ جدًّا وصار ربَّات البيوت يشترينهُ بمقادير كبيرة لعمل المربَّى

اضف الى ذلك ما بُذل عن العناية في انواع اصلاح البرتقال واليوسف افندي والموز والشمام تجد ان الفاكهة قد كثرت انواعها وجادت جدًّا بالنسبة الى ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات

لكن من يمعن نظرهُ في الجنائن في هذا القطر والقطر الشامي يجد ان اصحابها لم يهتدوا بعد الى الطريقة التي تكثر بها الاثمار وتجود وتزيد غلَّة الارض ولو كانت ضيقة وذلك بتصغير الاشجار وتكثير ثمرها فان احد نابغي الانكليز انتبه وهو ولد صغير الى ان الاشجار التي تقلع لتباع ثم يرفض المشترون ابتياعها لصغرها فتردُّ الى البستان وتقلع في وقت آخر لتباع فلا يشتريها

المشترون اصغرها ايضاً—هذه الاشجار يكثر ثمرها ويصير اطيب من غيرهِ ولو بقي جرم الشجرة صغيرًا فخطر لهُ ان قلع الاشجار وزرعها مرةً كل سنة او سنتين يسقم بدنها ولكنهُ يجيد ثمرها فجرَّب ذلك فوجد ان استنتاجهُ صحيح فجعل يعامل اشجار جنائنهِ على هذه الطريقة يقتلعها من مكانها ويزرعها في مكان آخر مرةً كل سنتين فتبقى جدورها قرب سطح الارض ولا تكبر بل تبقى كالانجم . وقد سهل عليهِ ان يزرع في الفدان الواحد خمس مئة شجرة من شجر التفاح وبقي بينها فسحة تسع سبع مئة شجرة من اشجار اخرى من نوع آخر وكان يحرثها حرثاً عادياً وينزع الاعشاب من تحتها حتى تبقى ارضها نظيفة دائماً ويقضب الاغصان حتى تبقى قصيرة ويبقى شكل الاشجار هرمياً او منبسطاً فصار يجني من الفدان مضاعف ما يجنيهِ منهُ لو كانت اشجارهُ كبيرة . فعسى ان ينتبه اصحاب الجنائن الى ذلك ويجربوهُ فان فائدتهُ محققة

الخضر في غير اوانها

خذ الباميا او اللوبياء او الخرشوف وما شاكلها وضعها في اناء فيهِ ماء سخن قارب الغليان وضع فيهِ قليلاً من ملح الطعام حتى يملح الماء قليلاً وسد الاناء سداً محكماً حتى اذا جاء الفصل الذي لا ينبت فيهِ ذلك الصنف فتحت الاناء وطبخت خضرة قلما تفرق عنها في اوانها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الحميات

الحمَّى التيفويدية

تمريض المصابين بالحمى الملارية امرٌ سهل جدًّا اذا روعيت قوانين الهيجين وقوانين التمريض الاعتيادية ولكن تمريض المصابين بالحمى التيفويدية ليس بالامر السهل . والواقع ان حياة المريض بالتيفويد تتوقف على حسن العناية بالتمريض اكثر منهُ في سائر الامراض حتى ذات الرئة ما عدا الدفتيريا

واذا كانت الاصابة خفيفة استمرت الحمى ٣ اسابيع عادة ولكنها قد تستمر ٦ اسابيع الى ٣ اشهر والطبيب والدواء يعجزان عن شفاء المرض او توقيفهِ ولكن الاعتناء وحسن التمريض يحفظان حياتهُ والاهمال ومخالفة اوامر الطبيب قد تكون نتيجتها ازدياد الخطر لان النكس سهل جدًّا في هذا المرض وكذلك تولد المضاعفات (الاختلاطات) . ثم ان في طاقة الممرضة ان تريح المريض وتساعدهُ على نيل الشفاء العاجل

اذا سار المرء في سفينة قاصدًا بلادًا بعيدة وتيسَّر لهُ ان ينام في غرفة نظيفة مطلقة الهواء ويأكل طعامًا طيبًا مغذيًا وصل الى المكان الذي يقصدهُ مستريحًا اكثر مما لو نام في غرفة قذرة فاسدة الهواء واكل طعامًا خبيثًا منتنًا. والقلق في اثناء الطريق ومخاصمة القبطان والبحّارة لا يقصران مسافة السفر ساعة واحدة فالراحة اولى من القلق والتعب اللذين لا يجديان نفعًا

وهذا شأن المصاب بالتيفويد فانهُ اذا اعتني بهِ الاعتناء الواجب فالمرجح انهُ يبلغ الشفاء مستريحًا بالنسبة الى من لا يعتنى بهِ ولو لم تقصر مدة المرض

وتحدث التغيرات في التيفويد كل سبعة ايام ولذلك لا داعي للاكثار من الادوية وإقلاق الطبيب لانهُ لا يقدر ان يقصر الميعاد يومًا واحدًا . وكما يحدث في سفر البحر انواء وعواصف او يقع خلل في الآلة البخارية التي تسيرها السفينة كذلك يقع احيانًا في هذا المرض فتتولد مضاعفات (اختلاطات) كثيرة وسأتكلم عنها قريبًا

واقول الآن ان مركز الضرر في التيفويد هو في الامعاء هناك سم المرض وهناك التقرُّح الذي يسبب الحمَّى . فيجب ان تعلم الممرضة ان السم يكون في مبرزات المريض فتكون العدوى فيها واذا لم ينتبه لذلك فقد تنتقل العدوى الى سائر اهل البيت

اذا ظهرت التيفويد في بيت وجب ان يلتفت الى شيئين مصارف البيت والماء الذي يشرب منهُ سكانهُ لان كثيرين ينفقون الاموال الطائلة على زخرفة بيوتهم وتزيينها ووضع الاثاث الفاخر فيها ولكنهم يهملون الامر الاهم وهو مصارفها اما لجهلهم او لقلة اعتنائهم

ولا بدَّ من الالتفات الى الامور الآتية في تمريض المصاب بالتيفويد وهي

ان يكون الاثاث في غرفتهِ على اقلّهِ

ان يكون الهواء النقيُّ فيها على اكثرهِ

ان يبقى جسم المريض نظيفًا دائمًا

ان لا يطعم شيئًا غير سائل ما دامت الحمَّى عليهِ

يجب ان لا يجلس في سريرهِ ولو دقيقة واحدة

ان يحترس من جراح الفراش

ان يعتني ببرزاتهِ

ومركز الضرر في الامعاء كما تقدم لانها تكون متقرحة فاذا اكل طعاماً جامداً ولو كسرة صغيرة من الكعك فيحتمل انها تصل الى قرحة من قروح الامعاء وتكشط الجلد الذي تكوَّن عليها فينتكس العليل . ويحتمل ايضاً انها تشق القرحة فتنثقب الامعاء في مكانها ويموت العليل حالاً . وتنثقب الامعاء ايضاً من جلوس العليل في فراشهِ ومن تقلبهِ ولذلك لا يسمح لهُ بالجلوس ولا بالانقلاب من جهة الى جهة بل يلزم بالنوم على ظهرهِ دائماً وتوضع مخدَّة واطئة تحت رأسهِ

وقد يصاب العليل بالنزف الدموي فيخرج كثيراً من الدم بغتةً واذا لم يوقف هذا النزف فقد يقتلهُ . واذا حدث النزف فلا بدَّ من استدعاء الطبيب حالاً واخبارهِ عمَّا حدث بالتفصيل حتى يأتي مستعدًّا وحالما يحصل النزف يوضع كيس ثلج على بطن العليل او منشفة كبيرة مبللة بماء الثلج او بابرد ماء يمكن الحصول عليهِ . ويجب ان يبقى العليل هادئاً ويكون الهواء في غرفتهِ مطلقاً . ولا تناولهُ شيئاً من الكنياك Brandy فان الكنياك يعطيهِ الطبيب فقط اذا اشتدَّ النزف لانهُ يزيد عمل القلب فيزيد النزف

ويجب ان يكون الثلج موجوداً مهما اختلفت حالة الحمى التيفويدية . والاطباء يصفون عادة وضع اكياس الثلج على الراس او على البطن وكثيراً ما يصفون للعليل مصَّ الثلج . فيجب غسل الثلج بعد تكسيرهِ قطعاً سواء كان القصد منهُ وضعهُ على بطن العليل او اعطاءهُ لهُ ليمصهُ لان غسلهُ يجعلهُ نظيفاً ويزيل النتوءات والرؤُوس الحادة منهُ فلا يزعج العليل

واذا كان المريض يحب شرب المثلوجات فلا تمنعها عنهُ ولكن اياك ان تسقيهُ شراباً سخناً . والسوائل الفاترة خير ما يسقاهُ

وليطعم المريض بالتيفويد بفنجان مخصوص او ملعقة دائماً وهو مستلقٍ على ظهرهِ اذ لا يجوز ان يجلس في فراشهِ ولكن يجوز رفع راسهِ باليدين عند اطعامهِ

الفراش

يجب ان يستلقي المريض على ظهرهِ كما تقدم وان لا يوضع تحت رأْسهِ سوى مخدة واحدة وان يكون الفراش مستوياً ليناً على قدر ما يمكن وخير فراش لهُ ما كان من الكاوتشوك مملوءًا ماء وكذلك تكون المخدة من الكاوتشوك وتملأُ ماء اذا امكن الحصول عليهما والاَّ فتوضع كعكة منهُ تحت اليتيهِ

ويجب ان يكون الغطاء خفيفاً جدًّا . واذا كانت درجة الحمى مرتفعة فان ملاءة واحدة تكفي ويجب ان يوضع مشمع فوق الملاءة التي توضع على الفراش ويغطى المشمع بملاءة اخرى قديمة مطوية لتكون ألين . وانزع كلّ نتوء خشية ان تتكون قروح على ظهر المريض لاسيما وانهُ يهزل يوماً فيوماً وتبرز عظامهُ

الكرسي (اناء البراز)

يجب ان يكون الكرسي الذي يغوط فيهِ مسطحاً وان يكون شكلهُ مستديرًا او على شكل الخف وان يشترك اثنان في وضعهِ ونزعهِ الاَّ اذا كان المريض صغير الجسم خفيفاً وممرضتهُ كبيرة الجسم قوية . واذا لم يكن هناك سوى الممرضة فلتقف عن يمين المريض ولتمسك الكرسي بيدها اليمنى ولتضع يدها اليسرى تحت عجيزة المريض ولترفعهُ برفق ثم تضع الكرسي تحتهُ دون ان ترفع الملاءات . واذا كان المريض ثقيلاً واحتاجت الممرضة الى مساعدة ممرضة اخرى فلتقف مقابلها ولتضع يدها تحت يدها وتساعدها على رفع المريض

ويصب في الكرسي قليل من سائل كندي قبل وضعهِ تحت المريض لانهُ يزيل كل رائحة منهُ ولو لم يقتل جراثيم الحمّى . واما جراثيم الحمّى فتقتل بمحلول ثقيل من الحامض الكربوليك . وينظف العليل بعد استعمالهِ الكرسي ويدهن بالبودرا ولا ينظف بالورق بل بخرق قديمة ناعمة منقوعة في محلول السليماني

ملاءات المريض

يجب ان توضع ملاءات سرير المريض وحدها وتغسل وحدها . واذا غاب المريض عن وعيهِ وغاط في فراشهِ وتلطخت ملاءتهُ ببرزاتهِ فانزعها حالاً وانقعها في محلول الحامض الكربوليك ودع الغسَّالة تغليها جيداً ولاسيما اذا نقه المريض واريد استعمال هذه الملاءات ثانيةً . ولا بدَّ من غسل السرير ايضاً بالحامض الكربوليك ويوضع الفراش في الشمس والهواء اياماً عديدة ويمسح المشمع بفرشاة وحامض كربوليك ويحسن ان يعطى لفقير مريض بالتيفويد فيفيدهُ ولا يضرهُ

غسل المصاب بالتيفويد

لا بدَّ من غسل اجسام المصابين بالتيفويد دواماً والاَّ انتنت ابدانهم ولا بدَّ ايضاً من غسل افواههم والاَّ بخرت وتقرحت شفاههم والسنتهم وحلوقهم وربما اصيبوا بذات الرئة من جراء ذلك . وهنا تظهر فائدة التمريض في منع المضاعفات

ولا يحسن بالمريض ان يلبس غير قميص النوم . واذا غاب عن الوعي فالبسهُ قمصاناً قديمة

يمكن شقها من ظهرها حتى لا ينام عليها بل تكون بمثابة غطاء لهُ فلا تتسخ ولا تدعو الحال الى كثرة تغيير القمصان وحينما يراد نزع القمص عنهُ تنزع منهُ اليد الواحدة اولاً ثم الثانية ثم تنزع من فوق رأسهِ واذا اريد الباسهُ القميص تدخل فيهِ يداهُ معاً ثم يدخل رأسهُ في بنيقتهِ ويبسط على جسمهِ

وحينما ينزع القمص يغطَّى المريض الى عنقهِ وتوضع منشفة تحت ذقنهِ وتقف الممرضة عن يمين سريرهِ وتكون قد وضعت هناك طستاً فيهِ ماءٌ سخن (لان الماء البارد لا ينظف المريض) وضعتهُ على كرسي او طاولة وتأخذ قطعة ناعمة من الفلانلا وترغي الصابون عليها وتغسل وجههُ واذنيهِ ورقبتهُ وتشطفهُ بالماء وتعيد غسل وجههِ وتنشفهُ · ثم تأخذ احدى يديهِ وتضع المنشفة تحتها وتمسحها بالماء وتنشفها وتأخذ يدهُ الاخرى وتغسلها وتنشفها ثم تعريهِ الى وسطهِ وتغسل صدرهُ وبطنهُ بلطف تام وتنشفهُ سريعاً وتضع القميص عليهِ وتمسح احدى ساقيهِ وتنشفها ثم تمسح الاخرى وتنشفها وتقلبهُ بلطف على احد جانبيهِ وتغسل ظهرهُ واليتيهِ وما بين فخذيهِ ثم تفرك ظهرهُ واليتيهِ بالسبيرتو المثيلي وتعيد فرك اليتيهِ بمرهم الزنك او البورق وترش على ظهرهِ مسحوق الزنك منعاً للتقرُّح

وحينما يراد تغيير الملاءة (الشرشف) يقلب المريض الى الجانب البعيد عن الممرضة وتنزع المخدة وتلف الملاءة الوسخة تحتهُ الى الداخل وتوضع الملاءة النظيفة بدلاً منها ثم تدور الى الجانب الآخر من السرير وتقلب المريض الى الجانب الاول على الملاءة النظيفة وتنزع الملاءة الوسخة ثم تسحب الملاءة النظيفة تحتهُ حتى تغطي السرير وتمهدها . واذا اتسخ المشمع او تبلَّل يغسل وينشف قبلما يعاد الى تحت المريض . ولا بدَّ من ابقاء المشمع نظيفاً دائماً والاَّ صار سبباً للعدوى

واذا كان المريض ثقيلاً لا تستطيع ممرضة واحدة ان تقلبهُ من جهة الى جهة فلتستعن على قلبهِ اثنتان فتضع احداها يداً من يديها تحت كتفيهِ ويداً تحت عجزهِ وتقف الاخرى مقابلها على الجانب الاخر من السرير وتضع يديها تحت يدي الاولى وتعينها على قلبهِ من جهة الى اخرى او على رفعهِ او خفضهِ في سريرهِ

المسح بالاسفنج

يقصد بهذا المسح خفض الحرارة حينما ترتفع جدًّا ولا خوف من ان يبرد العليل حينئذٍ كما يمكن ان يبرد حينما يغسل فتلق منشفة على حقويهِ وينزع الغطاء عنهُ ويؤْتى باسفنجة كبيرة ناعمة وتغطس في الخل والماء الفاتر ويمسح بها المريض من رأسهِ الى قدميهِ مسحات كبيرة

وليكن المسح لطيفاً فوق بطنهِ لانهُ شديد التأثر وهو مركز الداء ويقلب المريض بلطف على احد جانبيهِ ويمسح ظهرهُ وساقاهُ وابطاهُ بالاسفنجة ويمسح كذلك كفاهُ واخمصا قدميهِ لانها احر اجزاء بدنهِ حينما تكون الحمى عليهِ ويجب ان تكون حركة مسح بدنهِ كلها متجهة من اعلى الى اسفل ومدة مسحهِ بالاسفنج ثلث ساعة ولا ينشف بعد مسحهِ بل يغطى بملاءَة ولكن يجب ان لا يمرَّ عليهِ مجرى هواء حينئذٍ ويحسن ان تستعلم حرارة المريض بالثرمومتر قبل مسحهِ وبعدهُ لكي يعلم كم انخفضت حرارتهُ بواسطة مسحهِ بالاسفنجة

ويوضع المريض احياناً في حمام طويل يسعهُ نائماً فيحمل اليهِ بالملاءة التي يكون نائماً عليها يحملهُ اثنان واحد من عند رأسهِ وواحد من عند قدميهِ ويحترسان من هزهِ او ليّهِ ولكن لا بدَّ من حضور الطبيب حينئذٍ ويكون الحمام تحت ارشادهِ وهو يعين حرارة الماء

غسل فم المريض

قلت سابقاً ان لا بدَّ من تنظيف فم المريض منعاً للبخر ولاتصال الالتهاب الى الحلق والرئتين . وهو ينظف هكذا يلف القطن على راس المقراض ويغطس في محلول الغليسرين وماء الورد وينظف بهِ الحلق واللسان والشفتين والاسنان مرتين في النهار . وفي ذلك راحة كبيرة للمريض . ويحسن ان يفعل ذلك لكل المرضى الذين يتعسر عليهم ان يجلسوا وينظفوا افواههم

الشعر

كانت العادة انهُ اذا اصيب احد بالتيفويد امر الاطباء بقص شعرهِ او حلقهِ حاسبين ان الشعر يبقي الرأس سخناً والغالب انهُ يسقط من نفسهِ بعد النقه اما الآن فتستعمل كل الوسائل لحفظ الشعر وتبريد الراس باكياس الثلج ومشط الشعر مرتين في اليوم فاذا كان المريض امرأة ضُفر شعرها ضفيرتين على جانبي رأسها لكي لا تنام عليهما . ويسهل مشط شعرها بادارة راسها الى الجهة الواحدة ثم الى الاخرى . ولا شيءَ ينعش المريض مثل مشط شعرهِ وغسل وجههِ ويديهِ . ومن اكبر الاغلاط ان يترك المرضى بدون غسل لانهُ لا يخشى من اصابتهم بالزكام ما داموا في الفراش . واذا شعروا انهم غير نظيفي الابدان تمللوا من ذلك وقلقوا . وان كان الوسخ يجلب المرض فكم تجب النظافة على مَن نقصد ان نجيهُ من المرض

وقد طال هذا الفصل لانهُ تجب العناية التامة بتمريض المصابين بالتيفويد وفيهِ امور كثيرة يجب الاعتماد عليها في تمريض المصابين بغيرهِ من الامراض

اما الاختلاطات التي اشرت اليها قبلاً وقلت انها تصيب احياناً المصابين بالتيفويد فهي

الاسهال والنزف من الامعاء والرعاف (نزول الدم من الانف) والتهاب الكليتين والتهاب الرئتين وتخثر الدم

تخثر الدم

ويراد بهِ تخثر الدم في الاوردة ولاسيما اوردة الساقين فان الدم يكون في حالة غير صحية فلا يجري في الادعية كما يجري في حال الصحة ولذلك فقد يتخثر اي تتكون فيهِ جلطة وأكثر ما يحدث ذلك في حال النقه ولاسيما اذا نهض المريض وجعل يمشي قبلما يتقوى ولكنهُ يشعر بذلك حالاً لانهُ يؤلمهُ فيجب ان يستلقي حالاً وترفع الرجل التي اصابها ذلك وتدفأ بالقناني التي فيها ماء سخن ويستدعى الطبيب فيصف ما يراهُ مناسباً من النطولات او الدهانات

غادة المرآة

تميزت الحقيقة عن محـالِ وأسفرت الهداية عن ضلالِ
سطا ما كان يخدع عن طلاء على ما كان يظهر من جمالِ
لحـا الله ابيضاضاً كان يُغري بجيدكِ كلَّ أعمى القلب خالِ
وخدًّا لم يحمرهُ صبـاغٌ وعيناً لم تُسوَّدْ باكتحالِ
وصدرًا ثاكلَ الثديَيْنِ لولا نديفُ القطن والخِرَقُ البوالي
وحسناً كاذب الوجهين تمشي مطالعهُ على قدم الزوالِ
وساعاتٍ وقفتِ بهـا مليًّا الى المرآة وقفة ذي خيالِ
فحيناً تعبسين لغير فكرٍ وقد تتبسمين لكل حالِ
وكم قالت لكِ المرآة قولاً ظفرت بهِ جواباً عن سؤالِ
وكم نظرات صدٍّ واجتنـابٍ وكم نظرات عطفٍ او دلالِ
ولو كانت نظيركِ كل أنثى وكان الحسنُ يجلب باحتيالِ
لأثرى كلُّ صبَّاغٍ وأمسى غنيًّا مَن يتاجر بالغوالي
أقلّي من خضاب الشعر جهلاً فقد خدعتكِ أبصارُ الرجالِ
وقد يسودُّ أبيضُ كلِّ شيءٍ سوى ما ابيضَّ من سود الليالي
خذي عني النصيحة واغنميها بلا ثمنٍ فانَّ النصحَ غالِ
ولا يُضْلِلْكِ إطراءُ مَضلٍّ يجود بهِ كذوبٌ لا يبـالي
فقد يبدي سلوًّا وهو صبٌّ وقد يشكو غراماً وهو سالِ

أما لو كان ذاك القبح حسناً لما أغناكِ عن حسن الخلالِ
ويقبحُ أن يُذمَّ قبيحُ وجهٍ اذا ما كانَ محمود الفعالِ
وأفضل ما تصبّي النفس خلقٌ تحلى بالفضيلة والكمالِ
وأمّا الحبُّ فهو يقيمُ إلاَّ اذا دخل الفسادُ على الخصالِ

القاهرة نقولا رزق الله

[المقتطف] اراد الشاعر بغادة المرآة الفتاة التي تكثر من التصنع والتبرُّج فانكر ذلك عليها كما ينكرهُ كل عاقل لكنهُ عيب محتمل لا يقابل بالخلو من حلية الادب . ولا بأس بانتقاد العيوب فانهُ يمهد السبيل الى هجرها . وحبذا لو اتحفتنا احدى ربات القلم بانتقاد مثل هذا لعيوب الرجال فان الشيخ الهمَّ منهم يتقن الخضاب حتى تظنهُ في عمر الشباب . والشاب المفتون يضيع صحتهُ ومالهُ وراء كل قبيح وجههُ حسن . واذا وازن المنصف بين عيوب النساء وعيوب الرجال قال كما قال احد الظرفاء " الكل في الهوى سواء "

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ حياة اميل زولا

جارى النابغون من اسرائيلي المشرق اخوانهم النابغين من اسرائيلي المغرب في الاثراء ولكنهم لم يجاروهم حتى الآن في دواوين الانشاء . وكنَّا كلما فكَّرنا في اهمالهم للانشاء العربي نظن سببهُ وعورة العربيَّة ورغبة الناس عنها في هذا العصر فجاء هذا الكتاب بشيرًا بان الفصاحة ستدين لهم كما دانت للسموأل . والكتاب من الكتب الانتقادية التي يندر وضعها في العربيَّة واندر من ذلك ان تكون من قلم سيدة فقد وضعتهُ السيدة الفاضلة استير موريال وقالت انها اقتطفتهُ من اوثق المصادر فاتت فيهِ ولاسيما في مقدمتهِ والتمهيد الذي وضعتهُ لهُ بما لا يستطيعهُ الاَّ كبار المنشئين وجمعت في فصولهِ من البحث الدقيق والنقد والتحقيق ما لا يستطيعهُ الكاتب الاَّ بعد درس مؤلفات زولا كلها والاطّلاع على اقوال اشهر الكتَّاب فيها

وقد اطنبت حضرة الكاتبة في مدح زولا فقالت انهُ كان رب قلمٍ كالسيف وبيان كالسحر وكتابة هي السيل اذا جرف والبحر اذا طمى والرعد اذا قصف والبرق اذا اخذ بالابصار وابهر.

وانهُ الكاتب النحرير والفيلسوف الخطير والرجل المستقيم الذي لا يبارى والشجاع الكريم الذي لا يجارى وانهُ نابغة زمانهِ واعجوبة اوانهِ . وانهُ كان "عدوًّا لليهود لعدم اختبارهِ اياهم واطلاعهِ على طباعهم ومزاياهم ومواهبهم ولعدم معاشرتهِ لفريق منهم فهو لم يكن يعرف عن اليهود سوى ما ارسخنهُ القسس في الاذهان عنهم وتناولتهُ السنة العجايز ... ولما حصلت قضية دريفوس وعرف ظلامتهُ واكتشف على دخائلها ومخبآتها انقشع الضباب عن عينيهِ فابصر ورأى اليهود باكثر جلاء فاتضح لهُ انهم شعب كغيرهِ من الشعوب لهُ مزايا خصوصيَّة وكمالات ونواقص وانهُ لا يقلُّ عن غيرهِ استحقاقًا ولا ينحطُّ ادبًا ولا يسقط اميالاً وغريزة ... فاستبدل العداوة بالشفقة والازدراء بشيءٍ من الاحترام"

وبسطت الكلام على كتب زولا وآرائهِ الاجتماعية وترجمت كتابهُ الذي رفعهُ الى رئيس الجمهورية الفرنسوية في شأن قضية دريفوس . وكأنها جعلت قضيَّة دريفوس محورًا يدور عليهِ كتابها . وشدَّدت النكير على خصومهِ وخصوم دريفوس ووصفتهم بكل وصف قبيح كالرياء والخيانة واللؤم والشر والنفاق . واسهبت في الكلام على وفاتهِ ودفنهِ واقوال الجرائد فيهِ مدحًا وقدحًا . ولامت الجرائد العربيَّة لانها لم تهتم بامرهِ حين وفاتهِ ولامت المقتطف خصوصًا لانهُ ذكر وفاة زولا" في باب المسائل واجوبتها كأنهُ خبر لا يستحق الالتفات لولا سؤال بعض السائلين او كأن تاريخ حياة زولا اقل اهميَّة واحط شأنًا من تواريخ بعض ارباب الملايين من الاميركان الذين يصدّر اعدادهُ احيانًا بسيرهم وصورهم ولا فضل لاولئك العجول الذهبيَّة سوى انهم تمكنوا بصبرهم وجلدهم واجتهادهم ومساعدة الظروف لهم ان يستولوا على الملايين العديدة في بلاد لا بدَّ لكل مجتهد فيها ان ينال نصيبهُ من الرزق الواسع والثروة الطائلة باسهل ممَّا يمكنهُ ان ينال بلغة من العيش في البلاد الاخرى"

وعسى ان لا يكون تدقيق حضرة الكاتبة في سائر كتابها مثل تدقيقها في هذه الفقرة فان زولا توفي في التاسع والعشرين من سبتمبر والمقتطف يصدر في غرة اكتوبر فاوقفنا طبع الملزمة الاخيرة منهُ ونشرنا ما يحتملهُ المقام من ترجمتهِ في باب الاخبار وجعلنا منعاهُ تلو منعى فركو اكبر علماء اوربا وقبل كل الاخبار العلمية فذكرناهُ بما قلَّ ودلَّ من الالفاظ وقلنا انهُ من اشهر كتَّاب فرنسا في هذا العصر ان لم يكن اشهرهم كلهم وان رواياتهِ انتشرت في الآفاق كما انتشرت روايات ديماس من قبلهِ ووعدنا هناك ببسط الكلام على رواياتهِ واسلوبهِ فيها وفلسفتهِ

هذا من قبيل زولا وترجمتهِ . اما "العجول الذهبية" الذين تشير اليهم الكاتبة سواء كانوا اميركيين مثل كارنجي وركفلر او اوربيين مثل روشيلد وسسل رودس فستبقى مدارسهم

ومكاتبهم تنير اذهان الناس وترشدهم الى سواء السبيل بعد ان تلقى روايات زولا في زوايا النسيان إما بتغير منهاج الانشاء واقتفاء طرق جديدة فيهِ او باثبات الضرر لاسلوب التصريح الذي جرى عليهِ . وغرضنا الاول والاهم من نشر ترجماتهم ترغيب الناس في جمع الثروة لانها اضحت قوة لاتبارى حتى ان اضعف الشعوب صاروا اعزَّهم بها . وحث الاغنياء على انفاق جانب من ثروتهم على الاعمال النافعة لابناء نوعهم كما ينفق المثرون من الاميركيين والاوربيين . وعندنا ان ذلك انفع وابقى من تعليم الناس " ان ابنة المرأة من زوجها تشابه عشيقها الذي يضمها الى صدرهِ ويعطيها من عضلاتهِ وعظامهِ ويغادرها مدموغة بآثار قبلاتهِ " ونحو ذلك من الآراء الفاسدة علماً والشروح المفسدة للاخلاق

ولسنا على رأي المعجبين بكل ما ذكرهُ زولا في رواياتهِ ولا نشير على اولادنا بمطالعتها ولكننا لا ننكر عليهِ المقام الذي رقيهُ بين ابناء لغتهِ . وهذا الكتاب عنهُ غاية في الاجادة . وقد اهدتهُ مؤلفتهُ الى المحسن الشهير الخواجه فيلكس سوارس

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الثاني

لا نتذكر انهُ وقع في يدنا كتاب عربي بعد حضارة الاسلام فيهِ من الفوائد التاريخيَّة التي يودُّ كثيرون الوقوف عليها قدر ما في هذا الكتاب فنهنئ حضرة مؤلفهِ رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال بما وُفّق اليهِ في جمع موادهِ وتنسيقها وبناء الاقيسة عليها

ومدار الكلام فيهِ على ثروة الدول الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين وعصر بني اميَّة وبني العباس فذكر مواردها ووجوه انفاقها بالاسهاب التام في عصر بني العباس لان " الثروة الاسلامية لم تنضج الاَّ في هذا العصر " واثبت جريدة ابن خلدون التي ذكرها في مقدمتهِ لجباية الدولة العباسية في ايام المأمون وجريدة قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في كتاب الخراج لجبايتها في ايام المعتصم او بعدهُ وجريدة ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وهي عن جباية الدولة في اواسط القرن الثالث

وقد بلغت الجباية حسب الجريدة الاولى نحو ٣٩٦ مليون درهم وحسب الجريدة الثانية نحو ٣٨٨ مليون درهم وحسب الثالثة نحو ٢٩٩ مليون درهم واذا حسبنا كل ١٥ درهماً ديناراً والدينار نصف جنيه فقد كانت الجباية او ايرادات الحكومة سنة ٢٠٠ للهجرة نحو ١٣ مليون جنيه وربع مليون وسنة ٢٢٥ للهجرة نحو ١٣ مليوناً فقط وسنة ٢٥٠ نحو عشرة ملايين لا غير

ونشر القائمة التي عثر عليها البارون فون كريمر وفيها ما اشترطهُ احمد بن محمد الطائي على نفسهِ ان يقدمهُ من ضمانهِ الى بيت المال وما كان ينفقهُ بيت المال في بغداد في السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي سنة ٢٧٩ للهجرة وقد ذكر فيهِ مقدار المال اللازم لكل فئة من فئات الموظفين الذين تدفع رواتبهم من بيت المال وجملة ذلك مليونان ونصف من الدنانير او مليون وربع من الجنيهات . وحسب ان ما بقي من الدخل يبقى في بيت المال. قال "ويكون مجموع الباقي في بيت المال في السنة يساوي عشرة ملايين جنيه" . ثم قال ان مصادر ايراد الدولة كانت في اوائل الهجرة قاصرة على الزكاة ثم حدثت الغنائم بعد واقعة بدر الكبرى ثم الجزية لمن صالح من نصارى جزيرة العرب ويهودها ولما فتح الشام والعراق ومصر وضع الخراج والعشور على الارض والمكس على التجارة ثم زادت مصادر الجباية رويداً رويداً حتى بلغت احد عشر في ايام بني العباس اوسعها الخراج وكان الاعتماد عليهِ وانحط ايراد الدولة حتى بلغ سنة ٣٠٦ للهجرة ١٤ مليون دينار ونصف مليون اي نحو سبعة ملايين من الجنيهات على ما في تقرير الوزير علي بن عيسى الذي رفعهُ الى المقتدر

واسهب في الكلام على زيادة الايراد في القرون الاولى ونقصهِ بعد ذلك وذكر لتلك الزيادة ولهذا النقص اسباباً كثيرة . ويظهر لنا ان السبب الاوجه هو ان العرب دخلوا بلاداً عامرة كثيرة المال فنزف المال منها رويداً رويداً لانهم لم يعتنوا الاعتناء الواجب بعمارتها واستخراج خيرات ارضها فقلت خيراتها في عهدهم وقلّ سكانها ايضاً . اعتبر ذلك بما اثبتهُ من ان جباية مصر كانت في زمن الخلفاء الراشدين ٢٠٠٠٠٠٠٠ دينار وجباها عبد الله بن سعد في ايام عثمان ١٤٠٠٠٠٠٠ دينار ولكنهُ استعمل العنف في تحصيلها ثم انحطت جبايتها في ايام بني امية الى ٣٠٠٠٠٠٠ دينار وفي ايام المماليك الى نحو ١٠٠٠٠٠٠ دينار

ويمتاز هذا الجزء عن الجزء الاول باسناد كل ما جاء فيهِ الى المصادر التي نُقل عنها ولقد اصاب في ذلك غاية الاصابة . وفيهِ مئة وتسعون صفحة بقطع الهلال مفعمة بالفوائد التاريخيَّة

اسرار الارتقاء

ترجمهُ عن الانكليزيَّة حضرة المحامي الفاضل توفيق افندي دوس وقال في تمهيد وضعهُ لهُ انهُ طالعهُ في زمن الفراغ فوجدهُ ملؤهُ الفائدة الحقيقية ثمرة التجربة والاختبار فودَّ نقلهُ الى العربية عسى ان يستفيد منهُ بنو جلدتهِ ما استفادهُ منهُ هو. ولم نرَ الاصل حتى نقابل الترجمة بهِ ولكن يظهر لنا من مطالعتهِ ان المترجم راعى الاصل واضاف اليهِ اموراً تنتظم معهُ ويدعو

المقام اليها . والمؤلف وليم كوبت من ارباب الانشاء عند الانكليز ولهُ مؤلفات عديدة في مواضيع شتَّى وكتابةُ هذا من نخبتها ويصحُّ ان يقال فيهِ انهُ خزانة حكمة عمليَّة على ما ظهر لنا من الصفحات التي تصفحناها منهُ . وكثير من نصائحهِ معلوم مبتذل لكن لايخلو ذكرهُ من فائدة لان القارئ اذا رأى ان رأي الكاتب يطابق رأيهُ واختبارهُ زاد بهما تمسكاً واقتناعاً . وفيهِ امور اخرى غير مقارنة للصحة كنصحهِ للمرء ان لا يستحسن اقوال المؤلفين وكتاباتهم لان رجلاً فاضلاً مدحها لهُ بل ان يقرأها بامعان وتفكر ولا يقضي عليها الاَّ بما يظنهُ هو رغماً عن كل ما يخالج فكرهُ من قول زيد وحديث عمرو من الكتَّاب العظام . فان هذه النصيحة مخالفة لروح الكتاب كلهِ التي مدارها ان يستفيد المرء من اختبار غيرهِ . والقصَّة التي سردها على اثر ذلك لا يصحُّ ان يبنى عليها حكم عام مثل هذا لان حادثة واحدة او حوادث قليلة لا تقوم مقام الاستقراء التام . كذلك قولهُ عن ارضاع الاطفال فانهُ بالغ فيهِ وارتكب الشطط . ونسبة الكتاب الى القواعد الفلسفيَّة التي توضع الآن للتربية كنسبة كتب الطب القديمة المبنيَّة على التجارب الى كتب الطب الحديثة المبنيَّة على النظريات العلميَّة . وهذا لا يقدح في الكتاب ولا يقلل نفعهُ فنثني على مترجمهِ لاجل الغيرة التي دفعتهُ الى ترجمتهِ

مذاكرات جمعية ام القرى

هو فصول نشرت اولاً في مجلة المنار الاسلامية بمصر مدارها البحث عمَّا اصاب اهل الاسلام من الفتور وعن العلاج اللازم لهُ . اما سبب هذا الفتور فقال فيهِ احد اعضاء تلك الجمعية ما نصهُ "اني ارى منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً . ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق واماتة المطالب النفسية كحب المجد والرئاسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظائم الامور وكالترغيب في ان يعيش المسلم كميت قبل ان يموت . وكفى بهذه الاصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات لا يرتضيها عقل ولم يأتِ بها شرع ولمثلها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنهُ ابا ذر الغفاري الى الربذة"

وقال آخر "ان سبب الفتور هو تحوُّل نوع السياسة الاسلامية حيث كانت نيابيَّة اشتراكية اي ديمقراطية تماماً فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت اشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحوُّل من ان قواعد

الشرع كانت في الاول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين بالفتوحات وتفرقهم في البلاد فظهر في امر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم نزعاتهم الوثنيَّة وليتهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيهِ فاتخذ العمَّال السياسيون ولاسيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للانقسام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرَّقت المملكة الاسلاميَّة الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة متكافحة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة اهلهِ وتفرقت كلمة الامة فطمع بها اعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجيَّة معاً لا تصادف سوى فترات قليلة تترقَّى فيها العلوم والحضارة على حسبها. وقد اثَّر استمرار الامَّة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثريَّة امَّة جندية صنعة واخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعيَّة. ثم بسبب فقدان القوَّاد والمعدات لم يبقَ مجال للحروب الرابحة فاقتصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن اي منذ صارت الجندية عند غيرنا صفة علمية مفقودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والاحتيال لا بالتعاون والتبادل وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور"

فقال آخر "ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بدَّ للفتور في المسلمين من سبب آخر. وفي ما اتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب امرائنا المترفين الذين ضلوا واضلونا سواء السبيل"

وقال آخر "ان القاء التبعة على الامراء خاصة غير سديد لان امراءنا ان هم الاَّ لفيف منا فهم امثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يولَّى عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن امراؤنا مدنفين. وعندي ان البلية هي فقدنا الحرية وما ادرانا ما الحرية هي ما حُرمنا معناهُ حتى نسيناهُ وحرم علينا لفظهُ حتى استوحشناهُ. وقد عرَّف الحرية مَن عرَّفها بان يكون الانسان مختاراً في قولهِ وفعلهِ لا يعترضهُ مانع ظالم. ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار انهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحق وبذل النصيحة. ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية. ومنها العدالة باسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم او غاصب او غدَّار مغتال. ومنها الامن على الدين والارواح والامن على الشرف والاعراض والامن على العلم واستثمارهِ فالحرية هي روح الدين. وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي

وما الدين الاَّ ان تقام شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضابُ

فقد حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن . هذا ولا شك ان الحرية اعز شيءٍ على الانسان بعد حياتهِ وان بفقدها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطَّل الشرائع وتختل القوانين . . . وقد كثرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال وترك الاعمال والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام اسر النفس . . . . وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لعجزنا عن القيام بها عجزًا واقعيًا لا طبيعيًّا

هذا ونعترف ان فينا بعض اقوام قد الفوا من الوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل والهوان فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقتهُ وهذا هو السبب في ان السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين صاروا بعد ان نالوا رغم انوفهم الامن على الانفس والاموال والحرية في الآراء والاعمال لا يرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون الى الناقمين على امرائهم المسلمين شزرًا وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين كأن مجرَّد كون الامير مسلماً يغني عن كل شيءٍ حتى عن العدل وكأن طاعتهُ واجبة على المسلمين وان كان يخرب بلادهم . والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور "

وتلاهُ اثنان شدَّدا النكير على امراء المسلمين الذين هذه صفتهم وقال احدهما " ان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسلمين لانهم اقرب الى العدل واقامة المصالح العامَّة واقدر على عمارة البلاد وترقية العباد . وقد افتخر النبي عليهِ السلام بانهُ وُلِدَ في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب فقال ولدتُ في زمن الملك العادل . وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انهُ لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة ٦٥٦ امر ان يستفتي علماؤُها اي الرجلين افضل السلطان الكافر العادل ام السلطان المسلم الجائر . فاجتمع العلماء في المستنصريَّة لذلك فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضرًا وكان مقدَّماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطَّهُ فيها بتفضيل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعدهُ "

وذكر غيرهم غير ذلك من العلل حتى ابلغوها ٨٦ علَّة واشاروا بما تداوى بهِ حتى جاؤُوا على اكثر مقوّمات الحضارة وقالوا انهم الَّفوا جمعية ام القرى للنظر في ذلك واصلاح حال المسلمين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الماء او الاثمار

النبطيَّة . احمد افندي عارف الزين .

هل ترك الماء الصحيح واستبدالهُ بالاثمار والالبان احسن ام استعمالهُ على طريقة معتدلة . وايُّ المائين اصلح البارد ام الفاتر وهل يحسن ترك الشاي والقهوة

ج ان اكل الاثمار وشرب الالبان قد يغنيان عن شرب الماء ولكنهما غير ميسورين لكل احد ومن كانا ميسورين لهُ لا يكون من الحكمة ابدالهُ الماء بهما لانهُ خير السوائل لارواء العطش ولاذابة الطعام. والماء البارد الذ من الفاتر ولاسيما ايام الحر . وترك القهوة والشاي احسن للصحة الاَّ اذا اشار بهما الطبيب للتسكين ولتقليل الانحلال . ولكن الانسان لا يعامل طعامهُ وشرابهُ معاملة التاجر لبضائعهِ فيقتصر على ما منهُ ربح اكيد بل لابدَّ لهُ من ان يفعل ما يلذُّ لهُ ايضاً ولو لم يكن منهُ نفع مادي يظهر في تكثير لحمهِ وتقوية عصبهِ . ولو استخفَّ كل احد بملاذ الحياة وحسبها كلها تجارة لأَبطل الناس الكماليات كلها واقتصروا على الحاجيات وابطلوا اكثر الصنائع واكثر طرق المعاملات

(٢) الطعام مرتين او ثلاثاً

ومنهُ . اتناول الطعام الساعة الثانية عربيَّة مؤلفاً من البيض النيء واللبن الحليب الممزوج بالسكر وفي الساعة العاشرة عربيًّا اتناول العشاء وانام باكرًا فهل هذه الطريقة اصلح او ما هو ما مأْلوف من تناول الطعام صباحاً وظهراً ومساء والنوم الساعة الثالثة ليلاً

ج اذا كانت كميَّة الطعام واحدة ونوعهُ واحداً فقسمتهُ ثلاثة اقسام في النهار خير من قسمتهِ قسمين فقط ولكن المرجح ان من يتناول الطعام ثلاث مرات في النهار يتناول فيها اكثر ممَّن يتناول طعامهُ مرتين فقط فاذا كان طعام المرتين كافياً فطعام المرة الثالثة زائد عن الكفاف ومتعب للجسم ومضرٌّ بهِ . ولا فرق بين ان ينام الانسان باكرًا او متأخرًا بشرط ان يعتاد النوم في وقت معلوم وينام مدة كافية لراحة جسمهِ واسترداد قوتهِ

(٣) دواء الارق

ومنهُ . ما احسن دواء للارق

ج الارق عَرَض لا مَرَض ومعالجتهُ

تقتضي اولاً البحث عن سببهِ فاذا عُلِم ازيل اوعولج واذا لم يُعلَم عولج الارق نفسهُ بالمنوّمات والمسكنات اذا كان الدماغ متعباً من كثرة الاشغال اوكان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطرباً بامرٍ يهيجهُ اوكان المرء قد الف الارق لكثرة السهر على مريض . ومما يحسن الاعتماد عليهِ استنشاق الهواء النقي قبل النوم والرياضة البدنية وشرب فنجان من اللبن السخن او من مرق اللحم السخن قبل النوم. وقد يقلق الانسان لسبب طفيف جدًّا كما اذا غيَّر فراشهُ او سمع صوتاً متكرراً او كان في غرفتهِ نور او ما اشبه او اذا بردت رجلاهُ فيزول الارق بازالة سببهِ . وقد يحصل من الحر او من الشعور بالحر ولو لم يكن حقيقياً فيعالج بمعالجة سببهِ . وقد يحصل من سوء الهضم في اشكالهِ المختلفة كما في التطبُّل وتولُّد الغازات وتمدُّد المعدة فيعالج بمعالجة سوء الهضم ويفيد حينئذٍ شرب كاس من الماء الحار عند النوم واذا لم يجد نفعاً يُسبق بشرب قليل من روح الامونيا العطرة وكربونات الصودا . ومما يفيد ايضاً شرب الايثير وماء روح النعناع واذا حصل الارق من شرب الشاي والقهوة وجب ابطالها . ولا بدَّ من الاعتماد على الطبيب في وصف العلاجات الدوائية مهما كان نوعها

(٤) الدمعة والعوينات

ومنهُ . رجل سنهُ العشرون كثير المطالعة تعتريهِ دمعة فهل تفيدهُ العوينات اولا وعلى فرض الافادة ايها لهُ احسن المحدبة ام المقعرة

ج لا بدَّ لهُ اولاً من ابطال المطالعة او تقليلها والاقتصار على ما حروفهُ واضحة من الكتب وعلى مطالعتهِ حينما يكون النور ساطعاً . اما كون العوينات (النظارات) محدبة او مقعرة فيتوقف على العينين فان بعضها تجتمع الصور فيهِ امام الشبكية وبعضها تجتمع الصور فيهِ وراء الشبكية فالاول يحتاج الى عوينات مقعرة والثاني الى عوينات محدبة . ويعلم نوع العوينات ودرجة تحدبها او تقعرها بالامتحان في عوينات مختلفة توجد عند اطباء العيون وتوجد احياناً عند باعة العوينات انفسهم واذا لم تكن العوينات موافقة لحالة العنين تمام الموافقة يكون ضررها اكثر من نفعها

(٥) الالبان واللحوم

ومنهُ . اي الالبان واي اللحوم انفع وهل تستنسبون تناول الحليب (اللبن) سخناً او بارداً بعد تسخينهِ وهل ترون للحم الماعز ضرراً لمن اعتادهُ

ج ان العبرة بما تهضمهُ المعدة ويغتذي بهِ الجسم من اللبن واللحم لا بما فيهما من مواد الغذاء لان الغذاء كثير فيهما على كل حال ولكن المعدة لا تتناول الا القليل منهُ عادةً . ولا بدَّ من تسخين اللبن اذا خيف ان يكون مشوباً بمادة ضارَّة ثم يشرب بعد ذلك

فاترًا او باردًا حسبما تعتادهُ المعدة . ولحم المعزى يضرُّ الذين لم يعتادوهُ لكن اذا اكلوهُ رويدًا رويدًا الفتهُ اجسامهم ولم يعُد يضرُّهم

(٦) حفظ الصحة

ومنهُ . ما عندكم من جوامع الكلم لحفظ الصحة حاصلة

ج الزم الاعتدال في كل شيءٍ فلا تفرط في طعام ولا عمل ولا شغل . وأَجِد مضغ طعامك وكُلْ الى حد الشبع ولا تزد

(٧) لذة النوم

مصر . عطا افندي فهمي مترجم دائرة دولة والدة خديوي . متى يجد النائم لذة النوم وهل النوم موت قصير وهل تتعطل الحواس الخمس مدة النوم واذا كانت تتعطل فكيف يحصل للنائم احيانًا ان يقوم مذعورًا من نومهِ

ج ان الراحة الحادثة من النوم تنال الجسم حالما ينام ولكن المرء لا يشعر بها الاَّ في اليقظة فانهُ يشعر حينئذٍ بالنشاط الناتج عن راحة النوم او عن استرداد اعضاء الجسم لقوتها مدة الانقطاع عن العمل . والجسم مثل حوض ينصبُّ فيهِ ماء من حنفية ولهُ حنفية اخرى يخرج الماء منها الاولى بمثابة الدم الذي يغذي الجسم بما فيهِ من الغذاء والثانية بمثابة العمل الذي تندثر بهِ دقائق الجسم . ففي اليقظة والعمل يزيد الاندثار على الغذاء حتى يكاد الحوض يفرغ . وفي النوم يزيد الغذاء على الاندثار فيعود الحوض يمتلئُ . والحواس تبطل شغلها وقت النوم كما تبطل الرجلان المشي واليدان الحركة ولكن ابطالها الشغلها يكون وقتيًا فاذا نبهها منبه انتبهت وعادت اليها الحركة وهذا المنبه قد يكون خارجيًا وقد يكون داخليًا . اما سؤَالكم الآخر عن الناس ذات الرؤُوس الطيَّارة فلم يصل الينا

(٨) جوهرة الثعبان

فاقوس . محمد افندي ابرهيم طاهر . يقول بعض الناس ان الثعبان اذا بلغ من الكبر عتيًا تولدت لهُ جوهرة يخرجها من فؤَادهِ عند الحاجة للتعيُّش على ضوئها فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ

(٩) كذبة ابريل

ابو شوشه . ديمتري افندي بطرس . في غرة ابريل من كل عام يكذب الناس بعضهم على بعض بارسال بعضهم بعضًا من مكان الى آخر فما هو اصل هذه العادة

ج يقال ان فيها اشارة الى ارسال السيد المسيح من عند بيلاطس الى هيرودس وردهِ من هيرودس الى بيلاطس ولكن المرجح انها عادة وثنية قديمة يراد بها مجرد الهزل وانها كانت شائعة في اوربا قبل انتشار الديانة المسيحيَّة فيها

(١٠) القرينة

مصر . محمود افندي اللقاني . اعتاد بعض الناس الذين يموت اولادهم وهم صغار لا يتجاوزون السنة الاولى ان ينسبوا موتهم الى القرينة فما هذه القرينة وما هي اسبابها

ج يموت الاطفال من فساد الطعام وقلة الاعتناء . والقرينة خرافة وهمية لا حقيقة لها

(١١) زرقاء اليمامة

حمص . رزق الله افندي نعمة الله عبود . اصحيح ما رواهُ مؤرخو العرب عن زرقاء اليمامه من انها كانت تبصر مسافة ثلاثة ايام ام فيهِ مبالغة وكيف يمكن ذلك والارض كرة وهل يوجد الآن اناس حديد والبصر الى هذه الدرجة

ج لا شبهة ان في الخبر عنها مبالغة كثيرة فان البصر لا يمتد الى مسافة ثلاثة ايام او ستين ميلاً الاَّ اذا وقف الانسان على جبل ارتفاعه ٤٨٠٠ قدم او اذا وقف في سهل ونظر الى جبل ارتفاعهُ ٤٨٠٠ لكن الزرقاء كانت تسكن مع قومها بلاداً ليس فيها جبال مرتفعة الى هذا الحد ثم انهُ يتعذَّر على العين ان تجمع على هذا البعد الشاسع نوراً كافياً يريها صور الناس

(١٢) مرض المعدة

اسيوط . احمد افندي محمد خشبه . مرضت بمعدتي منذ اربعة اشهر وكان من نتيجة ذلك اني اذا اطلقت لنفسي العنان في الاكل حتى قربت من الشبع انتابني عقب الاكل خفقان شديد وضربان في جميع الجسم وهذا الامر لا يحصل اذا اقتصرت على اكل قليل فهل استمر على ذلك القدر رغماً عن حاجتي الشديدة الى الاكل ام يحسن ان آكل حتى اقرب من الشبع رغماً عن الخفقان والضربان .

ج الاحسن ان تقتصروا على الاكل القليل المغذي السهل الهضم كاللبن والبيض والمرق مع الاطعمة النشوية المائعة المطبوخة جيداً ولا تعتمدوا على الشعور بالحاجة الى الطعام لانهُ قد لا يكون دليل الحاجة الحقيقيَّة . واستعملوا الادوية المقوية للمعدة التي تستعمل لمنع تمددها ثم زيدوا الطعام رويداً رويداً ما دمتم لا تشعرون بتعب من زيادتهِ

(١٣) تلوُّن البول

ومنهُ . يشكو البعض من تلوُّن البول باللون اللبني فما سبب هذا الداء وكيف يعالج

ج سببهُ ديدان صغيرة ميكروسكوبية تسمَّى فلاريا دم البشر . وهذه العلَّة تشفى من نفسها وتعالج غالبًا بالمركَّبات الحديدية كصبغة بركلوريد الحديد وموريات الحديد والقوابض والاستحمام بالمياه الملحة وتقليل الاطعمة الحيوانية



اشعة رنتجن والسرطان

كُتب الى الدايلي ميل من اميركا ان احد مساعدي اديصن واسمهُ تشارلس دالي اصيب بالسرطان في يديهِ من تأثير اشعة رنتجن واشعة الراديوم بهما واقتضت الحال قطع يديهِ كلتيهما لئلاَّ يمتد السرطان في بدنهِ . وقد درس المستر اديصن هذه الحادثة درساً مدققاً واشار بطريقة لمنع الضرر من اشعة رنتجن واشعة الراديوم يحسبها مفيدة ايضاً في معالجة السرطان . فقال ان في البدن الصحيح اجساماً صغيرة من نوع الاميبا تجري فيهِ من جهة الى اخرى تأكل ما يدخلهُ من الجراثيم الغريبة عنهُ وتردُّ الاعضاء المأوفة الى حالتها الطبيعية . والظاهر ان اشعة رنتجن تميت هذه الاجسام فلا يعود البدن قادرًا على التخلُّص من الآفات الجراحية التي تعتريهِ فيعالج حينئذٍ بادخال دم صحيح اليهِ من حيوان صحيح بواسطة الحقن ليدخلهُ مقدار كاف من الاميبا مع دم ذلك الحيوان . ولا يبعد ان يكون الحقن بالدم مفيدًا في معالجة السرطان ايضاً

هذا وان البعض يعالجون الذئب الآكال باللحم النيء يضعون قطعة من اللحم على ما تقرَّح من الاورام الذئبية فان كانوا قد رأَوا فائدة من ذلك فلا يبعد ان تكون ناتجة عن ان هذه الاجسام (وهي من نوع كريَّات الدم البيضاء او هي اياها) تنتصل من اللحم النيء الى التقرُّح وتأكل ميكروبات المرض منهُ فتكون بمثابة مدد لكريات الجسم البيضاء للتغلُّب على الميكروبات المرضيَّة

نزع برج ايفل

عين الفرنسويون لجنة لتخطيط شان ده مارس وانشاء الشوارع فيهِ فاجمعت على نزع برج ايفل منهُ حينما تنتهي مدة امتيازهِ اي سنة ١٩١٠ ، وسيأسف على ذلك البرج كل من رآهُ وشاهد مدينة باريس وضواحيها من قنتهِ وعسى ان يعدل الفرنسويون عن عزمهم ويجدوا سلوبًا لحفظ حديدهِ من الصدإِ والبلى ويبقوهُ اثرًا خالدًا لما بلغتهُ الصناعة الميكانيكية في اواخر القرن التاسع عشر

مساعدة المخترعين

كثيرًا ما يخترع رجل اختراعاً ثم يعجز عن الانفاق على اخراجهِ من القوة الى الفعل فتألفت في المانيا شركة غرضها مساعدة المخترعين الفقراء على استعمال مخترعاتهم وقد وجدت ان الحكومة الالمانية اعطت امتيازًا

بمئة واربعين الف اختراع ولكن لم يستعمل منها الاَّ نصفها والنصف الآخر اهملهُ اصحابهُ لضيق ذات يدهم . وهذه الجمعيَّة تعطي المخترعين مكانًا لوضع ما يخترعونهُ وامتحانهِ من غير اجرة وتساعدهم على بيعهِ من غير سمسرة

ترياق سم الافاعي

قال الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافعي ان الترياق المستخرج من سم نوع واحد من الافاعي يشفي من سموم الافاعي كلها اي انهُ ترياق عام لسموم الافاعي وخالفهُ في ذلك اكثر العلماء الباحثين في هذا الموضوع والظاهر ان مذهبهم تأيد الآن وثبت ان الترياق المستخرج من سم نوع من الحيات يشفي من سم ذلك النوع دون سواهُ . اما الترياق فيستخرج من مصل دم حيوان حُقن بسم الافعى مرارًا متوالية وزيدت كمية السم رويدًا رويدًا

دوار الجبال

يعتري بعض الناس الذين يصعدون في الجبال العالية دوار مثل الدوار الذي يعتري المسافرين بحرًا وقد اتفق للبعض ان صعدوا في جبال اراراط فاصابهم الدوار المذكور فجلسوا وغلوا الشاي وشربوهُ سخنًا جدًّا ففارقهم الدوار حالاً

الحمى الصفراء والبعوض

قالت جريدة العلم الاميركية انهُ ثبت بالامتحان للجنة ارسلها مستشفى البحرية الى ڤرا كروز ان الحمَّى الصفراء مسببة عن حيوان صغير من نوع الحلَم لا عن ميكروب من نوع البكتيريا. وانها تنتقل بواسطة لسع البعوض فهو سبب العدوى اي ان حلَم الحمى الصفراء يعيش في جسم البعوض وينتقل الى من يلسعهُ وان هذا يصدق على نوع واحد من البعوض وهو النوع المسمَّى علميًّا Stegomyia Fasciata فالبعوض يسبب الحمَّى الملارية والحمَّى الصفراء وحمَّى الدنج

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

التأم هذا المجمع في مدينة انجر برئاسة المسيو اميل لفاسر فاتخذ "الاجرة" موضوعًا لخطبة الرئاسة وقال ان ما كُتب في هذا الموضوع يملأُ مئات من المجلدات وملايين من الاوراق وجعل مدار كلامهِ على الاسباب التي يتعيَّن بها مقدار الاجرة وعلى هل زادت اجور العمال عما كانت عليهِ فقال في القسم الاول ان مقدار الاجرة يتوقف على فائدة العامل للعمل ومقدار النفقة اللازمة للعامل وعائلتهِ ودرجة نجاح البلاد ومقدار المال عند ارباب الاعمال والاتفاق او الاختلاف بين العمَّال وارباب الاعمال ونظام البلاد الاداري والاجتماعي . وقال في القسم الثاني ان الاجور زادت في فرنسا وغيرها من البلدان المتمدنة بسبب زيادة الغنى بنوع عام ونجاح الاعمال واتقان الآلات ومهارة الصناع افرادًا واجمالاً

السودان قبل التاريخ

قال المسيو ده باران في اكادمية العلوم الفرنسويَّة انهُ وصلتهُ اصداف متحجرة من جهات السودان فاذا هي من الاصداف التي تعيش في الماء الملح وتدل على ان البحر كان يغطي تلك الجهات او على انهُ كان في قلب افريقية بحر متلاطم الامواج قبل عصر التاريخ

اديان البشر

ظهر من احصاء الدكتور زلر مدير ديوان الاحصاء في ستتغرت ان عدد سكان المسكونة الآن ١٥٤٤٥١٠٠٠٠ وهم مقسومون حسب اديانهم هكذا

مسيحون	٥٣٤٩٤٠٠٠٠
مسلمون	١٧٥٢٩٠٠٠٠
يهود	٠١٠٨٦٠٠٠٠
اتباع كنفوشيوس	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
براهمة	٢١٤٠٠٠٠٠٠
بوذيون	١٢١٠٠٠٠٠٠

والباقون من اديان مختلفة . الَّا اننا نرجح ان عدد المسلمين اكثر من ذلك كثيرًا ولا يبعد ان يكون عددهم ٢٥٠ مليونًا

زوبعة جمايكا

ثارت زوبعة عنيفة في جزيرة جمايكا ليلة الحادي عشر من اغطس خرَّبت البيوت وقتلت كثيرين من السكان واصبح بها الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة قاعًا صفصفًا

البرد وحرارة الراديوم

ظهر للمسيو كوري وزوجتهِ ان الحرارة التي تصدر من الراديوم تبلغ اعظمها متى بُرّد الراديوم الى اشد درجات البرد اي متى وضع في الهيدروجين السائل فكلما اشتدَّ بردهُ زاد صدور الحرارة منهُ . والحرارة الصادرة من ملح من املاح الراديوم تزيد رويدًا رويدًا الى مدة شهر بعد تركيب ذلك الملح وبعد الشهر تقف على درجة واحدة لا تزيد ولا تنقص

تغير مغنطيسيَّة الارض

ذكر الاستاذ اغمنون ان الاب فرنسسكو شفردي كتب سنة ١٦٨١ عن تغير فجائي اصاب الابر المغنطيسيَّة في مدينة رومية كان انحرافها ٣ درجات فقط فاصبح ٥ درجات وحدث ذلك في اواخر اكتوبر سنة ١٦٨٠ وعال هذا الانحراف بحدوث الزلازل في اسبانيا ومالقة

احتراق قطار كهربائي

في باريس تراموای كهربائي يسير في نفق طويل تحت الارض . وحدث في العاشر من شهر اغسطس ان الآلة المتحركة التي في احد قطاراتهِ اختلت فوقف القطار كلهُ ونزل الركاب منهُ ومن القطار الذي وراءهُ وكان في كل منهما اربع مركبات مشحونة بالركاب وجعل القطار الثاني يسوق الاول امامهُ لكي

يصل بهِ الى المحطة فلا يسد الطريق ·
والظاهر ان الآلة التي وقفت اختلت باحتراق حدث فيها من شدَّة حركتها فاشتعلت بعد قليل وامتدت النار الى المركبات كلها لان سرعة سيرها دفعت اللهب الى الوراء فعمَّها كلها وملأَ النفق فاذاب اسلاك النور الكهربائي فانطفأَت المصابيح في النفق كلهِ وجاء قطار ثالث فرأَى النار مضطرمة امامهُ فاستولى الرعب على ركابهِ وعلى الركاب الاولين فجعلوا يركضون يمنة ويسرة ويدوس بعضهم بعضاً والذين بلغوا منهم المحطات القريبة رأَوا الركاب نازلين على سلالمها فوقع بعضهم على بعض ومات منهم ٨٣ نفساً اختناقاً ودوساً

وقد اخبر احد الذين نجوا بما شاهدهُ من غمرات الموت قال · نزلت في القطار انا وزوجتي الساعة السابعة مساء فلما بلغنا شارع باريه طُلب منا ان ننزل منهُ لان ارض المركبة التي فيها المحرك الكهربائي اشتعلت غير ان النار أُطفئت منها حالاً واستمرَّ القطار سائرًا فنزلنا منهُ وركبنا في القطار الذي جاء وراءهُ وازدحمنا فيهِ ازدحاماً · ثم طُلب منا ان ننزل كلنا من القطار الثاني لان القطار الاول وقف عن السير وصارت قوة قطارنا لازمة كلها لدفعهِ امامهُ فنزلنا وانتظرنا قطاراً ثالثاً وركبنا فيهِ كلنا وكان بعض الركاب يضحك وبعضهم يتذمر وبعضهم يحلف او يشتم وما منهم من يدرك مقدار الخطر الذي كنَّا فيهِ حتى بلغنا محطة كورون واذا نحن باثنين من مستخدمي القطرات اقبلا الينا وهما يناديان ويقولان لينجُ من يستطيع النجاة · فصدق البعض كلامهم وارتعبوا وكذبهُ البعض الآخر واغتاظوا واسرعتُ انا وزوجتي وجمهور من الركاب الى سلم المحطة لنهرب منها (فان المحطة على وجه الارض وينزل منها بسلم الى القطار) فوجدناها مشحونة بالركاب النازلين فيها ليركبوا القطار فانذرناهم بسوء المصير وطلبنا منهم ان يصعدوا لكي نصعد وراءهم فلم يصدقوا

وكان الدخان قد وصل الينا فقلت في نفسي ان انا بقيت هنا هلكتُ مع هؤُلاء الناس فامسكت بيد زوجتي وقلت لها هلمَّ بنا لنعود الى محطة بلفل فسرنا وسار نحو عشرة وراءنا ولم نمشِ عشرة امتار حتى انطفأَت المصابيح الكهربائية فامسينا في ظلام دامس وجعلنا ننادي ولا مجيب وبعد قليل اقترب منا احد المستخدمين ومعهُ مصباح احمر وسار امامنا فتبعناهُ مسرعين وتبعنا الدخان وكان يزيد كثافة وسمعت بكاء امرأَة ورائي وشعرت كأَنَّ اثنين سقطا في الطريق ولكنني لم أَلوِ على احد لانني كنت هارباً للنجاة بنفسي وبزوجتي وكانت ركبتاها ترتعشان وكادت تسقط من يدي فوصلنا محطة بلفل واذا هي مزدحمة بالركاب النازلين على سلمها مثل محطة كورون فجعلنا نناديهم لكي يصعدوا ونتوسل اليهم فلم نلقَ مجيباً لانهم كانوا قد دفعوا اجرة السفر

ولم يشاؤوا ان يخسروها. وشملنا الدخان حينئذٍ حتى كدنا نختنق فمددت يديَّ وجعلت أَلطم وادفع من امامي حتى فتحت طريقاً على السلم فصعدنا ونجونا

وقال حارس القطار الثالث كان قطاري مزدحماً وفيهِ ٣٥٠ نفساً فلما بلغنا محطة باريه اخذنا ركاب القطار الذي اشتعل وسرنا حتى بلغنا محطة كورون فاشير الينا انقف واذا امامنا دخان كثيف آتٍ نحونا نخفت العاقبة وناديت الركاب لينزلوا واسرعت الى التليفون لكي اقول للذين في محطة بلفل حتى يقطعوا المجرى الكهربائي لكني وجدت التليفون عاطلاً لا ينقل الكلام فناديت الحارس وطلبت منهُ ان يسرع الى المحطة و يطلب قطع المجرى. وطلبنا من الركاب ان ينزلوا فابوا قائلين انهم دفعوا الاجرة ولا ينزلون الأ ونردها لهم فقلت لهم اننا نرد الاجرة اما الآن فيجب ان تنجوا فقاموا عليَّ وتهدَّدوني ولطمني بعضهم واجتمع حولي جمهور منهم منع البقية من الوصول الى السلَّم وحينئذٍ انطفأَت المصابيح الكهربائية فعلا الصياح واشتبك الناس بعضهم ببعض وشملنا الدخان حتى كدنا نختنق فجعلت اتلمَّس الحائط واسير الى جهة الشمال لاني اعلم انهُ يوجد باب هناك فعثرت بشخص في طريقي فامسكت بهِ وجررتهُ معي الى ان وصلت الى الباب وكان قد اعتراني الدوار وكاد يغمى عليَّ فامسكت بالسلم الذي عند الباب وصعدت درجتين ولم اعد اعي على شيءٍ ولحسن الحظ وجد هناك من رفعنا وساعدنا حتى افقنا

ووصف احد مكاتبي الجرائد ما شاهدهُ في النفق بعد الحادثة فاذا الناس الذين ماتوا كانوا يمزقون الجدران ويمزق بعضهم بعضاً قبل ان اسلموا الروح

اليوكالبتوس في افريقية

اليوكالبتوس شجر من استراليا ولكنهُ ينمو ويجود في افريقية حتى قال بعض الثقات انهُ سيكون الاعتماد عليهِ في زرع الغابات فيها لجودة خشبهِ وسرعة نموهِ وقد كثر زرعهِ في بلاد الراس ويستعمل خشبهُ الآن فلنكات لسكك الحديد وهو اجود من خشب الصنوبر المقطرن

الاستاذ هنري

وجد الاستاذ برسبر هنري الفلكي الفرنسوي ميتاً في جبل الالب في مكان ارتفاعهُ ١٦٠٠ متر عن سطح البحر والظاهر انهُ مات برداً وذلك في الخامس والعشرين من شهر يوليو الماضي. وهو من علماء الفلك المشهورين واليهِ والى اخيهِ بول هنري ينسب فضل تخطيط السماء بواسطة الفوتوغراف وقد اكتشفا اربع عشرة من النجيمات

معادن افريقية

الف موسيو ده لوني كتاباً موضوعهُ غنى افريقية بالمعادن بيَّن فيهِ ان بلاد مصر كانت

في العصور الغابرة مثل كاليفورنيا في هذا العصر لكثرة الذهب المستخرج منها من بين النيل والبحر الاحمر وقيمة ما استخرج من افريقية كلها من المعادن والحجارة الكريمة سنة ١٨٩٨ نحو ٢٣ مليون جنيه اكثرها من ذهب الترنسفال فان قيمتهُ نحو ١٦ مليونًا ونصف مليون وماس مستعمرة الراس فان ثمنهُ بلغ اكثر من اربعة ملايين . وكانت قيمة المعادن المستخرجة من بلاد الجزائر ٦١٣ الف جنيه ومن مستعمرة الراس ٤٦١٠٥٨٧ جنيهًا ومن السودان الفرنسوي ١١٥٦٠ جنيهًا ومن شاطئ الذهب ٦٣٨٣٨ جنيهًا ومن ناتال ٧٥٠٧٥ جنيهًا ومن مستعمرة نهر الارنج ٤٩٨٧٩٧ جنيهًا ومن روديسيا ٨٣٠٥٣ ومن السنيغال ١٥٤٦٤ ومن الترنسفال ١٦٩٥٥٠٠٠ ومن تونس ٥٧٢٢٨

وزادت قيمة الماس المستخرج من مستعمرة الراس سنة ١٩٠١ فبلغت ٥٣٨٧٩٥٥ جنيهًا وقيمة الذهب المستخرج من رودسيا . واستخرج من مدغسكر ذهب قيمتهُ ١١٢٨٦٠ جنيهًا

تلغراف مركوني

وضعت آلات تلغراف مركوني في كل البوارج الانكليزية وفي اكثر الطرادات . والحكومة الانكليزية تدفع الآن الى شركة مركوني نحو عشرين الف جنيه كل سنة . وقد استعمل الروس تلغراف مركوني في بلاد الصين بين مينا ارثر والبوارج الروسية في خليج بتشلي

الريحان والبعوض

ذكرنا غير مرة ان بعضهم كتب الى جريدة ناتشر يدعي ان نبات الريحان (الحبق) او نوعًا منهُ يطرد البعوض فلا يدخل غرفة زرع فيها . وقد اكثرت الجرائد الاوربية من ذكر ذلك واخيرًا كتب بعضهم من غربي افريقية يقول انهُ وجد هذا النبات لا يطرد البعوض كما قيل لا اذا كان اخضر ولا اذا كان يابسًا واذا حُرق اليابس منهُ في غرفة فيها بعوض هرب البعوض منها او مات ولكن يجب ان يكون دخانهُ كثيفًا فيها حتى يضطر الناس ان يخرجوا منها ايضًا

دودة لوز القطن

وعد حاكم ولاية تكساس باميركا ان يعطي عشرة آلاف جنيه لمن يستنبط واسطة لملاشاة دودة لوز القطن

بطريَّة اديصن

تمَّ عمل البطريَّة التي استنبطها اديصن وقال انها افضل من كل بطرية تقدمتها لخزن الكهربائية فانهُ يخزن فيها اكثر من مضاعف ما يخزن في غيرها . ولم يشع استعمالها حتى الآن لان معاملهُ لم تكن تستطيع ان تصنع منها الاَّ بطريَّة واحدة في اليوم ولكن في شهر اكتوبر هذا تصير تصنع ست بطريات

في اليوم وفي دسمبر تصير تصنع كل ما يُطلب منهُ . وهي تملأ في ساعة من الزمان فتسير بها المركبة اربعين ميلاً وتصنع على اربعة اشكال شكل يخدم مسافة ٢٥ ميلاً وشكل يخدم مسافة ٥٠ ميلاً وشكل مسافة ٧٥ وشكل مسافة ١٠٠ ميل . وقد ثبت بالامتحان الرسمي ان بطريَّة الرصاص القديمة التي ثقلها ١٢٦٠ ليبرة تسير بها المركبة ٢٥ ميلاً واما بطرية اديصن التي ثقلها ٦٥٠ ليبرة فتسير بها تلك المركبة ٣٧ ميلاً . ويقال انها متى كثرت لم يعد يستعمل في الاتوموبيل غيرها

التلفوت

التلفوت Téléphot آلة جديدة لتصوير الاشباح البعيدة بالفوتوغراف وهي تكبّر الصورة قبلما تصورها على اسلوب بسيط جداً فتدخل الاشعة من عدسية آلة التصوير وتنعكس عن مرآة وراءها في المكان الذي يوضع فيهِ لوح التصوير عادة وهذه المرآة مائلة قليلاً الى الاعلى فتنعكس الاشعة عنها الى مرآة اخرى فوق العدسية ثم تنعكس عن هذه المرآة الى لوح التصوير ويكون اللوح موضوعاً فوق المكان الذي يوضع فيهِ عادةً فتنفرج الاشعة كثيرًا في سيرها وانعكاسها مرتين وترتسم بها الصورة الصغيرة جداً لبعدها كبيرة كأنها قريبة فهي تكبّر صور الاشباح البعيدة وتصورها في وقت واحد

الراديوم والسل

بينما نجد معمل اديصن في اميركا يثبت حدوث السرطان من اشعة رنتجن واشعة الراديوم نجد علماء اوربا يثبتون فائدة اشعة الراديوم في شفاء السل وقد نشر الجرنال الطبي البريطاني (برتش مديكال جورنال) مقالة مسهبة في هذا الموضوع بيَّن فيها ان اشعة الراديوم والثوريوم تميت ميكروب السل لكن استعمال درهم من الراديوم خمس دقائق بمثابة استعمال درهم من الثوريوم عشر سنوات . ويهتم الاطباء الآن بكيفية ايصال اشعة الراديوم والثوريوم الى الرئتين والاجزاء المأوفة فيهما وعندهم ان الثوريوم يقوم مقام الراديوم لرخصهِ ولو كان ابطأ منهُ فعلاً

التعليم العالي في اميركا

في مدارس اميركا العالية والاستعدادية ٦٥٠٠٠٠ تلميذ وفي مدارسها الكلية والجامعة اكثر من مئة الف تلميذ يتلقون التعليم العالي (الثانوي) واكثر من خمسين الف تلميذ يتلقون التعليم النهائي كالطب والحقوق والهندسة . والذين نالوا الشهادة سنة ١٩٠١ من المدارس الكلية والجامعة بلغوا ١٦٥١٣ الذكور منهم ١١٤٦٣ والاناث ٥٠٥٠ ونال الدبلوما الطبيَّة ٥٤٧٢ والدبلوما في علم الحقوق ٣٣٦٦ وفي طب الاسنان ٢٣١١ وفي اللاهوت ١٥٨٥ وفي الصيدلية ١٣٧٣ وفي الطب البيطري ١٠٠

فهرس الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين

الفصل الثامن عشر

وبقيت انوكس في غرفة مولاتها فازالت آثار الصباغ عن اناملها ورفعت يديها وتوسلت الى آلهة بلادها لكي تقي بارين وتنجيها ممَّا تخشى ان يحلَّ بها وتنعم عليها بالسعادة التي تتمناها. وكانت شارميان قد قالت لها انهُ اذا سألت الملكة عنها قبل عودة ايراس فلتقل لها انها خرجت وستعود حالاً ولتقم مقامها. فان شارميان مرضت مرةً لما كانت مسافرة مع الملكة فكانت انوكس تقوم مقامها في إلباس الملكة وعقص شعرها وتزيينها وابدت من البراعة في ذلك ما ارضى الملكة

وخرجت شارميان ووراءها جارية سوداء على جاري عادتها فكان الحرَّاس والخدَّام والخصيان والعبيد يغضون طرفهم ويقفون اكراماً لها وظلت سائرة الى ان بلغت الساحة الخارجية فاذا هي بالكساس فلما رآها مال اليها وكلمها وهو يبدي الاحترام الواجب وقال لها انهُ اجتهد لكي لا يكون لهُ يد في محاكمة صديقتها ولكن امر الملكة صريح لا يمكنهُ الهرب منهُ ولذلك عزم ان لا يطيل انتظارها وامر ان يؤتى بها الى المحاكمة في الغد . ودار خادمهُ ومسَّ كتف بارين وهو يحسبها انوكس وقال لها تعالي الليلة وكلي لنا القصة. فلم تدرِ بما تجيبهُ لكنها اشارت اليهِ بالايجاب وسار سيدهُ حينئذٍ فاضطرَّ ان يتبعهُ واسرعت شارميان وبارين وخرجتا من الباب الخارجي واستنشقتا هواء البحر فانتعشتا واخبرت بارين شارميان بما قالهُ لها عبد الكساس وانها اشارت اليهِ بالايجاب حتى تخبر انوكس حين عودتها بذلك فلا تنكر على العبد اذا قال لها انهُ رآها وكلمها

وكان الطريق الى الهيكل قصيرًا ولكن عرض ما اخرهما عن الوصول اليهِ فانهما رأتا موكبًا دينيًّا آتيًا من الهيكل وفي مقدمتهِ اربعة من الكهنة يحملون تمثال ايسس ووراءهم حملة الازهار والكاهنات وحملة الكتاب المفتوح ثم الانبياء ورئيسهم يسير الهوينا تحت قبة رفيعة ووراءهُ كثيرون من الكهنة يحملون المصاحف وبعض الآنية الدينية والاكاليل والكاهنات وقد وضعن اكاليل الازهار على رؤوسهنَّ وشاركنَ الكهنة في النشيد لايسس ووراءهنَّ كثيرون من الخدم والعبَّاد وحاملي الاكاليل والمشاعل والمصابيح وامامهم ووراءهم حملة المباخر . وسمعتا من الجمع المزدحم ان هذا الموكب ذاهب من الهيكل الى القصر ليحيي الملكة من قبل المعبودة ايسس ويؤكد لها ان المعبودة لا تنساها في ضيقتها . ولا بدَّ من ان تلاقي الملكة هذا الموكب بالترحيب وتقابلهُ لابسة تاج مصر العليا ومصر السفلى وأفخر الحلل الكهنوتية ولا احد يستطيع ان يلبسها اياها الاَّ شارميان وايراس فوقفت شارميان حيرى في امرها ثم رأت الخدَّام يخرجون الجمع من الهيكل ويقولون ان ابوابهُ ستقفل الى ان يعود الموكب اليهِ فزادت حيرتها ونظرت الى ايراس

وهي لا تدري ماذا تفعل واذا برجل طويل القامة دنا منهما وقال اتبعاني وسار بهما ودار وراء الهيكل الى باب براني فرأوا اناساً يحملون رجلاً وضعوهُ في محفة فتبعوهم وصعدوا على درج الى غرفة كبيرة قليلة النور يتفرّع منها سبعة سراديب ثلاثة منها توصل الى ثلاثة محاريب الاوسط منها لايسس والذي على شماله لزوجها اوسيرس والذي على يمينهِ لابنها هورس وامامها المذابح عليها القرابين التي قرَّبها ارخبيوس

ورأتا المحفَّة امام محراب هورس وشابًّا نحيف الجسم ينزل منها متكئاً على رجلين واذا بصوت يصمُّ الآذان دوى في رواق الهيكل وهو صوت الاقفال النحاسية التي يقفل بها باب الهيكل فذُعرت بارين من ذلك لكنها لم تفُه بكلمة ولا انتبهت الى ما امامها من التحف وبدائع الصناعة لانها رأت ان الرجل الذي نزل من المحفة هو ديون فلم يحل نظرها عنهُ لحظة ولم تستطع ان تخفي ما بها بل نادتهُ باسمهِ فنظرت شارميان اليهِ مدهوشة وللحال وقعت عيناها على جورجياس وارخبيوس وبرنيكي بارين فاطمأَنَّ بالها وسكنت هواجسها . ولما نادت بارين باسم ديون دنا ارخبيوس منها واسرَّ في اذنها قائلاً اصبري قليلاً فسيتم كل شيءٍ على ما تودين ثم قال لها ألا تريدين ان نعقد عقدكما في الهيكل امام الالهة فارتعدت مفاصلها لكنها اومأَت اليهِ بالايجاب ولم تدرِ كيف تعبّر عما خالج فؤَادها حينئذٍ من الفرح

وتناول ارخبيوس درجاً من يد ديون فيهِ عقد الزيجة وفتحهُ امام الحضور وقال انهُ نائب عن بارين وسأَلها عما اذا كانت تقبل نيابتهُ فاشارت بالايجاب فصدَّق على ما في العقد وردهُ الى ديون ووضع يد بارين في يد ديون على حسب الطريقة المصرية واعطى ديون لبارين خاتماً من الحديد وقال لها هذا خاتم امي اعطاها اياهُ ابي والآن آل اليكِ لتحرصي عليهِ لانهُ فخر بيتنا

فقال ارخبيوس لقد قُرّبت القرابين لايسس وزفس وهيرا وارطاميس وتمَّ عقد الزواج بين ديون بن يومينس وبارين بنت ليونكس ثم صافحهما مهنئاً وعانقتهما برنيكي وصافحهما جورجياس ووقفت شارميان حيرى كأَنها لا تعي على شيءٍ الى ان اتى احد الخدم وسار بها الى دار الهيكل وكانت بارين تظن نفسها في حلم وكأَنها تخاف ان تتنفَّس لئلاَّ تستيقظ . وكان ديون يمشي الى جانبها ولا تكاد رجلاهُ تحملانهِ لضعفهِ فاقنعهُ جورجياس ليجلس في المحفة وحملها هو والشاب الآخر الذي كان واقفاً هناك وهو فيلوتاس تلميذ دديموس . وقال جورجياس لبارين اتبعينا فسارت وراء المحفَّة ونزلوا في سلَّم ثم في سرداب ضيق الى ان وصلوا الى باب ففتحهُ جورجياس بمفتاح كان معهُ وظلوا سائرين الى ان بلغوا سرداباً قليل الارتفاع جدًّا فقال لبارين اخفضي رأسكِ ولا تخافي اذا اصابتك الخفافيش وهذا السرداب طويل ولكن

لا بدَّ لنا من السير فيهِ اذا اردنا ان لا يرانا احد. وكان خادم جورجياس يسير امامهم ومعهُ مشعل ضعيف النور وبارين تخشى ان يقع نورهُ على وجهها ويديها فيراها ديون على تلك الحالة. ونفرت الخفافيش وجعلت تلطم رأس بارين ووجهها وهي لا تعبأ بها لانها كانت ترى ديون يتململ متألمًا امامها فلا تفكر الاَّ بهِ. وكلما وقف بهِ حاملاهُ اسرعت اليهِ ومسحت العرق عن جبينهِ وشجعتهُ بكلمة تهمسها في اذنهِ الى ان وصلوا الى باب في آخر السرداب ففتحهُ جورجياس واذا امامهم سلَّم يوصل الى البحر قرب بستان ديديموس ورجل طويل القامة كان واقفًا امام الباب فحمل ديون وسار بهِ ودنا منها رجل آخر مثلهُ وطلب اليها ان تسمح لهُ بحملها ثم رفعها بين يديهِ وسار بها ولم يكن الاَّ لحظة ثم استنشقت هواء البحر وسمعت صوت الماء ورجلي حاملها تخوضان فيهِ فنظرت لعلها ترى زوجها فلم ترَهُ لان الظلمة كانت حالكة فخافت ولكن لم يكن الاَّ دقيقة حتى وصلت الى قارب كبير وُضعت فيهِ وسمعت صوتًا خافتًا يقول لها قضي الامر وسآتيكِ بقليل من الخمر ونظرت واذا زوجها على فراش في ذلك القارب فانحنت فوقهُ فوجدت انهُ قد أُغمي عليهِ فرفعت رأسهُ ووضعتهُ على حضنها وجعلت تفرك جبينهُ بالخمر ولم تدرِ ان القارب كان سائرًا بها الاَّ بعد ان رأت البحارة نشروا شراعهُ ولم تكن تعلم الى اين يراد اخذها واخذ زوجها ولا سألت عن ذلك لانها كانت تعلم ان الاصدقاء لا يقصدون لها الاَّ خيرًا وكل مكان تقيم فيهِ مع حبيبها فهو فردوس النعيم. ثم انحنت وقبَّلت جبينهُ ورفعت قلبها الى ابلون الهها بالشكر وتضرعت اليهِ ان يسكب اشعة نورهِ على حبيبها ويشفيهُ. وحينئذٍ وصل القارب الى جزيرة واتى رجال حملوا ديون وحملوها الى الشاطئ وسمعت بروس يرحب بها ويقول اهلاً وسهلاً بزوجة ديون اذا اعجبتك الاقامة عندنا بمقدار ما نحن فرحون بكِ وبزوجك سيدنا فسترين عندنا كل ما يسركِ ويسرهُ. وسار بها الى غرفتين كبيرين تقوم زينتهما بنظافتهما ورأت امام الباب زوجة بروس وابنتها وكنتها فحيَّت بارين وقالت لها اني انا وكنتي وابنتي نكون في خدمتك وخدمة زوجكِ

الفصل التاسع عشر

عادت شارميان وارخيبوس الى القصر واقاما مدة لا يتكلمان مع ان فكريهما كانا مشغولين بموضوع واحد. وكانت شارميان قد سألت اخاها وهو راجع معها الى القصر عن المكان الذي أُرسل اليهِ ديون وبارين فقال لها لا استطيع ان ابوح لكِ بهِ فسألتهُ كيف استطعتم ان تستخدموا الهيكل لهذه الغاية فاجابها جوابًا مختصرًا كالاول

وكان تماجنس قد جاء من رومية مفوَّضاً بعقد الصلح مع كليوباطرة وان يضمن عرشها لها ولاولادها من بعدها على شرط ان تقتل انطونيوس او تسلمهُ لاكتافيانوس . وظن تماجنس ان هذا الطلب عادل وانهُ في مصلحة كليوباطرة وبلادها لان انطونيوس كان مستبدًّا مبذّرًا كاد يخرب البلاد باسرافهِ ومحبتهِ للابهة والمجد وانهُ ما دام في مصر لا تنطفئ نار الحرب بينها وبين رومية . وكان تماجنس يضمر العداوة لانطونيوس لانهُ أُسر وبيع في رومية على عهدهِ ولذلك لم يستنكف من المجيء الى الاسكندرية في هذه السفارة ليسعى في الانتقام منهُ وظن ان ارخبيوس يساعدهُ في ذلك وكذلك اريوس عم بارين وهو معلم اكتافيانوس . ولكنهُ كان يتوقَّع المساعدة الكبرى من انوبس رئيس الكهنة فبيَّن لهُ ان انطونيوس لم يعد يُرجى وانهُ اذا لم تبادر مصر الى مصالحة رومية وقعت في قبضتها غنيمة باردة ووقعت الملكة في قبضة اكتافيانوس فان شاء ابقاها وان شاء اسرها او قتلها . واخبر انوبس ان اكتافيانوس يثق باريوس ويعتمد عليهِ وطلب منهُ ان يتذاكر معهُ في هذا الامر . ولم يرَ انوبس من الحكمة ان يذهب بنفسهِ ويتكلم مع اريوس ولا كان اريوس قادرًا على المجيء اليهِ بسبب ما اصابهُ من الترضُّض كما تقدَّم فبعث انوبس اليهِ بوكيلهِ سرابيون . فدارت المذاكرة بين تماجنس واريوس ووكيل رئيس الكهنة وكان ذلك لما طلب ارخبيوس من اريوس ان يبذل كل ما في وسعهِ لمساعدة بارين فقال سرابيون انهُ يخبر رئيس الكهنة ليبذل جهدهُ في دفع الحيف عنها اكرامًا لاريوس وارخبيوس . وبينما كان هؤلاء الرجال يتذاكرون في ما يفعلونهُ لانقاذ بارين اتت انوكس واخبرت ارخبيوس بما اشار بهِ جورجياس وانهُ لا بدَّ من استخدام هيكل ايسس لهذا الغرض فاطلع ارخبيوس سرابيون وكيل رئيس الكهنة على الامر وقرَّ القرار على ان يعقد عقد ديون وبارين في الهيكل وينزلا منهُ الى السرَب المؤدي الى البحر فوافق سرابيون على ذلك وقال ان الكهنة مستعدون دائمًا لاغاثة المظلومين لاسيما وانهم في هذا العمل يقون الملكة من عمل تندم عليهِ اشد الندامة ثم ان الملكة اما ان تتشبث بانطونيوس فتتجرَّع غصص المنون معهُ او تتركهُ احتفاظًا بنفسها وعرشها وفي الحالين لا خوف على ديون وبارين من غيظها لانها شفوقة لا تكظم الغيظ ولا تحمل الحقد . فاتفقت آراء الحضور على نجاة ديون وبارين وعلى اسلوب النجاة . واخبر ارخبيوس شارميان بالغرض الذي جاء تماجنس لاجلهِ بالاختصار اما هي فكان بالها مشغولاً لانها خافت ان تكون الملكة افتقدتها في غيابها فلم تخبر اخاها بشيء سوى ان الملكة قالت انها ستقيمهُ وصيًّا على اولادها . لكن الملكة لم تفتقدها لان النائب قابل الوفد عنها اما هي فكانت قد ركبت مركبتها ونزلت الى المدينة

ولما وصلت شارميان الى غرفتها وجدت انوكس في انتظارها فاخبرها ارخبيوس نفسهُ عن نجاة بارين فوقفت امامهُ تصغي الى كلامهِ كانهُ وحي سموي لانهُ يندر ان رجلاً في مقامهِ يكلم جارية مثلها ثم لما سمعتهُ يشكرها على غيرتها ومهارتها لم تجد كلاماً تجيبهُ بهِ غير قولها انها عبدة طائعة وان كل ما فعلتهُ واجب عليها وطفح قلبها سرورًا لانهُ كان يكلمها كما يكلم اقرانهُ . ثم لما خرجت نظرت اليها احدى الجواري وقالت لها مالي اراكِ وقد غار رأسكِ بين كتفيكِ فقالت لها بل ارتفع كتفايَ من كثرة ما هززتهما احتقارًا للحمقى الذين مثلكِ

وجلست شارميان في كرسي كبير وجلس ارخبيوس في كرسي آخر امامها جلساصامتين لا يتكلمان من شدَّة التعب ثم تكلمت شارميان فاخبرت اخاها عما بدا من الملكة من الحنو والانعطاف لما شاهدت البيت الذي بناهُ اولادها وكيف ابدت العتوَّ لما كلمتها في امر بارين ثم قالت ولا ادري الآن ماذا تفعل بي اذا علمت اني كنت مشاركة في هربها ولاسيما بعد ان قامت ايراس ضدي ونسيتْ حبي لها وعنايتي بها . ثم انني لا استطيع ان احط منزلة ايراس عند الملكة لانها امهر مني سياسة

فقال وما نفع السياسة الآن وقد فقدنا كل شيء . فقالت معاذ الله . فقال نعم ضاع كل شيءٍ الَّا اذا فعلت الملكة فعلاً تسيءُ بهِ الى نفسها

فقالت انها اذا فعلت ما تشير اليهِ سلَّمت اليك اعز شيء لديها . فقال اتعنين اولادها فقالت نعم اولادها فانها تحبهم اكثر ممَّا تحب ايًّا كان وهي مستعدة ان تموت لاجلهم . فقال عساها تفعل ذلك فانها اضاعت كل سعادتها وسيزيد شقاؤُها يومًا بعد يوم واني اعلم ذلك واود ان افتديها بنفسي لو امكن لانكِ تعلمين منزلتها عندي ومهما امرتني ان افعل فاني افعلهُ عن طيب نفس حاسبًا اياهُ فخرًا لي

فقالت هذا الذي اعتقدهُ فيك ولكن لا يزال بالي مشغولاً بما حدث فان فرار بارين وغيظ الملكة وانتقام ايراس وكرهي للسياسة كل ذلك حرمني الراحة منذ امس والآن ربما تستدعيني الملكة وتستشيرني في امر فلا ادري بماذا اشير عليها

فقال تعسًا لمن يستشير امرأَة اذا اشتدَّت الخطوب فان النساء يذهبن بآراء الحكماء ادراج الرياح وما من احد اضرَّ بالملكة في هذه الحال من ايراس

فقالت احسنت ولقد كنت عازمة ان انقطع عن خدمتها واعود الى قنوبس الى البيت الذي خرجت منهُ والبستان التي درسنا فيهِ مبادئ الحكمة . اعود الى هناك واراجع الاشعار القديمة التي كنا نتلوها والحديثة التي بعث بها الينا تماجنس من رومية . اعود الى حيث

نبض في قلبي اول نابض الحب وتعلقت امالي بمن جعلتها غرض حياتي في الدنيا اما الآن فعدلت عن ذلك وسابقى معها في الضراء كما كنت في السراء وارافقها الى آخر نسمة من العمر

فنظر اليها هنيهة ثم قال " انها في خطر مبين هي وكل من لها ولكن لم ينقطع الرجاء بعدُ فقد يمكنها ان تنجو من هذا الخطر ولكن بعمل من عملين كلٌّ منهما شرٌّ من الآخر إما بقتل انطونيوس او بتسليمهِ لاعوانهِ هذا ما طلبهُ تماجنس

فاضطربت شارميان وقالت اهذا طلبهُ

فقال نعم هذا واذا قبلتْ بهِ تكون قد خانت عهد حبها لمن جرى حبهُ مجرى دمها في عروقها ومجرى النيل في بلاد اسلافها فلا تتركيها يا شارميان ولا تبعدي عنها يا اختي والاَّ زادت شقاء على شقاء

فقالت كلاَّ فاني لا اتركها ابدًا بل ابقى معها الى النهاية . فقال احسنتِ وهي قد ملكت قلبكِ ويستحيل عليكِ تركها ولنا شركاء كثيرون في ذلك وما منهم من يخجل بولائهِ لها . والمصائب تفعل بالنفوس الدنيئة فعل السيف الماضي واما النفوس الطيبة الكريمة فتلحمها بعضها ببعض كما تلحم المطرقة قطع الحديد . ولكن بقاءكِ معها مقيَّد بحبها لكِ فما دامت مقيمة على محبتكِ فانت مضطرة حتمًا ان تقيمي معها ولكن اذا اظهرت لكِ الجفاء وابعدتكِ عنها فانت في حلٍّ منها واذا بقيتِ معها هلكتِ من غير اثم ولا حرج . فكوني على حذر وراقبيها غدًا فان رأيتها على عهد المحبة فلا تتركيها بل ابقي معها الى النهاية مهما جرى وان رأيتها اهملتكِ ولم تعد تكترث لكِ فدعيها وشأنها وها داري الاريانا تحت امركِ

فقالت لا شبهة عندي انها تحبني ولكن كيف امتحن ذلك . فقال الامتحان تسهل اخبريها بفرار بارين وبانكِ ساعدتها على الفرار . ولا بدَّ لها من ان تعرف ذلك عاجلاً او آجلاً فاذا كانت تحبكِ حقيقة لم تكرهكِ لاجل عمل مثل هذا نجيتِ بهِ فتاة من الموت الزؤام وامرأة من توبيخ الضمير

فقالت أَإِلى هذا الحد

فقل نعم وذلك خير من ان تكذبي عليها سلسلة اكاذيب لكي تخفي عنها امر بارين . فانظري هل بقي فيها من كرم الاخلاق ما يتغلَّب على الغيرة العمياء وهل هذه الغيرة لا تعميها عن بذلكِ نفسك لاجلها

ولما قال ذلك دخلت انوكس وقالت لشارميان ان ايراس بالباب وتريد ان تراكِ . فقال ارخبيوس ادخليها وقال لشارميان هذا رايي وهذه نصيحتي ثم ان الذين في سننا لا يكتفون

برأي غيرهم بل يرجعون الى رأي انفسهم . فقالت اصبت ومجيء ايراس الآن يضطرني الى الاباحة بالسر . ولم تتم كلامها حتى دخلت ايراس وهي في اشد الاضطراب وقالت بعد ان حيتهما لا احد يعلم الى اين ذهبت الملكة فاضطرّ مارديون ان يقابل موكب ايسس بدلاً منها فهل تعلمين الى اين مضت

فقالت شارميان كلاّ ثم سألتها عما اذا كان انطونيوس وصل وعن كيف رأتهُ . فقالت رأيتهُ في حالة يرثى لها وعدت الى هنا مسرعة لامنع الملكة من زيارته ان امكن لانها ان زارتهُ الآن لم تجد ما يسرُّها فقد سحقتهُ الخطوب سحقاً واذهبت شجاعة ابن هرقل واخاف ان يجرّ الملكة معهُ الى بالوعة اليأس . فقال ارخبيوس علينا ان نبذل كل ما في وسعنا لانقاذها من ذلك وانتما وضعتكما الالهة معها لتسنداها وتقوياها وقد حان الوقت الذي يمتحن فيهِ اخلاص المخلصين

فقالت ايراس اما انا فاني اعلم ما يُطلَب مني

فقال برهني على ذلك بالفعل فقد بلغني انكِ حاقدة على عمتك . فقالت ان التي تنصر اعدائي عليّ لا تكون مكترثة لمحبتي لها اين ذهبتِ بياريـن

فقالت شارميان ستعلمين ومتى علمتِ فربما رسخ في ذهنكِ اني لا اكترث لمحبتكِ ابداً ولكني لم اقصد ان اغيظكِ بل ان انجي امرأة اخرى من تبكيت الضمير واقول لكِ انكِ لو اسأتِ اليّ مهما اسأتِ وثارت في نفسي ثائرة الانتقام فان في قلبي من الحب ما يمحو كل آثار البغض وانا وانتِ مشتركتان في هذا الحب . فابغضيني وافعلي كل ما تشائين لاذيتي ولو كنتِ مثل ابنتي ولكن ايّاكِ وان تسلبيني القوة التي احتاج اليها الآن لمساعدة مولاتي ومولاتكِ . واقد كنتُ الآن اخبر اخي بعزمي على ترك الملكة والاعتزال

فقال ايراس كلاّ كلاّ ليس الآن ولا يمكنها ان تستغني عنكِ

فقالت شارميان الاستغناء عني اسهل من الاستغناء عنكِ ولكن قد لا تستطيع ان تستغني عني في بعض الامور

فقالت ايراس كلاّ وليس تحت الشمس من يقوم مقامكِ في خدمتها لامقامكِ ولا مقامك يا عمّاهُ ولاسيما في هذه الايام المظلمة

فقال ارخبيوس وامامنا ايام اظلم منها وستعلمان ذلك غداً وعليكِ يا ايراس يتوقف بقاء عمتكِ في خدمة الملكة فاذا شئتِ ان تبقى في خدمتها فلا تعسّري الامر عليها فاننا نحن الثلاثة يابنتي نفضل راحة الملكة على راحتنا وليس من يماثلنا في ذلك بين كل حاشيتها ولذلك يجب ان لا ندع شيئاً يحلّ حبل اتصالنا

فرفعت ايراس رأسها انفةً وقالت أأنا الفاعلة على حل حبل الاتصال ام انتما فانكما تعلمان ان هذا القلب الكسير لا يميل الاّ الى شخص واحد ومع ذلك دخلتما بيني وبين الرجل الذي احبهُ الرجل الذي احببتهُ منذ طفوليتي وعلقت قلبي عليهِ دخلتما وبنيتما جسرًا سيَّرتما عليهِ امرأة اخرى وربطتم قلب ديون بها . وقد قبضتُ على هذه المرأة وشكرت الالهة لانها وقعت في يدي فبادرتما اليها وانقذتماها واوصلتماها الى الرجل الذي انا احقُّ بهِ منها من كل وجه وحقي اقدم من حقها واثبت وانا اقدر منها على ادارة بيتهِ. ألا يكفي ذلك لإبعاد قلبي عنكِ يا عمتي بعد ان عاملتني هذه المعاملة

قالت ذلك واسرعت وخرجت من الباب لكنها التفتت وهي خارجة وقالت ومع ذلك فانا اخدم الملكة بالاتفاق معكِ ولا افارقكِ واحسب انكِ لازمة لها مثلي بل الزم واما في غير ذلك فكلٌّ يعمل على شاكلتهِ

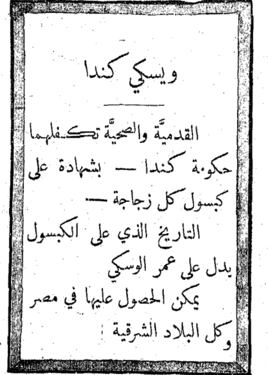
الفصل العشرون

مضت كليو باطرة الى انوبس رئيس الكهنة وكان شيخًا فانيًا في الثمانين من عمرهِ وكهنة البلاد كلهم في قبضة يدهِ وكان يتعذَّر عليهِ الخروج من بيتهِ فحُمل الى المرصد ليرصد الكواكب ويرى كيف افل سعد كليو باطرة وما خُبّئ لها في زوايا القدَر فلم يرَ شيئًا يسرها لكنهُ اكد لها ان استقلال مصر ونجاتها ونجاة اولادها كل ذلك في يدها وان الكواكب تدل على ان ذلك لا يتم ما لم تضحِ تضحية كبيرة جدًّا تضحية يُلجم لسانهُ عن النطق بها . وكانت معتادة ان تسمع منهُ هذه الاقوال المبهمة وتفسرها كما تشاء فقالت لهُ اريد ان اعلم منك هل كاس نكتانيبوس هي التي جعلت انطونيوس يترك القتال ويتبعني فانني كنت قد حاولت استهواءهُ بها قبل المعركة . فقال لها لا شبهة في ذلك

وكانت قد رأت هذه الكاس في الهيكل وقيل لها ان كل من يدع شخصًا آخر ينظر اليها نظرًا مستطيلاً حتى تنعكس صورتهُ عن سطحها الصقيل يصير ذلك الشخص طوع ارادتهِ فطلبت ان تعطى لها فلم يُجَب طلبها ثم لما رأت ان محبة انطونيوس قد فترت وخافت ان يعلق قلبهُ حب غيرها طلبت الكاس بلجاجة وامرت انوبس ان يعطيها اياها فاعطاها اياها مكرهًا وقال لها ان هذه الكاس ستجلب عليكِ الشر وكان يعتقد ان فيها سحرًا يسحر الناس فذكَّرها حينئذٍ بما قالهُ لها حينما امرتهُ ان يعطيها اياها . فقالت لهُ اذا كان هذا فعل الكاس فيجب ان نكسرها حالاً يجب ان تذيبها امامي

(ستأتي البقية)


BY SPECIAL APPOINTMENT
TO HIS MAJESTY THE KING.
"CANADIAN CLUB" WHISKY.
1893
The age and genuineness of this Whisky are guaranteed by the Excise Department of the Canadian Government by certificate over the capsule of every bottle.
Date on capsule shows age of Whisky.
Obtainable throughout the World.


ويسكي كندا
القدمية والصحية تكفلهما
حكومة كندا — بشهادة على
كبسول كل زجاجة —
التاريخ الذي على الكبسول
يدل على عمر الوسكي
يمكن الحصول عليها في مصر
وكل البلاد الشرقية :

اعلانات المقتطف

(٥) المدرسة الطبية . وهي تدرس الطب تدريساً تامًّا متقناً ووسائطها وتسهيلاتها كثيرة للتمرُّن على الاعمال الطبية والجراحية في المعامل والمستشفى . وشهادتها تجيز لحاملها تعاطي الطب والجراحة في القطر المصري

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية . ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من "رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية" في بيروت (سورية)

وكلاء المقتطف ومحلّات الاشتراك

في مصر { ادارة المقتطف
وكامل افندي جباره }
" الاسكندرية الياس افندي قدسي
" الاسمعيلية الخواجا مصلح عقل
" بيا محمد بك هاشم
" بني سويف الخواجه ملحم حداد
" البحيرة ودسوق السيد افندي سعيد
" دمياط عبد الرحمن افندي الدرس
" ديا وبركة السبع محمود افندي خليل
" زفتي الخواجا نجيب عرمان
" الزقازيق علي افندي محمد الحلواني
" سمنود محمد افندي صادق
" اسيوط اسكندر افندي مشرقي
" السويس حبيب افندي نعمان
" قنا والحدود محمد افندي الجزار

في الغربية اندراوس افندي شيبه
في المنصورة سعيد افندي غانم
في ميت غمر الخواجه بطرس الريس
في القليوبية والمنوفية ميشل افندي فارس
في الفيوم وبني سويف والمنيا فيليب افندي غفري

في بغداد داود افندي فتو الصيدلاني
" بيروت حنا افندي صروف
" دير القمر سليم افندي الجاهل
" طرابلس الشام الخواجا يعقوب قلام
" مرج عيون يعقوب افندي جباره
" منشستر الخواجا نقولا فرنيني
" القدس الشريف نخله افندي زريق
" برمانا بلبنان اسبيريدون افندي منسى الصيدلاني

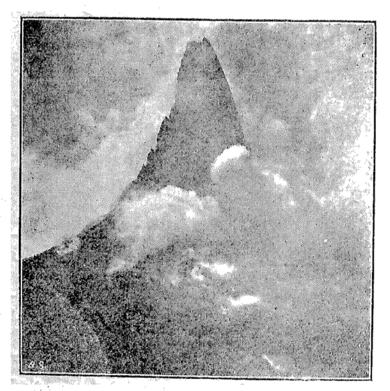
AL-MUKTATAF a MONTHLY ARABIC REVIEW of SCIENCE and LITERATURE.
EDITORS & PROPRIETORS Messrs. SARRUF and NIMR. Subscription £ 1 per annum.

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١٠ رجب سنة ١٣٢١

قُنَّة بركان بيلي



كان المظنون ان بركان بيلي اكتفى بما جرَّهُ من الخراب والدمار على مدينة سان بير والبلاد المجاورة لها ورضي بقطع رأسهِ جزاء قتلهِ عشرات الالوف من بني آدم . لكن ابت القوى الطبيعية ان تقف عندما هو مألوف من ثوران البراكين وقذف الحمم والصخور ودفع المعادن المصهورة واجرائها كمجاري الانهار فاخرجت من جوف ذلك البركان جبلاً متماسك الاجزاء رفعتهُ في الجو رويدًا رويدًا حتى صار ارفع من الهرمين الكبيرين معًا . كان ارتفاع هذا

البركان قبل ان ثار في العام الماضي ٤٤٠٠ قدم فلما ثار وانقطع رأسهُ بقي من ارتفاعهِ ٤٢٥٠ قدماً اما الآن وقد نبت لهُ هذا الرأس الجديد فبلغ ارتفاعهُ بهِ ٥٠٧٠ قدماً وكان في اواخر شهر يونيو الماضي لا يزال آخذاً في الارتفاع حتى انهُ ارتفع ٢١ قدماً في اربعة ايام

وهذا الراس من الحمم والصخور الذائبة وقد اجتمعت وتماسكت فصارت جسماً صلباً قبل خروجها من حلق البركان. وشكلهُ مخروطي كما ترى في الصورة فيهِ ميل قليل نحو المدينة وجوانبهُ محززة من فعل الصخور التي في حلق البركان. وعلى هذا الاسلوب تكوّن كثير من جبال الارض

مشاعر المتوحشين

يودُّ المرء ان يعلم هل شعور المتوحشين مثل شعور المتمدنين او هل كان الناس وهم على الفطرة يشعرون بالمحسوسات كما يشعرون الآن فكانوا يشمّون كما نشم ويذوقون كما نذوق ويسمعون كما نسمع ويتألمون كما نتألم. فان المشاهَد ان الزنوج لا يشعرون بالالم كما يشعر البيض وقد طالما رأينا الواحد منهم يمسك النار بيدهِ ويحمل صحفة الطعام السخن على كفهِ ويدور بها على الآكلين وما منهم من يستطيع ان يلمسها لمساً. وتواترت الروايات ان البدو والبرابرة يرون الى ابعد مما نرى وان الاقدمين لم يكونوا يميزون كل الالوان التي نميزها بدليل ان ليس في لغاتهم اسماء خاصة بها او انهم كانوا يخلطون بين لون ولون آخر فلا يفرقون بينهما بدليل وضع اسم واحد لهما كليهما كوصف العرب السماء بانها خضراء وهي زرقاء والخيل بانها زرقاء وهي رمادية. وهذا الرأي الاخير رأي الوزير غلادستون بناهُ على ما وجدهُ في اشعار هوميروس من الخلط في الوان الاشياء

وقد مضى احد العلماء الآن الى جزيرة مري احدى جزائر مضيق ترس وهي جزيرة منفردة بعيدة عن اسباب الحضارة لم يدخلها احد من الاوربيين الّا نفر قليل من المبشرين. واهاليها قلال يبلغ عددهم ٤٥٠ نفساً فيمكن ان تمتحن مشاعر كلٍّ منهم فيكون الاستقراء فيهم كاملاً. فامتحن حدَّة بصرهم ورؤيتهم للالوان والمسافات ومقدار شعورهم بالمحسوسات والمدة اللازمة لوصول الاثر الى مراكز الحس في الدماغ وشعور النفس بهِ الى غير ذلك من المباحث التي يهتم بها العلماء الآن والَّف كتاباً مسهباً في هذا الموضوع بناهُ على تجاربهِ

امَّا من جهة حدَّة البصر فاستعمل لامتحانها الطريقة العادية وهي وضع الحرف E على ابعاد متباينة واوضاع مختلفة لتحديد المسافة التي يرونهُ فيها واضحاً بالنسبة الى حرف آخر مثلهُ

يمسكونهُ بايديهم فظهر من الامتحان ان بصرهم احدُّ قليلاً جدًّا من متوسط بصر الاوربيين . والظاهر انهُ اذا حذفنا من الاوربيين كل المصابين بقصر البصر وخلل تكسير النور تصير حدَّة بصرهم مثل حدة بصر هؤُلاء الناس ولذلك ففي ما يروى عن حدة بصر المتوحشين مبالغة شديدة وكذلك في ما يُروى عن حدَّة بصر اهل البادية . ولكن لا بدَّ من سبب لاتفاق السيَّاح كلهم على نسبة حدَّة البصر الى المتوحشين واهل البوادي وهذا السبب هو ان الذين يسكنون البادية يعلمون ما فيها بالاختبار فاذا رأَوا شيئًا بعيدًا تبيَّنوهُ حالاً ولو لم تكن صورتهُ واضحة في عيونهم فاذا رأَوا غزالاً عن بعد شاسع علموا انهُ غزال ولو لم تكن صورتهُ واضحة لان اقل شيءٍ منهُ يدلهم عليهِ بخلاف الاوربي الغريب الذي لم يعتد رؤْية الغزلان في البراري فانهُ لا يعلم انهُ غزال ما لم يرهُ جليًّا

فامتياز اهل البادية على اهل المدن ليس في حدَّة البصر بل في سرعة الاستنتاج ممَّا اعتاد اهل البادية رؤْيتهُ . واذا أُريت الاثنين صورة فيها رسوم مختلفة فابن البادية لا يدرك ما فيها كما يدركهُ ابن المدن . ثم ان اهل البادية يدركون رؤْية الاشياء التي تهمهم رويتها كالاعداء والنيران وحيوانات الصيد ولكنهم لا يدركون ما حولها من المناظر الطبيعية ولا يلتفتون اليها فلا تتجهُ افكارهم الاَّ الى القليل من المنظورات واما اهل المدن فيلتفتون الى كل ما امامهم ولذلك يتوزَّع انتباههم على منظورات كثيرة فيقل ادراكهم لكلٍّ منها

اما رؤْية الالوان فاجلى البحث فيها عن تأْييد مذهب غلادستون وهو ان المتوحشين لا يميزون الالوان الضعيفة التي ليس لها اسم خاص بها واما الالوان الواضحة كالاحمر والاخضر فيرونها جليًّا مع ان اربعة في المئة من اهالي اوربا لا يرونها لانهم مصابون بما يسمَّى بالعمى اللوني . واسماءُ الالوان عند هؤُلاء المتوحشين مشتقة من اسماء بعض الاشياء فالاحمر مشتق من اسم الدم والاخضر من اسم مرارة السلحفاة . ولم يشتقوا من اسماء الازهار الاَّ اسمًا واحدًا على كثرتها في بلادهم وكثرة الوانها وهم يطلقون الازرق على الاخضر المزرق والاشهب والرمادي كما يُطلَق في العربيَّة على الرمادي وليس عندهم اسم للاسمر . فادراكهم للالوان مثل ادراك اليونان في عصر هوميروس . واوضح الالوان عندهم الاحمر ويتلوهُ الاصفر واما الازرق فلا ينجلي لهم الاَّ اذا كانت زرقتهُ شديدة وسبب ذلك كثرة المادَّة الصفراء في عيونهم

اما المدى الذي يدركون فيهِ المرئيات فلا يزيد على المدى الذي يدرك فيهِ الاوربيون المرئيات الاَّ قليلاً وهم يدركونها بالاستنتاج كما تقدَّم لا بأَن صورها تكون اوضح في عيونهم منها في عيون الاوربيين

وادراكهم للاصوات اضعف من ادراك الاوربيين لها . وادراكهم للروائح ليس اشد من ادراك الاوربيين لها . وليس عندهم كلمة للتعبير عن المرارة مع انهم يشعرون بطعم الاشياء المرَّة . ولمسهم ادق من لمس الاوربيين فيميزون الفرق الطفيف بين ما يرزونهُ الى حد ٣٢ في الالف واما الانكليز فلا يميزونهُ الاَّ اذا بلغ ٣٩ في الالف . فاذا رازوا حجرين ثقل احدهما ١٠٠٠ درهم وثقل الآخر ١٠٣٢ درهماً ادركوا ان الثاني اثقل من الاول واما الانكليزي فلا يدرك ان الثاني اثقل من الاول الاَّ اذا بلغ ثقلهُ ١٠٣٩ درهماً. لكن شعورهم بالالم اقل جداً من شعور الاوربيين

الزرافة ذات الخمسة القرون

قلنا منذ سنتين "للزرافة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما وقد اكتشف السر هري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءها والخمسة خاصَّة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط" (انظر مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١ في باب الاخبار العلمية) ولم يكد هذا الاكتشاف يشيع في اوربا حتى اهتمَّ علماؤُها بصيد هذا الحيوان لتحقيق ما قالهُ السر هري جنستن فذهب الماجور بول كتن الى قلب افريقية لهذه الغاية وللتفتيش عن الاكابي الحيوان الآخر الذي اكتشفهُ السر هري جنستن واتينا على وصفهِ في جزء شهر يوليو سنة ١٩٠١ . وقد عاد الماجور بول كتن بالامس منها ومرَّ بالقاهرة فقابلهُ مخبر المقطم وعلم منهُ انهُ قضى اكثر من ٢٠ شهراً في السياحة في اواسط افريقية فجاء مدينة ممباسا في يناير من السنة الماضية وركب منها سكة الحديد حتى وصل الى بلدة يقال لها كوساموثم سار على ظهر الحمير حتى جاء الجانب الغربي من جبل كينيا وهو ثالث جبل في العلو من جبال افريقية واخترق بعد ذلك سهول ليكيبيا المقفرة حتى جاء الى بحيرة بارنجو وكان غرضهُ من سفرتهِ هذه ان يصطاد الزرافة ذات الخمسة القرون فالتقى في طريقهِ باسراب وآجال كثيرة من الفيلة والزرافة وحمار الوحش والنعام وايائل افريقية ووعولها واسودها وظفر بالزرافة ذات الخمسة القرون بعد ما قاسى كثيراً من الجوع والعطش والتعب . وكانت قطعان الوحوش تكثر في بعض الاماكن حتى تغطي الارض ولما اتى الجهات الجنوبية من بلاد توبوسا كان يرى الافيال حولهُ من كل جهة حتى لم يعد يعلم كيف يبعد عن طريقها . واوشك الدقيق ان ينفد منهُ فقصد بلاد قبيلة الدورنجة فوجد اراضيها مزروعة وعيون الماء

عندها ثرارة غزيرة بخلاف سائر الاراضي القاحلة التي مرَّ فيها واهلها من احسن القبائل في اعتدال قوامهم وحسن بنيتهم وطول قاماتهم فانهم اطول قامة من سائر القبائل التي التقى بها ولكنهم كلهم عراة الابدان من رجال ونساء يعقصون شعورهم في اعالي رؤوسهم وينزلونها على جباههم وآذانهم ويضعون عليها اقراصاً مستديرة من الصدف فتسطع في نور الشمس كأنها خوذ من الفولاذ تلمع على رؤوسهم . ويشدون شعر الزرافة على ساعدهم الايسر ويحملون الحراب والتروس بايديهم . فهؤلاء قابلوهُ بالشر والعدوان هو ومن معهُ ولكنهُ لاطفهم وطيَّب خاطرهم ثم اخذوا منهُ بعض حميرهِ المحملة وحاصروهُ ثلثة ايام وقتلوا اثنين من رجالهِ وجرحوا آخرين فقاتلهم حتى نجا منهم بعد ما اثخن فيهم قتلاً وجرحاً ومرَّ بعدذلك ببلاد قبائل اخرى فكان اكثرها يسالمهُ حتى وصل الى محطة نيموله على النيل وهي آخر نقطة عسكريَّة على حدود اوغندة . وسار منها الى وادلاي وجاء الخرطوم ومنها الى هذه العاصمة . اما ما كتبهُ ورسمهُ عما رآهُ في سفراتهِ وما جمعهُ من جلود الوحوش ومن الاسلحة ونحوها فلا يزال كلهُ على الساحل في شرق افريقية وبينها ما اصطادهُ من الزرافة ذات الخمسة القرون

واشد الامراض التي التقى بها في سفرهِ مرض النوم وهو يرى انهُ لا بدَّ ان ينتشر بالمواصلة حتى يبلغ هذا القطر يوماً ومرض الماء الاسود واعراضهُ تشبه اعراض اليرقان فيصير وجه المصاب بهِ اصفر كالذهب ولعلهُ من امراض الكبد التي لا تزال مجهولة

الكاس الاميركية وسباق اليخوت

اهتمت الشركات التلغرافية والجرائد اليوميَّة بخبر السباق بين اليخت الانكليزي شمروك الثالث واليخت الاميركي رِلَيَنْس كما تهتم بحرب كبيرة قائمة بين دولتين عظيمتين لا لان لهذا السباق شأناً في سياسة بريطانيا والولايات المتحدة او في نسبة احداها الى الاخرى من حيث الهمة والمقدرة لان امتياز اليخت الواحد على الآخر متوقف على مهارة الذين صنعوها فاذا كان عند اليونان وهي اصغر دولة بحرية رجل ماهر في عمل اليخوت فقد يصنع يختاً يسبق اليخت الانكليزي واليخت الاميركي ايضاً . الاَّ ان اهالي اوربا واميركا اكتفوا من الحاجيات وهم يتبارون الآن في هذه الكماليات وجرائدهم جارية معهم في هذا المضمار ولا جناح على من يقف وقفة "المتفرّج" مثلنا اذا علم حقيقة ما يتبارون فيهِ ولذلك كتبنا هذه السطور في تاريخ هذا السباق منذ اثنتين وخمسين سنة كتب مدير جمعيَّة اليخوت الانكليزيَّة الى مدير جمعيَّة اليخوت

الاميركية يقول بلغنا انكم صنعتم يختاً جديداً سميتموهُ "اميركا" ظهر انهُ يسير بسرعة فائقة وانتم عازمون ان تأتوا بهِ الى هنا ليشترك معنا في سباق اليخوت فاذا أتيتم بهِ فانتم ضيوف علينا تحلُّون على الرحب والسعة

ثم التأمت جمعية اليخوت الانكليزية واجمع اعضاؤُها على عمل كاس او ابريق من الفضة تنفق على عملهِ مئة جنيه وتعطيهِ جائزة لليخت الذي يسبق سائر اليخوت في السير حول جزيرة ويط ببلاد الانكليز ويكون السباق لاجل هذه الكاس مباحاً لكل الامم . وقد رسمت هذه الكاس في الشكل المقابل

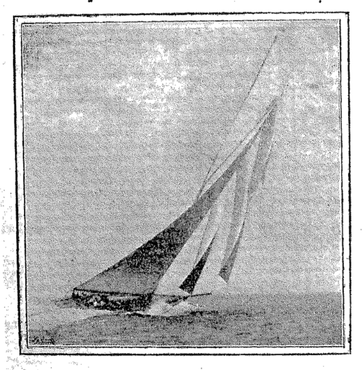
فاتى اليخت الاميركي الى بلاد الانكليز وسابق اليخوت الانكليزية في ٢٢ اغسطس سنة ١٨٥١ فوقف وراءها اولاً ثم جرى معها فجاراها ثم سبقها كلها ووصل الى الغرض قبلها بثلث ساعة . فاخذ الاميركيون الكاس وعادوا بها الى بلادهم واهدوها الى جمعية اليخوت في نيويورك وجعلوها جائزة لمسابقة اصحاب اليخوت من كل الامم وارسلوا يدعون جمعيات السباق في اوربا لمسابقتهم سنة بعد سنة فلبى الانكليز دعوتهم اثنتي عشرة مرة آخرها هذه النوبة باليخت شمروك الثالث الذي صنعهُ السر توماس لبتون لهذه الغاية كما صنع يختين قبلهُ لاسترداد الكاس فلم يفلح ويقال ان هذا اليخت اسرع يخت صنع في اوربا حتى الآن وهو المرسوم في الشكل الثاني على الصفحة التالية

ش ١ الكاس الاميركية

وسابقهُ الاميركيون بيخت اسمهُ رِليَنس (اي الثقة او الاعتماد) ويقال ان صانعهُ امهر رجل في بناء اليخوت في المسكونة كلها وهو المرسوم في الشكل الثالث

وقد انفق السر توماس لبتون ٤٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ على هذا السباق و ٥٠ الف جنيه سنة ١٩٠١ وانفق اكثر من ذلك هذه السنة فلم يعُد بطائل . وينفق الاميركيون نحو

هذا المبلغ في كل سباق للاحتفاظ بكاس فضة تساوي مئة جنيه ولكن ليس الغرض الكاس بل الفخار من حفظها في بلادهم وسبق كل مَن جاراهم في هذا المضمار. ولعلَّ لهم ربحًا ماليًا من وراء ذلك وهو ان طالبي اليخوت يصيرون يفضلون اليخوت الاميركية على غيرها. اما الشركات التلغرافية والجرائد اليومية فغاية ما تتمناهُ ان تجد موضوعًا يهمُّ الناس ولو قليلاً حتى تزيد اهتمامهم بهِ بكل واسطة ممكنة ترويجًا لبضاعتها وهي تنفق الفًا حتى تربح الفًا ومئة. واهل السعة يشاركونها في البذل ولو لم يجنوا من ذلك غير التسلية. والجمهور من الانكليز والاميركان يحسب ان احراز هذه الكاس دليل غلبة الامة التي تحرزها في بناء السفن وسلاك



ش ٢ شمروك الثالث

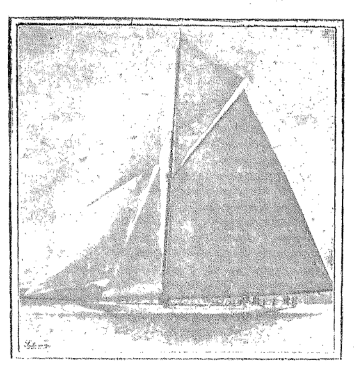
البحار فيراقبون المتسابقين بقلوب خافقة وعيون شاخصة ويتراهنون بالاموال الطائلة. ويبلغ الرهان بين الناس مبلغًا عظيمًا جدًّا حتى يصير ضربًا من القمار يغتني بهِ البعض ويفتقر البعض. وهو من معايب كل سباق يقوم بهِ الاوربيون والاميركيون حتى ضاعت مزية المسابقة لكثرة ما يصاحبها من المراهنة

وكان المتسابقون يتناظرون اولاً بشيءٍ من الغيرة والمضاغنة اما الآن فصاروا يحسبون السباق ملهًى من الملاهي حتى ودَّ كثيرون من الاميركيين ان يكون الفوز لليخت الانكليزي جزاءً لغيرة صاحبهِ وعلو همتهِ. ثم لما ثبت الفوز لهم عليهِ بعد المسابقة الثالثة قابلهُ رئيسهم مقابلة الصديق الكريم

وشكل الرِلَيِنْس شبيه بشكل شمروك الثالث من كل وجهٍ ولكنهما يختلفان اختلافاً طفيفاً في الامور التالية

طول الريلينس ١٤٥ قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً وعمقهُ الى اسفل قاعهِ ١٩ قدماً و ٤ عقد وطول ما يغوص منهُ في الماء ٨٩ قدماً و ٨ عقد ومساحة شراعهِ اذا انبسط ١٦١٦٩ قدماً مربعة

وطول شمروك الثالث ١٣٨ قدماً وعرضهُ ٢٦ قدماً وعمقهُ ٢٠ قدماً و ٦ عقد وطول ما يغوص منهُ في الماء ٨٩ قدماً و ١٠ عقد ومساحة شراعهِ اذا انبسط ١٤٣٣٧ قدماً مربعة



ش ٣ الريلينس

وهذا الاختلاف الطفيف مع شيءٍ من الاختلاف في شكل اليختين والمواد التي بنيا بها والدهان الذي دُهنا بهِ كفى لجعل السبق لليخت الاميركي. ورجع السر توماس لبتون من هذا المضمار وقد آلى على نفسهِ ان لا يعود الى السباق مرةً أُخرى. لكن يبعد عن الظن ان الانكليز يتركون الفوز لغيرهم ويحجمون عنهُ احجام العاجز ولا بدَّ لهم من ان يزيدوا همَّة ويبذلوا كل مرتخص وغالٍ لارجاع هذه الكاس الى بلادهم . وبالهمم تتفاضل الامم

الواحات المصرية

الداخلة والخارجة

الواحة واصلها بالمصرية القديمة "اوت" ارض زراعية مسكونة في وسط الصحراء. والواحات كثير في صحراء افريقية الكبيرة كواحة سيوى والواحة البحرية والواحتين الداخلة والخارجة. الاولى منها في الجهة الشمالية على ثمانية ايام الى ١٥ يوماً من القطر المصري حسب الطريق التي يختارها الذاهب. واقصر الطرق الذهاب بحرًا الى مرسى مطروح ثم السير في الصحراء نحو ٥ ايام • وبقية الواحات تابعة لمديريات الوجه القبلي وكلامنا الآن محصور في الواحتين الداخلة والخارجة وهما تابعتان لمديرية اسيوط الخارجة تبعد مسيرة ٤ او ٥ ايام من اسنا والداخلة تبعد عن الخارجة مسيرة يوم غربًا

وتاريخ الواحات غامض جدًّا غير ان ذكرها في الكتابات القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل . قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بينتم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفًى للمجرمين فقد جاء في هذه الكتابة ان بينتم سمح لبقية حزب رعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع . وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر لكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (سنة ١٦٠٠ ق م) على الاقل • وارسل اليها رعمسيس الثاني حامية في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبعد ذلك بنحو قرن ابتدأ سكانها يزرعون الكروم وكانت خمرها فاخرة جدًّا • وفي ايام الملك منفتاح الذي خلف رعمسيس هجم اهالي ليبية على مصر من طريق الواحات

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامهِ عن التجريدة التي ارسلها كمبيسس ملك الفرس الى واحة سيوى وهلك منها خمسون الفًا فقال "ان عساكر كمبيسس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوَّبين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لمقاطعة طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كاليعقوبي والمقريزي وغيرهم ويستدل من كلامهم عنها انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيرًا من شأنها السالف . واول من زار الواحة

الخارجة من المتأخرين بونسه سنة ١٦٩٠ وبرون سنة ١٧٩٣ و بروكش سنة ١٨٧٤ وشوينفرت وغيرهم. وزارها حديثاً كثيرون من موظفي الحكومة المصرية و بعض موظفي مصلحة المساحة الجيولوجية فنشروا عنها التقارير الضافية خصوصاً فيما يتعلق بالوجهة العلمية كاقليمها وطبقات ارضها وظواهرها الجوية وحيواناتها ونباتاتها

وفي ما نشروهُ عنها امور كثيرة لا تخلو من لذة وفائدة خصوصاً وان هذه الواحات تابعة لمصر ولا يعرف المصريون عنها الاَّ اسمها مع انها ذات خيرات وفيرة ومعادن كثيرة · فالواحة الخارجة تبعد نحو ١٨٠ كيلو متراً عن اسنا الى جهة الغرب طولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٥٠ كيلو متراً وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ٤٠ كيلو متراً · والطريق اليها من وادي النيل واسعة مطروقة فيها كثير من عظام الحيوانات التي هلكت فيها وعلى جانبيها تلال صغيرة يستدل بها المسافرون على المسافة التي قطعوها . والصحراء بين مصر والواحات صخرية قاحلة وليس فيها ماء مطلقاً ولا ينبت فيها نبت يذكر

والواحات نفسها منخفضات من الارض وسطحها غير مستوٍ او هو صخري قاحل الاَّ حيث توجد المياه · وخصب هذه الاراضي ناتج من المياه التي في طبقاتها السفلى فحيثما وجدت منفذاً طبيعياً او حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط الذي عليها الى وجه الارض . وصناعة حفر هذه الآبار في الواحتين الخارجة والداخلة قديمة جداً منذ ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الاَّ في هذا القرن والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايه رأى الاهالي يجهلون حفر الآبار الارتوازية فاذا طويت احدى آبارهم القديمة لم يمكنهم ان يحفروا غيرها فاستحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات · واقام اولاً في الواحة الخارجة وأسس معملاً للنيلة ولاستخراج الشب والشب كثير في تلك النواحي · وفي السنة التالية اخذ معهُ آلة الحفر وانتقل الى الواحة الداخلة . وقد أُرسل بعد ذلك الى الواحات خمس آلات لحفر الآبار احداها اهديت من المغفور لهُ الخديوي السابق الى الشيخ السنوسي

واراد سعيد باشا تجنيد العربان فعصت عليهِ بعض قبائل الوجه القبلي كالجوازي وغيرها ورحلوا من وادي النيل الى الواحة الخارجة وقطعوا نخيلها ثم ساروا الى الداخلة وفعلوا كذلك . وارسل اليهم سعيد باشا حملة عسكرية ومعها المدافع وساعدتهُ قبيلة اولاد علي فانكسر العربان وهرب من هرب منهم الى طرابلس الغرب حيث بقوا حتى عُفي عنهم واذن لهم في الرجوع وكان بين زعماء هذه الثورة الشيخ المصري احد رؤساء قبيلة الجوازي فصار اهالي الواحات يدعون تلك السنة بسنة المصري الى اليوم

ومن اسباب تأخر الواحات ابطال مسير القوافل من دارفور الى اسيوط بطريق الخارجة وقت الثورة السودانية ومن المحتمل ان التجارة على تلك الطريق كانت قد قلَّت كثيرًا قبل الثورة بسبب الغاء النخاسة

وفي الخارجة قرًى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف وفيها نحو ستين الف نخلة ومئتا بئر . وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام والدجاج والديك الرومي ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . وينبت في ارضها القمح والشعير والارز والذرة والبرسيم والبامياء والملوخيا والشمام والبرتقال . والكرم قليل جدًّا فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمان القديم بجودة خمرها . ويكثر فيها السنط والدوم وسنطها افضل كثيرًا من سنط وادي النيل . ويصدر من حاصلاتها التمر فقط اما الباقي فيستعمل فيها وهو اقل من الحاجة فيضطر الاهالي الى جلب باقي ما يحتاجون اليهِ من القطر المصري . ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وفي هذه الاشهر تكثر المواصلات مع وادي النيل لكثرة تردد تجار التمر . ويصعب معرفة عدد الجمال التي تحمل التمر سنويًّا منها الى الوجه القبلي وقد قدرهُ بعضهم بين الف وخمسماية جمل والفي جمل . واهالي الخارجة فقراء وكثيرون منهم يأتون سنويًّا الى القطر المصري للتعيش ثم يرجعون الى اوطانهم مدة موسم التمر

وتمتد الواحة الداخلة من الشرق الى الغرب وهي اصغر من الخارجة واكثر سكانًا وصادرات وسكانها سبعة عشر الفًا وفيها نحو ١٣٠ الف نخلة وما ينيف على خمسمائة بئر . وحاصلاتها مثل حاصلات الواحة الخارجة وفيها ايضًا الصفصاف والكرم والزيتون . وعدد الجمال التي تنقل منها التمر سنويًّا يربو على الفين ويصدر منها ايضًا البقر الى الواحة الخارجة والى بلاد الريف رغمًا عن بعد المسافة . ويصنع الخزف في بلدة القصر وكذلك عرق البلح وفيها معصرة للزيت وانوال للحياكة . واهالي الداخلة اكثر ثروة من اهالي الخارجة ويعتمدون في معاشهم على مواشيهم وغلات ارضهم اكثر مما يعتمدون على التمر

وهواء الواحات حار جدًّا في الصيف ولا سيما عند هبوب ريح السموم ومعتدل في الشتاء تختلف حرارتهُ من ٧٥ درجة فارنهيت في نوفمبر الى ٥٠ درجة فارنهيت في يناير . وهو جاف جدًّا . وتكثر فيها الحميات في الصيف والخريف فيموت بها كثير من السكان

واكثر الآثار القديمة في الواحة الخارجة وهي هياكل مصرية بنيت مدة حكم الفرس (٥٢٧ — ٣٣٦ ق م) وهياكل أُخرى بنيت في مدة حكم اليونان والرومان (٣٣٢ ق م الى ٦٤٠ بعد المسيح) وقلاع رومانية وكنائس وقبور مسيحية وآبار ارتوازية . وعلى هذه الآثار

كتابات وصور كثيرة قرئَ بعضها والبعض الآخر لم يقرأ بعدُ . واهم الهياكل المصرية هيكل هيبس شرع في بنائهِ داريوس الاول ملك الفرس واتمهُ داريوس الثاني في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الوحيد الذي بقي من الابنية العمومية التي اقامها الفرس مدة دولتهم في مصر وطول هذا الهيكل اربعة واربعون متراً وعرضهُ ١٩ متراً وحولهُ ثلاثة ابراج لابوابهِ وهو مبني بالحجر الرملي . والهياكل الرومانية عديدة ومتفرقة في الواحة الخارجة واكثرها ينتهي تاريخهُ الى القرن الثاني والثالث بعد المسيح . وحول بعض هذه الهياكل آثار المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكان هناك مدن كثيرة غيرها دُرست وغطت الرمال انقاضها ولم يبقَ منها الاَّ قطع خزف وآثار مجارٍ قديمة للمياه تدل على انها كانت آهلة بالسكان

وفي الواحة آثار قلاع رومانية وابراج للاستكشاف وكلها في شمالها على الطريق الموصل الى القطر المصري

ومن اهم الآثار في تلك الجهة مدافن المسيحيين القدماء على اربعة كيلومترات شمالي بلدة الخارجة وقد اعجب بجمال بنائها جميع السياح الذين زاروا الواحات ووصفوها وصفاً مدققاً . وفيها نحو مئتي مدفن بهيئة بيوت بينها شوارع منظمة ومجموعها اشبه ببلدة مهجورة منها بمدافن الاموات . وكلها مبنية بالطوب النيء ومختلفة الحجم فالكبير منها يحيط بهِ اعمدة وقناطر والصغير مقبَّب وتحت القبة حفرة مربعة صغيرة يتشعب منها عدة غرف . وداخل هذه المدافن مبيض بالجير وكان اصلاً مزيناً بالنقوش ثم محيت وابدلت بكتابات عربيَّة . وقد سلم احد هذه المدافن من الايدي المخربة فيرى فيهِ الناظر صوراً متقنة حوالي القبة وتحتها اسماؤُها باليونانية منها صورة آدم وحواء وابرهيم واسحق وسارة ودانيال والاسود ونوح في السفينة وصور كثير من القديسين . وقد جاء في التاريخ ان الاسقف نسطوريوس نفي الى الواحات في القرن الخامس للميلاد فلا يبعد ان هذه الجبانة كانت مدفناً لاتباعهِ . ويستدل من اثواب المومياء التي شوهدت مختلطة بالعظام حوالي هذه الجبانة ان عادة تحنيط الموتى بقيت مدة طويلة بعد التاريخ المسيحي

غير ان اهمَّ آثار الواحات التي يستفاد منها الى الآن الآبار الارتوازية القديمة التي يدعوها الاهالي " العيون الرومانية " فان كثيراً منها محفور في مرتفعات من الارض حتى يسهل جريان المياه منها الى الاراضي الواطية . وطرق رفع المياه تكاد تكون مجهولة تماماً في تلك الاصقاع خصوصاً في الواحة الخارجة ولم يشاهد السيَّاح سوى ساقيتين او ثلاث وبعض الشواديف في الواحة الداخلة

واهالي الواحات كسالى على الغالب يكرهون العمل وخصوصاً ما لم يألفوهُ من الصغر وهذا سبب فقرهم . فاذا ردمت بئر قديمة طلبوا من الحكومة ان تحفر لهم بئرًا اخرى مع ان تطهير البئر الاولى قد يكون اسهل واقل نفقة من حفر بئر جديدة . ولو اعتني الاهالي بحفظ الآبار القديمة سالمة من الردم وباستخدام الوسائل لرفع المياه (وهي احياناً على عمق قليل جدًّا تحت سطح الارض) لزادت اراضيهم الزراعية ولتحسنت احوالهم كثيرًا

وآلات حفر الآبار التي في الواحات بسيطة جدًّا اشبه بالآلات المستعملة الآن في القطر المصري ويستعملون عوضاً عن الانابيب الحديديَّة انابيب من خشب السنط متقنة الصنع جدًّا لا تنفذ المياه جدرانها . ويظهر ان صناعة هذه الانابيب قديمة جدًّا في الواحات فان الانابيب التي في العيون الرومانية لا تزال في حال صالحة كما لو كانت قد صُنعت حديثاً

وفي الواحات من المعادن الفصفات وهو في الداخلة ولو لا بعد المسافة لامكن نقلهُ بسهولة الى وادي النيل والانتفاع بهِ في تسميد الاراضي . وفيها ايضاً الشب والحمرة والملح وقليل من الكوبلت والنكل ولكن الراجح ان هذه المعادن كلها موجودة بكميات قليلة لا تفي بنفقة استخراجها

وقد بحث جيولوجيو مصلحة المساحة في مصر عن اصل الواحات وكيفية تكونها فذهبوا الى ان طبقات الارض تغير ترتيبها هناك في احد العصور الخالية لسبب طبيعي فانكشف كثير من الطبقات اللينة وتعرَّضت للرياح ففتتها وحملت ترابها وبذلك انخفضت الارض . ولا تزال الرياح في تلك الانحاء تفعل هذا الفعل الى الآن والواحات تزيد اتساعاً

نسيم برباري

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٣٣ ﴾ الحصون والآطام

كان العرب يستخدمون في البناء الشيد والاجر والقرميد قال النابغة الذبياني

او دمية من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيت بآجرّ تُشاد وقرمدِ

وقد شادوا الحصون المنيعة والآطام الراسخة كالخورنق والسدير وقصر غمدان واحتفروا الآبار وكلُّ ذلك قد جاء في شعرهم قال السموأل المشهور

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئرًا كلما شئتُ استقيتُ

يشير بقولهِ هذا الى الابلق الفرد الذي دعاهُ لمنعتهِ جبلاً حيث قال

لنا جبل يحتلهُ من نجيرهُ منيع يردُّ الطرفَ وهو كليلُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرع لا يُنال طويلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ يعزُّ على من رامهُ ويطولُ

وقد ذكر الاعشى ميمون باني هذا الحصن فقال

بناهُ سليمان بن داود حقبة لهُ ازج عالٍ وطيٌّ موثقُ (١)

وظاهر هذا القول يناقض قول السموأل ان الحصن من بناء عاديا (ابيهِ) والتوفيق بينهما هو ان سليمان بناهُ وعاديا رمَّهُ فدعا السموأل الترميم بناء احتذاء بالكتاب الذي دعا ترميم سليمان تدمر بناء . وقال احيحة بن الجلاح اليثربي

وقد اعددتُ للحدثان حصناً لو ان المرء ينفعهُ العقولُ
طويل الرأس ابيض مشمخرًّا يلوح كأنهُ سيف صقيلُ

وقال هذا الشاعر في خطاب عاصم بن عمرو من بني مازن بن النجار الخزرجي

نبئتُ انك جئتَ تس ري بين داري والعبابهْ
فلقد وجدتَ بجانب الـ ضحيان شيئًا ذا مهابهْ

والضحيان الحصن الذي بناهُ واشار اليهِ في ما سبق وقد بنى قبل الضحيان حصناً سمَّاهُ المستظل بدليل قولهِ

بنيتُ بعد مستظلٍّ ضاحيا بنيتهُ بعصبة من ماليا

وتسمية الضحيان ضاحياً للمناسبة اللفظية . اما الآطام فنستدل عليها بقول الاعشى ميمون بن جندل

فلمَّا اتت آطام جوٍّ واهلها انيخت فالقى رحلها بفنائكا

وقال قيس بن الخطيم الاوسي

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونهُ وترك القنا شُوركتمُ في الكواعبِ

واما الآبار فقد ذكر احتفارها الفحل اخو بني ام الكهف من طيء قال

فان الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

وبنو طيء من العرب البدو فدل قولهُ على ان البدو فضلاً عن الحضر كانوا يحفرون الآبار لقلة الماء في ديارهم

٣٤ البيوت

وكانوا يتخذون البيوت من أدم قال طرفة

(١) الازج بيتٌ طولاً

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا اهل هذاك الطراف الممدَّدِ (٢)

ومن شعرٍ قال مضرس بن ربعي الاسدي

كأن لنا منهُ بيوتاً حصينة مسوحاً اعاليها وساجاً كسورُها (٣)

وقال عمرو بن قعاس المرادي

وبيت ليس من شعر وصوف على ظهر المطية قد بنيتُ

ومن النسيج قال طفيل بن عوف الغنوي

وبيت تهبُّ الريح في حجراتهِ بارض فضاءٍ بابهُ لم يحجَّبِ
سماواتهُ اسمال برد مفوَّف وصهوتهُ من اتحمي معصَّبِ (٤)
واطنابهُ ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادئٍ ومعقبِ

﴿٣٥﴾ المدافن

اذا علقت ايدي المنية باحدٍ جعلوا لهُ نعشاً حملوهُ عليهِ الى قبرهِ قال كعب بن زهير

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلة حدباء محمولُ

وكانوا يشيدون على قبور الموتى ابنية ونستدلُّ على ذلك بقول عدي بن ربيعة المعروف بالمهلهل التغلبي حيث قال

سألتُ الحيَّ اين دفنتموهُ فقالوا لي بسفح الحي دارُ
فسرتُ اليهِ من بلدي حثيثاً وطار النوم وامتنع القرارُ
وحادت ناقتي عن ظل قبر ثوى فيهِ المكارم والفخارُ

وقال لبيد بن ربيعة العامري

وهل هو الاَّ ما ابتنى في حياتهِ اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا

ولا يخالنَّ القارئُ انهم كانوا يقيمون الحجارة رجمة تقذف على القبر قذفاً كما يلوح من قول لبيد . بل انهم كانوا يشيدون المدافن كما تشيَّد في هذا الزمان وقول لبيد من باب تحقير الشيء والتزهيد . ودليلنا على ما ادعيناهُ قول مسكين الدارمي

---

(٢) غبراء الارض و بنو غبراء الفقراء . والطراف البيت من ادم واهل الطراف المدد الاغنياء

(٣) المسوح جمع مسح وهو الثوب من الشعر او البلاس . والساج الطيلسان الاخضر او الاسود . والكسور جمع كسر وهو الشقة السفلى من الخباء

(٤) برد مفوَّف اي رقيق او فيهِ خطوط بيض على الطول واسمال خلق اي بالٍ فقدم الصفة على الموصوف وجعلها مضافاً ككبير امر

ونابغة الجعدي بالرمل بيتهُ عليهِ صفيح من رخام مرصَّعُ (٥)

وقال البرج بن مسهر الطائي

نطوّف ما نطوّف ثم يأوي ذوو الاموال منا والعديمُ
الى حفر اسافلهنَّ جوف واعلاهنَّ صفّاح مقيمُ (٦)

كانوا يطوّقون القبر بالريحان والازاهير ذات الرائحة الذكيَّة و يستمطرون عليهِ الغيث قال النابغة الذبياني

سقى الغيثُ قبرًا بين بصرى وجاسم بغيث من الوسمي قطر ووابلُ
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاهُ ديمة ثم هاطلُ
وينبت حوذانًا وعرفًا منوَّرًا سأُتبعهُ من خير ما قال قائلُ

وكانوا ايضًا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخمر قال حاتم

اماويَّ اما متُّ فاسعي بنطفة من الخمر ريًّا فانضحِنَّ بها قبري

وقال نصر بن غالب

اصبُّ على قبريكما من مدامة فالّا تذوقاها تروّ ثراكما

وكانوا ايضًا يعقرون على القبور الخيل قال الفرزدق في رثاء بشر بن مروان

غضبتُ ولم املك لبشر بصارم على فرس بين الجنازة والقبرِ

وقال حفص بن احنف الكناني

لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدَّم وسقى الغوادي قبرهُ بذنوبِ (٧)
نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وَهوبِ
لا تنضري يا ناقُ منهُ فانهُ شرَّاب خمرٍ مسعرٌ لحروبِ
لولا السفار وبعدهُ من مهمهٍ لتركتها تحبو على العرقوبِ (٨)

وقال زياد بن الاعجم يرثي المغيرة بن المهلَّب

فاذا مررتَ بقبرهِ فاعقر بهِ كوم الجلاد وكل طرف سابحِ

---

(٥) الصفيح وجه كل شيء عريض · والمرصع المحلى (٦) الصفاح حجارة عريضة رقيقة

(٧) الذنوب الدلو العظيمة وقيل لا تسمى ذنوبًا حتى يكون فيها ماء

(٨) المهمه المفازة · وتحبو من الحبو وهو ضرب من الدبيب · والعرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها · وقولهُ تحبو على العرقوب كناية عن الذبح لان العرب كانوا يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال ابو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زادًا فانك عاقرُ

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح (٩)

وكانت نساؤهم يخمشن وجوههنَّ ويحلقنَ شعورهنَّ اسفاً على الميت قالت الخنساء

لما استبانت ان صاحبها ثوى حلقت وعلت رأسها بسقاب (١٠)

وربما علقنَ في رقابهنَّ نعال ازواجهنَّ او انسبائهنَّ قالت الخنساء

هريقي من دموعك واستفيقي وصبراً ان اطقت ولن تطيقي
بعاقبة فان الصبر خيرٌ من النعلين والرأس الحليق

وكانوا يؤبنون الموتى بتعديد مناقبهم كما جاء عن عبد المطلب انهُ حينما ايقن بدنو الاجل استدعى اليهِ بناتهِ واستنشدهنَّ ما عزمنَ على تأبينهِ بهِ فانشدت كل واحدة مرثاة من جيد الشعر والقصة مشهورة والمراثي مثبتة في ديوان شواعر العرب

ولم يكن تأبين الاموات خاصّاً بالنساء فكان الرجال يقفون على الجنازة فينشدون الشعر رثاءً للميت كما روي انهُ لما وُضع وكيع بن ابي مسوَّر المقراني على نعشهِ جاء الفرزدق والناس قيام حول الجثة فانشد قصيدة مطلعها

ليبكِ وكيعاً خيل حرب مغيرة تساقي المنايا بالردينية السمرِ

الى ان يقول

فلو ان ميتاً لا يموت لعزة على قومهِ مامات صاحب ذا القبرِ
أُصيبت بهِ عمرو وسعد ومالك وضبة عمُّوا بالعظيم من الامرِ

واما مدة الحداد فهي حول قال لبيد العامري

تمنَّى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الاَّ من ربيعة او مُضَرْ
فقوما فقولا بالذي تعلمانهِ ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذي لا صديقهُ اضاع ولا خان الخليلَ ولا غدرْ
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

امين ظاهر خيرالله

(٩) نضح القبر بالدم رشهُ و بلهُ
(١٠) السقاب قطانة كانت المصابة تحمرها بدمها وتضعها على راسها وتخرج طرفها من قناعها ليعلم انها مصابة

الامير فخر الدين المعني

[المقتطف الامير فخر الدين المعني اشهر من تولَّى جبل لبنان والبلاد المجاورة لهُ . وقد وقفنا في الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين عند الكلام على ذهابهِ الى ايطاليا ورجوعهِ منها الى لبنان للاطلاع على شؤُونهِ ثم عودتهِ الى ايطاليا . والظاهر انهُ لم يقم فيها طويلاً حتى طلب العودة الى لبنان وهاك ما قالهُ المؤَرخ في هذا الصدد]

لما اراد الامير فخر الدين ان يرجع الى بلادهِ سعى فاجتمع بدوك توسكانا فقال لهُ الدوك في فاتحة كلامهِ — ما وراءك من اخبار الشرق

الامير — وردني كتاب من امي تطلب اليَّ بهِ ان ارجع لتراني قبل موتها

الدوك — وهل انت راغب في الذهاب

الامير — انك ابن وتستطيع ان تدرك عواطفي ولا اكتمك اني لا يسرني الاَّ ذهابي اليها

الدوك — اذًا نحن لا نقف في سبيلك

فلما نال الامير هذه الاجازة تهيأ للرجوع وذهب الى ليگورن واستأْجر مركبًا وارسل اليهِ عائلتهُ وفيما هو لاحق بهم عارضهُ جلاوزة الميناء وسألوهُ الجواز واذ لم يكن بيدهِ قالوا لهُ ان يستحصلهُ من الدوك فرجع الى فلورنسا واذا بالدوك يمانع في سفرهِ محتجًّا بان اقامتهُ في ايطاليا اكسبتهُ معرفة شؤُونها بحيث يكون آلةً ضارَّةً لتلك البلاد يستخدمها السلطان اذا شاء غزوها فلما اجتمع الامير بالدوك دارت بينهم المحاورة الآتية

— الى اين انت ذاهب

— الى صيداء

— من يتولَّى حكومة لبنان

— ابني

— كم عمرهُ

— خمس وعشرون سنة

— اما تخاف بأْسًا من ابنك وانسبائك ومواطنيك

— لم اتركهم في جملة اعدائي

— فان كنت لا تخشاهم فهلاَّ تخشى السلطان

— اني لا ارغب الاَّ في الطعام والكساء وان ارى امي واهلي فان لم يرحّبوا بي فالجبال

فسيحة امامي فان لم تسعني الجبال فالدنيا رحيبة في وجهي وكيف كان الامر اكون بذهابي قد قمت بالواجب عليَّ من البر بوالدتي . وبعد ان ساد السكوت برهة قال الدوك

— اشور عليك ان تذهب الى القسطنطينية

— لو كنت راغباً في الذهاب اليها ما اتيت الى هنا

وانما اراد الدوك ان يمتحن الامير بهذه النصيحة ليستوثق منهُ بعدم اعانة العثمانيين عليهِ

وبعد مضيّ بضعة ايام اجاز الدوك سفر الامير فرحل وهو لا يكاد يصدق بالنجاة واخذ في السفينة برميلاً من البارود حتى اذا مانعوهُ بعد سفرهِ يحرقهُ فيهلك بهِ مع عائلتهِ

ومن الغريب ما رواهُ اخبار الاعيان من انهُ بينما كان الامير في نابولي وقد ذهب اليها في صحبة والي مسينا ورد اليهِ كتاب والدتهِ تخبرهُ فيهِ بعزل الحافظ واخلاء سبيلها وانها مرسلة اليهِ كتاب الامان ولذلك فهي تسألهُ الرجوع الى وطنهِ كأَن هذا الكتاب الذي أُرسل اليهِ سنة ١٦١٤ قضى في طريقهِ ثلاث سنوات. نعم ان الوفد لم يجدوا الامير عند وصولهم الى ليكورن ولكنهُ احاط علماً بفحوى الرسالة وسائر احوال بلادهِ حين زارها سنة ١٦١٥ فلا يصح اذًا ان يحسب مؤدى الرسالة سبباً في رجوعهِ وانما الارجح انهُ علم بما نال ابنهُ من الحظوى لدى الدولة العلية فامن جانبها لاسيما بعد اذ انعمت عليهِ بالعفو والامان فسأَل الدوك الاجازة بالسفر فتلكأَ حيناً باعطاء الجواز ثم انعم بهِ واحسن وداع الامير فبلغ عكاء سنة ١٦١٧ بعد ان غاب عن بلادهِ خمس سنين واياماً على ما رواهُ العلاَّمة الدويهي وصاحب اخبار الاعيان بخلاف ما قال ڤولناي ولامارتين فانهما ذكرا غيابهُ تسع سنوات

فلما وطئت قدماهُ ارض سورية وفد القوم للقياهُ من كل ناحية يحملون الهدايا والتحف ويؤكدون الحب والولاء واغرب ما كان ذلك من الامراء احمد بن يونس الحرفوش واحمد طرباي وحسن بن يوسف باشا سيفا واحمد الشهابي لان هؤلاء كانوا قد ناصبوهُ العداء ايام الشدة فمالوا اليهِ حين رأوهُ عاد الى عزَّتهِ فتناسى فعالهم وارتضى من جميعهم وقبل هداياهم الاَّ الجوادين اللذين قدمهما حسن سيفا قائلاً لهُ انهما لا ينسيانهِ حريق دارهِ في دير القمر. ثم استكتب الامير علي الشهابي رسالة ليوسف باشا سيفا يطالبهُ بها بالاثنين وعشرين الف غرش التي اقترضها جماعتهُ من جماعة الامير في اسلامبول فاجاب الباشا ان هذا القرض لقاء ما ضبطهُ الامير من غلال املاكنا في بيروت وكسروان وانطلياس

وجرى فخر الدين بعد رجوعهِ الى الامارة مجرى الطائعين للدولة الناهضين باوامرها فانهُ لما جاء المحصّل يطلب بقية مالٍ عليهِ ذهب الى عكاء وشدّد على القوم في التحصيل حتى اوفى

المحصل وصرفهُ مكرّماً ومحملاً تقدمةً للصدر الاعظم. والمستفاد من الرواية ايضاً ان عكاء كانت في ولاية المعنيين

ومما ذكر العلاّمة الدويهي ان في سنة ١٦١٨ قدم طرابلس عمر باشا لبتنجي فضبط المدينة واما بلدانها فكانت تحت ولاية ابن سيفا ولم يعوضهُ عنها شيئاً. وورد في اخبار الاعيان ان الامير كتب الى عمر باشا والي طرابلس يشكو من اعمال يوسف باشا فاجابهُ اذا شئت ان تحاربهُ فانا اكون مساعداً لك واضمن لك ان لا يكون ذلك مغضباً للدولة

وكلتا الروايتين لا تشفي غليلاً الاَّ ان جوانين وڤان كافر صاحبي تاريخ تركيا يقولان ان القلاقل التي حدثت في السلطنة السنيَّة عقيب خلع السلطان عثمان الثاني القت حبل الامور على الغارب ومهدت لعسكر الانكجارية سبل الاعتداء والجور حتى على ولاة الامر فاغتنم بعض الولاة الفرصة السانحة ومرقوا من الطاعة يحسبون السلطنة تعجز بشؤُونها عن كبح جماحهم واشهر هؤُلاء الخونة اباظه باشا والي ارض روم ويوسف باشا سيفا والي طرابلس وبدأ يوسف باشا بان طرد الانكجارية الذين في المدينة معلناً انهُ انما فعل ذلك انتقاماً للسلطان غير انهُ لم يمض عليهِ الزمن الطويل حتى قدم عمر باشا الكتنجي والياً على طرابلس

الاَّ ان تاريخ هذه الحادثة ليس سنة ١٦١٨ لان مقتل السلطان عثمان كان سنة ١٦٢٢ فهي اذاً ليست بالسبب الفعال للغارة المنوه عنها والله اعلم

فكأَن عمر باشا ضبط المدينة ولكنهُ لم يقوَ على كبت يوسف باشا في عكار فاستنهض الامير فخر الدين او رأَى ان يمحو سيئاتهِ الماضية تجاه الدولة بان يخدمها في قمع يوسف باشا وهو عدوهُ اللدود فخابر عمر باشا ولما اجاز لهُ محاربة العدو تحفَّز لهُ وزحف بمن اجتمع اليهِ من الكماة الى نهر ابرهيم ومنها الى اميون فبخعون حتى قبولا في عكار فارتاع يوسف باشا وفرَّ ليلاً الى قلعة الحصن فغنم الامير اثقالهُ ثم التقى بعسكر عمر باشا وتبعا يوسف باشا واضطراهُ الى التسليم

قيل ان شرذمةً من عسكر الامير التقت بجماعة كان فيهم الامير محمد حفيد يوسف باشا وعمرهُ خمس سنوات فلما ابصر الجماعة العسكر المعني خافوا وهربوا تاركين الغلام فحمل الى فخر الدين فبعث يطمئن امهُ عن سلامة ابنها وهي في سير ثم نقلها من هناك الى عكار وقصد الامير عكار فاشتغل عسكرهُ بنهبها اما هو فركب بالف فارس الى الحصن فرأَى آل سيفا واحزابهم متأهبين للقتال فحمل عليهم وحار بهم فانهزم الاميران محمد وسليمان صوب جبيل وجاء سائر العسكر فاحاطوا بقلعة الحصن فكتب يوسف باشا يستغيث بمصطفى باشا والي الشام ومحمد باشا والي حلب وكتب الامير فخر الدين الى ابنهِ الامير علي يأْمرهُ بالبقاء في غزير وان يبعث عسكرهُ

بامرة الامير علي الشهابي ففعل. وضاق ذرع يوسف باشا فاخرج زوجتهُ ابنة الامير تستغيث بهِ ليكف عن بعلها فطيب قلبها ووعدها باجابة سؤلها واشرط على ذلك ان يؤديهُ يوسف باشا مئتي الف قرش وان يعطيهُ صكًا برفع الضبط عن املاك آل عساف من انطلياس الى بيروت

ومما روى تشرشل في تاريخ لبنان ان يوسف باشا لم يكن يعرف الامير فخر الدين شخصيًا فلما اصطلحا جاء عكار مسلمًا على الامير ولم يكن ابنهُ صهر فخر الدين حاضرًا بل كانت معهُ كنتهُ بنت الامير فوجدا فخر الدين نائمًا القيلولة وكان صغير الجسم هزيلاً فالتفت يوسف باشا الى كنتهِ قائلاً أَليس هذا ابوك قالت بلى قال لو شئت لوضعتهُ في جيبي بين مفاتيحي فسمع فخر الدين هذا الحديث وساءهُ الاستهزاء بصغر جسمهِ فنهض للحال غير مبالٍ بيوسف باشا ولا ملتفت الى واجب التحية بل امر بالخيول فسرجت وبالرجال فتهيئوا وهو لا يصغي الى ما قُدّم من التوسلات والمعاذير لانهُ حسب ذلك المزاح هجوًا فخرج من هنالك متوعدًا

ولما وصلت النجدة بامرة علي الشهابي رجع فخر الدين بشرذمةٍ الى عكار ونقل حجارة قصر آل سيفا الى البحر ومنهُ الى بيروت فحُملت منها الى دير القمر

واختلفت رواية المؤرخين عن نجدة الوزيرين والي الشام ووالي حلب ليوسف باشا فقد قال العلاَّمة الدويهي انهما انجداهُ وجمعا عسكرهما وزحفا حتى حماه وكاتبا الامير فخر الدين وعمر باشا بالكف عن القتال وقال صاحب اخبار الاعيان انهما لم ينجداهُ والذي نرى ان الروايتين صادقتان ولئن تباينتا فان الوزيرين لم ينجداهُ باديء بدءٍ لانهُ كان ناجمًا على الدولة وانما لا يستبعد انهما لما علما بالعفو عنهُ تحفزا لنجدتهِ وزحفا الى حماه لكف القتال وليس لمحاربة اللذين كانا يحاربان عن الدولة. يستفاد ذلك مما روى جوانين من انهُ لما تولى الصدارة العظمى قره حسين باشا في عهد السلطان مصطفى اقرَّ يوسف باشا على ولايتهِ

بيد انهُ ورد صريحًا ان يوسف باشا اعيتهُ الحيلة من تشديد الحصار على قلعة الحصن كأَنهُ لم يعلم بتقرير الولاية عليهِ فبعث يطلب الصلح من فخر الدين فطلب الامير ثلثمائة الف قرش نصفها عن قرض اسلامبول وثمن الماشية التي ضبطها الباشا مما اودعهُ الامير عندهُ حين سفرهِ ومن حاصلات بيروت وغزير وبلادها مدى ثمانية شهور والنصف الآخر لوالي طرابلس لقاء ما ضبط يوسف باشا من اموال المقاطعات. وهنا ايضًا اختلفت رواية العلاَّمة الدويهي عمَّا نقلناهُ عن اخبار الاعيان فان ذاك يقول ان المال مئة الف وان فخر الدين اخذ صكًا بمئة الف اخرى وفي اخبار الاعيان ان المئة الف اخذها الباشا والامير زيادة عن المال الاول

وبعد ذلك كتب بين الامير ويوسف باشا وثائق الصلح والمسالمة وانهُ لم يبقَ بين الفئتين

حقٌّ ولا دعوى ثم رُفع الحصار ورجع كلٌّ الى مقرهِ اما فخر الدين فكانت قلعتا جبيل وكرجبيل قد امتنعتا عليهِ اثناء مسيرهِ على يوسف باشا فتركهما حتى اذا عاد اخذهما وامر بهدم قلعة جبيل

وعاد بعد هذا الظفر وقد رسخت قدمهُ في الامارة ورنت حصاة قدرتهِ حتى دانت لهُ البلاد واصبح حكمًا يرجع اليهِ في شؤونها لانهُ ظهر بمظهر الطاعة للدولة العلية والعمل على خدمتها والسير على ما تريد متجنبًا جهدهُ مناواة الوزراء القائمين على الولايات المجاورة وهؤلاء كانوا يجلون قدرهُ وكانهم قابلوهُ بالالتفات والقبول جزاء طاعتهِ الظاهرة فكان اذا التجأ اليهِ حاكم معزول ونال منهُ الوعد بالمساعدة يسعى لدى غير واحد من الوزراء حتى ينيلهُ ما اراد ولو تكلف على ذلك الاموال الطائلة جريًا على عادة تلك الايام من تقديم الهدايا للحاكم الاعلى استجلابًا لرضاهُ

الاَّ انهُ يظهر ان القلوب لم تكن قد صفت اوكأن ولاة الشام كانوا يشعرون ان ظاهر الامير مموَّه بالطاعة تمويهًا وانهُ لا يحجم عن شق العصا متى استحسَّ من نفسهِ بالقدرة ولذلك كانوا يوجسون خوفًا من تزايد سؤددهِ ويتمنون لو تمكنوا من خضد شوكتهِ اوكأن اعداء الامير واهمهم يوسف باشا سيفا واطولهم باعًا في مناصبتهِ كشفوا خفيَّات امرهِ لباب الدولة حتى اوعزت الى رئيس اسطولها ان يقبض عليهِ ويجيء بهِ الى العاصمة فقدم قبطان باشي الى صيداء في خمسين مركبًا فرحب الامير بهِ واكرم وفادتهُ وقدم لهُ مالاً وزادًا فطلب القبطان باشي ان يزورهُ الامير في سفينتهِ فاجاب اني ان جئت السفينة وقبضت عليَّ كان ذلك شينًا عليك وان سرحتني صرت ملومًا فارتضى الربان بهذا الجواب ومضى الى سبيلهِ على انا لنعجب لهذا الربان لانهُ ان كان مأمورًا بالقبض على الامير فليس من شأنهِ ان يقبل مثل جوابهِ ولديهِ من القوة ما لا يقوى فخر الدين على التخلص من وباله وان كان ذلك من عند نفسهِ لينال بصيد الاسد ارتضاء ولاة الامر فما معنى قول الامير لهُ انك ان سرحتني تبقى ملومًا

وكان عمر باشا الكتنجي قد ولَّى الامير بلاد البترون وجبيل وكسروان التابعات لطرابلس عقيب ظفرهما بيوسف باشا فولَّى الامير من قبلهِ رجالاً عليها ولكن لما عاد يوسف باشا الى الولاية بعث سنة ١٦١٩ ابن اخيهِ محمدًا يطالب الامير بتسليم المقاطعات اليهِ لانها من ولايتهِ فامتعض الامير من يوسف باشا وارسل مدبرهُ الى اسلامبول واصحبهُ بمركبين محملين صابونًا وامرهُ ان يبيعهما ويدفع المال المرتب على طرابلس مضاعفًا على ان تقرَّر ولايتها على الامير فذهب المدبر واتمَّ الامر اذ انعمت الدولة على الامير بولاية طرابلس وعلى مدبرهِ بسنجقيَّة جبلة واللاذقية وامرت ان تهدم قلاع يوسف باشا وتضبط املاكهُ واملاك اصحابهِ ولكن ما قفل مدبر الامير راجعًا حتى زاد يوسف باشا في المال فتقرَّرت عليهِ طرابلس

وكان يوسف باشا قد ولّى ابن اخيهِ الامير سليمان بلاد صافيتا الاَّ انهُ كان يكره منهُ تحيزهُ لفخر الدين حتى اذا تأخر عن وفاء المال ارسل عليهِ شرذمةً من رجالهِ ولم يكن الامير سليمان يقوى على ممانعة عمهِ ففرَّ الى جبلة و بعث يستغيث بالامير فخر الدين فنهض هذا الى البترون ولما علم يوسف باشا بذلك امر رجاله بالاستكانة في تل عباس وبعث الامير موسى الكردي يعتذر للامير بان مقاتلة سليمان لم تكن الاَّ تهديداً لهُ ليدفع المال المتأخر عليهِ وارسل لهُ خلعة الولاية فارسلها فخر الدين الى سليمان فرجع بها الى صافيتا واذ قضى فخر الدين وطرهُ رحل الى بعلبك مخافةُ يونس الحرفوش واختبأ منهُ لكن فخر الدين قصدهُ فاجتمع بهِ وامَّنهُ وارتحل الى شدرا في عكار فجاءهُ الامير سليمان سيفا وشكا لهُ من عمهِ وما زال بهِ حتى اوغر صدرهُ فحصر الامير سكان يوسف باشا في دارهِ بعكار التي كان الباشا قد جدَّد بناءها وظلوا على الحصار شهراً حتى سلموا فهدم الدار وكلَّ ما كان قد تجدَّد من الابنية وابقى الامير سليمان بجماعةٍ من رجالهِ في دار الامير محمد وعاد الى بيروت

وحدث في غضون هذه الوقائع ان اثناسيوس الدباس البطريرك الارثوذكسي الانطاكي استثار الطائفة عليهِ فعزلوهُ وانتدبوا اغناتيوس مطران صيدا بطركاً فسيم في القسطنطينية ودخل دمشق بطركاً سنة ١٦١٩ م فتملص اثناسيوس من ايدي الحكام وفرَّ الى طرابلس فما لبث ان توفي فيها ودفن في كفتين فلما علم اخوهُ كيرلس مطران حوران اتى طرابلس وبمساعي الحاج سليمان الملكي النصراني مدبر يوسف باشا علم الباشا ان البطريرك اغناتيوس من حزب فخر الدين فهو اذاً من اعدائهِ ولذلك تحزب الباشا لكيرلس فبعث رجالاً من اخصائهِ واتوا بمطراني حماة وحمص واسقف الحصن قسراً فأمرهم يوسف باشا ان يسيموا كيرلس بطركاً فساموهُ في اميون . واذ لم يكن ذلك برضا الدماشقة ولا سائر ابناء الطائفة انقسمت الجماعة قسمين احدهما على ولاء البطريرك القانوني الذي كان يعضدهُ فخر الدين والآخر على ولاء كيرلس بطاعة ابن سيفا وادَّى هذا الانقسام الى التشيُّع فالخصام فالخسائر الفادحةِ وما زال الامر كذلك حتى قضى يوسف باشا ففرَّ كيرلس من طرابلس الى حلب ووقعت على اثر ذلك امور جمَّة حتى اضمحلَّت حال ارثوذكس دمشق لكثرة الخسائر والمتاعب فجاءهم كيرلس فلم يعارضوهُ على ان اغناتيوس كان يخشى من دخول دمشق ان يقبض عليهِ ولاتها لتحزبهِ لابن معن فارسل كيرلس يلتمس من الامير فخر الدين ان يجمع رؤساء الاساقفة كلهم فيعقدون مجمعاً بحضرهِ هو واغناتيوس ويتركان لاعضاء المجمع حق اختيار البطرك فالذي يختارونهُ يكون بطركاً فاجابهُ الامير الى ما اراد وعيَّن الاجتماع في قرية الراس من بلاد بعلبك فجاء جميع

الاساقفة المدعوين الاكيرلس فانهُ ندم على التماسهِ فاقرَّ المجتمعون على بطركيَّة اغناتيوس واغناظ الامير من كيرلس فاحضره مقيداً وامر بقتلهِ قبل الدخول عليهِ فقتل ولبث اغناتيوس بطركاً مدى ايام فخر الدين وتوفي سنة الحملة عليهِ

وكان مسلك الامير واذعانهُ قد لقيا قبولاً لدى الباب العالي فانعم عليهِ منذ محاربة يوسف باشا بالشكر على عملهِ ثم زادت ثقة الدولة باخلاصهِ واقتدارهِ على تنفيذ اوامرها اذ ارسل اليهِ حسين باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٠ حوالةً على يوسف باشا بالمال السلطاني بعثها اليهِ مع قبوجي باشي اسمهُ مصطفى اغا فنهض الامير برجالهِ قاصداً طرابلس وبعث يطالب الباشا بالمال فابى الاداء ولكنهُ خاف البقاء حتى اذا وصل الامير الى برج البحصاص ظاهر طرابلس فرَّ الباشا منها تاركاً ابنهُ حسناً في القلعة والسكمان في الابراج وكتب الى الدولة يشكو فعلة الامير وانهُ لم يقصد طرابلس لتحصيل المال بل لامتلاك القلعة واسترحم رفع الحوالة عنهُ متعهداً باداء المال ثم بعث لولديهِ عمر وقاسم ان يجمعا الرجال ويزحفا الى جون عكار اما الامير فلبث في برج البحصاص عشرة ايام يراسل الامير حسن بدفع المال وهو يأبى ذلك فعرض عليهِ ان يبيع بالوكالة عن ابيهِ جميع ما اشتراه من تركة الامير محمد العسَّاف في بيروت وانطلياس وحارة غزير واملاكها وان يؤدي الباقي عليهِ خمساً وخمسين الفاً من مال جبيل والبترون دفعت عنهُ في اسلامبول فابى ولكنهُ اخبر اباهُ فاجاز ذلك ووكلهُ بالبيع فعُقد المبيع امام القاضي والمفتي والاعيان بخمسين الف غرش وارسل الحجة الى الامير فخر الدين فارسلها الى قاضي عسكر في اسلامبول ولا نعلم سبباً لارسال الحجة الى باب الدولة اذا كان المبيع لاسم فخر الدين كما صرح بذلك العلاَّمة الدويهي وكذلك لسنا على بيّنةٍ من شأن هذا الثمن لانهُ لو حُسم من مال الدولة لما ذكر المؤرخون ان بعد استلام صك المبيع الحَّ الامير باستيفاء مال الدولة فالارجح اذاً ان يكون الثمن لقاء المال المطلوب للامير فخر الدين من يوسف باشا وقد ذكر من قبل وبعد استيفاء مطلوبهِ عاد فالحَّ بمال الدولة فأبى الباشا وابنهُ الوفاء ثم وقع بين فرسان الامير وسكمان الباشا حفظة الابراج قتال ادى الى مهاجمة المدينة وفتحها عنوة ومحاصرة القلعة ومن فيها من الحامية تحت امرة ابن الباشا وبعث الامير فاستحضر مركبين فرنسويين كانا في ميناء صيداء وعززهما بالرجال وجعلهما في ميناء طرابلس ليمنعا وصول الذخيرة اليها من البحر ووقعت بعد ايام موقعة هائلة بين رجال الامير وسكمان الباشا فكانت الدائرة على هؤلاء وكان الامير قد اتخذ دار الامير حسين لهُ منزلاً ورآهُ الامير موسى الكردي حين جاء يطلب الصلح انهُ يجلس في الديوان فاخبر ابن الباشا فرمى الديوان بالمدافع من القلعة

ولم يكن الامير فيهِ فتهدَّم الجدار فقال الامير يريدون ان يهدموا دارهم وانا احق منهم بهدمها فدكّها وعقيب ذلك جاءَت رسل سليمان باشا والي الشام تسأَل الامير كف الحصار عن المدينة وفي ما هم يتذاكرون هجم عسكر الباشا الذي تجمَّع في عكار على البدّاوي وفيهِ عسكر الامير واشتبكت الحرب فتراكض بعض الفرسان من المدينة لنجدة رفاقهم المعنيين فوجدوا عسكر الباشا منهزماً امام رفاقهم فلحقوا بهم لكن تلك الهزيمة كانت خديعةً لانهم كانوا كامنين للمعنيين فارتدَّ هؤُلاء وكادوا يولون الادبار لو لم يقدم الامير ويريع العدو فيفرُّ هارباً

وبلغت رسل يوسف باشا الى الاستانة فصدر الامر العالي ان يسير قبجي باشي بخمسة سفن مأموراً برفع الحصار عن طرابلس وتحصيل المال من الباشا وان يحمل الى الامير فخر الدين خلعةً سنيَّة جزاء طاعتهِ فلما وصل القبجي وبلّغ الامير الامر السامي اطاع ولبس الخلعة واكرم حاملها بعطيَّةٍ وافرة ولكنهُ حذّر القبجي باشي من مطل الباشا ونهض بعسكرهِ الى بيروت وارجع رسل والي الشام مكرَّمين جرجي ينى

غرائب الشعوذة

يكثر السائلون من سؤَالنا عن بعض الغرائب التي يفعلها المشعوذون ويوهمون الناظرين انهم فعلوها بقوة تفوق القوى الطبيعية ونقضوا بها مألوفَ الحوادث كقطعهم رأس انسان ثم الصاقهِ بعنقهِ واظهارهم انساناً آخر يتكلم وهو راس لا جثة لهُ او راس وصدر لا غير ووضعهم انساناً في كيس يربط ويختم ويوضع في صندوق يقفل بقفل ثم يخرج من الصندوق وهو مقفل ومن الكيس وهو مربوط ومختوم . او ايقافهم انساناً على مائدة ثم جعلهِ يختفي في طرفة عين كانهُ لم يكن موجوداً او وضعهم اياهُ على كرسي وجعلهِ يرتفع في الهواء امام الناظرين

وهم يختارون البنات الحسان المنظر غالباً ليزيد انعطاف الحضور اليهنَّ واشفاقهم عليهنَّ الاَّ في ما يقتضي مشقة كخروج الانسان من الكيس والصندوق المقفل فانهم يختارون لهُ الرجال في الغالب

من يشاهد هذه الاعمال اول مرة يندهش اشد الاندهاش اذا لم يكن قد عرف تعليلها قبلاً ويقف بين التسليم بقول المشعوذ ان ما يفعلهُ انما هو خفة لا شيء فيهِ من السحر وبين شهادة حواسهِ فان عينهُ ترى الراس يقطع حقيقة وينفصل عن البدن ثم يلتصق بهِ والمرأة تقف امام المرآة فتختفي والرجل يخرج من كيس مختوم في صندوق مقفل ولم ينفضَّ ختام الكيس ولا

فتح قفل الصندوق — يقف بين هذين الامرين حائرًا في امره أَيصدّق اعتراف المشعوذ ان كل ما يفعلهُ من قبيل الحيلة والخفة أَم يصدق ما يراهُ بعينيهِ ويلمسهُ بيديهِ . وقد قيل اذا ظهر السبب بطل العجب فرأَينا ان نشرح هذه الاعمال ونبين اسبابها بما يحتملهُ المقام من الاسهاب

(١) قطع الراس والصاقهُ

لا بدَّ لاتمام هذا العمل من غرفة مظلمة ارضها وسقفها وجدرانها مغطاة بستائر من القطيفة السوداء لها باب واسع امام المشاهدين تحيط بهِ مصابيح ساطعة النور ينعكس نورها عن مرايا وراءها حتى يقع كلهُ على المشاهدين ولا يدخل الغرفة شيء منهُ فيكون النور ساطعاً في المشهد

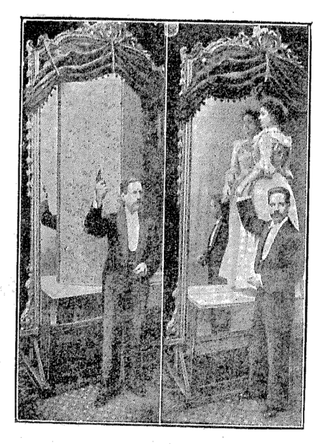


الشكل الاول

واما الغرفة فتبقى حالكة الظلام . والذين يدخلون هذه الغرفة يلبسون ثياباً بيضاء اذا أُريد ان يظهروا فيها والاَّ فثياباً سوداء

والغالب ان يدخلها المشعوذ لابساً ثياباً شرقية بيضاء لان هذا النوع من الشعوذة مقتبس عن المشارقة لكنهُ قد يلبس ثياباً اوربيَّة رسمية ويشترط فيها ان تكون بيضاء كما ترى في الشكل الاول . ثم يمد يدهُ طالباً ان يأتيهُ القضيب الذي يحملهُ المشعوذون عادةً فيأتي القضيب اليهِ في الهواء من تلقاء نفسهِ فيتناولهُ ويضرب بهِ ارض الغرفة عن يمينهِ فتخرج منها مائدة صغيرة تقف عن يمينهِ ثم يضرب ارض الغرفة عن يسارهِ فتخرج منها مائدة اخرى تقف عن يسارهِ . ويضرب المائدة الاولى بقضيبهِ فتخرج منها كاس صغيرة تقف عليها ويضرب

الثانية فتخرج منها كاس اخرى تقف عليها . فيرفع المائدتين والكاسين بيديهِ ويدنيها من المشاهدين ويسمح لهم ان يروها ويدققوا نظرهم فيها ثم يعيدها الى اماكنها فيضع المائدتين عن يمينهِ ويسارهِ ويضع الكاسين عليهما ويرفع احدى الكاسين بيدهِ عن المائدة ويديرها في الغرفة فترتفع الكاس الاخرى من تلقاء نفسها وتدور في الغرفة كما اديرت اختها . ثم يعيد الكاس التي في يدهِ الى المائدة اما الكاس الثانية فلا تعود الى مائدتها بل تبقى في الهواء فيمسك اطاراً بيدهِ ويديرهُ حولها ليظهر للحضور انها ليست معلَّقة بخيط او سلك . ثم يمسكها



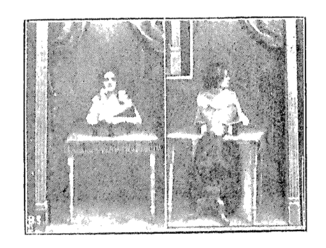
الشكل الثاني الشكل الثالث

بيدهِ ويقلّبها مظهراً الاستغراب من امرها ويلتفت الى المائدة ليضعها عليها فتسير المائدة اليهِ من نفسها الى ان تقف امامهُ فيضع الكاس عليها فتعود الى مكانها وهي ترقص في سيرها طرباً

ويستعير بعض الساعات والخواتم من الحضور ويضعها في الكاس التي عن يمينهِ فيرونها نازلة فيها ثم يرفع الكاس في يدهِ فلا يرى فيها شيئاً فيريها للمشاهدين واذا هي فارغة ثم يعود الى الكاس التي عن يسارهِ ويأخذها بيدهِ الى امام الحضور فاذا ساعاتهم وخواتمهم فيها فيأخذونها منها

ويحرك قضيبهُ ويتمتم فيظهر في الغرفة برواز كبير مثل براويز الصور فيضع عليهِ ستارة ملونة ثم يرفعها عنهُ فيظهر فيهِ رأس امرأَة وصدرها الى حد خصرها فتكلم الحضور ثم يجعل البرواز يهتزُّ فتهتز معهُ كأَنها صورة فيهِ وهي امرأَة حقيقية تبتسم وتتكلم وتغمز وترمز . ويعيد الستار الى البرواز ثم يرفعهُ فتختفي المرأَة منهُ

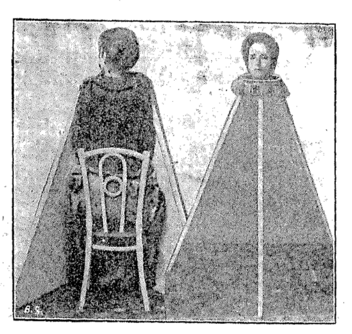
يعمل هذه الاعمال وامثالها تمهيداً لقطع الراس ثم يحرك قضيبهُ فتدخل الغرفة امرأَة حسناء وبيدها سيف مسلول يقطر الموت من افرندهِ فيأْخذهُ منها ويضرب بهِ عنقها فيطير رأْسها عن بدنها وقبل ان يصل الى الارض يستلقيهِ بيدهِ الاخرى ويمشي بهِ في الغرفة الى امام الحضور وتبقى المرأَة واقفة امامهم بدناً بلا رأْس ثم يرد الرأْس الى محلهِ فيصلق بعنقها كما كان . وهاك ايضاح ذلك كلهِ



الشكل الرابع الشكل الخامس

لا بدَّ من ان تكون الغرفة التي تجري فيها هذه الاعمال مجللة بالسواد كلها كما تقدم والغالب ان تكون مبطنة بالقطيفة السوداء ارضها وجدرانها وسقفها وتكون المصابيح عند بابها وفي المشهد ساطعة النور حتى تنبهر عيون الناظرين ولا يعودون يرون شيئاً في الغرفة الاَّ ما كان ابيض . وتكون المائدتان في الغرفة وعلى كلٍّ منهما غطاءٌ اسود . ويكون مع المشعوذ مساعد لابس ثياباً سوداء من القطيفة وكفوفاً سوداء ووجههُ مغطًّى بغطاء اسود فلا يبين منهُ شيءٌ مطلقاً ما دام في الغرفة مهما كان قريباً من المشاهدين وهو يمشي بجواربهِ من غير حذاء فلا يسمع لمشيهِ صوت فاذا مدَّ المشعوذ يدهُ اتاهُ المساعد بقضيب الشعوذة وهو من معدن ابيض فيظهر للمشاهدين كأَنهُ اتى في الهواء من نفسهِ . واذا ضرب بهِ عن يمينهِ رفع المساعد الستار عن المائدة اليمنى فتظهر كأَنها وُجدت هناك من نفسها ثم يضرب بهِ عن يسارهِ فتظهر المائدة اليسرى

برفع الستار عنها. ويأتي المساعد بالكاسين وهما من معدن ابيض وباطنهما مصبوغ صبغاً اسود فلا تظهر يدهُ وهو ممسك بهما لانهُ يمسك الكاس من الوراء واضعاً اصابعهُ فيها ويأتي بهما الى المائدة وعلى كلّ منهما غطاء اسود فيدني الكاس باليد الواحد ويرفع الغطاء عنها باليد الاخرى بخفة فتظهر كأنها وُضعت على المائدة حينما طلب المشعوذ ظهورها . والمساعد هو الذي يرفع الكاس ويديرها في الغرفة حينما يدير المشعوذ الكاس الاخرى ثم اذا جعل المشعوذ يدير الإطار المعدني حولها ليظهر انها غير معلَّقة بشيء ينقلها المساعد من يد الى اخرى فيظهر كأَن الاطار مرَّ حولها كلها من جهة الى أُخرى



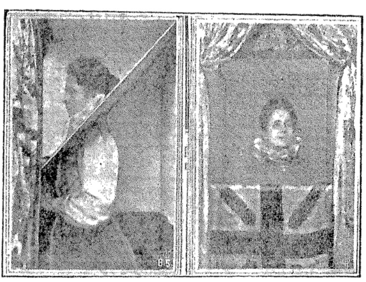
الشكل السادس الشكل السابع

اما الساعات والخواتم فلا يضعها المشعوذ في الكاس كما يظهر للشاهدين بل يضعها في كف مساعده فانهُ يكون باسطاً كفَّهُ وراء الكاس. والمساعد يضعها في الكاس الاخرى حينما يرفع المشعوذ الكاس الاولى ويريها للشاهدين فارغةً

والبرواز ياتي بهِ المساعد فيظهر انهُ وجد في الغرفة من لا شيء ثم يعلقهُ بحبال سوداء في اسفلها خشبة سوداء كالارجوحة وحينما يغطى بالستار تأتي امرأة لابسة اسود من خصرها الى قدميها وتقف في الارجوحة واسفل البرواز عند خصرها فيكون الجزء الابيض الظاهر منها في البرواز والجزء الاسود تحتهُ فترى كصورة فيهِ ومتى وُضع الستار على البرواز ثانية القى المساعد ستاراً اسود عليها وخرجت من الغرفة

اما قطع الراس فلا بدَّ فيهِ من امرأتين الواحدة لابسة ثياباً بيضاء ورأسها مكشوف

والثانية لابسة ثياباً سوداء ورأسها مغطًّى بغطاء اسود فتأْتي المرأَة الاولى والسيف في يدها فيأخذهُ المشعوذ منها ويضرب بهِ كأَنهُ ضرب عنقها وللحال يغطي المساعد رأْسها بغطاء اسود وينزع الغطاء الاسود عن رأْس المرأَة الثانية وتكون هذه قد ركعت على ركبتيها لكي ينخفض رأْسها فلا يظهر امام المشاهدين الاَّ المشعوذ ورأْس ابيض بيدهِ وامرأَة واقفة من غير رأس كما ترى في الشكل الاوَّل وقد زدنا بدن المرأَة الثانية وضوحاً ثم يرفع الراس رويداً رويداً الى ان يدنيهُ من عنق المرأَة الواقفة فيرفع المساعد الغطاء عن رأْسها ويلقيهِ على الراس الذي في يد المشعوذ فيظهر كأَن الراس المقطوع عاد الى وضعهِ الاول . ويكرّر هذا العمل مرتين او ثلاثاً حسب رغبة المشاهدين ويتعذَّر عليهم ان يعرفوا كيفيتهُ اذا لم يكونوا قد اطَّلعوا على شرح مثل هذا الشرح



الشكل الثامن الشكل التاسع

غادة المرآة

هذه لعبة اخرى تظهر على غاية الغرابة لدى الذين لا يعلمون كيفيتها وهي ان توضع في المشهد مرآة كبيرة ارتفاعها نحو ثلاثة امتار يحيط بها برواز او ستار وامامها موقف تقف عليهِ فتاة حسناء كما ترى في الشكل الثاني ويقف المشعوذ معها ويطلب منها ان تلتفت الى الحضور فتلتفت قليلاً حتى يروها ثم تعود الى المرآة وتجعل ترتب شعرها فيكرر المشعوذ الطلب منها لتلتفت الى الحضور فتلتفت لحظة ثم تعود الى المرآة فيتظاهر بالحنق ويخطف ستاراً حاجزاً ويضعهُ امام المرآة كما ترى في الشكل الثالث ويأْخذ فرداً بيدهِ ويطلقهُ عليها ثم يرفع الستار فتختفي الفتاة ولا يُوقف لها على اثر . ويندهش المشاهدون من ذلك اتم الدهشة لانهم يرون جوانب المرآة كلها ولو كان الستار قائماً امامها فاين اختفت الفتاة

وتعليل ذلك ان في اسفل زجاج المرآة ثقباً كبيراً تستطيع الفتاة ان تخرج منهُ وهو مغطّى بلوح آخر من الزجاج المفضض وآخر هذا اللوح عند حد الموقف الذي تقف عليهِ الفتاة. وزجاج المرآة غير متصل بالبراواز الظاهر بل يمكن رفعهُ وخفضهُ من الاعلى بحبال متصلة بهِ فيختفي ما يرفع منهُ وراء الستائر والبراويز التي في اعلى المرآة فاذا وُضع الستار امامها رفع المساعدون زجاج المرآة الى الاعلى حتى يرتفع الثقب ويصير فوق الموقف الذي عليهِ الفتاة فتخرج منهُ ثم ينزل الزجاج الى وضعهِ الاول حتى اذا رفع الستار بانت المرآة كما كانت اولاً ولا فتاة امامها

الرأس المتكلم

لهذه الظاهرة اساليب مختلفة استعملنا اسلوباً منها في خطبة عمومية في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة وذلك اننا خرقنا لوح طاولة خرقاً مستديراً يسع عنق الانسان وقطعنا اللوح من



الشكل العاشر — الشكل الحادي عشر

وسطهِ واجلسنا ولداً على كرسي تحتهُ وطبقنا اللوح على عنقهِ بعد ان وضعنا حولها صحفة مقوَّرة فظهر كأن رأس الولد وضع في صحفة على مائدة ولكن بدنهُ بقي تحت المائدة فأُخفي بان وضع لوح مرآة امامهُ بين رجلي الطاولة وأُميل قليلاً فظهرت الارض فيهِ وبان كأنهُ جانب من ارض الغرفة بين ارجل الطاولة . وحضر الاجتماع بعض كبار الاساتذة فلم يدركوا كيف وضع الرأس على الطاولة ولم ينتبهوا الى المرآة التي تحتها حتى نبهناهم اليها . وذلك شبيه بما هو ظاهر في الشكلين الرابع والخامس لكن الفتاة ظاهرة هنا الى وسطها كما ترى

ولذلك اسلوب آخر شبيه بهذا وهو ان يُوقف ثلاثة اعمدة من النحاس حتى يكون منها هرم مثلث وفي اعلاها قرص مقوَّر يظهر فيهِ رأس يتكلم بلغات مختلفة كما ترى في الشكل السادس وحقيقتهُ ان وراء المثلث كرسياً تجلس عليهِ فتاة كما في الشكل السابع وبين قوائم المثلث لوحان من زجاج المرايا يخفيان ما وراءهما ويعكسان ما امامهما . واللعبتان الظاهرتان في الشكلين

الثامن والعاشر امرهما ظاهر من النظر الى الشكلين التاسع والحادي عشر فالفتاة التي في الشكل الثامن واقفة ولوح المرآة حول عنقها والتي في الشكل العاشر متكئة على لوح يحملها في غرفة مظلمة فلا يبين منها الاَّ رأسها وصدرها ويداها

اما ارتفاع الانسان في الهواء وخروجهُ من الصندوق المقفل فسيأْتي شرحهما في الجزء التالي

فلسفة النوم

كيف يحدث النوم — ليس بين الحوادث الطبيعيَّة ما يتكرَّر على الانسان اكثر من النوم فانهُ ينام كل يوم من ايام حياتهِ مرةً على الاقل يقضي فيها بضع ساعات فاذا عاش ستين سنة وكان متوسط نومهِ ثماني ساعات في اليوم فعشرون سنة من عمرهِ يقضيها نائمًا ومع ذلك لا تجد واحدًا في الالف ولا واحدًا في المليون ولا واحدًا في مئة مليون من الناس يعلم كيف يحدث النوم او يستطيع ان يعللهُ تعليلاً مؤيدًا بالامتحان العلمي لا لان الظنون والآراء قليلة في هذا الموضوع بل لان طريق الامتحان الموصلة الى الغرض عسيرة جدًّا وحتى الآن لم يجمع كبار العلماء على تعليل واحد. وخلاصة ما وصلوا اليهِ من هذا القبيل متضمنة في المقالة التالية واكثر حقائقها مقتطف من مقالة للدكتور برسي ستيلس نشرت في الجزء الاخير من مجلَّة العلم العام الاميركية

يقال بنوع عام ان الحاجة الى النوم تعقب التعب سواء كان هذا التعب عامًّا للجسم كلهِ او خاصًّا ببعض اعضائهِ فان اندثار اجزاء الجسم يزيد وقت اليقظة والعمل على المتوسط فيضطر الجسم ان يبطل العمل مدة يقلُّ فيها الاندثار عن المتوسط . فاذا كان متوسط ما يندثر من الجسم كلهِ عشر دراهم في الساعة وبلغ ١٥ درهمًا في الساعة من ساعات العمل الاثنتي عشرة وجب ان يبلغ خمس دراهم فقط في الساعة من ساعات الراحة والنوم الاثنتي عشرة حتى يعود المتوسط العمومي ١٠ دراهم في كل ساعة من ساعات النهار والليل

واذا توالت هذه الحال على الناس عصورًا كثيرة صار الاندثار من اجسامهم يكثر في النهار وقت اليقظة والعمل ويقلُّ في الليل وقت النوم والراحة

واندثار اجزاء البدن بالعمل فعلٌ كيماوي فالتعب نتيجة كيماوية . فاذا بدا التعب في عضلة من عضلات الجسم فهو دليل على شيءٍ من شيئين اما ان مواد العمل التي فيها قد قلَّت او انهُ اجتمع فيها فضول سامَّة تتعبها وتمنعها عن العمل كما ان موقد الآلة البخارية الذي تقلُّ حرارتهُ

حتى لا يعود قادرًا على ادارتها يحدث ذلك فيهِ اما من قلة الوقود او من كثرة الرماد ولذلك ففي سبب التعب الذي يدعو الى النوم والراحة مذهبان مذهب القلة ومذهب الكثرة ويراد بالاول قلة المواد اللازمة للعمل اي قلة الاكسجين وبالثاني كثرة الفضول الناتجة عن العمل والاول مذهب فاوجر والثاني مذهب پرير وهما عالمان مشهوران

ويعترض على المذهب الاوَّل اي مذهب قلة الاكسجين في الجسم انهُ لو كان صحيحًا لوجب ان يشعر الانسان بالنعاس كلما عمل ساعةً عملاً شاقًّا وان لا يشعر بهِ اذا قضى يومهُ كسلاً من غير عمل . والظاهر ان قلة الاكسجين تدعو الى الشعور بالتعب لا الى الشعور بالنعاس لان الانسان قد ينعس وينام من غير ان يكون تعبًا

اما المذهب الثاني اي مذهب كثرة الفضول بين دقائق الجسم فيراد بهِ ان الفضول التي تتولَّد من اندثار دقائق الجسم بالعمل عضليًا كان او عقليًا تتكاثر اذا لم تنزح من الجسم حال تولدها فتفعل بهِ فعل السم وتخدرهُ فينعس وينام . ومن هذه الفضول التي تتولَّد من انقباض العضلات الحامض اللبنيك فيحمض بهِ الدم ويسبب السبات وكل ما يضعف قلوية الدم يدعو الى النوم

ويعترض على هذا المذهب ان كثيرين يقضون النهار كلهُ في العمل الشاق ولا ينعسون في اواخرهِ بل ان بعضهم يشتغل احسن اشغالهِ العقلية بين الساعة الخامسة والثامنة مساء بعد ان يقضي اكثر النهار في العمل الشاق. وان النوم يحدث فجأة في الغالب فلا يتدرَّج اليهِ الانسان تدرُّجًا مع ان الفضول تتراكم في جسمهِ تدريجًا . وان الانسان ينام غالبًا بعد العشاء حينما يكون الهضم جاريًا مجراهُ وقلوية الدم على اشدها . والاعتراض الاخير اقوى ما يُعترض بهِ على هذا المذهب ويرد عليهِ ان الحموضة التي توجب النوم لا يلزم ان تكون في الدم بل في بعض المراكز العصبية . ثم ان النوم لا يقع بغتة بل فيهِ شيء من التدرُّج فتنام الحواس بعضها بعد بعض آخرها السمع وكذلك تستيقظ متدرجة واولها السمع فهو آخر ما ينام من الحواس الظاهرة واول ما يستيقظ منها

ثم ان كل ما يهيج الدماغ يمنع النعاس او يؤخرهُ فاذا اراد الانسان ان ينام لجأ الى ما يمنع تهيج دماغهِ كالظلمة والسكوت والراحة الجسدية والعقلية لان النور والصوت والالم والهم كل ذلك يقلق البال ويمنع النوم من الاجفان . وقد يضطر الانسان ان يبقى مستيقظًا فيقف وقفةً لا تريحهُ او يجلس جلسةً تتعبهُ لكي يقوى على مغالبة النعاس . ولذلك فالنوم يأتي من تقليل منبهات الدماغ ويُمنع بهذه المنبهات

واذا دنا النعاس رافقتهُ تغيرات واضحة في الاوعية الدموية كأنَّ الدم يحاول تغيير مجراهُ. وتظهر اول دلالة من دلائل النعاس في جفاف العينين اذ يقل ورود الدم الى الغدد الدمعية. وترتفع حرارة الجسم كلهِ وقد تستثني اطرافهُ من ذلك. وهذه ادلة على تمدد الاوعية الجلدية عند اقتراب النوم ثم اذا وقع النوم وفقد الشعور زاد تمددها كثيرًا كما ثبت بالامتحان

واذا اتَّسعت الاوعية الدموية الجلدية زاد الدم فيها وقلَّ الجاري منهُ الى الدماغ وقد ثبت ذلك بالامتحان والمشاهدة اي ثبت ان الدم الوارد الى سطح الجلد يزيد وقت النوم والوارد الى الدماغ يقلُّ فتحدث فيهِ انيميا الدماغ • وارتأَى هِل الفسيولوجي ان شرايين القناة الهضمية تتسع ايضاً وقت النوم ويكثر الدم فيها • ويتعذَّر اثبات ذلك بالامتحان والمشاهدة ولكن مبادرة الحيوانات الى النوم بعد الاكل الكثير ونعاس الانسان بعد اكلة ثقيلة ممَّا يؤيد هذا الرأي

الاَّ ان قلة الدم في الدماغ وقت النوم قد تكون علَّة معيَّة لا علة سببية واذا تعبت دقائق الدماغ وكلَّت من العمل وقلَّ الدم الوارد لتغذيتها زادت تعبًا على تعب وكلالاً على كلال فلا يبعد ان يتولاها الخمول والنوم. وقد بيَّن الاستاذ هوَل ان المركز الدماغي الذي يحرك الاوعية الدموية اذا تعب وكلَّ حدث النوم نتيجة تعبهِ وكلالهِ فان هذا المركز متسلط على الاوعية الدمويَّة وهو الذي يرسل اليها الاوامر لتنقبض اكثر ممَّا لو لم يكن موجودًا وفعلهُ هذا يقتضي اندثارًا دائمًا في دقائقهِ وزد على ذلك ان التأثيرات ترد اليهِ من كل اجزاء الجسم وتنبههُ الى العمل فكل ما تراهُ العين وتسمعهُ الاذن ينقل بعض تأثيرهِ الى هذا المركز ويدفعهُ الى العمل بما يسمَّى بالفعل المنعكس وكذلك كل حركة في اعضاء الجسم وكل وضع من اوضاعهِ ينتقل تأثيرها اليهِ وتنقل اليهِ التأثيرات العقلية ايضًا والانفعالات النفسية

وبديهي ان هذه المؤثرات تتعب دقائقهُ العصبيَّة فاذا تعبت بطول العمل لم تعد تتأثر وتلبي الطلب فتضعف سلطتها على الاوعية الدموية الجلدية وغير الجلدية فيقلُّ تقلُّصها وتتمدَّد ويكثر الدم فيها فيقل من الدماغ ويقلُّ ضغطهُ على شرايينهِ ونتيجة هذا الدوار او النعاس فاذا قاوم المرء ذلك ونبَّه نفسهُ ببعض الوسائط انتبه وعاد الدم الى دماغهِ ولكن الى حين فيعود اليهِ النعاس وطلبُ الراحة فيستلقي وحينئذٍ ترتخي عضلاتهُ وتغمض عيناهُ فيزيد ورود الدم الى اوعيتها ويقل ورودهُ الى الدماغ الى ان يقف الحس كلهُ. واذا نبههُ منبه حينئذٍ فانهُ يدفع مقدارًا كبيرًا من دمهِ الى دماغهِ فيوقظهُ ويعيد اليهِ فعلهُ. ولا بدَّ من ان يكون هذا المنبه قويًّا في الساعة الاولى والثانية من النوم واما بعد ذلك فالمنبه الضعيف يكفي للتنبيه

وقد امتحن كثيرون من الفسيولوجيين درجات الاستغراق في النوم فوجدوا انهُ يكون على اشده في الساعة الثانية ثم يقل رويدًا رويدًا . وقال بعضهم ان الاستغراق يشتد ايضًا قبل الصباح

اما الاستيقاظ من النوم في الصباح فسببهُ الغالب المنبهات الخارجية كالنور والصوت وهذه لو حدثت والانسان مستغرق في نومهِ قبل ان يكتفي جسمهُ منهُ ما نبهتهُ . وقد تكون المنبهات من الداخل لا من الخارج من حركة بعض الاعضاء او تكون من تصميم النية على الاستيقاظ في ساعة معلومة كأن الانسان يستهوي نفسهُ استهواءً

ومن رأي هول ان حويصلات المركز المحرك للاوعية الدموية تغتذي او تعود اليها قوتها رويدًا رويدًا مدة النوم فتعود اليها قابلية التنبه رويدًا رويدًا الى ان تصير تنتبه لاقل سبب ويستردُّ المركز قوتهُ قبلما يعود الشعور ولذلك يستيقظ الانسان بسهولة بعد ان يكتفي من النوم لا كما يستيقظ اذا اوقظ في اول نومهِ قبلما يكتفي منهُ

اذا كان الامر كذلك فكيف تكون حالة الدماغ وقت النوم وفقد الشعور وما هو التغيير الميكروسكوبي الذي يحدث فيهِ وقت الانتقال من اليقظة الى المنام . وهنا مذهبان متناقضان الاول مذهب ديفال القائل ان الشعور يتوقف على اتصال حويصلات الدماغ بعضها ببعض او وصول فعل الحويصلة الواحدة الى الاخرى . ولا تصل التأثيرات الى حويصلات المراكز العصبية الأعلى موصل تمرُّ عليهِ فاذا انقطع الاتصال من طريقها انقطع الشعور بها . واذا انقطعت كل الطرق التي توصل التأثيرات الى الدماغ زال الشعور بالمؤثرات وكذلك اذا انقطعت كل الطرق التي تذهب باوامر الدماغ الى اعضاء الجسم المختلفة لتحركها بطلت الحركات الارادية . واذا انقطعت طرق الاتصال بين مراكز الدماغ المختلفة بطلت الافكار والتصورات لان حويصلات الدماغ لا تفعل فعلاً مشتركًا ما لم يكن بعضها متصلاً بالبعض الآخر او ما لم يكن بينها موصلات تصل بين افعالها حتى تؤلف منها فعلاً مركبًا . ويكفي ان يقع هذا الفصل بين بعض الدقائق لكي يفقد الشعور الذي يحدث مدة النوم . وقد قطع ديفال رؤُوس بعض الكلاب بغتةً وهي مستيقظة وقطع رؤُوس غيرها وهي في حالة الغيبوبة ونزع ادمغتها حالاً ونظر اليها بالميكرسكوب وقال انهُ وجد الحويصلات في ادمغة الكلاب النائمة متقلّصة ومفصولة بعضها عن بعض

والمذهب الثاني المناقض لهذا هو مذهب العالم لوغارو الايطالي والمذهبان يفرضان ان الحويصلات تتحرك حركة اميبية اي تمتد منها نتوات تصلها بما حولها كما تمتد النتوات من الحي

المعروف بالاميبا ولكن ديفال يذهب الى ان هذه النتوات تقصر وقت النوم فيمتنع اتصال الحويصلات بعضها ببعض واما لوغارو فيذهب الى ان النتوات تكثر وتطول وقت النوم . وقد يُظَن لاول وهلة ان هذا المذهب منقوض من نفسهِ لان كثرة النتوات والتشعبات في حويصلات الدماغ تقتضي كثرة الافعال العصبية وكثرة الافكار وليس الحال في النوم كذلك . ولكن يظهر لدى امعان النظر انهُ اذا كثرت تشعبات الحويصلات الدماغية اختلطت الافعال العقلية واشتبكت فيقل سيرها في الطرق القويمة حتى تحدث الافكار المنتظمة من مجموعها . فعلى مذهب ديفال ينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ وقت النوم ثم يعود وقت اليقظة . وعلى مذهب لوغارو تزيد الصلات بين حويصلات الدماغ وقت النوم فتشتبك بعضها ببعض وتختلط . وتقلُّ وتقصر في اليقظة فتنتظم وتعود الى مجاريها المألوفة

ومن المحتمل ان الامرين يحدثان في وقت واحد فينقطع الاتصال بين حويصلات الدماغ في بعض الاماكن وتزيد الصلات في اماكن اخرى . ففي نوم الاستهواء ينقطع الاتصال بين حويصلات مراكز الارادة فيبطل فعلها ويزيد الاتصال بين حويصلات مراكز السمع والاعصاب التي توصل التأثيرات الخارجيَّة اليها فيقوى السمع جدًّا ولذلك تجد من ينام نوم الاستهواء خاضعاً لارادة منومهِ تمام الخضوع كأن لا ارادة لهُ وتراهُ ايضاً يسمع الصوت ولو كان همساً بعيداً ومن المحتمل انهُ يشعر بالمرئيات احياناً ولو كان مغمض العينين . ويحدث مثل ذلك في اليقظة ايضاً فاذا انحصر انتباه انسان في موضوع ما غفل عن غيرهِ حتى لم يعد ينتبه لهُ الا ما انحصر انتباههُ فيهِ فيدركهُ تمام الادراك ويصورهُ لنفسهِ ولو كان خياليًّا كأنهُ صورة مجسمة لكن في نوم الاستهواء يحتقن الدماغ بالدم الكثير الوارد اليهِ واما في النوم العادي فيقل الدم فيهِ حتى يصيبهُ شيءٌ من الانيميا . فان كانت زوائد الحويصلات الدماغية تطول جدًّا في النوم العادي فهي تقصر جدًّا في نوم الاستهواء ويؤيد ذلك كثرة التخيلات في النوم العادي وقلتها في نوم الاستهواء

وخلاصة ما تقدم ان اعتياد الناس العمل والسعي على نور النهار والنوم والراحة في ظلام الليل جعل في نوع الانسان ميلاً طبيعيًّا الى العمل في النور والراحة في الظلمة وفي وقت العمل يزيد الاندثار في دقائق الجسم على التجدُّد فيحلُّ فيهِ التعب من تراكم الفضول فيهِ وقلة الاكسجين فيضعف عن العمل ويطلب الراحة ويشمل ذلك اعضاء البدن ومراكز الدماغ واخصها المركز المتسلط على حركة الاوعية الدموية الجلدية لانهُ يتعب اكثر من غيرهِ فتضعف قبضتهُ على بعض الشرايين فيكثر الدم فيها ويقل في الدماغ لان مقدارهُ واحد فاذا زاد في

مكان قلَّ في آخر . ومتى قلَّ في الدماغ قلَّ فعل الحويصلات الدماغية فلم تعد تفعل وتنفعل كما في اليقظة اما لانهُ ينقطع الاتصال بينها او لان افعالها ترتبك لتشعُّب المسالك التي تسير فيها فلا تعود تجتمع حتى يحصل من مجموعها افكار منتظمة . هذه غاية ما عُرف حتى الآن عن فلسفة النوم

هذا وقد ابنا في الكلام على التخيلات والخيالات في المجلد السابع من المقتطف ان سببها اختلال في الدم الدائر في الدماغ اما في كميتهِ او في كيفيتهِ او فيهما كليهما والغالب ان يكون سببها كثرة الدم في الدماغ ولكن قد يكون سببها قلتهُ فيهِ وذكرنا هناك امثلة كثيرة تؤيد الامرين . والرأي المشهور في تعليل التخيلات والخيالات هو انها تحدث من خلل في السريرين البصريين من كثرة الدم او قلتهِ فيهما . ومعلوم ان التخيلات والخيالات تكثر وقت النوم وتتولَّد منها الاحلام وذلك دليل آخر على كثرة الدم او قلتهِ في الدماغ وقت النوم حتى يزيد عن الحد الطبيعي او يقل عنهُ

تركة السلف

كنتُ في هذه الآونة اطالع احدى الصحف العلميَّة الافرنجيَّة وأُعجَبُ بما ارى من آراءٍ نَضِجَتْ بطول الرويَّة وحركةٍ عقليَّة يجمّلها يُمن النقيبة وقلَّة الانانية تشير الى عراقة في العلم واصالة في حسن خدمتهِ ونجدتهِ وتناغٍ في الكمالات وتطبُّع على تناولها كابرًا عن كابر . فلم أُعتّم ان جال في خاطري والخواطر جوَّالة شيءٌ من اعصرنا المتوسطة وعلماء العرب في المشرق والمغرب مصابون بمثل هذا الداء دأْبهم بث الدعوة الى العلم وإحكامُ الملكات الفائقة الآنقة وهجيراهم إتيان العمل الرافع والكلم الصاعد وقُصاراهم ان يجلي الحق بلسان اي انسان فلا ترى الاَّ ريَّان من العلم المنقَّح ومناقبهِ طيَّان من الجهل المركَّب ومثالبهِ . وبينا يسيح الفكر على هذا النحو والنفس تتناغى بضروب الذكرى من قياس الحاضر على الغابر والاسف لبغداد وسمرقند ودمشق وقرطبة والاعجاب ببرلين ولندن وباريس ونيويورك عثرتُ على شذرة صيغت بقلم احد اعضاء المجمع العلميّ الباريسيّ حثَّ فيها بني قومهِ على الترغيب في اقتناء الكتب حثًّا بالغًا النيقة في البيان ملتمسًا لجامعيها الاعذار لعدم تمكنهم من قراءتها كلها وتحسنًا عدم تفريطهم في إعارتها ومذكّرًا برجال عندهم كانوا عرفوا بهذه المزية فقال :

لا تصبح الاخلاق بمحبة الكتب شرسة البتة والطف الناس في العالم عندنا محبوها . وهل

اجمل في حسن الاحدوثة من ايداع الاسفار في خزانة كما يفعلون . وان صنيعهم هذا ليذكّر بما يتمنَّى بهِ الاولاد من ركم الرمل على شاطيء البحر واشتغالهم عبثًا لما ان ما يركمونهُ من الرمال ينهال للحال و يُعفّى اثرهُ . وهذا شأن مجامع الكتب والصور فكما ان البحر يودي بكُوَم الرمل يشتّت الدلال تلك الكتب المجمَّعة اذ يبيعها جملةً وافرادًا واللوم في ذلك على صروف الدهر وقصر العمر . غير انهُ ما من شيءٍ ازين في العاقبة من جمع الرمل في السنة السادسة والكتب في الستين . وهيهات ان يبقى شيءٌ مما نعملهُ ونجدهُ فيهِ الآن . اذًا فالرغبة في ابتياع الخشار ليست دون الرغبة في غيرهِ

يعيش عشاق الاسفار متمعين بصيت حميد واثر مجيد قائمين بما يفرضهُ العالم عليهم . فقد تجد نفوسًا مائلة الى الكتب بكليتها وما الدنيا عند اهلها الا كناية عن حبر وورق . ومن يحيا بمثل هذه الروح يقضي حياتهُ امام منضدة عملهِ ولا همَّ يعروهُ من جرَّاء الحقائق المثابر على دراستها الملازم لاستبطان سرّ ما خط فيها واستنباط غور ما استخرج منها . ومثلهُ لا يعرف من جمال ربَّات الحجال الاَّ ما سطر في كتبهِ ولا يدري من المحن واعمال الرجال وآمالهم سوى ما يستطاع ان يحصر في حبك الكتب ويسمَّى في تضاعيف جلودها فهو بهذا على الجملة مضادٌ للطبيعة الاَّ انهُ بريءٌ لا ذنب لهُ

ثم قال لنبارك الكتب اذا امكن قضاء الحياة وسطها في شبيبة رابية راضية . وإنَّ من الناس من عرفتُهم فما اغنتهم القراءة والكتابة تبصرة ولا سكينة . فان كانت الاسفار تحمل السلم الى المسالمين فبها تضطرب النفوس المهوَّسة المهوَّشة . ما الكتاب الاَّ عبارة عن عمل من السحر يصدر منهُ صنوف من تشويش البال وتبدُّل الضمائر . ما الكتاب الاَّ آلة سحرية صغيرة تقتادنا الى وسَط نرى فيهِ صورًا ماضية ونشرف منهُ على ظلال خيالية . وما أشبهُ المستكثرين من تصفح الصحائف الاَّ بالمدمنين تناول الحشيش من كونهم يعيشون في حُلم فما ينفُذ الى تلافيف رؤوسهم من سمّها الساري يُفقدهم الحسَّ بما في العالم الحقيقي ويجعلهم عرضة لاوهام مفزعة او مفرحة وما الكتاب الاَّ افيون الغرب وما نحن بهِ الاَّ هالكون

هي الكتب حتى نَكْلَفَ بها لانها تُكَلّفنا يسيرًا ونتعشقها فنرى فيها خطرًا خطيرًا . قلت انها تهلكنا وهو كلام رجل شغفتهُ حبًّا فانكبَّ على التملي بها لا يراقب الرقباء ولا يرهب العواذل وذلك لان لدينا منها العدد الكثير والانواع المنوَّعة . ولئن كنا بها نموت فبها نحيا ولها علينا الايادي البيضاء . الكتاب يُشبهُ اللسان من حيث يمكن أن يقال عنهُ انهُ احسن الاشياء واقبحها على انهُ حسنة الحياة المدنية مفتاح العلوم لسان حال الحقيقة والعقل بهِ يعلم

المرء ويمشي من التحقيق على سواء الطريق ويقضي اول الفروض المحتم عليهِ اداؤها من تسبيح الآلهة . ويصحُّ ان يُنعت بانهُ أمُّ كل نزاع ومنبعث كل شقاق . فان قيل فيهِ لسان حال الحقيقة فيقال ايضاً والضلالة . وان شئتَ زيادةً في قبحهِ فقل بلا اثم ولا حرج انهُ صوت البهتان بهِ تُدَمَّرُ البلدان وتَرْذُل نفس الانسان . وان كان من وجهٍ يسبح الآلهة فمن آخر يُجدِّف ويَطْعُن في قدرتهم . وانا اقول ناصحاً لمن سئمت ابصارهم النظر الى كثير من الاوراق المسوَّدة ان لا تتعشقوا الكتب ولا تصحبوها كيفما اتفق بل تلطفوا في الانتخاب واجملوا في الطلب

هذا مقال العالم الافرنسي وهو كلام تسوغ تلاوتهُ على رؤُوس كل جيل وقبيل وان كان كثيرون في هذه الديار اسمى من ان يُنصحوا بمثلهِ لانهم لا يحفلون الاَّ بما كان موضوعهُ الزهد والحماسة والمجون يقبلون كتبها على علاَّتها ويردون مواردها على كدوراتها . وليس الاستكثار من جمع نافعها بموجود الاَّ في مقصورات افراد بيننا يُعدُّون على الاصابع أُولعوا حديثاً بجمعها كما يجمع الغلاة في محبة الطوابع مجاميعهم او يزين الغنيُّ قصرهُ بالعاديات على حين ان المثقفين من موسري الاوربيين يغالون باقامة المتاحف في قصورهم او خزائن الكتب الثمينة في نواديهم فينفعون وينتفعون

ولقد قرأْت منذ عهد ليس ببعيد وصف مكتبةٍ لاحد اغنياء بروكسل عاصمة البلجيك يدعى لوفانجول (Lovengoul) وهو رجل خطبتهُ المناصب في مبدإِ امرهِ لغناهُ وغنائهِ فتجافى عن ان يكون سفيرًا او وزيرًا او اميرًا او مشيرًا ورأَى منذ اربعين سنة ان سعادتهُ في الاعتلاء عن تطلُّب الدنايا الى النهوض بهذه الاعباء وعلم ان جمع الكتب اجمل صناعة يصرف عليها نهارهُ وليلهُ فاشتدَّ ولوعهُ خاصةً بتآليف كُتبت بخط مُصنفيها او وشحت على الاقل بتواقيعهم فطاف من اجل ذلك المعالم والمجاهل يطلب وُرَيقة سوَّدتها انامل عالم او كتاباً معتَّقاً اكل الدهر عليهِ وشرب فاشتهر في الغرب امرهُ وصار غنيًّا بمالهِ غنيًّا بكتبهِ غنيًّا بعلمهِ غنيًّا بانصراف الوجوه اليهِ توقعاً للنفع من اسفارهِ

بوصف هذا الرجل واقرانهِ في الغرب من الاغنياء العلماء ممن لم تعرف قصورهم المنجدة غير الادب تقام سوقهُ والفضل تُنفق بضاعتهُ يندفع الشكُّ فيما رُوي عن الصاحب بن عبَّاد من علماء القرن الرابع واحد وزراء بني بُوَيْه وقد احتجَّ بان كتبهُ يحتاج الى اربعمائة جمل لتحمل الى ملك ارادهُ على المجيء اليهِ

وبعدُ فاننا سكان العالم القديم نحاول التشبه بالمتمدنين ونعمَّا الفعل فعلنا لولا اننا نكتفي

بالقشور من حضارتهم وهم يتلقَّفون اللُّباب من مدنية اسلافنا وما قد تعلم بعضنا مبادئ لغات الاجانب فقاموا يحتقرون كلَّ شيءٍ اصلهُ شرقيٌّ ومن ذلك ذهابهم الى الاضراب عن الكتب المخلَّفة عن السلف لانها امست بزعمهم كالشرائع المنسوخة لا تصلح الاَّ طعمةً للنار ووقوداً للتنانير او سدائد للبواطي والقوارير وصرراً للنقولات والعقاقير

كنتُ يوماً اقرأُ كتاب الاحكام السلطانية للماوردي المتوفى في الخمسين واربعمائة فدخل عليَّ احد المعارف ممن تخرجوا على الاوربيين ولما رأى ما انا من الاشتغال بهِ تناول الكتاب من يديَّ وتصفح اسطراً ودفعهُ اليَّ مزرياً على علماء العرب كلامهم . فقلت لهُ يا هذا ان الحكم على الشيء فرع عن تصوُّرهِ وان شرع الحكمة ليوجب ان لا نقدّس القديم لقدمهِ او نبارك الحادث لحداثتهِ ومن الخرق في الرأي ان نصدر الحكم الاَّ بعد إطالة الروية واعمال الفكر معملهُ في القضية فان رابنا شيءٌ أنظَرنا ونظرنا والاَّ حكمنا فلا نقبل النقض ولا الدفاع

الماورديُّ من اساطين العلم في عصرهِ اجلَّ الاوربيون مقامهُ كغيرهِ من كبار الرجال حتى لا تكاد مكتبة في بلادهم خاصة او عامة تخلو من بعض تآليفهِ وكتابهُ الاحكام السلطانية طبع فيما نعلم في الغرب وترجم حديثاً الى الافرنسية بقلم المستشرق الكونت اوستروروغ (Le comte Ostrorog) . وهب اننا سلَّمنا معك بقلة الفائدة من امثال هذا الكتاب الذي قضت عليهِ الظروف السياسيَّة ان لا يُعمل بهِ والسياسة هنا ما برحت متحكمة على العلم اما كنا نطالعهُ لنعرف تاريخ نشوء هذا الفن ونأخذ إخذ الاوربيين على الاقلّ في عنايتهم بالبحث واحتفالهم باللغات المائتة كاشتغالهم بالحية وقد تقضي قوانين مدارسهم الجامعة بمدارسة دواوين قدماء شعرائهم مع ما تعاقب على لغاتهم من تغيير اوضاعها فالانكليز مثلاً ما برحوا متعلقين بحلّ ابيات شاعرهم شاكسبير الذي قام في القرن السادس عشر والناشئة منهم اليوم يعتاص عليهم فهم معانيهِ وتصوراتهِ

فان كان هذا حال الاوربيين من انصبابهم على الاخذ من شعرائهم الماضين فما الحال بنا وأصحُّ ما كُتب في لغتنا من حكمة وادب يُرَدُّ تاريخهُ في الغالب الى القرون الاولى للاسلام لانتشار مُطلَق الفكر على ذاك العهد ورواج سلع العلم رواجها في الغرب اليوم . واني شريكك يا صاح في الأخذ عن الاوربيين ومعاشرتهم وقراءة مصنَّفاتهم والإعجاب بحضارتهم وما عهدتهم ولا هوادة في الحق ولا إدهان الاَّ متفانين في إنضاء العزائم طلباً للكتب المشرقية من اعطاف البلاد فلمَ كل هذه العناية يصرفونها ولمَ كل هذا الجدّ في عقد المجامع والمنتديات وانشاء المدارس وبذل النفائس لو كان جميع ما الفهُ العرب ناقص الجهاز سَخْتَ الخلقة

وبديهيٌّ ان كل علم او كتاب مهما بلغ من التنقيح لا يبرأُ من اشياء تستدرك على واضعهِ ومع وقوع الاجادة في اغلب مصنفات كبار الفلاسفة باوربا لعهدنا ما خلوا من انتقاد وتنديد. وهل خرج البشر قط عما في طاقتهم فعملوا عملاً لا يحتمل الغلط والتغليط ولا يفترق الناس فيهِ بين مستحسن ومستهجن . هذا سبنسر (Spencer) شيخ فلاسفة العمران في عصرنا على علوّ كعبهِ في الحكمة ما نجا من نقد تآليفهِ وتسفيهِ رأيهِ في كثير من مبادئهِ فهل قدح ذلك في قدرهِ وعُد غميزة عليهِ . ومن ينكر ارتقاء العلوم بكثرة الاشتغال بها وان واضعها بادىء بدء يضع قواعد طفيفة قد تكون مغلَّطة ثم ينحلُّ نطاقها ويحسن خَلقها وخُلقها . وضع آدم سمث فن الاقتصاد السياسي في القرن الماضي فتعاقبهُ العلماء يمحون ويثبتون .ووضع ابن خلدون علم العمران في القرن الثامن للهجرة فقفا العلماء اثرهُ يزيدون ويذيلون . وهكذا قل عن الفنون التي وضعت في القرون المتأَخرة ولا عهد بها للعرب ولا للروم ولا للفرس ولا للهنود ولا للصينيين فان العقل الانساني لا حدٌّ لهُ في الارتقاء

اليك زبدة ما دار بيني وبين من ارتأَى ان يُضرَب بكتب العرب عرض الحائط ولو سمع منهُ عالم اوربيٌّ هذا التصريح لأَضرب عن اجابتهِ لعلمهِ بان الخوض في مبحث تقرر من الحديث المفروغ عنهُ ولو طالع ما كتبهُ المنصفون من الفرنجة على مدنية قومهِ وحسن بلائهم في خدمة العمران واستعمل قواهُ العقلية وحكَّم ضميرهُ لاعتدل مشربهُ ولحدثتهُ نفسهُ بان خُذ ما صفا ودَعْ ما كَدَر. ولولا ما عمَّ القول لالتمست لهُ عذرًا لكثرة ما في الايدي من كتب لو اعتيض عنها بما خلفهُ المحققون من الآثار لما انحطت المدارك الى هذه الدركات

وانهُ ليقلُّ للاوربيين كل تحميدٍ وتحبيذ فانهم مع ما بلغ اليهِ العلم عندهم من الجلاء ما برح عقلاؤُهم متوقفين في كثير من مسائلهِ ريثما يعثرون على ما فقد من الكتب القديمة فقد حسبوا حسابهم فرأَوا ان ما لديهم من الكتب العربية مطبوعة كانت او مخطوطة لا تكاد تبلغ ثلث ما ذكر في تراجم المشاهير من المصنفات . حتى ان علم الفلك على ما يعلم الجمهور من ارتقائهِ اليوم بما تهيأَ لهُ من الادوات المخترعة الحديثة لم يخلُ من محارات للافهام فقد زعم فريق ان العرب على قلة معرفتهم بالتصوير وعدم الادوات الكافية لم يكونوا دون اهل هذا العصر فيهِ . وكذلك قل عن التاريخ فقد صرَّح احد علماء الغرب بانهُ لم يتحرر عندهم بعدُ الى الغاية التي انتهى اليها وقت ازدهاء العلم في مشرقنا

وكيفما كان الحال فانَّا نرى الفرنجة محتفظين بتركة اسلافنا منذ دبَّت في نفوسهم روح التقدم . واكد بعضهم ان ما يطبع من كتب المشارقة في اوربا كل عام يبلغ نحو الف كتاب

فلو فرضنا ان ما تفضلوا بنشرهِ منذ بدء النهضة هو ربع هذا العدد او ثمنهُ كلَّ سنة فكم تبلغ كتبنا المطبوعة عندهم يا تُرى . ومما يُخجِل ان احد الاصدقاء اوعز اليَّ منذ مدة ان اكتب نبذة في عمران دمشق فطفقت اتصفح اقوال المتعرضين لذلك من المؤرخين والجغرافيين فلم اظفر من الاسفار المتداولة بطائل ولا نائل ولولا كتب جمة في هذين الفنين طبعت في اوربا بالعربية لخرجت الرسالة بتراء جذماء بالمرَّة لان ما يتعلق بهذه الحاضرة من الآثار قلَّ ان تجد لهُ فيها ذكرًا فقد ألَّف الحافظ الذهبيُّ الدمشقيُّ من علماء القرن الثامن مثلاً عشرات من المجلدات في التاريخ ومن الاسف انك لا تكاد تجد في هذه البلاد ورقة واحدة منها

ولا غضاضة اذا نودي عقيب ما تقدم انَّ بعيداً يحسن القيام على هذا التراث الوافر لاحرى بهِ من قريب يبدِّدهُ جزافاً وان اقواماً كالغربيين عرفوا الحق فقال احدهم ان بعض علماء العرب وضعوا من صنوف المصنفات ما لا يستطيع احدنا ان يقرأهُ كل عمرهِ لجديرون بارث الشرق في مادياتهِ وادبياتهِ وان الانكليز ليعذرون على قانونهم الذي لا يورث الَّا بكر الاولاد تفاديًا من ان لا يثمر المال في ايدي غير الاكفاء . وخليق بالعاقل والحكمة ضالتهُ ان لا يسلم ايضاً بان حسنات بغداد بمأمونها فوق حسنات اثينا ببركليسها ورومة باغسطسها الَّا بعد تمييز الزيوف من النقد العزيز والمفاضلة بين مناجم الفحم وركاز الابريز محمد كرد علي

تربية الاولاد

من كتاب تدبير الاطفال في الصحة والمرض لمؤلفهِ الدكتور اسكندر بك جريديني

التربية علم واسع الاطراف نذكر من اساليبهِ وكيفياتهِ ما يسمح بهِ غرض الكتاب وقد قسمنا الكلام عليها الى قسمين

اولاً : التربية البدنية . وثانياً : التربية الذهنية و لادبية

فالتربية البدنية او الرياضة الجسدية تقوم بتحريك عضلات الجسم والتنزه في الجنائن البعيدة عن مجامع الناس واقذار المدن . ولا بد للولد من تربية بدنهِ وهذا فرض واجب على الوالدين لان نجاح كل امة موقوف على افرادها والافراد بصحة ابدانهم وشدة بأسهم وجلدهم . ومن كان مسقاماً ممراضاً قصر عن القيام بواجباتهِ نحو وطنيهِ ونفسهِ وكان حملاً ثقيلاً على أهلهِ ووقرًا على عاتق الانسانية

وتبتدئُ التربية البدنية من الاسبوع الثاني من الولادة وهو الزمن الذي يشرع فيهِ

الطفل بتحريك يديهِ ورجليهِ ولذلك لا يجوز ان يقمط من رأسهِ الى اخمص قدميهِ او يلبس ثياباً زائدة في طولها عن الحد الذي يطلبهُ قانون الصحة لئلاَّ يمتنع عن الحركة كما يهوى فيتعوق نموهُ . هذه اول خطوة من خطوات التربية البدنية والخطوة الثانية هي ان تحمل الطفل على اليدين مستلقياً نحو مرتين في اليوم وتحتهُ مخدة من الريش الناعم كأنهُ نائم في سريرهِ . ولا بأس اذا كان يحمل في اثناء الشهر الثاني من غير مخدة على الطريقة التي تقدم ذكرها وبعد ذلك يحمل منتصباً على الذراع الواحدة ويسند ظهرهُ ورأسهُ بالذراع الاخرى . ولا يجوز ان يخرج بهِ الى النزهة قبل الزمن الذي يؤَهل جسمهُ لتحمل الهواء . وثمَّ عادة سمجة وهي انهم يعرضون الطفل الصغير للهواء باكرًا بحجة ان ذلك يقوي بدنهُ ويعودهُ تحمل الخشونة وهي حجة واهية لان مس البرد ولا سيما في الطور الاول من الطفولية يؤَثر في اجسام الاطفال البضة مهما كان الطقس معتدلاً او حارًّا فيضر بصحتهم ضررًا جسيمًا كما ان التأنق والتحفظ الزائدين يورثان الضعف والسقام وخير الامور الوسط

والافضل ان يخرج بالطفل الى الهواء تدريجًا فيؤْخذ حينما يصير ابن اسبوعين من غرفة الى غرفة اخرى هواؤُها ابرد من هواء الغرفة الاولى بقليل حتى يتدرج على تحمل الهواء من غير ان يلحق بهِ ضرر من التعرض لهُ دفعة واحدة

ويجوز من الشهر الثاني فصاعدًا ان يخرج بهِ الى الخلاء في الايام الصحية فيمكث من ١٠ الى ١٥ دقيقة في الدفعة الاولى واكثر من ذلك في الدفعات التالية . ويحترس من الخروج بهِ في الايام الباردة قبل الشهر الثالث من عمرهِ . واذا صادفت ولادتهُ في فصل الشتاء فالاولى ان يبقى في البيت الى فصل الربيع حتى يدفأَ الجو ويكون الطفل في مأْمن من مضار البرد . ومع ذلك فان الحكم في هذه الحالة عائد الى تدبير الام وحكمتها وحالة الطفل من القوة والصحة . واذا كانت ولادتهُ في فصل الخريف فيعوَّد الخروج الى النزهة قبل مجيء الشتاء واما في ايام البرد والارياح الشديدة فيكفي ان يلف بملاءة ثم تفتح نوافذ الغرفة التي ينام فيها حتى يتجدد هواؤُها ويستنشقهُ نقيًّا خاليًا من الفساد وذلك افضل من الخروج من المنزل في مثل هذه الاحوال . وانما يجب ان يوضع في اثناء ذلك في مكان منحرف عن مجاري الهواء لئلا يبرد وحتى في الايام الحارة يجب ان يعنى بتدفئتهِ في النزهة فاذا بردت رجلاهُ او يداهُ ردَّ الى البيت حالاً

ويحسن ان يخرج بهِ في الدفعة الاولى على ذراع امهِ او حاضنتهِ لان حرارة بدنها تحفظ الطفل دافئًا فضلاً عن ان اسنادها اياهُ بيدها الاخرى يريحهُ راحةً كبرى

وبعد الشهر الثالث وذلك حسب الطقس يؤْخذ الى النزهة على عربة الاطفال ويجب ان تكون العربة مستوية اي غير مائلة الى جهة من الجهات ورفاصها ليناً وفراشها ناعماً من الريش او الشعر وان يكون لها وسادة يجلس عليها الطفل حينما يبلغ العمر الذي يؤَهلهُ لذلك . ومظلة لمنع حرارة الشمس والاخيرة لازمة جدًّا وبدونها لا تنفع العربة شيئاً . وكثيرًا ما نشاهد هذه العربات في شوارع المدن تسوقها الخادمة من غير مظلة والشمس تلفح وجه الطفل فتحرقهُ اوتكون سبباً لاعتلالهِ او هلاكهِ

والافضل ان يكون لون العربة من الظاهر اسود او اسمر وكذلك بطانتها وفرشها لان اللون الابيض ولا سيما الالوان البراقة كالاحمر والاخضر تعكس نور الارض الى العينين فتضر بهما ضررًا جسيماً

ويتبع العربة سير من الجلد يربط الى جانبيها من الامام لوقاية الطفل من السقوط . على ان وضعهُ على هذه الصورة لا يخلو من الخطر لانهُ اذا اصطدمت العربة اوكان الطفل كثير الحركة وخادمتهُ لاهية عنهُ وقع وتهشم كما حدث ذلك كثيرًا . ولذلك يجب ان نتدارك هذه المخاطر بتركيب السير الى جانبي العربة بعلاقتين من الجلد حتى يحيط بالطفل ويحصرهُ داخل منطقة حريزة تضمن لهُ السلامة من السقوط

ومن الشهر السادس فصاعدًا يميل الطفل الى القعود في العربة عوضاً عن وضعهِ فيها مستلقياً وحينئذٍ يدعم ظهرهُ وجانباهُ بالمخاد الى ان يبلغ الشهر السابع من العمر فيجلس على مقعد العربة وحدهُ . ويناسب ان يوضع من الشهر الثالث فصاعدًا على فراش او ملاءة وثيابهُ مرتبة على طريقة تسهل عليهِ الحركة كما يهوى فيقلب تارةً على جنبهِ وتارة على بطنهِ وظهرهِ وبهذه الواسطة يقوى عضلهُ فيهون عليهِ الحبو (الدبدبة) والمشي حينما يجيء اوانهما . ولا يخفى ان الولد يسر بالحبو ويلذ لهُ كثيرًا واذا رأيتهُ يحبو بكثرة زائدة فلا تمنعهُ لان الحركة تقوي بدنهُ وهي دليل الصحة والعافية . ويجب ان لا يغفل في اثناء ذلك عن مراقبتهِ لئلاَّ يذهب الى مكان مرتفع فيسقط وينكسر عظمهُ او تنسحج بشرتهُ او يلتقط من الارض شيئاً مضرًّا او تحرقهُ نار او يغرز بابرة او دبوس كما يحدث ذلك كثيرًا . وقد تنشغل الام في تدبير منزلها فلا تستطيع مراقبة ولدها وعندئذٍ يوضع ضمن سياج او اطار من خشب مؤَلف من اربع اضلاع تتصل بعضها ببعض بواسطة شنا كل من حديد ثم تفصل وتحزم عندما لا يراد استعمالهُ

والمشي كالحبو يروض الجسم ويجب ان يترك الطفل الى ان يقدم عليهِ من تلقاء نفسهِ ولا يكره على المشي قبل ان تقوى قائمتاهُ ويتصلب عظمهُ لئلا يكون سبباً لاعوجاج ساقيهِ ولاسيما

اذا كان معدًّا لمرض الكساح اي رخاوة العظام

على انهُ يجوز حالما يقوى الطفل ان يسير كل يوم على قدميهِ نحو ١٠ دقائق او اكثر حسب قوتهِ وسنهِ · ويداوم على النزهة في عربة الاطفال الى ان يبلغ السنة الرابعة من عمرهِ وبعدئذٍ يركب عربة يجرها جحش اوحصان صغير (بوني) على نحو ما ترى في شوارع القاهرة وكلما تقدم الولد في السن زاد ميلهُ الى اللعب فلا يمل ولا يكل وهذا من غرائب ما يشاهد في الاولاد . ومن الواجب ان لا يسمح لهُ بترويض بدنهِ الى حد الجهد والاعياء لئلا تكون الرياضة وبالاً عليهِ

واولاد المدارس من احوج الناس الى ترويض ابدانهم لان ازدحامهم في المدرسة واشتغالهم في درس العلوم كثيرًا ما يفضيان الى انحطاط العقل وربما احدثا امراضًا عصبيَّة يصعب برؤُها واشدها وطأَة المرض المعروف برقص القديس انطونيوس الذي يكثر حدوثهُ في اولاد المدارس من اعمال الفكرة والتقاعد عن الرياضة البدنية كما ينبغي

ولا بدَّ للتلميذ من ساعة او ساعتين يروض فيها بدنهُ باللعب في الهواء المطلق. وانفع الالعاب للتلامذة ما يلعبونهُ من تلقاء انفسهم لانهم يغتبطون بهِ ويجدون فيهِ من اللذة ما لا يجدونهُ في غيرهِ من الالعاب التي تقترح عليهم او يكرهون عليها

ومن صنوف الرياضة المفيدة للاحداث ركوب الخيل والحمير والرقص والسباحة وكرة القدم والتنس وركوب الدراجة (البيسكل) كل هذه تحسن آثارها لا في الصبيان فقط بل في البنات ايضًا . ولست أرى مانعًا ادبيًّا ولا غير ادبي يمنع البنت عن ترويض بدنها بجميع الالعاب التي يتمرن عليها الذكور في الهواء وحرارة الشمس وهذا خير لها من الاختباء في بيتها لان الرياضة على الطريقة التي تقدم ذكرها تكسبها صحة وجمالاً وبالتالي فلا تكون من الكاسدات في سوق الزواج

وقد اخترع الافرنج العابًا كثيرة لترويض ابدانهم وأنشأُوا النوادي والجمعيات من رجال ونساء للمسابقة في فنون الرياضة الجسدية وقد جرت الحكومة المصرية هذا المجرى في مدارسها وكثيرًا ما يلعب تلامذتها على رهن او جائزة لان ذلك يرغبهم في ترويض اجسادهم وينشطهم على المباراة فيكون لهم نفع صحي يغتبطون بهِ طول حياتهم ولا تجد فيهم من المترهلين والقصعين ما تجدهُ في من سواهم من الذين لا يراعون قانون الرياضة كما ينبغي

❊ التربية الذهنية والادبية ❊ هي ان تنور ذهن الولد وتثقف عقلهُ وتهذب اخلاقهُ وتقوّم سيرتهُ لكي يصير رجلاً بالحق متصفًا بصفات الانسانية

ويزعم اكثر الناس ان التربية العقلية قائمة بتعليم الولد في الكتب ولذلك يسرعون بوضعهِ في المدرسة حالما ينطق ببعض الالفاظ فيكرهونهُ على تعلم قواعد العلوم او بالاحرى على حفظها غيبًا كالببغاء من غير فهم ولا لذة ترغبهُ فيها لانهُ لم يترشح لادراك معانيها بالوسائط العملية اي بتقوية ذهنهِ وتنويرهِ بالخطاب قبل الكتاب. ولهذا السبب ينفر الولد من المعلم والعلوم وتصير المدرسة سجنًا مطلقًا في عينيهِ

ويبدأ بالتربية من الشهر الخامس وصاعدًا وفي هذا الزمن يسر الولد بالاعيب الاطفال وافضلها ما كان من الجلد او الكوتشوك وغيرهما من المواد اللينة لانها اذا كانت من المواد السهلة الانكسار كالجبس والفخار فلا تلبث ان تنكسر فتضطر الام الى ابدالها بلعبة اخرى جديدة. ولا يخفى ان الرزق الكثير يؤدي الى الاسراف والتبذير وهكذا حال الطفل من هذه الالاعيب فانهُ اذا رأى انها تتوارد عليهِ من غير حساب قل حرصهُ عليها وفاتتهُ الفائدة منها. وبناءً عليهِ يجب ان يكون للولد لعبة واحدة من المواد الغير السهلة الانكسار حتى تبقى عندهُ مدة طويلة ويتعلم ان يحرص عليها ويعتني بتنظيفها وتدبيرها لان الولد قابل للتعليم والتهذيب مهما كان صغيرًا

ومن جملة الملاهي العقلية التي تنور عقل الولد ان يكون في البيت كتب موضحة بصور مشاهير الرجال وبعض اشكال الانسان والحيوان والنبات فتشرح لهُ امهُ او حاضنتهُ شيئًا عنها على مقدار سنهِ وفهمهِ حتى يتهيأ عقلهُ تدريجًا لقبول المعارف التي تلقى عليهِ في المدرسة

ومما يسر الولد كومة من الرمل الجاف يلعب بها في ايام البرد في بيتهِ فتارة يبسطها فيجعل منها سهلاً وطورًا يكومها فيمثل جبلاً او اكمة وبهذه الواسطة يدفع عنهُ الملل والضجر ويتهيأ عقلهُ لقبول العلوم الجغرافية وقس على ذلك سائر العلوم

ولا تخاطب الولد بالفاظ لا معنى لها وهي اللغة التي تستعملها الام في مخاطبة اولادها ومعظمها كلام غير مفهوم يتلقنهُ الولد كأنهُ لغة اعجمية ولكن لا معنى لها ولا وجود سوى في مخيلة الامهات. والافضل ان تخاطبهُ من بدء الامر بكلام واضح وعبارة جلية حتى يتعود من صغرهِ طلاقة الحديث وفصاحة اللسان

ومن عادة الاولاد ان يسألوا عن كل غريب يشاهدونهُ وهذا طبيعي فيهم يدفعهم اليهِ حب الاستطلاع والوقوف على كل شيء يجهلونهُ. يدلنا على ذلك انك اذا ذهبت بالولد الى الجنائن والتقط زهرة او شاهد طيرًا الى غير ذلك مما يقع تحت يدهِ او يستلفت نظرهُ أتى اليك يسأل عن هذا وذاك وينتظر الجواب بشوق زائد. على انهُ كثيرًا ما تعد الام هذه الاسئلة

ضرباً من التطاول والفضول فتزجرهُ عنها اوتجعل جوابها قليل الفائدة . ومن الواجب على المربي كائناً من كان ان يجاوب عن كل سؤَال يطرحهُ عليهِ الولد ويشرح لهُ كل غوامضهِ حتى يتشرَّبهُ ويرسّخ في ذهنهِ . ولا يخفى ان ما يتعلمهُ الولد من الاسئلة او يسعى في تحصيلهِ من عند نفسهِ اختياراً لا قسراً واضطراراً يكون احب اليهِ وابقى في حافظتهِ مما لو اخذهُ عن الكتب في المدرسة

على انهُ اذا سأَل الولد سؤَالاً في غير محلهِ او لا يليق بمن كان في سنهِ فيجب ان يمنع عنهُ ولكن باللطف والملاينة لا بالقسوة والمخاشنة

والقدوة من اكثر ذرائع التعليم والتعلم فائدة للاولاد بل هي افضل معلم لهم وذلك لبراعتهم في التقليد والاقتباس وبناء عليهِ يجب ان يكون الوالدون قدوة حسنة لاولادهم في القول والفعل ولا يسمحوا لهم بمعاشرة الاولاد الناقصي التربية لئلاَّ تسوء تربيتهم وآدابهم

ولا بدَّ من تدريب الولد على الطاعة حتى يمتثل لأَوامر والديهِ حبًّا بهما لا طمعاً في جائزة او فراراً من عقاب . ولا يخفى ان الطاعة من اكثر ذرائع التربية فائدة ولاسيما في وقت المرض لان الولد الذي لم يتعلم ليطيع والديهِ ويذعن لاوامرهما يرفض الدواء ولا يأْخذهُ الاَّ قهراً بعد عراك طويل ربما يجلي عن اضطراب العليل واشتداد العلة لما يصيبهُ على اثر ذلك من الانفعالات النفسانية

واحذر من معاقبة الولد اذا تكلم بالصدق لئلاَّ يعتصم بالكذب في المرة التالية ولا تعاقبهُ ما لم يرتكب ذنباً . ويجب ان يكون العقاب مجانساً للذنب . وفي اثناء ذلك يحسن ان تخاطبهُ بنغمة محزنة وتبين لهُ السبب الذي من اجلهِ استحق القصاص لكي يعرف غلطهُ ولا يعود اليهِ

ومن أشد انواع العقاب تأْثيراً في نفوس الاولاد منعهم من اللعب او ايقافهم في زاوية البيت او حرمانهم من النزهة أَو بعض الهدايا والجوائز وما شاكل ذلك واياك ان تعاقبهُ في ساعة الغضب او تلطمهُ على خدهِ او تجذب أُذنهُ او تجلسهُ في غرفة مظلمة لان هذا النوع من العقاب يضر بالصحة ضرراً شديداً . ولا يجوز ان تعاقب الولد بالقساوة عند اقل ذنب يرتكبهُ او زلة تفرط منهُ لئلاَّ يفقد الشعور ولا يؤَثر فيهِ القصاص او تتربى بسبب ذلك جراثيم الحقد والبغضاء في قلبهِ فينسب اليك القساوة والخشونة وتصير في عينيهِ عدوًّا ظالماً ومنتقماً لا معلماً ومهذباً

ومن الصفات المكروهة حب الذات وهي غريزية في الانسان واشدها قوة في الاولاد ولذلك لا يسهل على المربي ان يحمل الولد على الاقلاع عنها ويجعلهُ يفتكر ويعمل لغيرهِ لاننا

مفطورون على محبة انفسنا وقلما يعمل الانسان عملاً لغيرهِ صغيرًا كان او كبيرًا ما لم يكن لهُ منهُ نفع ولو شيء من اللذة او المسرة

على انهُ لا يصعب على المربي العارف باصول التربية الحقة ان يقوّم ويعدّل هذه الصفة في الولد وذلك بانماء الصفات المضادّة لها كحب الخير والشفقة والحنان وامثالها · كل هذه اذا نمت فيهِ تغلبت على صفة محبة الذات وتعلم الولد ان يعمل ويفتكر لغيرهِ ولو حياء · ويجب ان يمنع الاولاد من حضور الافراح والاجتماعات في الكنائس والمراسح لئلاَّ تتهيج اعصابهم فيصابون بالارَق في نومهم · ولا بأس اذا كانوا يترددون اليها في اواخر سني الحداثة وذلك قبل وقت النوم بساعات قليلة منعًا للارَق

ويمنع الولد ايضًا عن مجالسة الزوَّار ومحادثتهم لئلاَّ يكون مثقولاً عليهم او يتمادى في البذاءة فيقاطعهم في الحديث او يكثر من كلام الفضول الى غير ذلك من الافعال التي يأباها الذوق السليم وتشجبها آداب الزيارة واصول التربية الحقة

وعلى الوالدين ان يكونوا قدوةً لاولادهم في آداب الحديث والمائدة . ولا يجوز الاعتماد في ذلك على الخادمة او الحاضنة الاَّ اذا كانت ملمة بأساليب التربية . وحينما يبلغ الولد السنة الرابعة يجلس بجانب امهِ الى المائدة على كرسي عالٍ ولا يسمح لهُ بالجلوس مع الضيوف الاَّ متى بلغ السن الذي يؤهلهُ لذلك

وثمَّ عادة ذميمة وهي ان الام تخوف ولدها بحكايات الجن والعفاريت ومن ايسر مضار هذه العادة ان الولد ينمو وفي قلبهِ اثر من الخوف لا يزول طول الحياة بل كثيرًا ما تفضي بهِ الحال الى الاضطرابات العقلية بسبب ما يعلق على ذهنهِ من آثار تلك الحكايات الخرافية التي تمثل لهُ الوهم حقيقة . وكذلك يجب الاحتراس من تخويفهِ بالمناظر الغريبة الشكل والالعاب التي تحدث فرقعة واصواتًا عالية فجائية لما ينجم عنها من الضرر بالصحة وقد تقتل الطفل · ومن الوسائل التي يحسن اثرها في الولد ان يتعلم لكي يألف الحيوانات غير الضارة كالفيران وبعض الديدان والزيزان وان يألف الظلمة ايضًا كما يألف نور النهار حتى يتساوى الاثنان في عينيهِ ولا يكون ظلام الليل سببًا لخوفهِ

واخيرًا يبلغ الولد السن الذي يخرج فيهِ من ايالة امهِ ويدخل في ايالة المعلم · ويوجد طريقة جديدة لتعليم الاولاد قبل وضعهم في المدرسة وهي الطريقة المعروفة في لغات الافرنج (بالكندرجارتن) والمصطلح عليها في هذه الايام لتنوير ذهن الولد وتهذيب اخلاقهِ وعوائدهِ وذلك باللعب والخطاب قبل الدرس في الكتب

فمن جملة أساليبها انهم يقرنون اللعب بالاغاني والحركات الجسدية التي لا تخلو من معنى يفيد الولد ويلذهُ . فبالاغاني مثلاً يقلد تغريد الطيور وبالحركات الجسدية يقلد طيرانها

ويتعلم حروف الهجاء على قطع خشب مزينة بالصور بحيث يحفظها وتنطبع صورتها في ذهنهِ من غير خوف من المعلم وعقابهِ . وقس على ذلك تعلم الاعداد وتمييز الالوان بعضها من بعض . كل هذه يتمرن عليها الولد وهو يلعب وبهذه الواسطة تترقى معارفهُ شيئاً فشيئاً ويتهيأ ذهنهُ لقبول العلوم التي تلقى عليهِ في المدرسة عند ما يبلغ السن الذي يؤهلهُ لذلك . وقد ألَّفوا لها الكتب العديدة في اغلب اللغات وساروا على هذا الاسلوب الجديد في تعليم اولادهم فصادفوا نجاحاً عظيماً . وياليت في اللغة العربية كتباً ترشد الوالدين الى كيفية التعليم على هذا الاسلوب الحديث فتكون لهم خير معين على تربية اولادهم وتهذيبهم قبل وضعهم في المدرسة

وبعد ما يتمرَّن عقل الولد على الطرق التي تقدَّم شرحها يوضع في المدرسة ويحترس من وضعهِ فيها قبل السنة السابعة من العمر لئلاَّ تفضي بهِ الحال وهو لم يزل رخص العقل غض العود الى امراض عصبية تضطرهُ الى الاعتزال عن المدرسة وتكون سبباً لاطفاء نور حياتهِ العلمية

ويكفي ان يتعلم الولد اربع ساعات كل يوم حتى يبلغ السنة العاشرة من عمرهِ . ولا يجوز ان يرغم على الدرس في البيت لان ساعات المدرسة كافية ولا ان يضغط المعلم عليهِ ويشغل عقلهُ بمواضيع مختلفة لا قبل لهُ على تحملها لئلاَّ تنحط قواهُ العقلية والبدنية وتتسلط عليهِ امراض عصبية على نحو ما سبق بيانهُ في موضعهِ

ولما كانت البنت قليلة الحركة كان الخوف على صحتها من الامراض المذكورة اكثر منهُ على الذكور . ولذلك يجب ان تروض بدنها ويعنى بصحتها كما يعنى بصحة الذكور

ويمنع الاولاد عن القراءة على نور ضعيف لئلاَّ يكون سبباً لقصر البصر . اما وضع المصباح فالاصلح ان يكون مرتفعاً عن موازاة العين او مائلاً الى جهة الوراء ما امكن حتى لا تقع اشعتهُ على الحدقة مباشرة

ويجب ان يتخلل الدرس فترات من اللعب لترويض ابدان التلامذة وشرح صدورهم وراحة عقولهم من عناء القراءة والحصر في المدرسة

وسواء كان الاولاد في المدرسة او في مدرسة عالية داخلية فهم في خطر من الامراض المعدية كالخناق والجدري والحمى القرمزية والحصبة وغيرها من العلل الخبيثة التي تتفشى في المدارس من ازدحام التلامذة وملامستهم بعضهم البعض ففي مثل هذه الاحوال يجب ان تقفل المدارس منعاً لانتشار المرض

العقل والعمران

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في سوثبورت في التاسع من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ السر نورمن لكيَر خطبة طنانة كان لها اعظم وقع في نفوس الانكليز جعل مدارها على منزلة العقل من عمران الامم وعلى لوم الامة الانكليزية لانها لا تعنى بالتعليم العلمي ولا تنفق عليهِ مثل الاميركيين والالمانيين وان ذلك سيكون علة تأخرها وسبق هاتين الامتين لها . وذكر لتأييد قوله حقائق كثيرة وادلة عديدة كما سيجيءُ . فترجمنا خطبتهُ ونحن في ذلك كالمساكين الذين يجلسون حول صحفة من الفول المدمَّس ويتكلمون عن المآكل الفاخرة على موائد جيرانهم الاغنياء . ولكن ان انهضت هذه الخطبة بعض حكامنا او بعض اغنيائنا حتى يهتموا بامر التعليم لا يكون تعبنا في ترجمتها قد ذهب سدًى والَّا فغاية ما يستفاد منها ان نرى كيف تطلب المزيدَ امةٌ نحسبها في مقدمة امم الارض ونحن نقنع بالخبز والماء وتذكار مجد السلف . وهاك ترجمة الخطبة

تأثير العقل في التاريخ

ان اول فرْض عليَّ في هذه الليلة الاشارة الى ما اصاب امتنا وهذا المجمع بفقد السياسي العظيم الذي فقدناهُ منذ عهد قريب . ونحن اعضاء هذا المجمع فقدنا بهِ رصيفاً من اعظم الرصفاء وطالباً غيوراً من طلبة العلم انالنا الشرف بقيامهِ رئيساً علينا . ولقد كان وهو رئيسٌ للوزارة يعترف بما يجب للعلم وهو الذي جعل الحكومة تعترف بفضل رجالهِ ونفعهم للبلاد اعترافاً عاماً ولذلك كلهِ تشاركونني في بث التعزية لعائلة لورد سلسبري كما اقرَّت عليها لجنة مجمعكم صباح اليوم

ولما اعتزل صديق العلم هذا رئاسة الوزراء في العام الماضي خلفهُ سياسيٌّ آخر بدت منهُ دلائل كثيرة على اهتمامهِ بالمباحث الفلسفية وصرَّح مراراً كثيرة بما يدلُّ على انهُ يعرف نسبة العلم الى العمران الحديث ولذلك فنحن واثقون ان ما نالهُ العلم من المكانة في عهد النقيد يتعزز ويزيد في عهد خلفهِ الذي شرَّف هذا المجمع بقبولهِ رئاستهُ في العام التالي وقبولهُ هذا يزيد هذه الرئاسة فخراً

فيحق لنا ان نهنئ انفسنا لاسيما وان القرن العشرين الذي دخلناهُ سيكون اعظم من كل القرون التي سبقتهُ وان تاريخ العالم في الزمن الحاضر يتوقف كثير منهُ على تأثير القوى العقلية التي تستخدم نواميس الطبيعة وقواها ونواميس الانسان وقواهُ وان رجال السياسة سيضطرون

ان يزيدوا اهتماماً بالعلم والتعليم كاساسَين تُبنى عليهما الممالك وحارسَين يذودان عن حوضها

وسيُذكر القرن التاسع عشر بانهُ اول قرن اعترفت فيهِ الامم المتمدنة بتاثير العلم فيها . وقد كان التقدم العلمي فيهِ عظيماً جدًّا حتى لم يجسر احد ان ينبئ ان عصراً آخر من العصور التالية يفوقهُ في ذلك

اشار دزرائلي سنة ١٨٧٣ الى التقدم الذي تمَّ الى ذلك الحين فقال . " ما اعظم ما تمَّ في الخمسين سنة الاخيرة فان هذه المدة تفوق كل مدة تماثلها في تاريخ الانسان بما تمَّ فيها من عظائم الامور . ولست موجهاً فكري الآن الى قيام الممالك وسقوطها وانقلاب الدول وتأسيس الحكومات بل الى تلك النتائج العلمية التي اثَّرت اكثر من كل الاسباب السياسيَّة وغيرت احوال الناس وستغير مستقبلهم اكثر من كل الفتوحات والقوانين والشرائع "

ومن المحقق انهُ ينتج عن تقدم العلوم وتأخرها نتائج عديدة بالنسبة الى حياة الامة ومن هذه النتائج ان التأخر الصناعي والتجاري يكون على نسبة اهمال التربية العلمية

واول من اشار الى ذلك ابو ملكنا الحالي لما جاءنا من مدرسة بُن الجامعة ومن ثمَّ أُلّفت اللجنة المنسوبة اليهِ فكانت سبباً في انشاء مدرسة الكيمياء التي صارت بعدئذٍ ادارة العلم والصناعة ومن ذلك الحين الى الآن وتحذير علمائنا يزيد شدَّة سنة فسنة . ولم يقتصر الامر على ذلك لان ليس المسألة متوقفة على ما تصنعهُ البلاد في القرن الواحد بالنسبة الى ما تصنعهُ في قرن آخر بل ان بث الحياة العلمية ومعرفة طرق الانتفاع بقوى الطبيعة لها في تقدم الامم وتأخرها شأن اعظم وتأثير اشد مما يظنُّ عادة

ولا شبهة في ان بريطانيا استفادت من تقدم العلم في اواسط القرن الماضي اكثر مما استفاد غيرها لانها كانت تمتلك انفع الخيرات الطبيعية وأَلزمها للصناعة اي الفحم الحجري والحديد فان استخدامهما لعمل الآلات والادوات جعلها اغنى بلدان المسكونة وصيَّرها مقرًّا للاختراع وتاجاً لهُ ودارًا للصناعة والمصنوعات كما قال عنها المستر كارنجي . ولما كنا اعظم الصانعين للمصنوعات واعظم المصدرين لكل نوع منها صرنا بواسطة سفننا اكبر اصحاب المتاجر ولذلك استتبت لنا السيادة على البحار

واول تغيير عظيم نتج عن استخدام النظريات العلميَّة كان في طرق استخراج المواد ونقلها فلما فتحت المناجم في البلدان الاخرى وصُنعت فيها الآلات وسهلت وسائل النقل ورخصت ضعف شأننا الذي كان قائماً باستعمالنا خيرات الارض قبل غيرنا . والعلم الذي لا يعرف لهُ وطناً بل هو مشاع للجميع اشرك الناس بمزاياهُ فجاب التجار كل بلدٍ وجلبوا كل نفيس نافع ولذلك

فاول نتيجة عظيمة نتجت عن تقدُّم العلوم ان قلّت سيادة بريطانيا المبنيَّة على استعمالنا خيرات ارضنا وكانت هذه الخيرات مصدر غنانا وقوتنا بين الامم

وقد زاد الخطب لان حكّامنا واساتذة مدارسنا كانوا عمياناً يقودون عمياناً حين تقوَّضت دعائم سيادتنا المبنية على ما لدينا من الخيرات الطبيعية وأُهملت قوانا العقلية مع ان ترقيتها في يدنا

اما جمهور الساسة عندنا فقلما يعلمون شيئاً عن مقدار ما للعلم من الشأْن في ترقية امور الناس في هذا العصر وعن الاساس الحقيقي الذي تبنى عليهِ مصالح الامم ولذلك يحسبون ان لا شأْن الاَّ للامور السياسية والمالية . ولسنا الآن احسن مما كنَّا قبلاً فلما قامت المناظرة في اقتراح المستر تشمبرلين لم يكد يذكر شيءٌ عن تأثير العلم في الاسعار بل نُسب كل تغير فيها الى وضع الرسوم او عدم وضعها على بعض السلع ولم يخطر على بال المتناظرين ان اسعار الحنطة لم تهبط الاَّ بعد الغاء رسوم الحبوب بثلاثين سنة او اربعين . وعندهم ان المخترعات الجديدة والسكك الحديدية والسفن البخارية امور طفيفة لا يعبأُ بها وان ثروة الامم تتوقف على شعار رجال السياسة هل التجارة معفاة من الرسوم او غير معفاة منها

ونعلم الآن مما حدث في بلدان أُخرى انهُ لو كان وزراؤُنا اعلم مما هم واحكم وكانت مدارسنا الجامعة اكثر مما هي واكفى لارتقت قوانا العقلية بالتعليم والتهذيب وذلك بادخال العلوم الى المدارس وتعليمها بالامتحان والملاحظة والبحث لا بالمطالعة في الكتب . وإِهمالنا ذلك هو الذي القانا وراءَ سائر الامم في استخدام العلم للصناعة حتى صارت تطبيقاتنا العلمية على الصناعة اقل اهمية مما كانت . وهذا ليس كل ما خسرناهُ بل خسرنا تقوية الحياة الامية الناتجة عن بث الذوق العلمي بين كل طبقات الامَّة واستخدام الاساليب العلمية في كل اعمالها . وكثيرون من اولي الامر بيننا يعرفون قليلاً من العلم ولا يهتمون بهِ مطلقاً لاننا لم نتعلَّم انهُ يجب على الحكومة ان تنظم جيوشها للسلم كما تنظمها للحرب وان المدارس ضرورية لخير البلاد كالبوارج والفيالق ولا بدَّ من ان تنظَّم ويُنفق عليها مثلها

وغرض هذا المجمع على ما صرَّح بهِ منشئوهُ منذ اثنتين وسبعين سنة هو "تقوية البحث العلمي وتدريبهُ حتى يزيد انتظاماً وتقريب الصلات بين المشتغلين بالعلم في جهات الامبراطورية البريطانية وبينهم وبين غيرهم من العلماء الاجانب وتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم"

وسلفائي في هذا المنصب الذي اوليتموني الشرف بوضعي فيهِ بحثوا في القسم الاول من

غرض هذا المجمع فاجادوا وافادوا والآن ارى انهُ يجب عليَّ ان اخالف خطتهم واحصر بحثي في القسم الاخير لانهُ ان لم تستخدم الوسائل "لتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ولنزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم" تعذَّرت علينا مناظرة الامم التي تعتمد على العلم اكثر مما نعتمد نحن عليهِ

الجهاد بين امم العصر

قال هكسلي منذ سنوات في البحث عن علاقة التعليم العلمي بالمعامل الصناعية اننا اصبحنا مضطرين الى الجهاد لاجل حفظ كياننا الجهاد الذي لا يسلم منهُ الَّا من كان اصلح من غيره للبقاء

وهذا جهاد بين الامم المنتظمة بعضها مع بعض لا بين افرادها جهاد يقوم فيهِ العلم والعقل مقام السيف والقوة الوحشية اللذين توقف عليهما تاريخ الامم وكيانها حتى الآن . وميدان هذا الجهاد المدارس الابتدائية والمدارس الكلية والمعامل الكيماوية والمعامل الصناعية

ولكن ان كان هذا صحيحًا فصنائعنا لا تستطيع ان ترتقي وحدها لان العقل لا يمكن ان يقتصر على المعامل ان كانت الامم الاخرى تستعملهُ في كل اعمالها واجراءاتها

والمسألة هامة جدًّا لانها تستدعي تغييرًا عظيمًا . تستدعي ان نضع اساسًا جديدًا تثبت عليهِ الامبراطورية البريطانية بسبب الاحوال الجديدة التي طرأت على المسكونة . وانا واثق ان النداء الذي نادانا بهِ ولي العهد وهو "استيقظوا" يجب ان ينادَى بهِ رجال الحكومة كما ينادى بهِ ارباب الاعمال

والذي نحتاج اليهِ هو ان تنتظم قوى الامة كلها لكي تستطيع ان تقابل المطالب الجديدة التي يدعونا اليها تقدُّم العلوم مضافًا اليهِ ازدياد السكان وسائر الفواعل التي تبنى عليها المزاحمة بين الامم . وهذا الامر يشمل كل وزير وكل نظارة من نظارات الحكومة بل يشمل الامة كلها ملكها واعيانها وعوامها فانهُ يجب عليهم كلهم ان يرقّوا التعليم العلمي الى درجة تؤهل الامة لمقابلة المستقبل مهما كان . ويخطئ من يظن ان العلم لازم لترقية الصنائع فقط . وان ظن احد ان بريطانيا مقصرة في تعليم صنّاعها فقط وان رجال حكومتها نائلون من المعارف العلمية والقوى العقلية ما يكفي لما تستدعيهِ احوال الزمان بعد ان انتشرت فيهِ العلوم فليراجع تقرير اللجنة الملكية التي أُقيمت للبحث عن الحرب في جنوب افريقية فانهُ يجد هناك ان الاسلوب الذي جرينا عليهِ في تلك الحرب غير صالح لما تستدعيهِ احوال جيش أُنشئ لنستطيع محاربة غيرنا بهِ . وليقرأ ايضًا خطبة رئيس الجمعيَّة الكيماوية الصناعية وما فيها من وصف الاساليب الفعّالة التي لجأَت اليها غُرف التجارة ومئتان وخمسون الف عامل لكي يوضع قانون الامتيازات

الصناعية على صورة يمكن العمل بها رغماً عن مستشاري ديوان التجارة وموظفيهِ . وقلَّ مَن يعلم مقدار المسائل العلمية التي تحتاج الحكومة الى حلها لان الامَّة كلها بمثابة معمل صناعي . واذا صار حكاَّمنا وقضاتنا ومديرونا ورجال التنفيذ فينا من المتعلمين المتنورين واذا بطلت الاساليب التقليدية الاختبارية وأُبدلت بالاساليب العلمية الدقيقة صرنا كفأً لمناظرة غيرنا من الامم من كل وجه ادبيًّا وماديًّا

ومن البيّن ان قوة الامة في الحرب قائمة بجيوشها وبوارجها واسلحتها واما قوتها في السلم ومناظرة غيرها من الامم فليست كذلك بل تعتمد فيها على اشياء أُخرى فاذا وطَّنت نفسها على الفوز في الحرب وجب ان تكون اقوى من خصيمتها بجيوشها وبوارجها وكذلك اذا وطَّنت نفسها على الفوز في حروب السلم وجب ان تكون اقوى من غيرها في مدارسها وادارتها العلميَّة وكل ما يزيد القوى العقلية

لقد خسرت صناعتنا وتجارتنا في المناظرة الحاضرة

ان حالة الامَّة من حيث صناعتها وتجارتها معروفة جيداً لدى وزرائنا كما هي معروفة عندكم وعندي وحسبي ان اشير الى ما جاء في خطبتين الواحدة للورد روزبري والاخرى للمستر تشمبرلين . قال لورد روزبري

" ان الحرب التي اخشاها هي الحرب التجارية التي أُثيرت علينا . وحينما التفت الى ما حولي لا يمكنني الَّا وارى انهُ ان استطعنا ان نبيَّ بشيءٍ مما يحدث في القرن العشرين الذي دخلنا فيهِ فذلك الشيء هو المناظرة التجارية الشديدة بين الامم . فقد كنا اول امَّة في هذا العصر اكتشفت ان التجارة لازمة لحياة الامم ولذلك أُطلق علينا لقب " اصحاب المخازن " . اما الآن فصارت كل امَّة تود ان تكون من اصحاب المخازن . واذا امعنا النظر في احوال البعض من هذه الامم وفي مقدار استعدادهم وما فيهِ من الدربة رأَينا انهُ يجب علينا ان لا نخاف بل ان نمنطق احقاءَنا استعداداً لما هو امامنا "

وقال المستر تشمبرلين " لا حاجة بي ان اقول شيئاً عن لزوم التربية العلمية . ولا ابالغ اذا قلت ان كيان هذه الامَّة كامَّة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤُنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجاريَّة او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعلهُ الآن في بداءَة هذا القرن "

ويشار بهذا كلهِ الى صناعتنا وتجارتنا . وقد قصَّرنا لان التجارة لم تعد تتبع الرايات بل صارت تتبع العقول واصحاب معاملنا لا يهتمون بالحصول على ذوي العقول . ان احد المعامل الالمانية

التي تصنع المواد الكيماوية استخدم في السنوات الاخيرة اربع مئة عالم من الذين نالوا رتبة دكتور في العلم من اعلى مدارس المانيا الجامعة . وفي الولايات الاميركية المتحدة يُخطَف التلامذة النابغون في المدارس الجامعة خطفاً حالما يتمون دروسهم لكي يُستخدَموا في ادارة الاعمال الكبيرة حتى شاع ان الشباب شعار النجاح في المعامل الاميركية . والحقيقة ان المعامل الاميركية لا تفتش عن الشبان بل عن المتعلمين ولما كان المتعلمون العلوم الحديثة شباناً صارت تفتش عنهم لتوليهم ادارتها . فالذي يؤهلهم لذلك ليس صغر سنهم بل اتقان تعليمهم . اما نحن في البلاد الانكليزية فنفضل دافع الرسم على المتعلم ولا نزال نجري على الاساليب الاختبارية التقليدية القديمة ونفضلها على الاساليب العلمية الحديثة وسبب ذلك في الغالب جهل رؤساء المعامل

واني اقصّر في ما يجب عليّ اذا لم اشر الى قصورنا الذي ذكرهُ لورد روزبري والمستر تشمبرلين وخافا من عواقبهِ وابيّن انهُ ليس الامر الوحيد الذي يجب الالتفات اليهِ فان الشاغل الذي يشغل بالنا ليس مقتصرًا على صنّاعنا بل هو شامل حياتنا كلها كامّة لان العلم يجب ان يُحصَّل لذاتهِ ولان حياة الامَّة سواء كانت من حيث صناعتها وتجارتها او من حيث سائر اغراضها وملابساتها تتوقف على شيوع الروح العلمية فيها

الحاجة الى مجمع يدير نظام العلم

ان الانتباه الحاضر الى حاجات الامة نتج اكثرهُ عن تحريض رجال العلم . ولكنَّ الصورة التي صوَّر بها المستر بلفور حالة التعليم عندنا في خطبتهِ التي تلاها في منشستر تدلُّ على ان كل تحريض رجال العلم منذ خمسين سنة الى الآن لم يكن كافياً . ثم اذا ثبت ما قلتهُ من ان سائر اداراتنا تحتاج الى الاصلاح كما تحتاج اليهِ ادارتنا العلمية واذا شاء رجال العلم ان يقوموا بما يجب على ابناء الوطن نحو وطنهم ويهتموا باصلاح شؤُونهِ وجب علينا ان نبحث عن سبب الاغضاء عن تحريض رجال العلم في الماضي لئلاَّ يكون ناتجاً عن الصورة التي جاء التحريض فيها

لما خطب لورد روزبري امام غرفة التجارة الخطبة التي اقتبست منها العبارة المذكورة آنفاً قال ان الجماعات التي مثل اعضاء تلك الغرفة لا تفعل ما ينتظر منها . ولكن ان كان التجار يلامون لانهم لا يستعملون كل القوة التي يخوّلهم اياها نظامهم فكيف يكون شأننا نحن رجال العلوم وليس لنا اقل انتظام

وفي رأيي ان هذا هو السبب الحقيقي الذي يضعف رجال العلم ولا يجعل لهم صوتاً تسمعهُ الامة او تبالي بهِ الحكومة . والآن ان طلب احد منّا شيئاً فانما يطلبهُ من تلقاء نفسهِ

منفرداً لان ليس للعلم عندنا صوت عام في اكثر مسائل الامَّة وليس في البلاد جماعة منتظمة تتكلم بلسان اهل العلم

وقد فكَّرت في هذا الموضوع مدة سنين كثيرة فوجدت انهُ يجب ان نصرف همنا الاول الى تنظيم جماعة من رجال العلم المهتمين بشؤُونهِ مثل الجماعات التي تهتم بسائر الاعمال. وحدست في السنوات الاخيرة بتأليف مجلس مثل مجالس التجارة او عزوة او عصبة يكون اعضاؤُها كثاراً جداً تقوم بما احسبهُ لازماً لنا اشد اللزوم. ومنذ عهد قريب اخذت اضع نظاماً لهذا المجلس او هذه العصبة فوجدت انني سُبقت الى ذلك والذي سبقني هو منشئُ مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قلت في اول خطبتي ان من اول اغراض منشئ هذا المجمع "تعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم"

ويمكن ان يُهنأ كل من انضم الى هذا المجمع من اول انشائهِ الى الآن بان المجمع قام بكل الاغراض الاخرى التي انشئ لاجلها خير قيام. ولكنني ارى ان الغرض الذي اشرت اليهِ آنفاً قد أُهمل تمام الاهمال واني اقول ذلك بناءً على ما اختبرتهُ بنفسي مدة اربعين سنة عرفت فيها احوال هذا المجمع

ويظهر من تاريخ المجمع في اول نشأتهِ ان الغرض الذي اشرت اليهِ كان لهُ شأن كبير في اذهان مؤَسسيهِ. ومهما يكن من ذلك فاني أُبين لكم كيف ان المجمع موافق للتأثير في الجمهور والجمهور يؤَثر في الحكومة اذا كانت تنقاد اليهِ وذلك اولاً ان موضوعهُ غير مقتصر على فرع واحد او فروع محدودة من العلم. ثانياً ان عدد اعضائهِ كثير جداً يشمل قادة العلم ومحبيهِ على تنوُّع فروعهِ ولذلك فاللجان التي تؤَلف منهُ تكون قوية جداً. ثالثاً انهُ يعقد اجتماعاً كل سنة في الوقت الذي يسهل فيهِ الاجتماع والبحث على الناس والنشر على الجرائد. رابعاً يسهل عليهِ ترغيب الانصار وانتشار اللجان المحلية في اماكن مختلفة هنا وفي سائر بلدان السلطنة عبر البحار لان محل الاجتماع يتغير من سنة الى اخرى وليس محصوراً في هذه الجزائر

فعندنا اذاً مجلس علمي مستعد للنظر في كل المسائل العلمية التي تهم الامة وهو آلة فعَّالة في كل المجالس واللجان المعدة للبحث في المسائل المحلية التي تزيد اهميتها يوماً فيوماً

وافاض الخطيب في وصف مجمع ترقية العلوم البريطاني وما سيكون لهُ من الشأن الكبير اذا انضمت الجمعيات العلمية اليهِ حتى بلغ اعضاؤُهُ خمس مئة الف نفس واشتغل على مدار

السنة بدلاً من ان يشتغل اسبوعاً واحداً منها ويصدأ في بقيتها لقلّة الشغل . واهتم بمصالح الامبراطورية الانكليزية علمية كانت او غير علمية . وانذر بسوء المصير اذا لم يفعل ذلك او لم ينشأ مجمع آخر يعمل هذا العمل . ويجب ان يكون اول اعمالهِ انشاء المدارس الجامعة لتخريج الطلبة في العلوم العالية واستشهد بما قالهُ المستر تشمبرلين في شهر نوفمبر الماضي وهو

" لا يستطيع كل احد ان يتعلَّم العلوم العالية ولكن من الذين يتعلمون هذه العلوم ننتظر الرجال الذين يرفعون راية هذه البلاد في مناظرتنا التجارية والعلمية والمالية مع الامم الاخرى. ولا شيءَ اهمُّ لنا الآن من سد الخلل الذي يفرق بيننا وبين مناظرينا الادنين في المانيا واميركا وكندا واستراليا حيث تنفق الحكومات على التعليم العالي اكثر مما تنفق نحن . واود ان ارى الزمن الذي لا يعطى فيهِ منصب لاحد في ادارة معمل او مصنع او بيت تجاري ما لم يُرِ الادلة الكافية على انهُ تأهَّل لذلك المنصب في مدرسة جامعة . ما هو قوام المملكة . قد تقولون ان قوامها اخلاق شعبها بنوع عام عقلهم وعزمهم وحزمهم ونحو ذلك من الاخلاق الفاضلة نعم ولكن هذا ليس كل ما تقوم بهِ الامم والممالك العظيمة ولا هو قوام عظمتها وانما قوام عظمتها رجالها العظام . هؤلاء يجب ان نعلمهم يجب ان نفتش عنهم ولو في اوطإِ الدرجات لكي يرتقوا الى اعلاها فيحفظوا كيان امتنا . ولذلك لا تستغربوا اذا قلت لكم انهُ حان للحكومة ان تزيد اهتمامها بامر التعليم العالي وتزيد انفاقاً عليهِ "

وذكر بعد ذلك كلام المستر بلفور الذي اثبت فيهِ ان المدارس الانكليزية الجامعة لا تعلّم الآن العلوم التي تقتضيها احوال الزمان وانهُ لا بدَّ من اصلاحها حتى يحفظ بها شأن الامة الانكليزية كما تحفظ بلدانها بواسطة بوارجها . وعاد الخطيب الى تبيين ما في المدارس الانكليزية الجامعة من التقصير وقال ان عندنا ١٣ مدرسة جامعة وعند اهالي الولايات المتحدة الاميركية ١٣٤ مدرسة جامعة . وعند الالمانيين ٣٢ مدرسة جامعة تنفق عليها الحكومة الالمانية وهي تنفق على مدرسة واحدة من هذه المدارس اكثر مما تنفق الحكومة الانكليزية على كل مدارسها الجامعة والكلية في انكلترا وارلندا واسكتلندا وويلس . ولم ينفق الشعب الانكليزي على مدارسهِ الكلية منذ ستين سنة الى الآن اكثر من اربعة ملايين جنيه مليونين منها على انشاء المدارس ومليونين ينفق ريعها السنوي على التعليم فيها . اما الشعب الاميركي فانفق في غضون السنوات الاخيرة على المدارس الكلية والجامعة اربعين مليون جنيه وقد انفق سبعة ملايين من الجنيهات بين سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وانفقت حكومة المانيا على بناء مدرسة ستراسبرج وحدها مليون جنيه وذلك يزيد عمَّا

انفقهُ الشعب الانكليزي على بناء المدارس في منشستر وليفربول وبرمنهام وبرستل ونيوكسل وشفيلد . وكل ما تنفقهُ الحكومة الانكليزية سنويًّا على مدارسها الكلية والجامعة يبلغ ١٥٥٦٠٠ جنيه فقط واما الحكومة الالمانية فتنفق على مدرسة برلين وحدها نحو ١٧٠٠٠٠ في السنة

وبعد ان افاض في هذا الموضوع بيَّن ان الحكومة الانكليزيَّة تنفق ١٣ مليون جنيه في السنة على التعليم الابتدائي ولكنها لا تنفق شيئًا يذكر على التعليم العالي مع انها انفقت على بوارجها ١٢٠ مليون جنيه ولا تزال تنفق الملايين الكثيرة عليها . ثم قال ان انكلترا دون اميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا في عدد مدارسها الجامعة واقتصر على مضاهاة انكلترا بالمانيا المناظرة الكبرى لها الآن في التجارة فقال انهُ يجب ان ينشأ في البلاد الانكليزية ثماني مدارس جامعة جديدة لكي تصير نسبتها فيها مثل نسبتها في المانيا وانهُ يجب على الحكومة ان تنفق على انشاء هذه المدارس ثمانية ملايين من الجنيهات وتساعد كل مدرسة منها بخمسين الف جنيه سنويًّا اي تساعدها كلها باربع مئة الف جنيه في السنة على الاقل

ثم قال ان مدرسة اكسفرد وحدها تحتاج الى ثلاثة ملايين من الجنيهات لكي تصير مثل المدارس الجامعة المناظرة لها . ولا تستكثر هذه المبالغ ولا اضعافها على الامَّة الانكليزية التي قدِّرت ثروتها منذ عامين بستة عشر الف مليون جنيه ولا عجب اذا استخدمت ملايين قليلة منها لحفظ باقيها وانمائها . والدولة التي تنفق ١٢٠ مليون جنيه على بناء بوارجها الحربيَّة لا يكثر عليها ان تنفق ثمانية ملايين جنيه على بناء ثماني مدارس جامعة . ثم ان النفقات السنوية ليست شيئًا بالنسبة الى ما تنفقهُ الدول المناظرة لانكلترا على مدارسها الجامعة فان فرنسا تنفق على مدرسة باريس الجامعة وحدها ٢٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

وعاد بعد هذا البيان الى فائدة المدارس الجامعة وما يقوم فيها من البحث العلمي واستطرد الى لزوم مجلس علمي عمومي يهتم بمصالح الامَّة كلها وتعتمد عليهِ الحكومة في حل المشاكل التي يقتضي حلُّها بحثًا علميًّا . وقال في الختام ان المصاعب التي تحول دون اتمام هذه الاغراض يسهل التغلُّب عليها كلها باليد القوية والمال الكثير

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية هذه الخطبة بالاطراء ونشرتها جريدة التيمس برمتها وانشأت عليها مقالة افتتاحية عقَّبت فيها على الخطيب لانهُ علَّق النجاح كلهُ على التربية العلمية ولم يعلق منهُ شيئًا على التربية الصحيَّة والادبية لكنها اطنبت في مدح خطبتهِ وقالت انها محكمة الادلة وان اجتماع هذا المجمع في سوثبورت سيذكّر بها مدى الايام وان الحكومة لابدَّ من ان تهتم بما جاء فيها وتفعل بعضهُ ان لم تستطع فعلهُ كلهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

بيان

انتقد "احد القراء" في العدد السابق قولي في قصيدتي التي عنوانها "مصرع ملك" عن الملكة دراجا انها كانت خادماً وانهُ نما في البلاد السربية حزب أنوف لم يشأْ ان يسوّد الخدماء فقال ان مدام دراجا لم تكن خادماً بل كانت عند ام الملك اسكندر وهي ملكة السرب كما كان اكبر الموظفين عند ابيهِ لما كان ملك السرب . وجوابي على ذلك انها كانت وصيفة من وصائف أمهِ كما ذكر ذلك المقتطف في الصفحة ٥٤١ ولا يخفى ان المراد من ذلك انها كانت في جملة الحاشية والاستخدام لفظة ينطوي تحتها هذا المعنى لانها تعمُّ كل موظف ومن خدم شخصاً فقد عمل لهُ كما في القاموس. ثم قال حضرة المنتقد ان نسب الملك اسكندر ليس ارفع من نسب الملكة دراجا وان الحزب الذي اغتالها لم ينقم عليها لان نسبها احط من نسب زوجها . والجواب عليهِ ما ورد في الصفحة ٥٣٨ من المقتطف اذ جاء فيهِ "ان الملك اسكندر اوبرينوفتش لم ينظر الى مصلحة شعبهِ في استعمال حقوقهِ الشخصية كاقترانهِ بامرأة عاقر من بيت وضيع بدلاً من ان يتزوج فتاة من بنات الملوك فتغيرت بذلك قلوب رعيتهِ"

أفلا يرى قارئ هذه الفقرة ان الحزب الذي اغتالها نقم عليها لانها ذات نسب وضيع على انني لم اجعل في قصيدتي ذلك السبب هو الوحيد الذي اوجب تلك النقمة بل شفعتهُ ببعض الاسباب الاخرى التي منها ان تلك الملكة ارادت ان يرث اخوها تاج الملك من غير حق لهُ في الارث كما يتبين ذلك في قولي

ثم قامت تريد أن تهب التاج أخاها تحكُّماً واعتداء

وان الملك استضعف شعبهُ واستبدَّ برعيتهِ فتباعدت القلوب عنهُ ونفر ذلك الحزب وغيرهُ منهُ واذلك

قال هبُّوا بنا فقد آن ان يضعف ملكٌ يظنكم ضعفاء
علموا المستبدَّ أَن الرعايا تحسب الناس والملوك سواء

ومن الجلي ان في هذين البيتين اشارة الى ان ذلك الملك نكث العهد وحنث بيمينهِ التي حلفها لشعبهِ فأوقف الدستور في شهر ابريل الماضي ريثما قضى وطرهُ ثم اعادهُ والخلاصة ان الخادم هنا بمعنى الوصيفة وان في جملة اسباب نفور الشعب من الملكة نسبها الوضيع ولم يبالِ الشعب بان جدَّ الملك اسكندر كان مقتني خنازير بل هو عرف ملكهُ ملكاً وعرف والدهُ قبلهُ فلا يريد ان يذكر الآن جدَّهُ قره جورج الذي كان من عامَّة الناس . والملك اسكندر لو عصى هواهُ واطاع شعبهُ فلم يتزوج بوصيفة امهِ لما اصابتهما تلك النكبة

القاهرة نقولا رزق الله

الحق والخلق

(زاد حضرة منصور افندي الشريف على سؤَالهِ عن الدليل الواضح على وجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق المدرج في مقتطف اغسطس الماضي ما يأتي)

وهل كل ما لهُ صورة فهو محدود وكل محدود فهو حادث وكل حادث فلا بدَّ لهُ من اصل حدث منهُ وكل حادث فهو فانٍ وكل فانٍ فانما يفنى بصورتهِ ويرجع بذاتهِ الى اصلهِ كالنبات والحيوان فان كان لاصلهِ صورة فهو فرع لاصل واصل لفرع كالتراب فهو فرع للماء قد تكوَّن من زبدهِ كما تكوَّنت الزبدة من اللبن وكالماء تكوَّن من الهباء وكلاهما اصل للنبات والحيوان كذلك الهباء فرع منبث باجزائهِ الفردية من صورة النور الاول وهي اصل لصور الارواح ومراتب الاشباح وفرع منبسط من اصل ليس لهُ في نفسهِ صورة وهو غير محدود وهو الروح الكلية وهو الوجود المطلق وهو الحياة فحياتهُ عين روحهِ وروحهُ عين ذاتهِ وهو نور فلا يخبو ولطيف فلا يتكدر وأَحد فلا يتجزأ فهو واجب الوجود لذاتهِ وقيُّوم بها وهو اصل الاصول تصدر عنهُ الحوادث بالانبساط فلا تنقص ذاتهُ وترجع اليهِ بالانقباض فلا تزيد

(ثم قال) : وقد طرحتهُ بالجرائد والمجلات العلمية لعل بصيرًا من العلماء يتفضل بالاجابة فتظهر بالدليل الصحيح والقول الرجيح وانتظرتها بضع شهور فلم تحصل واختلف الناس فيهِ فمنهم من فهمهُ جوابًا في سؤَال واكتفى بهِ بيانًا للحقيقة بالاجمال ومنهم من فهمهُ كذلك ولكنهُ طلب التفصيل تقريرًا للحق وارشادًا للخلق ومنهم من لم يفهم منهُ شيئًا فكفَّ عن الطلب وليس اختلاف الفهوم باختلاف المفهوم وانما هو بتفاوت الاستعداد

ففهم الشريعة الربانية فهم لاصلها وفرعها فاصلها العلم بوجود الاله تعالى وكيف خلق الخلق وفرعها العلم بالعبادات والمعاملات ففهم الفرع فيهِ العال والوسط والدون وكل نوع على درجات شتى لا تخرج عنهُ وفهم الاصل ليس فيهِ وسط وانما هو دائر بين تحقيق لنبي وولي وتقليد لمجتهد وطالب وخابط فاذا اوتي المقلد فهماً ذكيًّا وهدًى ربانيًّا خرج من التقليد الى التحقيق كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا يشمل الهدى الاَّ من كان ذكيًّا ولا يستقل الذكي بالبحث عن الاصل فان استقل ضل فلا يصل الى التحقيق ولا يرضى بالرجوع الى التقليد فيسمي نفسهُ متنورًا وليس هو من النور في شيءٍ بل حاد عن سبيل الرشاد (ومن يضلل الله فما لهُ من هاد)

فاذا تقرر عندك ايها السائل ما تقدم فاعلم ان الجواب التفصيلي لذلك هو الرسالة الخامسة في الحق والخلق من جملة رسائلي الاثنتي عشرة المطبوعة والمتداولة في ارشاد الافكار الى طريق الابرار فاطلبهُ من محلاتهِ وادخل فيهِ بصيرًا تغنم وتحقق بهِ تسلم

المعتمد على ربه
منصور الشريف

أفيد كتاب في التربية

للفيلسوف الكبير هربرت سبنسر الانكليزي

أُبشر قراء العربية في جميع البلاد بانني عربت هذا الكتاب النفيس الذي لم ينشر مثلهُ بين الناطقين بالضاد ويكفي للدلالة على فائدتهِ القول بانهُ مترجم الى جميع لغات المتمدنين . والكتاب مقسوم الى اربعة فصول . الفصل الاول يبحث في اي العلوم انفع للانسان . والثاني في التربية العقليَّة . والثالث في التربية الادبيَّة . والرابع في التربية الجسميَّة . وساشرع في طبعهِ حالاً لكي انشرهُ قبل نهاية سنة ١٩٠٣ وقد اذن لي بترجمتهِ ونشرهِ في مصر وسوريا مؤلفهُ كبير فلاسفة هذا العصر بحر العلوم الزاخر هربرت سبنسر واصبحت صاحب الحق الوحيد في ذلك بناءً على اتفاق خصوصي . وفقنا الله الى ما فيهِ خير الاوطان ونشر العلوم والعرفان

مصر في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٣ نجيب شقرا المحامي
صاحب مجلة الاستقلال

ردٌّ على رد

اطَّلعتُ على الرد الطويل المبوَّب الذي اتحفنا بهِ حضرة صاحب "منزلة الشعر من التاريخ" فاسفت لانني فتحت باب هذه المناظرة فادَّت الى ما كنت اودُّ الهرب منهُ لضيق الوقت وكثرة المهام

ولا يخفى ان الاشعار التي استشهد بها صاحب منزلة الشعر قيلت كلها او اكثرها في نحو قرن واحد او اقل من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع للميلاد اي بعد ان انقضى عمران بابل واشور وفينيقية ومصر وحمير واليونان وكاد ينقضي عمران الرومان. او بعد ان نشأ العمران واستفحل حول العرب شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا في كل الجهات المسكونة وكان يجب ان يرشح اليهم شيء كثير منهُ لانهم كانوا اصحاب تجارة وقوافل منذ امد بعيد. ولذلك لا ينوَّه بقدرهم الاَّ اذا وُجد عندهم كثيرٌ من مقوّمات الحضارة التي انتشر رواقها حول جزيرتهم مدة ثلاثة آلاف سنة قبل ان قام الشعراء الذين استشهد باشعارهم. فاذا بحث باحث في تاريخهم من اواسط القرن السادس الى اواسط السابع واثبت من اشعارهم انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء والتيجان والاساور والدمالج فهو بمثابة من يبحث في تاريخ العرب والشام في القرن الماضي ويثبت من اشعار سكانهما انهم كانوا يتعاملون بالنقود المضروبة ويلبسون الحرير والفراء الخ. فما يثبتهُ صحيح ولكنهُ ليس من المكتشفات التي يعنى بها كثيرًا. ولا ينكر ان الاستشهاد عليها بالشعر لا يخلو من الفائدة ولكنهُ ليس مما يستحق عندنا هذا القدر من العناية اذا اردنا تقديم الأهم على المهم. واما اذا اكتفينا من الحاجيات جاز لنا الاشتغال بهذه الكماليات

ولقد استغربت اعتراض حضرة الكاتب على قولي ان العرب لا بدَّ وان يستعملوا النقود الشائعة عند الامم المتاخمة لهم والاَّ فليسوا بشرًا والتجاءهُ الى الحدود المنطقيَّة في بحث تاريخي مدلولهُ ظاهر وهو شدَّة الاستغراب من عدم استعمال العرب للنقود. وقد عجب حضرتهُ ايضًا من قولي ان وزن النقود دليل ضعف العمران ولا غرابة فيهِ لان الامم التي رسخت في العمران قدمها بعد اكتشاف سك النقود وشيوعهِ صارت تعتني بنقودها حتى لا تعود محتاجة الى نقدها بالميزان. وقد بقي الناس يزنون المبالغ الكبيرة وزنًا بعد اتقان سك النقود ولا يزالون يزنونها وزنًا الى الآن لصعوبة عد الالوف الكثيرة منها ولكنك اذا دخلت اليوم مدينة من المدن ورأيت الناس يزنون كل جنيه يقبضونهُ استنتجت نتيجة من نتيجتين اما ان سطوة الحكومة ضعفت حتى كثرت النقود الزيوف او ان العمران لم يبلغ في تلك المدينة الحد الذي تستعمل فيهِ الآلات

الدقيقة لسك النقود فيضطر المتعاملون ان يضيعوا وقتهم في نقدها بالميزان درهماً درهماً . هذا ولقد قرأتُ فصولاً جليلة للمؤرخ المحقق جورجي افندي يني الطرابلسي ابان فيها بالدليل اللغوي القاطع ان العرب كانوا قُبيل ان جُمعت لغتهم وكُتبت لا يزالون في العصر الحجري والنحاسي وبداءة العصر الحديدي اي ان عمرانهم الذاتي كان في اوائلهِ كما كان عمران مصر قبل المسيح بالفي سنة لانهم كانوا يستعملون الظوان ويقدحون النار بضرب خشبة على اخرى ويشوون لحمهم على الرضف وكانت اكثر آنيتهم من الخشب فاشير على حضرة مناظري الاديب ان يطالع الفصول الثلاثة التي موضوعها العرب قبل التاريخ وهي مدرجة في المجلد الثالث عشر من المقتطف فيجد ان عمران العرب الذاتي لم يكن في المنزلة التي يريد ان يضعهُ فيها

باحث مستفيد

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التيفوس

يظن كثيرون ان التيفوس والتيفويد مرض واحد ولكن الامر ليس كذلك فان التيفويد مرض كثير الشيوع ولاسيما حول المدن واما التيفوس فليس كذلك . والتيفوس اقل مدةً من التيفويد ولكنهُ اكثر منها خطراً

والتيفويد تبتدئ رويداً رويداً ومدة الحضانة فيها عشرة ايام على الاقل . واما التيفوس فيبتدئ بسرعة وتؤخذ عدواهُ في يوم او يومين . ثم ان الحمَّى تدوم في التيفويد من ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر واما سير الحمَّى في التيفوس فاربعة عشر يوماً وبعدها إمَّا الشفاء واما الموت . ويظهر في التيفويد نقط قرنفليَّة اللون على البطن والصدر في اليوم السابع . واما في التيفوس فتظهر مجاميع نقط حمراء توتيَّة اللون على الاطراف والصدر في اليوم الرابع الى الثامن ولا يكون في الامعاء تقرُّح

والتيفوس والتيفويد مرضان مختلفان ولا اطيل الشرح في الكلام على التيفوس لانني لم اشاهد احداً مريضاً بهِ مدة عشر سنوات مرَّضت فيها المرضى . وعلمت من سيدي الوالد انهُ لم يرَ في حياتهِ كلها الاَّ عدداً قليلاً جدًّا من المصابين بهِ

البرداء او الحمَّى الملارية

لا حاجة بي الى وصف البرداء لانها اشهر كل الحميات واكثرها شيوعاً وكل احد يعلم الآن انها تكثر حيث تكثر المستنقعات ونوع من البعوض عُلم حديثاً انهُ ينقل سمها من المصاب الى السليم

وعلى الممرضة ان تراقب المصاب لترى هل تأتيهِ الحمَّى كل ليلة او كل ليلة ثانية او ثالثة او رابعة . واحياناً تكون الحمَّى خفيفة تطول مدتها نحو اسبوع وتشبه التيفويد ولكن سيرها ليس كسير التيفويد ولا علتها في الامعاء مثل علتهِ بل في الدم ومتى دخل السم في البدن عسر اخراجهُ منهُ حتى ان بعض الاوربيين الذين اصيبوا بالحمَّى في البلاد الافريقية الملارية لازمتهم الحمَّى سنين كثيرة بعد عودتهم الى بلادهم

واقول قبل الختام انهُ يجب على الممرضة ان لا تمنع المحموم من شرب الماء البارد مهما كان نوع الحمَّى ولا تمنع وضع الماء البارد على رأسهِ وقت اشتداد الحمَّى عليهِ

الفصل الخامس

في الروماتزم

الروماتزم او داء المفاصل يقسم عادةً الى حادّ ومزمن عضلي ومفصلي . وقد يكون وراثيًّا او مكتسباً . وهو يحدث من رطوبة الفراش والبيت والبلد

والروماتزم الحاد هو حمَّى روماتزمية فيعتري المصاب حمَّى شديدة وألم شديد وتيبُّس في كل مفاصلهِ كركبتيهِ وعقبيهِ ومرفقيهِ ورسغيهِ وتلتهب هذه المفاصل وتصير لينة تحت اللمس . فترى الرجال الاشداء اصحاب الجلد الشديد يصرخون متألمين اذا تحركوا في فرشهم اولُمِسوا . ولذلك لا بدَّ من بذل العناية في تمريضهم حتى يقل المهم على قدر الامكان . وهم في الغالب شديدو التهيُّج عسرو التدبير يصيبهم في الليل نوع من الهذيان . وكلما زاد المهم قلَّت حيلتهم وعسر على الممرضة تمريضهم

كم من مرة رأيت المصاب بهذا الداء يؤتى بهِ الى المستشفى محمولاً ووراءهُ امهُ او زوجتهُ ووجهها شاحب وهو يئنُّ متألماً فتأتيهِ ممرضتان بشوشتا الوجه فتستلمانهِ باللطف والتؤدة وترفعانهِ

الى فراشهِ وتنزعان ثيابهُ الوسخة التي تفوح منها رائحة عرقهِ الحامض . وحموضة العرق من مزايا الروماتزم . ثم تغسلانهِ وتدهنان مفاصلهُ بدهان وتلفانها بلفائف من القطن وتربطانها ربطاً غير شديد فيتغير حال المريض ويشكر الممرضتين

ويتعذَّر عليَّ ان اصف بالقلم كيف يجب على الممرضة ان تعامل المصاب بالروماتزم حتى لا يتألم من تحريكهِ ولمسهِ لان ذلك لا يُعلم الاَّ بعد الممارسة الطويلة ولكن لا بأس بايراد الارشادات التالية وهي :—

يجب ان لا تُرفَع يد المصاب بمسكها من الاعلى بل من الاسفل واذا أُريد رفع رجلهِ توضع يد تحت كعبها ويد تحت ركبتها ثم ترفع بهما . وتستريح الذراع بوضع وسادة لينة تحتها وتستريح الرجلان بوضع كيسين طويلين طول كلٍّ منهما ذراع وعرضهُ خمس اصابع يملآن رملاً ويوضعان على جانبي الساق لكي يمنعاها عن الحركة ويسنداها

ولا خوف من غسل المريض بالماء والصابون لان العرق الحامض الذي يعرقهُ كريه الرائحة يؤذيهِ ويقلقهُ . والممرضة التي اتَّبعت ارشادي وصارت تعلم كيف تغسل المصاب بالتيفويد لا يتعذَّر عليها تمريض المصاب بالروماتزم . ولا بدَّ من تدفئة المصاب بالروماتزم فتُلف مفاصلهُ بالقطن ويلبس الفلانلاَّ على بدنهِ ويغطى باحرمة من الصوف لانهُ يعرق كثيرًا والعرق لا يخفف المهُ ولا يزيل الحمَّى

وما دامت الحمى يكون طعامهُ من اللبن ومرق الفراخ او الليموناضة او ماء الشعير ومتى بلغ درجة النقه يطعم السمك والفراخ ولحم الضان شواءً ويسقى قليلاً من الخمر الحمراء ولكن لا يطعم بيضاً ولا لحم بقر

والروماتزم المزمن ينتج عن الروماتزم الحاد اذا تكرَّر حدوثهُ مرارًا فانهُ يترك المفاصل وارمة والقلب في حالة مرضيَّة . وقد قلت سابقاً ان مرض القلب ينتج تورُّماً في الساقين والقدمين مع ارتشاح فيها فيكون ذلك من مضاعفات الروماتزم المزمن لانهُ يصيب المفاصل والجسم كلهُ . ويمسي العليل قليل الحيلة غير قادر على الحركة . ولا يستطيع الطبيب ان يفعل شيئاً غير اعطائهِ الدواء الذي يقلل المهُ لان شفاءهُ يصير ضرباً من المحال فلا يبقى الاَّ الاعتناء بهِ وتدفئتهُ بالصبر

اما الروماتزم المفصلي والعضلي فغاية ما يمكن ان يقال عنهما للممرضة ان الاول في المفاصل والثاني في العضلات فاذا كان في العضلات فليس فيهِ التهاب ظاهر ولكن يكون المهُ شديداً وعميقاً ويصف الطبيب لهُ دهاناً عدا العلاجات الدوائية فيفرك بهِ براحة اليد لا بالاصابع

والحمَّام التركي ينفع في الروماتزم المزمن وهو ميسور جدًّا في هذه البلاد

ويتنقل الروماتزم كثيرًا لانهُ ينتقل من الركبة الواحدة الى الاخرى ومن الكتف الى المرفق ومن المرفق الى الكعب واذا كان في الظهر فعلى المصاب بهِ ان يقيم في فراشهِ لانهُ لا يعود يستطيع المشي

وخير الاقاليم للروماتزم الاقليم الحار الجاف فاذا استطاع الانسان المعرَّض لهُ ان يسكن في مكان حار جاف الهواء وجب ان يسكن فيهِ والاَّ فقد تتكرَّر عليهِ نوبات الروماتزم حتى يصير مزمنًا . ومما يفيد فيهِ المكمدات الحارَّة واللزق فانها تخفف الالم غالبًا ويفيد فيهِ ايضًا وضع قبضة من كربونات الصودا في ماء الحمَّام حينما يراد الاستحمام فيهِ

شكوى الامهات من تربية البنات

نقلاً عن مجلة المنار الاسلامي

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهنَّ في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهنَّ في مصر فكُتب اليهِ من بعضهنَّ الشكوى في إِثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهنَّ لا يحفلنَ بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترفهات . ولم تصادف هذه الشكوى اقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن انفسهنَّ وقد توالى الحث عليهنَّ من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءهُ رسالتان من بلدين قال انهُ لم يرد منهما شكاوى من الامهات احداها بامضاء "ابنة قبطية" والثانية بامضاء "ابنة شاكرة" وفحوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منهُ الامهات عليهنَّ وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بان التعليم لا يغني عن التربية شيئًا وان كان في نفسهِ نافعًا

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات . ويحرك سواكن همم البنات . ونظن انهُ اذا نثلت الكنائن . وبعثرت الدفائن . وفار في الجدل التنور . وحصل ما في الصدور . فانهُ لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الاَّ ان تفتخر بنت بأنها اصلحت من بيت ابيها ما كان فاسدًا . ونظمت ما كان مختلاًّ . او تفتخر ام بان بنتها كذلك . وسواء كتب هذا او بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات وعلى كون الذنب في ذلك على الآباء والامهات . فان الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بان اكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط . والسوريات لهنَّ اخلاق وراثية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت هجرتهنَّ الى مصر من زمن بعيد وتربي بناتهنَّ في مصر وتعلمن فيها

واما نساء القبط وبناتهنّ فيشاركنَ المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقنهنّ في بعضها . ومسافة الخلف في المتعلمات من الطائفتين اوسع فان القبطيات المتعلمات يمزقنَ الحجاب ويحضرن مجالس الرجال في زينتهنّ كنساء الافرنج بلا فرق فلا بد ان يكون لذلك اثر في سيرتهنّ لا يعرف في المسلمات اللواتي هنّ اكثر اهل البلاد

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد التعليم فان من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهنّ من تعلمت في مدارس الجزويت او الفرير ومنهنّ من تعلمت في مدارس البروتستانت الامريكان او غيرهم ومنهنّ من تعلمت في المدارس الاهلية الاسلامية او القبطية . ولكل نوع من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خلفاً كبيراً في الاخلاق والعادات والرغبات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير البيوت في البنات . الامة هنالك واحدة وللمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد فاذا شكا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهنّ فلك ان تعتبر شكواهنّ ميزاناً للتربية في الامة وان تقول ان ما يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهنّ فاذا رأيت الشكوى من جميع الطبقات فلك ان تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنتهُ الشكوى حتى اذا استثني بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع افراد الامم والشذوذ فيها مطَّرد

اذا سألنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هنّ قرة عين لامهاتهنّ ام لا فلا بدَّ لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين . والذي يقرب من النظر ويؤيدهُ الخبر ان تعلُّم البنات في مصر سطحي كما يقولون وانهُ عندهنّ ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلهنّ عن مساعدة امهاتهنّ على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهنّ من تعتقد انها ارفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهنّ فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهنّ مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكنّ ممتازات بمعرفة ما لا يعرفهُ سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في بدع الزينة . ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج . والاسباب الصحيحة للمسرة والابتهاج

واما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يعسر على اصحابها موافاة رغباتهنّ الجديدة التي احدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقصير البنات في مساعدتهن

على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهنَّ يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدينهُ الاَّ لمن يسهل عليهنَّ اطلاعهُ على عيوبهنَّ . ووقوفهِ على مساويهنَّ

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر بهِ الكاتبتان صاحبتا الرسالتين في المقطم بان الذنب على الوالدين لا على البنات فانهما يعلمان بناتهما الاَّ انهما لا يربيانهنَّ وحسن الحال في المعيشة وكل اعمال الحياة يتوقف على التربية اكثر من توقفهِ على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي اكثرهُ فيما لا عمل فيهِ . اذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل وبالتربية تتكوَّن الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي بهِ العلم ويظهر وجه المصلحة فيهِ فمن لا تربية لهُ لا ينفعهُ علمهُ الذي تعلمهُ في مدرسة العلم ولا علمهُ الذي تعلمهُ في مدرسة الوجود لان العلم عندهُ يكون صورًا خيالية تلوح في ذهنهِ ثم تغيب

واقول ان هذا العذر على صحتهِ لم يصب موقعهُ من تبرئة البنات المتعلمات لان القصد من تعليمهنَّ اصلاح البيوت التي افسدها جهل امهاتهنَّ فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ويزيدها اعراضًا عن العمل ويبغض اليها عادات اهلها وقومها نافعة كانت او ضارة ويحبب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان اعجز الوصول اليهما اباها وأُمها — فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل . وبلاء نازل . وان تركهُ واجب . ومقاومتهُ ضربة لازب

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلمات وسوء حال غير المتعلمات هو — كما قيل — سوء التربية العامة او ترك التربية الصحيحة النافعة . ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الاخلاق الذميمة . وفتك العادات الرديئة . اقل تأثيرًا في نفس المتعلمة منهُ في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليهِ الناس بغير ما يحكم بهِ الجاهل فيميز بين الضار والنافع والصالح والفاسد . أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو افضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أُمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف وساوتها في ضعف الارادة والخضوع لسلطان العادة . أليس من المعقول ان يتنازع ما بهِ الامتياز وما بهِ التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيهِ مبدأ دخول الاصلاح المطلوب

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد بهِ الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على اكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان اخلاق الناس في كل بلاد نعرفها أرقى من اخلاق اهل هذه البلاد كما ان عاداتهم امثل من عاداتهم . على ان التعليم هنا اكثر انتشارًا منهُ في تلك البلاد التي

نعنيها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون بهِ . واعجب من هذا ان اكثر الفساد لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتغلل في احشائها الاَّ بالمتعلمين فكأنهم لم يتعلموا لاجل العمل الاَّ شرب الخمور ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة حاشا نفرًا يعدون على الانامل هم الذين افادهم العلم وحدهم من الوف المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية — سواءٌ كانت للحكومة او للاجانب او للاهلين — لم يقصد بهِ الى اصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء اعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الاَّ ممن يغارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزهم بعزها . ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك . والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك . ومنشئو المدارس الاهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيءٌ يعرفهُ كل اهل البصيرة في مصر وربما نشرحهُ في مقالة اخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انهُ لم يقصد بهِ اصلاحهنَّ ولا اعدادهنَّ لاصلاح بيوتهنَّ فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامهُ بايديهم في مدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوَّام عليها (والمدارس الاهليَّة مقلدة لهذه المدارس تقليد أعمى أصم) وانما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم والتزيي بازياء نسائهم . واستحسان عادات قومهم وتعظيم شؤُونهم ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طعمة لهم . ومن تراهُ انتفع بتعليمهم من ذكر وانثى وصلح حالهُ فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي امام ذلك ووراءهُ

والنتيجة انهُ لا يرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح بهِ شأننا وترتقي بهِ امتنا الاَّ اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا اكثر ممَّا وفق المسلمون . فاذا نهضت بهؤُلاء الهمة الى انشاء مدرسة كلية تناط ادارتها برجال الجمعية الخيريَّة الذين اثبتوا لنا بثباتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل . والخير الآجل . والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون لهُ الاَّ بعد فوت الفرصة. ووقوع الغصة والامر لله العلي الكبير

[المقتطف] لقد احسن حضرة صاحب المنار في قولهِ ان العقل المهذب المنوَّر يقوى اخيرًا ويكون من وراء ذلك الاصلاح المطلوب ولكنهُ اخطأ على ما نعلم في قولهِ " ان العلم الذي يُعلَّم في المدارس المصرية لم يقصد بهِ الى اصلاح النفوس وارتقائها وجعل المصريين سعداء اعزاء " لان نظار المدارس ومعلميها يشغفون بالتعليم والتهذيب شغفًا حتى يتفانوا

في تعليم التلامذة وتهذيبهم كما يشغف كل عامل بعملهِ وهذا نعلمهُ بالخُبر مدة تعلمنا في المدارس الاجنبيَّة نحن ونساؤُنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصمة التي وصمهم بها جائرة جدًّا ولو اختبر اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل النظار وكل المدرّسين ولكنهُ شامل لاكثرهم . ولا شبهة عندنا ان اثر المدارس المصرية وطنيَّة كانت او اجنبيَّة حسن جدًّا وانهُ لم يظهر حتى الآن ظهورًا باهرًا لانها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولان النجاح لا يظهر جليًّا لمن يراقبهُ عن قرب ويرى تدرُّجهُ البطيءَ ولكن لو قابل حضرتهُ حال هذه البلاد العلمية والادبيَّة الآن بحالها منذ عشرين سنة لرأى بين الحالين بونًا شاسعًا ورآها الآن ارقى ممَّا كانت كثيرًا وسيزيد هذا الارتقاءُ في العشرين سنة التالية اضعاف ما زاد في العشرين سنة الماضية

نزع آثار الحامض عن الثياب

اذا اصاب حامضٌ ثوبًا فازال لونهُ او غيَّرهُ صبَّ عليهِ قليلاً من ماءِ النشادر حتى يتعدَّل فعل الحامض بهِ ثم ادهنهُ بقليل من الكلوروفورم فيعود اليهِ لونهُ الاصلي . ويصدق ذلك على كل الحوامض الاَّ الحامض النيتريك اي ماء الفضة فانهُ يتلف النسيج غالبًا وقلَّما يزول لونهُ عنهُ

واذا كان النسيج ملونًا لونًا لطيفًا جدًّا واصابهُ حامض فاجبل قليلاً من الطباشير النقي بالماء وضعهُ على مكان الحامض ثم فتّهُ عنهُ بعد ما يجف

تنظيف الالبستر

اذا اتَّسخت آنية الالبستر تنظَّف بالبنزول او بزيت التربنتينا او توضع في لبن الجير مدةً ثم تغسل بالماء النقي وتجفَّف وتمسح بالطباشير الناعم . او تغسل بالماء والصابون مع قليل من الصودا او الامونيا

صابون لنزع الدهن

امزج اوقية من الصابون اللين باوقيَّة من تراب القصار في هاون حتى يمتزجا جيدًا واصنع قرصًا من ذلك لنزع الدهن ونحوهِ عن الثياب وكيفيَّة نزعهِ ان تبلل لطخنهُ بالماء وتفرك هذا الصابون عليها حتى يلصق بها كثير منهُ وتدعها حتى تجف ثم تمسحها بالماء السخن وتنظفها بالماء حتى تنظف

او امزج ثماني اواقي من الصابون باوقية من زيت التربنتينا واوقية من مرارة الثور واصنع من ذلك قرصا لنزع آثار الدهن والزيت عن الثياب

مدارس جديدة للبنات

عزمت نظارة المعارف العمومية على فتح مدرسة عالية لتعليم البنات في بولاق هذا العام . وعزم حضرات المرسلين الاميركيين على فتح مدرسة كلية داخلية لتعليم البنات العلوم العالية وابتاعوا لها ارضاً فسيحة في ملك الكونت سكاكيني باشا تبلغ مساحتها ١٤ الف متر وانفذوا حضرة مس كايل رئيسة مدرسة البنات الاميركية في هذه العاصمة فجمعت الاموال الطائلة لبناء تلك المدرسة وينتظر ان يشرعوا في بنائها قريباً

وقد اتمّ حضرة القس ناصر عوده رئيس المدارس الانكليزية في هذه العاصمة بناء مدرسة داخلية جديدة للبنات في قصر الدوباره تسع ٢٤ سريرًا للتلميذات اللواتي يقمن فيها وتسع نحو ١٥٠ تلميذة داخلية وخارجية وهي مدرسة حسنة الموقع متقنة الهندسة لطيفة الترتيب مستوفية الشروط الصحية والتنظيمات المدرسية وقد جاءها بثلاث مدرسات انكليزيات من اللواتي درّسن السنين الطوال في بلادهن وحزن الشهادات باتقان صناعة التدريس وجاءها بمدرّسة عربية اختبرت صناعة التدريس زماناً طويلاً في بيروت وفلسطين

وفتحت حضرة رئيسة المدرسة الانكليزية في حلوان مدرسة داخلية للبنات اللواتي يشأن ان يدرسن ويأكلن وينمن فيها وعزمت على توسيعها تدريجًا

فهذه اربع مدارس عالية للبنات ثلاث منها تفتح الآن والرابعة بعد برهة من الزمان . وما دام المتسابقون قد نزلوا الى هذا الميدان فتعليم البنات سينتشر ويمتد حتى يعمّ كل طبقات الاهالي في هذا القطر

تنظيف العاج والعظم

اذا اصفرّت ادوات العاج والعظم فتنظف وتبيض بوضعها في اناء زجاجي فيهِ روح التربنتينا . توضع فيهِ على شبكة من الزنك حتى تبقى عالية عن قعرهِ نحو نصف عقدة ويوضع الاناء في الشمس ثلاثة ايام او اربعة فتنظف وتبيض

واذا كانت ادوات العاج والعظم كبيرة او تعذر وضعها في روح التربنتينا فاجبل الطباشير وادهنها بهِ بفرشاة ومتى جف عليها فاغسلها منهُ بفرشاة وكثير من الماء واتركها حتى تجف ثم امسحها بنقطتين من السبيرتو

او اذب ملعقة صغيرة من الحامض الاكساليك بستين درهماً من الماء وامسح العاج بالماء ثم بهذا المذوب ونشفهُ حالاً بخرقة امام النار

ويقصر العاج بوضعهِ مدة قصيرة في ماء فيهِ قليل من الحامض الكبريتيك او الكلور

نزع آثار الدم

اذا غرزت ابرة في اصبع الخيَّاطة عرضاً وكان في يدها شيء ابيض تخيطهُ فقد يتلطخ بالدم ويخسر من ثمنهِ ويمكن ان يزال اثر الدم عنهُ بدهنهِ بالنشا المبلول وبقاء طبقة من النشا عليهِ مدة ثم تنزع فيزول اثر الدم معها

وتزول آثار الدم ايضاً بمذوب كربونات الصودا او كربونات البوتاسا ثم بالغسل بماء الشب الابيض

نزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منهُ

تنزع آثار الانيلين والحبر المصنوع منهُ بالغسل بالسبيرتو القوي او بالغسل بمسحوق القصارة ثم بالسبيرتو

نزع آثار القلويات

اذا اصابت القلويَّات الثياب فاطخنها تزال آثارها عنها بحامض الليمون والماء لان الحامض يعدّ لها



THE PUPIL'S GRAMMAR.
By M. Obeid & M. Rakha.

يسرُّنا من ابناء هذا القطر اقبالهم على تعلُّم اللغة الانكليزية واجتهادهم في مجاراة ابنائها بتأليف الكتب العلمية فيها فقد رأينا لهم كتباً حسنة في الجغرافية وهذا كتاب حسن في قواعد اللغة. والظاهر ان اساتذتهم الانكليز يرغبونهم في تطبيق هذه الكتب على احوال البلاد فبدلاً من ان يكون كتاب الجغرافية مسهباً في الكلام على انكلترا او فرنسا وموجزاً جدًّا في الكلام على القطر المصري يؤَلفون كتاباً مسهباً في الكلام على القطر المصري . اما كتب قواعد اللغة فلا يكون فيها هذا الفرق ولكن يمكن تقريبها من اذهان الطلبة المصريين بجعل امثلتها مما الفوا سماعهُ او ما من حفظهِ فائدة لهم بنوع خاص وبتحذيرهم بنوع خاص من الخطإِ الذي يقعون فيهِ لاعتيادهم اللغة العربية واساليبها. وقد اهتمَّ مؤَلفا هذا الكتاب بالارشاد

الى ما يتعرّض لهُ الطلبة المصريون من الخطإ وجمعا ذلك في خمس عشرة قاعدة الحقاها بالكتاب فجاء وافياً بالغرض المقصود منهُ

ومن الامثلة المشار اليها آنفًا ما ترجمتهُ "بنى القاهرة جوهر القائد . تغلب المسلمون على الاسبانيين في القرن السابع . يُصنَع الصابون في كفر الزيات وينقّى السكّر في الحوامدية . قهر محمد اليهود في واقعة خيبر . بنيت مدرسة في الخرطوم تذكارًا للجنرال غوردون"

ومن امثلة ما يكثر الغلط فيهِ ذكر الضمير عائدًا الى اسم الموصول اذا كان مفعولاً بهِ كقولك This is the man whom I met. فان الغالب على ابناء العربية ان يلحقوا الفعل بالضمير العائد الى اسم الموصول ومنها ذكر ضمير الجر بعد من التفضيلة ويجب ان يكون ضمير الرفع في الانكليزية

وقد احسنا في طبع هذا الكتاب بحرف كبير واضح لان الحروف الدقيقة تتعب نظر غريب اللغة تعبًا شديدًا فنثني على همتهما ونتمنى لكتابهما الرواج التام

السودان

السودان اسم جريدة انشأناها في مدينة الخرطوم ونطنا تحريرها بالعالم الاديب والكاتب المجيد خليل افندي ثابت وقد صدر العدد الاول منها الآن حافلاً باخبار تلك البلاد وما يهمّ اهلها الوقوف عليهِ بعد ديباجة مسهبة بُسطت فيها اغراض الجريدة وسياستها. وفي هذا العدد اخبار محلية ملء صفحة ونصف صفحة وتلغرافات روتر السياسية ومراسلات من جهات السودان ومقالتان مسهبتان الواحدة عن مستقبل زراعة السودان بنوع عام والثانية عن زراعة القطن في السودان . اما المراسلات فننقل منها رسالة مكاتب السودان في كردوفان وهي عن مدينة الأُبيّض قال فيها

الأُبيّض عاصمة كردوفان ومركز حكومتها كانت قبل الفتنة محط رحال التجار ومن اسواق السودان الكبيرة فنشبت فيها العمارة وكثر فيها السكان فلما تملكها الدراويش اخربوها فلم يبقوا ولم يذروا ولم يخلفوا فيها اثرًا سوى مقصورة مرفوعة على باب كبير معقود بالطوب الاحمر والجير بناهُ احد الباشوات وانما ابقوا عليهِ لعجزهم عن دكهِ ولان احد امرائهم احب سكنى المقصورة حيث كان يصدر اوامرهُ الجائرة الى اتباعهِ قاضية بالنهب والسلب والقتل والشنق ارضاءً لشهواتهِ الخبيثة وتهويلاً على من في طاعتهِ من الاهالي والاتباع او بالحري العبيد الارقاء

وبعد ان ضرب سعادة حاكمنا العام الخليفة تلك الضربة القاضية التي اوردتهُ حتفهُ تقدم

مديرنا بطل مفكنج سعادة اللواء ماهون باشا واحتلّ هذه الديار وقد سأل السائلون عما وجده فالجواب انهُ وجد الابيّض قاعاً صفصفاً يأوي اليها الثعالب والضباع خالية من الناس وقد عفت رسومها كانها لم تكن في الوجود وبعد ان اقام هناك بضعة ايام وفد عليهِ بعض القوم وهم بحالة يرثى لها حتى لقد قيل لي ان احسنهم حالاً حينئذٍ كان عمدة مدينتنا الحالي الشيخ تقي احمد كان يملك ثوباً وحماراً اعرج فاحسن سعادة ماهون باشا ملقاهم واكرمهم وشرع يدعو البقية الباقية من اهل الابيض الى العودة اليها بعد ان لجأوا الى الجبال والوعور خوفاً من الدراويش فلبوا دعوتهُ ورجعوا الى مدينتهم بعد طول هجرهم لها فبنوا بيوتهم على خرائب المدينة القديمة وجعلت الابيض الجديدة عاصمة للمديريَّة فأقبل عليها التجار الاجانب وفي مقدمتهم الحلبيون واليونان. وخير شاهد على تقدمها البون العظيم بين حالتها الحاضرة وما كانت عليهِ يوم احتلتها الحكومة ولا اغالي اذا قلت ان عمار الابيّض وتقدمها فاقا المنتظر بسبب بعدها عن مراكز التجارة والعمران وانفرادها ويعتقد القوم هنا ان الفضل الكبير في ما تمَّ الى الآن عائد الى سعادة اللواء ماهون باشا ورجالهِ

اما سائر بنادر كردوفان كباره والنهود فلم يكن نصيبها باقل من نصيب الابيض وتراها تجري حثيثاً في سبيل التقدم والنجاح

بقي هنالك سكان السهول والاودية واهل الارياف البعيدين من مراكز التجارة والاعمال وجل هؤُلاء من الرحَّل والزنوج تتألف منهم قبائل عديدة حفظت كيانها الوفاً من السنين وكانوا في ايام التعايشي لا يدنون من المدن والقرى خوفاً من اذىً يلحقهم او بلاءٍ ينزل بهم فلما انس منهم مديرنا هذا النفور اخذ يجول في انحاء البلاد فيقضي اربعة اشهر من كل عام بين هذه القبائل منشطاً ومحرضاً ومتقرباً حتى استولى عليهم بحكمتهِ ولطفهِ فنكبوا عن القطيعة واخذوا يفدون على المدن والمراكز ويتعاملون مع سكانها وتجارها وما دامت الحال على هذا المنوال فمستقبل كردوفان مضمون ولو كان بطيئاً في اول الامر

ولكن جميع ما تقدَّم لا يمنعني من بسط امنية لدى ولاة الامور لعلهم يحلونها محل النظر فيسدوا ثلمة في بقائها ضرر كبير فان الحكومة لم تهتم الى الآن بانشاء مدرسة في الابيض لتعليم مبادئ العلوم وتربية الناشئة على المبادئ القويمة والآداب الصحيحة حتى يشب صغار هذا الجيل على غير ما شب عليهِ اسلافهم فيصبحوا اهلاً لان يقوموا بالاعمال الموكولة الى عنايتهم ولا يخفى ان المهدوية خلفت في كردوفان اثراً سيئاً لا يمحوهُ سوى التعليم والتهذيب ولا ينقرض الاَّ بانقراض الذين نقش على افئدتهم ولا قوة تستطيع احداث تغيير او تبديل

الاَّ العلم الصحيح هذا رجاؤُنا بسطناهُ لذوي الحل والعقد آملين انهُ لا يخيب"

وتصدر جريدة السودان مرتين في الاسبوع وقيمة الاشتراك فيها ستون غرشاً في السنة في مصر والسودان وثمانون غرشاً في البلاد الاجنبية . وقد اعلنت انها لا تعدُّ احداً مشتركاً ما لم يدفع قيمة الاشتراك سلفاً

ارشاد الالبا ورسالة الف با

ألَّف حضرة العالم المحقق الشيخ طاهر الجزائري كتاباً في الحروف العربية وحركاتها واوضاعها جمع فيهِ كثيراً مما قالهُ ائمة اللغة في هذه المواضيع وامثالها كقولهِ في الكلام على الشكل "كان الشكل في اول الامر بطريق النقط قال الفقيه المحدِّث يوسف البلوي في كتاب الف با قال عمرو المغري في كتاب المقنع احد تآليفهِ :

"اختلف الرواة لدينا في مَن نقط المصاحف من التابعين فروينا ان المبتدئ بذلك كان ابا الاسود الدؤلي رحمهُ الله وذلك انهُ كان اراد ان يعمل كتاباً في النحو يقوّم الناس بهِ ما فسد من كلامهم اذ كان قرشياً فقال ارى ان ابتدئ باعراب القرآن اولاً فاحضر من يمسك المصحف واحضر صبغاً يخالف لون المداد وقال للذي يمسك المصحف اذا فتحتُ شفتيَّ فاجعل نقطةً فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النطقة تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فان اتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غنَّةً فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى اتى الى آخر المصحف" . وقال صاحب الكتاب نقلاً عن ابي عمرو المذكور قال وروينا ان المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وروينا ان ابن سيرين كان عندهُ مصحف نقطهُ يحيى وان يحيى اول من نقطها وهؤُلاء الثلاثة من جلَّة تابعي البصرة

ثم قال المؤَلف ان اكثر العلماء على ان ابا الاسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات والتنوين ليس غير وان الخليل بن احمد هو الذي بدأ بالمد والتشديد والرَّوْم والاشمام وانهُ عمل الشكل الذي على الحروف واخذهُ من صورة الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة في اعلى الحرف لئلاَّ تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياءٌ تحت الحرف والفتحة الف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدّد شبه شين اخذهُ من اول شديد فاذا كان خفيفاً جعل شبه خاء اخذهُ من خفيف

وقال في الكلام على كتابة الاعداد ان لها اربع طرق "الاولى كتابتها بحروفها . . . والثانية طريقة حساب الجمَّل واكثر ما يستعمل في الاعمال الفلكية وقد التزموا تقديم الاكثر

على الاقل فيكتبون ١٣ هكذا يج بقطع حرف الجيم لئلاَّ يلتبس بالحاء و١٨ هكذا يح و١٩ هكذا يط و٥٣ هكذا نج بنقط النون لئلاَّ تلبس بالياء . وحيث انهم يحتاجون في الاغلب الى بيان الدرَج والدقائق والثواني ونحو ذلك وقد تخلو بعض المراتب من العدد اضطروا الى اختراع شكل للصفر ليضعوهُ في المرتبة الخالية وقد جعلوا صورتهُ هكذا ٥ او هكذا ٥ . الثالثة طريقة الحساب بالاشكال الهندية وهي عشرة المعروفة الآن في مشارق الارض ومغاربها ونسبت الى الهند لانها من وضعهم وهي العشرة اشكال تسعة منها للاعداد وواحد منها للصفر وهو على هيئة الدائرة وقد نظمناها فقلنا

للهند ارقام تعدُّ بها وها هي عشرة ولها مزايا باهره
الف وحاجٌ عوٌ وعين هاوصو رة محجن صفران واو دائره

"وقد اخذها العرب عنهم ومنهم انتشرت في سائر الامم غير ان المغاربة حافظوا على صورها الاصلية على قدر الامكان وتبعهم على ذلك من اخذها عنهم من اهل اوربا وتغيرت في المشرق عصرًا بعد عصر حتى صارت الى ما ترى غير انها تلائم من يميل الى السرعة

"الرابعة الطريقة الديوانية وهي كتابة اسماء الاعداد ببعض حروفها التي تشعر بها من طرف خفي"

هذا والكتاب كلهُ على هذا النسق من الابانة والتدقيق الاَّ ان صور الارقام التي ذكرها في البيتين المتقدمين غير سديدة في الاربعة والخمسة والصواب ما ذكرناهُ منذ نحو عشرين سنة في المجلد التاسع من المقتطف وهو

الف وحاء ثم حج بعدهُ عين وبعد العين عوٌ ترسم

وحبذا لو بيَّن الآراء الراجحة والمرجوحة عند ذكر الآراء المختلفة كقول السيرافي في ابجد هوز " لا شك ان اصلها اعجمي لانها كان يقع عليها تعليم الخط بالسريانية " فان هذا القول اصح من قول سيبويهِ والمبرد

اما رسالة الف با فمستخرجة من كتاب ارشاد الالبا وهي لتعليم القراءة وثمن الكتاب اربعة غروش وثمن الرسالة نصف غرش

تحقيق ناموس موسى

رسالة للاب تاودوروس اسقف حرَّان المعروف بابي قرَّة الذي كان في اواخر القرن الثامن للمسيح واوائل التاسع وقد عُني بنشرها الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص

الباسيليين عن نسخة قديمة وجدها في مكتبة دير المخلص نسخها المطران باسيليوس فينان سنة ١٧٣٥ عن نسخة قديمة تاريخها سنة ٦٥٥٩ لآدم (١٠٥١ للمسيح)

واذا صحَّ ما رجَّحهُ البعض من ان ابا قرَّة كتب بالعربية وتُرجمت كتبهُ الى السريانية فالعربية التي كانت شائعة بين المسيحيين في عصرهِ اي اوائل عصر المأمون تفوق ما آلت اليهِ بعد ذلك كما يظهر من مقابلة الآيات الكتابية التي وردت في هذه الرسالة بالنسخة العربية التي وجدت في دير طور سينا . وتكاد تفوق العربية الشائعة الآن كما يظهر من مقابلتها بالترجمتين الحديثتين كقولهِ من الاصحاح السابع عشر من سفر التثنية " ولا تحيدنَّ عن الامر الذي يوعزون بهِ اليك يميناً ولا شمالاً . والانسان الذي يتعظَّم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الهك او القاضي الذي يكون هناك في تلك الايام فليقتل ذلك الانسان وابيدوا العداة من بني اسرائيل لكي تسمع الامَّة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان "

وقد وردت هذه الآيات في الترجمة الاميركية هكذا " لا تحد عن الامر الذي يخبرونك بهِ يميناً او شمالاً والرجل الذي يعمل بطغيان ولا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك او للقاضي يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشرَّ من اسرائيل فيسمع جميع الشعوب ويخافون ولا يطغون بعدُ "

وفي الترجمة اليسوعية " ولا تحد عن الذي يفتونك بهِ يمنةً ولا يسرةً وايُّ رجل كان متجبرًا حتى لا يسمع من الكاهن الواقف هناك ليخدم الرب الهك اومن القاضي فليقتل ذلك الرجل واقلع الشرَّ من اسرائيل فيسمع جميع الشعب ويخافوا ولا يتجبَّروا ايضاً " . والبحث في هذه الرسالة دبني جدلي

....

ملكة على عرش الفراعنة

رواية تاريخيَّة ادبيَّة عربها عن الفرنسوية حضرة المنشيء المجيد نقولا افندي رزق الله وقدَّم لها مقدمة شعريَّة قال فيها

قصة تنتهي الى عهد فرعون ... وموسى وآل اسرائيلا
يوم كانت تجرُّ مصر على كل ... بلاد من الفخار ذيولا
وملوك الزمان تحسب فرعون ... الهًا بالعالمين كفيلا
قصة تكشف الغوامض عن مصر ... وتروي عن اصلها المجهولا
فهي تدني اليك عصرًا فعصرًا ... وهي تطوي اليك جيلاً فجيلا

ومدار القصة على سائح انكليزي ابتاع قبرًا مصريًّا في الصعيد فوجدهُ متضمنًا درجًا قديمًا فيهِ قصة تاريخيَّة غرامية عن فتاة مصرية احبت شابًّا اسرائيليًّا قرب زمن خروج بني اسرائيل من مصر ثم حدثت حوادث الخروج على ما هي مذكورة في التوراة. وقال المترجم في حاشية على الصفحة ١١٦ " ان الوارد عن السحرة وغيرهم في هذه الرواية منقول عن ذلك البردي (الدرج) الآنف ذكرهُ في مقدمتها ونرى بينهُ وبين ما جاء في الكتب المنزلة مطابقة اتى عليها واضع هذه الرواية قصدًا الى الاثبات التاريخي " واورد في الخاتمة ما يستفاد منهُ ان الدرج او البردي المتضمن هذه القصة شيء حقيقي . وهذا غير المراد بل القصة موضوعة من اولها الى آخرها. ولم يكشف في الآثار المصريَّة حتى الآن شيء يدلُّ دلالة صريحة على وجود بني اسرائيل في القطر المصري وخروجهم منهُ . والرواية حسنة التعريب والترصيف وثمنها ثمانية غروش صاغ وهي تطلب من حضرة مترجمها ومن كل المكاتب الكبيرة

تدبير الاطفال في الصحة والمرض

هذا كتاب كبير الفائدة يشتمل على اسهل الطرق واحدثها لتدبير الاطفال والاحداث في الصحة ومداواتهم في المرض وضعهُ حضرة الدكتور اسكندر بك جريديني وبدأهُ بتدبير صحة الحامل ثم تكلم فيهِ على نمو الاطفال وغسلهم ولبسهم وطعامهم وتربيتهم الجسدية والعقلية ونومهم وتدبيرهم في المرض وانواع الامراض التي تصيبهم مرضًا مرضًا كالقلاع وخرَّاج اللثة والتهاب اللوزتين وعسر الهضم والمغص والامساك والديدان واليرقان والزكام والتشنج والرمد والآفات الجراحية على انواعها . واوضح ذلك كلهُ بالرسوم والشروح البسيطة

وقد نشرنا فصل التربية الجسدية والعقلية في هذا الجزء للدلالة على اسلوب الكتاب. وثمن النسخة منهُ ١٢ غرشا وهو ثمن زهيد بالنسبة الى فائدة الكتاب وجرمهِ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناءً جميلاً ونتمنى لكتابهِ الرواج التام

الكتاب الرابع من مراقي الترجمة

وضع هذا الكتاب حضرات الادباء ابي زيد افندي فايد ورصيفيهِ عبد الحميد افندي الشربيني ومحمود افندي عثمان عطا الله المدرسين بالمدرسة الناصرية وهو دروس توضح ما يشكل على المترجم فهمهُ او ما لا يصل اليهِ من نفسهِ الاَّ بعد طول الدرس كورود فعل الكون بالجمع للماضي المتكلم في الجملة الشرطيَّة وانصراف معنى فعل الملك الى اللزوم . وفيهِ مسائل الترجمة الواردة بين مسائل الشهادة الابتدائية من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣

كتاب الالفاظ المترادفة

للامام ابي الحسن علي بن عيسى الرُمَّاني النحوي المتوفى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة وقد اعتنى بشرحهِ وطبعهِ حضرة الاديب محمد افندي محمود الرافعي بعد ان صححهُ وضبط الفاظهُ على الاستاذ الشهير الشيخ محمد محمود الشنقيطي . وفيهِ ١٤٢ فصلاً من المترادفات وقد ذكرت مفردات كل فصل من غير ترتيب في الدرجات كما رتبت في فقه اللغة ولكن ذُكر منها اكثر ممَّا ذُكر فيهِ فمترادفات الغنى في فقه اللغة هكذا "الكفاف ثم الغنى ثم الاحراف ثم الثروة ثم الاكثار ثم الاتراب ثم القنطرة" وفي هذا الكتاب "الغنى والسعة والجدة والثروة والميسرة واليسار والزيد والرياش والجدا والاتراب والوفر" فترك الثعالبي السعة والجدة والميسرة واليسار والزيد والرياش والجدا والوفر . وترك الرماني الاحراف والاكثار والقنطرة . فما جمعهُ الرماني اوفى بحاجة الكاتب لكن الثعالبي تناول فصولاً كثيرة لم يتناولها الرماني. ثم ان الثعالبي عاصر الرماني اوكان في اواخر ايامهِ ويبعد عن الظن ان لا يكون قد رأى كتابهُ فاغفالهُ ذكرهُ غريب في بابهِ



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ظهور الانبياء

اسيوط . جورجي افندي خير . لماذا ظهر الانبياء كلهم في بقاع من الارض متجاورة وفي ازمنة متقاربة ولم يظهروا في بقاع متباعدة كشمالي اوربا واوسط اسيا وجنوبي اميركا

ج ان اصحاب الاديان غير اليهودية والمسيحية والاسلامية يقولون بظهور انبياء لاديانهم المختلفة في بلدانهم المختلفة فعند الهنود والصينيين والاميركيين واسلاف الاوربيين انبياء كثيرون . وما من ديانة الَّا اعتقد اصحابها النبوَّة في بعض دعاتها او معلميها . ولا يزال اصحاب اكثر الاديان يعتقدون ظهور الانبياء الذين ينبئون بالمستقبلات حتى الآن

(٢) العجائب

ومنهُ . لماذا قام اكثر الانبياء بعمل العجائب الخارقة لنواميس الطبيعة . هل كان الوسط الذي قاموا فيهِ بالغاً الدرجة القصوى من الارتقاء ولما لا تصنع العجائب والمعجزات في وقتنا الحاضر

ج لقد عملوا العجائب اثباتاً لصحة دعواهم . اما كون العجائب خارقة لنواميس الطبيعة فمشكوك فيهِ والمرجح حتى عند القائلين بصحتها انها لم تخرق نواميس الطبيعة بل جرت على نواميس غير معروفة فظهر كأنها خرقت النواميس الطبيعية ويدَّعي البعض ان العجائب لا تزال تُصنَع الآن كما كانت تُصنَع قبلاً

(٣) قياس الابعاد عند العرب

ومنهُ . كان العرب قديماً يقيسون المسافات بالايام كما جاء ذلك في حدة نظر زرقاء اليامة من انها كانت تبصر على مسافة ثلاثة ايام فهل لم يكن عندهم وحدة للمقاييس الطويلة يعتمدون عليها

ج كلاَّ بل كانوا يقيسون بالمرحلة او سير اليوم . ثم لما اختلطوا بالروم والفرس اخذوا عنهم الميل والبريد والفرسخ

(٤) البحث العلمي

ومنهُ . كثر بيننا عدد المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحداً منهم قام بامتحان القضايا العلمية وانتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علماً وعملاً فهل ذلك يعزى لنقص في التعليم او اهمال من المتخرجين

ج يعزى الى الاثنين والى ان الاساتذة انفسهم ليسوا من اهل الاشتغال بالعلم ولو كانوا من اهل الاشتغال بهِ لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في اوربا واميركا وفي بلاد اليابان ايضاً

---

(٥) ابعاد النوم

مصر . ص . ج هل من طريقة تبعد النوم الى حين ولا يكون فيها اجهاد للطبيعة لانهُ كثيرًا ما يكون المرء في حاجة الى العمل الفكري اثناء الليل فيهاجمهُ النوم على غير قصد اما لحلول ساعة النوم المعتادة او لتأثير الهضم بعد الاكل فهل من طريقة تبعد النوم وتنبه المخ في مثل هذه الاحوال ولا تورث التعب بعد استعمالها خصوصاً اذا لم تتكرَّر الاَّ قليلاً بضع ليالٍ متفرقة او متوالية

ج كُنَّا في زمن الدرس نعتمد على غسل الوجه بالماء البارد او غسل الوجه وسكب قليل من الماء البارد على الرأس فنتمكن من السهر ساعات متوالية بعد ان يحين زمن النوم ويشتد النعاس . وهذه الواسطة سهلة جدًّا ولا ضرر منها ولكن لا يحسن الافراط في السهر لان جودة العمل تستدعي ان يستريح الدماغ بالنوم لتجديد قواهُ كما ترون في مقالة مخصوصة نشرت في هذا الجزء

(٦) هواء راس البر

ومنهُ . ما هو رأيكم في راس البر وما هو سبب ما يجدهُ الانسان من الانتفاع بالاقامة فيهِ

ج لا شبهة في الفائدة من الاقامة حيث تتحرك الامواج وتتنفس كما عُلم بالاستقراء اما السبب الطبيعي لذلك فهو انهُ يتولد من حركة الامواج وازبادها كثير من الاوزون وهو العنصر المطهر في الهواء وهو كثير في هواء الجبال النقي وقليل جدًّا في هواء المدن الفاسد . وزد على ذلك ان الخصاص التي يقيم فيها المصطافون في راس البر يتجدَّد هواؤُها دوامًا فكأنهم مقيمون في الخلاء من غير ان يتعرَّضوا لعصف الرياح وحرارة الشمس . وان المدة التي يقيمونها هناك يتركون فيها العمل ويتفرغون للراحة والاستجمام وكل ذلك مفيد للصحة ولاسيما بعد عناء الاشغال

(٧) رطوبة راس البر

ومنهُ . بلغني من بعض الذين قضوا الصيف في رأس البر ان الاقامة هناك مضرَّة بالصحة لكثرة الرطوبة فان المياه تغطي تلك الرمال اكثر شهور السنة واذا انكشفت عنها بقيت تحت وجه الارض على عمق قليل جدًّا فهل ذلك صحيح

ج ان الاماكن الرطبة تضرُّ المعرضين للروماتزم ولكنها لا تضرُّ غيرهم والاَّ لوجب ان يُضر كل المسافرين بحرًا وكل الذين في السفن الحربيَّة والتجارية والغالب ان تكون صحتهم اجود من صحة غيرهم

(٨) الناس والرؤُوس الطيارة

مصر . عطا الله افندي فهمي . أُوجدت اناس ذوو رؤُوس طيارة وان كان ذلك صحيحًا ففي اي زمن وجدوا واين كان مقرهم

ج كلاَّ بل كل الناس الذين وجدوا على وجه البسيطة من اقدم عهدهم الى هذا العهد هم مثل الناس الذين فيها الآن واقدمهم مثل المتوحشين منهم او احط قليلاً . واذا صحَّ مذهب النشوء فالانسان ارتقى من حيوان مشابه لهُ وهذا ارتقى من حيوان آخر قريب منهُ في الشبه وهلمَّ جرًّا . ولكن متى بعد الحيوان عن الشكل الذي نسميهِ انسانًا لا يعود انسانًا . وليس في الحلقات التي مرَّ عليها نوع الانسان حلقة كان فيها الراس طيَّارًا

(٩) الطب الروحاني

مصر . مصطفى افندي راشد . طالعت اعلانًا تحت عنوان الطب الروحاني لاحد المشتغلين بهِ يذكر فيهِ انهُ يعالج بهِ الامراض العصبية بدون مداواة فالمرجو ان تشرحوا لنا كيفية تأثير هذه الطريقة في شفاء الامراض

ج لا شبهة في ان الوهم يؤَثر في الاعصاب وقد ظهر بالاستقراء ان البعض

يشعرون احياناً بمرض ولا يكون للمرض حقيقة فيهم بل يكون شعورهم بهِ من قبيل الوهم كما يتوهم البعض انهم مصابون بخفقان في قلوبهم وقلوبهم سليمة او ان ارجلهم كسيحة ولا يستطيعون المشي وهي قوية مثل ارجل غيرهم فهؤُلاء يمكن نزع وهمهم بوهم آخر او بحيلة من الحيل. ومن المحتمل ان يكون المرض العصبي حقيقياً ناتجاً عن خلل في وظيفة بعض الاعصاب فتفعل الوسائط الادبية بهِ حتى تعيدهُ الى وظيفتهِ وعلى هذين الاسلوبين يكون نجاح المدعين شفاء الامراض العصبية بالوسائط الادبية

(١٠) رافعة هوائية

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح . قد انتهى الينا ما ذاع عن ظهور آلة هوائيَّة تقوم مقام الآلة البخارية في رفع الماء من عمق عشرة امتار لري المزارع فهل وقفتم على شيء من امر هذه الآلة وقوتها وطريقة استخدامها وما تستلزم من العمال

ج وقفنا على شرح آلة من هذا القبيل استنبطها احد نزلاء هذا القطر وهي مثل بعض الآلات التي كانت تستعمل في اوربا قبل الآلة البخارية . والآلة البخارية اصلح منها من كل وجه لكنها لا ترفع الماء عشرة امتار الَّا اذا كانت رافعة ودافعة في وقت واحد فيفرغ الماء منها على ارتفاع ثمانية امتار الى تسعة امتار ثم يرفع متراً او مترين اما بدفعهِ او بصبهِ في بئر يرتفع فيها الى العلو المراد



علاج السل

يعلم قرَّاء المقتطف ان الدكتور بهرنج الالماني اكتشف المصل الذي تعالج بهِ الدفثيريا كما اكتشفهُ الاستاذ رو الفرنسوي . وقد كُتب الى جريدة التيمس من برلين ان الاستاذ بهرنج يشتغل الآن باكتشاف مصل او علاج من نوع المصل لمرض السل وقد قدَّم مقالة في هذا الموضوع الى المؤتمر الطبي في كاسل وعندهُ ان هذا المصل يقي الاجسام من السل كما يقيها طعم الجدري من الجدري. ولم يتحقق كل ما يظنهُ من هذا القبيل حتى الآن ولكنهُ تحقق اموراً كثيرة ترجح لهُ النجاح اخيراً وهو عازم ان لا يبيع شيئاً من مصلهِ لاحد الَّا بعد ان تثبت فائدتهُ ثبوتاً قاطعاً

وكُتب الى جريدة المورننج بوست من باريس ان الدكتور مرمورك اكتشف مصلاً يشفي من السل وعزم ان يطلع اكادمية الطب عليهِ ويقال ان هذا المصل جُرِّب في مستشفيات باريس فشفي كل الذين عولجوا بهِ

ولا يبعد ان تثبت فائدة هذين الاكتشافين كما ثبتت فائدة مصل الدفثيريا وتكون مناظرة علماء المانيا وفرنسا خير مناظرة في سبيل العلم والنفع

مؤتمر الصحيين والبعوض

اجمع اعضاء مؤتمر الصحيين الذي عقد حديثًا في مدينة بركسل على الامور الآتية وهي

(١) على موظفي الحكومة التي بلادها ملارية ان يثبتوا انهم يعرفون علاقة البعوض بالملاريا معرفة تامة وان يعرفوا كيف يتقون البعوض

(٢) على المدارس التي في تلك البلاد سواء كانت للحكومة او للمرسلين ان تعلم تلامذتها علاقة البعوض بالملاريا وكيفية اتقائهِ

فهذا حكم حكم بهِ اكبر مؤتمر صحي والحقيقة التي بنى حكمهُ عليها عرفها طبيب سوري في بلاد سورية منذ عشرين سنة واذاعها على صفحات المقتطف حيث قال "شاهدت امتداد الحمى الملارية في راشيا مرتين في خريف سنة ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلمت ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من المستنقعات البعوض فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمى الملارية ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء وهذا الامر لا ينكرهُ احد في قضاء راشيا فمن اراد ان يقي نفسهُ من هذا الداء فليصنع لسريرهِ كلة تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات" (انظر الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن من المقتطف)

مجمع التعليم وقوة المخيلة

التأم مجمع التعليم في اميركا برئاسة الاستاذ اليوت رئيس مدرسة هارفرد الجامعة الذي زار هذا القطر منذ بضع سنوات فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها تعريف جديد للانسان المتعلم بيَّن فيهِ ان ابناء القرن العشرين سيجعلون المقام الاول للذين تستنبط عقولهم الاعمال العظيمة كالآلات الكهربائيَّة التي تدير الوفًا من العجلات وتنير الوفًا من المصابيح وترسل بها افكار الناس الوفًا من الاميال ولا موصل لها سوى امواج الاثير وان القرن الماضي يدل على ان الناس ذوي المخيلة المركَّبة اي الذين عقولهم تتناول المعارف الجزئية وتركب منها قضايا كلية او تستنبط منها امورًا كبيرة هم الذين اشتهروا فيهِ وافادوا وان مخيلة رجل مثل دارون وباستور لا تقلُّ توليدًا عن مخيلة رجل مثل دانتي او غيتي او شكسبير

زراعة القطن في السودان

جاء في جريدة السودان ان بعضهم جرَّب زرع القطن في كرري انتقى فداناً واعده للزراعة وقسمهُ ثلاث قطع متساوية وزرع القطعة الواحدة منها في اواخر يوليو اي في الوقت الذي يزرع فيهِ القطن في السودان وزرع القطعة الثانية في سبتمبر والثالثة في مارس وتعهَّد القطع الثلاث بالخدمة اللازمة فكانت النتيجة كما يأتي

محصول ثلث فدان ارطالاً	تاريخ زرع القطعة	تاريخ النضج
٣٠٥	٢٥ يوليو	فبراير
٣٧٠	١ سبتمبر	ابريل
٦٥٣	١ مارس	سبتمبر

فيظهر من ذلك ان المزروع في اواخر يوليو كان محصولهُ رديئاً جدًّا وذلك لان زمان نضجهِ وافق فصل البرد وان ما زرع في سبتمبر كان اجود منهُ وان الذي زرع في اول مارس كان حسناً جدًّا اذ بلغ متوسط محصول الفدان منهُ ستة قناطير وكانت تيلتهُ جيدة جدًّا كما ثبت في معرض الخرطوم حيث عرض منهُ مقدار اقة وشجرتان حفظها لهذه الغاية فنال المعروض منهُ الجائزة الاولى ومجال التحسين في زراعة القطن متسع جدًّا

كراسي الكهربائية

يتذكر الذين زاروا معرض باريس سنة ١٩٠٠ مقدار التعب الذي عانوهُ من المشي فيهِ ساعات متوالية كل يوم . وقد اهتمَّ الاميركيون بما يزيل ذلك من معرضهم فصنعوا كراسي تسير بالكهربائية من نفسها سيرًا بطيئاً كمشي الماشي اي نحو ثلاثة اميال في الساعة ولا تزيد سرعتها على ذلك فيجلس المرءُ فيها فتسير بهِ من نفسها كيفما وجهها وتبقى سرعتها واحدة سواءٌ كانت الارض منبسطة او مائلة الى الاعلى او الى الاسفل

البعوض والاثمار الحامضة

عُلم منذ مدة ان الحمَّى الملارية لا تتفشَّى في بعض الاماكن ولو كان فيها البعوض الذي ينقل عدوى الملاريا وكان فيها انسان مصاب بها . ثم اتَّضح بعد البحث ان بعوض الملاريا لا ينقل عدواها ما دام يأْكل اثمارًا حامضة فاذا كان في مكان اثمار حامضة الطعم لم تعد جراثيم الملاريا تعيش في بدن بعوضهِ

هبات اميركية

وعد المستر مرشال فيلد بخمسة ملايين ريال لانشاء متحف في شيكاغو . وجمعت لجنة المدرسة الطبية من مدرسة شيكاغو الجامعة مئة الف ريال فاستحقت تلك المدرسة الهبة التي وعدها بها جون ركفلر ومقدارها ستة ملايين ريال

عنصر الراديوم

لا يزال الراديوم شغلاً شاغلاً للعلماء فلا تكاد تخلو مجلة من مجلاتهم من بحث جديد فيهِ او تلخيص بحث قديم . وبالامس قدَّم السر وليم هجنس وزوجتهُ مقالة الى الجمعيَّة الملكيَّة الانكليزية ضمناها خلاصة بحثهما فيهِ فقالا ما محصلهُ

ان عنصر الراديوم الذي اكتشفهُ الاستاذ كوري وزوجتهُ ظهرت فيهِ خواص جديدة غريبة جدًّا وبان منهُ حتى الآن ما يدلُّ على انهُ سيرشدنا الى معرفة حقيقة المادَّة . ويظهر منهُ انهُ يولّد قوة على اشكال مختلفة وذلك من تلقاء نفسهِ ومن غير انقطاع وتصدر منهُ ثلاثة انواع على الاقل من الاشعة الواحد مؤلف من دقائق ثقيلة كل دقيقة منها اكبر من جوهر الهيدروجين وهي تتحرك بسرعة وفيها كهربائيَّة ايجابيَّة والثاني دقائق مكهربة سلبًا قوية النفوذ جدًّا وتظهر قوة نفوذها للاجسام غير الشفافة من الحادثة التالية وهي ان السر وليم وضع جزءًا من مئة جزءٍ من الغرام من بروميد الراديوم في الدرج الاعلى من مكتبهِ وكان في الدرج الاسفل منهُ الواح صور فوتوغرافية وبعد اسبوعين فتح هذا الدرج فوجد الواح التصوير فيهِ مغشَّاة كلها كانها عُرضت لنور الشمس (وما ذلك الاَّ لان اشعة الراديوم خرقت الواح الخشب ودخلت اليها وفعلت بها) . والثالث دقائق تنتشر من الراديوم كانها غاز . وزد على ذلك ان المسيو كوري وزوجتهُ وجدا ان حرارة الراديوم تبقى دائمًا اعلى من حرارة ما يجاورهُ درجة ونصف درجة بميزان سنتغراد فهو يشع اشعة حرارة ايضًا . والنور الصادر منهُ في الظلام يدلُّ على انهُ يشعُّ نوعًا خامسًا من الاشعة تنير على درجة الحرارة العادية . وهذا النور ليس من قبيل نور الحباحب ونور الفصفور على الراجح بل هو مسبَّب عن اختلال التوازن في جواهر الراديوم فينتج عن هذا الاختلال تهيج شديد في جواهرهِ فيندفع بعضها منهُ بعنف شديد وحالما يندفع يظهر بعض القوَّة الكامنة فيهِ في صورة حركة والدقائق المتحركة كذلك تظهر منيرة كما يظهر بخار الراديوم اذا وضع في لهب قنديل مشتعل او في متفرّغ مجرّي كهربائي

ووقفنا بعد ذلك على مقالة مسهبة في جريدة الدايلي ما يل الانكليزية ابان فيها كاتبها ان الراديوم افاد في علاج الذئب الاكّال والنفراجيا وجعل بعض العميان يبصرون ما امامهم وظهر ان لها فعلاً شديدًا بالميكروبات وصغار الحيوانات وانهُ أُلّفت شركة في المانيا لاستخراجهِ ولا يزال ثمنهُ غاليًا جدًّا حتى الآن فان الدرهم منهُ يساوي ١٢٥٠٠ جنيه . وبلغنا بعد كتابة ما تقدَّم ان الدكتور حبيب خياط جلب شيئًا منهُ لاستعمالهِ هنا

ثوران يزوف

زاد ثوران يزوف شدَّة وقذف في الثاني والعشرين من اغسطس الماضي مواد بركانية علت نحو ٦٠٠ قدم في الجو

الكنزيت

اكتشف الدكتور كُنز حجرًا كريمًا بنفسجي اللون وجدهُ في كاليفورنيا اذا وقعت عليهِ اشعة رنتجن اضاء بها ويبقى الضوء فيهِ اذا وضع في الظلام مدة طويلة وقد سمي هذا الحجر باسم الكنزيت نسبة الى مكتشفهِ

مرشد رجال المطافئ

استنبط المسيو اميل غواديني آلة صغيرة تنبئُ رجال المطافئ عن المكان الذي اشتعلت فيهِ نار فان في هذه الآلة ثرمومترًا ترفع حرارة النار زيبقهُ فيقطع اتصال آلة كهربائيَّة فتدور عجلة صغيرة متصلة بهِ وبالدار التي فيها رجال المطافئ بسلك كهربائي ومتى دارت العجلة اشارت اشارات تلغرافية باسم البيت الذي فيهِ تلك الآلة فيهرع رجال المطافئ اليهِ

الدكتور الكسندر باين

توفي الدكتور الكسندر باين استاذ المنطق في مدرسة ابردين الجامعة وكان من اكبر علماء هذا الفن ولهُ فيهِ وفي سائر العلوم العقلية كتابات نفيسة

العرافة الحديثة

كتب السر اوليفر لدج رئيس جمعية المباحث النفسيَّة الى المستر ستد صاحب مجلَّة المجلات الانكليزية كتابًا مفتوحًا دفع بهِ لومةً للجمعيَّة وحجَّهُ على الاسلوب الذي حججناهُ نحن بهِ في المقتطف فقال اذا قيل ان انسانًا سرق بيت غيرهِ او وقف على رأسهِ او فعل فعلاً آخر من هذا القبيل فقد يكفي لاثبات ذلك شهادة شاهدين من الذين رأوهُ ولكن اذا قيل ان انسانًا طار في الهواء او استخرج النقود من خزانة حديدية والخزانة مقفلة وجب لاثبات ذلك شهادات أُخرى غير عادية وهذا هو الواجب في امر الانباء بالمستقبلات . ويجب ان تكتب الشهادة بالتفصيل قبل حدوث الحادثة لانها ان كتبت بعدها فلا بد من وقوع التغيير فيها وكذلك يجب ان يكتب كل ما انبأ بهِ المنبئُ ليعلم كم يقع منهُ وكم لا يقع

وبعد ان اسهب على هذا الاسلوب لخَّص كتابةُ بهذه الامور الثلاثة وهي اولاً ان انباء العرَّافة لم يكن صريحًا لانهُ لم يؤَثر في الذين سمعوهُ تأثيرًا قويًّا ولان بعضهم نسوهُ . وثانيًا انهُ يمكن تعليلهُ بتأثير ما في افكار بعض الحضور بالعرَّافة فاستنتجت منهُ بعض النتائج وصرَّحت بها وهي نائمة . وثالثًا ان ما انبأَت بهِ لا ينطبق على ما حدث انطباقًا ينفي الاتفاق

فردَّ المستر ستد على الامر الاول ان انباء العرَّافة اثَّر في السامعين تأثيرًا شديدًا حتى جعل وزير السرب يكتب يحذّر مولاهُ وعلى الامر الثاني انهُ لم يطلب من الجمعية تعليل ما حدث ولا كان لومهُ لها لانها لم تبحث عن تعليلهِ . وعلى الامر الثالث ان الانباء والحادثة يتفقان في الامور الجوهرية ومع ذلك فهذا لم يكن الامر الذي طلب من الجمعية البحث فيهِ . وقال في الختام انهُ يلوم الجمعية لانها لا تحسب ان الشهادة تستحق ان يُبحَث فيها ما لم ترَ انهُ لا يمكن نقضها ويلومها ايضًا لانها تحسب انهُ ما من حادثة نفسيَّة تستحق البحث الاَّ اذا ايَّدت نظرية من النظريات المعروفة

ضرر الماء النقي

لا يخفى ان الماء النقي المستقطر تافه الطعم لا يستطيبهُ مَن يشربهُ وكذلك ماء المطر وماء الثلج الذائب وكان المظنون ان الناس يكرهون هذه المياه كراهة لان ليس لها طعم خاص اما الآن فثبت انها تضرُّ شاربيها ضررًا اكيدًا وسبب ذلك انهُ اذا اتصل سائل بحويصلات الجسم فان كانت فيهِ املاح ذائبة كما في السائل الذي في الحويصلات حدث بين السائلين شيءٌ من التبادل بالدخول والخروج ولكن اذا كان الماء نقيًّا لا شيءَ فيهِ من الاملاح صار التبادل بينهُ وبين السائل الذي في الحويصلات من جهة واحدة فقط فتنشق جدران الحويصلات من ذلك ويصير الماء النقي سمًّا زعافًا لشاربيهِ

اللبن الجامد

كان في معرض الالبان الذي أُقيم في مدينة همبرج حديثًا ادوات مختلفة من الامشاط ومقابض السكاكين تظنها عظمًا وهي لبن جامد وموائد تظنها رخامًا وهي لبن جامد فان اللبن المخيض الذي نزع سمنهُ وبقيت المادَّة الجبنيَّة فيهِ يمزج بشيءٍ من ماء الصابون والاملاح المعدنية فتتكون منهُ مادة صلبة كالعاج او كالرخام او هي مثل السلولويد ولكنها لا تشتعل مثلهُ

فتك الضواري والافاعي

قلَّ فتك الضواري في بلاد الهند في العام الماضي عما كان في العام الذي قبلهُ وزاد فتك الافاعي فبلغ عدد من فتكت بهم الضواري ٢٨٣٦ نفسًا وكان عددهم ٣٦٥١ سنة ١٩٠١ وبلغ عدد الذين لسعتهم الافاعي فاوردتهم حتفهم ٢٣١٦٦ وكانوا في العام الذي قبلهُ ٢٢٨١٠

مصابيح كالحروف

صُنعت مصابيح كهربائية في اشكال حروف الهجاء الافرنجية واسلاكها ممتدة فيها ترصف بعضها بجانب بعض فتتركب منها كلمات منيرة . وهي من الاساليب البديعة لاظهار اسماء المخازن والاماكن العمومية منيرة في الظلام

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين

وكان انوبس رئيس الكهنة قد خاف من ان تقع الكاس في يد الرومان ان هم استولوا على القطر المصري فيستخدمونها في مضرّة المصريين وعزم ان يلاشيها حاسبًا ان ملاشاتهُ لها تنطبق على غرض الملك نكتانيبوس صانعها لانهُ صنعها لفائدة المصريين دون غيرهم فامر ان يوقد الكور ووضع الكاس فيهِ فصهرت امام عيني كليوباطرة . ثم قال لها ان هذه الكاس من اثمن كنوز مصر وعرش مصر اثمن منها بما لا يقدّر وانا اعرف رجلاً سيكون السبب في ثل هذا العرش وحرمان مولاتي الملكة واولادها منهُ ولكن المرأة تضحي كل شيءٍ لاجل من تحبهُ .

ولم تدرك كلو باطرة معنى انوبس حينئذٍ ولكنها ادركتهُ في اليوم التالي حينما جاءها تماجنس رسول اكتاڤيانوس واخبرها بما اشترطهُ مولاهُ من شروط الصلح. وقد قابلتهُ بالاكرام كما يليق بمن كان استاذًا لها واصغت الى كلامهِ وابانت لهُ انها لم تزل على ذكاء عقلها ثم صرفتهُ بالهدايا النفيسة بعد ان اطلعها على كل شيءٍ

ولما انفردت بنفسها وراجعت كلامهُ خفق فؤادها وارتعدت فرائصها وتناوشتها الهموم والاشجان وكانت قد استدعت اعضاء مجلس المملكة للاجتماع فاجّلت اجتماعهم الى الغد وعزمت ان تسير في البحر متنزهة عساها تجد شيئًا من السلوى

وكان انطونيوس قد ابى مقابلتها فغاظها ذلك وافتكرت بالكاس وندمت لانها اتلفتها وكانت الكاس من تحف ايسس فافتكرت بتلك المعبودة وتذكرت السلوى التي كانت تجدها في هيكلها حينما كانت ترفع نفسها من حطام الدنيا الى مساكن الالهة فلبست ثوبًا سادجًا ونقابًا يحجب وجهها واخذت معها ايراس وسارت الى الهيكل فوجدتهُ مزدحمًا بالعبّاد وهمت بالرجوع واذا هي بجورجياس وبيدهِ رسوم كثيرة فنادتهُ اليها وكلمتهُ على انفراد فاخبرها عن تخريب الغوغاء بيت دديموس الفيلسوف وان دديموس يود الآن ان يبيعها بستانهُ اذا بقي مشمولاً بنظرها . فطلبت منهُ ان يريها الرسم الذي رسمهُ لوصل المتحف بالهيكل فاراها اياهُ فاستحسنتهُ وامرتهُ ان يشرع في العمل حالاً ويتمهُ باسرع ما يمكن ثم مشت معهُ الى بستان دديموس ورأت المكان الذي اشار ببناء المدفن فيهِ وما يجب ان يهدم من الابنية لوصل الهيكل بالقصر وبناء المدفن . رأت ذلك كلهُ مليًّا واطرقت الى الارض ثم رفعت عينيها وقالت لهُ احسنتَ اشرع في العمل حالاً ولتكن الحجارة والاعمدة من انخر ما يكون . ثم ودّعتهُ وعادت الى القصر فقبّل هدب ثوبها وهو يحسب انهُ نال السعادة كلها

وكانت لابسة ثوبًا اسود وواضعة نقابًا على وجهها حتى لا تعرَف ولكن ملامحها كانت تبين من تحت نقابها فتدلُّ على جمال فتّان وكلما اشارت بيديها نظر جورجياس اليهما واعجب بانتظام

شكلهما حتى انهُ على مهارتهِ في النقش لا يستطيع ان يصنع تماثيلهُ اجمل من ذلك . وكان قد رأى هيلانة في الصباح وحاول ان يقابلها بكليوباطرة ثم سمعها تكلمهُ فطفح قلبهُ سروراً بها ولكن حالت صورة كليوباطرة بينها وبينهُ على اسلوب لا يدركهُ فقال في نفسهِ حرام عليَّ ان اعلق قلب هذه الفتاة بي وقلبي يميل الى غيرها

وشعرت كليوباطرة ان جورجياس يعجب بها فسرَّها ذلك وعلمت انهُ يفعل ما تأمرهُ بهِ عن طيب نفس ويبذل كل ما في وسعهِ لمرضاتها . وقد امرتهُ ان يجعل اسفل المدفن وسيعاً لان انطونيوس صرَّح مراراً انهُ يود ان يدفن الى جانبها اينما مات وظهر لها ان شمسهُ قاربت المغيب فلا يعيش بعدها طويلاً . وعادت الى تذكُّر الكاس ولامت نفسها على تسرُّعها في اتلافها وذكَّرتها شارميان في الصباح ان عيد مولد التوأمين يقع في ذلك اليوم ولا بدَّ لها من الاحتفال بهِ وعزمت ان تخبرها عن هرب بارين وانها هي سعت في تهريبها ولكن جاءَ تماجنس حينئذٍ فلم تستطع ان تخبرها

ولم تستفد من ذهابها الى الهيكل الاَّ ان كلامها مع جورجياس حوَّل افكارها عن المشاغل الحاضرة الى آخرتها فلم تعد تفكِر الاَّ بها فدخلت الغرفة التي جعلتها مقاماً لتمثال برنيكي واقفلت بابها وجعلت تفكر في امرها فقالت على مَ ابني قبري واقفي على نفسي بيدي وميدان الحياة فسيح امامي . على مَ لا أُشير الى واحد من اخصَّائي اشارة واحدةً فيورد انطونيوس حتفهُ في طرفة عين او على مَ لا اشير الى رئيس الحرس المكدوني فيقبض عليهِ ويسلمهُ لاكتافيانوس . ثم خطر ببالها الكاس التي استهوتهُ حتى طرح شرفهُ وشهرتهُ وقوَّتهُ واقتفى خطواتها كانهُ ظلها وقالت اني انا الملومة لا هو فحرام عليَّ ان اخون عهدهُ . وعادت تفكِر في مستقبل اولادها وخير بلادها وما يتهدَّدهم ويتهددها من الخراب والاضمحلال واستطردت الى التفكير بالموت وظلام القبر وفناء الجسد والعقل بعد ان بذلت ما بذلت في تقويتهما وترفيههما وآلام النزع وقت الانتقال من الحياة الى الموت وما يمكن ان يعدَّ لها في عالم الخلود ثم اذا لم يكن الفيلسوف ابيقورس مصيباً في قولهِ بالفناء بعد الموت وكان المصريون القدماء مصيبين فماذا تتوقع اذا اشترت بضع سنوات اخرى من الحياة بقتل زوجها وخيانة عهدهِ . وقد يكون النشر والحشر والحساب والعقاب احاديث خرافة وضعها الكهنة سياجاً للشريعة وردعاً للاشرار ولكن نفسها اليونانية ناجتها قائلة انكِ سترين اسلافكِ في مهاوي الاشرار لا في منازل الابرار الى اورجيتس الاول فماذا تنتفعين من السنين التي تشترينها بدم زوجكِ وكيف تقضى لياليكِ وحية الضمير تنهش فؤَادكِ واي سعادة لمن خالف تعاليم ابيقورس وقتل نفساً بريئة .

واذا اتَّبعتِ مقتضى طبعك واولمتِ الولائم وادبتِ المآدب فمن يشاركك فيها بعد ان تقضي على من لم تكوني تطيقين دخول وليمة بدونهِ ولمن تلبسين بعدهُ وتتزينين وتحاولين نزع الغضون من جبينكِ وهل السنين التي تحيينها بعدهُ تستحق هذا العناء وهي سنو تعب والم وضعف وشيخوخة لاسيما وانك ستخسرين بها الشهرة التي نلتها بانك اجمل نساء عصركِ

والاولاد — لاشبهة ان مشاهدتهم كبارًا متبوّئين عروش الملك يلذ لكِ ولكن من يكفل ذلك مَن يكفل الملك بعدكِ وعواصف السياسة تنتاشكِ من كل ناحية وهم انفسهم ليسوا اهلاً لمقاواتها. مَن يكفل الملك لقيصاريون على ما بهِ من الخفَّة والطيش وقد اضطررتِ ان تدوسي القانون لاجلهِ في اول غمرة خاضها من غمرات الحب . ثم الثلاثة الباقون انطونيوس هليوس وكليوباطرة سليني والاسكندر الصغير انطونيوس هليوس على عرش مصر وكليوباطرة سليني تحضن اول ولد تلدهُ والاسكندر يبدي دهاءهُ السياسي بعد ان يتخرَّج على ارخبيوس ولكن ماذا يقول هؤلاء الاولاد اذا ذكروا امهم وقالوا انها قتلت اباهم

لما خطر ببالها هذا الخاطر اقشعرَّ بدنها وارتجفت مفاصلها لاسيما وانها تذكرت الدموع السخينة التي اراقتها لما بلغها ان اباها قتل امها وتصوَّرت قيام اولادها عليها ولعنهم لها فصرخت لا لا لا اشتري بضع سنوات بهذا الخزي والعار وممَّن اشتريها من اكتافيانوس الذي حرم ابني ميراث ابيهِ واضطرَّ انطونيوس الى الاقتران باختهِ فجعلني كسرّية لهُ لا كزوجتهِ والقى الريب في نسب اولادي — من الرجل الغدَّار الذي كان يظهر الصداقة لانطونيوس وهو يبطن العداوة لهُ

ولما خطرت ببالها هذه الخواطر شمخت بانفها كبرًا وتنبهت عزَّة نفسها التي لم تفارقها منذ صباها وكان يمكن ان ترتكب هذا الوزر العظيم لاجل اولادها ولكنها رأت انهُ يزيل من نفوسهم اشرف خُلق تودُّ ان تغرسهُ فيهم فاحجمت عنهُ بكليتها

هنا امسكت بشكيمة افكارها وقالت قضي الامر ليسرع جورجياس في بناء المدفن وقضي على انطونيوس فلامطمع لهُ بالحياة . ولقد قضيت اخر ايام حياتي الى جانبهِ وتمتعت معهُ بسعادة حسدنا عليها اهل المسكونة فالى جانبهِ يوضع جسدي حتى لا يفرّق الموت بيننا وحتى يبقى ذكرنا الى العصور التالية مقرونًا بالحب والاكرام كشخصين تحابًا ولم يفرّق الموت بينهما فيذكرنا اولادنا رافعين رؤُوسهم مستعزين بذكرنا ويفتخرون بتزيين قبرينا بالازهار والرياحين وتقريب القرابين الى روحينا . ثم نظرت الى تمثال برنيكي وتذكرت انها كانت تحب زوجها ونذرت ان تقص شعرها وتقدمهُ للافروديت (الزهرة) اذا رجع من سورية سالمًا فمجَّد الناس اسمها وسمُّوا بهِ

كوكبة من كواكب السماء الى هذا اليوم . ولم تكن تلك المرأة حميدة السيرة لكنها احسنت بهذا العمل صنعاً فاكرمها الناس عموماً وهي (اي كليوباطرة) ستفعل ما هو اعظم من ذلك فلا تقدم للآلهة حفنة من شعرها بل تضحي نفسها على مذبح امانتها لزوجها. فرفعت رأسها حينئذٍ حاسبة انها صممت على احمد الاعمال ولكن لم تلبث ان افتكرت بما يحل باولادها بعدها فخفضتهُ وكأنَّ حربة نخست فؤادها

الفصل الحادي والعشرون

عادت كليوباطرة الى غرفتها وهي تحاول اظهار البشاشة وطلاقة الوجه ورأتها ايراس فعجبت من هذا التغير وقالت لها ان اولاد المدينة آتون لتهنئة ولديك التوأمين بعيد ميلادهما واشارت الى موكب حافل بالاولاد من الصبيان والبنات بلغ اولهُ باب القصر

وكان من عادة المصريين ان يحتفلوا احتفالاً باهراً بميلاد اولادهم فاجتمع اولاد المدينة الذين من عمر التوأمين وجاؤوا بهذا الموكب ليهنئوهما ويقدموا فروض التهاني والولاء لامهما فلبست كليوباطرة حلَّة ملكية باسرع ما يمكن وخرجت الى رواق القصر حاسبة ان موكبهم هذا احسن فأل لرضى الآلهة بما عزمت عليهِ اخيراً ومسكت ولديها بيديها فمرَّ موكب الاولاد امامها وهم مئات من الصبيان والبنات وكان مع الصبيان طاقات من الازهار ومع البنات سلال مملوءة زهراً وكلهم مكلَّلون باكاليل من الازهار والرياحين مرُّوا وهم يغنون اغنية فيها دعاء للآلهة بحفظ الولدين وامهما ومنحهم السعادة الدائمة . وتلت زعيمة البنات خطبة مختصرة باسم المدينة وكان منظر الاولاد وهم مجتمعون امام الملكة كخميلة ازهار ورودها وجوههم

فشكرت الملكة اهالي المدينة على ارسال تحيتهم لها عن يد اعز شيءٍ لديهم . وجعلَ الصبيان يقدمون طاقات الازهار الى ولديها والبنات يفرغن سلالهنَّ تحت اقدامها ودنت بعض البنات من الملكة وعانقنها كما يعانقنَ امهاتهنَّ فاغرورقت عيناها بالدموع وكانت شارميان قد اعدت لهم الهدايا فادخلتهم الى غرفة كبيرة ووزعتها عليهم امام الملكة فسرَّت الملكة بذلك حتى اذا انصرفوا ورأت شارميان السرور بادياً في وجهها عزمت ان تعترف بما فعلت في امر بارين

كثيراً ما يحدث ان الامر الذي نستعظمهُ ونستصعبهُ يكون من اصغر الامور واسهلها لان قيمة الشيء نسبية فليس امرٌ عظيماً في نفسهِ وانما عظمتهُ بالنسبة الى امر آخر دونهُ وقد حدث امس واليوم من الحوادث ما صغرت عندهُ حادثة بارين حتى لم تعد الملكة تعبأُ بها

شرعت شارميان في اعترافها هكذا : قالت انها صارت تشعر بالتعب وتود الراحة ولم

يخطر ببالها قط ان تفارق مولاتها ما دامت محتاجة الى خدمتها ولكنها ترى الآن ان الاستغناء عنها صار سهلاً

فاعترضتها الملكة قائلة هذا ضرب من المحال لا يمكنني ان استغني عنكِ بوجه من الوجوه. فساقت شارميان الحديث الى بارين وقالت انها هي ساعدتها على الهرب لانها واثقة ببراءتها وخافت ان تظلَم . فقطَّبت الملكة حاجبيها لحظة ثم تبسمت وضمَّت شارميان الى صدرها وقالت اني مهما كانت عيوبي فنكران الجميل ليس منها ولقد خدمتِني منذ حداثتي الى الآن وتركتِ كل شيء لاجلي فحاشا ان أؤاخذكِ بعمل واحد اسأتِ بهِ اليَّ ولكِ ان تسيئي مراراً فأبقى مديونة لكِ كثيراً ولا استغني عن خدمتكِ مهما فعلتِ

ورأَت شارميان انهُ لا شيء يمكن ان يفصلها عن مولاتها فاخذت تشكرها على حلمها فقالت لها كليو باطرة انكِ خدمتني بمساعدة بارين على الهرب وانا لم يخفَ عليَّ سعيك في نجاتها ولكني لم اشأْ ان اسأَلك عنهُ وحسبي انها بعُدت من طريق قيصاريون اما انطونيوس فقد انفصل عن الناس بسور منيع فلا اخشى عليهِ منها ايضاً

فجعلت شارميان تبيّن للملكة فساد التهم التي اتهمت بارين بها وغرض الكساس من ذلك وان انطونيوس لم يرَها الاَّ مرةً او مرتين ولم يكن يكترث لها . ولكن كليو باطرة لم تصغِ الى كلامها بل كانت تفكّر بامر انطونيوس و بنائهِ السور الفاصل بين قصرهِ والمدينة وانكارهِ عليها الحضور اليهِ فقالت لقد انقضى عصر الحب ومضى زمانهُ وهذه قصَّة مضت وامور ختمت فزالت معها الغيرة التي نغصت عيشي

وظلت شارميان تقصُّ النوادر من حياة بارين وتثبت بُعْدها عمَّا اتهمتها بهِ الملكة والملكة تفكّر بانطونيوس ولا تتخيلهُ الاَّ وهو في عنفوان قوتهِ وتلوح الكاس امام عينيها والفعل الذي فعلتهُ بانطونيوس حتى صيرتهُ عبداً ذليلاً لها فتغتاظ من نفسها وتقول لا بدَّ من ان اكفّر عن ذنبي ولو بنفسي وعرشي

ودخل الكساس حينئذٍ وجعل يشكو من ان انطونيوس انتدبهُ لامر هام يمنعهُ من تنفيذ امر الملكة واتّباع المرأَة التي هربت من العدل فانهُ امرهُ ان يذهب في سفارة الى هيرودس ملك اليهود لكي يقنعهُ بالعودة الى حزب مصر ولا بدَّ لهُ من ان يغادر الاسكندريَّة في ذلك اليوم ثم توسَّل الى الملكة ان لا تهمل امر بارين وامر عشيقها الذي اعتدى على ابن قيصر وجرحهُ

لكن كليوباطرة انتهرتهُ قائلة كفى ثم تبسمت قليلاً وقالت لهُ اذهب على الطائر الميمون وعسى ان تفلح مع هيرودس ولو كنت ارتاب في ذلك كل الريب . ولما خرج التفتت الى شارميان

وقالت لها لماذا عميتُ عن هذا الرجل انهُ غدَّار مكَّار . اخبري ديون ليختفي بزوجتهِ اينما ذهب لانني لا آمن عليهما من هذا الخبيث والتقاء الاسد اسهل من التقاء العقرب. وقولي لارخبيوس ان يبادر اليَّ اليوم اذ لا بدَّ لي من استشارتهِ في امر هام وانتِ ارفعي من بالك امر الافتراق عني الآن لاننا سنفترق قريباً افتراقاً لا يعقبهُ لقاء ولا تمنعيني من تقبيل وجهك الصبيح

قالت ذلك وضمتها الى صدرها لتقبلها واذا بايراس دخلت ورأتهما على تلك الحال فاخذتها الغيرة وكانت قد جاءت لتستأذن الملكة في مقابلة لوسلس صديق انطونيوس ولحظت الملكة ما بدا عليها من امارات الغيرة فقالت لها وانتِ ايضاً احبُّكِ كما احبها ولقد سُلبتِ من كنتِ تودين ان تنتقمي منها ولكني ارجو ان تغضي عن ذلك كما اغضيتُ عنهُ انا وجزاؤكِ عندي المحبَّة الدائمة لكِ . قالت ذلك وضمتها الى صدرها وقبلتها . ولما خرجت لتدعو لوسلس قالت في نفسها ما من امرأَة فازت بمحبة الناس كلهم مثلها ولذلك صار عندها خزائن من الحب تهب منها لمن تشاء فتطيب القلوب وتنعش النفوس بل هي الشمس تهب نورها وحرارتها للجميع من غير حساب ولذلك تعلقت بها القلوب فلا عجب اذا احببتها اكثر مما احببتُ كل احد بل اكثر ممَّا احبُّ نفسي وما من احد يحبني مثلها حتى ولا ديون ذلك الرجل المجنون ولكن من يدرك كل غوامض الحب لماذا فضَّل انطونيوس كليوباطرة على اكتافيا ولم تكن اكتافيا اقل من كليوباطرة جمالاً وكان في يدها نصف السلطنة الرومانية

ثم عادت ومعها لوسلس وهو بطل باسل خاطر بنفسهِ وخلص بروتس من القتل فاحتفل بهِ انطونيوس وقرَّبهُ اليهِ فرافقهُ في واقعة اكتيوم واتى معهُ الى الاسكندرية وكانت الايام الاخيرة قد شيبت شعرهُ وانحلت جسمهُ فلما دخل حيَّا الملكة وقال لها انهُ جاء من تلقاء نفسهِ لكي يستعطفها ويحضها على الاهتمام بامر انطونيوس عسى ان تنعشهُ وترد اليهِ البهجة التي فارقتهُ وكاد عقلهُ يفارقهُ معها فقد تملكتهُ السوداء وصار يسيء الظن بالناس كلهم ولم يعد يشاء ان تقع عينهُ على احد

فاصغت كليوباطرة اليهِ وسألتهُ عن السبيل الذي يزيل الغم من نفس انطونيوس

فقال لا سبيل الى ذلك لانهُ يندب الماضي دواماً ويقول ان اعمالهُ كلها كانت من قبيل العبث وان المسرات التي تمتَّع بها تكرَّرت عليهِ مراراً حتى ملَّها ثم كرهها ولا نفع الاَّ في الحاجيات كالخبز والماء ومع ذلك فقد ملَّها ايضاً واما الاطايب والمفاخر فكلها ظل زائل وغيم جهام . وامس تكلَّم عن الذهب فقال اولاً انهُ مطلب جليل يستحق ان يعنى بهِ ثم ضحك وقال ولكنهُ يقود الى التمتُّع بملاذ تمرض النفس ولذلك لا يستحق ان يمدَّ الانسان اليهِ يداً . والقدماء

اللتان تدوسان ثلج الجبال تبردان واللتان تدوسان وحل العمقات لا تبردان ولكنهما أتلطخان بالحمأة. فقلت لهُ ولكن بين الجبال والعمقات سهولاً وآكاماً ومروجاً نضرة فقال اني لا ارضى بالوسط . ثم صرخ قائلاً لقد غلبني اكتافيانوس واغريبا وانا الآن رجل مقهور ولكن هب ان جبلاً وقع عليَّ فحطمني او فيلاً داسني فسحق عظامي فاني ابقى افضل منهما. فقالت كليوباطرة هذا الكلام الاخير كلام انطونيوس بالذات . فقال ولكنهُ قلما يتكلَّم بمثل ذلك واكثر كلامهِ شكوى من نفسهِ ومن الدهر ومن الخاتمة التي ختمت حياتهُ بها

وكان لوسياس عازماً ان يكثر من مثل هذا الكلام انتقاماً منها لاعتقادهِ انها هي التي اغرت انطونيوس واضعفتهُ لكنهُ رأى الدموع تجول في عينيها فامسك عن الكلام ثم عاد فذكر عبارات قالها انطونيوس وفيها ذكر كليوباطرة وحبهُ لها وقال انهُ ذكر زوجتهُ الاولى فلقيا فشبهها بعاصفة ملأت شراع سفينتهِ وسيَّرتها في بحر هذا العالم. فقالت كليوباطرة نعم وهو مديون لها وانا مديونة لها ايضاً لانها علمتهُ الخضوع لسلطة المرأَة . ثم قال وذكر زوجتهُ الثانية اكتافيا فقال انها الطريق القويم الذي يؤَدي الى السعادة والذين يسيرون فيهِ يرحّب بهم الالهة . فقالت كليوباطرة وعلى مَ لم يكتفِ بها . فقال لان الاعتدال ليس من طبعهِ فهو لا يكتفي بالوسط من الامور كما قلت سابقاً. فقالت وماذا قال عني قُلْ لي. فقال لقد طلبتِ مني الجواب عن هذا السؤَال وامركِ مطاع شبَّهكِ بوليمة تولم للاحتفال بالظفر فيحضرها المدعوون والاكاليل على رؤُوسهم فيشربون ويطربون قبل الشروع في القتال

فقالت ثم يعودون منهُ مدحورين لقد اصاب ولا فائدة من الوليمة بعد القتال فيجب ان تولم قبلهُ ولقد حان لنا ان نختم هذه الرواية المفجعة ولكن لا بدَّ لنا من الصلح قبل ختامها فان كنت تظن انني استطيع ان ارد اليهِ قوتهُ وبهجتهُ فاني افعل ذلك عن طيب نفس وقد قضينا في هذه الوليمة سنين كثيرة فلا نبخل بالوقت القصير الذي يقتضيهِ النقل . لكني طلبت زيارتهُ فابى فبماذا تشير

فقال لا اعلم وانتِ ادرى مني وقد جئتكِ الآن ألتمس ان تسمحي بمقابلة ارس عبد أنطونيوس الخاص بخدمتهِ وهو عبد امين لمولاه يفتديهِ بنفسهِ وقد تتذكرين ما قالهُ الملك انطيوخس وهو انهُ ما من احد يكبر على عبدهِ الخاص بخدمتهِ . فهل تسمحين لهُ بمقابلتكِ ولو بضع دقائق فان انطونيوس عتقهُ منذ زمن طويل ولم يبقَ عبداً

فقالت ليأتِ فلا اردُّ لك طلباً لاني اعلم منزلتك عند انطونيوس. قالت ذلك وصرفتهُ ولم يكد يخرج حتى دخل التشريفاتي وقال ان وفداً من قبل ادارة المتحف يطلب مقابلتكِ فاذنت

لهم في الدخول فدخلوا وبسطوا لها شكواهم مما فعلهُ الرعاع ببيت دديوس واعربوا لها عن ولائهم لسدتها . فأكدت لهم انها تجلُّ مقامهم وانها امرت ان يعطى الفيلسوف دديوس ما يرضيهِ وانها تكرم الفلسفة والفلاسفة ودليلاً علي ذلك تهب المتحف مكتبة برغامس التي وهبها اياها انطونيوس وفيها مئتا الف مجلد من نخبة الكتب وامّلت ان ذلك يرضي دديوس ويعزيهِ عمّا اصابهُ على غير رضاها ويقوم مقام بعض الخسارة التي خسرتها المدينة باحتراق مكتبة المتحف . فاعادوا تأكيد ولائهم لعرشها والدعاء لها وخرجوا من حضرتها وكان كثيرون منهم يقدرونها قدرها ويحسبونها من نوابغ النساء بل من كبار الفلاسفة

ولم تكد الشمس تتوارى في الحجاب حتى جاء كهنة سرابيوم معبود المدينة بموكب عظيم يحملون التماثيل والذخائر ويرتلون ترتيلاً رخيًّا ويتقدمهم ويحيط بهم حملة المشاعل والطبول والصنوج حتى اذا دنوا من القصر سطعت انوار المشاعل وعلا نغم المرتلين تمازجهُ اصوات الصنوج وسائر آلات الطرب حتى يخال للرائي ان امواج النور اكتنفت القصر وابراجهُ والبحر وامواجهُ وعلت فوقها اصوات المغنين والعازفين كانها بحر آخر فوق بحر حتى كادت تماس السماء وكواكبها فوقفت كليوباطرة تنظر الى هذا الموكب الرهيب الى ان سار من امامها كلهُ وحلك الظلام وراءهُ فقالت في نفسها ان هذا المعبود الذي اتى بهِ اسلافي وجعلوا هذه المدينة مقامهُ وجمعوا فيهِ مزايا آلهة مصر واليونان قد ختم الآن على صحة ما نذرتهُ وعزمتُ عليهِ والقبر يبنى وسوف يدفن انطونيوس فيهِ معي فيرتبط قلبانا في الممات كما ارتبطا في الحياة . ولكن ما دمنا في قيد الحياة فلا يليق بنا ان نطرح سلاحنا ونسلّم بلادنا لاعدائنا غنيمة باردة فلا بدَّ لي من ان اضرم نار النخوة والحميَّة في صدر انطونيوس ولو اتّقدت كما يتّقد السراج قبلما ينطفئ

ثم خطر ببالها ابنها الاكبر قيصاريون بن قيصر وقالت ترى لو انتبه انطونيوس كما اتوقَّع وجعلتُ قيصاريون رفيقًا لهُ اما كانت روح ابيهِ تنتبه فيهِ فيهبُّ الى طلب المجد والشهرة ويحفظ ملكهُ من الضياع . ثم التفتت الى كوة غرفتهِ فرأَت النور ينبعث منها فقالت انهُ لا يزال مستيقظًا فامضي اليهِ واستطلع امرهُ ونادت شارميان وسارت معها نحو غرفة قيصاريون فلما دنت منها سمعتْ صوتهُ وصوت انتلُس بن انطونيوس وسمعت اسمها واسم بارين فوقفت تصغي الى مايقولان فاذا انتأُس يقصُّ على قيصاريون ما اخبرهُ الكساس بهِ وهو ان كليوباطرة عزمت على ان تنفي بارين الى المناجم ونقاص ديون قصاصًا صارمًا ولكنهما هربا كلاهما وتحزّب الفتيان لديون . ثم قال وقد عزمتُ ان احث ابي على البحث عنهما حالما ينزع هذه السوداء من نفسهِ ولا يتعذَّر عليهِ ان يجدهما لانهُ مغرم بالجمال وقد وقعت عينهُ على هذه المغنية ولا اظنهُ نسيها فاذا عثر

عليها فلا اظن انك تستطيع ان تستخلصها من يدهِ لانهُ امهر منا بمغازلة النساء رغماً عن ابيضاض شعرهِ وبارين لا تهتم برجل الا بعد ان يخطهُ الشيب . ولقد امرتُ رئيس الشرطة ان يقتفي آثارها برجالهِ وهم اطوع لهُ من بنانهِ

فقال قيصاريون اواهُ لو لم اكن ملقىً هنا كالكاب لكنت اجدها حالاً لان صورتها لا تزول من امام عينيَّ لا نهارًا ولا ليلاً وقد انفقتُ حتى الآن كل ما املك في التفتيش عنها وارسلت امس وراء الخازن سلقوس ولكن ما فائدتي من اني ابن امي وهذا الرجل لا يطيع لي امرًا ولا يعطيني المال الذي طلبتهُ منهُ وامي تنفق الملايين تطرحها في الرمل لكي تحفر بركة تخفي فيها سفنها وكان يمكن ان تشتري بهذه الاموال الف جاسوس فيقضون اغراضها اما هي فلا تعمل الا ما يخطر ببالها ونترك ابنها يموت كمدًا لكن لا بدَّ من الوصول الى بارين ولو خسرتُ تاج الملك · واني لاضحك على نفسي حينما يدعوني الناس باسم ملك الملوك لاني لست صالحاً للملك ثم على ماذا املك والمُلك يزول قبلما اصل اليهِ فاننا مغلوبون واذا استطعنا ان نصالح الرومانيين ونفوز بحياتنا وباملاك نعيش منها فذلك غاية مناي . وماذا يعنيني انا من مصر فاني ابن قيصر ومملكتي رومية ولكن الآلهة قضت بنزعها مني · ومن يُطلَب منهُ ان يملك العالم يجب ان يكون اقل نوماً مني اما انا فاشعر دائماً بالتعب والكسل . فدعوني وشأني وها ابوك قد القى سلاحهُ واقتدى بنا في طلب الراحة

فقال انتلس ولكن لا بدَّ من ان يستيقظ وينهض كالاسد

فقال قيصاريون ان فعل ذلك فامي تهرب وابوك يتبعها . لقد خسرنا كل شيء ولكن الملوك واولادهم لا يُقتَلون ولا اظن انهم يأخذونني اسيرًا ليعرضوني في حفلة الظفر لان اسم ابي لم يزل مكرَّماً في رومية وقد بلغني ان الجند كلهُ يعصي ان فعلوا ذلك ولكنهم اذا فعلوا واخذوني ليجروني وراء مركباتهم فاني اعرف كيف اتخلص منهم بالطريقة الرومانية القديمة ولا شيءَ اطيب لي من الموت لانهُ نوم مستمرٌّ · ومهما فعلوا بي فاني تعلَّمتُ القناعة من صغري فارتضي بهِ · وليس من شأننا ان نحرّض اكتافيانوس على المجيء الى هنا ولكن ان جاء فغاية ما اطلبهُ منهُ ان يستبقي امي واولادها ويعطيني ابعدية فيها بركة كبيرة مملوءة سمكاً ويسمح لي ان اختار الزوجة التي اريدها فاذا عشت كذلك اصيد السمك واقرأ الكتب وزوجتي الى جانبي وهي من اصل وضيع لكي اقدر ان اتسلَّط عليها ولا تتسلَّط هي عليَّ فذلك غاية مناي

فمدَّ انتلس رجليهِ وسند رأسهُ الى الوسادة واضعاً كفيهِ تحتهُ وقال لهُ لو لم تكن ملك الملوك لقلت انك ولد خسيس حقير · فان من اسعدهُ الحظ حتى جعلهُ ابن قيصر العظيم يجب

عليهِ ان لا ينسى ذلك وانا آسف جدًّا لانني اخذتك الى بيت تلك المغنية وعندي ان ابن قيصر يجب ان يترفَّع عن هذه السفاسف ثم ان بارين لا تحبك ولا تكترث لك وقد ابانت ذلك صريحًا واذا تمكَّن رئيس الشرطة من القبض عليها فلن تذهب معك الى المكان الحقير الذي تطلبهُ لتشاركك في صيد السمك لاننا اذا وجدناها ومدَّ ابي يدهُ اليها لا تعود تراها في حياتك فقد رآها مرتين فقط فاخذت عقلهُ ولا بدَّ من ان تكون المشاغل انستهُ اياها الآن ولكن ان ذكَّرتهُ بها فمن يدري ماذا يحدث

ولما قال ذلك دارت كليوباطرة ورجعت من حيث اتت وتبعتها شارميان حتى وصلت الى غرفتها مطرقة الرأس مكسورة القلب فجلست وقالت لشارميان لقد اخطأنا في وقوفنا نسمع هذه الاقوال هل بارين في حرز حريز

فقالت شارميان لا اعلم ولكن ارخيبيوس مطمئن من جهتها

فقالت عسى ان يكون الامر كذلك ولو كانت هنا الآن لكنت امنحها كل ما تطلب مني تكفيرًا عن سوء ظني بها وبانطونيوس . ثم ان الكساس كان عازمًا ان ينفيها الى المناجم . يا للعار كيف يخدعني هؤلاء الاشرار . يجب ان احترس من ضعفي قبل كل شيء اواه ما اضعف الانسان

قالت ذلك والقت رأسها على يدها بعد ان سندتها على مائدة من خشب الساج وكان في اصابعها وذراعها من الخواتم والاساور ما يشتري مملكة فانتبهت الى ذلك وودَّت ان تطرح كل حلاها في النار بل ودَّت لو كانت فقيرة تستعطي ويكون ابنها حريصًا على مقامهِ ولو مثل انتلس ولم يخطر ببالها قط انهُ بلغ هذا الحد من الخسَّة والدناءة فاطرقت الى الارض هنيهة ثم قالت في نفسها اني احصد الآن ثمرة ما زرعت فاني اضعفت ارادتهُ لكي لا يعصيني فماتت تمامًا . هذا زرعي وهذا حصادي . يحصد الانسان ما يزرعهُ

وكان قد مضى على ارس عبد انطونيوس ساعتان في انتظارها فاذنت لهُ في الدخول فدخل واخبرها باحوال مولاهُ تمامًا ولم يخفِ عنها شيئًا وقال ان انتِ ارسلت اليهِ شارميان وجاريتها انوكس التي سماها إيسوبيون وارسلتِ معها رسالة حبية فيلوح لي انهُ يرحّب بهما فتفارقهُ السوداء التي تولتهُ الى الآن لاسيما وانهُ يسرُّ بكلام الجارية الحدباء ولسانها الذلق

فاستغربت كليوباطرة كلامهُ وقالت لهُ لا ارى كيف تستطيع جارية مثل انوكس ان تزيل الهموم من نفس بطل عظيم مثل انطونيوس

فقال لها لتعفُ مولاتي عن جسارتي ولكن العظماء يسمحون لنا نحن العبيد ان نرى منهم

احيانًا ما لا يراهُ بعضهم من بعض . ولا يرى حقيقة العظماء الاّ الآلهة والعبيد . وسوداء مولاي ليست شديدة كما تظنين بل هو يرغب في الظهور بمظهر المعبود ديونيسوس ويرى احوالهُ الحاضرة لا تناسب ذلك فاختار العزلة على الظهور . وكثيرًا ما يتكلم كلامًا يدلُّ على انهُ غائص في بحار الكآبة واليأس ولكنهُ لا يبدي شيئًا من ذلك امامي اذا كنا وحدنا . واذا جئتهُ بنكتة فكاهية فالغالب انهُ يضحك ويقابلني بنكتة مثلها. وامس ذكّرتهُ بما فعلتِهِ مرّةً وهو يصطاد السمك كيف انكِ جعلتِ احد الغوّاصين يعلق سمكة مملحة في صنارتِهِ فجعل يقهقه حتى فحص الارض برجليهِ ثم قال سقيًا لتلك الايام ما كان احلاها . فان كانت السيدة شارميان تذكرهُ بالايام السالفة وانوكس تملّح الكلام بشيءٍ من الهزل والنكت على جاري عادتها فانا الكفيل برد بهجة الامبراطور اليهِ والاّ فاجدعي انفي واصلمي أُذنيَّ . ويجب ان تذكراهُ بولديهِ التوأمين والطفل اسكندر فانني كلما كلمتهُ عنهما تبرق اسرتهُ ويبش وجههُ لانهُ يحبهم حبًّا شديدًا . ولا يزال يتكلم مع لوسليوس وغيرهِ من خواصهِ عن انشاء مملكة عظيمة في المشرق تكون الاسكندرية عاصمةً لها . ولا يزال دم الفتوّة يجري في عروقهِ وبالامس امرني ان اسنَّ سيفهُ الفارسي قائلاً ربما نحتاج اليهِ قريبًا ثم استلهُ وهزّهُ فتألق في يدهِ كالبرق . وأُقسمُ لك بكل الآلهة انهُ لا يزال في ذراعهِ قوة ثلاثة ابطال فاذا عدتِ اليهِ واجتمع رجالهُ حولهُ عادت اليهِ بسالتهُ القديمة

فقالت عسى ان يكون الامر كما قلت وسأتبع مشورتك

ولما اتت ايراس لتقوم مقام شارميان وجدت الملكة جالسة غائصة في بحار الافكار ثم قامت الى سريرها ولم تتكلم الاّ بعد ان خلعت ثيابها فقالت لقد كان يومنا كثير التعب يا ايراس ولم يأتني الاّ بمصداق ما قالهُ الحكماء "يحصد الانسان ما يزرعهُ" فقد نستطيع ان ننمي النبات او نضعفهُ او نحولهُ من جهة الى أُخرى ولكن كل قوّات السماء والارض لا تغير نوع ثمرهِ عمّا هو في طبعهِ ولقد زرعتُ زرعًا رديئًا فكيف اتوقع منهُ ثمرًا صالحًا . ولكن لم يفت الوقت وسنزرع ما يجب زرعهُ في عقول الصغار ولا بدَّ من الاهتمام بذلك قبل الاهتمام بنفسي . وسيأتي جورجياس غدًا وتنظرين رسم المدفن معي ويحق لكِ ان تنظريهِ لانكِ ستزورينهُ اكثر من كل احد

فاضطربت ايراس وقالت ان قبركِ لا ينتظر زيارتي لاني لا أعيش ساعةً بعدكِ

فقالت لها الملكة وقت الآلهة شبابك وما لنا ولذلك الآن فنحن احياء وسنوقد نار الحرب ثانيةً

الفصل الثاني والعشرون

ذهبت كليوباطرة لتنام فلم يكد يغمض لها جفن لكثرة ما هجس في صدرها من الهواجس وما فكَّرت فيهِ من التدابير ولم تجد اسلوبًا تنجو فيهِ من العار خيرًا من الاسلوب الذي صممت نيتها عليهِ

وجاءها تماجنس في الصباح وافرغ جعبة بلاغتهِ في اقناعها واعدًا اياها بالحرية المطلقة واولادها بالملك الدائم ان هي سلمتهُ انطونيوس حيًّا او ميتًا فاصرَّت على رفض ذلك فودعها وركب سفينتهُ وعاد الى رومية حالاً

ثم جاءها جورجياس ومعهُ رسم المدفن ففحصتهُ مع ايراس ولكن كان بالها مضطربًا فلم تستطع امعان النظر فيهِ فقالت لجورجياس عُد بهِ اليَّ في اواخر النهار ثم عادت الى غرفتها واخرجت المكاتيب التي ارسلها اليها قيصر والمكاتيب التي ارسلها اليها انطونيوس وتلت بعضها فقالت ما ابلغ مكاتيب قيصر ذلك الخطيب المفلق الذي كان يتسلَّط على عقول سامعيهِ بقوة حجتهِ وشدَّة عارضتهِ ومع ذلك كان زمامهُ في يدي اصرّفهُ كيف اشاء وكان حبهُ لي خالصًا من كل شائبة لا دعوى فيهِ ولا غضاضة . ثم التفتت الى مكاتيب انطونيوس فخفق فؤَادها لان شارميان وجاريتها ذهبتا اليهِ لتدعواهُ اليها وتلحّا عليهِ بالمجيء حتى يشاركها في آخر حرب تثيرها دفاعًا عن بلادها وكانت واثقة انهُ يلبي طلبها ويحضر اليها ولكنها لم تكن واثقة انهُ يشاركها في القتال ويتولَّى قيادة الجيش حتى اذا عقد النصر لها امنا طوارق الحدثان والاَّ فالمدفن معد لها لان لسان حالها كان يقول بيدي لا بيدَي عمرو

وجاءها ارخبيوس حينئذٍ فسرَّت بما رأتهُ من امارات السكينة والطمأنينة في وجههِ وتذكرت الايام السالفة التي قضتها معهُ في بستان ابيهِ وهي تتلقى مبادئ العلم والحكمة . فاطلعتهُ على كل شيء الى ان وصلت الى ما صممت عليهِ نيتها اذا قُهرت في الدفاع عن وطنها فابرقت اسرَّتهُ وقال هذا هو الرأي الصواب ولكني اسأل الالهة ان لا تصلي الى هذه الخاتمة بل تعيشي ايضًا عمرًا طويلاً بالرغد والهناء وهبي ان الاقدار قضت بغير ما نريد فكوني مطمئنة على الاولاد لاني اقف نفسي على خدمتهم وتربيتهم

فقالت لهُ اني اعلم اخلاصك وصدق طويتك وانك تتمنَّى لي العمر الطويل ولكن الحياة الدنيا ليست مما يؤسف عليهِ كثيرًا . ولا بدَّ من انك تغبطني اذا استطعت ان اقيم مدفنًا لنفسي على ما اشتهي لان قليلين يستطيعون ذلك فهل انا مصيبة في ظني

فقال نعم واني اغبطكِ لانكِ تستطيعين ان تكتبي عليهِ انهُ مدفن ملكة عظيمة وام

حنون اتاحت لها الاقدار ان تفارق الحياة بنفسها وتنجو

فقالت وتنجو من العار الذي يلحقها اذا دارت الدائرة عليها فيمحى المجد والابّهة اللذان امتاز بهما ملكها

فقال انكِ حييتِ ملكةً وتعرفين كيف تغادرين الحياة ملكةً . ولقد التقيتُ في الصباح بشارميان ذاهبة لتدعو انطونيوس اليكِ ولا بدَّ من ان يلبي طلبكِ فان نجحتِ في ارجاع بسالتهِ اليهِ فلا يتعذَّر على ابن هرقل ان يصد الاعداء اذا ساعدتهُ الاقدار

فقالت كل شيء بقضاء وقدر ولكن لا بدَّ من الاستعانة بهِ على صد الاعداء لانهُ جبَّار مجرَّب وكل شيء مصيرهُ للزوال والردى مكتوب على جبين كل حي حتى على آمالنا واعمالنا ألا ترى كيف رحَّب المهندسون بالرأْي الذي ارتأَيتهُ لوصل هذا البحر ببحر القلزم لكن ظهر لدى البحث انهُ ليس مستطاعاً فآمالنا تحفر مدافنها بايديها وقد افل نجم سعدنا وارى في كل بريد خبرًا عن هجر الاحلاف ولا اجد حولي غير الثمار الفاسدة التي زرعتها ولكن قُل لي ولا تخفِ عليَّ شيئًا ايحق لي ان اخجل اذا عُدَّ الملكات اللواتي سسن ممالكهنَّ بالعقل والحزم

فقال لها كلاَّ ثم كلاَّ

فقالت ولكن اني ارى الفساد في ثمر كل شجرة غرستها هوذا قيصاريون قد ذبل وهو في نضارة الشباب واللوم عليَّ لا عليهِ . فاعتنِ بالثلاثة الباقين وحذرهم من اقتفاء خطواتي

فقال اني سأُربيهم حتى يكونوا بشرًا مثلنا لا حتى يحاولوا مجاراة الالهة فقد كنت في بستان ابيقورس نجرًا لاترابك وبهجة لهم في الذكاء والحكمة فلم يرضكِ الاَّ ان تماثلي الالهة ايسس حتى تتجه اليكِ العيون اتجاهها الى المعبود . اما اولادك فرأْيي ان يتربوا تربية اخرى لا في بستان ابيقورس بل في بستان آخر كُتِبَ على بابهِ ان السعادة هي الغاية العظمى وهنا دار تهذيب الاخلاق ومن يترك هذا البستان لا يشوقهُ طلب الملاذ بل تهذيب الطباع . ولقد ولد اولادك في الشرق مثلكِ حيث يرغب الناس في الغرائب ويتهافتون على الغلو فاذا سلمتني ايَّاهم فمرادي ان ادربهم على امتلاك طباعهم وادارة سفينة حياتهم بدفة الآداب والفضائل التي لا تمنع صاحبها من التمتُّع بملاذ الحياة وجعل شراعها من الاعتدال في كل شيء

فقالت لقد فهمت مرادك فانك تشير الى نقائصي من طرْف خفيّ وانت تصف ما يجب ان يتخلَّق بهِ اولادي . نعم لقد ابعدتني عواصف الحياة عن بستان ابيقورس كما بعدتَ عنهُ انت بارادتك ولكننا لا نزال كلانا مشتركين في تصديق ما قالهُ ابيقورس وهو ان الصداقة اثمن ما تنالهُ الحكمة لسعادة الناس . وانت تعلم اني عازمة على ادارة رحى الحرب الاخيرة فلا

استطيع ان اراقب تربيتك لاولادي ولكنني اعينك عليها بشرط ان لا تقول لهم ان امكم لم تهتم براحة البال اللذة التي عناها ابيقورس وكانت تحسبها الخير الاعظم وهي في بستانهِ بل فتشت عن الملاذ الفانية فصرفت قوى عقلها وبدَّدت ثروة شعبها جارية على مقتضى طبعها لكن تقول لهم ان قلب امكم كان مفعماً بالحب وكانت تحتقر الدنايا وتطلب اسمى المطالب ثم لما افل نجم سعدها فضَّلت الموت على العار

ووقفت عند هذا الكلام لانها سمعت مشي اناسٍ آتين اليها . ثم قالت اني في انتظار هذه الواقعة وقد لا ينجو انطونيوس من يد اليأس الذي تولاَّهُ ولكنني لا استطيع ان انزل الى ميدان القتال وعيناهُ تنظران اليَّ وهو لا يحرّك يداً لمساعدتي — تنظران بالغيظ والجفاء بعد ان كان السرور والحب يفيضان منهما . اواهُ يا ارخبيوس انت تعلم كيف دخل حبهُ قلبي وتمكن فيهِ منذ حداثتي . ولكن ما هذا الصوت وهذه الصيحة هل عصى اهل المدينة علينا بعد ان جاءني نوَّابهم امس واكدوا لي صدق ولائهم . نعم ان ديون من المكدونيين ولكنني اكَّدت لاعضاء المجلس انني غير عازمة ان احاكمهُ على جرحهِ قيصاربون والآن لا اعلم الى اين ذهب بزوجتهِ ولا اريد ان اعلم . او هل غاظتهم الضريبة الجديدة وساءهم اخذ اموال الهياكل ولكن كيف العمل والدفاع عن الوطن يقتضي حشد المقاتلة وابتياع الميرة او هل وردت اخبار جديدة من رومية

فقام ارخبيوس وقال اسمحي لي ان اخرج وارى ما الخبر . قال ذلك وقام واذا بالتشريفاتي آتٍ مسرعاً وهو يقول جاء انطونيوس ووراءهُ نصف اهل المدينة . وجاء قائد الحرس الخاص ايضاً وهو يقول جاء الامبراطور جاء الامبراطور وقبل ان يتمَّ كلامهُ دخلت ايراس مسرعة وهي تقول اتى اتى كنت مؤكدة انهُ يأتي اسمعي كيف يهتفون لهُ اسمعي يا مولاتي قومي لتقابليهُ من رواق برنيكي

فقالت كليوباطرة ايتيني بالاولاد والبسيهم حلل العيد . فنادت ايراس خادمة اسمها زوي وقالت علينا بالاولاد حالاً والتفتت الى الملكة وقالت لها هدئي روعكِ يا مولاتي لا يزال الوقت كافياً لتلبسي حلَّة ايسس التي يحب ان يراكِ بها . هوذا تاج ايسس فقد جاء اروس الآن وقال ان الامبراطور آتٍ لابساً حلَّة المعبود ديونيسوس وانهُ يسرُّ لو قابلتهِ مثل المعبودة ايسس . اعينيني ايتها الآلهة هثور . وانتِ يا نفورس قولي لحامل المراوح وسائر الخدم والحشم ان يقف كل منهم في مكانهِ . هوذا العقد والقلادة لعنقكِ وصدركِ . والثوب الشفَّاف لا ترفضيهِ لانهُ يحب ان يراكِ فيهِ فاننا كلنا نعلم انهُ يحب ان يرى الهتهُ في مجدها وجمالها

فوقفت كليو باطرة بقلب خافق ووجنتين متوردتين وسلمت بما طلبتهُ ايراس فالبستها حلة ايسس وهي مرصعة باللآلئ النفيسة والجواهر الكريمة . وكانت تفضل ان تقابل انطونيوس بثوب اسود ساذج ولكن ارادة ايراس غلبت على ارادتها لا سيما وان انطونيوس كان آتياً في شكل المعبود ديونيسوس فلا يليق ان تقابلهُ الَّا في شكل المعبودة ايسس . وتعاون اربع من الجواري على الباس الملكة فالبسنها حلة ايسس وحلاها ووقفت ايراس امامها بالمرآة وقالت مثل الزهرة الصاعدة من البحر ومثل هثور الذهبية . وكأنها نسيت محبتها لديون وغيرتها من بارين وبغضها لها وكل ما كان يكدر صفاء عيشها ولكنها لم تنسَ ان تصلي لاجل مولاتها صلاة وجيزة لكي ترقبها عين الالهة وتنجح لقاءها بزوجها . ثم فتحت مصراعي الباب بيديها فظهرت كليوباطرة كالشمس اذا بدت من وراء الغيوم ولم يسع رجال حاشيتها الذين كانوا وقوفاً هناك الَّا ان يسجدوا لها. ومشت الجواري وراءها يحملنَ ذيل ردائها وسار الغلمان امامها في صفوفهم حسب رتبهم ووقف حملة المراوح الى ان انتظم الموكب ثم أُمروا بالسير ومروا من دار الى اخرى الى ان عبروا الدار الخارجية ونزلوا على السلَّم المطل على المرفإ والرصيف حيث كان الجمع ينتظر انطونيوس

ولا تسل عن اصوات الجماهير المجتمعة وندائها المتكرّر باليونانية والمصرية وكان الاسكندرية كلها خرجت للقاء انطونيوس من كل الطبقات والرتب كباراً وصغاراً بعضهم مشاة وبعضهم على ظهور الخيل او في المركبات والمحفات وبينهم المغنون والمزمرون والمطبلون وموكبهم يموج كالبحر ويسير الهوينا وفي طليعتهِ عرش ذهبي يحملهُ اثنا عشر عبداً اسود وعليهِ انطونيوس في ذي المعبود ديونيسوس وفي يدهِ صولجان يحيي بهِ تلك الجماهير ووراء العرش جمهور الراقصين والعازفين ووراءهم فيلان يحملان شيئاً مغطًّى بغطاء ارجواني . وكان اول الموكب قد وصل الى البرجين اللذين يفصلان القصر عن شارع الملك ووقف هناك ووقف حولهُ رجال الشرطة فرساناً ومشاةً يدفعون الجمع المزدحم لكي لا يسدَّ طريقهُ ويمنع سيرهُ . ونظرت كليوباطرة حينما وصلت الى الرواق الخارجي فرأَت انطونيوس نزل عن عرشهِ واشار الى العبد الهندي الذي يقود الفيلين فرفع الستار الارجواني عمَّا يحملانهِ واذا طاقة ازهار لم يرَ مثلها الاسكندريون في سالف عهدهم كلها من الورد الاحمر تحيط بهِ دائرة من الورد الابيض ويحيط بالجميع سعوف النخل وكان في هذه الطاقة اكثر من الف وردة. ثم مشى نحو كليوباطرة وهي واقفة على الدكة التي امام الرواق وكان اطول من كل من حولهُ قامة وابدى منهم مهابة كأَنهُ من الجبارين وعلى كتفيهِ رداءٌ ارجواني مزركش بالذهب تجرُّ ذيولهُ وراءهُ

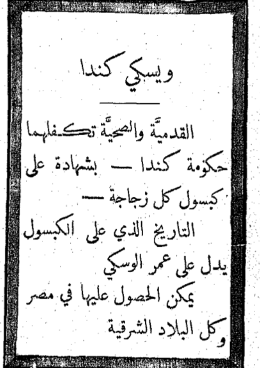
فتزيد قامتهُ طولاً فمدَّ ذراعيهِ من تحت الرداء واشار بهما الى كليوباطرة وهما عاريتان مجدولتا العضل وكان حاسر الراس اسود الشعر كثيث اللحية قصيرها كان الشيب قد وخطهُ لكن الخضاب ازال الشيب وردَّ اليهِ نضارة الشباب. وعلى رأسهِ اكليل من ورق الكرم وعناقيدهِ والعناقيد سوداء مدلاَّة على ظهرهِ. وقد القى على كتفيهِ جلدًا كبيرًا جلد نمر هندي مخطط قتلهُ في ميدان الصراع وصيغت مخالبهُ من الذهب ووضع في عينيهِ حجران كريمان من الياقوت الازرق وعلى الحمالة التي علقهُ بها وعلى المنطقة التي على حقويهِ كثير من حجارة الياقوت والزمرُّد النادرة المثال وكذلك اساورهُ وصدرتهُ وحذاءاهُ كلها كانت مرصعة بالحجارة الكريمة فزادت منظرهُ مهابة وجلالاً ولكنها لم تخفِ آثار الشيخوخة من وجههِ الاَّ عن البعيدين عنهُ. ولا بدت صورتهُ للرائين شيخاً يتظاهر بمباهي الشباب لان حبَّ الابهة والمجد من طبعهِ وقد كان في منظرهِ من المهابة والجلال ما قطع السنة المنتقدين فنظروا اليهِ صامتين خاشعين. ولما وقعت عينهُ على كليوباطرة تدفقت البهجة والمحبة من وجههِ وعينيهِ فوضع يدهُ على صدرهِ وجثا امامها على ركبتيهِ ويداهُ مبسوطتان اليها وكان السرور طافحًا على وجهها واشار الى طاقة الازهار وكان ثلاثة من العبيد قد حملوها ودنوا بها منهُ وكأنَّ لسان حالهِ يقول اذكري تلك الازهار التي اعطيتني اياها في بستان ابيقورس فكانت فاتحة عهد الحب بيننا فتذكرتها وغلبها الحب والوجد ونسيت ما هي فيهِ من مظاهر الملك وما حولها من الوف العيون الشاخصة اليها فارتمت على صدر حبيبها فنهض ورفعها بين يديهِ وقبَّل فاها وجبينها ثم رفعها ايضاً حتى بان ابطاهُ كأنها الهة الظفر ثم وضعها على الارض بتأنٍّ كانها حلية ثمينة

والتفت الى اولادهِ الثلاثة وكانوا وقوفًا الى جانب امهم وضمهم الى صدرهِ ورفعهم بين يديهِ كأنهم دمى لا ثقل لهم وعلا هتاف الجماهير حينما ضمَّ زوجتهُ الى صدرهِ ثم علا ثانية حينما ضمَّ اولادهُ

ولم تسمع جدران ذلك القصر هتافًا مثل هذا الهتاف اشترك فيهِ اهل الاسكندرية كبارهم وصغارهم اعيانهم وسوقتهم ورددت صداهُ القصور والمنازل والمتاحف والهياكل والمرافئ وما فيها من السفن والبوارج وما حولها من الابراج حتى صخور جزيرة الافاعي التي لجأت اليها بارين



BY SPECIAL APPOINTMENT
TO HIS MAJESTY THE KING
"CANADIAN CLUB" WHISKY
1893
The age and genuineness of this Whisky are guaranteed by the Excise Department of the Canadian Government by certificate over the capsule of every bottle.
Date on capsule shows age of Whisky
Obtainable throughout the World.



ويسكي كندا
القدميَّة والصحيَّة تكفلهما
حكومة كندا — بشهادة على
كبسول كل زجاجة —
التاريخ الذي على الكبسول
يدل على عمر الوسكي
يمكن الحصول عليها في مصر
وكل البلاد الشرقية

(٢) المدرسة الصيدلة — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكلوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلَّم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهِل التلميذ لعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكلوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلَّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية. ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

اعلانات المقتطف

المقتطف اقدم المجلات العربية يقرأُهُ نخبة رجال العلم والفضل واهل الوجاهة والثروة في كل الاقطار المصرية والشامية ويحفظونهُ في بيوتهم ومكاتبهم حتَّى يطلع عليهِ زوَّارهم وجيرانهم ولذلك فالمطلعون عليهِ يعدون بمئات الالوف وهم من الذين يودُّ كل كتبي وتاجر وصانع ان يطلعوا على ما عندهُ لان عليهم الاعتماد في ابتياع الكتب والبضائع

فاذا اردت ان يعلم نخبة الناس بما عندك من الكتب والساعات. والمجوهرات والملبوسات والآلات والادوات والادوية المختلفة فاعلن عنها في المقتطف يقرأ اعلانك الذين تودُّ ان يقرأُوهُ ويشتروا مما عندك واجرة الاعلانات معتدلة تخابر بها ادارة المقتطف والمقطم

قرش صاغ	
٠٦٠	المجلد الاول الاسبوعي من المقطم
٠٤٠	" الثاني " " "
١٠٠	اصول التشريح للدكتور ورتبات
٠٥٠	اصول الفسيولوجيا " "
٠٥٠	تاريخ فرنسا
٠٥٠	شرح قانون التجارة
٠٣٠	مجمع البحرين مقامات الشيخ اليازجي
٠٣٠	شرح قانون العقوبات
٠٣٠	حقوق الدول
٠٢٠	عنوان الشرف
٠٢٠	شرح بخنر على دارون
٠١٥	سفر السفر الى معرض الحضر
٠١٥	نكبات الشام
٠١٢	دليل الاحداث ترجمان عربي وفرنسوي وانكليزي
٠١٥	فضائل الماسونية
١٠	الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية
٠١٠	الآداب الماسونية

قرش صاغ	
٠١٠	الاسرار الخفية في الجمعية الماسونية
٠١٠	الكنز المصون في درجات الماسون
٠١٠	الاميرة المصرية
٠١٠	سفر السلام في بلاد الشام
٠١٠	اعمال المجمع العلمي الشرقي
٠١٠	رواية ما تفعله اليوم تلقاهُ غداً
٠١٠	الحقيقة لاثبات مذهب دارون
٠١٠	رواية الطواف حول الارض
٠٠٨	قواعد الصحة للدكتور ورتبات
٠٠٧	الحلى الفيروزية ترجمان انكليزي وعربي
٠٠٧	المبادي الاسهبة ترجمان عربي وفرنسوي
٠٠٦	الاهوية والمياه والبلدان لابقراط
٠٠٥	رواية المعتمد
٠٠٣	مدخل الطلاب في علم الحساب
٠٠٣	المنتخب
٠٠١	العادة

تقرير اللورد كرومر

اصدرت ادارة المقطم تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٢ وهو اجل تاريخ لهما في تلك السنة حاوٍ اصدق الوقائع واشهر الحقائق التي تدل على تقدم الاصلاح فيهما وقد طبع بحرف جميل على ورق جيد فجاء اكبر من كل ما تقدمهُ من التقارير. ويطلب من مطبعة المقتطف ووكلائهِ في الجهات وثمن النسخة منهُ ٥ غروش صاغ تدفع سلفاً



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلَّد الثامن والعشرون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفًا

الجزء الحادي عشر

نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXVIII.

No. 11 November 1903.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt

الكتب الآتية تطلب من ادارة المقتطف واثمانها المذكورة هنا هي بالغرش الصاغ المصري وهو جزء من مئة من الجنيه المصري والجنيه المصري يعدل ٢٦ فرنكاً

.٥٠	المجلد الاول من المقتطف
.٥٠	" الثاني " "
.٥٠	" الثالث " "
.٥٠	" الرابع " "
.٥٠	" الخامس " "
١.٥	" السادس " "
١.٥	" السابع " "
١.٥	" الثامن " "
١.٥	" التاسع " "
١.٥	" العاشر " "
١.٥	" الحادي عشر " "
١.٥	" الثاني عشر " "
١.٥	" الثالث عشر " "
١.٥	" الرابع عشر " "
١.٥	" الخامس عشر " "
١.٥	" السادس عشر " "
١.٥	" السابع عشر " "
١.٥	" الثامن عشر " "
١.٥	" التاسع عشر " "
١.٥	" العشرون " "
١.٥	" الحادي والعشرون " "
١.٥	" الثاني والعشرون " "
١.٥	" الثالث والعشرون " "

١.٥	المجلد ٢٤ و٢٥ من المقتطف
١.٥	" ٢٦ " "
١.٥	" ٢٧ " "
.٥٠	" الثامن صغيرًا " "
.٥٠	المجلد الاول من اللطائف
.٥٠	" الثاني " "
.٥٠	" الثالث " "
.٥٠	" الرابع " "
.٥٠	" الخامس " "
.٥٠	" السادس " "
.٥٠	" السابع " "
.٥٠	" الثامن " "
.٥٠	" التاسع " "
.٦٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي
.٤٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي وانكليزي وعربي
.٢٠	حضارة الاسلام في دار السلام
.١٥	سر النجاح الجزء الاول
.١٠	تاريخ الحرب السودانية
.١٠	رواية الشهامة والعفاف
.٠٦	رواية قلب الاسد
.١٠	رواية كورين
.٠٥	فصول ابقراط

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٢١

رباعيات ابي العلاء

THE QUATRAINS OF ABU'L ALA.

اذا ظهر عند الافرنج كتاب وقع عندهم وقعاً عظيماً لقَّبهُ مقرظوهُ بكتاب الشهر تنويهاً بذكرهِ . والكتاب الذي امامنا الآن يحق ان ينعت هذا النعت فقد وقع احسن وقْع عند ابناء اللغة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان الفضل يعرفهُ ذووهُ والمعري في الطبقة العليا بين حكماء الشعراء الذين غاصت عقولهم في بحار المعاني فالتقطت منها الدرر الغوالي وتجلَّت لهم اسرار الحكمة فانارت بصائرهم وفاض شعاعها الروحاني من نفوسهم . ولأن ادباء الافرنج من اوربيين واميركيين يقدرون الفضلاء قدرهم ولو كانوا غرباء عنهم وتتعشَّق نفوسهم حكم الحكماء حتى تكاد تتعبَّد لها بل قد قام منهم مَن انزل عُمَر الخيَّام الشاعر الفارسي منزلة الانبياء الملهمين وانشأ طريقة يتلو اصحابها اشعارهُ كما يتلون الآيات المنزلة

ولم يكن عُمَر الخيام الَّا تابعاً لابي العلاء المعري مقتبساً منهُ او ناسجاً على منوالهِ ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية الَّا الآن حينما هزَّت الاريحيَّة وطنينا الاديب امين افندي ريحاني اللبناني مولداً الاميركي داراً فقد برع في اللغة الانكليزية وجلَّى فيها نثراً ونظماً فوق براعتهِ في لغتهِ العربيَّة فنقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي العلاء نظمها نظماً رائقاً بعد ان الَّف بينها واوجز واطنب وتصرَّف في التعبير عن المعاني كما سيجيء وقدَّم لها مقدمة بليغة قال فيها ما ترجمتهُ

"لما كانت اوربا كلها تعدُّ الاسلحة وتعبئ الميرة لحرب الصليب الاولى واهالي الشمال يدوخون الاقاليم الغربية والخلفاء يثخنون في الخارجين عليهم كان ابو العلاء يثير حرب الاقلام على

ما في عصره من الشرور والاباطيل فحمل على الخرافات والاحاديث الموضوعة ونادى بوجوب الخضوع لسلطان العقل وطعن كبد الظلم والاستبداد طعنات صادقات ونادى بحريَّة الضمير وسمو النفس فوق مطامع الحكام . وقال بوجوب المساواة وبيَّن معايب الرؤساء ديناً ودنيا

"نشأ هذا الرجل في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر وقد جهل الاوربيون امرهُ كل هذا الزمن ولم يذكرهُ كتَّاب العربيَّة الَّا نادرًا

"ابو العلاء المعري لقريطيوس الاسلام وديوجنس العرب وڤولتير المشرق(١) ولد في ربيع سنة ٩٧٤ للميلاد ومسقط رأسهُ قرية صغيرة على مقربة من حلب"

وافاض على هذا الاسلوب في ترجمة ابي العلاء وقال انهُ كان اكبر فلاسفة عصره وفضَّلهُ على ابن سينا ووصفهُ بحرية الضمير والانتصار للحق والبعد عن الرياء . وان الاشعار التي ترجمها الى الانكليزية انتقاها من دواوينه الثلاثة سقط الزند وضوء السقط واللزوميات واضطرَّ ان يتصرَّف فيها تصرفًا لا يخرجها عن مراد ابي العلاء . ثم اشار الى ما بينها وبين رباعيات عمر الخيام من المشابهة . ومن رأيه ان عمر الخيام كان تلميذًا لابي العلاء او نقل عنهُ او اقتدى بهِ. واستدرك على ذلك قائلاً انهُ لا يقصد من تبيان هذا الامر ان يزعزع ثقة مريدي عمر الخيام بهِ ولا هو من اهل الغرور حتى يطمع بذلك بعد ان رسخ الاعتقاد بعمر الخيام في نفوس مريديهِ وانما هو يقصد ان يقوي تأثير الشرق في عقول اهل الغرب لا ان ينقصهُ وان يزيد قدرهُ لا ان ينقصهُ الى ان قال

"على ان الذي يقابل شعر عمر الخيام بما ترجمتهُ هنا يرى ان شكوكهُ وظنونهُ مقتبسة من ابي العلاء . فأبو العلاء فيلسوف شعراء العرب جاهر بآرائهِ الدينية مجاهرة قصر دونها الشاعر الفارسي . ولست اقول ان عمر الخيام انتحل معاني ابي العلاء بل اقول انهُ استعارها منهُ كما

---

(١) [المقتطف] لقريطيوس شاعر رومالي نشأ في القرن الاول من التاريخ المسيحي ضمن اشعاره فلسفة ديموقريطس وابيقورس في اصل العالم وطعن في الاديان ونفى الخلود وقال ان الموجودات كلها مؤلفة من جواهر دقيقة منبثة في الكون والعقل والنفس والحياة لا تقوم بغير الجسد بل هي اجزاء منهُ كاليدين والرجلين وتنحلُّ بانحلالهِ وان الامراض ناتجة عن ذرَّات صغيرة منتشرة في الهواء وان انواع الحيوان مشتق بعضها من بعض بالنشوء

وديوجنس هو الفيلسوف الكلبي المشهور بالزهد ولد في بنطس سنة ٤١٢ قبل المسيح ونشأ في اثينا وتوفي في كورنثس وهو الذي قابلهُ الاسكندر المكدوني وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ «حد من شمسي» فقال الاسكندر لو لم اكن الاسكندر لوددت ان اكون ديوجنس

وڤولتير هو الفيلسوف الفرنسوي المشهور

استعار فولتير معظم آرائهِ الحرة وشكوكهِ في الدين من هوبس ولوك وبايل "

وقد ترجم ونظم مئة وستة وعشرين من هذه الرباعيات وطبع الترجمة الانكليزية والحق بها بعض الحواشي ولم ينشر معها الاصل العربي ليسهل على القارئ والمنتقد المقابلة بينهما. و يظهر مقدار ما تصرف فيهِ او راعى الاصل او زاد عليهِ من الامثلة التالية وقد نشرناها حسب ورودها في ترجمتهِ وقدَّمنا عليها عدد الصفحة التي نشرت فيها

صاحِ هذه قبورنا تملأُ الر حب فاين القبور من عهد عادِ

12 Behold, O, friend, our tombs engulf the land,
Our fathers' corses moulder in the sand;
From Aad's time where and how many are the graves?
Has not this sea of Death a Cliff, a strand?

فتوسع في الترجمة بما لا يخرج عن مراد المعري وما ذكرهُ في اماكن اخرى من ديوانهِ وزاد عليهِ معنًى قلما يخطر على بال اهل البادية وهو ان بحر الموت لا ساحل لهُ ولا صخر يوقف عليهِ

خفف الوطء ما اظنُّ اديم الا رض الاَّ من هذه الاجسادِ

14 Tread lightly, for a thousand hearts unseen
Might now be beating in this misty green;
Here are the herbs that once were pretty cheeks,
Here the remains of those that once have been.

وهنا زاد توسع المترجم ولم يكتفِ بجعل اديم الارض من اجساد الناس بل قال ان قلوبهم لا تزال تخفق تحت ثراها وان بقولها تكونت من وجنات الحسان

ربَّ لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الاضدادِ

15 Many a Grave embraces friend and foe,
And grins in scorn at this most sorry show;
A multitude of corses therein pressed—
Alas! Time almost reaps e'er he doth sow!

وزاد المترجم هنا معنى بديعًا وهو ان الدهر يكاد يحصد قبلما يزرع لسرعة ما يختطف النفوس

تعب كلها الحياة فما اعجب الاَّ من راغب في ازديادِ

16 The warp and woof of Life are woe and gloom;
The Cup is bitter; endless pain the doom:
Strange then that he should weave, that he should drink,
Who knows well how to smash both Cup and Loom!

عبَّر المترجم عن معنى المعري تعبيرًا فائقًا في بلاغتهِ فقال ان سدى الحياة ولحمتها ويل وغمٌّ كأْسها مرة وقضاؤُها أَلم مقيم فاعجبْ لمن ينسج على نولها و يشرب من كاسها وهو يعلم كيف يحطم الكاس والنول معاً

انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او فسادِ
ضجعة الموت رقدة يستريح — الجسم فيها والعيش مثل السهادِ

18 We're only moved from this all battered Tent
To some abode of peace, by accident;
A night of deep sleep and repose is Death,
While in Life's day this Sleep by Care is rent.

والترجمة هنا قلما تفرق عن الاصل الاَّ في الشطر الاخير

كل بيت للهدم ما بنت الور قاء والسيد الرفيع العمادِ

19 Every abode to Ruin is addrest,
Be it a palace or a sparrow's nest;
Let not the mighty build, for they must go,
Like that fair dove, with what they built, to rest.

وقد توسع في الترجمة فزاد المراد جلاءً ولكنهُ لم يزدهُ معنى

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان المقابر ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كاننا زجاج ولكن لا يعادلهُ سبكُ

35 I laugh and lo! my shafts of scorn doth leap
On Adam's sons, who all by right should weep;
Doubt crushes us like glass, and even the hope
Of restoration lost is in the heap.

والترجمة مطابقة للاصل مطابقة حسنة

افيقوا افيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكر من القدماء

ارادوا بها جمع الحطام فادركوا   وبادوا وماتت سنة اللؤماء

50 Awake, awake, thou pious dupes, awake!
And see how all the creeds and cults do shake:
These are the jades the wily ancients rode
Upon the track of Life, to win their stake.

والترجمة مطابقة الاصل على قدر ما يستطاع

يرتجي الناس ان يقوم امامٌ   ناطقٌ في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى   العقل مشيرًا في صبحهِ والمساء

52 Their vices 'neath the veil of Faith they hide,
And thus parade them, with unbridled pride;
Our reason we abuse, when we believe
Their Lies, and Reason is the only guide.

السطران الاوّلان تقابلهما ابيات اخرى للمعري والسطران الاخيران مطابقان للبيت الاخير من الاصل ومن المحتمل ان الترجمة لابيات اخرى لم تحضرنا عند كتابة هذه السطور

يقولون ان الدهر قد حان موتهُ   ولم يبقَ في الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءهُ   فلا تسمعوا من كاذب الزعماء

55 Howbeit these sages say, "The end is here,"
That death will take the worlds, afar and near;
They lie about the universe, and—well,
Heed not their threats, and yield thou not to fear.

والترجمة تكاد تكون حرفية

اذا قلت المحال رفعت صوتي   وان قلت الصحيح اطلت همسي

60 Aye, Wrong forever is proclaimed aloud,
And strongly yoked upon a boundless crowd:
But Truth is only whispered to the few,
Who bury it alive without a shroud.

وفي الترجمة توسّع في المعنى وزيادة في الايضاح ولعلها مأخوذة من ابيات اخرى

ونار ان نفخت بها اضاءت   ولكن انت تنفخ في رمادِ

لقد اسمعت لو ناديت حيًّا   ولكن لا حياة لمن تنادي

110 Fan thou the fire and then behold the light!
Fan thou but ashes and bemoan thy sight:
Call thou the living and they will respond,
But whom thou callest are as dead as Night.

كاد تكون حرفية ايضاً ولا نظن البيتين للمعري

هذا وقد اجاد الناظم غاية الاجادة في النظم وسبك المعاني في قوالب انكليزيَّة فصيحة كاحسن الشعر عذوبة وبلاغة . والكتاب كلهُ يشهد لهُ بالسبق في حلبة الانكليزية وجودة النظم فيها وهو غريب عنها . ويدل على ان الشرقي ليس دون الغربي في ذكائهِ وقوة عقلهِ وخيالهِ واستعدادهِ الفطري اذا تيسرت لهُ الوسائط لاظهار مزاياهُ

وقد طبع دبلداي وباج وشركاؤهم (1) هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا ولا يبعد ان يقبل قراء الانكليزية عليهِ اقبالهم على اشعار عمر الخيام او اكثر لان معاني المعري اوضح بياناً واعلق بالنفوس وعبارتهُ انزه واعف . وحبذا لو اعاد المترجم الكرة على دواوين المعري فانهُ يجد فيها درراً أُخرى تعدُّ بالمئات يحسن نظمها مع ما اختارهُ منها الآن

غرائب الشعوذة

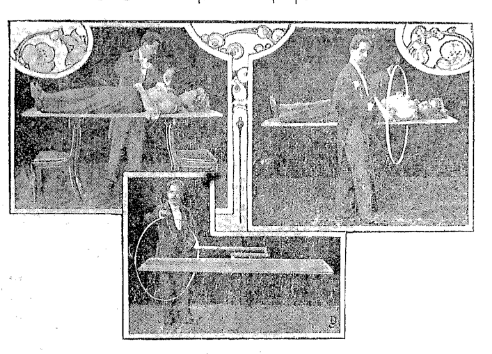
وعدنا في الجزء الماضي ان نتكلَّم على ارتفاع الانسان في الهواء وخروجهِ من الصندوق المقفل وانجازاً لذلك نقول

ان رفع الانسان بغير قوة ظاهرة وتركهُ في الهواء غير معلَّق بشيءٍ وغير مسند الى شيءٍ مما تحار فيهِ العقول لانهُ مناقض لاختبار الناس . وقد رأينا احد المشعوذين يفعل ذلك في هذه العاصمة وشاهدنا الدهشة البادية على وجوه الذين رأوهُ وكانوا يعدُّون بالمئات ونحن نعجب بمهارتهِ ونكشف للجلوس معنا سرَّ صناعتهِ وهم لا يكادون يصدقون

اتى بكرسيين من الكراسي العادية واوقفهما الواحد تجاه الآخر والبعد بينهما نحو متر ووضع عليهما لوحاً عريضاً متيناً ودنت منهُ فتاة حسناءُ فانهضها بيديهِ والقاها على اللوح فاستلقت عليهِ وجعل يشير بيديهِ فوقها كما يفعل المنوّمون فاغمضت عينيها وتناومت وحسب الحضور

(1) Doubleday, Page & Company 34 Union Square New York

انها نامت النوم المغنطيسي وكان وراء الكراسي ستار اسود فظهرت امامهُ ظهورًا واضحًا فوقف امامها وجعل يرفع يديها ويتركهما فتقعان كأنهما يدي فتاة ميتة او مستغرقة في النوم ثم رفع الكرسيين من تحت اللوح فبقي اللوح في الهواء والفتاة نائمة عليهِ . فصفَّق لهُ الحضور وكرروا التصفيق واكثرهم لا يشك ان اللوح والفتاة معلقان في الهواء لانهم لم يكونوا يرون شيئًا يرفعهما من فوق او يسندهما من تحت. ثم احضر المشعوذ اطارًا من الحديد الصقيل واداره على الحضور فرأَوا انهُ متصل لا خلل فيهِ . مثل كل المشعوذين يرونك ما لا حاجة بك الى رؤْيتهِ ويخفون عنك ما لو رأيتهُ لا نكشف لك امرهم ثم عاد الى امام الفتاة وجعل يمرُّ الاطار حولها وحول



اللوح من رأْسها الى قدميها ومن قدميها الى رأْسها ذهابًا وايابًا لكي ينفي كل ظن باعتماد اللوح على شيءٍ غير منظور او تعلقهِ باسلاك غير منظورة فاعاد الحضور التصفيق والاستغراب ثم اعاد الكرسيين الى تحت اللوح وايقظ الفتاة وانزلها عنهُ واستدعى بعض الحضور فصعدوا اليهِ ودققوا نظرهم في اللوح والكرسيين فلم يروا شيئًا يدلُّ على كيفية ثبوتهِ في الهواء والفتاة نائمة عليهِ من غير ان يسندهُ شيءٌ

ويتضح كل ذلك من النظر الى الصور الثلاث المتقدمة فترى في اليسرى منها صورة الفتاة نائمة على اللوح وتحتهُ كرسيان يسندانهِ والمشعوذ واقف وراءها وهو لا يزال يشير بيديهِ وفي الصورة الثانية اللوح في الهواء لا شيءَ يسندهُ والفتاة نائمة عليهِ والمشعوذ يمرُّ الاطار حولها وحولهُ وفي الثالثة طريقة هذه الحيلة

د ب ا ج

وتعليل ذلك ان وراء الستار آلة تسير على عجل فيها قضيب متين من الحديد لهُ عطفتان كما ترى عند الحرفين ج ود فينفذ من فتحة في الستار ويوضع طرفهُ العريض المدلول عليهِ بالحرفين ا ب تحت اللوح فيستند اللوح عليهِ حتى اذا نزع الكرسيان من تحت اللوح بقي مستندًا على هذا القضيب ولا يظهر شيءٌ منهُ لانهُ يكون وراء النائمة . ثم يجعل المشعوذ يمرُّ الاطار حول اللوح من رأسها الى قدميها الى ان يصل الى النقطة ج ومن قدميها الى رأسها الى ان يصل الى النقطة د فيظهر كانهُ امرَّهُ من جهة الى اخرى واثبت للحضور ان لا شيءَ يسند اللوح من ورائهِ . ثم يضع الكرسيين تحت اللوح و يعاد القضيب الحديدي الى وراء الستار

وخروج الانسان من الصندوق المقفل ليس اقل غرابة من هذه الحيلة فان المشعوذ يأتي بصندوق كبير محدَّد ويدعو الحضور ليصعدوا الى الدكة ويمعنوا نظرهم فيهِ فيرونهُ مثل الصناديق العادية من كل وجهٍ لا يفرق عنها الاَّ في ثقوب صغيرة يدخل منها الهواء الى الرجل الذي يوضع فيهِ فلا يموت اختناقًا . ويأتي مساعد المشعوذ بكيس كبير من الجنفيص ويريهِ ايضًا لمن يريد ان يراهُ من الحضور ثم يدخل فيهِ ويربطهُ المشعوذ من فتحتهِ بخيط متين و يعقد الخيط ويختمهُ بالشمع الاحمر بخاتم احد الحضور و يضع الكيس والرجل فيهِ في الصندوق ويقفلهُ ويربطهُ بحبل متين ويختمهُ ايضًا و يستعين ببعض الحضور على ربطهِ وختمهِ. ثم يلقي عليهِ ستارًا كبيرًا ويتركهُ بضع دقائق متظاهرًا انهُ انشغل عنهُ بغيرهِ ويعود اليهِ ويرفع الستار عنهُ فاذا هو في محلهِ والرجل الذي كان فيهِ جالس عليهِ والكيس الى جانبهِ . فيستدعي الذين ساعدوهُ في ربط الصندوق والكيس ليروهما فاذا الصندوق لا يزال مربوطًا كما كان فيفكهُ ويفتحهُ فلا يجد فيهِ شيئًا والكيس الذي كان الرجل فيهِ يبقى مربوطًا ومختومًا كما كان

وتفسير هذه الحيلة ان يكون مع المشعوذ خابور كبير مغطًّى بالجنفيص فاذا ضمَّ فم الكيس ليربطهُ وضع الخابور بين الطيَّات ولف الخيط عليها حتى اذا وضع الكيس في الصندوق نزع الرجل الذي فيهِ الخابور من بين الطيات فينحل الرباط من نفسهِ ويخرج الرجل من الكيس وفي احد جوانب الصندوق محور قرب وسطهِ يدور ذلك الجانب عليهِ وهو ممكن في احد طرفيهِ بزر مرن فاذا ضغط عليهِ انفتح ودار الجانب على محورهِ فيخرج الرجل منهُ بسهولة ويخرج الكيس معهُ ويرد الرباط الى حول فمهِ ويضع فيهِ الخابور فيظهر كما كان اولاً حينما رُبط . ولا اشكال في ذلك لكن مَن لم يطَّلع على هذا الايضاح يتعذَّر عليهِ ان يكتشف بنفسهِ حيلة المشعوذ

العربية والمدرسة الكلية

اي تاريخ اللغة العربية وآدابها في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت وهي خطبة للاستاذ جبر ضومط تلاها في الاحتفال بتنصيب رئيس المدرسة الجديد في شهر مايو الماضي

ايها الاخوة والرفاق الاعزاء

اشتهرت مدرستنا الكلية اشتهارًا طبق آفاق الشام ومصر وتجاوزهما الى العراقين واسيا الصغرى وجزر المتوسط . اما في الشام ومصر فبلغت فيهما شهرتها مكانًا لا تدانيها فيهِ مدرسة اخرى من بقية المدارس الشامية على قدم عهدها وبعد شهرتها في العلوم والآداب

ولا يخفى ان معظم هذه الشهرة انما كان في اللغة العربية وآدابها وذلك لما اشتهر بهِ ابناؤُها من التقدُّم في الكتابة والخطابة والتأليف في العربية . على اني وان قلت ان شهرة ابنائها انما كانت في اللغة العربية فلا اعني ان العربية مجرَّدةً عن غيرها من العلوم والمعارف كانت السبب الوحيد في تلك الشهرة انما اعني انها كانت آلةً ظهر بها فضلهم وما عندهم من المعارف والعلوم فظهرت من ثمَّ شهرتهم وشهرة مدرستهم معًا

وبيانهُ ان المعارف والعلوم التي كانت ولا تزال عمدة دروس هذه المدرسة هذَّبت من استعداد ابنائها الشخصيّ وقوَّت من مداركهم العاقلة بما زادتهم من العلم بحقائق الامور فجعلتهم من ثمَّ اكفاءً للمراكز التي اشغلوها بعد خروجهم منها . وهذا اي العلم بحقائق الامور هو اساس الشهرة الحقيقية وركنها المتين الذي تستند اليهِ فإن ظهر للناس واستفادوا من من اهلهِ ظهرت شهرتهم والاَّ فان بقي مدفونًا في صدورهم لم يكن لهم من الشهرة الاَّ ما يعلمهُ عنهم معاملوهم من كفاءتهم في الاعمال لاغير . وممَّا هو معلوم ان علم ابناء هذه الكلية لم يبقَ مدفونًا في صدورهم بل ظهر كتابةً وخطابةً وتعليمًا في المدارس ومن على المنابر وذاع عنهم في البلاد شرقًا وغربًا فذاعت معهُ شهرتهم وعرف الناس فضلهم وفضل مدرستهم لوقتٍ قصيرٍ من تأسيسها . والراجح انهُ لولا العربية لكانت شهرة هذه المدرسة وشهرة ابنائها على غير ما هي عليهِ الآن ولاقتصرت فائدتها على تهذيب تلامذتها الشخصي فقط من غير ان تتعدَّاهُ الى زيادة تذكر في سبيل الشهرة ونشر المعارف في البلاد عمومًا

ايها الاخوة والرفاق ليس من غرضي ان اطريكم الآن ففضلكم اعظم من ان يُشهرهُ إطرائي وكفاءتكم في الاعمال وعلمكم بحقائق الامور والوجود اعلى من ان تذيعهُ كلماتي بل انتم اعرف في بلادكم وامتكم من ان تحتاجوا الى مديحي وتعريفي ومدرستكم هذه التي تفتخرون بها اصبحت

والحمد لله بحيث لا يجهلها الاَّ الغبيُّ الجاهل ولايختلف في فضلها وتفضيلها على غيرها الاَّ الحاسد والمكابر. وعليهِ فاذا قلت ان اخواني من ابناء هذه المدرسة اشتهروا في الكتابة والتأليف فلا اعني انهُ لم يقم كاتب الاَّ منهم ولا مؤلف الاَّ درس في مدرستهم بل يلذ لي التصريح على مسمع منكم ان هنالك كثيرين من ارباب الاقلام واصحاب التآليف ممَّن درسوا في غير مدرستنا وتعلموا على غير اساتذتنا والاعتراف بذلك لا يقدح في فضلنا ولا ينقص من شهرتنا ولا من شهرة مدرستنا بل نحن اوَّل من يُفاخر بفضل هؤلاء العلماء الاعلام ويشهد ببلاغة يراعهم ويقرُّ بسعة علمهم واطلاعهم كما انهم كانوا من الذين عرفوا قدر مدرستنا واثنوا عليها وعلى ابنائها وكانوا ولا يزالون ممن يعجبون بها وبمبادئها وما زالوا ولن يزالوا عضدًا لها واخوانًا لابنائها وجهتهم واحدة وغرضهم واحد السعي في تقدم البلاد وزفع منار العلم والفضيلة. وقد آن لي ان ابدأ بموضوعي وهو

اللغة العربية في مدرستنا الكلية منذ اول نشأتها الى اليوم. وسأتحرَّى فيهِ بسط الحقيقة كما هي على قدر ما يسمح لي بهِ الوقت

ارى ان تاريخ هذه اللغة يقسم الى ثلاث مدات. (الاولى) مدة غلبة اللغة العربية وخمول الانكليزيَّة. (الثانية) مدة غلبة اللغة الانكليزية وخمول العربية. (الثالثة) مدة غلبة اللغة الانكليزية وانتعاش اللغة العربية وذلك باقبال الطلبة عليها ورغبتهم فيها كما هو الحال عليهِ الآن

امَّا المدة الاولى فتبتدئُ بابتداء المدرسة سنة ١٨٦٦ وتنتهي سنة ثمانين ويجوز لنا ان نسميها بالعصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية وذلك لانها اي العربية كانت لغة المدرسة وبها كانت تدرَّس كل فروع العلوم في قسميها العلمي والطبي فضلاً عن علوم اللغة الخاصَّة من صرف ونحو وبيان وبديع وعروض وقافية ولم تكن اللغة الانكليزية شيئًا مذكورًا بل قد كان يخيَّر بينها وبين اللغة الفرنساوية وربما تجافى الكثيرون عن درسها واستعاضوا عنها بدرس الفرنساوية

امَّا المدة الثانية فتبتدئُ سنة ثمانين وتنتهي على ما ارجّح سنة تسعين او حواليها وفي هذه المدة غلبت اللغة الانكليزية على العربية فاخذت محلها واصبحت العربية من ذلك الحين الى الآن فرعًا بعد ان كانت اصلاً فأُهمل فيها تدريس العلوم جملة اولاً في القسم العلمي ثم في القسم الطبيّ والصيدلي وفي نحو هذا الوقت تمَّ تشكيل الدائرة الاستعدادية باللغة الانكليزية ايضًا فتم لهذه الفوز واصبحت سائدة ترفل في مطارف غلبتها وظهورها وانخنست (وانسحبت) العربية عن مواقف عزّها على منابر العلوم والفنون الى زاوية علومها الخاصَّة بها الصرف والنحو

وما والاها . فلما صارت الى هذه الحالة واديل عنها الى الانكليزية انصرفت النفوس عنها وضجر المتعلمون منها فرأوها طويلة الذيول لكن على غير طائل وكثيرة الشروح ولكن لا تشرح صدراً. ومن نكد طالعها انَّ المتعلمين كانوا قلَّما يفرقون بين علوم اللغة الصرف والنحو والبيان وبين اللغة نفسها فيظنون انَّ العربية في شرح ابن عقيل والخضراوي وحاشية الصبَّان الاَّ الذين وفقهم الله وقليل ما هم . وبذلت عمدة المدرسة جهدها في ارجاع العربيَّة الى رونقها الاول فلم تستطع الى ذلك سبيلاً فان العوامل التي كانت تصرف النفوس عنها كانت اعظم من ان تقاوَم وتغلب لذلك الحين كما سنلمح الى ذلك ان شاء الله . وما زالت الخواطر منصرفةً عنها الى ان تمَّ ما كُتب عليها من ايام الشدة والبؤس. ولما انقضت تلك الايام اخذت تنتعش شيئًا فشيئًا وكانت الخطوة الاولى التي خطتها نحو التقدم في ايام الاخوين الكريمين عزتلو سعيد بك شقير ورفعتلو يوسف افندي الفتيموس فانهما اهتمَّا في تعليم هذه اللغة ووضعا كتابهما المشهور طيب العرف في علم الصرف ليدرّس في الاستعدادية ونسَّقاهُ تنسيقًا لم يسبقا اليهِ فيما نظن . ومزية هذا الكتاب انهُ يعلم قواعد اللغة واللغة معًا وذلك بما اودعا فيهِ من الالفاظ المختارة والجمل المنتقاة والقطع البليغة التي اخذاها من ثقات المؤلفين المشهود لهم بالبراعة والبلاغة

لكن مع كل ما بذلوهُ ما زالت النفوس نفوس الاهلين عمومًا ونفوس التلامذة خصوصًا منصرفةً عن العربية الى ما بعد سنة تسعين فاني جئت المدرسة معلمًا في هذه السنة واعلم ان بعض الآباء كتب الى ابنهِ في المدرسة في تلك السنة او في السنة التي بعدها يعنفهُ تعنيفًا شديدًا لانهُ كتب اليهِ في اللغة العربية دون الانكليزية. ومع انهُ يمكنني ان اقول ان انتباه التلامذة الى اهمية اللغة العربية ابتدأَ من ايام الاخوين المومى اليهما اقول ايضًا انهم اي التلامذة كانوا كمن انتبه من سبات ثقيل وظنَّ ان الفجر لا يزال بعيدًا فهو يحاول اليقظة تارةً ويعود الى النوم اخرى وما زالوا كذلك بضع سنين حتى جاءت سنة خمس وتسعين وحينئذٍ كانت الاستفاقة على اتمها فلم يرجعوا بعدها الى النوم . الآن النهضة الحديثة او تجدد الرغبة في العربية لم تبلغ غايتها الاَّ عند ما انتقلت الاستعدادية الى ابنيتها الجديدة وتولَّى ادارتها استاذنا الفاضل روبرت وست فانه بذل حينئذٍ غاية الجهد في ترقية شأن العربية في الاستعدادية فصرف ليالي كانت طوالاً يفكر ويروّي في المسألة وكثرت اجتماعات معلمي اللغة العربية في بيتهِ يتداولون ويتباحثون في افضل الطرق والوسائل لترقية شأن هذه اللغة الشريفة وما زالت اجتماعاتهم تتوالى حتى استقر رأي جميعهم على طريقة رسموا لها خطةً ما زالوا عليها

الى الآن ولا يزالون ومرمى هذه الطريقة الى اتقان اللغة العربية واتقان الكتابة فيها لا الى اتقان تعليلات اللغويين واستظهار مذاهب النحاة وفوق ذلك زادت ساعات التعليم وهذا من الاهمية بمكان فبدلاً من الاقتصار على تعليمها في السنة الرابعة والخامسة صارت تعلّم في كل السنين من السنة الاولى فما فوق . وهنا لا بدَّ لي من ان اثني اطيب الثناء على اهتمام استاذنا المشهور روبرت وست واتدرج من ذلك الى الثناء على عمدتنا الموقرة ودائرة مدبرينا الكرام فان اهتمام استاذنا المومى اليهِ انما كان عنواناً لاهتمامهم ورغبتهُ مظهرًا لرغبتهم ورغبة دائرة المدبرين في ترقية شأن هذه اللغة وتحبيب ابنائها بها . ولا يجوز لي ان اتغاضى عن الاشادة بغيرة ونشاط معلمي هذه اللغة في الاستعدادية في السنين المتأخرة واخص منهم بالذكر الاخوين بولس افندي خولي وانيس افندي راسي ومن قبلهما الاخوة لبيب افندي جريديني ونجيب افندي شاهين وخليل افندي ثابت وفارس افندي الخوري

واراني وصلت الى سؤَال لا بدَّ لي من ذكرهِ والجواب عليهِ والسؤَال هو "هل اصابت العمدة في استبدال اللغة العربية باللغة الانكليزية" فانهُ لا يصح لمن تصدَّى للخطابة في تاريخ اللغة العربية في مدرستنا من اول نشأتها الى حد هذه الساعة ان يغضي عن هذا الاستبدال المهم وعما اذا كان من قبيل الخطاء والضرر او من باب الاصابة والنفع لهذه المدرسة وابناء هذه المدرسة معاً

ارجح ايها الاخوة والرفاق الاعزاء ان كثيرين منكم يهولهم موقفي الذي انا فيهِ الآن لصعوبة التخلُّص في جواب السؤَال الذي سألتهُ وكانما اسمع من يقول ما كان اغناك عن هذا السؤَال فانك ان قلت اصابت العمدة في هذا الاستبدال كنت كمن يعارض الحقيقة في اعتقاد من يحبون العربية وينتصرون لها وان قلت غير ذلك واجهت اكثر الحضور ان لم يكن كلهم بما يكرهون في يوم عيدهم ومسرَّة قلوبهم

لا يهولكم حرج موقفي ايها الاخوة فاني ما دخلت هذا التيه الاَّ وقد نفضت جوانبهُ ورأيت اني مهتدٍ فيهِ انشاء الله وسأخرج منهُ بما يسرُّكم ويسرُّني ويزيد في بهجة ليلتنا هذه وسترون اني لا اقول الاَّ الحقّ الحقّ الذي اعتقدهُ واستطيع ان اقيم البرهان عليهِ ايضاً

قبل الحكم في هل اصابت عمدتنا الموقرة ودائرة امنائنا ومدبرينا في هذا الاستبدال ام اخطأُوا فيهِ لا بدَّ من النظر في غاية المدرسة والغرض الذي أُسست من اجلهِ فان كان الاستبدال يناسبهُ كان الاستبدال صوابًا وان كان يعارضهُ ويناقضهُ كان غلطاً لا مرية فيهِ فلنلتفت اذن الى غرض المدرسة وغايتها وهنا نقول من غير تردّد انهُ كان من غايتها ان تساعد

على نشر المعارف والعلوم العصرية بواسطة تلامذتها بين ابناء اللغة العربية ولا يزال هذا الغرض غرضها وهذه الغاية غايتها الى الآن والى ما شاء الله . وكون هذا يتم بالاشتغال بالكتابة في اللغة العربيَّة والخطابة والتعليم في المدارس ومن على المنابر امرٌ مقررٌ لا يماري فيهِ ممارٍ لوضوحهِ على انَّ ما ذكرناه انما هو من غرض المدرسة لا كلُّ غرضها ولو كان كل غرضها لكان يجب ان تكون قد اقفلت ابوابها منذ عشر سنين على الاقل لان عدد الذين نالوا شهادتها البكلوريَة لحد سنة ١٨٩٤ كان نحوًا من مئة وخمسين وعلى فرض انهُ لم يكن ثم مدرسة يخرج منها كاتب او مؤَلف الاَّ مدرستنا افتظنون ان سوريا كانت تكفي لتشغل هذا العدد . ان مطابع سوريَّا وجرائدها في نفس هذه السنة (وتعلمون انها صارت ضعف ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات) ليكفيها خمسون كاتبًا ومنشئًا ومؤَلفًا في اللغة العربيَّة فماذا نصنع بالمئة الباقين تقولون ليكونوا معلمين في المدارس ووعَّاظًا على المنابر . ايها الكرام الافاضل الذين في ايديكم ادارة المدارس من اميركان وانكليز أعندكم مئة مركز تعليم ووعظ تليق بمئة بكلوريوس يشغلونها ؟ انا اجيب عنكم . ان البكارسة لحد سنة ثمانين كانوا نحوًا من ستين ومن هؤلاء الستين رجع ثلاثون الى المدرسة ليدرسوا الطب فما معنى ذلك ؟ معناهُ انهم لم يجدوا مراكز تعليم ووعظ تناسبهم ويناسبونها ولو وجدوا تلك المراكز ما رجعوا الى طلب الطب على ما فيهِ من النفقات وتعب الدرس اربع سنين ليلاً ونهارًا

اذن ليس كل غرض المدرسة تهذيب تلامذتها لمجرد التعليم والوعظ والكتابة في اللغة العربية بل لها مع هذا الغرض غرض آخر اهم منهُ بمرَّات وهو غرض تهذيب التلامذة وتوسيع مداركهم واستعدادهم ليكونوا كفوءًا للاعمال المتنوعة من صناعة وتجارة وادارة وما شاكل وهذا الغرض بالنظر الى حالة البلاد وحاجتها الى اوربا واميركا يقتضي اتقان لغة اجنبية كما لا يخفى فضلاً عن ان اتقان لغة اجنبية اصبح ضروريًّا للمعلم والواعظ والكاتب والمؤَلف في نفس اللغة العربية والمشاهد اكبر دليل على صحة قولنا هذا . وعليهِ فلما رأَت عمدتنا ودائرة مدبريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكلوريوسًا وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سدّ حاجة البلاد الوقتية من جهة التعليم والوعظ والكتابة والتآليف ولاسيما اذا اضيف اليهم المتعلمون في بقية المدارس الاخرى الانجيلية كمدرسة كعبيه وسوق الغرب وصيدا وان ما زاد على هذا العدد ما لم يكونوا متقنين لغة اجنبية لا يجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالة على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية لكن

بدون اهمال العربية ولا تقصير فيها فقامت بذلك عظمة المدرسة الكلية الحالية ووصلت الى ما وصلت اليهِ الآن من كثرة عدد التلامذة وتقاطر عدد الطلاب اليها من سائر الجهات . فترون اذن ان استبدال العربية بالانكليزية كان صواباً لانهُ كان موافقاً لحاجة البلاد والتلامذة فضلاً عن انهُ موافق لغاية المدرسة وغرضها ايضاً ولو كان الوقت يسعني لبيَّنت ايضاً ان هذا الاستبدال على عكس ما يظنُّ فيهِ كان وسيكون وسيلة لتقدم اللغة العربية وزيادة غناها في العلوم والآداب

واما ما كان من انحطاط العربيَّة وخمولها في المدرسة ما بين سنة ثمانين وتسعين الى خمس وتسعين فلم يكن لاسباب خاصةٍ قدر ما كان لاسباب عامَّة تناولت البلاد كلها ومدارسها جملةً ومن بينها المدرسة الكليَّة واليكم بعضاً منها

(١) لان استبدال العربيَّة بالانكليزية لم يكن اعتباطاً بل كان عن شعور عمدة المدرسة وفقاً وتبعاً لشعور الاهلين والطلبة باهمية اللغة الانكليزية وشدَّة الحاجة اليها ولذلك فلما تمَّ الاستبدال انصرفت خواطر التلامذة الى الانكليزية على قدر شعورهم بالحاجة اليها وبالضرورة انصرفت خواطرهم عن العربيَّة ونقص من اهتمامهم بها

(٢) ما كان من الحوادث العرابية في مصر وما عقبها من الاحتلال الانكليزي في تلك البلاد وهي من امهات البلدان العربية فان تلك الحوادث وذلك الاحتلال استوقفا الابصار مدة وجفت لهُ في اثنائها قلوب اهل العربية عموماً وكتابها خصوصاً وتخوفوا عاقبتهُ على اللغة واهل اللغة معاً وقضت الحوادث على كثيرين من الكتاب والخطباء والبلغاء فاختبأ بعض ونُفي بعض والبقية اخذهم الذهول فوقفوا حيارى لا يدرون ما يصنعون وظنوا ان قد قضي على اقلام الكتاب في العربية ودارت عليها الدوائر ثم تبع ذلك حوادث السودان والمتمهدي فكثر الطلب على من يعرفون الانكليزية حتى اعوز وجودهم في مصر وكتب معتمد الدولة الانكليزية فيها الى قنصلها الجنرال في بيروت ان ارسل من وجدت ممن يعرفون الانكليزية تراجمةً . فأُرسل كثيرون برواتب شهرية كبيرة . وفيهم اناس لم ينالوا حظاً كافياً من العلم وانما كانوا يعرفون شيئاً من الانكليزية وتُرك من المتخرجين في العربية وآدابها وعلومها جماعة اماثل يشار اليهم بالبنان وهم يعضون اصابعهم ندماً على ما فاتهم من درس الانكليزية وكل ذلك لم يكن في زاوية ولا خفي عن تلامذة هذه الكلية لان بعضهم تركوا صفوفهم وذهبوا تراجمة الى مصر والسودان وقد قوي اعتقادهم في اهمية الانكليزية ونفعها وضعف على نسبة ذلك اعتقادهم في العربية بل شك كثيرون لذلك الحين في انها تقوى على ان تطعمهم خبزاً

(٣) ان كثيرين من اهالي لبنان وولايتي بيروت وسوريا كانوا قد انتبهوا الى المهاجرة وكثيرون منهم سافروا الى الولايات المتحدة وكندا واوستراليا فعرفوا اهمية اللغة الانكليزية وعدم انتفاعهم في تلك الديار بشيءٍ من اللغة العربية فزهدوا في هذه وحرصوا على اكتساب تلك ورغَّبوا فيها اقاربهم ومعارفهم

(٤) ان كثيرين من شبان اليونان بداعي ما حصل من التبدل في حكومة قبرص ومصر قصدوا المدرسة الكلية ولم يكونوا يقصدونها من قبل ليدرسوا اللغة الانكليزية فقط ورأى منهم شبان سوريا اهتماماً شديداً في درسها فزاد ذلك في توجيه خواطرهم الى اهميتها والى الحرص على اتقانها ونسوا اهمية العربية او تناسوها لكن الى حين ولم يكن والحمد لله طويلاً

ايها الاخوة والرفاق هذه هي الاسباب التي دعت الى خمول العربية وانصراف الخواطر عنها في البلاد ومدارس البلاد عموماً لكن لما كانت تلك الاسباب بعضها مقارن لاستبدال اللغة العربية في مدرستنا وبعضها لاحق بهِ شُبِّهَ على الاكثرين فتوهموا على خلاف الحقيقة ان مصاحب السبب هو السبب دونهُ

لكن الاحتلال الانكليزي لم يبتلع مصر ولا اللغة العربية في مصر ولم يلبث الامر طويلاً حتى انجلت غشاوة الوهم عن اعين الكثيرين فرأوا بعد الاحتلال مجالاً للعربية ولاقلام كتاب العربية اوسع من ذي قبل فاخذت الجرائد تكثر والمؤلفات تظهر وبان للملا اجمع ان العربية لا يستغنى عنها في البلاد العربية بل هي قوام الهيئة والجامع الذي يجمع بين افراد الامة وبها يتكلم المتكلم فيسمع صوتهُ اكثر من خمسين مليوناً من الناس

وزد على ذلك انَّ المهاجر الى البلاد الغربيَّة رأى حين رجع الى نفسهِ وذهبت عنهُ روعة المهاجرة ان العربيَّة هي الواسطة التي تربطهُ بشعبهِ وامتهِ وهي الموصل الذي يوصل افكارهُ واختباراتهِ وهو في الولايات المتحدة او غيرها من بلدان اميركا الشمالية وفي البرازيل او غيرها من بلدان اميركا الجنوبيَّة الى انحاء مصر والشام والعراقين والبلاد المغربيَّة حتى الى قلب افريقيا وبلاد العجم والهند كل هذه الحقائق اخذت تتجلَّى شيئاً فشيئاً لاذهان العقلاء والمتهذبين في العالم العربي ولا سيما في الشام ومصر فعادت الرغبة في العربيَّة الى المدارس عموماً والى مدرستنا الكلية خصوصاً واقبل تلامذتها على انشاء الجرائد العربية تحت مناظرة العمدة واستأذنوها في ذلك فأذنت لهم راضية باسمةً ونشطتهم بما استطاعت واول جريدة ظهرت في الكلية ظهرت سنة ١٨٩٥ . ثم توالى ظهور الجرائد من ذلك العهد الى الآن ومنذ سنة ٩٩ الى اليوم لم يقلّ

عدد الجرائد المدرسية عن ثلاث بعضها اسبوعي وبعضها يصدر كل خمسة عشر يوماً مرةً . ومن جرائد هذه السنة الحديقة وهي في سنتها الرابعة والحظ وهي في سنتها الثانية وحسناء الكلية وهي في سنتها الاولى . واعداد بعضٍ من هذه الجرائد لا تزال محفوظة في المكتبة مجلدة في كتاب تجليدًا حسنًا

وكما استأذن التلامذة عمدتنا الموقرة في انشاء الجرائد استأذنوها ايضاً في انشاء الجمعيات فاذنت لهم ونشطتهم حتى بلغ عدد جمعيّاتنا الثلاث عشرة جمعية منها واحدة في اليونانية وثلاث في الانكليزية وتسع باللغة العربية . ومن هذه التسع اثنتان انشئتا اثناء هذه السنة صدًى لتنشيطات رئيسنا الجديد المحبوب

هذه هي خلاصة تاريخ اللغة العربيّة في مدرستنا الكلية والذي رأيتموهُ وسمعتموهُ ممثل ما وصلنا اليهِ الى سنتنا هذه

والظواهر كلها تشير الى انَّا في اوائل نهضةٍ تقرُّ لها عيون ابناء الكلية ومحبيها ولا سيما رئيسنا الفاضل وعمدتنا المحبوبة ودائرة مدبرينا وامنائنا الكرام

ايها الاخوة ابناء العصر الذهبي في تاريخ اللغة العربية كنت أحبُّ ان اقابل بين حالة ذلك العصر والكتابة العربية فيهِ وبين حالة العصر الحالي والكتابة العربية فيهِ لكنَّ المقابلة فيها شيءٌ من الافتخار عليكم لانَّ لنا اشياء نعدّدها اليوم لم تكن لكم ولو فعلت وعدّدت ما يُرى انهُ لنا لاحتجتُ ابقاء لذلك العصر في مقامهِ السامي الى تعليلات كثيرة واعتبارات شتَّى ولذلك تركت المقابلة رأساً فحسب كل عصر انهُ ادّى ما عليهِ من الواجب وكان فخرًا لمدرستهِ وبلادهِ

كنت لحد هذه الساعة مؤرخًا لا مطريًا ولو اردت الاطراءَ لوجدتُ مكان القول ذا سعةٍ وحسبي اطراءً لرئيسنا المحبوب وعمدتنا الموقرة ما رأتهُ اعينكم في هذه العشية من نواب جمعيّاتنا واعداد جرائدنا وما سمعتهُ آذانكم من خُطب خطبائنا والسلام

جبر ضومط

السوري

من خطبة تليت في جمعية الشبيبة السورية في المدرسة الكلية ببيروت

يا زمانَ السعودِ والافلاحِ عمرك الله ما اعدتَ الزياره
أَبتاتًا طلَّقتَ هذي النواحي حين امستْ اخلاقها مستعاره
هل عزمتَ المقامَ في اوربَّا حيثُ خلتَ الهوا اصحَّ وانقى
واقمتَ المالكَ المعظمَ ربَّا فوجدتَ الورى هنالكَ اتقى
هل رأيت البلاد ثمة اخصبْ ووجدتَ السماءَ ابهى واصفى
هل رأيت السكان في الفضل ارغبْ وبذكرِ الجميلِ والعهدِ اوفى
ايُّ شيءٍ في الغربِ عنَّا ثناكا أَجمالٌ في الارض ام في البلادِ
كل نفسٍ منا ترومُ رضاكا فعلى مَ الجفا وطولُ التمادي
يا زمانَ الفلاح باللهِ قلْ لي من تجنّي عليك حتى ارتحلتا
من رأى فيك غير فضلٍ ونبلِ مَن توانى عن فعل ما قد امرتا
افساد في الارض ام في بنيها وحؤُول في الشمس ام في الكواكبْ
حالةٌ لا أَرى التوسُّعَ فيها مجديًا واللبيبُ مَن لا يحاسِبْ
آنَ يا اهل موطني ان نجانبْ كل ما يجلبُ الخمولَ علينا
غيرُنا شدَّ للمسيرِ الركائبْ وجميعًا بتنا نسيرُ الهوينا
ايُّ فوز للقاصرِ المتراخي ان تبارى مع القويّ المحنَّكْ
ايفيدُ الغريقَ كثرُ الصراخِ والاياديَ لنشلهِ لا تحرّكْ

ايها السادة والسيدات

يعلم الله وبضعة من خلقهِ اني ما اخذت على نفسي الكلام عن السوري في هذه الليلة الأَ قيامًا بطلب الجمعية . لانهُ مهما كان لهذا الموضوع من الاهمية في نظر التاريخ والسعة في جانب الحقائق فهو تافه مبتذل في نظر الكثيرين ضيّق المجال على الباحثين الصادقين والحالة كما تعرفونها انتم وانا . وفوق ذلك ان في المثول لدى هيئة سورية والتعريض او التصريح ببعض مساويها من خاطب يبغي رضاها لحرَجٌ لا يعرفهُ الاَّ من عاناهُ . يسمع البعض ما لا يروقهم ولا ينطبق على منتظرهم فيتقبَّضون ويتهاونون بالاصغاء غير ذاكري القول المأثور "لعلَّ لهُ عذرًا وانت تلومُ" والبعض لا يقف عند حد التهاون بالاصغاء بل يتعداهُ الى سهل

المبالغة في التخطئة والتفنيد — وهذه خلة شائعة بين الكثيرين فهم ينظرون الى القائل لا الى المقول ويحكمون كما يوافق اهواءهم لا كما يوافق الحقيقة

وعليهِ فان الداعي الماثل لديكم قد تدبر كل هذه الاشياء فرأى ضيق الموضوع وتفاهتهُ وخطر الخوض فيهِ واقدم بعد كل ذلك عليهِ لا عن هوان تعودهُ فسهل عليهِ بل ثقة بان في الهيئة الحاضرة من يعتبرون الحقيقة وما قالت واملاً بايراد شيء مفيد ولو لم يكن على جانب عظيم من الطلاوة . هذا ولم اتوخَّ في خطابي البحث التاريخي عن السوري ولم الم بتفصيل ما كان عليهِ في عهد الفينيقيين والكنعانيين والاراميين والاسرائيليين واليونان والرومان والعرب . ومن شاء ان يطلع على شيء من ذلك فليراجع التواريخ فيرى ما لا ينطق بهِ الآن لحرج الموقف وضيق المقام و يقف على ما كانت عليهِ تجارة السوريين وزراعتهم وصناعتهم وامارتهم وما بلغوا من العز والسؤدد وما اوردوا واصدروا وعلموا وعلّوا و كيف حكموا وحُكموا و بكلمة يرى درجتهم من الحضارة والعمران — احاديث يروقنا سماعها وترقص لها قلوبنا لاننا نرى فيها ما ينطق عن عظمة اسلافنا الغابرين فنتلهَّى بذكر الماضي ولا نمعن الاَّ في محاسنهِ فيشغلنا عن الاهتمام بالحاضر والنظر في تلافي مساويهِ

ولطالما سمعنا الخطباء والكتاب وصف حالتنا الغابرة وابرزوها بحلة من المعاني وحوك من المباني يعجز عن الاتيان بمثلها الكثيرون حتى اصبح قول بعضهم (بلادنا احسن البقاع تربة وهواء ... كنا اهل السطوة غير معارضين ... الى آخر ما هنالك) مأثورًا تتناقلهُ الالسن والاقلام

فيا ايها العاقلون ما الفائدة من ذكر الغابر اذا كان يزيد الصدر ضيقًا والنفس كمدًا . وما لنا وللماضي ولا مردَّ لهُ . ولم نغفل النظر في الحاضر وحسن المستقبل فيهِ . ماذا ينفعنا التباهي بالجدود واصلُ الفتى ما قد حصل . كفانا تبجُّحًا بذكر الماضي والمباهاة بالسلف فنحن في عصر لا يطول فيهِ رواج البضائع المستعارة ولا تفلح فيهِ الآراء المتقلبة ولا ينفع فيهِ الانقياد الاعمى

سبق القول ان مدار الكلام الليلة سيكون على السوري ابن القرن التاسع عشر وما بعدهُ لا ابن القرون الخوالي . وقد اتخذت الموضوع على اطلاقهِ لألمَّ بكل مهم من اطرافهِ واظهر السوري في مظهر مجمل تبين فيهِ محاسنهُ ومساويهِ فاحل عنهُ اللوم من جهة واكربهُ من اخرى حتى ينجلي المرمى الذي اتوخاهُ وما هو الاَّ نبيل ان شاء الله

السوري ابن القرن التاسع عشر غريب الاطوار والصفات . ترى فيهِ ما يدل على تسلسلهِ من الشعوب السامية ممزوجًا بما اكتسبهُ قديمًا وحديثًا من مخالطتهِ الشعوب الآرية فهو ديّن بالطبع يخاف الله حذِرٌ زكِن مِقراءٌ يكرم الضيف قنوع يميل الى الدعة والراحة ومقدامٌ عند

الحاجة قادر على الكد والعمل يأبى الهوان و يضرب في الآفاق تعيشاً . فلو تيسر لهُ والحالات هذه ان يتربي التربية العلميَّة ويتهذَّب التهذيب الصحيح ويفسح لقواهُ العقلية مجالاً تظهر فيهِ لنال السبقة في كل ميدان وادهش الاقران بمقدرتهِ ومآتيهِ

ولمَّا اصبح السوري منذ الربع الاخير من القرن الماضي الى الآن حلف الاسفار والتغرب والمخاطرة حتى قال فيهِ احد الشعراء المصريين

يضيق على السوري رحبُ بلادهِ   فيركبُ للاهوالِ ما هو راكبهْ

قلق الغيور على الوطنيَّة وخاف الدائب في جمع الكلمة وتأفف القيمون على مصالح البلاد لانهم رأوا في انتزاحهِ ضياع الوطنيَّة وتفريق الكلمة وتأخرًا في الزراعة والصناعة والتوالد . ثم قام ولاة الامور وشدَّدوا الاوامر على طالبي الانتزاح وضيقوا في وجوههم سبل السفر وتهددوهم بالعقوبات وعاقبوهم ولكنهم كانوا كأنهم يضربون في حديد بارد فواظب السوري على السفر والتغرب وطلب الرزق تحت كل جو من جواء المعمور واصبح السوريون اشتاتاً بين كل امة ولسان حتى كأن نبوة الكتاب شملت الاسرائيليين والسوريين ولا غرو فكلاهما من الاصل السامي

وكان الانتزاح بادئ بدء يتناول السوري الذي ضاقت عليهِ موارد الرزق وتهددهُ الاملاق وما زال كذلك حتى كثر عدد الشبان المتخرجين في المدارس العالية الحاصلين على درجات التهذيب الوافقين على حقوق الواجبات وواجبات الحقوق المتأهلين لتولي المناصب ومعاطاة الاعمال فخرجت عن استيعابهم البلاد لا بل حرجت صدورهم هم عن البقاء فيها وليس لهم من المصالح ما يكفل لهم حسن المعيشة وهناء البال . فسافروا مع من سافر ودأبوا مع مَن دأب وجروا مع من جرى وتوظفوا مع من توظف ودرسوا مع مَن درس وكانت النتيجة انهم سبقوا من جاراهم حتى صار واحدنا يتوق الى السفر تشبهاً بالكرام الذين سبقوهُ ولسان حالهِ ينشد

بلادي لا ارى فيكِ الاقامه   لمن يهوى التعزز والكرامه
فان ازمعتُ عنك البين يوماً   فقولي لي ترافقكَ السلامه
ابينُ ولا جفًا فيكونُ بيني   مواصلةً تطولُ بلا سآمه
ابينُ ورسمك المحبوبُ يبقى   على لوح الفؤاد الى القيامه
اريد لكِ العلى حتى تصيري   على وجنات هذى الارض شامه
اريد الحق ان يمسي حليفاً   لارباب المكانة والزعامه
اريد العلم ان يجري عيوناً   فيشفي كلنا منهُ أُوامه

اريد النور ان يمتدَّ فينا فينسخ من تعصبنا ظلامه
اريد اريد ان تفدى بلاد بها تجلى الجلالة والفخامه
وان طالتْ نوايَ فلا تقولي نآني ثم لم يحفظ ذمامه
فنفسي حيثما امضي اراها بسوريَّا العزيزةِ مستهامه
أأنسى جوَّك الصافي ومنهُ كسبت صفاء شعري وانسجامه
فكم راقبتُ فيهِ البدر يجري ولا كدرٌ هناك ولا غمامه
وصنّينُ القديمُ تحوطتهُ غييماتٌ فكانت كالعمامه
وبحر الروم منبسطُ المحيَّا يحيي البدرَ اذ لاقى تمامه
مظاهرُ تبهجُ الصبَّ المعنَّى وتذكرهُ بسلمى او بامامه
فيجلو بعضها عنهُ شجاهُ ولكن بعضها يذكي غرامه
وكم احييتُ ساعات طوالاً افكر في الحياة المستضامه
وكان بجانبي خلٌّ انيس يماشيني ويمحضني وئامه
يبادلني المنى ويقول صبرًا سيرضى دهرنا ونرى ابتسامه

ذريني يا بلادي للتنائي فلا حرجٌ عليَّ ولا ملامه
اسير الى اقاصي الارض وحدي اذا لم تحلُ لي فيكِ الاقامه
لقد غرستْ يمينك بي طباعًا لها من كل مكرمةٍ دعامه
عزيز النفس التقي كل صعبٍ ويقلقني الطفيفُ من الظلامه
يهون عليَّ ان القى المنايا ولا القى من الغرّ احتكامه
يهون عليَّ أن اسعى لرزقي وليس عليَّ الاَّ طاق خامه
ولا من يجتني سعيي اعتباطا وليس بطاقتي الشكوى امامه

ولا مراء ان انتزاح السوري كان باديءَ بدءٍ بحكم الاضطرار وكلما كان بحكم الاضطرار لا يوجه عليهِ اللوم والتفنيد . وعندي (ان كان لي عند) ان هذا الانتزاح سيطول امرهُ الى ما شاء الله ويعم الكثيرين كما هو مشاهد في ايامنا الحاضرة ولا ينقص معدلهُ الاَّ اذا استغنت البلاد وكثرت فيها موارد الرزق والتعيش وهذا ما لا يعيّن زمانهُ الاَّ من بيديهِ ملكوت السموات والارض

اذًا سافر ايها السوري النشيط ما استطعت الى السفر سبيلاً وانزح الى اية بلاد اردت على شرط ان تضع نصب عينيك سوريا العزيزة بجبالها وحزونها وهضابها وبطاحها وعيونها

وانهارها واشجارها واثمارها وتحنّ الى شمسها وقمرها ونجومها وتذكر صيفها وخريفها وشتاءها وربيعها وتشوق الى مسقط راسك الى العود الى مرابع طفولتك وصبوتك وفتوتك الى مقام اهلك وذوي قرابتك . ومتى يسّر لك الله رزقاً واحرزت من تغربك مالاً يسهل لك المعيشة في قومك فعد الى بلادك مكللاً بالفوز والنجاح حاملاً اليها الاختبارات المفيدة وعش فيها واسعَ لتعزيزها فانها في اشد الحاجة اليك ولا تفلح الاَّ بك وبامثالك من رجال المال والاعمال

واما ما ينادي بهِ بعض اهل الدين من ترك المال وترك السعي لهُ فانما يعنون بهِ شدة الولوع بالمال وتضحية قوى النفس جملة لمجرد تحصيلهِ واذخارهِ والاَّ ان كانوا يعنون ترك السعي لتحصيل المال الذي هو خير الذرائع لترقية البلاد فلا شك انهم يتعسفون في اقوالهم تعسفاً والآخذون بكلامهم مخدوعون اومخادعون

فيا ايها السوري يا من يتشكى من ضيق الاحوال ولسان حالهِ يقول

" ايشتكي الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على ارض من الذهبِ "

دع التشكي من الاحوال واعتقد بحكم بعضهم ان الرجال تُوجِد الاحوال وجدَّ وادأب وأقم لنفسك حالاً خاصة واملأها بالحركات ومتى ابطلت الحركة فليكن لسكون الليل واسترجاع القوى بالراحة والنوم واذكر ان الامانة اس النجاح فاتخذها مبدأً راسخاً في اعمالك ومعاملاتك وانا الكفيل لك بحسن الحال وانفراج الضيق

ومن نكد الطالع ان سوريا واقعة في نقطة متوسطة بين الامم التي تغلبت على المعمور بحيث يسهل الوصول اليها والجلاء عنها فكان كلما قويت شوكة قائد شرقيها او غربيها يزحف عليها ويجتاحها وينكل باهلها ثم يضرب عليهم الجزية ويرتحل وهكذا تغلب عليها الاشوريون والبابليون والفرس والمصريون واليونان والرومان والعرب وانتابتها الحروب وثارت فيها الفتن ومع هذا كلهِ حافظ اهلها على لغاتهم وعوائدهم ولم تقوَ امة من الامم الغالبة على ابتلاعهم وتجنيسهم بجنسيتها وما زالوا كذلك حتى ظهرت الدعوة الاسلامية في بلاد العرب وجمعت كلمة القبائل هناك فاندفعوا يفتحون البلدان ويخضعونها حتى افتتحوا سوريا مع ما افتتحوا ونشروا فيها اللغة العربية فامتدت وتأصلت وامتصت اللغات التي كانت شائعة على الالسن آنئذٍ في اقل من قرن وذلك لانها كانت لغة الامة الفاتحة وبنت عم اللغات الأُخر . فامتلك السوريون بتوحيد لغتهم قوة عظيمة من قوى الارتقاء الجنسي

فنحن والحمد لله قوم لهم لغة من اوسع اللغات واتقنها حتى قال فيها استاذ كبير من احدى مدارس اميركا الجامعة انهُ اذا كان من حق لغة ما ان تعيش وتنتشر وتعم المعمور لجودتها

واتقان مشتقاتها بحيث يمكن التعبير بها عن كل معنى دقيق فتلك اللغة هي العربية

ولنا شيء من العصبية ولا ينكر علينا احد اننا اهل سعي وجد ولكن يؤخذ علينا امور كثيرة منها ميلنا الى الترف رجالاً ونساء فقد تشبهنا بالاوربيين في انفاقهم ولم نتعلم منهم طرق الاقتصاد . ومنها ميلنا الى اللهو وقضاء الوقت الثمين في ما لا يجدي فترى الجماعات منا مجتمعين يلعبون بالورق او بالطاولة والزهر او يلهون بالاحاديث الفارغة . ومنها خوفنا من المجاهرة بالحق والتجاؤنا الى المجاملة والاطراء . ومنها التعصب المذهبي الراسخ في نفوسنا حتى غلبت الجامعات الدينية على كل جامعة جنسية او وطنية ولو في الذين لا يفكرون في مطالب الدين يوماً في حياتهم. ولو كان لنا دين واحد لما كان في الامر بأس ولكن لنا اديان كثيرة ومذاهب عديدة ففرقت بيننا الجامعات الدينية اشد تفريق

فاذا تغلبنا على هذه النقائص فابعدنا عن الترف ولم نعد نخشى ان نظهر فقراء ولم نعد نتظاهر بالغنى اذا كنا فقراء واعتدنا طرق الاقتصاد وعرفنا قيمة الوقت حتى صرنا نحرص عليهِ حرص البخيل على درهمهِ لا ننفقهُ جزافاً ولا نقتلهُ مجادلة ومساومة او تلهياً بما لا يجدي . واذا صرنا نجاهر بالحق ولا نخدع الحاكم بالاطراء ولو كان لا يستحق الاَّ اللوم. وفوق الكل اذا نزعنا التعصب الديني وحسبنا الناس كلهم اخواناً متساوين ولا يتفاضلون بالتعصُّب المذهبي بل بالاعمال الصالحة وصرنا نأبى الاصغاء الى كلام الاب او الام او الشيخ او القسيس اذا كنا نرى فيهِ تلوياً عن جادة الحق واجحافاً بحقوق الانسانية وتفريقاً في الجامعة الوطنية واضعافاً للهيئة الاجتماعية — اذا صرنا كذلك حق لنا ان ندعى امة من الامم الراقية مراقي النجاح

بقي عليَّ كلمة خاتمة وهي ان البلاد لا تقوى لها قائمة الاَّ بانتشار التعليم والتهذيب على الاصول الصحيحة التي توسع دائرة العقل والتصور وتعوّد الانسان على العمل والاكتساب . ولا ينتشر التعليم بدون انتشار المدارس ولا تنتشر المدارس بدون اقبال الناس عليها ولا يقبل الناس على المدارس ما لم يتبجحوا ويرغد عيشهم . وطالما نرى التعليم مقصوراً على الافراد القليلين وليس سوى حفظ مفردات لغوية وحقائق تاريخية او اتقان التكلم بلغة اوربية فما هو بالتعليم المفيد واضرارهُ في بلادنا اكثر من منافعهِ . اجارنا الله من كل من يزيد في تفريق كلمتنا ويعمل على اضعاف جنسيتنا

بولس الخولي

الامير فخر الدين المعني

(تابع ما قبلهُ)

مرَّت اربع سنوات والامير فخر الدين يترضَّي رجال الدولة بالهدايا والاموال فيقرونهُ في ولاية لبنان ويَستعينون بهِ على مَن ناوأهم من الولاة او يترضَّاهم غيرهُ من مناظريهِ فيتغيرون عليهِ ويولونهم على اطراف ولايتهِ او يرسلون الجيوش للايقاع بهِ الى ان كانت سنة ١٦٢٤ فتعهد وكيلهُ في الاستانة لباب الدولة بمئتي الف ذهب اذا تولى مولاهُ كل ولايات عربستان من حدود حلب الى حدود القدس فصدر الفرمان السلطاني بذلك منعمًا على الامير بلقب سلطان البر الذي احرزهُ جدهُ فخر الدين الاول بانعام السلطان سليم . وجاء سلحدار السلطان بالفرمان العالي فالتقاهُ الامير بموكب عظيم واكرمهُ بثلاثة آلاف ذهب وادَّى الميئتي الف ذهب التي تعهَّد بها وكيلهُ لباب الدولة ثم حشد اربعة عشر الفًا من العسكر وزحف بهم من بيروت الى البترون فعكار وهنالك طالب يوسف باشا سيفا بالخمسين الفًا التي اخذ صكها من عمر باشا فادَّاها يوسف باشا سريعًا فرحل الامير الى جبله فقدَّم اهلها لهُ عشرين الفًا ونفقات العسكر مدى ثلاثة ايام اقامها عندهم ومضى من هناك الى جسر الشغر فوافاهُ اليهِ والي حلب وقدَّم لهُ ثلاثين الفًا ذهبًا والتمس منهُ تأمين الاهلين فاجابهُ على ان يؤدي جزية النصارى فلما ارتضى الوالي بعث الى حلب بعضًا من اعوانهِ لجبايتها

فيستفاد من هذا ان فخر الدين تولى زعامة الولاة ايضًا وان حلبًا ودمشق والقدس من ضمن حكومتهِ الاَّ ان تشرشل يقول في كتابهِ عن جبل لبنان ان ولايتهُ كانت على الجبال من حلب الى اورشليم اما جزية النصارى فليس لدينا من نبإٍ عن مقدارها الاَّ ما ذكرهُ ڤولناي من انها لم تكن ممَّا يدخل في حساب الالتزام بل تُرسل الى بيت المال رأسًا ومعنى هذا ان الدولة العلية كانت تفرض على الولاة مالاً مقررًا ولم تكن الجزية التي يسمونها الخراج من الجملة فكان الوالي يوزع الاقطار على من يوليهِ الحكومات ببدلٍ مسمًّى والدولة لا تعرف الاَّ الوالي مسئولاً لديها بما عليهِ من المال كما ان الوالي يطالب الحكام كلاً بما عليهِ . واما مقدار الخراج فقد ذكر ڤولناي انهُ ثلاثة غروش وخمسة واحد عشر ولم يكن يلتزم بادائهِ موارنة لبنان ولا دروزهُ ولا النصيرية . وحسب ڤولناي عدد النصارى المضروب عليهم الخراج مئة وخمسين الفًا وعدَّل ضريبتهم ستة غروش فالجملة تسعمائة الف قرش

ولما استوفى فخر الدين جزية النصارى في حلب اتجه صوب حماه ونادى بالامان فقدَّم

اهلها لهُ خمسين الفاً ثم شنّ الغارة على عرب الموالي وطالبهم بنفقات عسكرهِ فاطاعهُ الامير مدلج الحياري وخالفهُ عرب الامير فياض فاغار عليهم فانفصلوا عن الموالي واوغلوا في القفر فطاردهم ثلاثاً وعشرين يوماً حتى عبروا النهرين فعاد عنهم واتى طرابلس وجمع نفقة لعسكرهِ من بلادها ثم امر ببناء قلعتين الواحدة تجاه حلب والاخرى فوق انطاكية ووضع فيهما عسكراً وزحف صوب بعلبك ففرّ الحرافشة مشرّقين فاطلق الامان للاهلين فاتوهُ مسلمين متعهدين بخمسة واربعين الف غرش وامر بمرمّة قلعة بعلبك واقام فيها حاميةً وبنى قلعةً في قب الياس وسلمها لجماعةٍ من عسكرهِ وقصد وادي التيم فالتقاهُ الامير احمد الشهابي بالاكرام وقدم لهُ نفقة عسكرهِ وجاءهُ اليها بعض المشارقة وجعلوا على انفسهم ضريبة سنوية سموها رمية ثم اتى حاصبيا فرحّب بهِ الامير علي الشهابي وقدم لهُ نفقةً وامر احد رجالهِ المسمى البكباشي احمد الكجك ان يلبث في وادي التيم حتى يقبض عشرين الف غرش خدمةً من الامير علي الشهابي ثم شرع يرمّ قلعة بانياس ويبني في صرخد

وفي غضون ذلك حدث غلاء في دمشق فارسل الدماشقة يشكون حالهم للامير ويستغيثون بهِ فارسل اليهم اربعة آلاف جملٍ تحمل غلالاً ثم جمع جمال حوران ودوابها وامر اصحابها ان ينقلوا القمح الى دمشق وامر ان يباع رطل الخبز بقطعتين ولما اتى مرجة دمشق خرج اليها كل الاهلين كباراً وصغاراً يشكرونهُ ويدعون لهُ . ثم استخدم الفاً من الانكجارية وطلب من كبراء البلد جزية النصارى الذين عندهم فاجابوهُ الى ذلك وارتحل عنهم الى قب الياس فدير القمر وشرع يرمّ اسوارها وامر فبني حصنٌ في المسيلحة

ولما رجع احمد الكجك من وادي التيم امر الامير بمحاسبتهِ فاستاء وخرج من خدمتهِ مغاضباً فذهب الى اسلامبول وخدم في باب الدولة وكان مقتدراً فارتقى وما كرّ عليهِ الزمن حتى صار وزيراً ولكن علياءهُ لم تبعدهُ عن الحقد على الامير بل ظلّ ينفث ضدهُ سم الوشاية والسعاية حتى اوغر عليهِ صدور رجال الدولة

فمما مرّ يرى اللبيب ان فخر الدين نال اقصى امانيّ نفسهِ اذ اصبح وهو الحاكم الاعلى في بر الشام واليهِ مرجع امورها وقد اعتلى قنة المجد فلم يبقَ لهُ من منازع في طول البلاد وعرضها لان مناظريهِ راوهُ قد نال رضا الدولة فزاد بذلك منعةً وحولاً وغنًى ويساراً . ومن تمام حظهِ ان توفي يوسف باشا سيفا الذي ناصبهُ العداء طويلاً فزحف من بعلبك الى طرابلس عن طريق بشري واسرف في الفتك بالاهلين واباح نهب المدينة اربعين يوماً ثم شرع يرمّ الحصون ويبني المعاقل والقلاع ويزيد في الادخار وحشد المال وتكتيب الرجال ومواثقة الكبراء

ورأى تهافت الناس على اعظامهِ وسمع اقوال الشعراء فيهِ فنفخهُ الكبرياء وليس بعيدًا ان يكون عتوهُ قد حمل بعض المنكرين عليهِ من نظرائهِ او دفع الولاة المخلصين الذين في جوارهِ الى رفع تشكياتهم لابواب الدولة فوافق قولهم ما عرضهُ احمد الكجك من الشكاوي حتى رأى ارباب الحل والعقد ما اوجسوا منهُ خيفةً على البلاد لاسيما وانهُ استكثر من التحصين والتجهيز فتحفز للزحف عليهِ خليل باشا الصدر الاعظم سنة ١٦٢٦ وقدم حلبًا بالعسكر السلطاني فلما سمع الامير ارسل عبد الله البكباشي اليهِ يعدهُ بمالٍ جزيل وبتسليم قلاع الحصن وصافيتا وسلمية وشميمس والمرقب

هذا ما رواهُ العلاَّمة الدويهي غير ان من قرأ تاريخ السلطنة العثمانية في تلك الاونة يتضح لهُ ان خليل باشا لم يقصد محاربة المعنيين وانما زحف لقتال الفرس سنة ١٦٢٦ فلعلَّ مرور جيشهِ على تخوم بر الشام حمل الامير فخر الدين على ارسال عبد الله البكباشي بالهدية اليهِ جريًا على عادتهِ مع الوزراء وامراء الجيوش

ولقد مرَّ بنا ان احمد الكجك ارتقى في خدمة الدولة والذي علمنا انهُ احرز رتبة بكلربك وعين واليًا للشام سنة ١٠٣٩ ﻫ المعادلة لسنة ١٦٢٩ ثم عُزل عنها وعاد اليها سنة ١٠٤٢ ﻫ وفي صدرهِ على فخر الدين اشياء المعنا اليها فرأى على ما يُظن ان الامير لم ينثنِ عن الترميم والتحصين بل زاد في الابهة حتى بنى برج الكشاف في بيروت وخانًا للوحوش تمثلاً بالسلطان وشق عصا الطاعة واخذ كثيرًا من القلاع من ضواحي دمشق وتصرّف في ثلاثين حصنًا وجمع من طائفة السكمان جمعًا عظيمًا وبالجملة فقد بلغ مبلغًا لم يبقَ بعدهُ الاَّ دعوى السلطنة وذلك ما قالهُ المحبي وزاد المرادي ان بلغ عدد جيشهِ مئة الف. رأى الكجك ذلك فرفع الامر لباب الدولة وهو عارفٌ بما كان عليهِ السلطان مراد الرابع من البطش الذريع بمن يوجس منهُ خوفًا وانهُ لم يبقِ في طول السلطنة وعرضها من يخالف لهُ امرًا او يشذ عن سبيلٍ يرضيهِ فكيف يغض الطرف عن اميرٍ بلغت بهِ الجرأة حدًّا شبَّ بهِ عن طوقهِ. وقد نُقل عن الامير على ما روى جوانين انهُ كان ميالاً للدين المسيحي بل يُبطنهُ ويظهر الاسلام وانهُ اقتدى بالافرنج في اخلاقهم وعوائدهم لا يخشى نكيرًا بين قوم لم يألفوا الاَّ عادات الآباء والجدود. وقال غير هذا المؤرخ انهُ ابتنى قصرًا في بيروت بعد عودتهِ من ايطاليا وزينهُ بمثل ما تحلَّى بهِ قصور هاتيك الديار من التماثيل والصور. كل ذلك زاد في طين تهمهِ بلةً وذكَّر ارباب الامر بما كان من محالفتهِ البنادقة والتجائهِ الى بلادهم فحاكت هذه الامور جميعها في صدر السلطان حتى اذا بلغت شكوى الكجك مسامعهُ صدرت لهُ الاوامر بقتالهِ فبعث يستفز نوالي باشا والي حلب

وحكام طرابلس وغزة والقدس ونابلس واللجا وعجلون وحمص وحماه . وجمع اعيان العلماء وكبراء العسكر في دمشق وقرأ عليهم الاوامر السلطانية فقابلها جميعهم بالطاعة وباشروا الاهبة وشرع امراء الاطراف يفدون الشام واحداً بعد آخر حتى اجتمع لفيفهم فخرج بهم سنة ١٠٤٣ (١٦٣٣) ثم استفز الامراء عليًّا اليمني وحسين سيفا ومحمدًا وحسين الحرفوش فلما جاؤُهُ ولّى كلاً منهم على بلادهِ . وبلغ فخر الدين ذلك فجمع رجالهُ فبلغت عدتهم ستة وعشرين الفاً ولكنهُ فرّقهم فاخطأ في تدبيرهِ ذلك انهُ ارسل ستة آلاف مع ابنهِ عليّ الى عجلون وثلاثة آلاف مع ابنهِ حسين للتحصن في قلعة المرقب وثلاثة آلاف اخرى الى بانياس

وفي ابّان هذه الازمة وازورار الناس من الامير واحجامهم عن نجدتهِ وتلكوءِ حلفائهِ وظهور احقاد خصومهِ وقع في بلاد عجلون خلاف وقتال بين العرب وآل طرباي فاتهم الامير علي المعني بذلك ووقعت الشحناء فالنفرة والقتال فاضطرّ ان يرحل الى بانياس

وعلم احمد باشا الكجك ان الشهابيين يحتشدون في وادي التيم فارسل عليهم فريقاً من رجالهِ يبلغون الثمانية آلاف فخافهم الاهلون وفروا هاربين فاحرق العسكر حاصبيا وبعض القرى ونزل في صحراء الخان الجديد فلما علم الامير علي نهض من بانياس واسرع الكرة فادرك عسكر الكجك ليلاً بالف مقاتل واشتبك الحرب حتى الصباح فاصابت عليًّا طعنة رمح القتهُ على الارض ولم يكن القوم عارفين بمن جرحوا الاَّ ان جنديًّا من اهل دمشق كان من قبل في خدمتهِ فمرّ عليهِ وهو جريح فنزل ليحزّ رأسهُ فعرفهُ الامير وقال لهُ خلصني ولك عليّ من المال ما تريد فقال لهُ ان بقاءك بعد هذه الجراح محالٌ ثم قطع رأسهُ واتى مخيم احمد باشا فدخل عليهِ وهو نائم فنبههُ خدمهُ الموكلون بهِ ولما افاق قبّل يديهِ ووضع الرأس قدامهُ وقال لهُ هذا رأس رئيس القوم فلم يصدقهُ حتى جاء من عرفهُ وحقق لهُ الامر وضربت البشائر وارسل الباشا رأس الامير علي الى دمشق في جملةٍ من الرؤوس وادخلوها على اسنة الرماح وجهزوها بعد ايام الى الابواب السلطانية

ثم جاء جعفر باشا بالاسطول السلطاني الى طرابلس فتحفز آل سيفا وجاءوا برجالهم الى بيروت فجاءها الاسطول ايضاً ثم ارسل الباشا عسكرًا الى المرقب فاستولى على قلعتها واسر الامير حسين بن فخر الدين وبعث بهِ الى خليل باشا في حلب

اما الكجك فدسّ للشوفيين قولهُ اني انا كسرت وانا اجبر انظروا كم تؤدون لمولانا السلطان خدمةً وخرْج عسكرٍ وبعد ذلك أُولي عليكم من تختارون من ابناء فخر الدين واردّ العسكر عنكم فانطلى محالهُ على القوم وذهبوا الى الامير يسألونهُ الاجابة فقال لو دفعتم لهُ عشرين كرةً لما افادكم شيئاً ولكني ادفع المال لئلاَّ اذا تمنعتُ تقولون لو ارتضى الامير لما وقع علينا حيف

ثم اتفقوا مع الكجك على مئة الف غرش خدمةً للسلطان وخمسين الفًا للكجك وعلى احضار احد ابناء الامير ليتولى مكان ابيهِ فاتوهُ بالامير حسن اصغر بنيهِ فطيَّب قلبهُ وخلع عليهِ واتخذهُ كولدٍ لهُ فبدأ القوم يوردون المال حتى اذا استوفاه وقد علم ان عسكر الامير انفضَّ من حولهِ ولذلك فهو عازم على التحصن في قلعة ثيرون امر بقتل ابنهِ حسن وزحف بجيشهِ الى الشوف فارهقهُ وقتل كثيرين من الاهلين وولَّى عليهِ الامير علي علم الدين اليمني ثم حطَّ الحصار على قلعة ثيرون التي اختبأ فيها فخر الدين واحضر النقابين والقطاعين وامر ان يقطعوا صخرها من فوق الى تحت وكان ارتفاعهُ ثلاثين ذراعًا وافسد ماء عين الحلقوم التي اجراها الامير الى القلعة تحت الارض وذلك بروث البهائم وبالدماء ومعى الحيوان وكان للقلعة اسكف ورفرف من خشب متى رفعت تعذَّر الدخول اليها فكان الفعلة يقطعون الصخر الاعلى والعسكر يرفع الاحجار والكجك ينهض هممهم بالحث والعمل معهم كل ذلك على عزف الموسيقى وضرب الطبول في الليل والنهار حتى اقتربت اصوات الناقبين من سمع الامير وراى الخطر وشيكًا فتدلى من القلعة مع بنيهِ الثلاث ومدبرهِ ابي نادر الخازن وبعض رجالهِ وسترهم ظلام الليل عن العيون حتى اتوا مغارة جزين اما حفظة القلعة فانهم استأمنوا للكجك في الصباح فاطلقهم واستولى على ما فيها من الذخائر وانتقل من هناك الى مغارة جزين وهو لا يدري ان فخر الدين مقيم فيها فعزم ان يترك بعضًا من عسكرهِ على حصارها وان يعود الى دمشق لاقتراب فصل الشتاء فحدث ان في تلك الليلة نزل احد مماليك الامير يتجسس الاخبار فقُبض عليهِ وجيء بهِ الى الكجك فسألهُ عن الامير فاجابهُ انهُ في المغارة ففي الحال امر بتشديد الحصار عليها واستحضر الفعلة ليلغموها من الاسفل فاشتغلوا حتى صاروا على مسمع من القوم فنادوهم وانذروهم بوشك وضع اللغم ان لم يسلموا فلما يئس الامير من النجاة استأمن ومن حولهُ من رجالهِ فامر الباشا بحراستهِ واولادهِ منصور وحيدر وبلك الذين اسروا معهُ. ومما يؤخذ على المرادي انهُ غلط في روايتهِ ان اثنين فقط من ابناء الامير سلما معهُ وكذلك اخطأ بتسمية احدهما مسعودًا وانهُ قتل مع ابيهِ وبتسمية الآخر حسينًا والرواية التي اعتمدناها اصحّ لان حسينًا اسر عند فتح المرقب كما مرَّ

وكتب احمد باشا يستنزل الامير يونس اخا فخر الدين عن دير القمر على امانهِ فجاءهُ الى صيداء ومعهُ ابناهُ ملحم وحمدان فلما صاروا في حوزتهِ قال للامير يونس كم تدفع من المال فداءً عنك وعن ابنيك فاطلقكم آمنين لانهُ لم يصدر بكم امرٌ سلطاني فوعدهُ الامير بمال جزيل لكنهُ قال ان المال مخبأٌ فاطلق واحدًا منَّا يجيء بهِ اليك فاطلق الامير ملحمًا فسار بهِ بعض الشوفيين

الى عجلون نزيلاً على امراء آل طرباي فلما علم الكجك بذلك حسبها خدعة من الامير يونس فحبسهُ مع ابنهِ حمدان وعذبهما حتى ماتا ثم نهض الى الشام فاستصحب معهُ امراءهُ فدخل دمشق بموكبٍ عظيم وفخر الدين مقيد على فرسٍ خلفهُ فانطلقت السن الشعراء في مدحهِ كما انطلقت من قبل بمدح الامير فما قال الامير المنجكي

وجاءنا بابن معنٍ بعد ما قُطعت صم الصخور عليهِ وهو معتزلُ
لم تغنِ عنهُ الحصون البيض اذ طلعت سود الرزايا عليهِ اليوم والقللُ
ولا الدلاص ولا ذاك الرصاص ولا تلك الجياد ولا العسَّالة الذبلُ
ولا من العرب من كانت جرائرهُ تأتي عليهم ولا الكتَّاب والرسلُ

وبعد ايام جهز الكجك رجلاً من اعوانهِ في امرة سريةٍ من الفرسان وبعثهم الى اسلامبول يخفرون الامير فخر الدين وبنيهِ اليها الاَّ ان تشرشل يقول ان الامير لما أُسر أُرسل من غير تأخير الى جعفر باشا امير الاسطول فوضعهُ ومن معهُ في احدى البوارج وسافر بهم الى الاستانة غير ان هذه الرواية تخالف نص المحبي وما روى من الشعر والله اعلم

وفوق هذا فقد ذكر الرحَّالتان ميشو وبوجولا في الجزء الخامس من كتابهما في الرسائل المشرقية صفحة ٥١٨ ان فخر الدين كان قد ملأ ميناء صيداء بالحجارة والتراب ليمنع اقتراب سفن الاسطول العثماني منها الاَّ انهُ يظهر ان ذلك لم يمنع تردد الاسطول اليها مدى زمن فخر الدين وبعدهُ. ثم طلب من آل طرباي ان يسلموا الامير ملحماً الملتجيء اليهم ففعلوا فلما سار بهِ جماعة الوزير باتوا في خان الشيخ ففرَّ من على سطوح الخان واختبأ تحت معبر ماء قريب من الخان حتى رجع الجند من التفتيش عنهُ فخرج من مخبإهِ وسار الى قرية عرنا في جبل الشيخ واختبأ فيها

ووصل الامير فخر الدين وبنوهُ الى اسلامبول والسلطان يومئذٍ في اسكدار على ما قال المرادي فأُمر بهِ فسجن واخذ ولداهُ الى غلطه سراي وبعد حين حظي فخر الدين بشرف المثول لدى حضرة السلطان فاحتجَّ عن نفسهِ قائلاً اني ما جمعت الرجال الاَّ باوامر الوزراء والنواب ولا قتلت الاَّ العصاة على مولانا السلطان والقلاع التي فتحتها كانت للعصاة والتي بنيتها لدفع الاعداء وانما مهدت طريق الحج ومنعت العربان عن التعدي واديت الاموال الاميرية وايدت الاحكام الشرعية. فسرَّ السلطان بحجتهِ وعفا عنهُ وعن اولادهِ ولما رجع خليل باشا من حلب اصحب معهُ الامير حسيناً الذي أُسر من المرقب فاحبهُ واقامهُ في خدمتهِ

اما الامير علي علم الدين اليمني الذي تولى الشوف فقد قبض على بعض وجهاء المعنيين

وقتلهم وسلب مقتنياتهم وذهب الى عبيه ففتك بالامراء التنوخيين ولم يبقِ منهم ذكرًا فهاج القوم من فعالهِ واكبروها واستنفروا الامير ملحماً بن يونس المعني من مخبإهِ في عرنا حتى اجتمع اليهِ بعض المعنيين فنهض بهم الى الشوف فتقاطر اليهِ المريدون فزحف على الامير علي نجاه هذا بجماعة من عسكر الشام وفيهم كتخدا احمد باشا فواقعهم فوق مجدل معوش وظفر بهم وقتل منهم عددًا من الرجال وفي جملتهم كاخية الباشا وانهزم علي علم الدين الى طرابلس ومنها الى الشام. وقدم على الامير ملحم الامير عساف سيفا واتفق معهُ على قتال علي سيفا واما علي اليمني فعاد معززًا بجند الشام فقبض على اربعمائة من رجال العرقوب وقتلهم عن آخرهم فخافتهُ الخوازنة والجبشيَّة ونزحوا من كسروان فنهض الامير ملحم وطردهُ وحاربهُ في مواقع جمة ظفر بها كلها فجدَّد احمد باشا الكجك الشكوى الى اسلامبول مدعياً ان اعمال الامير ملحم كانت بايعاز عمهِ فخر الدين وروى جوانين انهُ نسب اليهِ نهب صور وبيروت وصيداء وعكاء فخنق السلطان من فخر الدين اذ صدَّق الوشاية فيهِ فاصدر امرهُ بقتلهِ وقتل اولادهِ فقتلوا جميعاً في ٣ نيسان سنة ١٦٣٤ ولم يبقَ من ابناء فخر الدين الاَّ الامير حسين لانهُ كان في حمى خليل باشا

وممَّا ورد عن مقتل الامراء قول المرادي ان في شهر شوال سنة ١٠٤٣ امر السلطان وزيرهُ بيرام باشا بقتل فخر الدين فاخذهُ الوزير من حبس البستانجي باشي الى تجاه محل الوحوش المسمى ارسلان خان ورمى رقبتهُ ثم طرح جثتهُ في آت ميدان وانهُ قتل ابنهُ مسعودًا خنقاً لانهُ راشد وطرح جثتهُ في البحر

الاَّ انَّ سنة ١٠٤٣ هـ تعادل سنة ١٦٣٣ م والمتفق عليهِ ان قتل فخر الدين كان سنة ١٦٣٤ والدليل على هذا ظاهر من قول العلاَّمة الدويهي ان زحف الكجك لقتالهِ كان في شهر ايلول سنة ١٦٣٣ وبما انهُ قُتل في نيسان فمن الضروريّ ان يكون ذلك سنة ١٦٣٤ وليس سنة ١٦٣٥ كما قال جوانين

ولا يصحّ بنا ان نبخس فخر الدين حقهُ من الوصف فقد كان شجاعاً باسلاً شهدت لهُ فعالهُ بعلو النفس وطموحها الى العلياء فترى صاحب اخبار الاعيان يذكر من اقدام الامير ما يشهد لهُ بالبسالة واقتحام الاخطار غير متهيّب ولكم لهُ من وقعةٍ كان جيشهُ فيها على وشك الادبار فعاد بصولتهِ ظافرًا وناهيك بما رواهُ من ان احمد باشا الكجك كان يخشى شجاعتهُ لما رأى من فعالهِ وكأن الشجاعة كانت حلية هذه الاسرة فقد ذكر المحبي اثناء كلامهِ عن مقتل علي بن فخر الدين انهُ لم يعلم احدٌ ان الامير علي بينهم ولو علموا لما ثبت احد لكبر صيتهِ

ومع ان فخر لدين كان فتَّاكاً باعدائهِ لم يكن كالكثيرين من رجال الحرب الذين لاتأخذهم

الرأفة بالمسالمين والضعاف بل كان يؤاسي المحتاجين ويبرهم ألا تراهُ كيف نهض لاعانة الدماشقة يوم مسهم الجوع وكيف كان يقدم على اسعاف المستغيثين بهِ ولو ادّى بهِ اسعافهم الى القتال

وناهيك بهِ من رجل علَّمهُ التسود في لبنان ان يتخذ من النصارى انصارًا واعوانًا وان يحكم فيهم بالقسط ولا يحيف عليهم في شيءٍ حتى استراحوا في ايامهِ وآمنوا وعمروا الكنائس والاديار وطاب لدعاة الدين حتى من الافرنج السكنى في لبنان ولعلَّ هذا التساهل هو ما حمل السعاة بهِ على رميهِ بالتنصر والمروق من دين آبائهِ

وقد وصفهُ تشرشل بالنشاط والاقدام والذكاء وانهُ لو وافقتهُ الاحوال لاحسن الى قومهِ وقال ان عقلهُ كان كبيرًا وفيهِ حلم يحبب اليهِ قومهُ ويجعلهُ موضع ثقتهم وانهُ لما فوضت الحكومة اليهِ الولاية سعى جهدهُ في مصلحة بلادهِ وعامل الناس بالمساواة والعدل

وكانت لهُ مشاركة في الادب بدليل بيتين من الشعر قالها فيهِ عطاء الله المسلوني المصري وهما

يراعك ان ابكيتهُ ضحك الندى وعضبك ان اضحكتهُ بكت العدى

فسيمة هذاك اعتدى قطُّ رأسهِ وسيمة هذا قطع رأس من اعتدى

وكأَني بهِ اراد نشر المعارف بين قومهِ اهتمامًا بشؤُونهم اذ ورد انهُ اقترح على المطران جرجس ابن عميرة الاهدني وضع كتابٍ في هندسة البناء باللغة العربية فألَّفهُ ولكننا لسنا على بينةٍ من ان الامير اراد بوضع هذا الكتاب افادة الناس والاَّ لاقترح على علماء ذلك العصر وادبائهِ تأليف كتبٍ اخرى اكثر فائدةً لوطنهِ من الهندسة لان هذي من الكماليات وقبل الاضطرار اليها درجات من الحاجيات وانما يغلب على الظن انهُ اراد الكتاب ليتخذهُ دستورًا في تشييد بناياتهِ من قصورٍ ودور ومعاقل وحسبك ما ذكرنا من اكثارهِ من بناء القلاع وترميم قديمها ولعل قصرهُ الذي بناهُ في بيروت مضارعًا لقصور مضيفيهِ آل مديشي في ايطاليا كان عقيب تأليف هذا الكتاب على ان مؤَلفهُ كان من متخرجي مدرسة رومة العظمى والظاهر مما آثر المؤَرخون ان اهتمام فخر الدين بالبناء لم يكن مقصورًا على بيروت ودير القمر بل عمَّ مواضع اخرى فمنها القصر البديع الذي شادهُ قرب صيداء وبقي بعد عينهِ اثرٌ نوَّهَ بذكرهِ الرحالتان الفرنساويان ميشود و بوجولا في كتابهما[1]

ولهُ في صيداء ايضًا خان منسوب اليهِ هو اعظم خاناتها وكان يأوي اليهِ الفرنساويون الذين نزلوا في صيداء في تلك الايام للتجارة ومنهم دارڤيو .D'Arvieux قنصلهم المشهور بمؤَلفهِ عن احوال البلاد

(1) Michaud et Paujolat; correspon. d'Orient, Vol. VII, page 331.

اما ما زعمهُ دارڤيو وڤولناي ولامرتين وتشرشل وغيرهم من ان فخر الدين غرس غاب الصنوبر في ضاحية بيروت فلاصحة لهُ بدليل ما آثرهُ العلاَّمة المطران يوسف الدبس في كتاب سفر الاخبار (ص٢٥) عن رحلة المنسنيوز ميسلن وما حققهُ الاب لامنس في السنة الاولى من مجلة المشرق صفحة ٩٣٩ من ورود ذكر هذا الغاب في القصيدة الثانية والاربعين من قصائد الشاعر اليوناني نتوس الذي نبغ في القرن الرابع للميلاد ومن ذكرهِ في جغرافيا الشريف الادريسي المتوفى في الربع الاخير من القرن الثاني عشر ومن التنويه بهِ في مؤلف وليم الصوري وصالح بن يحيي التنوخي صاحب تاريخ بيروت كل ذلك يدل على وجود الغاب قبل زمن فخر الدين ويحمل على الظن بانهُ ربما كان ذلك الامير قد بذل في حفظهِ شيئًا من عنايتهِ او زاد على اغراسهِ بعضًا في المواضع الخالية كما فعلت الحكومة المصرية في زمانها

فجديرٌ بمن كانت هذه صفاتهُ من الامراء ان تزدحم على بابهِ الشعراء وان يمدحوهُ بمختارات القصائد فقد آثر المحبي انهُ اطلع على مجموعةٍ من الشعر تبلغ المئة صفحة قيلت كلها في مديحهِ

ولما ضُبطت املاك فخر الدين انعم السلطان بها على احمد باشا الكجك فشرع هذا ينقب عنها ويبحث عن انصار المعنيين لينكل بهم فاختفى كثيرون من الكبراء حتى لم يستطع اساقفة الطائفة المارونيَّة ان يجتمعوا في اليوم التاسع لوفاة البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني على مألوف عادتهم

جرجي يني

منزلة الشعر من التاريخ

٣٦ الطلاق

وكانت سنَّة الطلاق معروفة في الجاهلية قال زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساي تنطقان على عمـ　　ـدٍ الى اليوم قول زور وهتر[1]
سالتاني الطلاقَ ان رأتا ما　　لي قليلاً قد جئتماني بنكرِ

وقال عبدالله بن العجلان

طلقت هندًا طائعًا　　فندمت عند طلاقِها
فالعين تذرف دمعة　　كالدرّ من آماقِها
خود رداح عفة　　ما الفحش من اخلاقِها

---

(١) الكذب

وكانوا في الجاهلية يطلقون المرأة ثلاثاً حتى تبين عن زوجها فلا يعود لهُ رجوع اليها فكان الرجل متى اراد طلاق امرأتهِ قال لها انت طالق واحدة فيكون حينئذٍ احق الناس بها فان طلقها اثنتين فكذلك فان طلقها ثلاثاً كان لا سبيل لهُ عليها

وكان الاعشى قد تزوج امرأة ثم احب اهلها خلعها منهُ فتهددوهُ ان لم يطلقها فقال

ايا جارتا بيني فانكِ طالقه   كذاك امور الناس غادٍ وطارقه

فقالوا ثنِّ فقال

وبيني فان البين خير من العصا   والاَّ تزال فوق رأسيَ بارقه

فقالوا لهُ ثلِّث فقال

وبيني حصان الفرج غير ذميمة   وموموقة فينا كذاك ووامقه

ولنا ان نستنتج مما قدمناهُ ما يأتي (اولاً) ان امر الطلاق كان بيد الرجال ولكنَّ النساء كنَّ قادرات على طلبهِ من رجالهنَّ (ثانياً) ان الرجل كان لهُ ان يطلّق لغير علة (ثالثاً) ان الرجل كان يتزوج باكثر من امرأة. على ان من يتتبع منثور الكلام والحديث يجد على ما ذكرناهُ زيادات

٣٧ تزوج الرجل امرأة ابيهِ

وكان بعض العرب يتزوجون نساء ابائهم قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فلولا اخوتي وبنيَّ منها   ملأت لها بذي شطب يميني

وقال زيد بن عمرو بن نفيل مشيراً الى الخطَّاب والد الامام عمر

واخي ابن امي ثم عمـ   ـي لا يؤاتيني خطابُهْ

وقولهُ هذا يدلُّ على ان اباهُ اخذ امرأة جدهِ فجاء هو اي زيد اخاً لعمهِ وزيد بن عمرو بن نفيل قرشي فهو من الحجاز وعمرو بن معدي كرب زبيدي فهو من اليمن فيكون الزواج بنساء الآباء وارداً في تاريخ الحجازيين واليمنيين وبالتالي في تاريخ القحطانيين والعدنانيين . نقول وارداً ولانقول جائزاً عندهم جميعاً لما بين الوقوع والعرف من الافتراق فقد ذهب معظم من فسَّر قول عنترة

يا شاة ما قنصٍ لمن حلَّت لهُ   حرُمت عليَّ وليتها لم تحرَمِ

الى ان اباهُ كان قد تزوج بها فحرمت عليهِ . وكان من خلف اباهُ على امرأتهِ سمي ضيزناً . ونستنتج من قول اوس بن حجر

والفارسيَّة فيهم غير منكرةٍ   فكلهم لابيهِ ضيزن سلف

ان هذه العادة اتت الى بعضهم من جوارهم لفارس وانها ليست بمحمودة لان العرب كانوا راغبين عن عادات الامم الاخرى

وللازواج وللعائلة في عصر الجاهلية بحث طويل ربما افردتُ لهُ مقالة خاصّة لان تمحيص هذا البحث يحتاج الى الاستشهاد بما ليس بشعر وهو خروج عما تابعتهُ في هذا المقالة (منزلة الشعر من التاريخ)

﴿٣٨﴾ الانفال

وكان الظافر في القتال يبتدر بعد تبديد شمل العدو الى جمع الاسلاب فينزع عن القتلى ماعليهم من الثياب والاسلحة . قال عمرو بن ثعلبة في رسالة لهُ الى الملك عمرو بن هند

ان ابن عجزة امهِ بالسفح اسفل من اوارَهْ (٢)
تسفي الرياح خلال كشـ حيهِ وقد سلبوا ازارَهْ (٣)

وكان زعيم القوم هو الذي يقسم السلب بينهم قال عنترة

ونشرتُ رايات المذلة فوقهم وقسمت سلبهم لكل غضنفرِ

وكانت قسمة السلب انفالاً قال عنترة ايضاً

انّا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفُّ عند تقاسم الانفالِ

وكانت الانفال ليست سواءً ولذلك شكا العباس بن مرداس حينما قسمت الانفال بين جماعة كان منهم العباس وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس فاخذ اربعين واخذ كل من عيينة والاقرع مئة فقال

اتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والاقرعِ
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفعِ

﴿٣٩﴾ رقة النعل

واتخذوا رقة النعل دليل السعة واليسار بل دليل سمو الشأن قال النابغة الذبياني

رقاق النعال طيّب حجزاتهم يحيّون بالريحان يوم السباسب (٤)

---

(٢) العجزة آخر ولد الرجل او آخر ولد المرأة واوارة محل

(٣) سفت الريح الشيء ذرتهُ والمراد هنا انها تهب في خلال كشحيهِ

(٤) قال القتيبي : " رقاق النعال اراد انهم ملوك لا يخصفون نعالهم . والحجزة الوسط اراد انهم يشدون ازرهم على عفة و يوم السباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصارى " آه عن شرح ديوان النابغة

وقال الفرزدق

بنو هاشم قومي ترى حجزاتهم عتاقاً حواشيها رقاقاً نعالُها
يجرون هداب اليماني كأنهم سيوف جلا الاطباع عنها صقالُها

كما استحسنوا التلسين قال كثير عزة يمدح بني امية

اشم من الفادين في كل حلّة يميسون في صبغ من العَصْبِ متقنِ (٥)
لهم ازُر حمر الحواشي بطونها باقدامهم في الحضرمي الملسَّنِ (٦)

وقال ايضاً

اذا حلل العَصْبِ اليماني اجادها اكفُّ اساتيذ على النسج درّبِ
اتاهم بها الجاني فراحوا عليهم توائم من فضفاضهنَّ المكعَّبِ (٧)
لها طرر تحت البنائق اذ نبت الى مرهفات الحضرمي المعقربِ (٨)

وهذه الاقوال حجة على ان من العرب من كان يستجيد ارسال الذيول في لباس الرجال وقد فاتنا ذكر ذلك في باب اللباس

وجاء لعنترة العبسي في معلقتهِ

بطل كأن ثيابهُ في سرحةٍ يحذَى نعال السبت ليس بتوأمِ

فقال الشراح انهُ اراد بكونهِ يحذى نعال السبت انهُ ملك او شريف والسبت الجلد اللين او جلد البقر المدبوغ بالقرظ

٤٠ المواثيق

وكانت العرب اوفى الناس ذمة واصدقهم عهداً واخاء قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم شدُّوا العناج وشدُّوا فوقهُ الكربا (٩)

وذكر النابغة الذبياني حلف قومهِ فقال

فلتأتينك قصائد وليدفعن جيشاً اليك قوادم الاكوارِ (١٠)

---

(٥) العصب ضرب من البرود
(٦) الحضرمي النعل المنسوبة الى حضرموت · والملسن الذي جعل طرفهُ كطرف اللسان
(٧) الفضفاض الواسع · والمكعب المربع
(٨) البنائق جمع بنقة وهي لبنة القميص · والمعقرب المعوج
(٩) العناج ان تثقل الدلو فيعقد تحتها حبل ثم يشدُّ الى الرسن والى العراقي وهي الخشبات الاربع والكرب الحبل الذي يشدُّ فوق العراقي · وفي هذا القول استعارة تمثيلية وهو مثل ضربهُ يريد انهم اذا عقدوا عقداً لجارهم احكموهُ (١٠) قوادم جمع قادمة وهي مقدمة الرحل والاكوار جمع كور وهو الرحل

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم فيهم ورهط ربيعة بن حذارِ (١)
ولرهط حرّاب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطارِ (٢)
وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقلّمي الاظفارِ (٣)

ثم يذكر بني سواة وبني جذيمة والفاضريين و بني دودان وبني بغيض (٤) وقال انهم كلهم حلف واحد

فوجود المواثيق بين القبائل والاحياء دليل على وجودها بين الملوك ايضاً بل قد ورد في خلال شعر النابغة ان ملوك الاقوام هم الذين كانوا يعقدون المواثيق اذ يقول

وبنو سواة زائروك بوفدهم جيشاً يقودهم ابو المظفارِ

وابو المظفار كان ملكاً في قومهِ

٤١ بياض الوجه

كانوا يعتبرون البياض لون السادة لعدم تعرُّضهم للشمس قال امرؤُ القيس الكندي

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم بيض المسافرِ غُرَّانُ (٥)

وقال حسان بن ثابت في مديح الملوك آل جفنة

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاوَّلِ

وهذا البحث كثير الشواهد فاكتفي منهُ بما ذكر . انتهى امين ظاهر خير الله

الملاريا في حلوان

ليس المراد من هذه السطور ان اشغل بال القراء بما يولد فيهم الاوهام ويحملهم على الظن ان جو حلوان الذي اشتهر بالصفاء وجودة الهواء قد اكفهرَّ بغيوم الامراض لاني اعتقد مثل غيري ان حلوان لا تزال البلد الذي يضرب بهِ المثل في حسن الموقع وجودة الهواء . وانما المراد تنبيه الافكار وتوجيه النظر الى مسألة علميَّة . فارجو ان لا تحمل مقالتي هذه الاَّ على هذا المحمل . ولا ريب عندي ان كل لبيب يقول معي انهُ ايسر للانسان ان يعرف العدو

(١) كوز من بني مالك بن ثعلبة وربيعة بن حذار من بني سعد . والمحقبون ادراعهم هم المتخذوها كالحقائب
(٢) وحراب وقد من اسد . وسورة في المجد اي اعتلاء . ليس غرابهم بمطار كناية عن الخصب وكثرة الخير
(٣) و بنو قعين حي من اسد . وغير مقلمي الاظفار اي مسلحين
(٤) و بنو دودان والفاضريون من اسد و بنو جذيمة من كلب بغيض ابو عبس وذبيان
(٥) اراد بالثياب الاعراض . ومسافر الوجه ما يظهر منهُ والغران جمع اغر وهو هنا الحسن

المجاور لهُ ويتقي شرهُ بابادتهِ من ان يفتك بهِ ذلك العدو من حيث يدري ولا يدري

لما جاء الاستاذ كوخ الشهير هذه الديار منذ اعوام قال انهُ وجد في حلوان الحيوان المسبب للحمى الاجمية (الملاريا) وهذا الحيوان يدعى بلاسموديوم ملاريي (Plasmodium Malariæ) فاخذ بعد ذلك اهل العلم في البحث والتنقيب ليتحققوا بانفسهم صحة ما قالهُ الاستاذ كوخ وبقي بعضهم مثابرين على هذا العمل زمناً طويلاً ولكن على غير طائل لانهم لم يعثروا على ذلك الحيوان فاعتقدوا ان حلوان خالية من الملاريا وان الذين يصابون بهذا الداء في المدينة يأتون بهِ من الخارج . وقد اطلعت في هذه الايام الاخيرة على مقالة في جريدة نمسوية يحاول كاتبها ان يثبت ان الملاريا غير موجودة في حلوان ومن ادلتهِ على ذلك انهُ اقام زمناً فيها فلم يعثر على بعوضة واحدة من الجنس المعروف بالانوفيل (Anophele) اي ناقل الحمى رغماً عن كثرة ابحاثهِ فأنا وان كنت لا اشك في صحة ما قالهُ الاستاذ المذكور لا يسعني الاّ الاقرار بوجود الحمى الاجميَّة في حلوان فالاستاذ لا ينفي وجود بعوض الانوفيل في حلوان وانما يقول انهُ لم يعثر عليهِ . ثم ان هذا الاستاذ جاء مصر وبحث في حلوان عن ذلك البعوض في فصل الشتاء ولا يخفى انهُ في هذا الفصل يتناقص عدد بعوض الانوفيل وبالتالي يتناقص عدد الاصابات بالحمى الملارية والامر يكون بالضد من ذلك في فصلي الصيف والخريف وذلك ما يحصل في كل بلاد تحدث فيها الحمى الملارية . ففي فشوده مثلاً ترى ان الحمى الملارية تنتشر على اختلاف شدتها وانواعها في فصلي الصيف والخريف حيث يكثر وقوع المطر وتفيض الخيران والبرك وتتكون المستنقعات ولكن متى دخل الشتاء يتناقص عدد الاصابات كثيرًا . وسبب ذلك ان البعوض الانوفيل الذي يجلب الحمى يتناقص عددهُ كثيرًا في فصل الشتاء الى درجة يعسر معها وجود بعوضة واحدة من ذلك النوع عند السد قبلي فشوده في اوائل دسمبر . فاذا كان الامر كذلك اي ان عدد البعوض يتناقص في فشوده نفسها المشهورة بكثرة الحميات الملارية الى الدرجة التي ذكرتها فلا عجب اذا كان الاستاذ النمسوي لم يعثر على بعوضة من ذلك النوع في حلوان وفي فصل الشتاء . واليك الآن ما دلني عليهِ الاختبار مدة اقامتي في حلوان

في ١٤ اغسطس ١٩٠٣ اتاني رجل يقطن عزبة حلوان منذ زمن لاعالجهُ من حمى اصابتهُ فلما تفحصتهُ وجدت انهُ مصاب بحمى الغب اي الحمى الملارية التي تعتري المريض يوماً بعد يوم فلم تسمح لي الاحوال بالبحث في دمهِ بحثاً ميكروسكوبيًّا ولكنني عالجتهُ بمضادات الحمى الملارية فشفي وفي ٢٦ اغسطس جاءني رجل آخر يشكو نفس العلة وهو ايضاً يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد قال لي انهُ لم يصب بمرض آخر من قبل فلما تفحصتهُ وجدت فيهِ اعراض الملاريا

فحصت دمهُ ميكروسكوبيًّا فوجدت فيهِ الحييوين المسبب لحمى الغب الذي لا شبهة فيهِ فدعاني ذلك الى البحث عن البعوض الانوفيل ناقل الحمى وبعد ايام عثرت على بعوضة في البيت الذي يقطنهُ المريض واقفة وقفة عمودية تقريبًا بحيث انها تكوّن مع الحائط شبه زاوية قائمة فالتقطت تلك البعوضة وتأملتها فاذا بها من نوع الانوفيل فذهبت بها الى صديقي الدكتور اوربان وهو كثير الاهتمام بهذا البحث ففحصها ايضًا بكل دقة وامعان ووافقني على انها من نوع الانوفيل بلا شك وعثرت بعد ايام على بعوضة ثانية من النوع نفسهِ ولكن هذه البعوضة كانت ذكرًا لا انثى

ولما اخبرت صديقي الدكتور اوربان باني وجدت في دم المريض حييوين الملاريا اظهر رغبتهُ في مشاهدة ذلك الحييوين فوعدتهُ باجابة سؤالهِ متى عثرت على حادثة اخرى . وفي ٢٩ سبتمبر اتتني مريضة تقطن حلوان منذ ثماني سنوات لاعالجها من حمى تصيبها يومًا بعد يوم فاخذت نقطة من دمها ونظرتها بالميكرسكوب فوجدت فيهِ الملاريا فارسلت من دمها الى صديقي المذكور فتحقق وجود ذلك الحييوين كما تحققتهُ فاعطيت المريضة ٢٥ قمحة كينا وذلك كان كافيًا لايقاف سير المرض او تخفيفهِ على الاقل لو اخذ عدة ساعات قبل ظهور الدور ولكني اعطيت الكينا للمريضة صباحًا ظنًّا مني ان الدور سيحصل الساعة الثانية بعد الظهر فلم يصح ظني لان الدور غيَّر مواعيدهُ فصار يتقدم و يظهر في الصباح ولذلك لم تؤثر الكينا في الدور الاول ولكنها اثرت في الدور الثاني الذي لم يحدث في ميعادهِ فبحثت في الدم فوجدت حييوين الملاريا في الطور الاول من نموهِ

وفي اليوم الثالث من شهر اكتوبر الجاري ارسل اليَّ حضرة الدكتور صفوت مريضًا كان يشخص مرضهُ بحمى الملاريا فبحثت في دمهِ فوجدت فيهِ حييوين الملاريا مما يثبت تشخيص حضرة الدكتور صفوت وهذا المريض ايضًا يقطن حلوان منذ سنين عديدة وقد اخبرني الدكتور المذكور انهُ شاهد حوادث اخرى كثيرة من الملاريا في حلوان ولاسيما في الجهة الغربية الجنوبية

وخلاصة القول ان الحمى الملارية موجودة في حلوان وهي من نوع حمى الغب التي تأتي يومًا بعد يوم وان البعوض الانوفيل الناقل لهذه الحمى موجود ايضًا في ذلك البلد وهذا امر طبيعي اذ لا بد لكل معلول من علة وعثوري على حييوين الملاريا والبعوض الناقل لذلك الحييوين لم يحدث في حلوان امرًا جديدًا لان الحمى الملارية موجودة في حلوان من قبل

الدكتور يوسف ابكاريوس
من متخرجي المدرسة الطبية الجراحية
الملكية في انكلترا

المادَّة واحدث المذاهب فيها

من خطبة للسر اوليفر لدج تلاها في مدرسة أكسفرد الجامعة تذكارًا للاستاذ رومانس

يبحث الفلاسفة عن حقيقة المادَّة من وجوه كثيرة واستُ عازمًا ان اتكلَّم عنها الآن من وجهٍ فلسفي بل قد عُرِفت حديثًا امور عن جواهر المادة او عمَّا كان يسمَّى بالجوهر الفرد وهي مما يلذ العلم بهِ سواء ثبتت اخيرًا او لم تثبت فاخترتها موضوعًا لهذه الخطبة التي اتلوها عليكم تذكارًا لرجل لو كان حيًّا الآن لاشتغل عقلهُ بهذا البحث الجديد ولم يعفهُ ولو كان بعضهُ من قبيل الظنون

قلتُ ان بعضهُ من قبيل الظنون ولم اقل كلهُ لان البعض الآخر تحققهُ جمهور العلماء الباحثين الذين لهم القول الفصل في هذه المباحث . ولذلك ساقسم الامور التي اتوخَّى ذكرها الى قسمين قسم حققهُ العلماء واثبتوهُ بحسب معارفهم الحاضرة وقسم لا يزال في معرض الفرض او الظن . وسأطلق على القسم الاول اسم القضايا وعلى الثاني اسم الفروض

والقضية الاولى من هذه القضايا ان في الكهربائية اخص خواص المادة اي الجرم والاستمرار [1] فاذا قلنا درهمًا من الكهربائية او قنطارًا منها فقولنا هذا غير بعيد عن الحقيقة ولو كان بعيدًا عن المألوف . لكن لا يكون للكهربائية جرم يُشعر بهِ الَّا اذا كانت كثيرة جدًّا او كثيفة جدًّا وهي تضيع في المادة الَّا اذا كانت المادة صغيرة جدًّا اصغر من ان ترى بالميكرسكوب وكانت هي (اي الكهربائية) كثيفة جدًّا

وجرم الامتلاء الكهربائي واستمرارهُ يتوقفان على مقدار الكهربائية التي فيهِ وفعلها . فاذا امكن جمع مقدار كبير من الامتلاء الكهربائي في كرة صغيرة جدًّا امكن ان تزيد قوتهُ الى اي حد اريد ما لم يبلغ حدًّا يستحيل فيهِ ان تزاد الكهربائية فوقهُ

القضية الثانية بسيطة جدًّا وقد عُلمت من عهد فراداي وزادت ثبوتًا ووضوحًا على توالي الايام وهي ان كل جوهر من جواهر المادة يستطيع ان يتحد بمقدار محدود من الكهربائية او بمقدارين او بثلاثة مقادير وهلمَّ جرًّا ولكن لا يستطيع ان يتحد بنصف مقدار ولا بمقدار ونصف ولا بكسر من المقدار مهما كان . فكأَن هذا المقدار جوهر فرد من الكهربائية لا يمكن تجزئتهُ ونقاس نسبة الامتلاء الكهربائي الى وزن الجوهر المادي بالتدقيق في الحل الكهربائي

(١) يراد بالجرم في عرف علماء الطبيعة مادة الجسم وبالاستمرار عدم استطاعتهِ من تلقاء نفسهِ على الحركة اذا كان ساكنًا وعلى السكون اذا كان متحركًا

بحسب القوانين المعروفة بقوانين فاراداي · وقد عُلم جرم الجوهر المادي فيعلم مقدار الكهربائية الذي يمكن ان يتحد بهِ وذلك كلهُ بالتقريب لا بالتدقيق

القضية الثالثة · لقد وجد جمسن طمسن سنة ١٨٨١ ما يدلُّ على ان الامتلاء الكهربائي الذي يتحد عادة بجوهر واحد من جواهر المادة اذا اجتمع على نقطة كروية قطرها جزء من مئة الف جزء من جرم الجوهر الفرد كان منهُ جرم يعادل جزءًا من الف جزء من جوهر الهيدروجين الذي هو اخف جواهر المواد المعروفة

وقد أُطلق على هذا المقدار المتكاثف من الكهربائية اسم "الالكترون" وضعهُ لهُ الدكتور جنصتن ستوني واراد بهِ الجوهر الفرد من الكهربائية او اصغر جزء من اجزاء الامتلاء الكهربائي. ففي كل امتلاء كهربائي عدد محدود من هذه الالكترونات. ولا يوجد كسر من الالكترون على ما يعلم حتى الآن ولو حكمًا. فما تكهرب الجوهر الفرد من جواهر المادّة سوى اضافة الكترون اليهِ . او نزعهُ منهُ فاذا زادت كهربائية الجوهر الكترونًا سمي ايونًا ايجابيًّا وهو الذي كان يقال عنهُ قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية السلبية . واذا نقصت كهربائية الجوهر الكترونًا سمي ايونًا سلبيًّا وهو الذي كان يقال قبلاً انهُ مكهرب بالكهربائية الايجابية. فالكهربائية السلبية زيادة في كهربائية الجسم والايجابية نقص فيها

والايون اي الجوهر المكهرب ينتقل من جهة الى اخرى من نفسهِ بالكهربائية التي فيهِ . والسائلات والغازات تنقل الكهربائية بواسطة جواهرها المكهربة . فان هذه الجواهر تتحرك بسبب ما بينها من الالفة فالمكهربة ايجابيًّا تذهب كلها في جهة والمكهربة سلبيًّا تذهب في جهة اخرى. وفي كل نوع من المادة سرعة خاصة بما فيها من الايونات اي الجواهر التي زادت كهربائيتها او نقصت وبحسب السائل التي تجري فيهِ فكأن الجوهر مركبةٌ والكهربائية فرس يجرها . والسرعة قليلة في السائلات ولكنها شديدة في الغازات لقلّة ما تجدهُ فيها من المقاومة . وقد اشتقوا من الايون فعل أيوَنَ يريدون بهِ توليد الايون فقالوا ان اشعة رنتجن تؤَيون الهواء اذا مرّت فيهِ فيصير موصلاً للكهربائية

وقد قويت الادلَّة على ان جرم الالكترون يعادل جزءًا من الف جزء من جرم جوهر الهيدروجين ولو كان الالكترون كهربائيةً لا غير لكان حجمهُ جزءًا من مئة الف جزء من قطر الجوهر الفرد . فواضح من ذلك ان جواهر المادّة اكبر جدًّا من جواهر الكهربائية التي تتصل بها فاذا كان قطر الجوهر الفرد من جواهر المادة الف متر فقطر الالكترون اي الجوهر الفرد من جواهر الكهربائية سنتيمتر واحد . واذا كان حجم الجوهر الفرد من جواهر المادة مثل

حجم هذا النادي فحجم الالكترون اي جوهر الكهربائية مثل حجم نقطة الباء . والالكترونات التي في الجوهر الفرد بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً جدًّا ونسبة اجرامها الى ابعادها كنسبة الكواكب الى الابعاد التي بينها

القضية الرابعة — ان هذه الالكترونات او الجواهر الكهربائية يمكن ان تقوم بذاتها اي يمكن فصلها عن الجواهر المادية في السائلات والغازات ومتى انفصلت جرت من القطب السلبي بسرعة فائقة جدًّا لانهُ لا يبقى شيءٌ يعوقها عن الجري . واذا كانت جارية في غاز لطيف جدًّا فهي ما يسمى بالاشعة السلبية وهي التي درسها هتفورد وكروكس ولنارد وغيرهم في الانابيب المفرغة من الهواء وعُلم الآن انها تنبعث من مواد كثيرة . واذا أُوقفت في سيرها تولَّد منها اشعة اكس التي اكتشفها رنتجن . وقد ظُنَّ اولاً ان هذه الاشعة مؤلفة من جواهر مادية لكن اقتدارها على نفوذ الاجسام جعل هذا الظن بعيداً عن التصديق حتى اضطرَّ كروكس ان يقول انها حالة رابعة من حالات المادة ألطف من الحالة الغازية . ولا شبهة في انها تفعل فعل المادة المتحركة فتدير الاطارات الدقيقة اذا وقعت على فراشها وتحمي البلاتين الى درجة الحمرة وتؤثر في مقياس الكهربائيَّة وتخرق الصفائح المعدنية الدقيقة وتفعل بما وراءها من الالواح الفوتوغرافية ولكن نفوذها ليس مثل نفوذ اشعة رنتجن

خامساً قد ثبت ان الالكترونات تنبعث من كل جسم تكهرب بالكهربائية السلبية ولاسيما من المعادن المكهربة سلباً اذا وُضعت في النور الذي وراء البنفسجي من الطيف . واذا اصابت الهواء أَيونتهُ مدة وجعلتهُ موصلاً للكهربائية . وقد قاس العلماء الطبيعيون جرم الالكترون على اساليب مختلفة وقاسوا سرعتهُ فكانت النتيجة واحدة فهو شيءٌ محدود يمكن قياس جرمهِ وقياس سرعتهِ بالضبط وقد قام مقام الجوهر الفرد او الجزء الذي لا يتجزأُ وثبت انهُ يخرج من الجوهر الفرد فينفصل عنهُ وتبقى فيهِ خواص الجوهر الفرد . وترجح الظن الآن بان الجوهر الفرد مؤلف من الكترونات ايجابية وسلبية متحدة معاً ولا شيءَ فيهِ غير ذلك . واذا زاد عدد الالكترونات التي يتألف منها الجوهر الفرد الكتروناً واحداً او نقص الكتروناً واحداً صار الجوهر ايوناً اي اختلَّت موازنة كهربائيهِ فصارت فعَّالة لانهُ في حال الموازنة يكون مؤلفاً من مقدارين متساويين من الالكترونات الايجابية والسلبية وكل الكترون من النوع الواحد يوازن الكتروناً من النوع الآخر وهي غير متصلة فيهِ لصغرها الفائق بالنسبة اليهِ فكانها فرقتان من الجنود متفرقتان في مملكة واسعة فيقال انهما تحتلاَّنها لان قوتهما منبثة فيها

وفي هذه القضية فرضان الاول ان الالكترون كهربائية محضة لا مادة فيها وهذا الفرض

لم يُجمع عليه العلماء بل يذهب بعضهم الى ان في الالكترون نواة مادية والكهربائية مجتمعة حولها. لكن تصوُّر الالكترون خالياً من هذه النواة اسهل من تصوره والنواة فيهِ. والثاني وجود الالكترون الايجابي كوجود الالكترون السلبي فان الالكترون السلبي يوجد منفرداً يطير من المادة وجرمهُ قدر جزء من الف جزء من جوهر الهيدروجين واما الالكترون الايجابي فلم يوجد منفرداً حتى الآن ولذلك يبقى القول بان جواهر المادة مؤلفة من الكترونات سلبية وايجابية مرتبطة معاً فرضاً من الفروض. لكن هذا الفرض معقول جدًّا وينطبق على ما يعرف من خواص العناصر فيكون في الجوهر الفرد من غاز الهيدروجين ٧٠٠ الكترون مثلاً ٣٥٠ منها مكهربة سلبيًّا و٣٥٠ مكهربة ايجابيًّا تتحرَّك حركات عنيفة تربطها بعضها ببعض حتى يبقى مجموعها في حيز واحد. وفي الجوهر الفرد من الاكسجين ١١٢٠٠ الكترون ومن الصوديوم ١٦٠٠٠ الكترون ومن الباريوم ١٠٠٠٠٠ الكترون ومن الراديوم ١٦٠٠٠٠ الكترون. وتكون العناصر كلها مجاميع نوع واحد من الجواهر او من المادة. ويمكن ان تتألف منها مجاميع اخرى غير المجاميع المعروفة ولكن لا تكون قوة جواهرها متكافئة فلا يثبت اجتماعها بل تتفرق وتزول اما المجاميع التي ثبتت فهي العناصر الكيماوية المعروفة وما هي الا كهربائية في شكل مجاميع مؤلفة من مقادير متساوية من الكهربائية السلبيَّة والايجابية

فاذا ثبت ذلك ثبتت وحدة المادة ووحدة العناصر. الوحدة التي حاول العلماء اثباتها من قديم الزمان الى الآن. واصل هذه المادة ليس مجهولاً كما كان يظن بل معلوم وهو الكهربائيَّة او الامتلاء الكهربائي. وهذا التعليل لا يبيّن ماهيَّة المادة بل يبعدنا خطوة الى الوراء فنصير نسأل ما هي الكهربائيَّة او ما هو الامتلاء الكهربائي وكيف يتألف الالكترون. وما هي علَّة الفرق بين الكهربائية الايجابية والسلبيَّة وما نسبتهما الى الاثير الذي في الفضاء. وهذه المسائل لا تحلُّ الآن ولكن ستُحلُّ يوماً ما وقد اخذ العلماء يحاولون حلها على ما فيهِ من الصعوبة

ههنا انتهي من القسم الاول من خطبتي ولو تلوتها في اول هذه السنة لكان القسم الثاني منها تخيليًّا كلهُ ولكن كُشفت في هذه الاثناء امور جديدة في فرنسا وكندا ترفع كلامي التالي من مقام الظن والتخيُّل الى مقام الامكان والترجيح وتخوّلني ذكر بعض النتائج الفرضيَّة التي تنتج عن حسبان الكهربائيَّة اصلاً للمادة

لقد ثبت من امتحان النور بالمغنطيس ان سببهُ حركة الالكترون السلبي فهو الذي يسبب في الاثير الامواج التي نسميها نوراً. والمرجح الآن انهُ لا يحدث نور الا وتكون الكهربائية سبباً لهُ فاذا تحرَّك الالكترون حركة ارتجاف تولَّد من حركتهِ ما يسمَّى بامواج هرتس التي تستعمل

الآن في تلغراف مركوني . واذا تحرّك حركة دوّارة اي دار دورانًا سريعًا تولّد منهُ نور

وهذا كلهُ من القضايا التي قلتُ ان العلماء تحققوها واجمعوا عليها ومرادي الآن ان اطبقهُ على الفرض الذي فرضناه وهو ان الجوهر الفرد مؤلف كلهُ او بعضهُ من الكترونات متحركة . واذا كانت الالكترونات متحركة فلا بدَّ من ان تؤثر حركتها في ما حولها فمن اين تأتيها الحركة وكيف تبقى فيها وهي تشع منها دوامًا

من المعلوم ان الاجسام الحارَّة تشعُّ حرارة فتبرد اي ان دقائقها تكون في حالة الحركة فتضعف حركتها رويدًا رويدًا ما لم تأتها حركة جديدة ممَّا حولها . لكن الجوهر الفرد ليس كذلك لانهُ اذا خسر شيئًا من حركتهِ خسر ما هو لازم لقوامهِ فينحل الى الاجزاء المؤلف منها فهو ليس شيئًا عديم التغيُّر كما كان يظن بل فيهِ ما يدعو الى انحلالهِ وتجزئتهِ الى الالكترونات المؤلَّف منها . وهذا الفعل بطيء جدًّا ولكنهُ واقع حتمًا لانهُ ما دام الجوهر الفرد مؤلفًا من دقائق متحركة فلا بدَّ من ان تخسر دقائقهُ شيئًا من حركتها رويدًا رويدًا فتختل الموازنة السابقة وتنفصل الدقائق بعضها عن بعض. وقد ثبت ذلك حديثًا بالامتحان فاكتشفهُ الاستاذ بكرل اولاً في عنصري الاورانيوم والثوريوم ثم اكتشفهُ المسيو كوري وزوجتهُ في الراديوم . فظنَّ اولاً ان ما يشعُّ من هذه العناصر من نوع اشعة اكس ثم تبيَّن منهُ الكترونات تنبعث من جواهر هذه العناصر كما تنبعث من القطب السلبي في اناء مفرغ من الهواء او كما تنبعث من القطب السلبي اذا وقع عليهِ النور الذي وراء البنفسجي

ثم اثبت الاستاذ رذرفورد انهُ ينبعث من هذه العناصر ايضًا جواهر مكهربة لكنها ليست صغيرة مثل الالكترون ولا قادرة على نفوذ المواد الكثيفة مثلهُ وهي تؤيّن الهواء الذي تقع عليهِ وكهربائيتها ايجابيَّة وقوتها شديدة وحيثما وقعت ولَّدت حرارة وقد يتولَّد من وقوعها نور كما يتولَّد من وقوع القنابل على صفائح الفولاذ وهي اسرع من القنابل بما لا يقدَّر وتنبعث من الاجسام الشعَّاعة التي مثل الراديوم الى ما شاء الله ثم وجد الاستاذ رذرفرد ان ثقلها الجوهري ليس مثل ثقل الجسم الذي تخرج منهُ بل مثل ثقل الهيدروجين او الهاليوم (١) ومعلوم ان ثقل الراديوم الجوهري ٢٢٥ فاذا خرج منهُ جسم ثقلهُ الجوهري ٢ فلا بدَّ من ان يبقى فيهِ جسم ثقلهُ الجوهري يعادل الفرق بين الثقلين

وقد فحص الجسم الباقي فوجد انهُ طيَّار كالغاز ويمكن وضعهُ في الآنية الزجاجية وهو شعَّاع تشع منهُ دقائق صغيرة من نوعهِ ويبقى منهُ بقية تنبعث منها الالكترونات

(١) [المقتطف] اثبت اخيرًا انها هاليوم

واستنتج الخطيب ان ذلك يدل على تحوُّل العناصر من نوع الى نوع وتركُّب بعضها من بعض وتركُّبها كلها من الكهربائية كما تقدَّم. فالمادَّة دقائق كهربائية مجهَّزة بقوتي الجذب والدفع تتركب منها الاجسام كلها من شموس السماء الى الهباء المتطاير في الهواء

اتقاء البعوض

لقد ثبت الآن ان البعوض او البرغش او الناموس سمهِ كما تشاء ان تسمي هو الذي ينقل عدوى الحمى الملارية المعروفة بحمَّى الغب او الدورية وينقل ايضاً عدوى حمَّى الدنج المعروفة بابي الركب والحمَّى الصفراء الفتاكة الكثيرة الانتشار في اميركا الشمالية والجنوبية

هذا عدا التعب الذي ينال الناس منهُ نياماً كانوا او قعوداً . واذا استؤْصل من بلاد او من مدينة او من حيّ زالت معهُ هذه الحميات وزال القلق الذي ينال السكان منهُ . واستئصالهُ من اسهل الامور وهو اسهل من استئصال الفيران والجرذان. ولا يدع الناس الفيران والجرذان تأكلهم بل يحاربونها بالقطط والمصايد والسموم وما اشبه ولكنهم لا يمدون يداً لمحاربة البعوض

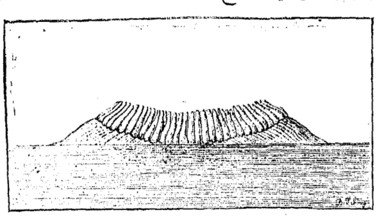
سهرنا البارحة في بيت انفق صاحبهُ على بنائهِ ثلاثة آلاف جنيه وانفق على دهنهِ ونقشهِ خمس مئة جنيه وهو يحسب انهُ افرغ الجهد في اتقانهِ وزخرفتهِ فقضينا نصف الوقت في زجر البعوض والنصف الآخر في مذاكرة الحضور . ولو اطلق صاحب البيت دبراً من النحل على زوَّارهِ ما عرَّضهم للضرر اكثر مما عرَّضهم ببعوضهِ . ومعلوم انهُ لم يربِّ البعوض لهذه الغاية ولا اطلقهُ على زوَّارهِ عن قصدٍ منهُ لكنَّ خدمهُ تركوا اناء فيهِ ماء على سطح البيت او في حوشهِ او في مطبخهِ فتولد البعوض منهُ واقلق السكان والزوَّار

الشائع ان البعوض يتولد في الجنائن من اشجارها ورياحينها وكل ما يزرع فيها ولا سيما من شجر الموز . وهذا الاعتقاد راسخ في الاذهان يصعب نزعهُ منها وسببهُ مشاهدة الكثير من البعوض في الجنائن ولا سيما في الصباح والمساء لانهُ يلجأُ الى تحت اشجارها واعشابها اتقاء الرياح التي تعصف بهِ . والواقع انهُ يتولد في الجنائن احياناً كثيرة ولكن ليس من اشجارها ونباتاتها بل من برك الماء التي تكون فيها او من الماء اذا ركد في آنية مكشوفة بضعة ايام . امَّا النبات نفسهُ فلا يولّد البعوض ولا يمكن ان يتولد حيوان من نبات . ولا يتولد البعوض من الماء تولداً بل تبيض الانثى فيهِ ويخرج من البيض دود صغير وهو المعروف بالعوَم او البراعط

ويسميهِ عامة المصريين علقاً وهو يقيم في الماء بضعة ايام او بضعة عشر يوماً ثم يصير بعوضاً ويطير كما سيجيء

ومن الاوهام الشائعة ايضاً ان البعوض لا يتولد الاَّ في الماء الراكد الآسن. وهذا خطأٌ فان انثى البعوض تبيض في كل ماءٍ راكد آسناً كان او غير آسن. واذا كان في الماء سمك فالغالب انهُ يأكل كل بيضها ولا يبقي منهُ شيئاً. وهي لا تفضل الماء الآسن لانهُ آسن بل لانهُ راكدٌ غير جارٍ فتستطيع ان تقف عليهِ وتضع بيوضها وتنظمها الواحدة مع الاخرى. واكثر ما يتولَّد في البيوت من وضعهِ بيضهُ في آنية الغسل التي يُترك الماء فيها من اسبوع الى اسبوع كما علمنا بالمشاهدة مراراً كثيرة

ومنها ان البعوض لا يتولَّد في الماء الملح وهذا خطأٌ ايضاً فقد شاهدنا عومهُ في البرك الصغيرة



(١) بيوض البعوض على وجه الماء مكبرة

التي على شاطئ البحر حيث يصل ماء البحر احياناً ثم ينحسر ولا يعود يصل الاَّ بعد بضعة ايام

والبعوض ينقل عدوى الحمى من المصاب بها الى السليم باللسع. اي ان البعوضة الانثى تلسع المصاب بالحمى كما تلسع غيرهُ وتمتص قليلاً من دمهِ ويكون في هذا الدم قليل من الجراثيم الصغيرة التي تسبب الحمى ثم تلسع شخصاً سليماً ويمتزج لعابها بدمهِ حيث تلسعهُ لانها تخرج شيئاً من لعابها تمزج بهِ الدم ليسهل عليها امتصاصهُ فيتصل بهِ شيءٌ من جراثيم الحمى ويعدى بها

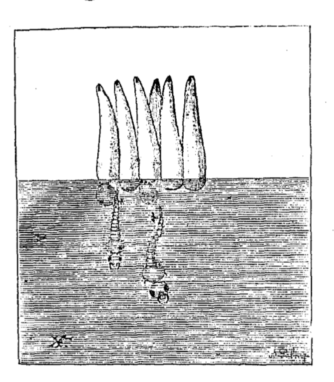
وطعام البعوض من دم الناس والحيوانات ومن عصارة النباتات الطريَّة والظاهر ان الاناث فقط يمتصصن الدم واما الذكور فلا تقدم على ذلك

وحياة البعوض طويلة اطول مما يظن عادة فقد يحيا السنة كلها صيفاً وشتاء ولو لا الطيور والخنافيش والحشرات التي تأكلهُ والامراض التي تعتريهِ وتميتهُ لملأ الدنيا لكن حياتهُ في

طفوليتهِ اي وهو في الماء قصيرة جدًّا من اسبوع الى اسبوعين وهو معرَّض فيها لاشد المخاطر لان السمك يأكلهُ وكذلك كثير من الحشرات الكبيرة التي تكون في الماء واذا تحرَّك الماء وهو في الطور الاخير من طفوليتهِ اختنق ومات

وقد شرحنا كيفية تولّد البعوض في الماء غير مرة ولا نرى بأْسًا باعادة الشرح الآن لاننا لا نزال نرى اكثر الذين نكلمهم في هذا الموضوع يجهلون كيفية تولّد البعوض ويجهلون انهُ يتولد في الماء فنقول

البعوض انواع مختلفة ويهمنا منها الآن ثلاثة انواع البعوض العادي الذي اكتشف



(٢) العوم خارجة من البيض مكبرة جدًّا

الدكتور غراهم من اساتذة مدرسة بيروت الكلية الاميركية انهُ ينقل عدوى حمَّى الدنج. وبعوض الانوفيل الذي اكتشف الدكتور روس وغيره انهُ ينقل عدوى الحمى الملاريَة. ونوع ثالث اكتشف العالم اندروود الاميركي انهُ يأكل ديدان البعوض العادي

والانواع الثلاثة متشابهة شكلاً ولكن يفرق بينها فروق واضحة تميزها بعضها عن بعض كما سيجيء وكلها تتزاوج في الهواء ثم تبيض اناثها في الماء الراكد

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تفتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماء اكثر من ان يجف في بضعة ايام واقل من ان يعيش فيهِ

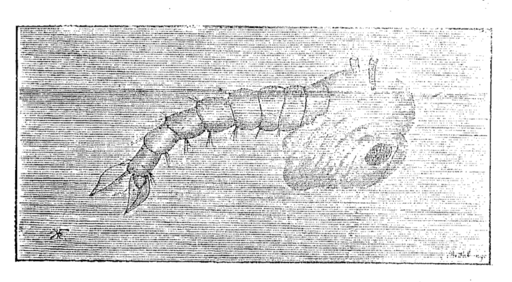
السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة الشدة في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبَّرة فيهِ اضعافاً كثيرة والماءُ مرتفع معها من جانبيها . ويبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئة بيضة الى اربع مئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج الديدان او العوَم او العلق منها كما ترى في الشكل الثاني والبيوض والعوَم او الديدان التي فيهِ مكبَّرة جدًّا . وما من احد الَّا رأى هذه العوَم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها خمسة ايام او ستة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيرًا من العوَم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى وتكبر يوماً بعد يوم . واذا أراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار. لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماءٍ صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديرًا وعينين سوداوين وصدرًا ضخماً وبدناً كثير المفاصل تنتأ منهُ اهلاب كالشعر

(٢) عومة مكبَّرة كثيرًا

ترى في الشكل الثالث صورة عومة من عوم البعوض الاعتيادي وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة هنا مكبرة كثيرًا . ولها في طرف رأْسها مما يلي فاها اشناب تحرك دواماً فتحرك الماءَ وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوَم البعوض شرهة مثلهُ تأْكل كثيرًا ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الهواء . وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء قبل ذلك . وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تنفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقيًّا واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء واذا حرّك الماء طويلاً حينئذٍ اختنقت فيهِ



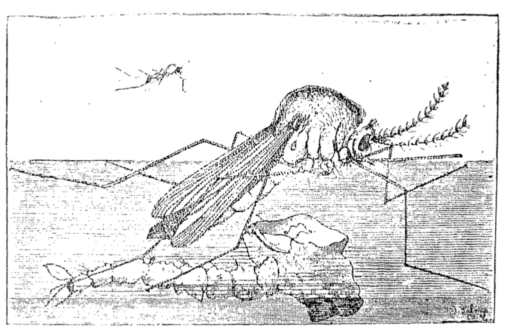
(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

وتحت هذا الذنب او الانف عضوٌ آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي بمثابة المجاذيف والدفة تسير بها في الماء وتنتقل من جهة الى أُخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالمجاذيف . ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء

ويمضي على العومة بضعة ايام وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى في الشكل الرابع وهو مكبَّر كثيرًا . وتتصوَّر حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح وينسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود تتنفس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل

الرابع . ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم او يومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق الماء صغيرة حسب قدها الطبيعي . ويكون جسمها رطبًا حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

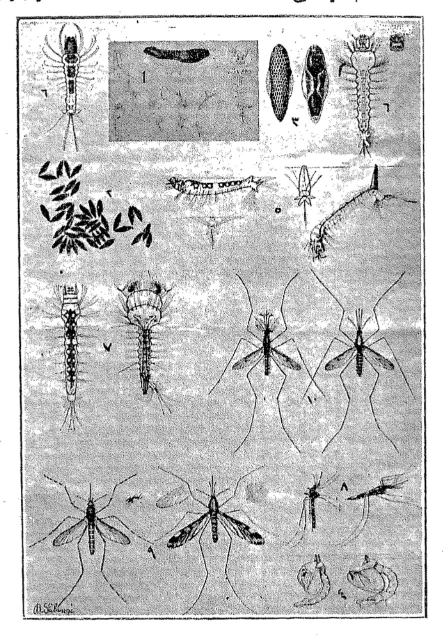
والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأَرْي الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا نراها في البيوت الاَّ نادرًا وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها اما الاناث فتكثر في البيوت وتمتص الدم من الانسان والحيوان



(٥) البعوضة حال خروجها من غلافها

وبعوض الحمى الملارية لا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض كالبعوض العادي بل يدعهُ على وجه الماء متفرقًا فيدنو بعضهُ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء . ترى هذه البيوض عند الرقم ٢ في الشكل السادس وهي متفرقة مستدقة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم اكبر مما هي في الحقيقة . وقد كبرت واحدة منها ايضًا ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر وواضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحمى عما هو في البعوض العادي اختلافًا كبيرًا جدًّا . فاذا رأيت بيوض بعوض الحمى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحمى موجود هناك

والديدان او العوّم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحمى



الشكل السادس (١) بيض البعوض العادي وعومة في الماء ٠ (٢) بيض بعوض حمى الربع الملاريه (٣) بيضة مكبرة كثيراً من هذا البيض تظهر من وجهيها ٠ (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء ٠ (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو ٠ (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار ٠ (٨) شكل البعوض في وقوفه فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يساره بعوضة عادية ٠ (٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان ٠ والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران ٠ (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يساره

عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء . فعُوَم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل السادس وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيءٍ تأكلهُ ثم تعود الى وجهِ الماء كل دقيقة او دقيقتين . وكأنها اثقل من الماء فتتلوّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوّم بعوض الحمى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكلٍ افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ ورأس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجده عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل . وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجهِ الماء . وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة . والظاهر ان عوّم بعوض الحمى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الاَّ اذا خافت

ورأس عوم البعوض العادي اكبر من رأس عوم بعوض الحمى كما ترى على جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحمى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات . وهذه تختلف ايضًا في النوعين اختلافًا بيّنًا كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحمى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط . اما اختلاف شكلهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم ٩ انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسارهِ انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي الخرطوم فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكر البعوض لا يمتص دمًا كما تقدَّم فلا ضرر منهُ وريشتا رأسهِ طويلتا الاهداب . وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمى وانثاهُ فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عموديًّا على السقف او الحائط كأنها مسمار غرز فيهِ كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او للسقف كما ترى على يسار الرقم ٨ . ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

واذا عرف الانسان عدوهُ لم يتعذر عليهِ انقاؤهُ فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الَّا في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نزح ماؤها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبَّت فيها مادة تميت عومةً كزيت البترول

هذا من حيث البعوض العادي الذي تنتشر بهِ حمَّى الدنج وبعوض الانوفيل الذي تنتشر بهِ الحمى الملارية . وقد اكتشف عالم اميركي اسمهُ اندروود نوعًا من البعوض يشبه بعوض الملاريا شكلاً لكنهُ اكبر منهُ قليلاً وليس لهُ خرطوم يمتص الدم بهِ فلا سبيل لهُ الى لسع الناس ونقل الحميات . ولو اقتصرت مزاياهُ على ذلك ما كان لاكتشافهِ شأن ولكن ظهر من امرهِ ان ديدانهُ تاكل ديدان غيرهِ من البعوض وكفى بذلك فائدةً فان مكتشفهُ وجد دودهُ في السابع والعشرين من شهر يناير الماضي في بركة لم يجد فيها غيرهُ وهو اكبر من دود البعوض العادي ولونهُ يكاد يكون اسود ورأسهُ كبير بالنسبة الى بدنهِ فيهِ مشفران حادَّا الاسنان . وضع خمس عشرة دودة منهُ في اناء ولم يمضِ عليها زمن حتى اخذ بعضها يفترس البعض الآخر فتمسك المفترسة اختها من فوق الانبوب الذي تتنفس منهُ وتنفضها وتبتلعها من ذنبها فصاعدًا الى رأسها ولما خاف ان لا يبقى عندهُ شيء منها فرَّق بينها ووضع كل دودة في اناء على حدة فبلغت اشدها واستحالت بعوضًا فرأى انهُ مثل بعوض الحمى شكلاً ويزيد عليهِ جرمًا. ثم وجد بالامتحان ان دود هذا البعوض يأكل دود غيرهِ من البعوض فان اربع عشرة دودة منهُ اكلت في ليلة واحدة سبعين دودة من دود البعوض العادي. وآخر ما قرأناهُ من قلم المكتشف انهُ لم يكن امتحن فعلهُ بدود بعوض الحمى الملارية

فهذا البعوض اذا ثبت ان ليس منهُ ضرر وانهُ يأكل عوَم غيرهِ من البعوض فهو علاج طبيعي لهُ ولكن الوسائل الصناعية التي في طاقة الانسان اوفى منهُ وهذه الوسائل هي

اولاً منع بقاء الماء في الآنية المكشوفة اياماً متوالية من ستة ايام الى ستة عشر يومًا . وكاس ماء تكفي لتوليد ما يملأ بيتًا من البعوض فعلى اصحاب البيوت ان لا يتركوا في بيوتهم ولا حولها اناء يستقرُّ فيهِ الماء بضعة ايام مهما كان نوعهُ

ثانياً اذا كان في البيت او في ما يجاوره بركة ماء وجب ان يربَّى فيها السمك فقد رأى بعضهم سمكتين من السمك الذهبي الاحمر في بركة صغيرة اكلتا ٩٨ دودة من دود البعوض في اربع دقائق

ثالثاً على الحكومة والمجالس البلدية ان تردم كل البرك والمستنقعات المجاورة للمدن ولا تدع الماء يركد فيها صغيرة كانت او كبيرة اذا لم يكن في الطاقة تربية السمك فيها

رابعاً اذا وُجد في مكان بركة يتعذَّر ردمها وتتعذر ايضاً تربية السمك فيها فيكفي لاماتة ما فيها من دود البعوض ان يصب فيها قليل من زيت البترول والدرهم منهُ يكفي لاماتة دود البعوض من اناء مساحة سطح الماء فيهِ قدم مربعة . وعشرة دراهم تكفي لاماتة دود البعوض من الماء الذي سطحهُ متر مربع . ولا بد من تكرار صب الزيت مرةً كل عشرة ايام لان ما يصبُّ منهُ يتبخَّر في هذه المدة

خامساً اذا كثر البعوض في مكان وأُريد التخلص منهُ فاحرق فيهِ الدقيق المعروف بالدقيق الفارسي حتى يكون دخانهُ كثيراً وذلك بان تضع جمر النار في اناء وتغطيهُ بقليل من الرماد ثم تذر الدقيق الفارسي عليهِ فيحترق بدخان كثير يملأُ الغرفة او الساحة التي تحرقهُ فيها ويبعد البعوض عنها او يخدرهُ او يميتهُ

سادساً اذا وضعت الشباك الدقيقة في الشبابيك والابواب فالغالب انها تمنع البعوض من دخول البيت واذا وضعت الناموسيات (الكلات) حول الاسرَّة وأُبقيت ذيولها على الفراش فقلما تستطيع بعوضة ان تدخل منها الى النائم

سابعاً اذا أُصيب احد بالحمى الملارية او حمى الدنج فلا تدع البعوض يلسعهُ لان كل بعوضة تلسعهُ تنقل العدوى منهُ الى غيرهِ

ومن قرأَ هذا الفصل بالامعان سهل عليهِ ان يمنع البعوض من التولد في بيتهِ وحولهُ وان يقي نفسهُ منهُ

هذا وتجد في مقالة سابقة ان بعوض الحمَّى الملارية وُجد في حلوان على مقربة من القاهرة وحالما عُلم ذلك اهتمت الحكومة المصرية ومصلحة سكة حديد حلوان بردم المستنقعات القريبة من حلوان فعسى ان يخرج هذا الاهتمام من القوَّة الى الفعل قريباً . وقد ثبت الآن ان الحميات قلت في الاسمعيليَّة بعد ردم المستنقعات القريبة منها ولا بدَّ من انها تقل من كل بلاد تردم مستنقعاتها

العلاج بالراديوم

لما كُشفت خواص الراديوم الغريبة في غرة هذا العام رأى كثيرون ان سيكون لهُ شأن كبير في المباحث الطبيعيَّة والاعمال الصناعيَّة ولكن لم يخطر على بال احد ان تكون لهُ منافع طبيَّة ليست في غيرهِ من العناصر ولا ينتظر ان تكون في عقار واحد مهما كان . اما من حيث شأنهُ العلمي فقد قال احد العلماء عنهُ منذ بضعة اشهر على صورة الاستفهام التعجبي " ما هو مستقبل الراديوم هذا المعدن الغريب الخواص الذي كانت نارهُ الداخلية تتقد حينما كانت





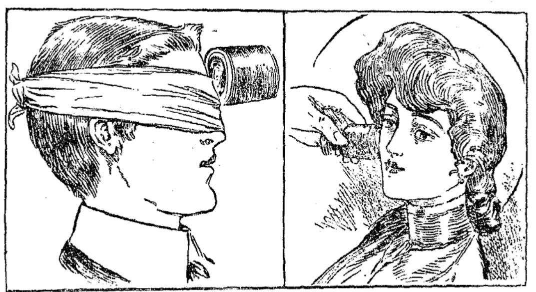
ش ١ عولجت بالراديوم فشفيت من الذئب الاكال   ش ٢ امرأة مصابة بالذئب الاكال

الارض شمساً من الشموس وستبقى متقدةً بعد ان تنطفئ شموس اخرى وتبرد " . ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في الشهر الماضي كان الشأن الاول فيهِ لخطبة رئيسهِ التي ترجمناها ونشرناها في الجزء الماضي والشأن الثاني للبحث عن الراديوم وخواصهِ وتجارب العلماء فيهِ

وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الدكتور حبيب خيَّاط عاد من بلاد الانكليز بقليل من الراديوم لاستعمالهِ طبًّا وعلمنا منهُ ان استعمال هذا العنصر قد شاع الآن في كثير من المستشفيات وانهُ ذاكر الاطباء الذين استعملوهُ هو والنور الذي وراء الضوء البنفسجي واشعتهُ من نوع اشعَّة الراديوم واحضر الينا صوراً فوتوغرافيَّة تمثل امرأتين كانتا مصابتين بالذئب الاكَّال فعولجت احداها باشعة الراديوم والثانية بالاشعة التي وراء النور البنفسجي فشفيتا منهُ

كما سيجيء . فاذا ثبت بالتجارب التالية ان الذئب الاكّال يشفى دائمًا بهذه الاشعة ولا يعود ثانيةً فمن ذلك نفع عظيم لنوع الانسان لاسيما وان هذا الداء من نوع داء السل ومكروبهما واحد في نوعهِ فيحتمل ان ما يشفي الواحد يشفي الآخر ايضاً . والذئب الاكّال قليل الانتشار ولكن السل اشد الامراض انتشارًا وفتكًا

اما المرأة التي اشرنا اليها آنفًا وقلنا انها عولجت باشعة الراديوم وشفيت فعمرها ٤٥ سنة وهي المرسومة في الشكل الاول والثاني اي بعد العلاج وقبلهُ وكانت مدة معالجتها ثلاثة اشهر وقد شفيت من الذئب الاكّال تمامًا كما ترى في الصورة السابقة وهي منقولة عن صورة فوتوغرافية .



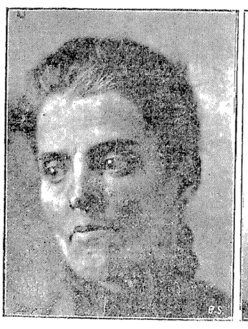
ش ٣ فتاة عولجت بالراديوم من النفرلجيا ش ٤ شاب مغمض العينين يرى بواسطة الراديوم

وقرأنا في جريدة الدايلي مايل ان امرأة اخرى شفيت في اسكتلندا من الذئب الاكّال بعد معالجتها باشعة الراديوم اربعة اسابيع لا غير

ويستعمل الراديوم هكذا توضع ذرات صغيرة منهُ في مقبض اسطواني كالقنينة ويغطّى بقطعة من الزجاج ويمسك المقبض ويوضع الراديوم امام العضو المصاب فتخرج منهُ اشعة مؤلفة من ذرات صغيرة سرعتها ١٨٥٠٠٠ ميل في الساعة وتخترق الزجاج وتقع على قرحة الذئب الاكّال فتأكلها واذا وقعت على عضو سليم قرَّحتهُ تقريحًا لا يشفى الَّا في بضعة اشهر وقد لا يشفى ابدًا

والمظنون ان اشعة الراديوم تشفي من السرطان كما تشفي من الذئب الاكّال ويقال ان اثنين مصابين بالسرطان عولجا بهذه الاشعة في فينَّا فشفيا منهُ . ولا يجوز الحكم بان الشفاء تام الَّا بعد ان تمضي مدة طويلة ولا يظهر السرطان ثانية

واغرب من ذلك ان الاستاذ لوندِن الروسي جعل العمي يبصرون في ما قيل فاتى بولدين عمر احدها احدى عشرة سنة وعمر الآخر ثلاث عشرة سنة كانا قد فقدا بصرها في السنة الاولى من عمرها وادخلهما غرفة مظلمة ووضع انبوبًا فيهِ الراديوم على جبينيهما ثم ألقى صور بعض الاجسام على ستار مستنير بنور الراديوم فشعرا بصورها ورأياها منطبقة على الشكل الذي يعلمانهِ لها باللمس فعرفا النقود والمفاتيح وما اشبه ويقال انهما تعلما الآن حروف الهجاء الروسية وصارا يقرأان بعض الكلمات . وقال انهُ عصب عيني شاب بمنديل حتى لم يعد يرى شيئًا ثم ادخلهُ غرفة مظلمة ووضع اناء الراديوم امام جبهتهِ فرأى ما امامهُ من الاشباح كما ترى في الشكل الرابع





ش ٥ شفيت بالاشعة التي وراء البنفسجي ش ٦ امرأة مصابة بالذئب الاكال

وعالج بعضهم آفات الانف بالراديوم وعالج غيرهُ النفرلجيا المستعصية بهِ كما ترى في الشكل الثالث . والقى البعض اشعتهُ على ميكروبات التيفويد والكوليرا والجمرة فاماتتها لكنها تميت الاحياء الكبيرة كما تميت الصغيرة فقد وُضعت الفيران بقرب جزءٍ صغير جدًّا من ملح الراديوم فاصابها فالج دماغي وماتت . فاذا كان مقدار الراديوم كبيرًا ووضع في غرفة مع أناس أُغلق عليهم فيها ومنعوا عن الخروج منها فلا يبعد ان يميتهم ولذلك صار العلماء يحذرونهُ في تجاربهم العلمية فلا يمسكونهُ الَّا ملفوفًا بلفائف معدنية . ويقال ان السر وليم كروكس وضع قطعة صغيرة منهُ في جيبهِ وذهب الى الجمعية الملكية ليظهر خواصهُ فيها فلما عاد الى بيتهِ وجد انهُ فعل بخاصرتهِ فعل الحرَّاقة، وهو يحرق الجلد لكن الشعور بهِ كالشعور بالثلج لا كالشعور بالنار

وعرض الدكتور بوهن دعاميص الضفادع لاشعة الراديوم فنمت سريعًا وصارت ضفادع

ولكن تغيرت خلقتها عن الشكل المألوف

ولا يزال المستخرج من هذا العنصر قليلاً جداً وثمنهُ فاحشاً لان ثمن الدرهم منهُ نحو ١٣٠٠ جنيه . ولا بدَّ من ان يكثر استخراجهُ اذا ثبتت منافعهُ فيرخص ثمنهُ

والظاهر ان الاشعة التي وراء البنفسجي من اشعة الطيف تفعل فعل اشعة الراديوم فانها كلها من نوع واحد كما ترى من خطبة السر اوليفر لدج المدرجة في هذا الجزء اي مؤَلفة من ذرات دقيقة من الكهربائية السلبيَّة . وترى في الشكل الخامس والسادس صورة امرأة عمرها ٢٨ سنة كانت مصابة بالذئب الاكال في وجهها الايسروجانب انفها مما يليهِ فعولجت بالاشعة التي وراء البنفسجي فشفيت في ستة اشهر . فاذا ثبت ان هذه الاشعة تفعل دائماً فعل اشعة الراديوم فانها تغني عنهُ . وسنرى في العام المقبل من غرائب هذا العنصر وهذه الاشعة ما لم يحلم بهِ ابناء العصور الغابرة

بيروت وحوادثها

بيروت ثغر الشام وزهرة المدائن العثمانية كانت دار المدارس ومرضعة العلوم في عهد اليونان والرومان ثم تعاونت القوى الطبيعيَّة والمشاكل السياسية على تخريبها فهُدمت اركانها ودُرست اعلامها حتى لم يبقَ منها في اواسط القرن الماضي الاَّ فرضة صغيرة . وعادت الايام فبسمت لها فنمت وانبعت رغماً عن الادواء التي خربتها فزادت عمارتها اضعافاً كثيرة ونشأت فيها خمس مدارس عالية ومدرستان كليتان ومطابع كثيرة لا تفوقها مطبعة في الشرق حتى الآن . وانشأ كتَّابها الجرائد السياسية والمجلاَّت العلميَّة واقام تجارها الدور الصناعية وفتحوا البيوت التجارية في الممالك الاوربيَّة . ثم الجم الاستبداد السنة جرائدها وضيَّقت المراقبة حلقات مطابعها وميزت السياسة بين سكانها لتفريق كلمتهم وجاءها فقراء المأمورين وقد ابتاعوا مناصبهم ابتياعاً بالرشى وغرضهم الاول ابتزاز الاموال لايفاء ما استدانوا ففترت الهمم وضعفت العزائم ونفرت القلوب . وتوالى العفو عن بعض الجناة فزادوا عتوًّا وضُيّق على البعض الآخر فلجأُوا الى الفرار وتربصوا بمن عاداهم الشر . وما زالت هذه الخطوب تتوالى الى ان امتلات كاس الحقد ففاضت وانسدَّ حلق البركان فثار . فناوش السكان بعضهم بعضاً يقسمهم الدين ولا يزعهم وازع واضطرَّت الفئة الكبرى منهم ان تخرج من المدينة وتلجأَ الى الجبال لانها غير مسلحة وتمَّ غرض محبي التفريق وزارعي بزور الشقاق

ولقد كنَّا كلما كتبنا فصلاً عن مدائن الشام وخرائبها وما كان لها من العظمة والشأْن في القرون الخوالي وما صارت اليهِ في هذا العصر نتذكر قصَّة البومة التي طلبت صداقاً مئة مدينة خربة فوعدها خطيبها بها ما دام سوء الاحكام والظلم سائدين في البلاد. وهذه الحقيقة يعلمها الجميع ويجاهر بها كلُّ مَن لم يُغلُّ الاستبداد فمهُ وقد اعرب عنها الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله في قصيدة بعث بها الينا يقول فيها

سلامٌ على بيروتَ لولا التحزُّبُ وحكَّامُ سوءٍ أَفسدوها وخرَّبُوا
همو قلَّدوا جهالها فوق جهلهم سلاحاً وهم نادوا بجمعهم اَضربوا
يقاتلُ فيها البعضُ بعضاً كأَنهُ عدوٌّ عليهِ قتلهُ الدينُ يوجبُ
ومن عجبٍ ان يغلب الجهلُ بلدةً لها من سلاح العلم ما ليس يغلبُ
إِذا ذكروا في الشرق فضلاً لكاتبٍ فإِنَّ اليها ذلك الفضلَ ينسبُ

الى ان قال

افي كلِّ يوم يارجالَ جنايةٌ تساوى بها منكم بريءٌ ومذنبُ
أَيرضى بهذا دينُ عيسى واحمدٍ وفي كل دينٍ زاجرٌ ومؤَنبُ
لكم كل يومٍ عبرةٌ لو أَردتمو تصانُ بها تلك الدماء وتحجَبُ
وحسبكمو من مالكم ما خسرتمو وما ترتشي الخُوَّانُ منهُ وتكسبُ
لعمري اذا غادرتمو جهلاءَكم تجرّرُ أَذيالَ الشرور وتسحبُ
فليس لكم مندوحةٌ من ثلاثةٍ يجيء بها هذا البلاء ويذهبُ
نوًى او حياةٌ بالمذلة أَو ردًى وليس وراء الموت للحرِّ مطلبُ

ومعلوم انهُ لا يريد بالحكام الاَّ الفريق الطاغي منهم الذي يقصد التفريق بين السكان إِمَّا سياسةً وإِما طمعاً لاننا واثقون ان ليس كل الحكَّام من هذا القبيل بل منهم فريق كبير يبذل جهدهُ في جلب المنافع ودرء المفاسد وان المدن التي صبرت على نوائب الدهر حتى الآن لا يخشى ان يودي بها سوء الاحكام ولو اضعف جسمها واخَّر نموها . ولا بدَّ لها من ان تتغلَّب عليهِ اخيرًا حين يعلم السكان ان مصلحتهم تقوم باتفاقهم وان الجامعة الوطنية يجب ان تكون فوق كل جامعة اخرى وبها يعلو شأْنهم وشأْن بلادهم

والذين يهمهم امر بيروت وسائر بلاد الشام ويقابلون حالها الحاضرة بما كانت عليهِ منذ الفي عام او يقابلون حالها وحال القطر المصري الآن بما كانا عليهِ منذ عشرين عاماً لا يسعهم الاَّ الاعتراف بان احوال بلاد الشام على غير ما يرام وان حسن الادارة وانتظام الاحكام

يسعدان البلاد في سنين قليلة . ولا يقفون عند هذه المقابلة وهذا الاستنتاج بل ينتقلون الى الاشارة بالعلاج الذي يعالج بهِ هذا الداء فمنهم من يشير بضم ولاية بيروت الى جبل لبنان واشراكها في امتيازاتهِ ومنهم من يتوسَّع ويطلب ان تجعل ولاية سورية وبيروت ولاية واحدة مع جبل لبنان وتعطى نوعاً من الاستقلال الاداري تحت سيادة الدولة العلية

وقد كنا نطالع في هذه الاثناء تاريخ لبنان الذي وضعهُ الكاتب الانكليزي الشهير الكولونل تشرشل بك فوجدنا فيهِ كلاماً لمحمد علي باشا جد العائلة الخديوية يحلُّ مسألة الشام حلاً يحسبهُ البعض اصح من غيرهِ واحسن عائدة على الدولة العثمانية . فان الامير بشير الشهابي لجأ الى محمد علي عزيز مصر منذ ثمانين سنة هرباً من ظلم والي الشام ووالي عكاء وطمعهما الاشعبي فانزلهُ محمد علي على الرحب والسعة وسعى لهُ في ارجاع صديقهِ عبد الله باشا الى ولاية عكاء وارجاعهِ هو الى ولاية لبنان . وقبل ان برح الامير الديار المصرية استدعاهُ محمد علي اليهِ واطلعهُ على ما ينويهِ فقال " ان بلاد الشام كانت متصلة ببلاد مصر وكانت البلادان تسعدان حينما تكونان لحاكم واحد اما الآن فقد نزفت خيرات الشام وتقوَّضت اركانهُ واوصلهُ جشع الولاة الى الفقر المدقع وصيَّر مروجهُ الخصيبة قفاراً جرداء

" ولبنان لو انتظمت حكومتهُ لصار مقر السعادة والهناء ولم يكن لهُ مثيل في بلاد المشرق ولكنهُ استحال بسوء سياستهم الى دار حرب دائمة . وبلاد الشام كلها تحوَّلت من رغد العيش ورفاه الحال الى الفقر والضيق بل كادت تعود الى حال البربرية ". ثم وصف حال القطر المصري وما بلغ اليهِ من سوء الحال قبل ان تولاَّهُ وما صار اليهِ بسعيهِ اذ اصلح ريهُ واستثمر خيرات ارضهِ وانشأ فيهِ المعامل الصناعية وكل ما يسعدهُ ويرقى بهِ الى درجة ممالك اوربا الفائقة في عمرانها. وان سعيهُ هذا عُرف لدى جلالة متبوعهِ السلطان الاعظم فشكرهُ عليهِ وامرهُ ان يعد الجنود لاخماد ثورة المورة ولا يبعد انهُ اذا افلح في اخماد تلك الثورة يستدعيهِ لاراحتهِ من عناء الاحكام في بلاد الشام حيث نهب الولاة الرعية وافسدوا حالها واضطروها الى اثارة الحروب والفتن والاستمرار عليها

وقال لهُ اخيراً انهُ مصمم على ضم القطر السوري الى القطر المصري وطلب منهُ ان يكون مستعداً لذلك فينجدهُ برجال لبنان اذا دعت الحال (انظر تاريخ لبنان الفصل ٢٥ من المجلد الثالث)

هذا ما كتبهُ الكولونل تشرشل منذ نحو ستين سنة ولا بد من ان يكون قد سمعهُ من الذين سمعوهُ من محمد علي او من الامير بشير . وهو حلٌّ آخر للمسألة السورية يحلم بهِ كثيرون اما نحن فنستبعدهُ جداً في الاحوال الحاضرة ولم نذكرهُ هنا الاَّ للدلالة على امر نجاهر بهِ

دواماً وهو ان صلاح البلاد بصلاح حكامها ولاسيما ان توفرت فيها الخيرات الطبيعيَّة كبلاد الشام وكان اهلها ذوي همة ونشاط كاهالي الشام . ولو كان الحكام من البلاد نفسها لقلنا ان صلاحها وفسادها انما هو باهاليها لان الحكام منهم ويستحيل ان يكونوا ارقى من اخوانهم او احط اما والحاكم من غير الاهالي فيتعذَّر على الاهلين اصلاح احوالهم اذا جرى الحاكم على ضد ذلك ولم يكن في وسعهم اصلاحهُ ولاعزلهُ . ولكن ما من داءٍ اجتماعي الاَّ ولهُ دواءٌ بالصبر والتبصر

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

التمريض الجراحي

الفصل الاول في الميكروبات واتقائها

كثر الكلام على الميكروبات في هذه الايام ولكن قلَّ من يعرف عنها شيئاً غير انها احياء صغيرة جداً ولا يعلم مقدار صغرها واختلاف انواعها الاَّ نفر قليل من العلماء . والذين ينظرون الى اجرام السماء بالتلسكوب ويرون عظمتها وكثرة عددها يستصغرون انفسهم وارضهم ويحسبون ان الخالق لا يلتفت اليهم ولكنهم اذا تركوا التلسكوب ونظروا بالميكرسكوب رأَوا من الاحياء الصغيرة ما يعد بملايين الملايين في كل ما حولهم ورأَوا الانسان اكبر واعظم من مخلوقات كثيرة

وهذه الاحياء الصغيرة او الميكروبات تعيش في الاوساخ والاقذار وتدخل الجسم من الجراح او تدخلهُ بالشرب مع الماء او بالتنفس مع الهواء وحيثما جرح الجسم صار فيهِ باب لدخول الميكروبات فتدخل وتسبب الالتهاب والصديد والحمَّى واذا لم تقاوم شملت الجسم كلهُ وسمَّت الدم وسببَّت الموت

منذ ٣٦ سنة لم تكن تعمل عملية جراحية من غير ان يحدث فيها تقيُّح قبل شفائها . ولم

تكن المستشفيات نقية . وكانت ادوات الجراحين تغسل فقط وتنشَّف وكان الماء مشحوناً بالميكروبات وكذلك اللفائف والربائط ولم يكن احد يعلم شيئاً عمَّا فيها

وقد ثبت الآن ان لكل مرض ميكروباً خاصًّا بهِ وان الميكروبات كثيرة الانواع ومنتشرة في كل مكان ولكن يمكن تنقية بعض المواد والامكنة منها . ويطلق على المادة التي نزعت الميكروبات منها اسم الاسبتك ومعناهُ الخالي من الفساد ومن هذا القبيل الماء المعقَّم الذي أُغلي حتى ماتت كل الميكروبات منهُ والآلات الجراحية التي وضعت في الماء الغالي او في محلول الحامض الكربوليك . والقطن واللفائف التي أُغليت في الماء او وضعت في فرن حام او نقعت في سائل مضاد للفساد

والمواد المضادة للفساد (انتسبتك) هي السموم القوية التي تقتل الميكروبات مثل الحامض الكربوليك والسليماني واليودوفورم وهي كثيرة الاستعمال في الجراحة ولكنها اذا كانت قوية فقد تهيج الجرح او تسم العليل ولذلك لابدَّ من الاحتراس في استعمالها . ثم ان المواد المضادة للفساد قد تفسد اي تدخلها الميكروبات ويحدث ذلك اذا عتقت وفقدت قوتها على قتل الميكروبات . ولذلك جرت العادة الآن ان تنفق النفقات الطائلة على بناء اماكن خاصة لعمل العمليات الجراحية وتعقيم كل ما يستعمل فيها من ماء وآلات جراحية واربطة وما اشبه ويجدد هواؤُها دواماً بمراوح كهربائية وتعدَّل حرارتها حسبما تستدعي حال المريض

وتختلف هذه الاماكن في بعض المستشفيات الكبيرة حسب اختلاف العمليات الجراحيَّة التي تعمل فيها فبعضها للعمليات البطنية وبعضها لعمليات العيون وبعضها لسائر العمليات وفي كلٍّ منها ما يلزم من الآلات والادوات والاستحضارات اللازمة للعمليات التي تعمل فيها

وهناك غرف مختلفة للبس الثياب النظيفة التي يلبسها المشتركون في عمل العمليات الجراحيَّة واحدة منها للاطباء وواحدة للتلامذة المساعدين وواحدة للممرضات فينزع الاطباء والمساعدون سترهم ويلبسون مراويل كبيرة تغطي ثيابهم كلها . ويلبس الممرضات مراويل كبيرة واكماماً تربط فوق المرفق . ويبتدئ الجميع بغسل ايديهم وتنظيف اظافرهم بالماء السخن والصابون ثم يغطسونها في سائل مضاد للفساد مثل محلول السليماني او الحامض الكربوليك . ومحلول السليماني افضل لانهُ لا يخشّن اليدين . ثم يمشي الجميع الى غرفة العمليات ويؤْتى بالعليل من غرفة التبنيج على سرير لهُ عجل يسير عليها ويجب ان لا يعلم شيئاً مما أُعدَّ لهُ ويوضع على مائدة العمليات ويقف المبنج فوق رأسهِ والجرَّاح المساعد عن جانبهِ وبالقرب منهُ التلميذ وممرضتان . ثم يدخل الجراح الكبير ويغطس يديهِ ثانية في اناء فيهِ سائل مضاد للفساد ويمسك

السكين ويشرع في العملية ويتم العمل بالصمت التام . فاذا كان كل شيء معدًّا منظمًا فالعملية التي كانت تعمل في ساعة او ساعة ونصف تعمل الآن في نصف ساعة فيقل الم المريض ويقل خطر العمليات جدًّا

وقلما تعمل العمليات الجراحية الآن في اوربا الاَّ في المستشفيات لان الخطر من عملها في البيت كثير جدًّا ولذلك انشئت مستشفيات خاصَّة بالاغنياء يقيمون فيها وقت العمليات الجراحية ولا يستعيبون ذلك . ويكون في هذه المستشفيات غرفة خاصَّة بكل مريض وممرضةٌ خاصة بهِ

الفصل الثاني في العوارض

اذا عرض لانسان عارض ما فالغالب ان الذين يرونهُ يبادرون اليهِ ويحاولون ايقافهُ وهذا خطأٌ لانهُ اذا جُرح يكثر نزف الدم منهُ بايقافهِ واذا كسر فيهِ عظم زاد الكسر المًا ودخلت شظايا العظم في لحمهِ وجرحتهُ وزادت تعبهُ وضررهُ . واذا ايفت سلسلتهُ الفقرية واوقفتهُ فقد يموت حالاً . واذا كُسرت جمجمة رأسهِ واوقفتهُ فقد لا يعود يشفى . واذا أُغمي عليهِ او أُصيب بالفالج فايقافهُ على رجليهِ يزيد ضررهُ

وقد تقول لي ماذا نفعل اذًا فالجواب ان افضل ما تفعلهُ اذا سقط احد او رُمي ان تبادر اليهِ وترى ماذا انكسر او انجرح منهُ فاذا وجدت الآفة وانها ذات خطر فلا تحاول تحريكهُ من مكانهُ الاَّ بعد ان تحضر فراشًا او قطعة متينة من الخيش او بابًا او لوحًا عريضًا ثم ترفعهُ وتضعهُ عليهِ ويجب ان يمسك شخص بالعضو المصاب حتى لا يتقلقل وقت رفعهِ ويحملهُ اثنان او اكثر من عند رأسهِ وقدميهِ

الراحة

يراد بالراحة إبطال العمل الجسدي والشغل العقلي وترك الاهتمام بهما لكي تتجدد قوى الجسد والعقل . والانسان الذي يعوّد نفسهُ الراحة التامَّة والانقطاع عن العناء انقطاعًا تامًّا يستطيع ان يعمل في اوقات العمل مضاعف ما يعملهُ غيرهُ من الذين يقضون ساعات الراحة بهموم العمل

وكل احد يحتاج الى ساعات ينام فيها واوقات ينقطع فيها عن العمل تمام الانقطاع . والنساء ربَّات البيوت احوج الى ذلك من الرجال لان هموم بيوتهنَّ تتبعهنَّ في الغالب نهارًا وليلاً . ولو اقتسم الناس اعمال الحياة على السواء لرأيت انهم كلهم يستطيعون ان يستريحوا

ساعات كثيرة كل يوم ولرأيت ان اشتغال ساعات قليلة يكفي للمعيشة ويزيد عليها ولكن كسل البعض واهمالهم يوجب على البعض الآخر ان يشتغل لهم ويفعل ما يمنعهم كسلهم عن فعلهِ

وان من اقبح الامور ان ترى والدةً تنهض باكرًا لتدبير بيتها والاهتمام بما يلزم لزوجها واولادها لاجل راحتهم ورفاهتهم وبناتها نيام او واقفات امام المرآة يرتبن شعورهنَّ او جالسات يطالعنَ القصص والروايات . او ترى والدًا ينام باكرًا لكي يستطيع ان ينهض باكرًا لاعمالهِ ويقضي نهارهُ دئبًا لكي يكتسب ما تعيش بهِ عائلتهُ ارغد عيش واولادهُ يسهرون في القهاوي والمراقص الى ما بعد نصف الليل ثم ينامون الى قرب الظهر . او ترى اخًا يتعب ويدأب واخوهُ يتمتع بجنى تعبهِ عفوًا . كل ذلك من ادواء الهيئة الاجتماعية التي تجب مداواتها والاَّ آلت الى هلاك الكسلان واضعاف المجتهد كما ان العشب البري الذي لا ينفع شيئًا ييبس بعد ان يضعف النبات الصالح الذي ينبت معهُ

والنوم اول سبيل من سُبل الراحة واهمها كلها ويختلف المقدار اللازم منهُ باختلاف السن وباختلاف اعمال الانسان وعاداتهِ . فالصغار والشيوخ يحتاجون الى الكثير منهُ اكثر مما يحتاج الشبان والكهول . والذين يشتغلون اشغالاً عقلية يحتاجون الى النوم اكثر من الذين يعملون اعمالاً بدنية . والعليل يحتاج ان ينام اكثر من السليم . والمجتهد في اعمالهِ يحتاج ان ينام اكثر من البطيء فيها

واذا تعب الانسان ساعة بعد اخرى ويومًا بعد آخر ولم يسترح الراحة الكافية انحرفت صحتهُ ولم يعد يستطيع العمل كما اذا كان واقفًا على خشبة وانكسرت الخشبة بهِ فانهُ يسقط لا محالة . واذا انحرفت الصحة وجاء المرض صار الانسان كالشمعة التي تحرقها من طرفيها فان التعب ينهكهُ من جهة والمرض من أُخرى

ومن العادات الحميدة التي يعتادها بعض الناس انهم يستطيعون ان ينقطعوا عن العمل ويصرفوا بالهم عن همومهِ دفعةً واحدة فاذا كانوا مستيقظين لم يعد عملهم يخطر لهم ببال ما داموا منقطعين عنهُ واذا ارادوا النوم فحالما يضعون رؤوسهم على الوسادة ينامون ولا يستيقظون الاَّ حينما يكتفون من النوم والراحة فينهضون حينئذٍ للعمل حالاً . واناس مثل هؤُلاء يستطيعون ان يعملوا عملاً كثيرًا . اما الذين يتعذَّر عليهم النوم او يكثر قلقهم وارقهم فقلما تستريح اجسامهم وعقولهم وقلما يستطيعون ان ينجزوا اعمالاً كبيرة

ولما كان النوم خير وسائل الراحة وجب ان يُعتنَى الاعتناء التام بجعل ساعاتهِ كافية والرجوع اليهِ في ميعاد محدد لا يقدَّم ولا يؤَخر

ولا بدَّ من منع كل ما يزيل النوم او يؤَخره ُ فيجب ان يكون طعام العشاء مغذيًا بسيطًا سهل الهضم وان لا يكثر الانسان منهُ فيتعب معدتهُ ويحرم عينيهِ النوم على غير فائدة . واذا شعرت ان الطعام ثقيل على معدتك نخير لك ان تنهض وتستفرغ لان النوم افيد من الطعام الذي يصعب على المعدة هضمهُ . ومما يسهّل النوم ان يكون الهواء نقيًا في غرفة النوم وان ينام كل واحد في سرير وحده ُ واذا كان استفراغ الطعام عسيرًا عليك وجب ان تقلل طعامك في العشاء حتى لا تضطر الى استفراغهِ وان تمضغهُ جيدًا قبلما تبتلعهُ

والهمُّ من اكبر اسباب الارق وقد قال فيهِ الشاعر العربي

والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ

وقال احد فلاسفة الاميركيين " انهُ تراب يرمى في العيون وابر يدوس الحفاة عليها "

يظن البعض ان اوقات الراحة تضيع سدًى من غير فائدة . ذهبت امرأة لتقضي فصل الصيف في بعض الجبال فاخذت آلة الخياطة معها وقالت لجارتها بعد رجوعها " لا ادري كيف يضيع النساء اوقاتهن " اما انا فلم اضيّع ساعة من وقتي بل استغنمت فرصة هذا الصيف اذ لا زيارات ولا مقابلات وخطت ثياب اولادي واعددت ثيابًا جديدة للشتاء ووجدت الاثمار كثيرة رخيصة فصنعت من المربيات كذا وكذا ارطالاً ولم ادع ساعة تذهب سدًى " . هذه المرأة التي قضت فسحة الصيف في الخياطة وعمل المربيات وافتخرت بذلك على اترابها قضت فصل الشتاء التالي طريحة الفراش من الضعف العصبي لانها نسيت ان الراحة من الزم لوازم الحياة

غرف النوم

اول شرط يشترط لصلاحية غرفة النوم لكي يكون النوم فيها منعشًا مردًّا للقوى ان تعرَّض كل يوم للهواء النقي ونور الشمس وان يبقى الهواء يتجدَّد فيها ليلاً مدة النوم . ويقول البعض ان هواء الليل رديء مضرٌّ ولكن اذا كانت غرفة النوم مقفلة الكوى فسد هواؤُها سريعًا ولم يعد صالحًا للتنفس ولا سبيل لتجدده ِ الاَّ بادخال هواء الليل اليها . والذي يضرُّ من هواء الليل ليس الهواء نفسهُ بل اسلوب دخولهِ وبرده ُ فاذا نام الانسان بين شباكين مفتوحين او بين شباك وباب اي في مجرى الهواء وكان هواء الليل باردًا كما هو في الغالب لم يسلم من الضرر ولكن اذا كان السرير موضوعًا في غير مجرى الهواء بحيث يتجدَّد هواء الغرفة من غير ان يبرد جسم النائم فلا ضرر منهُ . ومعلوم انهُ اذا كانت غرفة النوم كبيرة وكان بابها مفتوحًا الى دار كبيرة ايضًا فالهواء الكثير الذي فيها لا يفسد كلهُ مدة النوم ولا داعي حينئذٍ لفتح

الشبابيك وكذلك اذا كان زجاج الشبابيك يفتح من الاعلى فقط من عند السقف فان الهواء يتجدد رويداً رويداً ولو من فتحة صغيرة من غير ان يبرد بهِ جسم النائم · والخلاصة ان تجديد هواء غرف النوم لازم ولكن لا يجوز تبريده كثيرًا ولاسيما اذا كان النائم نحيف الجسم. ومعلوم ان الانسان يقضي ثلث عمرهِ في غرفة النوم فيجب ان تكون من البيت بحيث تدخلها اشعة الشمس ساعات عديدة كل يوم ففي هذا الاقليم يكفي ان تكون جنوبيَّة او شرقية او غربيَّة واما اذا كانت شماليَّة فقط فلا تدخلها الشمس الاَّ قليلاً في فصل الصيف حينما تقل الحاجة اليها واما في فصل الشتاء فلا تدخلها الشمس مطلقاً ولذلك لا تكون صالحة للنوم

والحرُّ في غرف النوم خير من البرد والاعتدال في الحرارة خير منهما كليهما . والنوم في غرفة حارة من غير غطاء او بغطاء خفيف خير من النوم في غرفة باردة بغطاء ثقيل

آداب التحية عند الافرنج

الكبير يبادئ الصغير بالتحية ولا يعكس

الرجل يقدَّم الى المرأة وقت التحية ولا يعكس

لا تنهض المرأة للرجل الاَّ اذا كان كبير السن او ذا مقام رفيع وتريد ان تكرمهُ لمقامهِ

النساء ينهض بعضهنَّ لبعض حين التعارف

المرأة تبادئ الرجل بالتحية اذا ارادت اما هو فلا يبادئها بها الاَّ اذا كان صديقاً حميماً

اذا التقى الاصدقاء في الطريق مرارًا فلا يحيي بعضهم بعضاً الاَّ في المرة الاولى واما في الثانية والثالثة فالالتفات او التبسم يكفيان

آداب المحادثة

المحادثة صناعة بل ملكة راسخة في النفس يولد البعض بها ويعتاد البعض عليها ويعجز البعض عنها. ومَن خُصَّ بفكاهة الحديث فقد خص بنعمة لا يعرف قيمتها الاَّ الذين حُرموا منها

المحادثة روح المعاشرة وعلى كل احد ان يمرّن نفسهُ عليها كما يمرّن نفسهُ على الانشاء . وسرُّها ان يراعي المحدّث مقام الذين يحدثهم ويكلمهم حسب افهامهم واذواقهم

وعلى المحدث ان يكون سامعاً فان من لا يهتم بحديث غيرهِ لا يهتم غيرهُ بحديثهِ واذا لم يكن الغير ماهرًا في المحادثة فساعدهُ وهو يحدثك فتجدهُ يصغي الى حديثك

وحسن الاستماع شرط واجب لحسن المحادثة فان من لا يصغي الى حديث غيرهِ ولا يشجعهُ

على الحديث بالتفاتهِ وهيئة وجههِ ويغضي عن الهفوات الصغيرة يخلّ بآداب المحادثة . وما من احد يحب ان يُعَد حقيراً بين عشرائهِ لا يُلتفت الى كلامهِ ولا يستمع لهُ

وعلى المحدّث ان يرفع صوتهُ حتى يُسمَع جيداً وان يوضح الفاظهُ كلها فيرتاح اليهِ السامع ولا يتعب من استماعهِ . وان يختار المواضيع التي تلذ لسامعيهِ ولا يعسر عليهم فهمها وان يجتنب كل ما يغيظ سامعيهِ او يعد نميمةً على غيرهم

اذا كنت تحدث آخر ودخل ثالث يسمع حديثك فاخبرهُ بخلاصة ما تقدَّم منهُ قبل ان تجري فيهِ

تجنَّب القهقهة والصياح والاكثار من كلمات التعجُّب والاستغاثة والندبة

تجنَّب الجدل واقامة الادلة الطويلة في الحديث فانها لا تصلح الَّا اذا كان المستمعون كلهم يهتمون بها

تجنَّب الاحاديث الخاصَّة بموضوع شغلك اذا لم يكن المستمعون من الذين يهتمون بهِ

لا تقطع حديث متكلّمٍ

باب الزراعة

القطن

ذهب المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعيَّة المصرية الى اميركا وبحث عن زراعة القطن فيها لكي يجمع الفوائد المتعلقة بذلك وينشرها في هذا القطر وقد وضع رسالة مسهبة في هذا الموضوع نقتطف منها ما يأتي

القطن الاميركي

يستغل من الولايات المتحدة الاميركية الآن نحو ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار كل سنة وهي نحو ثلاثة ارباع غلة القطن في الدنيا ومساحة الارض المزروعة قطناً هذا العام ٢٩ مليون فدان وهي تزيد ٣٫٧ في المئة عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي . ويمكن ان تزاد مساحة الاراضي التي تزرع قطناً في الولايات المتحدة الاميركية ولكن الاميركيين لا يفعلون ذلك الاَّ اذا ثبت لهم الربح من هذه الزيادة على قلة ما عندهم من العمال . واكثر ولايات اميركا زرعاً للقطن

ولاية تكساس فانهُ يزرع فيها ثلث القطن الاميركي . وهمُّ الاميركيين متجه الآن الى زيادة محصول الفدان لا الى زيادة عدد الافدنة التي تزرع" لان محصول الفدان عندهم اقل من قنطارين فلا عجب اذا اتجهت العناية الى زيادة المحصول لا الى زيادة المساحة

ثم ان القطن الاميركي دون القطن المصري في نوعهِ ما عدا النوع المسمَّى بالسي ايلند ولذلك يضطر الاميركيون ان يأخذوا جانباً من القطن المصري الى معاملهم ليمزجوهُ بقطنهم. ويقدَّر ثمن القطن الذي يأخذونهُ الآن سنويًّا من القطر المصري بنحو مليوني جنيه ولذلك يبذلون جهدهم لزرع انواع من القطن طويلة الالياف تقوم مقام القطن المصري وقد اخذوا من تقاوي القطن المصري الميتعفيفي واليانوفتش والاشموني وزرعوها في بلادهم . والخلاصة انهُ ليس من المحتمل ان يزيد محصول القطن الاميركي كثيرًا في المستقبل القريب ولكن يحتمل ان تزيد معامل القطن ويزيد طلب الصنَّاع لهُ ولاسيما في الولايات الجنوبية

القطن الهندي

الهند تأتي بعد الولايات المتحدة في مقدار القطن ومن المحتمل انها اول مواطنهِ وانهُ كان يزرع فيها منذ اربعة آلاف عام . ويزرع الآن في الهند ١٥ مليون فدان يبلغ حاصلها في السنة من ١٢ الى ١٣ مليون قنطار فمتوسط حاصل الفدان اقل من قنطار . والقطن الهندي حقير في نوعهِ كما انهُ قليل في محصولهِ لقلة الاعتناء بزرعهِ ولتقلبات الهواء عليهِ وعدم الاعتناء بحلجهِ ولا يصلح الاَّ للمنسوجات الرخيصة الثمن . وكانت الهند تناظر اميركا في زرع القطن واخيرًا فازت اميركا عليها. ولا يعوَّل الآن على القطن الهندي الاَّ اذا امحل القطن الاميركي. وقد اخذت معامل القطن تزيد في بلاد الهند فكان فيها ٢٧ معملاً منذ ثلاثين سنة وكانت تستعمل ١١٥٠٠٠ بالة ويبلغ عددها الآن ١٥٠ وهي تستعمل ١٥٠٠٠٠٠ بالة سنويًّا واكثر القطن الهندي يصدر الآن الى ممالك اوربا غير انكلترا . وقد بذلت العناية في اصلاح القطن الهندي على غير فائدة ولا ينتظر اصلاحهُ في المستقبل القريب

القطر المصري

"القطن المصري وان كان مقدارهُ قليلاً بالنسبة لبعض أقطان البلاد الاخرى الاَّ انهُ يفضل عليها لجودتهِ ولصفاتهِ الخاصة ولاهميتهِ العظمى في اسواق الدنيا ويقدر محصلهُ سنويًّا بنحو ٦ ملايين قنطار وهو مقدار زهيد جدًّا بمقابلتهِ بمحصول القطن الاميركي البالغ قدرهُ من ٥٠ الى ٥٥ مليون قنطار في حين انهُ يبلغ نحو نصف محصول البلاد الهنديَّة على ان الفضل في وصول القطن المصري الى هذه الدرجة العظيمة والاهمية الكبيرة هو بلا شك راجع الى اتباع

طرق الري المستعملة في البلاد والتي يحق لنا ان نقول عنها انها من احسن واتم طرق الري في جميع بلاد الدنيا . ومن مزايا هذه الطرق ان الاهتمام بزرع القطن على الدوام في ازدياد واننا نعتقد بان سيدوم الحال على ذلك خصوصاً وقد تم بناء الخزانات الجديدة وكادت تنتهي مشروعات الري الاخرى . ويعد قطن القطر المصري بعد قطن سي ايلاند (جزر البحر) الذي ينمو في بعض الجزر عند شاطيء ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وبعض الجهات الموافقة لهُ في بلاد الولايات المتحدة اجود قطن في العالم ولا يمكن حفظ تلك السيادة التي نالها على اقطان البلاد الاخرى الاَّ اذا دام متصفاً بصفاتهِ العالية . وتوجد بلاد اخرى في الدنيا يمكنها بلا ريب ان تنتج قطناً ولكن تكون مصر حذاءها مطمئنة الخاطر ما دامت تنتج قطناً صفاتهُ اعلى من صفات الاقطان الاخرى

"وزراعة القطن العادي الذي يبلغ طول تيلتهِ عقدة واحدة او اقل امر سهل في البلاد الحارّة والمعتدلة بخلاف انتاج القطن الطويل الشعر البالغ طول تيلتهِ عقدة وربعاً او اكثر فانهُ صعب الحصول عليهِ وكلما كان الطلب على المنسوجات القطنية الدقيقة في ازدياد فانهُ لا بد وان يكون الطلب على القطن الطويل الشعر كالقطن المصري في ازدياد ايضاً حتى وقد نرى اليوم ان الطلب يكاد يساوي المتحصل . ويظن بعضهم ان سيقل المتحصل عن المطلوب لتكاثر الطلبات عليهِ . ومما لا شك فيهِ ان المطلوب اخذ في الازدياد وكان يمكن ان يزيد عن ذلك لو امكن الحصول على تلك الاقطان باثمان رخيصة . ويدعي البعض جرياً على قاعدة المتحصل والطلب بانهُ كلما ظهرت الحاجة الى القطن كلما ازداد متحصلهُ وربما يكون ذلك صحيحاً الى حد معلوم غير ان النفقات على انماء المطلوب الزائد في اراضي القطن العادية ربما تزيد كثيراً الى درجة ان لا تساعد حالة الصناعة على دفع اثمان عالية توازي تلك النفقات الكثيرة . والامر المهم الذي يفيد الزارع المصري هو حال ارضهِ وطقسهِ الذي يساعدهُ على انتاج قطن جيد على انهُ لا يتأتى لهُ الطموح الى منافسة بعض البلاد الاخرى لقلة مجموع المتحصل من بلادهِ . وكما قلنا فان اهمية القطن المصري في الاسواق مؤسسة على علو درجتهِ . ولا داعي للتذكير بان من الواجب حفظ تلك الدرجة قبل كل شيء لانهُ متى ساء حال القطن قليلاً فان نجاح مستقبلهِ يكاد يقف عند حدّهِ . هذا وكان طلب السوق على الاقطان الجيدة جدًّا محصوراً في القطن المصري ومقدار زهيد جدًّا من قطن سبقت الاشارة اليهِ ينمو في بعض جهات اميركا الموافقة . وكما ينتظر طبعاً على كل حال فان المساعي بذلت لانماء اقطان جيدة جدًّا وخصوصاً في الولايات المتحدة كذلك بذلت الهمَّة لانماء القطن المصري في كثير

من البلاد الاخرى. ومن ذلك نرى ان مركز القطن المصري لا يبقى على حالهِ غير متزعزع. ومن الواجب علينا حينئذٍ بعد ان شاهدنا ذلك التزاحم ان نسعى جهدنا في حفظ درجة قطننا كما كانت في الماضي. وصناعة المنسوجات الدقيقة في الوقت الحاضر قاصرة على قطن البلاد المصرية وبعض الجزر الواقعة بجوار شاطئ ولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا وكذلك على قطن بعض اقاليم واقعة على طول شاطئ الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي وهو قطن سي ايلاند (جزر البحر) السابق ذكرهُ. ويوجد في وادي نهر الميسيسبي قطن طويل الشعر يعادل القطن المصري في جودتهِ. ولاظهار ازدياد الطلب على القطن الطويل الشعر يمكننا ان نلاحظ انهُ في مدة ١٢ عاماً آخرها موسم ١٩٠١ — ١٩٠٢ زادت انكلترا مقطوعيتها من القطن المصري نحو ٣٨ في المائة وزادت مقطوعية ممالك اوربا الباقية مقدار ١١٢ في المائة تقريباً والولايات المتحدة نحو ٦٨٠ في المائة وفي اثناء هذه المدة كان ازدياد المقدار المستهلك من قطن سي ايلاند ٩ في المائة في انكلترا و٢٠٠ في المائة في القارة الاوربية و١٥٠ في المائة في الولايات المتحدة وبلغ مجموع الزيادة في تلك المدة من القطن المصري ٣٧٤٤٥٣ بالة ومن قطن سي ايلاند ٣٦٠٦٥ بالة

المقادير المستهلكة من القطن المصري وقطن سي ايلاند

(مأخوذ من تقرير جمعية صنّاع القطن في انكلترا الجديدة بقلم المستر كيتردج)

			قطن مصري بالة	قطن سي ايلاند بالة
انكلترا	– متوسط الموسمين	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠) –	٣٢٨٥٨٠	٣٢٧٥٣
"	– " "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢) –	٣٣٨٨٨٥	٣٥٩٨٣
قارة اوربا	– " "	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠) –	١٧٣٠٠٥	٣٠٣١
قارة اوربا	– " "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢) –	٢٧٦٥٣٥	٥٩٩٣
الولايات المتحدة	– " "	(١٨٨٨ – ١٨٨٩) و (١٨٨٩ – ١٨٩٠) –	١١٨٤٣	١٨٦٢٨
" "	– " "	(١٩٠٠ – ١٩٠١) و (١٩٠١ – ١٩٠٢) –	٩٣٤٧٠	٤٩٥٣٦

"والمسألة الآن هي هل يكفي محصل تلك الاقطان لاستيفاء جميع الطلبات عليها اذا دام ازدياد الطلب على هذا الحال عشر سنوات أُخرى؟ اما في مصر فانهُ يؤمل كثيراً ان تتسع مساحة اراضي القطن ويتحصل منها على مقادير اكثر من المعتاد ولكن يظهر ان لا أمل هناك على الاطلاق في اتساع زراعة قطن جزر البحر في الاقاليم التي ينمو فيها الآن ومن الصحيح ان هناك اراضي يمكنها ان تنتج قطاناً جيدة ولكن هل يكون في انتاجها ربح مع كثرة النفقات ذلك موضوع يشك فيهِ ومن الممكن ان تحسن طرق الري في الولايات المتحدة فيكون ذلك سبباً لترقي زراعة القطن فيها على ان ذلك بعيد الحصول وتحقيقهُ الآن غير ميسور وقد بلغ اعظم

متحصل في ايّ سنة من قطن سي ايلاند ١٠٤٠٠٠ بالة اي نحو ٤٠٠٠٠٠ قنطار ويظهر انهُ لا يؤمل اي زيادة فيهِ الّا اذا كان هناك باعث شديد غير عادي للاكثار من زراعتهِ والكسب الكبير منهُ. وتوجد اراضي متسعة في اجزاء الولايات الجنوبية يمكن ازدراعها بكلٍ من قطن سي ايلاند الجيد او القطن العادي على ان نفقة زرع الاول تكون كبيرة جدًّا ومتحصلهُ قليل الّا اذا كان هناك طبعاً فرق في الاثمان فيرجح الكسب من زرعهِ اكثر من القطن الاخير (العادي) الذي يكون متحصلهُ كبيرًا وقيمتهُ قليلة ولهذا السبب لا يهتم بزرع قطن سي ايلاند في هذه الاراضي على العموم

"وبتلخيص ما تقدم نقول ان الطلب على الاجناس الجيدة الدقيقة من القطن لفي ازدياد مستمرّ وان العالم كلهُ ينظر الى البلاد المصرية على الخصوص لاستيفاء معظم طلبهِ من ذلك القطن ومن واجب الزرّاع حينئذٍ ان يبذلوا غاية الجهد في حفظ درجتهِ العالية على ما هي عليهِ

"وسنتكلم فيما يلي على المساعي التي يتخذها ديوان الزراعة في الولايات المتحدة في اميركا نحو انتاج اقطان طويلة الشعر على اننا في الوقت نفسهِ بتحسين طرق الزرع العادية واستعمال الاسمدة الموافقة والارواء اللائق واتباع الارشادات القويمة التي تصلنا والانتفاع منها يمكننا ان ننتصر على غيرنا من زرّاع البلاد الاجنبية في انتاج قطن جيد جدًّا يفوق اقطانهم كثيرًا

روسيا

"ينمو القطن الآن بمقدار عظيم في روسيا الاسيوية وتركستان وبلغت زراعتهُ في تلك البلاد اوسعها في زمن نشوب الحرب الاميركية الاهلية عند ما كانت الازمة شديدة في اسواق روسيا وغيرها من ممالك اوربا وما هدئت الاحوال وانخفضت الاسعار الّا وتأخرت الزراعة فيها ثانية ولكنها نشطت من خمولها في السنوات الاخيرة ولم تزل في سبيل التقدم والانتشار

"والروسيا مضى عليها زمن من الازمان اشترت فيهِ من الولايات المتحدة ومصر كل مطلوبها تقريباً من القطن الخام. والوارد من القطن المصري الى الروسيا لصناعة المنسوجات الدقيقة هو الآن عظيم جدًّا وبلغ ذلك في السنة الماضية ٩٠٠٠٠٠ قنطار تقريباً والقطن الذي يزرع في بلاد تركستان اصلهُ اميركي وقد اهتمت الحكومة بانشاء حقول للتجارب في زراعة القطن وبنشر المقالات الزراعية عليها مما ساعد على تقدم تلك الزراعة في بلاد تركستان . واراضي القطن التي كانت مساحتها منذ ٢٠ عاماً مضت اقل من ١٠٠٠ فدان اتسعت الآن كثيرًا جدًّا على ان المزارع على العموم صغيرة ومعظم محصول القطن ينتجهُ صغار المزارعين ويبلغ متوسط

محصول الفدان قنطارين وهو ليس بالكثير اما صفاتهُ فتماثل صفات القطن الاميركي اذ يبلغ طول شعرهِ عقدة واحدة ولونهُ جيد منتظم ولكنهُ خشن قليلاً

"ولو ان محصول القطن في الامبراطورية الروسية في ازدياد مستمر الاَّ ان ذاك الوقت الذي يكفي فيهِ حاصل بلادها القطني لسد حاجات اهلها منهُ بعيد . ونصف القطن المستعمل في الوقت الحاضر في معامل النسج فيها مجلوب من الخارج كذلك فان بازدياد اراضي القطن ازدادت الطلبات على البضائع القطنيَّة وفي الوقت نفسهِ نقص الوارد من القطن الاميركي الى الروسيا ممَّا جعل الزراع الاميركيين يخشون انهم سيلاقون من بلاد الروسيا منازعاً جديداً في التجارة القطنية وبالعكس فان طلبات الروسيا من القطن المصري تزداد عاماً فعاماً ويظهر من ذلك طبعاً كما سبق الكلام انهُ ما دمنا نحافظ على جودة قطننا المصري فاننا لا نخشى التقهقر في ميدان المزاحمة التجارية كما رأينا الحال مع القطن الاميركي العادي

"هذا وقد بذلت المساعي في بلاد الروسيا لزرع الانواع الجيدة من القطن كقطن سي ايلاند (جزر البحر) ولكنها لم تفلح لعدم موافقة الطقس لها على انهُ يؤَمل على كل حال ان تزاد مساحة اراضي القطن في الروسيا اما امكان تصدير القطن الروسي الى الخارج فلا يتأتى وقوعهُ في المستقبل القريب

الصين

"تنتج بلاد الصين مقداراً عظيماً جداً من القطن ويحدو بنا الظن في تقديرهِ وان لم يظهر منهُ شيءٌ في الاسواق الاَّ نادراً بانهُ يكون بين ٦ و٧ ملايين قنطار يستهلك على العموم في البلاد الصينية بخلاف بعض آلاف من البالات تصدَّر الى اليابان . اما اوصاف القطن الصيني فشعرهُ ابيض ناصع اشدّ نظافةً من القطن الاميركي او الهندي وهو قصير خشن لا يغزل جيداً كالقطن الهندي ويقتصر على غزلهِ ونسجهِ بالايدي

هذا وطرق زرعهِ في الصين اولية بان تبذر تقاويهِ بذراً على الارض كما تبذر تقاوي القمح او غيرهِ من المحصولات الحبوبية وعلى ذلك تقرب شجيراتهُ بعضها من بعض كثيراً وتكون قصيرة لا تحمل ثمراً كثيراً وتنتج حينئذٍ قطناً قليلاً وقد يحسنون في بعض الجهات طرق زرعهِ ولكن ذلك قليل . وتوجد في الصين معامل قليلة للغزل لا تفي بحاجات الاهالي ولذلك فان الوارد اليها من البضائع القطنية كثير . ويقدر محصول قطن كوريا بنحو مليوني قنطار يستهلك جميعهُ داخل البلاد وشعر هذا القطن الاخير اطول وادق من شعر القطن الصيني

اليابان

"تقدمت الصناعة في بلاد اليابان في السنوات الاخيرة تقدماً يذكر وخصوصاً في صنع المنسوجات القطنية التي لاقت نجاحاً عظيماً وكان اليابانيون يغزلون وينسجون القطن بايديهم او بآلات صغيرة يديرونها بانفسهم ومنذ ١٥ عاماً انشئت في بلادهم المعامل الكبيرة للغزل والنسج بقدر ما يحتاجون . اما مقدار محصل القطن في اليابان فليس بالكبير ويقدر بنحو ٣٠٠٠٠٠ قنطار وشعرهُ قصير جداً وخشن وزراعتهُ ليست آخذة في الازدياد ويظهر ان اهم استعمال لهُ هو خلطهُ بالاقطان الاجنبية الجيدة التي تجلب من بلاد الهند واميركا والصين والنجاح العظيم الذي نالتهُ اليابان في صناعة القطن جعلها في مركز مكين تضارع بهِ انكلترا والهند في مصنوعاتهما في اسواق الصين والبلاد الشرقية . وسوف تزداد صادرات اليابان من المنسوجات القطنية عاماً فعاماً. ومعامل اليابان الى الآن تصنع البضائع القطنية الواطئة وليس هناك سبب للظن ان ستبقى حالتها على ذلك للابد

"ومن المرجح ان اليابان تبقى تبتاع القطن المصري وتزيد منهُ . وبلغ المصدر اليها منهُ في العام الماضي ١١٣٢٢ بالة او ٨٠٠٠٠ قنطار تقريباً" ستأتي البقية

باب التقريظ والانتقاد

كتاب نهج البلاغة

وهو ما جمعهُ الشريف الرضي في اواخر القرن الرابع على انهُ من كلام الامام علي بن ابي طالب بل من محاسن خطبهِ وكتبهِ وحكمهِ وادبهِ . وقال " ان روايات كلامهِ تختلف اختلافاً شديداً فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجههِ ثم وُجد بعد ذلك في رواية أُخرى موضوعاً غير وضعهِ الاول اما بزيادة مختارة او بلفظ احسن فتقتضي الحال ان يعاد استظهاراً للاختيار وغيرةً على عقائل الكلام". وليس الغريب ان يقع هذا الاختلاف في روايات كلام عاش صاحبهُ ومات قبل ان جُمع باكثر من ثلاثة قرون بل الغريب ان يحفظ منهُ شيء

وكما وقع لهذا الكتاب ان جمعهُ امام كان في زمانهِ انجب سادات العراق كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني قيَّض الله لهُ ان شرحهُ ونشرهُ الامام الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالاً . فطبع مرتين قبل هذه المرَّة ونفدت نسخهُ كلها لكثرة الرغبة

فيهِ والاقبال عليهِ وطُبع الآن طبعة ثالثة بالشكل الكامل . وقد قدَّم لهُ الشارح مقدمة مسهبة بيَّن فيها مزاياهُ وهو حقيق بها وهي حقيقة بهِ لانها بلغتهُ في بلاغة عبارتها وذكر فيها طرفاً من ترجمة الشريف الرضي اتماماً للفائدة . ولا نرى وصفاً لهذا الكتاب وشرحهِ ابلغ من ان ننشر امثلة منهما . فمن الخطب قولهُ

أَلا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بوداعٍ وتنكَّر معروفها وادبرت حذَّاء (١) فهي تحفز بالفناء سكَّانها (٢) وتحدرُ بالموتِ جيرانها وقد (٣) امرَّ منها ما كان حلْوًا . وكدرَ منها ما كان صفوًا (٤) فلم يبقَ منها الاَّ سملة كسملةِ الإداوة (٥) او جرعة كجرعةِ المقلة . لو تمززها الصديانُ لم ينقع (٦) . فأَزمعوا عبادَ الله الرحيلَ عن هذه الدارِ المقدورِ على اهلها الزوالُ (٧) ولا يغلبنكم فيها الاملُ ولا يطولنَّ عليكم الامدُ . فوالله لو حننتم حنينَ الوُلهِ العجالِ (٨) ودعوتم بهديلِ الحمامِ (٩) وجأَرتم جؤَارَ متبتلِ الرُّهبانِ (١) وخرجتم الى الله من الاموالِ والاولادِ التماسَ القربة اليهِ في ارتفاع درجةٍ عندهُ او غفرانِ سيئة أَحصتها كتبةُ . وحفظها رسلهُ (٢) لكان قليلاً فيما أَرجو لكم من ثوابهِ واخافُ عليكم من عقابهِ . والله لو انماثت قلوبكم انمياثاً (٣) وسالت عيونكم من رغبةٍ اليهِ او رهبةٍ منهُ دمًا ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية (٤) ما جزت اعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم انعمهُ عليكم العظام وهداهُ اياكم للايمان (٥)

(١) حذاء مسرعة ورحم حذاء مقطوعة غير موصولة وفي رواية جذاء بالجيم اي مقطوعة الدر والخير (٢) تحفزهم تدفعهم وتسوقهم حفزهُ يحفزهُ دفعهُ من خلفهِ او هو بمعنى تطعنهم من حفزهُ بالرمح طعنه (٣) تحدر بالراء من باب نصر وضرب اي تحوطهم بالموت وفي رواية وهي الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال اي تسوقهم بالموت الى الهلاك فتكون الفقرة في معنى سابقتها موكدة لها (٤) امر الشيء صار مرًّا وكدر كفرح كدرًا وكظرف كدورة تعكر وتغير لونهُ واختلط بما لا يستساغ هو معهُ (٥) السملة محركة بقية الماء في الحوض والاداوة المطهرة (اناء الماء الذي يتطهر بهِ) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون في الماء ثم يصبون الماء فيهِ ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد احدهم عن الآخر في نصيبهِ يفعلون ذلك اذا قلَّ الماء وارادوا قسمتهُ بالسوية (٦) التمزز الامتصاص قليلاً قليلاً والصديان العطشان وقولهُ لم ينقع اي لم يرو (٧) فازمعوا الرحيل اي عزموا عليهِ يقال ازمع الامر ولا يقال ازمع عليهِ وجوزهُ الفراء بمعنى عزم عليهِ واجمع والمراد من العزم على الرحيل مراعاتهُ والعمل لهُ (٨) كل انثى فقدت ولدها فهي واله ووالهة والعجول من الابل التي فقدت ولدها (٩) هديل الحمام صوتهُ في بكائهِ لفقد الفهِ

(١) جأرتم رفعتم اصواتكم والجؤار الصوت المرتفع اي تضرعتم الى الله بارفع اصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل والمتبتل المنقطع للعبادة (٢) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ اعمال العباد

(٣) انماثت ذابت (٤) ما الدنيا باقية اي مدة بقائها (٥) قولهُ ما جزت جواب لو انماثت وقولهُ انعمهُ عليكم العظام مفعول جزت اي ما كافأَ ذلك انعمهُ الكبار عليكم وقولهُ ولو لم تبقوا شيئاً الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب وقولهُ وهداهُ اياكم عطف على انعمهِ عطف الخاص على العام فان الهداية الى الايمان من اكبر النعم

ومن الكتب قولهُ

اما بعدُ فان تضييعَ المرء ما وُلّيَ وتكلفهُ ما كُفِيَ [١] لعجزٌ حاضرٌ ورأْيٌ متبرٌ . وان تعاطيك الغارةَ على اهل قرقيسيا [٢] وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرُدُّ الجيش عنها لرأْيٌ شعاعٌ . فقد صرتَ جسرًا لمن اراد الغارةَ من اعدائك على اوليائكَ غير شديد المنكبِ [٣] ولا مهيبِ الجانبِ ولا سادٍّ ثغرةً ولا كاسرٍ شوكةً ولا مغنٍ عن اهل مصرهِ [٤] ولا مجزٍ عن اميرهِ

ومن الحكم والادب قولهُ

قال ع ليس بلدٌ بأَحقَّ بك من بلدٍ [١] خيرُ البلاد ما حملكَ .

وقال ع (وقد جاءهُ نعيُ الاشترِ رحمهُ الله) مالكٌ وما مالكٌ [٢] لو كان جبلاً لكان فندًا لا يرتقيهِ الحافر ولا يوفي عليهِ الطائرُ (والفندُ المنفردُ من الجبال)

وقال ع قليل مدوم عليهِ خير من كثير مملول منهُ

وقال ع اذا كان في رجلٍ خلَّة رائقة فانتظروا اخواتها [٣]

وقال ع (لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما) ما فعلت ابلك الكثيرة قال ذعذعتها الحقوق [٤] يا أَمير المؤْمنين (فقال ع) ذلك احمد سبلها

وقال ع من اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم في الرباء [٥]

والكتاب حري ان يكون في يد كل طالب من طلبة العربية ولاسيما بطبعتهِ الثالثة لان فيها " زيادات في الشرح تزيد الكلام ايضاحاً والمعاني بسطاً "

---

(١) تضييع الانسان الشان الذي تولى حفظهُ وتجشمهُ الامر الذي لم يطلب منهُ وكفاهُ الغير ثقلهُ عجز عن القيام بما تولاهُ وراي متبر كمعظم من تبره تتبيرًا اذا اهلكهُ اي هالك صاحبهُ

(٢) قرقيسيا بكسر القافين بينهما ساكن بلد على الفرات والمسالح جمع مسلحة مواضع الحامية على الحدود وراي شعاع كسحاب اي متفرق اما الراي المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد

(٣) المنكب كمسجد مجتمع الكتف والعضد وشدتهُ كناية عن القوة والمنعة والثغرة الفرجة يدخل منها العدو (٤) اغنى عنهُ ناب منابهُ وقائد المسالح ينبغي ان ينوب عن اهل المصر في كفايتهم غارة عدوهم واجزى عنهُ قام مقامهُ وكفى عنهُ

(١) يقول كل البلاد تصلح سكنًا وانما افضلها ما حملك اي كنت فيهِ على راحة فكأَنك محمول عليهِ

(٢) مالك هو الاشتر النخعي والفند بكسر الفاء الجبل العظيم والجملتان بعدهُ كناية عن رفعتهِ وامتناع همتهِ واوفى عليهِ وصل اليهِ (٣) الخلة بالفتح الخصلة اي اذا اعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون اليهِ وانتظر سائر الخلال (٤) ذعذع المال فرقهُ وبددهُ اي فرق ابلي حقوق الزكاة والصدقات وذلك احمد سبلها جمع سبيل اي افضل طرق افنائها (٥) ارتطم وقع في الورطة فلم يمكنهُ الخلاص والتاجر اذا لم يكن على علم بالفقه لا يامن الوقوع في الربا جهلاً

المقامات العشر

هي عشر من مقامات الحريري انتخبها حضرة الشيخ محمد المبارك الجزائري وشرح الفاظها اللغوية وطبعها في كتاب صغير يباع بثلاثة غروش لكي يسهل على الطلبة اقتناؤُهُ. والشرح حسن وافٍ بالغرض لكنهُ لا يخلو من كلمات قد تخفى على الطالب كقولهِ في تفسير السمل انهُ ثوب خلق وقولهِ في تفسير الثج انهُ سفك دماء البدُن. لكن الكلمات التي من هذا القبيل قليلة

كتاب تربية الاطفال

وضع هذا الكتاب حضرة الدكتور عبد العزيز نظمي الطبيب الاختصاصي لامراض العيون والاطفال من كليتي منبيه وباريس جعلهُ على سبيل مذاكرات مع امرأَة زارها وهي حامل واوصاها وصايا صحيَّة وزاد في النصح والارشاد فقال للمرأة "اني لا اخالكِ الاَّ عازمة على استحضار مرضعة لولدكِ بمجرَّد وضعهِ ولكني بصفتي حكيمًا اقول لكِ انكِ لو اتيتِ هذا العمل تكونين قد اتيتِ ذنبًا وجنيت جناية كبرى يعاقب عليها القانون كما سأُبينهُ لكِ". ولا ندري بموجب اي مادَّة من القانون تعاقب من ترضع طفلها من غير لبنها. الاَّ ان المؤلف اصاب في حث الامهات على ارضاع اطفالهنَّ من لبنهنَّ اذا كنَّ قادرات على ذلك لا "مهما كانت حالتهنَّ الصحيَّة" كما قال. والكتاب حافل بالنصائح المفيدة في تربية الاطفال فنثني على همة المؤلف ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

المعاني

وهو الجزء الثالث من كتاب الاعراب عن قواعد لغة الاعراب الَّفهُ حضرة الكاتب الاديب رشيد افندي عطية احد اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت وجعل مزيتهُ على المتداول من كتب المعاني بان اردف كل قاعدة من قواعدهِ بتمرين وكل باب بتمرين عام ثم ذيَّل الكتاب بتمرين مطوَّل وبسط ما كان مشكلاً من المتون وفسَّر الكلم اللغوية التي وردت في متنهِ وشرحهِ وتمارينهِ في جدول في آخر الكتاب وكل ذلك من المزايا التي تقرب هذا العلم من اذهان الطلبة وتجعلهُ عمليًّا ونظريًّا معًا. مثال ذلك ما ورد تمرينًا في قواعد تأخير المسند وتقديمهِ

"اذا اردت اخبار زيد ان عندك صديقين واستزرتهُ فماذا تقول ج عندي صديقان فهل لك ان تزورني بتقديم المسند (عندي) اذ لو قلنا صديقان عندي لتوهم المخاطب لاول الامر

ان الظرف صفة للصديقين وان الخبر في ما يلي والذي يحملهُ على ذلك كون الصديقين نكرة فتحتاج الى وصف لجواز الابتداء بها ونحن نريد الاخبار عن وجود الصديقين لاوصفهما . وهذا التقديم هو مقتضى الحال

اذا اردت تعظيم زيد لعلمهِ فماذا تقول لهُ . ج عالم انت يا زيد بتقديم المسند للتعظيم

لكل جديد لذة غير انني وجدت جديد الموت غيرَ لذيذِ

المسند اليهِ لذة والمسند لكل وقدم ليتقرر انهُ خبر لاصفة فلو اخّر وقيل لذة لكل جديد لتوهم السامع لاول الامر انهُ صفة لهُ اي لذة كائنة وهو خلاف المقصود لان مراد الشاعر الاخبار عن اللذة لا وصفها

سلام الله يا مطرٌ عليهِ وليس عليك يا مطرُ السلام

المسند اليهِ (السلام) والمسند (عليك)وقدم لان ذكرهُ اهم عند السامع فهو يعلم بوقوع السلام ولكنهُ يطلب ان يقال لهُ على من وقع فلو قيل وليس السلام عليك يا مطر لما كان بليغاً اذ لم يراعَ فيهِ مقتضى الحال التي تدعو الى التقديم

ان في جنوحك عن سبيل الرشاد واتباعك مسالك الضلال لخطأً عظيماً :

المسند اليهِ (خطأ) لانهُ كان مبتدا قبل دخول ان والمسند الجار (في جنوحك) وقدم للتشويق اي ان طول الكلام يبعث في نفس السامع الرغبة في ذكر المسند اليهِ لانهُ ينتظر بفروغ صبر الوقوف على نتيجة الجنوح عن سبيل الرشاد واتباع مسالك الضلال . فلو قلنا خطأ عظيم في جنوحك الخ لما كان بليغاً لعدم مراعاة الحال الداعية الى التقديم لان المعلول الذي توقفت عليهِ تلك العلة الطويلة اذا ذكر اولاً لم يكن لهُ وقع النفس الخ "

وعلى هذا النمط بسطت قواعد المعاني والبيان . وحبذا لو أُتقن تصحيح الكتاب قبل طبعهِ

....

الكاروز المنير

الكاروز باللغة المصرية الكارز او المبشر وقد سميت بهِ مجلة دينية جديدة انشأها حضرة الفاضل جرجس افندي بياضي وجعل مدارها على المباحث الدينية حسبما هي واردة في التوراة والانجيل على ما يفهمهُ او يفسرهُ علماء الديانة المسيحية كقولهِ في الكلام على سفر دانيال ان تاريخ العالم يشهد بان معظم الحوادث التي تنبأ عنها دانيال النبي قد تمَّ حرفيًّا في حينهِ وبعضها يتم في عصرنا الحاضر فالبقية ستتم في حينها حتماً . وقد خالف اكثر علماء الكنيسة احياناً في بعض الاحكام كقولهِ " ان دانيال اختار الطعام المناسب الذي اقرَّت عليهِ نطس الاطباء باوفقيتهِ

للصحة الانسانية وهو الطعام الذي عينهُ الله تعالى للانسان منذ البدء " وكقولهِ "ان الانسان لم يخلق ليأكل الحيوان " . ومما قالهُ ان دانيال تنبأ عن انقضاء العالم وان جميع البينات تبرهن اننا الآن في وقت النهاية المنوه عنهُ في سفر دانيال. فعسى ان لا يكثر صاحب هذه المجلة من حث اهل وطنهِ على اكل البقول والحبوب والامتناع من اكل اللحم لان الامم التي تبطل اكل اللحم تضعف قواها العقلية والجسديَّة وتذل لغيرها وان لا يؤكد لهم قرب وقت النهاية لان ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلم بهما احد ولا ملائكة السماء

رسالة في الطاعون البقري

وضع هذه الرسالة حضرة الدكتور محمد بك صفوت مفتش اول مصالح الصحة سابقًا وتكلَّم فيها اولاً عن المرض واعراضهِ وطرق علاجهِ ثم استطرد الى الكلام على انواع اللقاح التي استعملت هذا العام في القطر المصري ولام مجالس الصحة البحرية والكورنتينات على دخولهِ القطر وختم الرسالة بالاوامر العالية التي صدرت في صدد اوبئة المواشي

رواية آدم وحواء

رواية تمثيلية تمثل سقوط آدم من الفردوس على ماجاء في التوراة وتزيد عليهِ وصف الشياطين في مجتمعاتهم مما قد يعلق بالعقول ويزيد الوساوس . وفي الرواية شعر حسن وهي تذكِّر القارئ بشعر ملتون في هذا الموضوع ولكن شتان بين الشعرين فان ملتون بلغ درجة الاعجاز في اختراع المعاني وانتقاء الالفاظ حتى قيل ان شعرهُ ابلغ شعر نظمهُ البشر في كل زمان ومكان (راجع ترجمة ملتن في المجلد العاشر من المقتطف)

مناهج الحياة

كتاب فلسفي الفهُ حضرة الكاتب المجيد نقولا افندي حداد جمع فيهِ حقائق كثيرة مما يذكر في باب السعي والعمل والاقتصاد ملأَت نحو مئتي صفحة. واكثر الكلام فيهِ مجرَّد خالٍ من الامثلة التي تقرِّب المراد من ذهن القارىء وترسخهُ فيهِ كالامثلة المذكورة في كتاب سر النجاح وهو مع ذلك كبير الفائدة لمن يطالعهُ بالتأني ويهذب نفسهُ بما فيهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

اظهار حقيقة

الى منشئي المقتطف

بعد اهداء ما يليق بمقامكما من التبجيل والثناء الجميل قد اطلعنا على الجزء الثامن من مجلتكم ووقع النظر على المقالة المعنونة بمنزلة الشعر من التاريخ من مقالات الاديب الفاضل امين ظاهر خير الله فرأينا فيها فرائد فوائد وليتهُ اطنب فيها المقال واستوعب جميع ما كان عليهِ القوم من السير والاحوال وغير ذلك من شؤُونهم كمواسمهم واعيادهم واديانهم وعقائدهم وراجع لذلك كتب الائمة المصنفة في اصنامهم وانوائهم ونسيئهم واديانهم ككتاب الاصنام للجاحظ وكتاب الاصنام لابن هشام الكلبي وكتاب الخالع في اديان العرب وكتاب الانواء لابي حنيفة الدنيوري وكتاب الميسر لابن قتيبة وكتاب المعمرين للسجستاني ونحو ذلك مما لا تخلو عنهُ خزائن كتب المحروسة وعليهِ ان يدقق النظر ويمعنهُ فيما ينقلهُ وليعرضهُ على النقاد قبل نشرهِ والاَّ فلا يأمن وخز أسنة مواخذات فرسان هذا الميدان فان في كلامهِ مواقع للنظر غير ان منها ما هو سهل يغمض عنهُ ومنها ما يشينه ويحط من فضلهِ مثال ذلك انهُ قال ٢٤ نضح الخيل بالخمر وكان الغزاة اذا اقبلوا منتصرين خرجت النساء للقائهم وبايديهن زجاجات الخمر لينضحن جيادهم بها واستشهد على ذلك بقول حسان

تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساءُ

انتهى . ولا اعدُّ ذلك الاَّ من سهو القلم لا من زلة القدم فان صغار الطلبة لا يذهب عليهم مثل ذلك ومن اين للعرب مثل هذه العادة الرعناء والقوم كانوا من اعقل الناس وهل الخمر من الطيب حتى ينضح بها وجوه جيادهم . وهذا الغلط سرى اليهِ من عدم فهمهِ لمعنى البيت وعدم وقوفهِ على قصتهِ المشهورة . وحسان هذا كان من اجلة اصحاب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم

وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذٍ نجسة الاستعمال ومرادهُ بقولهِ متمطرات مسرعات يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت متمطرة اي مسرعة يسبق بعضها بعضاً وتمطر بهِ فرسهُ اذا جرى واسرع والخُمُر بضم الميم جمع خمار لا بسكونها كما وهم . وهذا البيت من جملة ابيات مذكورة مع قصتها في سيرة ابن هشام وفتح الباري. وقال ابن رشيق القيرواني في باب فال الشعر وطيرتهِ من كتابهِ العمدة في محاسن الشعر وآدابهِ تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليهِ وسلم بفتح مكة فقال في كلمتهِ المشهورة يخاطب بذلك مشركي اهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداءُ
ينازعن الاعنة مصغيات على اكتافها الاسل الظماءُ
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخُمُر النساءُ

فلما كان يوم الفتح اقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن عنها الغبار بخُمُرهنَّ فقال قائل لله در حسان اذ يقول وانشد الابيات . وروى قوم ان الناس امروا بالمسير الى كداء ليتفألوا بهذا البيت ليصح وكان الامر كما قال . وما جرأني على بيان ذلك الاَّ مزيد حبي للقوم وكراهة ان يلصق بهم ما هم بريئون عنهُ وقد ظهر لنا انتقادات أُخر على مقالات ادرجتموها في مجلتكم لعلنا نرى فرصة فنعرضها في وقت آخر والسلام

مأمور معاينة الكتب
في معارف بغداد
محمد رشيد

سلخ رجب سنة ١٣٢١

الرجال ذوو الرؤُوس الطيارة

حضرات الافاضل اصحاب مجلة المقتطف الغراء

لما اطلعت على الجواب المدرج في العدد العاشر من مجلة المقتطف عن السؤَال الذي كنت ارسلتهُ اليكم في الشهر التاسع من هذه السنة عثرت على شيءٍ في هذا الموضوع فأحببت ان ارسل الى حضراتكم بترجمتهِ وهو :

ورد في دائرة المعارف الصينية (San-Sai-tai-hœi). انهُ في داخل بلاد جاوى الكبيرة (Grand yawa). كان يوجد نوع من الرجال وهو هذا الجنس ذوو الرؤُوس الطيَّارة

ومن صفاتهم : ليس لهم اجفان — ورأسهم ينفصل من جسمهم ويطير

وفي حكم الملك ڤوتي من عائلة هان الصينية قد ارسل سكان بلدة انج سي (Ing-si)

ارسالية الى الممالك الجنوبية :فوجدوا فيها رجالاً ذوي سوق واذرع تنفصل عن الجسم ورؤُوسهم تطير ثم تعود اليهم : تطير الرؤُوس نحو الجنوب والايدي اليمنى نحو المياه الغربية واليسرى نحو المياه الشرقية وفي الصباح تعود الرؤُوس والايدي وتتصل بالجسم . وفي حالة ما اذا كانت الريح شديدة تذهب الريح بايديهم الى اقصى مياه المحيط

وورد في الكتاب المسمى " الاشياء الغريبة في الممالك الجنوبية "(Nan-fong-i-wou) ان مقر هذا الجنس في جنوب الجبال الواقعة بهذه البلاد ووسط جبال .(Ki-toung) :ومن علاماتهم التي يعرفون بها : وجود اثار جروح حمراء على قفاهم

كيفيَّة طيران الرأس — حينما يأتي الليل يظهر على وجوههم علامات المرض وتصير اذانهم اشبه باجنحة وفجأَة تطير رؤُوسهم قاصدة شواطىء الانهار باحثة على الحشرات ذات القشرة الصلبة (فقط) ثم تعود وتلتصق بالجسم كما كانت قبلاً فيمتلئ البطن من الغذاء

وورد في الكتاب المسمى .(tai-ping kowang-ki) : بلاد المتوحشين ذوي الرؤُوس الطيارة واقعة في شرق بلاد السين السين (اي الصين) وفي الجنوب الغربي لبلدة (لونج تشنج) .(Loung-tchung) وعرض هذه البلاد ١٠٠٠ فرسخ صيني وبها ملاحات كثيرة — واما نساء هؤُلاء الرجال واطفالهم ففيهم علامة الجرح الاحمر فقط

هذا ما ورد مناسباً لهذا الموضوع فبادرت بترجمتهِ وارسالهِ اليكم لتكرموا بالاطلاع عليهِ ونشرهِ والذي اراهُ ان كل ما ذكر من الخرافات او من الحكايات والقصد منهُ وجود اناس غريبة خلقةً وخلقاً

عطا فهمي
مترجم بدائرة دولة والدة خديو

(المقتطف) لقد اصبتم في قولكم ان كل ذلك من الحكايات الخرافية

اقتراح

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

معلومكم ان راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا يسامتهُ تقريباً في شمال الخريطة الافريقية " راس أَدَار " الواقع بتراب المملكة التونسية وهذا الراس يسميهِ الافرنج " كاب بون " اي الراس الطيب وقد بحثت عن اصل هاتهِ التسمية بوجهتيها العربيَّة والافرنجيَّة فلم اعثر على ما يشفي الغليل لاسيما واني لم اوفق لوجود معنى للفظ " أَدَار " الموجود في التسمية العربية ولذلك وجهت وجهتي نحو مقتطفكم ملتمساً الاجابة عن تاريخ التسميتين

تونس في ٣ سبتمبر سنة ١٩٠٣ الامضاء — م . ب . خ



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مدة الحمل

دمياط . عبد الحميد افندي الجمال . من المعلوم ان مدة الحمل تسعة اشهر وقد يولد الجنين في الشهر السابع او الثامن وقد تتأخر الولادة الى الشهر العاشر او الحادي عشر او الثاني عشر وقيل ان مدة الحمل قد تبلغ ثمانية عشر شهراً فهل ذلك صحيح وما هي اطول مدة الحمل

ج ان مدة الحمل العادية تسعة اشهر وعند التدقيق ٢٧٥ يوماً وقد تزيد على ذلك او تنقص عنهُ بضعة ايام . وذكرت احوال نادرة جدًّا طال فيها الحمل ٣٣٠ يوماً الى ٣٣٤ يوماً وهي اطول مدة ذكرها الاطباء

---

(٢) كتب فلسفة عربية

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . افيدونا عن اسماء احسن الكتب في انواع الفلسفة باللغة العربية

ج اذا اردتم الفلسفة العقلية فلم نرَ كتاباً افضل من كتاب الدكتور بلس رئيس المدرسة الكلية الاميركية السابق

وإذا اردتم الفلسفة الطبيعية فكتاب المعلم اسعد الشدودي لا يزال اوسع من غيرهِ ولكن قد اتسع علم الفلسفة الطبيعية كثيراً من حين طُبع الى الآن

(٣) كتب باكون وديكارت

ومنهُ . اي كتب باكون وديكارت تستحسنون مطالعتها

ج مقالات باكون Essays وكتاب ديكارت في النظام Discours de la Méthode

(٤) العلم ووجود الشيطان

ومنهُ . ان كان العلم لا يناقض الدين كما يقولون فباي برهان يثبتون وجود الشيطان ووسوستهُ في صدور الناس

ج ان الذين يثبتون وجود الشيطان يثبتونهُ بادلة كتابيَّة لا يتعرَّض العلم لنفيها ولا لاثباتها ولا علاقة لوجود الشيطان بمناقضة العلم للدين او بموافقتهِ لهُ

---

(٥) الحويلة وفيشون

طنطا . الخواجه هرون حسون اين موقع بلاد الحويلة المذكورة في الاصحاح الثاني من

سفر التكوين وما اسم النهر الذي هناك المسمَّى في التوراة فيشون

ج ظن بعض المفسرين انها بين البحر الاسود وبحر قزبين وظن غيرهم انها بين دجلة والفرات ممَّا يلي بحر فارس. وظن البعض ان نهر فيشون هو نهر الكنج في بلاد الهند وظن غيرهم انهُ نهر السند وظن آخرون غير ذلك ولا نعلم الحقيقة

---

(٦) الدم والدماغ

مصر. امين افندي عمر. استيقظ بعض الاحيان من النوم منزعجًا فاشعر بدوي فوق رأسي كصوت سير المركبات وبعد قليل استيقظ تمامًا وانا مندهش ممَّا كنت اشعر بهِ. حدث لي ذلك مرتين وعلتهُ بسرعة استيقاظي من النوم ثم قرأت مقالة فلسفة النوم في الجزء الاخير من المقتطف فتمثَّلت لي الحقيقة وهي ان الدم قلَّ من رأسي فلما استيقظت استردَّ الراس الدم الذي فقدهُ فسمعت لهُ هذا الدوي وكنت اشعر احيانًا بسير الدم من بدني الى رأسي ولذلك فانا اعتقد ان الدم يقل من الراس وقت النوم وان الاتصال بين حويصلات الدماغ ينقطع وقت النوم كما ذهب ديقال فهل تعليلي للصوت الذي سمعتهُ في محلهِ

ج لو كان هذا الصوت ناتجًا عن ورود الدم الى الدماغ لوجب ان تسمعوهُ كل يوم او في اكثر الايام ولذلك نرجح انهُ ناتج عن شيءٍ من الزكام في الاذن الباطنة او عن عرَض مثل هذا. وذلك لا ينفي ورود الدم الى الدماغ وقت اليقظة

---

(٧) الغذاء في السمك

موبيل باميركا. الخواجه ميخائيل الياس نعمان. علمتُ من بعض الاطباء وقرأت في احدى الجرائد ان الاسماك غير مغذية للجسم بل هي مضرة. وقد قرأت في الجزء التاسع من مقتطفكم ان الاسماك من اكثر الاطعمة غذاءً فاي القولين اصح

ج لا نتذكر اننا نشرنا شيئًا من ذلك في الجزء التاسع من اجزاء هذه السنة وسواءٌ نشرناهُ هناك او لم ننشرهُ فاننا نشرنا غير مرة ان السمك من الاطعمة المغذية جدًّا ويختلف مقدار ما فيهِ من الغذاء بحسب انواعهِ وكلهُ يأتي بعد لحم الضان والبقر في مقدار الغذاء فان البروتاين فيهِ اكثر مما في لحم الضان والبقر ولكن الدهن فيهِ اقل مما فيهما والماء فيهِ اكثر مما فيهما. وليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام بل بمقدار ما يهضم منهُ وما يغتذي الجسم بهِ. ويقال جملة ان السمك الجيد من اكثر الاطعمة غذاءً وقد حُلل لحم البقر السمين ولحم الغنم السمين ولحم السلمون وهو من اجود انواع السمك فوجد مقدار البروتاين في الاول ١٧ في المئة وفي الثاني ١٥ في المئة وفي الثالث ٢٢ في المئة. ومقدار الدهن في الاول ٢٧

في المئة وفي الثاني ٣٨ في المئة وفي الثالث ١٤ في المئة . وعلى البروتاين والدهن يتوقف غذاء اللحم . ولا عبرة بما يقال غير ذلك ولكن اذا فسد السمك صار سمًّا زعافًا

(٨) الثعابين في البيوت

ومنهُ . هل من واسطة لمنع دخول الثعابين الى البيوت وما هي

ج ان القطط وبنات عرس تأْكل الثعابين او تطردها فاذا ربيت في البيوت فالغالب انها تمنع الثعابين من دخولها . ثم ان الثعابين التي تدخل البيوت وتقيم فيها لا تكون سامَّة الَّا نادرًا جدًّا فلا خوف منها

(٩) اتحاد السوريين

ومنهُ . هل من واسطة لاتحاد السوريين وضم كلمتهم وما هي وهل اذا عُمل باقتراح جريدة الهدى القائلة بوجوب تأْليف جمعيات في المدن الكبيرة في مصر واميركا وربطها بعضها ببعض تحصل النتيجة المطلوبة

ج لا تجتمع كلمة قوم ولا فائدة من اجتماعها الَّا اذا كان لهم غاية محدودة يسعون اليها . واجتماع كلمة السوريين من اصعب الامور لان المذاهب الدينية فرَّقت بينهم منذ مئات من السنين فنشأُوا احزابًا دينية متخالفة متضاغنة ولا يزول هذا التخالف والتضاغن الَّا اذا اتجهت افكارهم الى امرٍ هامّ لهم فيهِ مصلحة كبيرة تشملهم كلهم فتقوى المصلحة على الاسباب التي تفرّق بينهم الآن وتدفعهم الى انشاء الجمعيات ونحوها ممَّا تجتمع بهِ كلمتهم وتنال معهُ مصلحتهم

---

(١٠) التدين الظاهر

القاهرة . ا . ا . لماذا نرى بعض المؤَلفين يهتمون بتحشية كتبهم بالآيات الكتابية والعبارات الدينية حتى لا يكادوا يذكرون اسم نبي الَّا الحقوهُ بقولهم صلى الله عليهِ وسلم او عليهِ الصلاة والسلام ولا اسم كتاب ديني الَّا الحقوهُ بالفاظ التعظيم والتبجيل ولو كانت كتبهم علمية لا دخل للدين فيها ونرى غيرهم ولاسيما من المتدينين لا يهتم بذلك فلا يذكر شيئًا منهُ في كتابهِ او يكتفي بذكر البسملة والحمدلة في صدر الكتاب جريًا على العادة المألوفة

ج قال بعض الحكماء ان تظاهر الفقير بالغنى ناتج عن خوفهِ من ظهور فقرهِ وكذلك نرى قصير القامة يرفع رأْسهُ ويتصدَّر لكي يظهر طويلاً وقبيح المنظر يحسن زينتهُ وبزتهُ لكي يظهر جميلاً . وهذا شأْن المطعون في تدينهم او الذين يرون من انفسهم ما يحمل على الريبة فيهم فانهم يستعملون هذا الطلاء اخفاءً لامرهم . الَّا ان هذا الحكم لا يؤْخذ على اطلاقهِ بل قد يكون ذكر العبارات الدينيَّة عن تدين حقيقي . واقبح ما في الناس الرياءُ الديني فهو اشفُّ ثوب يلبسهُ الانسان واكبر بلية على التدين الحقيقي



مباحث جديدة في السل

لما اجتمع مجمع العلماء والاطباء الالماني في مدينة كاسل في اواخر شهر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الاستاذ بهرنج خطبة كان لها وقع عظيم في نفوس السامعين فان لهُ املاكاً واسعة قرب ماربرج حيث يجرب التجارب في الحيوانات ليعلم فعل السل بها وكيفية انتقال العدوى منها الى البشر الى غير ذلك من الامور التي يبحث العلماء فيها الآن وقد قال في خطبتهِ انهُ ترجح لهُ ان تلقيح البقر باللقاح المضاد للسل يجعل لبنها واقياً من السل حتى اذا شربهُ الناس وقاهم منهُ . وان الاطفال يُعدَون بالسل من شربهم لبن بقر مصابة بهِ وان ميكروب السل يدخل ابدان الاجنَّة قبل ولادتهم وانهُ اذا غذّي الاطفال بلبن بقر لُقّحت بباشلس السل وقوا من السل لان لبنها يكون حاوياً المادة الواقية من السل (انتيتكسين) وارتأى ان البالغين قلما يصابون بالسل ما لم يكونوا قد تعرَّضوا لهُ في طفوليتهم الاَّ ان تعرُّض الاطفال لهُ يزول بتغذيتهم لبن بقر لقحت باللقاح المضاد للسل . فهو مخالف للدكتور كوخ في انتقال العدوى

الكهربائية من الريح

استُخدمت الريح لادارة المطاحن من قديم الزمان ولا تزال مستعملة على قلة بعد استعمال المطاحن البخارية . وقد فكَّر البعض في استخدامها لتوليد الكهربائية بادارة المحرك الكهربائي (الدينامو) فلم يتيسر لهم ذلك قبلاً لان حركة الرياح غير منتظمة الاَّ ان الاستاذ لاكور الدنماركي صنع آلة كهربائيَّة تديرها الريح واذا زاد عصفها عن درجة محدودة تحرَّك فيها مخل اوقع السير عن الاطار وبذلك تعتدل الحركة . وقد مضى على هذه الآلة نحو سنة وهي دائرة بالانتظام وكهربائيتها تنير ٤٥٠ مصباحاً كهربائيًّا وهي موضوعة في اسكوف ببلاد الدنمارك . وثمن الآلة ٨٠٠ جنيه ويبلغ ثمن الكهربائية التي تتولد منها في سنة ١٤٠ جنيهاً يخرج منها ٤٠ جنيهاً نفقات فيبقى ١٠٠ جنيه للفائدة والاستهلاك

عدوى الطاعون

ثبت بالبحث في هونج كونج ان الحيوانات البيتية كالفراخ ونحوها تُعدَى بالطاعون من اكلها مواد ملطخة بميكروبهِ وان ميكروب الطاعون يوجد في البق والبراغيث والعناكب

والصراصير ونحوها من الحشرات التي تكون في بيوت المصابين بالطاعون . وان خمسة في المئة من السكان الوطنيين يوجد ميكروب الطاعون في دمهم فلا عجب اذا بقي الوباء هناك

مدرسة الصحافة

وهب المستر بولتزر الاميركي مدرسة كولمبيا الجامعة مليون ريال لانشاء فرع خاص فيها يتعلَّم فيهِ الطلبة كيفية انشاء الجرائد وادارتها ووعد بان يهبها مليون ريال اخرى لهذه الغاية . ومعلوم ان الاميركيين فاقوا غيرهم في انشاء صحف الاخبار ومجلات العلم من غير ان يتعلموا صناعة الصحافة في مدرسة فلا عجب اذا زادوا براعةً بعد الآن وناظروا الصحافيين الاوربيين في المدائن الاوربيَّة

المركبات الكهربائية في المانيا

نجحت برلين في تجاربها لتسيير المركبات بالكهربائية نجاحاً باهرًا حتى بدأت بذلك رسميًّا في الخامس عشر من شهر يوليو الماضي وبلغت سرعة هذه المركبات ٦٠ كيلو مترًا في الساعة . ويتالف كل قطار من ثلث مركبات اثنتين منها للدرجة الثالثة (وفي كلٍّ منهما محرّك كهربائي) بينهما مركبة للدرجة الثانية وطول كل مركبة من المركبات الثلاث ٦٣ قدماً وعرضها ٩ اقدام . وتسع المركبات كلها مئتي راكب . ويستطيع القطار ان يسير الى الامام او الى الوراء حسب الاقتضاء

قوانين صحية للحلاقين (المزينين)

وضعت ادارة الصحة في ولاية نيويورك القوانين الآتية لدكاكين الحلاقين وهي

(١) على الحلاّق ان يغسل يديهِ بالصابون والماء الحار قبل شروعهِ في حلق شعر احدٍ او قصهِ

(٢) لا يجوز لهُ ان يستعمل الشب او كاويًا آخر لقطع الدم في شكل قلم واذا استعملهُ فليكن مسحوقًا

(٣) لا يجوز لهُ استعمال المذريات التي تذرُّ بها المساحيق

(٤) لا يجوز لهُ ان يستعمل منشفة واحدة لاكثر من شخص واحد قبل غسلها

(٥) لا يجوز استعمال الاسفنج

(٦) يجب ان يغسل البرش والطاس اللذين يستعملان لرغي الصابون كل مرة قبلما يستعملهما

(٧) جميع الامشاط والمواسي والمقصات يجب ان تغمس في الماء الغالي او غيرهِ مما يقتل جراثيم الامراض وذلك كل مرة بعد استعمالها

(٨) لا يجوز لهُ ان يصف وصفة ما لامراض الجلد ما لم يكن معهُ رخصة رسمية

(٩) يجب ان تُكنس ارض الدكان وتنظف كل يوم ويجب ان ينظف كل اثاثهِ من الغبار

(١٠) يجب ان يكون الدكان مجهَّزًا بالماء الحار والبارد

(١١) تعلق نسخة من هذه القوانين في كل دكان حيث تسهل قراءتها

القطرات الكهربائية

توالت التجارب في القطرات الكهربائية التي تسير بين زوسن ومارينفيلد بالمانيا حتى بلغت سرعة القطار ١٢٧ ميلاً في الساعة

بالون ده لا ڤولكس

اقلع المسيو ده لا ڤولكس ببالونهِ من سان كلود في ضواحي باريس قاصدًا مدينة هل بانكلترا فبلغ بعد ثماني ساعات خليج المانش وقطعهُ في ساعة وخمسين دقيقة. وبعد ساعتين وعشر دقائق بلغ نهر التيمز ولما اقترب من جرفه تغيرت الرياح فاقتضى وصولهُ الى همبر ساعة وخمسين دقيقة. ولما بلغ هُلْ رأى انهُ لا يمكنهُ متابعة السير من غير ان يتعرَّض للخطر فنزل في مكان يبعد عنها ستة اميال الى جهة الشمال الشرقي وهذه اول مرة قطع فيها بالون من فرنسا الى انكلترا

مشكلة الطيران

من اعسر الامور التي اشكلت على مخترعي المركبات الهوائية مسألة استمرار الطيور طائرة واجنحتها منشورة موازية للافق وهي لا تتحرك على ان المركبة الهوائية المسطحة الاجنحة لا يمكنها البقاء على تلك الحال طويلاً ما لم تكن مساحة اجنحتها اضعاف مساحة اجنحة الطائر. وقد برهن الاستاذ لنغلي برسوم هندسية الفرق العظيم بين اجنحة الطيور والصفائح التي تطير في الهواء ولاحظ قبلهُ ذلك الفرق جماعة من العلماء فاتفق الجميع على ان السبب في استمرار الطير طائرًا هو تقعر اجنحتهِ وتحدبها وكونها غير مسطحة كاجنحة المركبة الهوائية

اعمال النساء

ظهر بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية ان النساء اللواتي سنهنَّ يمكنهنَّ من تعاطي الاعمال المختلفة نصفهنَّ يعملن اعمالاً يكتسبن منها معيشتهنَّ. وهنَّ يتعاطين كل اعمال الرجال فيوجد منهنَّ في دوائر الحكومية المختلفة وادارة البريد والتجارة والزراعة والصنائع المختلفة ما عدا التعدين. ومن مليون و٧٩ الف عامل الذكور ٧٨٦ الفًا والنساء ٢٩٣ الفًا اي ان النساء اكثر من ربع العمَّال

استعمال الاليومنوم لنقل الكهربائية

كتب بعضهم مقالة اظهر فيها فائدة الاليومنوم في نقل الكهربائية وشيوع استعمالهِ عوضًا عن النحاس. فان السلك الذي ينقل الكهربائية من شلال نياغرا الى مدينة بفلو من الاليومنوم وطولهُ عشرون ميلاً وفي كاليفورنيا سلكان كهربائيان من الاليومنوم طول

احدهما مئة ميل وطول الثاني مئة وار بعون ميلاً . ومعلوم ان النحاس افضل من الالومنوم لنقل الكهربائية ولكن الالومنوم اخف وزناً وارخص ثمناً . ويقول الكاتب انهُ يمكن ابعاد الاعمدة بعضها عن بعض حينئذٍ اكثر مما يمكن لو استعمل النحاس فينتج من ذلك اقتصاد في النفقات

تأثير المغناطيس في الحياة

ظهر من تجارب كثيرة اجراها العالمان شنيڤو وبون الفرنسويان ان للمغناطيس تأثيراً عظيماً في بعض الاحياء الدنيا فان البعض منها تتوقف حركتهُ بالتدريج والبعض يتوقف عن النمو والبعض يموت . وقد فتح ذلك باباً للبحث عما اذا كان للمغناطيس تأثير في الحيوانات العليا . ويرجح ان تكون النتيجة ايجابيَّة

شلالات نياغرا الاصطناعية

سيقام في معرض سنت لويس المقبل شلال اصطناعي كبير يمثل شلالات نياغرا . وينصبُّ منهُ ٩٠٠٠٠ جالون من الماء كل دقيقة من ارتفاع ١٥٩ قدماً ويجلب الماء من ينبوع كبير ويرفع الى الشلال بواسطة طلمبات ومضخات كهربائية قوتها ستة آلاف حصان فهي اعظم طلمبات في الدنيا

النور والازهار

كتب الدكتور جمسن ويرالى جريدة السينتفك اميركان يقول قطفتُ بعض ازهار الشقيق الاسلندي ووضعتها في كاس للزينة وكان الوقت صباحاً فلم تمض ساعة حتى رأيتها ذبلت فنزعتها من الكاس لارميها فقالت لي امي اتركها في الكاس ولا ترمها ففي الليل تنتعش وتراها غداً كما كانت لما قطفتها . ففعلت كما قالت فانتعشت في المساء وللحال اخذتُ ابحث عن سبب ذبولها وانتعاشها وعن تأثير النور في الازهار بنوع عام . فوجدت ان ازهار الشقيق (الخشخاش البري) على انواعهِ تذبل سريعاً بعد قطفها اذا قطفت في النهار لافرق في ذلك بين ان يكون اليوم بارداً او حارًّا واما الازهار التي تقطف ليلاً فلا تذبل الاَّ اذا عرضت لنور النهار . ويظهر من ذلك ان للنور يداً في ذبولها او موتها الظاهر واذا كان الامر كذلك فالفعل كيماوي وهو مسبب عن بعض اشعة النور

وقد اكتشفت قبل الآن ان الاشعة البرتقالية والحمراء والصفراء لا تضرُّ النبات ونشرتُ نتائج تجاربي فلم ارَ داعياً لاعادتها وترجح لي ان هذا الفعل الضار ناتج من الاشعة البنفسجيَّة وما وراءها فوجدتُ الامر كذلك لانهُ اذا حُجب النور البنفسجي عن ازهار الشقيق بورق احمر او برتقالي لم تعد تذبل واما اذا وضع الزهر في نور الشمس كلهِ فانهُ يذبل حالاً واذا طال وضعهُ في النور اكثر من اربع عشرة ساعة ذبل ولم يعد ينتعش او يبس . الاَّ ان الزهر الذي يذبل من وضعهِ

في النور البنفسجي ثم ينتعش بوضعهِ في الظلام لا يعود يذبل ولو وضع في نور الشمس كانهُ يكتسب منهُ مناعة كما تكتسب الاجسام مناعة اذا اصابها مرض معدٍ وشفيت منهُ او كما يكتسب جلد الانسان هذه المناعة عينها من فعل النور بهِ فان الذي يتعرَّض للنور البنفسجي وما وراءهُ اول مرة يتلوَّح جلدهُ وتتولَّد فيهِ بثور ولكنهُ اذا تعرَّض لهُ مرةً ثانية لم يعد يؤَثر فيهِ كذلك

وظهر لي بالبحث الميكرسكوبي ان النور البنفسجي يؤَثر في حويصلات الزهرة وزندها وورقها وتأْثيرهُ سريع فحالما يقع على الحويصلات يجعلها تنكمش ويؤَثر في دورة العصارة الى ان يوقفها بعد ساعتين او ثلاث ويوقف حركة الحويصلات حتى تعدَم الحركة من بنية الزهر ويموت

الغذاء في الجوز والاثمار

ثبت من تجارب ديوان الزراعة باميركا ان الاثمار والجوز على انواعهِ اطعمة مغذية للجسم. فقد اطعم البعض منها فقط ولم يطعموا من غيرها الَّا قليلاً من الجبن والبيض فاغتذت اجسامهم جيدًا وزاد وزن بعضها وكانت الاثمار التي جرت التجارب فيها من التفاح والموز والعنب والكمثرى والرمان والبرتقال والشليك والبطيخ والتين وما اشبه. والجوز من اللوز والفول السوداني او من زبدتهِ فقط

وبلغ ثمن طعام الشخص الواحد نحو نصف ما يبلغهُ لو كان كثير اللحم. ومما ثبت بهذه التجارب ان الفول السوداني على رخصهِ يغذي كاللحم فان ما يساوي منهُ خمسة غروش يغذي الجسم مثل مقدار من اللحم يساوي عشرين غرشًا. ولا يفوق الفول السوداني في ذلك الَّا الخبز والفول هذا من جهة الغذاء الذي يكوّن اللحم اما الغذاء الذي يكوّن الحرارة او القوة فهو في الفول السوداني اكثر مما في الخبز والفول اذا كان الثمن واحدًا

تنشيط الزراعة في اميركا

تنفق الولايات المتحدة الاميركية ١٣٢٨٨٤٧ ريالاً كل سنة على مراكز الامتحان الزراعي ولكن البلاد تستفيد منها اضعاف اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها فان الاميركيين يستعملون كل سنة من السماد فقط ما ثمنهُ خمسون مليون ريال ومراكز الامتحان الزراعي ترشدهم الى كيفية استعمالهِ وتمتحنهُ لهم حتى لا يشتروا شيئًا باكثر من ثمنهِ. ويقال انهُ يتلف عندهم من سماد المواشي كل سنة ما ثمنهُ سبعة ملايين ريال لجهل بعضهم كيفية استعمالهِ ومراكز الامتحان باذلة الجهد في تعليمهم ذلك وتلافي هذه الخسارة فلا عجب اذا فاقوا غيرهم زراعة كما فاقوا صناعة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد الثامن والعشرين

الفصل الثالث والعشرون

كانت الجزيرة التي لجأ اليها ديون وزوجتهُ صخرًا قاحلاً في البحر الى الجهة الشمالية من المرفإ وقد سميت بجزيرة الافاعي لكثرة ما كان فيها من الافاعي قبل ان استأصلتها منها عائلة بروس . وكانت جرداء لا ماء ولا عشبة خضراء ولذلك كان سكانها يضطرون ان يجلبوا ماءهم وطعامهم من المدينة

ومرَّت الايام وديون وزوجتهُ في الغرفتين اللتين أُنزلا فيهما وكان الحرُّ شديدًا في النهار لان الجزيرة صخر خالية من الاشجار والظل فلم يكونا يخرجان من غرفتيهما نهارًا . وبيت بروس كبير فيهِ غرف كثيرة لاولادهِ ونسائهم وفي الجزيرة هيكل صغير ومنشر للشباك والى شماليها مرفأ ترسو فيهِ السفن الكبيرة والصغيرة ولاسيما سفن الصيادين

وظلت الحمَّى على ديون مدة الاسبوع الاول من نزولهِ هذه الجزيرة ثم فعلت بهِ نقاوة الهواء فعلها الشافي وكانت بارين تعتني بتمريضهِ هي وزوجة برُوس وكنتاها وابنتها الصغرى واسمها ديوني . وتمكنت عرى الصداقة بين بارين وهؤُلاء النساء ولاسيما ديوني لانها وُلدت في الجزيرة ولم تكن تعرف البر فكانت تسرُّ بوصف بارين لهُ ولما فيهِ

وشفي جرح ديون ونهض من فراشهِ وخاف اولاً ان تضجر بارين من الاقامة في جزيرة قاحلة لكنهُ رآها على الضد من ذلك راضية بعيشتها معهُ تمام الرضى لا تفكر الاَّ في ما يسرُّهُ. وزادتها الايام بهجةً على غير ما كان ينتظر إما لانهُ لم يكن يعلم مقدار حبها لهُ او لانهُ لم يكن يحسب نفسهُ اهلاً لان ينسيها اهلها وذويها وزادت بهجتهُ لما رآها كذلك ولم يكن يأسف الاَّ لانهُ حُرِم من النظر في الشؤُون العمومية في تلك الاوقات الحرجة . وكان يقلق احيانًا حينما يفكّر في املاكهِ ومقتنياتهِ وما يمكن ان تأُول اليهِ اذا استُصْفِيت ولكنهُ لم يكن يخشى الفاقة لان لهُ اموالاً كثيرة عند احد الصيارفة الامناء

وكانت بارين تشاركهُ في كل ما يقلقهُ حتى في اهتمامهِ باملاكهِ وامواله وأُرسل اليها قيثارها وبعض الكتب فكانت تغني لهُ وتقرأُ على مسمعهِ لتسليتهِ

ومرَّت الايام وكلٌّ منهما يدرس طباع الآخر ويكتشف فضائلهُ ومزاياهُ فزاد ارتباط قلبيهما الارتباط الذي لا يتم الاَّ بعد ان تمرَّ على الزواج سنون كثيرة تشترك فيها العواطف والمصالح المبنيَّة على الحب المتبادل

وكانت بارين تفكر احيانًا بامها وغيرها من اقاربها وتتوق الى رؤيتهم ولكن تأْتيها منهم

مكاتيب من وقت الى آخر فتطفئ غلتها. يأتي بها برثوس كلما ذهب الى المدينة لبيع السمك لان انوكس كانت تعرف مقرَّهُ فتأتيهِ بها سرًّا

ورأى ديون ان زوجتهُ رضيت بهذا المنفى تمام الرضى وان حبهُ لها انساها كل ما تركتهُ في المدينة فرضي هو ايضاً بهِ لاسيما وان المكاتيب التي كانت تأتيهما من المدينة من ام بارين واختها وشارميان ودديموس وجورجياس وارخبيوس كانت متفقة كلها على انهُ ليس من الحكمة خروجهما من الجزيرة ورجوعهما الى المدينة . وكان في هذه المكاتيب اخبار كثيرة تدعو الى النظر والتفكُّر فيشتركان في البحث فيها

وفي الشهر الثاني من خروجهما الى الجزيرة اتاهما كتاب من ارخبيوس يقول لهما فيهِ انهُ ظهرت خيانة عدوهما الكساس لانهُ مضى الى هيرودس وصادقهُ ثم ذهب الى اوكتافيانوس لكي يطلعهُ على اسرار مولاهُ انطونيوس فازدراهُ اكتافيانوس وامر بالقبض عليهِ ومحاكمتهِ فحوكم وثبتت خيانتهُ فقتل. ولما وصل هذا الخبر الى الاسكندرية لم يعد لاخيهِ فيلستراتس اقل شأن فيها ولذلك لا خوف من رجوعهما الى الاسكندرية من قبل هذين الرجلين ولكن قيصاريون اشترك في جمعية الفتيان وأُلبس انتلس ثوب الرجال فصار لها شأن كبير ويظهر ان قيصاريون لا يزال يفتش عن بارين فليس من الحكمة ظهورها الآن

ولم يكن ديون يخاف من قيصاريون على نفسهِ ولكنهُ كان يخاف منهُ على زوجتهِ فاضطرَّ ان يبقى في الجزيرة مكرهاً لاسيما وانهُ كان ينتظر بفارغ الصبر اليوم الذي يتمكن فيهِ من العودة بها الى قصرهِ وتسليمها ادارتهُ والى المجلس البلدي والاشتراك في اعمالهِ ولذلك خطر لهُ مرارًا ان يخاطر بنفسهِ وينزل الى البر لكن بارين كانت تتوسل اليهِ ان لا يفعل وتقول ليس من الحكمة ان نبدل السعادة التي نحن فيها بسعادة اخرى اعظم منها اذا كانت هذه محفوفة بالمخاطر . ثم جاءهما كتاب من شارميان تحذرها فيهِ من الرجوع الى المدينة

وكانا يريان وهما في الجزيرة ان الاسكندرية غائصة في بحار الملاهي لان الرياح كانت تهب من الجنوب احياناً فتحمل اليهما اصوات الغناء والطرب ويريان البوارج رافعة اعلام النصر وسواريها مزدانة باكاليل الازهار وبحارتها يغنون ويطربون وكثيرًا ما يكون شراع السفن من الحرير الارجواني دليل التفاني في الزينة والابهة. ورأيا مرة سفينة كبيرة فيها كثيرات من الجواري الحسان مسدولات الشعور لابسات اثواباً زرقاء شفافة وبأيديهن مجاذيف من خشب الصندل مقابضها من الذهب الابريز وهنَّ يجذفنَ بها . وكثيرًا ما كان ارج الطيوب يصل اليهما من السفن على اجنحة النسيم . واذا خيم الليل انيرت البوارج الكبيرة بالانوار

المختلفة الالوان ومخرت في عرض البحر قصد النزهة وعليها جماهير من رجال الدولة وقواد الجند متكئين في اوضاع مختلفة تمثل الآلهة على ما ورد ذكرها في اقاصيصهم وبينها بارجة كليوباطرة وعلى ظهرها جماعة متكئين على ارائك الارجوان وعلى رؤوسهم اكاليل الازهار وهم يأكلون فاخر الطعام ويشربون معتق المدام يديرها عليهم الندمان بكؤوس الذهب

وفي بعض الليالي كانت القصور والهياكل وسائر المباني العمومية تظهر من الجزيرة كشعلة من نار لكثرة ما يوقد على جوانبها وشرفاتها من المصابيح . ولم تكن بيوت الكبراء من السكان دونها في اظهار مجالي الزينة كأن المدينة كلها كانت ترفل بحلل البهجة والبهاء . وعاد بروس ذات يوم واخذ يصف ما شاهدهُ من المواكب البديعة والولائم الفاخرة التي اولمت في قصر الملكة وهو مسرور لانهُ باع كل ما اصطادهُ هو وبنوهُ من السمك باغلى الاثمان

واقبل الشتاء ومرَّ عيد مولد كليوباطرة ولم يحدث شيء غير عادي ثم تلاهُ مولد انطونيوس فكثر فيهِ الهتاف وعلت اصوات الموسيقى وزينت المدينة كلها في المساء. ووصل الى ديون وبارين حينئذٍ كتاب مسهب من شارميان تصف فيهِ الاحوال بالإسهاب التام بدأتهُ "بتطمين" بارين عن اقاربها واخبرت ديون ان عمهُ المهردار في نعيم مقيم لانهُ مغرَم بمجالي الزينة والولائم الفاخرة وهو باذل جهدهُ لاعداد الحفلات الباهرة في الملاهي والملاعب وميادين السباق . وكان هناك قوم من اهل القصوف يلقبون انفسهم بالاجلاء فلقبهم انطونيوس باخوان الردى وقال لهم هلمَّ نأكل ونشرب ونلعب ونطرب لاننا غدًا نموت . ورأى كل احد ان النهاية قد دنت فقالوا هلمَّ نقتدِ بالملك الذي انبأتهُ الالهة انهُ بقي من عمرهِ ست سنوات فواصل الليل بالنهار سكرًا ومرحًا فصارت السنوات اثنتي عشرة. وقالت شارميان في كتابها "كان التقاء كليوباطرة بانطونيوس على تمام الابهة وكنا نظن انهُ نهض من غفلتهِ ونشط للعمل فعادت بسالتهُ بتجدُّد نار الحب في فؤادهِ ولكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل عكف على الملاهي والملاذ وهو يقود اخوان الردى ويملأ جوفهُ بالمسكرات ولا يلتفت لحظة الى المخاطر المحيقة بنا ويعود الى القصر احيانًا وعيناهُ تتلألآن من المسكر فيركع امام كليوباطرة كأنهُ يركع امام معبودهِ ويبذل لها كل مرتخص وغالٍ لكي تتبسم في وجههِ . وحينما اراهُ على هذه الصورة اتصورهُ كجبل راكع امام كوكب . واذا رأى غريب كليوباطرة مع انطونيوس وبين خواص مملكتها والازهار تطرح تحت قدميها ظنها في اوج مجدها ومنتهى بهجتها لكنها ليست كذلك وانا ادرى الناس بها . واكبر همها الآن اتمام القبر الذي شرعت فيهِ

" والظاهر انها تهتمُّ بكل شيءٍ حتى بالنقوش التي تحفر على ناووسها وسيكون في المدفن

غُرَف تحتانية لتضع جواهرها وكنوزها فيها وتحت هذه الغرف سرداب وضعت فيهِ القار والقش حتى اذا اشتدَّت الازمة اضرمت فيها النار لكي لا تقع في يد العدو فان عندها من الجواهر ما يشتري ممالك كثيرة

"والبستان الذي ربيتِ فيهِ ياباربن وقضيتِ ايام الصبا يمرح فيهِ الآن اولاد كليوباطرة الصغار وهم في كفالة اخي ارخبيوس وتذهب كليوباطرة اليهِ كلما ارادت الراحة من عناء الاشغال او من متاعب الاحتفالات. واول امس جاءها انطونيوس في شكل المعبود ديونيوس مكللاً باللبلاب وسار في شارع الملك في مركبة ذهبية تجرها الاسود المذلَّلة وطلب منها ان تذهب معهُ في شكل المعبودة ايسس راكبة مركبة من الفضة في شكل زهرة نيلوفر تجرها اربع افراس بيضاء كالثلج فقالت لي "ان بين بستان الفيلسوف حيث ابتدأتُ في الراحة والسكينة وبين القبر الذي ابنيهِ لاقيم فيهِ بعيدةً عن هذه المشاغل هذا الشارع الطويل بما فيهِ من الجلبة التي تصمُّ الآذان والخفخفة الزائلة زوال امس الدابر"

"لم تكن امورها هكذا في ما مضى فقد كانت مغرمة بانطونيوس غراماً وكان اعظم رجال زمانهِ ومع ذلك جثا لها خاضعاً لمشيئتها . فوجدت نفسها فيهِ ما كانت تتمناهُ وقضت معهُ اوقاتاً كلها مسرة وحبور . كان من اكرم الناس فالقى تحت قدميها عظمة رومية وملوك ممالك الارض ومرَّت السنون وهما سكرانان بخمرة الحب. ثم اضطرَّ ان يقترن باكتافيا . لم يترك كليوباطرة لاجل امرأة اخرى بل لان ملكهُ كان مهدَّداً بالزوال . الَّا ان اكتافيا كانت تستحق محبتهُ واكرامهُ فصارت عزيزة في عينيهِ

" وانقدت نار الحرب بين اكتافيا وكليوباطرة لا بالسيف والرمح بل بآلات الحب والغيرة واخيراً كان الفوز لكليوباطرة فعادت الى بستان الحب وعاد انطونيوس الى خمرتهِ . ثم جاءت واقعة اكتيوم وانفك طلسم السحر الذي سحرتهُ بهِ فاستيقظ ليسقط هذه السقطة الهائلة . ولقد كان غرضنا اخيراً ان لا يعود الى سورة سكرهِ بل يستنهض قواهُ ويسترد بسالتهُ ولكنهُ اعتاد ان يرى في كليوباطرة عنوان البهجة ولم يعد يعبأ الَّا بارتشاف كؤوس السرور بين يديها الى ان يقضي نحبهُ . وهي ترى ذلك وتحزن وتأسف وقد افرغت جهدها في انهاض همتهِ على غير جدوى . فتراها تحصن الثغور والتخوم وتبني البوارج الحربيَّة وتعد الاسلحة والميرة وتراسل الاحلاف ولكنهُ يدعوها الى حفلة انس وطرب فلا تستطيع الَّا ان تجيب طلبهُ

"وقد اضاع كل المزايا القديمة التي كان متصفاً بها ولكن حبها لهُ لم يزل ولا اعلم سبباً لذلك الَّا ان قلب المرأة لا يبحث عن الاسباب والمسببات

"ومن حين سلّم الاولاد لارخبيوس لتعليمهم أُرسل معلمهم يوفرنيون الى رومية لانهُ يعرف اكتافيانوس . أُرسل اليهِ سفيرًا لكي يقنعهُ بتحويل ملك مصر الى الولدين انطونيوس هليوس والاسكندر لكن اكتافيانوس لم يجب طلبهُ بل لم يسمح لهُ بمقابلتهِ

"وقد وعد اكتافيانوس كليوباطرة باحسن معاملة لها ولاولادها ان هي سلمتهُ انطونيوس حيًا او ميتًا . ومعلوم ان نفسها الابية تأبى اجابة هذا الطلب لان فيهِ خيانة ما فوقها خيانة . ولا يزال اكتافيانوس يمنّيها بالمواعيد ويبين لها مقدار ما تحجب من الدماء بتسليمها رجلاً واحدًا الى يدهِ . وهو يعرف كيف يختار اساليب الاقناع . وبالامس ارسل اليها شابًا من اعوانهِ جميل المنظر فصيح اللسان فبذل اقصى جهدهِ في اقناعها وقال لها ان اكتافيانوس كان يحبها ولا يزال حبها راسخًا في قلبهِ . فلم تظهر الريب في كلامهِ ولكنها لم تبدِ لهُ اقل ضعف في عزيمتها او تحوُّل في رأيها

"ولم يلتفت انطونيوس اولاً الى هذه الدسائس ولكن لما علم بالوسائل التي استعملها اكتافيانوس لاستمالة كليوباطرة هاجت فيهِ سورة الغيظ وعاد الى سابق عهدهِ وامر ان يجلد سفيرهُ جلدًا وردهُ الى رومية وكتب الى اكتافيانوس يشكو من وقاحة سفيرهِ ويقول لهُ " ان ما حلَّ بي اخيرًا قلَّل من صبري لكن ان كنت تستاءُ مما فعلتهُ بسفيرك فافعل نظيرهُ بسفيري "

وترين من ذلك ان طبع المجون لم يفارقهُ مع كل ما حلَّ بهِ ولا شبهة ان اطوارهُ تغيرت الآن تمام التغير فمنذ بضع سنوات كانت المخاطر تزيدهُ همة وبسالة حتى يتغلب عليها اما الآن فالمخاطر محدقة بهِ وهو لا يبالي بها وان خرج الى الحرب فلا يكون خروجهُ لاجل التظفر بل لكي يقع قتيلاً في ساحة الوغى حتى لا يقال انهُ مات حتف انفهِ وعندهُ ان تمتعهُ بالملذات يخفف عنهُ ألم الانغلاب ويقلل شان الغالب لكنهُ لم يعد يشمخ بانفهِ كبرًا كما كان يفعل قبلاً ولاسيما بعد ان سلّم احد المتهمين بقتل قيصر

"ثم ان هناك امرًا هامًا يجب ان تخبري زوجك بهِ وهو ان انطونيوس صار يستصحب ابنهُ انتلوس ويشركهُ في ملاهيهِ وقد بلغهُ ما اصاب قيصاريون واظنهُ يميل الى مساعدتهِ وقال مرارًا ان لا شيء يوقظ الحمية في نفس قيصاريون مثل جمال وجهكِ وان الارض لم تبتلعكِ فلا بدَّ من وجودكِ وانهُ يود ان يسمع غناءكِ ايضًا ولا بدَّ من انهم يفتشون عنكِ

"هذه الاخبار تقلق بالك ولكن يسرُّني ان اخبرك ان كليوباطرة عزمت على ارسال قيصاريون الى بلاد الحبشة بطريق اصوان فقد سمع ارخبيوس من تاجنس ان اكتافيانوس يخشى من ابن قيصر لانهُ يرى وجههُ مماثلاً لوجه ابيهِ ولذلك خافت ان يفتك بهِ اذا وقع

في يدهِ . وانتلوس ذاهب ايضاً الى اسيا لكي يسترضي اكتافيانوس لانهُ كان خطيباً لابنتهِ جوليا. وقد يئست الملكة من الفوز ولكن رغماً عن ذلك وعن الحاح اخوان الردى لا تزال تبذل الجهد في تحصين الثغور

" وقد صار الموت نصب عينيها فترينها تبحث عن اسلوب تموت بهِ من غير الم لانها تعلَّمت من ابيقورس الاهتمام بالنجاة من الآلام . وتساعدها ايراس في ذلك وتلامذة اولمبس فيأتونها بالسموم المختلفة وهي تجرّبها في الحيوانات وقد جرَّبتها حديثاً في بعض المجرمين المحكوم عليهم بالموت . فاستدلَّت منها ان سم الصل اقتل من غيرهِ كأن المصريين القدماء وضعوا رسمهُ في تيجان ملوكهم اشارة الى سلطتهِ المطلقة على الحياة والموت . واذا سرى سمهُ في البدن اوقف القلب حالاً عن حركتهِ وزهقت بهِ الانفاس باقل ما يكون من الالم على ما يظهر

" اواه لا اقدر ان اصف لكِ ما القاهُ من المرارة والنغص وانا ارى اعز الناس عندي تفتش عن اسلوب تقتل بهِ نفسها ولا استطيع منعها . وهي تقابل الموت كل يوم وتنظر شزراً الى ما يُعرّض عليها للنجاة منهُ . وحسبها فخراً انها تضحي نفسها لكي لا تضحي غيرها ولم احبها في حياتي قدر ما احبها الآن

" واود ان تحسني الظن بها فان القلب الكريم الذي يشفق على العدو لا يصعب عليهِ ان يتجاوز عن ذنبهِ

" لقد اطلتُ كتابي لكي اسليكِ في وحدتكِ وافرّج همومي بالشكوى فاصبري فان الاقدار ستنجيكِ من منفاكِ قريباً . كل اقاربكِ واصدقائكِ يودون زيارتكِ ولكنهم يخافون عواقبها عليكِ وعلى زوجكِ"

وكتب ارخيبيوس اليهما يحذرهما من الرجوع الى المدينة . ثم بلغهما ان قيصاريون سافر الى بلاد الحبشة وانتلُّوس الى اكتافيانوس فرحَّب اكتافيانوس بهِ ولكنهُ ردَّهُ فارغاً . وهذه الاخبار اتى بها جورجياس نفسهُ في اوائل الربيع . فلما دخل الغرفة التي كانا فيها رأى بارين جالسة تحيك شبكة وتقص على ابنة بروس قصة تلاك وديون جالساً معها يشرح بعض ما تقولهُ وهو يصنع رأساً من الخشب ليوضع في مقدَّم قارب من قوارب الصيد

ولما نظرا اليهِ دهشا وابرقت اسرتهما ونهضا اليهِ يصافحانهِ ويرحبان بهِ ويسألان عن سلامتهِ فتعشَّى معهما عشاء لم يذق الذ منهُ من الاسماك ولحوم الاصداف البحريَّة . وشعرا كانهما عادا الى المدينة واسترجعا كل ما فقداهُ وجعلا يقصَّان عليهِ كيفيَّة معيشتهما في تلك الجزيرة وهو يقص عليهما اخبار الملكة وقبرها والغرف التي بناها فيهِ لكنوزها وقال اني جعلت الجدران

وثيقة حتى تقاوي الدهر وفي وسط القبر غرفة رحبة جدًّا قائمة على اعمدة من المرمر ليوضع الناووس فيها وهو كثير النقوش والزخارف وفي الغرف السفلى مخازن تصل اليها خروق صاعدة في الجدران لتجديد الهواء وتسهيل الاشتعال . اما الغرفة الوسطى فمن بدائع الصناعة ولم ارَ في حياتي غرفةً مثلها في جمال نقشها وانواع المرمر الداخلة في بنائها من البرفير الدموي والسربنتين الزمردي ونحو ذلك من الحجارة الثمينة وغلقا الباب من النحاس يشهدان بمهارة صناعهما .

وسألتهُ بارين عن امها واختها وجدها فقال لها انهم كلهم في سلامة لكن جدها استطال مدة نزولهِ ضيفًا عليهِ وود الخروج من بيتهِ حتى اضطر ان يبذل كل جهدهِ في اقناعهِ بالبقاء وان كليوباطرة اشترت بيت جدها وبستانهُ ودفعت اليهِ ثمنهما ثلاثة اضعاف فصار من الاغنياء وطلب منهُ ان يبني لهُ بيتًا جديدًا في مكان يشرف على البحر قريبًا من المتحف فوجد لهُ مكانًا مناسبًا ولكن البيت لا يتم بناؤُهُ قبل الصيف الى ان قال وكان يمكن ان اتمهُ قبل ذلك ولكن هيلانة ارتأت ان اغيّر وابدل فيهِ ورأيتها مصيبة في ذلك فتبعتُ رأيها · ولما قال ذلك نظر ديون الى بارين ونظرت هي اليهِ فقال لهما لقد فهمت مرادكما ولغة العينين افصح من لغة اللسان لقد مرّت عليَّ هذه الشهور الخمسة وانا ارى محاسن هيلانة واعجب بجمال وجهها وذكاء عقلها وطهارة قلبها واظن انها هي ترى فيَّ بعض ما يروق لها ولكنني حينما ارى الملكة واسمع صوتها اشعر كأن عاصفة اكتنفتني وانستني اسم هيلانة ومحت صورتها من ذهني . هذه حقيقة الامر ولا استطيع ان اغش احدًا فكيف اربط ابنةً بي وانا تحت سلطة غيرها

فذكّرهُ ديون بقولهِ ان الملكة تحبُّ كالآلهة ولم ينتظر الجواب منهُ بل حوّل الكلام الى موضوع آخر

وعاد جورجياس الى البر بعد نصف الليل بثلاث ساعات اعادهُ بروس في اسرع قواربهِ فرجع وهو يفكر في بارين وهيلانة ويقول في نفسهِ ترى هل تعيش هيلانة معي عيشة الهناء كما تعيش بارين مع ديون والاختان كانتا على طرفي نقيض في صبوتهما

وفي الصباح جاء المكّاس الى الجزيرة في طلب الجزية فلقي بروس واهلهُ اشد المشاق في اخفاء ديون وزوجتهِ حتى لا يراهما واعطوهُ نصف ما وفّروهُ تلك السنة واخذ منهم اكبر قارب من قواربهم لان الاستعداد للحرب اضطرّ الملكة ان تضرب الضرائب الفاحشة على الاهالي وتأخذ منهم كل السفن التي يمكن استعمالها في الحرب واستصفت اموال الهياكل ولم يجسر احد ان يجاهر بالشكوى منها مع ان جانبًا كبيرًا من تلك الاموال كان ينفق على الولائم والملاذ لانهم كانوا يحبونها حبًّا يقرب من العبادة ويكرهون رومية وحكامها ولا يضنون بشيء

لكي يبقى لهم الاستقلال الذي تسعى رومية الى نزعهِ منهم

وكان ديون وبارين يريان من الجزيرة مقدار الجهد الذي تبذلهُ كليوباطرة في اعداد معدات الحرب فان السفن كانت تبنى دواماً في حوضي المدينة والبحَّارة يتمرنون في البوارج وانطونيوس ينزل الى البحر احياناً يراقب حركاتهم وأُخذ ابنا بروس ونظما في سلك البحَّارة واعطي ديون اباهما مبلغاً طائلاً من المال ليستفكهما بهِ فلم يفلح

وقد شق اخذ هذين الشابين على والديهما وزوجتيهما فسكبوا الدموع السخيَّة وبعد ايام اخذا اجازة يوم ليريا اهلهما وقصَّا عليهم ما يلاقيانهِ من المشاق هما وغيرهما من الشبان الذين يؤخذون من احضان آبائهم جبرًا ويمرَّنون بعنف شديد وكلهم غاضب ساخط حتى لا يبعد ان يجاهروا بالعصيان حالما تلوح لهم فرصة لذلك لاسيما وان بينهم اناساً يهمسون في آذانهم ويقولون ان خدمة اكتافيانوس اسهل جدًّا من خدمة انطونيوس

وجعل بروس يحذر ولديهِ من الفتنة وزوجتهُ وكنتاه يغرينهما بها وبكل ما ينجيهما من الذلة ويعيدهما اليهنَّ. وتولَّت الكآبة ذلك البيت وزالت بهجة بارين فاطرقت وصارت تبكي احياناً كثيرة . اما ديون فبقي على ما كان عليهِ من البهجة وطلاقة الوجه . وبلغهُ ان املاكهُ صودرت ولكن ارخبيوس تمكن من انقاذها فلم يهمهُ ذلك كثيرًا لانهُ كان ينتظر اعظم اسباب البهجة التي ينتظرها الزوج ولم يمضِ شهران حتى رزق غلاماً فطفحت كاس مسراتهِ وشاركت نساء الجزيرة زوجتهُ في سرورها . واحضر بروس مذبحاً صغيرًا من المدينة وتمثالاً من تماثيل الهة الولادة ارسلتهما شارميان هدية الى بارين فنصب المذبح ووضع التمثال عليهِ وجعلت بارين تدهنهُ بالزيت الطيب ونذر ديون لالهة الولادة ان يبني لها هيكلاً ان انعمت على زوجتهِ واعتنت بها

وفي اوائل فصل الصيف جاءت هيلانة تزور بارين فالتقتها بارين بوجه يطفح سرورًا وكانت امها تود زيارتها ايضاً ولكنها خافت الرقباء والجواسيس لاسيما وان فيلستراتس كان وعد ان يعطي من يأتيهِ بديون وزنتين من الذهب ولذلك لم ينفك الجواسيس عن مراقبة قصر ديون وبيت برنيكي ومن يخرج منهما ومن يدخل اليهما

واستوحشت هيلانة من وحدة الجزيرة اكثر مما استوحشت بارين وكانت تخرج كل مساء الى الجهة الجنوبيَّة ترقب المدينة منها وزادت وحشتها بمرور الايام وزاد شوقها لجدها وجدتها الَّا ان ديون ظن شوقها لشخص آخر غيرهما فخالفتهُ زوجتهُ في ذلك واخيرًا تحقق ظنهُ لان جورجياس جاء لزيارتهم فاسرعت هيلانة للقائهِ ورآها ديون واقفة معهُ تشكو اليهِ البعاد

فاسرع واخبر زوجتهُ فقالت لهُ وهل يليق بك ان تكون رقيباً على حبيبين فقال وما عليَّ اذا عاملتهُ كما عاملنا حينما التقينا اول مرةً

ثم دخل جورجياس المنزل وهيلانة متكئة على زراعهِ فان بُعدها عنهُ هذه الثانية الايام اضرم نار الوجد في فؤادهِ فلم يعد يستطيع على فراقها صبرًا وصار يرى صورتها امام عينيهِ حتى وهو في حضرة الملكة فخطبها الى امها وجدها وجدتها واسرع اليها الى جزيرة الافاعي

الفصل الرابع والعشرون

اقام جورجياس ساعات قليلة على الجزيرة وهي كل الزمن الذي استطاع ان يتفرَّغ فيهِ من اعمالهِ لان بناء مدفن كليوباطرة كان يستغرق وقتهُ كلهُ حتى ساعات الليل ولم يعد في الامكان وضع نقوش النحاس داخل الغرفة الكبرى فوضع مكانها صفائح من المرمر الاسود لان اكتافيانوس كان قد وصل الى بلوزيوم في الطرف الشمالي الشرقي من الديار المصريَّة وكان المنتظر ان تصل طلائع جنودهِ لى الاسكندريَّة بعد اسبوع من الزمان ولو استطاع سلوقس والحامية الثبات امامهُ في بلوزيوم

وقد عُبئت الجنود لصدهِ فالاسطول لا يقلُّ عن اسطولهِ عَددًا وعُددًا والفرسان الذين استعرضهم انطونيوس امام الملكة يبهج مرآهم عين مَن لهُ المام بالفنون الحربيَّة . وهو معلق آمالهُ على القواد المحنكين الذين كانوا معهُ في المعارك السالفة وخبروا كرمهُ في الشدة والرخاء ونجدتهُ وقت الضيق

وقلق ديون من الاقامة في الجزيرة وود ان يعود الى البر لكن بروس منعهُ من ذلك فقال اذن نذهب الى مدينة من المدائن السورية او اليونانية فقال لهُ بروس ان الرقباء يفتشون كل سفينة تخرج من المدينة . ولم يكن قلق بروس اقل من قلقهِ لانهُ كان لا بد من ان اسطول اكتافيانوس ينازل اسطول الاسكندرية الذي فيهِ ابناهُ . وعاد ذات يوم من المدينة هلع الفؤاد اذ بلغهُ خبر تسليم بلوزيوم ولمَّا لم يرَ احدًا خرج لاستقبالهِ على خلاف العادة اوجس شرًّا وقال لعلَّ احدًا اكتشف مَن عندنا فقبض على الجميع . ثم صعد على الصخر ودنا من البيت ولما لم يرَ احدًا زادت هواجسهُ ومخاوفهُ واخيرًا دنا من الباب وفتحهُ وكان ديون قد رآهُ مقبلاً وقام للقائهِ ووجههُ يتهلل بشرًا وقال لهُ غلامًا غلامًا ولدت بارين غلامًا وسنسميهِ بروس باسم صاحب هذه الجزيرة المباركة . فهنأهُ بروس وقال لهُ من اكون حتى تسمي ولدك باسمي

وسرَّ كل في من الجزيرة بولادة هذا الطفل واستبشروا بهِ لانهُ كان بديع المنظر. ولمَّا اطمأن بال ديون على زوجتهِ ورآها جازت المخاض والولادة سالمة اتجه فكرهُ الى المشاغل الكثيرة التي اجَّل قضاءها لاسيما وانهُ صار والدًا وعليهِ ان يهتم بمستقبل ولدهِ . وكان قد طال شعرهُ وعتقت ثيابهُ فصار منظرهُ مثل منظر الصيادين فلا تسهل معرفتهُ ولذلك غادر الجزيرة في المساء وجاء الى المدينة وكان ذلك في اليوم الاخير من شهر يوليو. ورجع بروس ذلك اليوم الى الجزيرة باخبار الفوز العظيم الذي فازتهُ فرسان انطونيوس على فرسان اكتافيانوس . وزينت القصور في الليل ورأى ديون الناس على رصيف المرفإ مسرورين متهللين يقول بعضهم لبعض لقد عاد انطونيوس الى سابق عهدهِ ولا بدَّ من الفوز اخيرًا

ووصل الى بيت جورجياس فوجد جدَّ زوجتهِ وجدتها وكانا قد عرفا انهُ ولد لبارين ولد فكرا التهنئة لهُ وارادا ان يرسلا يستدعيان جورجياس وكان قد ذهب الى مجتمع الفتيان مع انهُ خرج من الانتظام فيهِ منذ زمن طويل . الاَّ ان ديون فضَّل ان يذهب بنفسهِ ويقابلهُ هناك . وقبل ان ذهب جاءت انوكس فلما رأتهُ تهلَّل وجهها وهنأتهُ بسلامة زوجتهِ وعادت ادراجها لتخبر سيدتها بمجيئهِ ثم جاءت برنيكي وحاولت اظهار البهجة ولكنها لم تستطع ان تخفي قلق بالها لان اخاها كان صديقًا لاكتافيانوس فلما صار اكتافيانوس على ابواب الاسكندرية اضطرَّ هو واولادهُ ان يخرجوا منها ويختفوا في بيت احد اصدقائهم فصارت تخشى ان يستتب النصر لانطونيوس فيوقع بكل الذين يحسبهم اصدقاء لاكتافيانوس مع انها تود النصر لهُ لاجل مصلحة بلادها

وكان انطونيوس قد فعل فعل الابطال في ذلك اليوم خرج في طليعة فرسانهِ واستلَّ سيفًا كالصاعقة وخاض الوغى وهو يضرب بهِ يمنةً ويسرة فيطيح الرؤوس عن الابدان حتى قال كل من رآهُ ان هرقل الجبار عاد الى عالم الاحياء . وجاءت شارميان الى بيت جورجياس لترى ديون وتسألهُ عن سلامة بارين وطفلها فاكدت لهُ ما سمعهُ عن انطونيوس . ورأى ديون انها تغيرت كثيرًا منذ رآها آخر مرة فابيضَّ شعرها كلهُ وغارت وجنتاها وبانت عليها امارات الغم الشديد . وكانت قد خرجت من القصر خلسة من وسط وليمة أولمت على اثر الفوز العظيم الذي احرزهُ انطونيوس .

وجلس انطونيوس في صدر تلك الوليمة مكللاً بالازهار وجلست كليوباطرة الى جانبهِ بحلَّة زرقاء مزدانة بازهار النيلوفر المرصعة بالصفير واللؤلوء النضيد

لما رجع انطونيوس من حومة الوغى لاقتهُ كليوباطرة فامسك بها بيديهِ متهللاً كما كان

يفعل في السنين الغابرة حين عودتهِ من المعارك الكبيرة وقابلتهُ ووجهها طافح سرورًا .
وقدَّم اليها فارسًا امتاز على الاقران ببسالتهِ فانعمت عليهِ بدرع وخوذة من الذهب الخالص

وقبل الوليمة بلغها ان هذا الفارس ترك جنودها وذهب الى مصاف العدو فثبت لها ما كانت تتوقعهُ وهو ان الدائرة ستدور عليها بخيانة جنودها وبلغها ان انطونيوس دعا اكتافيانوس الى المبارزة فاجابهُ انك ستجد سبلاً كثيرة للموت غير هذا السبيل . وعلمت ايضًا ان كثيرين من اقدم جنودها تركوها وانضموا الى اكتافيانوس فقالت ما ظفر انطونيوس في هذه الواقعة الاَّ نور السراج الذي يسطع قبلما ينطفئ ولكن ما دام موقدًا يجب ان نسير في نورهِ . فدخلت الوليمة معهُ وتذكَّرت حينئذٍ قولهُ اذ شبهها بوليمة تولم للاحتفال بالظفر قبل الشروع في القتال فيحضرها المدعوون والاكاليل على رؤوسهم فيشربون ويطربون

ولم يكد السقاة يشرعون في صب الخمر حتى التفت انطونيوس اليهم وقال صبوا واكثروا يا غلمان فقد تخدمون سيدًا آخر غدًا ثم عبس على غير عادتهِ وهمس قائلاً واكون انا جثةً بلا روح . وسمع السقاة هذا الكلام فجعلوا يبكون هم وسائر الغلمان وشاركتهم كليوباطرة في البكاء

كان انطونيوس رجل ملذات متهورًا في كل اعمالهِ لا يقرُّ لهُ قرار ولا تسعد بلاد يحكم عليها ولكن لم يفقهُ احد في امتلاك قلوب رعاياهُ فان نظرة واحدة اليهِ تسبي الناظر حتى ان اعداءهُ كانوا يعترفون ان بسالتهُ تبدو على اشدها في ساعة الخطر والثقة بهِ تقوى في اوقات اليأس . فذلك وتذكار ما امتاز بهِ من كرم الطباع ودماثة الاخلاق جعل الحضور يبكون حينما سمعوهُ ينذر بما يخشون وقوعهُ وزادوا بكاءً وحسرةً حينما رأوا الدموع السخية تهطل من عيني ملكتهم وهي متكئة على كتفهِ

لكن هذه الكآبة لم يطل امرها لان انطونيوس نادى السقاة قائلاً اليكم عن اللرڤا (١) فاننا في غنى عنها وانت يا كسوثس غنِّنا اغنيَّة تليق بهذا الاحتفال وهات يا مترودر ابدع ما عندك من الرقص والكاس الاولى لاجمل النساء وافضلهنَّ واحكمهنَّ واعزهنَّ ولما قال ذلك اشار بيدهِ والكاس فيها فعزف كسوثس واندفع الراقصات يرقصن ويلحن باثوابهنَّ الرقيقة حتى كأنهنَّ طيور تكتنفها الغيوم

وحضر الوليمة اخوان الردى وحضرت شارميان ورأت مولاتها جالسة وشفتاها ترتجفان وحينئذٍ دخلت انوكس واخبرتها عن مجيء ديون فخرجت من دار الوليمة خلسة ودخلت غرفتها لتلبس ثيابًا تستطيع ان تذهب بها وترى ديون ودخلت ايراس حينئذٍ ووضعت رأسها بين

(١) هي تمثال صغير في شكل هيكل ميت يدار على الندمان لكي يتذكروا الموت فلا يوغلوا في الملذات

وسادتين واوغلت في البكاء من غير ان ترى خالتها فنادتها شارميان اليها وفتحت لها ذراعيها وكانت هي تبكي ايضاً فانطرحت ايراس على صدرها وزادت بكاء واخيراً تمكنت شارميان من الكلام فقالت بصوت متقطع سنذهب معها الى الموت. فقالت ايراس نعم وندفن معها

وكانت شارميان قد صممت على ذلك من عهد طويل لانها لم تطق ان تفارق المرأة التي تعلّق قلبها بها وهي طفلة في بستان ابيها فلما سمعت ابنة اختها تكرر صدى كلامها قالت وندفن معها فان يد شارميان وقلبها لا يفارقان ملكتها . وقالت ايراس ولا تفارقها ايضاً محبة ايراس وخدمتها . قالتا ذلك وافترقتا عليهِ

واسرعت شارميان الى ديون وسألتهُ عن بارين والطفل كما تقدَّم ثم خرجت مسرعة فتبعها الى المركبة التي جاءت فيها واخبرتهُ وهي تركب ان اخاها اخذ اولاد كليوباطرة وخرج بهم الى قصرهِ في ايرينيا . وقالت لم ارَ في حياتي منظراً يفتت الاكباد مثل منظر الملكة وهي تودع اولادها . وغاية ما اتمناهُ ان تقي الآلهة هؤلاء الاطفال وتقي طفلك ايضاً

ووصلت الى القصر قبل عودة الملكة وكانت تحسب ان الملكة تعود كاسفة البال كما كانت تعود من كل الولائم التي حضرتها في تلك الاثناء لا سيما وان هذه الوليمة ابتدأت بالبكاء والنوح. وظلّت منتظرة الى الساعة الثانية بعد نصف الليل وعادت الملكة حينئذٍ ولما وقعت عين شارميان عليها ظنَّت انها في حلم لانها رأتها متهللة سروراً ولما رفعت التاج عن رأسها قالت لها الملكة "لماذا تركتِ الوليمة باكراً فانها قد تكون آخر ولائمنا ولا اتذكر اني رأيت وليمة ابهج منها فقد كانت مثل ربيع حياتي وابدى انطونيوس فيها من دلائل الشجاعة والمحبة ما يحرك قلب الجماد حتى صرنا نحسب الساعات دقائق وعادت الينا ايام الصبا ببهجتها فذهلنا عن انغام المغنين والحان العازفين واشكال الراقصين وطرنا على اجنحة الخيال الى عالم بهجة وحبور العالم الذي تقيم فيهِ نفوس الابرار في نعيم مقيم وعاد اليَّ الحلم الذي حلمتهُ في صباي وانقضت بهِ سعود ايامي ابتدأ امام بستان ابيكِ واستمرَّ الى نهر قدنس فرأيت نفسي في بارجة ذهبيَّة مكللة بالازهار وانا متكئة على اريكة من الارجوان والورود منثورة حولي وتحت قدميَّ وقد عبث النسيم بشراع السفينة وتغنى جواريَّ على نغم العود وعبقت الطيوب في الهواء فحمل النسيم ارجها الى الشاطىءِ مبشراً الاحياء بقدوم السعادة التي اختصَّ بها الالهة . فخضع انطونيوس لي جسداً وعقلاً وبسط الهناء علينا ظلهُ ورتعنا في نعيم الحياة ولم نعد نحسب للدهر حساباً . كان هو قد تسلَّط على المسكونة فتسلطت انا عليهِ وسرَّ بالخضوع لي لانهُ كان يشعر اني انا خاضعة لهُ ايضاً وطوع امرهِ . وتمَّ ذلك كلهُ من غير سحر ومن غير كاس . واين الكاس فقد اطعمتها

النيران وأرحت ضميري منها اما السحر فالسحر العقلي الذي انعمت بهِ الالهة عليَّ وجعلتني اتسلط بهِ على هذا الجبَّار

"ومن نهر قدنس جاء بي الى هنا الى الاسكندرية حيث قضينا ايام الصفا ومرَّت بنا اوقات الهناء تنعكس صورها البهية عن مرآت الدهر وامتزجت نفسانا امتزاج الراح بالماء . سقيًا لتلك الايام ما كان اجملها ولعصر الشباب ما احلاهُ. كانت الجماهير تصفق لنا طربًا وتحيينا باصوات البشر والهتاف ونحن نرتشف الملذات صافية المشارب خالية من الاكدار ورزقنا الاولاد لذة الحياة الدنيا اشتركنا فيها من غير تفاضل . هذه هي الصورة التي مرَّت بذهني حاكها لي الخيال من اطايب الذاكرة وصوَّرها امام عينيَّ صورة مجسمة وقال هذه هي حياتك الماضية

"والآن لو اتاني الموت غدًا يا شارميان ما كنتُ اقول لهُ بكَّرتَ وجئتَ قبل الميعاد قبل ان اجني كل ثمار الحياة الشهية كلاَّ ثم كلاَّ . ومن يستطيع ان يقول انهُ تمتع من الحياة باطايب تفوق ما كان يحلم بهِ في صباهُ فهو السعيد ولو وقف على حافة القبر . فاني تمنيت في صباي ان أكون اعظم امرأَة في عصري وانا اسمع الناس يقولون اني كذلك وتمنيت ان أُحِبَّ وأُحَبَّ فنلت ماتمنيت وصرت زوجة محبوبة واما محبة وملكة مكرَّمة وصافتني الايام واختارت لي اصدق الاصدقاء ارخيبوس وشارميان وايراس

"والآن لا ابالي مهما حدث بعد ذلك فقد رأَيت هذه الليلة اني قد شربت كاس الحياة دهاقًا ولم يبقَ الاَّ ان افعل ما يتجدد بهِ ذكري مدى الادهار كملكة عزيزة الجانب وامرأة محمودة الخصال . وهذا شرعت فيهِ ويكاد يتم فان جورجياس يبني لي الآن حصنًا حصينًا يقي كليوباطرة ربة التاج من الاسر والذل والتشهير

"حان وقت النوم فاذا استيقظت في الصباح ورأَيت الدائرة قد دارت على جنودي ولم يبقَ امامي الاَّ كاس الردى فلا تحق لي الشكوى من الدهر الاَّ انهُ حرمني الراحة التي تحلم بها الفتاة ولكنني سأنالها قريبًا فان ابواب الموت مفتوحة امامي وهو عالم الراحة والسكون على ما يقول المصريون وعين العقل لا ترى ما وراء الابديَّة"

قالت ذلك وسارت نحو غرف الاولاد واشارت الى شارميان لتتبعها ولما فتحت الباب ونظرت الى اسرَّتهم وهي فارغة منهم جمد الدم في عروقها واطرقت مفكرةً ذليلةً وزالت منها البهجة والمباهاة اللتين راجعت بهما تاريخها الماضي كما يزول تورُّد السماء الذي يتجلى بهِ الافق وقت مغيب الشمس اذا حلك الظلام فجلست والقت رأسها على سرير التوأمين واخذها البكاء . وكان الصباح قد لاح فجعلت شارميان تتوسَّل اليها لتدخل غرفتها وتنام فقامت وكفكفت

دموعها وقالت " كنت الساعة افكر في حياتي الماضية واتصورها بستاناً شهي الثمار فاذا هو مشحون بالافاعي وقد نشرت اوداجها ونضضت السنتها فمن نزع الازهار التي كانت مختفية تحتها . لا بدَّ من قوَّة خفيَّة فعلت ذلك قوة تسود في غرف الاولاد اكثر مما تسود في غيرها وهي قوة الضمير . ههنا في مقام الطهارة تظهر كل لطخة سوداء مهما كانت صغيرة . اواه لو كان الاولاد ههنا الآن ولكن كلاً خير لي انهم ليسوا هنا . لا بدَّ من الصبر في هذا الموقف الحرج ولو كانوا هنا لكان النظر في وجوههم يذهب بشجاعتي . طلع النهار فالبسيني ثياب النهار فانهُ يستحيل عليَّ ان انام وهذا الاضطراب في قلبي "

وحينما كانت شارميان تلبسها ثيابها سمعت من المرفإ لغطاً شديداً ومعهُ اصوات الابواق تدعو البوارج للاقلاع والجنود للسير وتردد الآكام صداها . وللحال خرجت البوارج تتهادى كالاعلام فقالت في نفسها كم من مرة حدث ما لا اتوقع حدوثهُ . مَن كان يظن ان اكتافيانوس يتغلب علينا في اكتيوم وما ادرانا ان السعد لا يتحول منهُ الينا والدهر في الناس قُلَّب . ما ادرانا ان انطونيوس لا يعود الى سابق عهده فيظهر البسالة والحنكة اللتين امتاز بهما في شبيبته

وكانت قد ابت مقابلتهُ قبل الخروج للحرب لئلاَّ تتحوَّل افكارهُ اليها فاطلَّت الآن من الشباك ورأتهُ منتصباً في صهوة جواده كاله الحرب وقد لبس درعاً من الذهب الوهاج وسار في مقدمة الفرسان وهو يلتفت يمنةً ويسرةً ويحيي جنودهُ باسماً فكادت تنقاد الى عواطفها وتناديه وتحييه ولكنها عادت وملكت طبعها . ثم لما غاب عن عينيها اطرقت كاسفة البال لانها رأت تحيَّة الجنود لهُ فاترة لا كما كانت في السنين الغابرة فتشاءمت من ذلك واوجست شرًّا

وشاهد ديون وجورجياس ذهاب الجنود ورأيا ما رأتهُ الملكة وهو ان الجنود لم تهتف لانطونيوس كما كانت تهتف لهُ في الحروب السالفة فاوجسا ايضاً وكان ديون قد التقى بجورجياس في مجتمع الفتيان فقال لهم جورجياس عنهُ انهُ طيف ديون المتوفى فان سألتموهُ اين كنت او الى اين انت ذاهب اختفى من امام عيونكم فلم يدهشهم ذلك لان الاعتقاد بحضور الارواح كان راسخاً في النفوس ورحَّبوا به لانهُ كان رئيساً لهم . وكانت الملكة قد امرت الفتيان ان لا يتقلدوا السلاح لان اكتافيانوس لا يعفو عن احد تقلَّد سلاحاً اذا لم يكن من الجند المنظَّم . وكان هؤلاء الفتيان من نخبة عيال المدينة فلم تشأ ان تفجع والديهم بهم لاسيما وانها كانت تعرف كثيرين منهم

وسار جورجياس بديون الى المكان الذي كان يبني فيه المدفن للملكة وكان قد اتم الطبقة الاولى التي يوضع الناووس فيها بناها بحجارة كبيرة من الغرانيت الرمادي . وجدرانها مائلة من

خارجها الى الداخل كما هي في كل الهيا كل المصرية وفوق الباب صورة قرص الشمس المجنحة وعلى جانبيهِ محرابان في احدهما تمثال انطونيوس وفي الآخر تمثال كليوباطرة وهما من النحاس الاسمر وفوق الافريز تماثيل المحبة والموت والشهرة والسكوت

وغلقا الباب كبيران جداً مصفحان بالنحاس المنقوش نقشاً نائتاً بديعاً وهما متينان لا تفتحهما المجانق اذا أُقفلا . وعلى جانبي السلم المؤدي الى الباب تماثيل حيوانات رابضة برؤُوس بشرية من الحجر الاعبل وكل ما في المدفن كبير فخيم يمثل مهابة الموت ودوام الخلود

ولم تكن الطبقة الثانية من هذا البناء قد تمت وكان البناؤُون مسرعين في تغطية جدرانها بحجارة المرمر الاسود وهناك آلة كبيرة لرفع الاثقال والعمال يرفعون بها قطعة عظيمة من المرمر نقشت فيها صورة الزهرة الظافرة والخوذة على رأسها والرمح في يمينها والترس في يسارها وهي سائرة امام جمهور من آلهة الحب وقد راشوا نبالهم وهجموا بها على سربروس اله الموت واثخنوهُ جراحاً

ولم يسمح الوقت لديون ليرى داخل المدفن لان بروس كان واقفاً في انتظارهِ ليعود بهِ الى الجزيرة عند الفجر وكان النور قد لاح في المشرق . ولم يكد ديون وجورجياس يصلان الى المرفإِ حيث قارب بروس حتى كان نور الفجر قد انعكس عن القبة الذهبيَّة التي فوق السرابيوم

وافترق الصديقان واسرع ديون لينزل الى قارب بروس وهو يلوم نفسهُ لانهُ تأخر في المدينة فوجد انهُ ليس في الطاقة اخراج القارب من بين القوارب المحيطة بهِ لانها جمعت كلها في مكان واحد حتى لا تقف في طريق البوارج والزوارق الحربية

ولم تكن بارين قد علمت بذهاب زوجها الى المدينة فلما نهضت في الصباح ولم تجدهُ قلقت قلقاً شديداً لاسيما وانها رأَت السفن الحربية خارجة من المرفإِ مثني سفينة والمجاذيف تضرب صفحة الماء في جوانبها فعلمت انهُ يستحيل عليهِ ان يعود بينها ولا يكشف امرهُ فلم تعد تستطيع القيام في البيت بل قامت لتنزل الى الشاطىء وحاول النساء صرفها عن عزمها لانها لم تنزل الى الشاطىء قبلاً ولم تكن تخرج من البيت الاَّ لتقف في ظل ستارة متصلة بهِ حيث لا تُرَى عن بُعْد خوفاً من عيون الرقباء . اما الآن فان آمالها كلها كانت معلقة بزوجها وابنها فلم تعد تبالي بالمخاطر لاجلهما ونزلت الى الشاطىء متكئة على ذراع اختها ونظرت يمنةً ويسرةً فلم ترَ غير البوارج الحربيَّة تملأُ عرض البحر وتسير عليهِ كالتنانين الكبيرة ذوات الارجل الكثيرة وحول كل بارجة منها زوارق صغيرة مشحونة بالمقاتلة وفي السفن قرون حادَّة الرؤُوس من المعدن الصقيل لتنطح بها سفن الاعداء وتخرقها وانعكست اشعة الشمس عن تلك القرون اللامعة وعن

التماثيل المذهبة التي في مقادم البوارج وعن اسلحة المقاتلة التي فيها والجنود المصطفة للقتال على التلال حول المدينة بما يبهر الابصار

وزادت جلبة الجنود برًّا وبحرًا وعلت الصيحات تمازجها اصوات المبوقين . وخارت قوى بارين فجلست على كرسي أُتي بهِ اليها وضعتهُ لها هيلانة في ظل صخر شاهق . ولما خرجت السفن من مضيق المرفإ الى عرض البحر انقسمت وسارت في صفوف متباعدة وكأنها كانت تحث الركاب الى نزال الاعداء اما بوارج اكتافيانوس فظلت واقفة في مكانها ولم تبدِ حراكًا كأَنها قنعت بالدفاع . ولم تتقدَّم سفن المصر يين الاَّ قليلاً حتى علت صرخة عظيمة كأَنها صراخ جبار متألم وللحال رفع العبيد والمجرمون مجاذيفهم من الماء دفعةً واحدةً فوقفت البوارج والزوارق في اماكنها كالاصنام مهارة فائقة في صناعة سلك البحر ولكنها اعربت عن خيانة لم يروِ التاريخ افظع منها فصرخت امرأة بروس وكنتاها خيانة خيانة خانت البوارج وقضي الامر

اسطول مصر الذي انشأتهُ كليوباطرة لانطونيوس ليدفع بهِ الاعداء عنها خان كلهُ وسلَّم للعدو في لحظة واحدة خان عهدانطونيوس بعد ان حالف لهُ يمين الطاعة والامانة وانضم الى اسطول العدو. وبلغ انطونيوس ذلك فايقن بالهلاك. وعاد الاسطولان الى المرفإ معًا والقيا المراسي امام المدينة

ولما رأَت بارين ذلك اطرقت كاسفة البال عالمة انهُ زال مجد المكدونيين ودالت دولة البطالسة وكأَن الشمس اخفت وجهها حياءً ممَّا فعلهُ اولئك الخونة لأَن ضبابًا كثيفًا حجب وجهها. وارغى البحر وازبد واخذ الغيظ منهُ كل مأخذ حتى ظهر كأَن الطبيعة كلها سخطت على ما فعلهُ بنو الانسان

ولم يشغل هذا المنظر الرهيب بارين عن زوجها بل زاد بهِ بلبالها ودعت ابن بروس الاصغر وطلبت منهُ ان يأخذها بقارب بهِ الى المدينة وبينما هي تكلمهُ رأَت ديوني اختهُ قاربًا آتيًا نحو الجزيرة ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى وثب ديون على الشاطئ وضمَّ زوجتهُ الى صدرهِ وهي تقابلهُ باللوم والتعنيف . وكان قد سمع بخيانة الاسطول فلم تزل بهجة التقائهما ما كانا يجدانهِ من الانقباض والخوف على الملكة والمملكة

ومرَّ النهار وخيَّم الليل وعلا نباح الكلاب وصياح الناس واختفت نجوم السماء غيظًا لكن انوار المدينة بقيت تتلألأ على جاري عادتها . وخرج ديون الى الشاطئ فرأَى بروس وابنهُ الاصغر يحاولان انقاذ زورق من الارتطام واذا بجورجياس في القارب فحياهُ ديون وساعدهُ على الصعود ووضع يدهُ في يدهِ ليسير بهِ الى البيت فقال لهُ ديون تمهَّل حتى اقص عليك ما جرى قبلما تدخل البيت (ستأتي البقية)

والمحاكاة فيهِ للطبيعة تامة ايضاً حتى ملامح الوجه لا تفرق عما يرى عادة في النساء . ومنها تماثيل اولاد واقفين او ماشين او جالسين وكلها طبيعية لا تقليد فيها ولا متابعة لشكل مخصوص . وتمثال دب رابض واسود مقعية وكلب كبير وهي تدلُّ على ان الناقشين كانوا في ذلك العصر يدرسون الاشكال الطبيعية ويدققون النظر في اوضاعها وحركاتها وسكناتها ويحاولون مضاهاة الطبيعة كما هي. فعلينا ان نعترف بان صناعة النقش نشأَت منذ اكثر من سبعة آلاف سنة وبلغت حدها من الاتقان حينئذٍ ثم تجدَّدت خمس نوبات بعد ذلك ولكنها قلما فاقت الحد الذي بلغتهُ اولاً

"ولم يكتفِ اولئك الصناع بمحاكاة الاشكال الطبيعية بل صنعوا من الآنية والمواعين ما هو في حد الاتقان ايضاً فصنعوا الكؤُوس والقوارير من اصلد الصخور من الحجر الاعبل والحجر السينائي والبرفير والباور والسبج . ووجدت الآنية التي صنعوها في قبور ملوكهم وهي تدلُّ على مهارتهم وعلى طموح ابصارهم الى ما يعجز الصنَّاع عنهُ ممَّا لم يفقهم فيهِ الذين جاؤُوا بعدهم

"ومهروا ايضاً في صناعة الخزف ودهنهِ بمادة زجاجية وترصيعهِ كما يظهر من كاس الملك مينا التي وُجدت هناك فان عليها اسمهُ بدهان ارجواني وهو اقدم اسم من اسماء الملوك وُجد حتى الآن . ولا بدَّ من ان يكون الملك مينا قد مسك هذه الكاس بيدهِ ورأَى اسمهُ مكتوباً عليها واهداها الى الهيكل الاول الذي اقيم في تلك العاصمة . فقد صُنعت هذه الكاس قبلما حدث شيءٌ من كل حوادث التاريخ التي نعلمها. قبلما بنيت الاهرام وولد تحتمس ورعمسيس وقبلما ظهر اليونان والرومان

"وكان المصريون الاقدمون يصنعون الزجاج الملوَّن ويزخرفون بهِ جدرانهم ويدهنون بهِ الاجر ويجعلون في اجرّهم حفراً تمرُّ فيها اسلاك من النحاس تربطها بعضها ببعض لتوثيقها في البنيان . وعلى وجه الاجر اضلاع تمثل سوق البردي ورؤُوسهُ حتى اذا بنيت بعضها فوق بعض ظهر نبات البردي منقوشاً عليها . والاجر ليس من قدر واحد ولا من شكل واحد بعضهُ مضلَّع كما تقدم وبعضهُ محزَّز وبعضهُ في شكل الحصر وعلى بعضهِ كتابات مرصَّعة فيهِ ترصيعاً

"والكؤُوس في شكل النيلوفر وهي تدلُّ على ان اقتباس شكل النيلوفر لتيجان الاعمدة قديم جداً . ولون دهانها اخضر تتخللهُ نقط ارجوانية وهو كذلك في كاس الملك مينا ولعلها كلها من معمل واحد . وهناك اشياء كثيرة مصنوعة من الخزف المدهون كتماثيل الرجال والنساء والاولاد والاسرى والعبيد والقرود والطيور وذوات الاربع واشكال الهياكل وانواع الخرز وما اشبه كأَن صانعي الخزف كانوا يطمعون في تمثيل كل الاشياء الطبيعية والصناعية فيصنعونها من طين ممزوج بالرمل ثم يدهنونها بدهان زجاجي

"وقد وجدتُ قرميدة عليها صورة امير من امراء الزنوج واسمهُ واسم بلادهِ وهي حصن الانو . ومعلوم ان اسم الانو وارد مرارًا كثيرة في الآثار المصرية لان الحرب كانت مستمرَّة بينهم وبين المصريين القدماء وبقي المصريون يعيّدون في مثل اليوم الذي تغلبوا فيهِ عليهم الى آخر عهدهم . فثبت من هذه القرميدة ان الانو من الزنوج سكان السودان وان مسأَلة السودان قديمة تمتد الى عهد المصريين الاولين

"ووجدنا في غرفة اخرى كثيرًا من التماثيل الساذجة ويظهر انها قديمة جدًّا اقدم من التماثيل المشار اليها آنفًا واقدم من عصر مينا ولعلها وُضعت هناك لانها لم تعد تصلح للبقاء في الهيكل بعد ان ارتقت الصناعة فهي اقدم من عصر التاريخ وبينها تماثيل السعادين ومنها ما هو حجارة طبيعية وجدت تماثل نوعًا من الحيوان فاتخذت عوذة وحُفظت كما هي او أُصلحت قليلاً حتى يتم شبهها بالحيوان الذي تشبههُ . وبعضها من الصوان وهو كبير ارتفاعهُ قدمان او ثلاث وكانهُ وُجد في الصحراء مماثلاً في شكلهِ لبعض انواع الحيوان فاتي بهِ الى الهيكل رهبةً منهُ او تيمنًا بهِ . والعقل الذي كان يتفاءل بصور الموجودات ويتشاءم بها لا يزال الى يومنا هذا يتفاءل ويتشاءم حتى في ارقى مجامع الحضارة

"والظاهر ان الناس اتصلوا الى صناعة النقش والتصوير من اهتمامهم باصلاح هذه الاشكال الطبيعية واني لاحسد اول انسان قال بعمل التماثيل من اي حجر كان بدلاً من الاقتصار على الحجارة التي توجد مماثلة لها فانهُ اول من كسر قيد التقليد ووسع المجال للعقل واقنعهُ بانهُ ليس عبدًا للطبيعة بل سيد عليها . وليس هذه باول مبادئ الصناعة لان الانسان وجد في مصر قبل التاريخ بعصور كثيرة

"ووجدنا في تلك الغرفة رأس جمل مصنوعًا من الخزف . ولم يوجد رسم للجمل في القطر المصري قبل عهد اليونان مع انهُ كان معروفًا في بلاد الشام من عهد ابرهيم الخليل . ويستدل من هذا الرأس على ان الجمل كان معروفًا في مصر ايضًا على عهد الدولة الاولى من الدول المصرية . ومما يجري هذا المجرى اننا وجدنا قطعةً من الحديد بين قطع من النحاس من عهد الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف واربع مئة سنة . وكان المظنون ان الحديد حديث الاستعمال لانهُ لم يوجد في ما هو اقدم من الف سنة قبل المسيح من الآثار المصرية ولا كثر استعمالهُ الاَّ في عهد اليونان اما الآن فثبت لنا ان المصريين عرفوا الحديد قبل ذلك بثلاثة آلاف سنة

"ولا تقتصر هذه الآثار على تاريخ مصر القديم بل تتناول تاريخ اوربا ايضًا فقد وجدتُ

منذ مدة قطعاً من الخزف اليوناني القديم في مدافن ملوك الدولة الاولى من الدول المصرية . والآن وجدت في هذا المكان خزفاً اسود ليس من الخزف المصري في شكلهِ بل من الخزف اليوناني . اخذت قطعةً منهُ الى جزيرة كريت فوجدت بين القطع التي اكتشفها الدكتور ايڤانس في خرائب قصر كنوسوس قطعاً تشبهها تماماً شكلاً ولوناً ومادةً وصقالاً . والخزف الذي وجد في كريت يمتد تاريخهُ الى العصر الظراني الحديث الذي كان قبل المسيح باربعة آلاف سنة او اكثر فهو ينطبق على تاريخ المدافن المصرية التي وجد فيها هذا الخزف . فمبدأ العمران الاوربي متصل بمصر حين كان عمرانها في اوج مجدهِ

"ثم عثرنا على اسمٍ خالدٍ في التاريخ اسم الملك خوفو من الدولة الرابعة الذي بنى الهرم الاكبر من اهرام الجيزة وفعل ما غاظ كهنة بلادهِ فابغضوهُ وقالوا انهُ اقفل كل الهياكل ومنع المصريين من تقديم القرابين وامرهم ان ينقطعوا للعمل لهُ . ونقل هيرودوتس عن الكاهن مينثو ان هذا الملك كان مزدرًى في عيني الآلهة . ثم قال بعد ذلك انهُ نسخ الكتاب المقدَّس الذي كان المصريون يحترمونهُ كثيرًا . ويفهم من ذلك ان الرجل كان صالحاً ورعاً لكنهُ استصفى اموال الاوقاف فقام الكهنة عليهِ وكفَّروهُ

"وقد اكتشفنا تمثال هذا الملك في خرائب هيكل ابيدوس . نقد طُرِح في مخزن من مخازنهِ كثير من النذور والتماثيل القديمة طُرحت في عهد الدولة السادسة على ما يرجَّح فوجد الفعلة بينها تمثالاً صغيرًا جدًّا كالاصبع وكسروا رأْسهُ وهم ينقبون واتوني ببدنهِ من غير رأس فنظفتهُ من التراب ووجدت عليهِ اسم خوفو ومن ثم استسهلت كل صعب في سبيل الوصول الى رأسهِ المفقود . فسأَلت العمَّال واحداً واحداً عن المكان الذي وضعوا فيهِ التراب وحدَّدت الاماكن التي يجب ان نحصر بحثنا فيها واخذت اغربل التراب غربلة حتى لا تفوتني قطعة كراس الاصبع . وجرينا على هذا المنوال يوماً بعد يوم حتى مرَّ الاسبوع الاول والثاني والثالث . وفي آخر الاسبوع الثالث وجدنا وجههُ تاماً لا ينقصهُ شيء وفي اليوم التالي وجدنا قفا رأْسهِ فتم الرأْس وتمَّ التمثال كلهُ تمثال خوفو باني الهرم الاكبر اعظم ملك قام في المسكونة

"والناظر الى هذا التمثال لا يسعهُ الآن يستدل منهُ على اخلاق صاحبهِ فيرى فيهِ دلائل السيادة والحزم والنظر في العواقب مما لم يفقهُ فيهِ احد من ملوك مصر ولا من ملوك اليونان والرومان . ولا شبهة في ان ملكاً أُعطي هذه المقدرة وهذه العزيمة يستبدُّ بامرهِ ويفعل ما لا يرضي كثيرين ولكن نظرة واحدة الى وجههِ تنفي عنهُ كل فعل دنيء فلم يستعمل استبدادهُ الاَّ في ما يصلح شؤون بلادهِ ولذلك احلَّهُ المصريون كلهم المحل الاول بين ملوكهم ولا يزال اسمهُ

منقوشاً على هيا كلهم وفي مقالع المرمر وعلى صخور جبل سينا . ومقامهُ الاسمى في الهرم الاكبر الذي بناه ُ وابقى فيهِ ادق الاعمال التي عملها البشر في كل زمان ومكان

" لقد ارتاب البعض في ما قيل من ان خوفو اقفل الهيا كل وابطل الذبائح ولكن خرائب هيكل ابيدوس ايَّدت ذلك فقد وجدنا فيها انقاض هيكل من عهد الدولة الاولى وفوقها انقاض هيكل آخر من عهد الدولة الثانية والثالثة وليس فوقها انقاض هيكل من عهد الدولة الرابعة وغاية ما وجدناه ُ من عهدها موقد عليهِ رماد مواد نباتية وكثير من التقدمات المصنوعة من الخزف لا عظم بينها وهذا دليل قاطع على ان خوفو ابطل الذبائح الدموية وابدلها بقرابين من الخزف لا قيمة لها لحفظ ثروة البلاد من التلف وبعد ايامهِ عاد الاسراف فبنيت الهيا كل وقرّبت الذبائح وتوالى ذلك وتزايد الى آخر ايام المصريين . فثبت ماقاله ُ هيرودوتس ابو التاريخ عن هذا الملك العظيم

" احتفرت ُ آباراً كثيرة في تلك الانقاض الى ان عرفت ُ تاريخها كلهُ من اولهِ الى آخرهِ لا من الحجارة المكتتبة لانها قليلة بل من شقف الخزف التي يحاها علماء التاريخ الآن اعظم محل ولو داسها لصوص الآثار ولم يعبأُوا بها . وقد قرأت ُ فيها تاريخ اربعة آلاف عام في ما لا يزيد سمكه ُ على عشرين قدماً من الانقاض "

برج ايفل وخزان اصوان

تكاد شهرة برج ايفل تفوق شهرة برج بابل ومع ذلك يفكّر الفرنسويون في نزعهِ وبيع الارض القائم فيها لبناء البيوت ومد الشوارع . وهذا الفكر لا يخطر الاَّ على بال الفرنسويين الذين يتوخَّون المغالاة في كل شيءٍ فاذا ارادوا المجد والابهة بذلوا في سبيلها النفس والنفيس واذا ارادوا النفع المحض سبكوا التماثيل قدوراً وصكُّوا النياشين نقوداً . فهم في مقدَّمة الملكيين في عهد الملكية وفي مقدمة الجمهوريين في عهد الجمهورية

وقد استشارت حكومة باريس لجنة من كبار المهندسين في امر الرحاب الفسيحة المساة شان ده مارس التي فيها برج ايفل وهي التي اقيم فيها اكثر المعرض الاخير والمعرض الذي قبله ُ فاشارت بتقسيمها وبيعها لبناء المنازل وقضت بنزع برج ايفل منها كما نُزع قصر الصنائع حين انشاء المعرض الاخير لكي يسهل على المارين في الشارع الكبير شارع الاليزه ان يروا واجهة الانفاليد . والغرض من ذلك ماليٌّ ويقال انهُ لا يخلو من محبَّة الجمال لان البعض يحسبون برج ايفل من الشوائب التي تشوّه منظر اجمل مدينة في الدنيا . والناس اذواق

ومشارب فما يروق بعضهم لا يروق غيرهم وهؤلاء كانوا يعترضون عليهِ من اول انشائهِ وحاولوا مراراً ان يحملوا حكومة باريس على منع اقامتهِ او تقويض اركانهِ مدَّعين ان منظرهُ قبيح يشوه وجه المدينة . وقد قال احد الكتَّاب انهُ لو سهل نقل هذا البرج الى بلاد الانكليز لنقلهُ الانكليز الى عاصمتهم حيث يبقى منفيًّا ابد الدهر ولكن تفكيك سبعة عشر الف طن من الحديد ونقلها من باريس الى لندن يقتضي من النفقات ما يكفي لمشتراها في لندن فبناء برج جديد فيها ايسر من نقل برج ايفل اليها

ولما شاع عزم حكومة باريس على نزع برج ايفل كان مجمع ترقية العلوم الفرنسوي ملتئماً فاجتمع فرع الطبيعيات وفرع الاحداث الجوية وقرَّر اعضاؤُها باتفاق الاصوات ان يطلبوا من اعضاء المجمع كلهِ الاعتراض على نزعهِ فاجابهم اعضاء المجمع الى ذلك باتفاق الاصوات وارسلوا نسخاً من قرارهم الى محافظ باريس والى كثير من الجمعيات العلمية . فاخذت هذه الجمعيات تبحث عن الفوائد العلمية التي يمكن ان تنال منهُ ومن شان ده مارس اذا بقي خالياً من المباني . والمظنون ان اكادمية العلوم تحذو حذوها لاسيما وان اثنين من اشهر اعضائها وهما المسيو جنسن والمسيو ماسكار دافعا عن هذا البرج لما اريد نقضهُ قبل اتمامهِ

هذا وقد ابنَّا مراراً ان علماء الطبيعة ولاسيما علماء الاحداث الجوية استخدموا برج ايفل لرصد حرارة الهواء وتغيرها بالارتفاع عن سطح الارض ولرصد ضغط الهواء واكتشاف ما فيهِ من الهباء وما اشبه من الارصاد المتيورولوجية . وفي النية استخدامهُ لتلغراف مركوني بدل الابراج التي تقام لذلك فتصل اليهِ الامواج الكهربائية من اماكن شاسعة هذا فضلاً عن فائدتهِ كمرقب في ايام الحرب واوقات الحصار لأن الواقف على رأسهِ يرى بلاداً واسعة حولهُ الى امد بعيد جدا

وسنرى ما يكون من هذه الحرب بين العلماء والمهندسين كما رأينا ما دار بينهم من الخلاف على هدم مباني انس الوجود وقت اقامة الخزان فان غلب علماء الطبيعة في باريس كما غلب علماء الآثار في اصوان بقي برج ايفل الى ان يتقوَّض من نفسهِ ببلاء حديدهِ كما بقيت مباني انس الوجود الى ان تتقوض اسسها بتعاقب الماء والجفاف عليها رغماً عمَّا بني تحتها لتقويتها . اما برج ايفل فبقاؤُهُ لا يضرُّ احداً ولا تخسر بهِ الاَّ خزانة الحكومة وخسارتها لا تزيد على ثمن ارضهِ واما هيا كل انس الوجود فبقاؤُها اوجب خفض سد الخزان وتقليل ما يخزن بهِ من الماء حتى بقي منهُ نصف ما كان يمكن ان يخزن بهِ لو أُعلي حسبما قدّر لهُ اولاً وحرّم مليون فدان من الارض كان يمكن ان تحيا وتُروَى لو تم بناؤُهُ حسب التصميم الاول ويعيش من ريعها مليونا نفس من السكان . ولعلها اول مرة وقف العلم فيها في سبيل النفع العام

بغال الحيوان

البغل حيوان معروف متولد بين الحمار والفرس ويقرب منهُ النغل وهو حيوان متولد بين الفرس والحمار اي ان اباهُ حصان وامهُ اتان وهو قليل

والظاهر ان العرب كانوا يزعمون حصول التوالُد بين انواع اخرى من الحيوان كما تدلُّ عليهِ لغتهم فقالوا ان السِّمع ولدُ الذئب من الضبع وانهُ شديد السَّمْع يضرب بهِ المثل في ذلك فيقال هو اسمع من سِمْع ومنهُ قول الشاعر

تراهُ حديد الطرف ابلج واضحاً   اغرَّ طويل الباع اسمعَ من سِمْعِ

والعسبار ولد الضبع من الذئب . والسبهر ولد الذئب من الضبع . ولا يعلم في التحقيق هل وُضعت هذه الاسماءُ لحيوانات متولدة بين نوعين مختلفين من الحيوان او لحيوانات نوعها مجهول . لكن علماءَ هذا العصر ولَّدوا حيوانات مثلها فولَّد الاستاذ اورت حيواناً بين الفرس وحمار الوحش المخطط المعروف والزبرا سماهُ الزبرول وغرضهُ من توليدهِ ان يقوم مقام البغل في نقل ادوات الحرب لانهُ اسهل منهُ انقياداً واكثر انتباهاً ولا يشمس مثل البغل ولا يبطئ في سيرهِ مثلهُ . ويُظنُّ الآن ان بغال المستقبل ستكون كلها متولدة من الخيل وحمار الوحوش وهي اكبر من البغال العادية ويبقى فيها شيءٌ من خطوط ابيها . ومن غريب امرها انها اليفة جداً اشد الفةً من مهار الخيل واسهل تذليلاً من البغال حتى انها تذلَّل (تطبَّع) من غير مذلل

وولَّد بعضهم حيواناً بين الاسد والفهد وقد رأَينا صورتهُ فاذا هو كبير الراس كالاسد مخطط البدن كالفهد ولما كان عمرهُ ثلاث سنوات كان طولهُ من انفهِ الى رأْس ذنبهِ عشر اقدام وارتفاعهُ الى كتفيهِ اربع اقدام وابوهُ اسد من السنغال وامهُ فهدة من بنغالا فاخذ راسهُ من ابيهِ وبدنهُ من امهِ ويقدَّر ثمنهُ بالفي جنيه لا لفائدة تنال منهُ كما تنال الزبرول المتولد بين الفرس وحمار الوحش المخطط بل لعرضهِ في المعارض العمومية وجمع المال من مشاهديهِ

ويهتم علماءُ الحيوان الآن بتوليد بعد حيوانات جديدة بين الحيوانات الاهلية والبرية كما بين الغنم الاهلي والغنم البري او بين ما يوجد منها في بلاد وما يوجد في بلاد أُخرى كما بين ديك الغاب الاوربي وديك الغاب الاسيوي وبين الغزال الاوربي والغزال الفارسي والغرض من ذلك كلهِ تقوية ما ضعف في الحيوانات الاهلية بمرور الزمن وذلك بادخال دم جديد فيها

محاربة السرطان

داء السرطان من الادواء التي اعيا الاطباء كشف سببها ووصف علاج يشفي منها. وقد قرأنا في مجلة لندن الانكليزية مقالةً فيهِ لاحد كبار الجراحين فلخصناها بما يأْتي

ان داء السرطان من اعسر ما اشكل على الاطباء والجراحين منذ القديم الى هذا اليوم مع انهم لم يأْلوا جهدًا في سبيل البحث للوصول الى الدواء الشافي. على ان قصورهم عن التوصُّل الى ذلك الدواء لا يجب ان يبعث فينا القنوط واليأْس لان العالم كلهُ ينتظر اليوم بفروغ صبر وبفؤَاد ملؤُهُ الآمال حلَّ هذه المشكلة الغامضة

والعقدة في كل ذلك راجعة الى جهل اسباب العلة فمتى عرف الاطباء تلك الاسباب تمام المعرفة لم يبقَ في سبيلهم ما يعوقهم عن معرفة الدواء. ولقد ادَّعى بعضهم ان الملح اعظم تلك الاسباب وبرهن على ذلك بقولهِ ان السرطان غير معروف بين القبائل المتوحشة التي قلما تأْكل الملح. وان اكثر الحيوانات الاليفة التي تأْكلهُ تكون هدفًا لسهامهِ بخلاف الخنازير التي لا تأْكلهُ فلا تصاب بالسرطان. ويقال ايضًا ان هذا الداء يندر وجودهُ في السجون وفي المعامل حيث يقل اكل اللحم ويكثر حيث يكثر الناس من اكل اللحم المملح ولكن جميع هذه الادلة واهنة غير مقنعة وكل ما يمكننا ان نقولهُ عن اسباب السرطان هو اننا لا نعلمها حتى الآن

وانفع علاج معروف الآن لهذا الداء سكين الجراح. ولكن الجراح والمريض كليهما يعلمان حق العلم ان الجسم عرضة لعودة العلة في المستقبل. فلا يكاد عضو يتخلص منها حتى تظهر في عضو آخر. وهي تفتك بالبشر فتكًا ذريعًا فقد كانت الوفيات خمسة بالمئة من الذين يصابون بها فبلغت الآن عشرة في المئة ومات بها سنة ١٩٠١ في مدينة لندن وحدها ٤٢٥١ شخصًا وفي ذلك زيادة عن كل السنين التي سبقت مما يدل على ان انتشار العلة آخذ في الازدياد. ولكن الاطباء مختلفون في امر تلك الزيادة مع ان الاحصاءات تدل على ان الوفيات بالسرطان اليوم هي ضعف ما كانت عليهِ منذ نصف قرن ويقول جمهورهم ان ذلك لا يدل على ازدياد العلة بل يرجح ان الزيادة ناتجة عن تقدم الطب تقدمًا جعل التشخيص الطبي ادق مما كان في القديم حينما كان كثيرٌ من الوفيات بالسرطان ينسب الى غيرهِ من العلل

اما السرطان فهو خراج من نوع الخراجات الخبيثة. واهم خواصهِ النمو المستمر اي انهُ متى ظهر فلا بد من نموهِ نموًا لا يتوقف عند حد بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي اذا بلغت

حدًّا معلومًا من النمو توقفت . ومن خواصهِ ايضًا انهُ يمتد الى كل الجهات المجاورة ولا شيءَ يصدهُ او يحصرهُ. فالسرطان في الشفة مثلاً يمتد الى ما يجاورها كاللثة وغيرها بخلاف الخراجات البسيطة او غير الخبيثة فان لها جدارًا يحصرها في مكان واحد.

ومن خواصهِ ايضًا انهُ اذا استؤصل فمن المرجح انهُ يعود ثانية في المستقبل. وانهُ اذا ظهر في مكان من البدن ظهرت خراجات اخرى من نوعهِ في اماكن اخرى وتسمى هذه الخراجات ثانوية . فالسرطان في الثدي كثيرًا ما يسبب سرطانًا في الرئة او الكبد او في غيرها مما لا يظهر بينهُ وبين المكان الاول ادنى علاقة. ثم ان السرطان يتقرَّح ويصير في درجاتهِ الاخيرة مؤلمًا جدًّا في الغالب . وقد يسبب تسممًا في الدم وفقدانًا في قابلية الطعام الى ان ينتهي الاجل بخلاف الخراجات غير الخبيثة التي لا تتقرح الاَّ في النادر ولا تكون مميتة الاَّ اذا ظهرت في عضوٍ من الاعضاء الرئيسية اي اللازمة للحياة

قلنا آنفًا ان اسباب هذه العلة مجهولة او لا تزال في معرض الظن واقرب هذه الظنون الى الاحتمال ما يأتي

الاول ان العلة مسببة عن حيّ من الاحياء الصغيرة التي تدخل الجسم وتنمو فيهِ . وبناء على هذا الرأي قام جمهور من الباحثين واجتهدوا في اكتشاف هذا الحي وذهب بعضهم الى انهم عثروا عليهِ ولكن ظهر بعد البحث المدقق ما ابطل دعواهم . على ان ذلك لم يثبط عزيمة غيرهم من الذين لا يزالون حتى هذا اليوم يوالون البحث والتنقيب

والرأي الثاني هو ان السرطان مسبب عن فساد في حيوية الخلايا ناتج عن تهيج محلي

والرأي الثالث هو ان هذه العلة ناتجة عن مواد تؤكل مع الطعام تؤَثر في بعض الخلايا تأثيرًا رديئًا فتسبب السرطان . ويقول آخرون ان اجهاد المجموع العصبي يعدُّ الجسم للسرطان ولذلك كثر عدد المصابين بهِ في هذا العصر لكثرة اجهاد القوى العصبيَّة

اما سبب عودة السرطان بعد استئصالهِ فيظن انهُ راجع الى عدم وجود كيس لهُ او حدّ يصدُّ امتدادهُ في الجسم وان خلاياهُ او مفرزاتهِ تخترق انسجة الجسم الصحيحة وتؤَثر فيها. فاذا استؤصل القسم الظاهر من الخراج بقي قسم آخر غير ظاهر . يؤَيد ذلك انهُ اذا اتسعت عملية القطع حتى شملت جانبًا كبيرًا مما حول السرطان ترجَّح الشفاء منهُ . ثم ان الخراجات الثانوية اي التي تنمو بعد استئصال الخراج الاول مسببة على ما يظهر عن مرور بعض المواد الحاملة جراثيم العلة في الاوعية الليمفاويَّة او الدموية . ومما يستحق الملاحظة ان تركيب الخراجات الثانويَّة يماثل تركيب الخراجات الاولية كل المماثلة

لما كانت معرفتنا بالدواء هي على قدر معرفتنا بالداء فاحسن ما يمكننا ان نصفهُ لهذه العلة هو استئصالها بعملية جراحية مع انها قلما تنجح. وقد ذكرنا سبب عدم نجاحها وهو انهُ قد يبقى شيءٌ من الانسجة فيهِ جراثيم العلة او قد تكون جراثيم العلة سرت في البدن الى اماكن اخرى. مثال ذلك اننا نجد السرطان في ثدي امرأة فنستأصلهُ كلهُ فتشفى منهُ حسب الظاهر وتبقى سليمة سنتين او اكثر الى خمس عشرة سنة ثم يظهر السرطان في كبدها او رئتيها او دماغها وهذا السرطان مثل الاول تماماً لان هذه الاعضاء كانت مصابة بهِ وقتما نُزع الثدي المصاب ولكن لم يكن سبيل لمعرفة ذلك. ولا داء يختلف في سرعة سيرهِ وبطئهِ مثل السرطان فقد يظهر ويبلغ حدهُ في ثلاثة اشهر وقد لا يتكامل في اقل من عشرين سنة . وافضل نصيحة يُنصَح بها من يظن ان بهِ سرطاناً ان يبادر الى الجراح لينزعهُ قبلما ينتشر في بدنهِ. وهذا العلاج على قلة فائدتهِ هو انجع علاج نعلمهُ حتى الآن . وفيهِ مركزا ضعف الاوَّل ان الجرَّاح لا يعلم حينما ينزع السرطان انهُ استأصلهُ كلهُ والثاني ان السرطان في درجاتهِ الاولى لا يكون مؤلماً حتى يحمل المصاب بهِ على الالتجاء الى الجرَّاح لنزعهِ فتضيع افضل فرصة لاستئصالهِ. وظهور السرطان خفيٌّ وسيرهُ بطيءٌ حتى لا يشعر بهما المصاب الاَّ حينما يتفاقم شرهُ . وفي كل اسبوع يأتينا اناس فيهم سرطان ظاهر ويقولون انهُ لم يكن فيهم قبلاً مع اني متأكد انهُ كان فيهم منذ شهور كثيرة

ومع ان الاحوال الحاضرة تكاد تضعف فينا الرجاء الاَّ انها ليست باعثة على اليأس كما قلنا سابقاً لاسيما وان اعظم الثقات يعتقدون ان المستقبل سيكشف لهذا الداء علاجاً ثابتاً افضل من سكين الجراح . وقد انقطع كثير من الاطباء لدرس هذا الموضوع والبحث فيهِ بتدقيق ولا ريب ان اتعابهم لن تذهب سدًى

واحسن الوسائل التي يستعملونها في محاربة هذا الداء هو معالجة المصاب بهِ باشعة النور وافضلها واشهرها اشعة رنتجن التي ظهرت فائدتها في شفاء مرض الآكلة الذي هو نوع من انواع السرطان . وقد عُلِم ان لها ايضاً فائدةً عظيمةً في تخفيف الآلام في بعض انواع السرطان وانها تشفي احياناً الوجوه المتقرّحة وانها كثيرًا ما تقلل نمو البثور. على اننا لا يمكننا ان نجزم بتمام فائدتها الاَّ في داء الآكلة . ولما كانت معرفتنا بهذه الاشعة حديثة كان لنا عظيم الامل ان تزداد تلك المعرفة فتزداد فائدتها

ثم ان السرطان قد يشفى من نفسهِ في بعض الاحيان وقد شوهد ذلك حتى في الذين كانت العلة قد تمكنت منهم وهذا يدل على ان شفاءهُ ممكن. فاذا كانت الافعال الجسدية

الطبيعية تقضي بشفاء العلة ولو نادرًا فلا يبعد اننا نتمكن من مساعدة هذه الافعال حتى يقوى فعلها ويزيد عدد الذين يشفون بها

ولا يخفى ان كثيرين اهتموا حديثًا بالبحث عن علة هذا الداء وعن دواء يشفي منهُ فاقام العلماء لجانًا مخصوصة لهذا البحث وجُمعت الاموال الطائلة لذلك . بدأت انكلترا هذا العمل واقتدت بها المانيا والولايات المتحدة . والاطباء الذين يفتشون عن علاج للسرطان ينظرون في كل علاج يُعرَض عليهم مهما كان ويمتحنونهُ وحتى الآن لم يجدوا علاجًا شافيًا . ومما يبحثون عنهُ جغرافية السرطان اي الاماكن التي يكثر انتشارهُ فيها فوجدوا انهُ اكثر في الاماكن الواطئة التي تغمرها مياه الانهر منهُ في الاماكن العالية . ومن الغريب انهُ يتردَّد على بعض البيوت فيصيب سكانها اكثر مما يصيب غيرهم . ومن المحتمل انهُ من الامراض المعدية اذ قد اصيب بهِ رجل وزوجتهُ . وكثيرون من العلماء يبحثون الآن عن اصلهِ وعن دوائهِ في انكلترا واميركا وايطاليا وفرنسا والمانيا وروسيا وكل الممالك المتمدنة يقضون الايام في البحث والتنقيب وقد لا يعودون بطائل ولكن اذا وُفّق احدهم الى كشف الدواء الشافي فيكون قد افاد ابناء نوعهِ فائدة لا تقدَّر وينظر اليهِ كاكبر منعم على نوع الانسان

القضاء والقدر وطول الاعمار

قال بعض الجهابذة حصل لي اليأس من معرفة خمس وهي سرُّ القدر والروح والزمان والمكان والجوهر الفرد. وقد رأيت اناسًا تخيلوا انهم عرفوها فوجدتهم ارباب وهم خُيّل لهم حصول الفهم . وهي على التحقيق من المسائل الغامضة اشتدَّ فيها الجدال قديمًا وحديثًا بين الالهيين والطبيعيين وقد جوَّد الكلام على القدر استاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري في شرح خطب ابن نباتة وهو الشرح الذي ضمنهُ حلَّ كثير من المسائل الغامضة ومنها مسألة حدوث العالم على وجه يجمع بين العقل والنقل قال : التقدير هو تحديد كل مخلوق بحدهِ الذي يوجد عليهِ من حسن وقبح ونفع وضرّ وغير ذلك . والقدَر هو تعليق كل حال من احوال الاعيان بزمان معيَّن وسبب معيَّن . والقضاء عبارة عن الحكم الكلي الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليهِ من الاحوال الجارية عليها من الازل الى الابد. فالتقدير الحكم على الشيء بان يكون كذا على سبيل الوجوب او على سبيل الامكان . والقضاء الفصل في الحكم فيهِ . فكل مقضيّ مقدَّر وليس كل مقدَّر مقضيًا . فالمقدر ما لم يكن مقضيًّا يرجى ان يدفعهُ الله . ومعنى

كونهِ قائماً بالعدل انهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ووفّى كل ذي حق حقهُ. ثم هنا قضايا عشر طيبة النشر من حازها باسرها خرج عن غلبة الاوهام واسرها

(الاولى) ان كل كائن فهو بمشيئتهِ تعالى وتقديرهِ وخلقهِ. (الثانية) انهُ قدّر كل شيءٍ بحسب ما اقتضتهُ الحكمة واستعداد ذلك الشيء. (الثالثة) انهُ يحب الخير ولا يحب الشر وخلق ما خلق من الشر لما تضمنهُ من الحكم والاسرار ولكونهِ تابعاً لخير اوفى منهُ في المقدار واذا قيل اما كان يمكن وجود تلك الحكم والاسرار بدون ذلك قلنا من اين نعلم ان ذلك ممكن وعدم العلم بالاستحالة غير العلم بعدم الاستحالة. وقد تقرر باتفاق العقلاء ان القدرة لا تتعلق الاَّ بالممكن وعدم تعلقها بالمستحيل كالجمع بين البياض والسواد لا يسمى عجزًا. (الرابعة) ان الخلق ان اريد بهِ المصدر فهو حسن مطلقاً وان اريد بهِ غيرهُ فمنهُ حسن ومنهُ غير حسن. (الخامسة) ان العبد غير مجبور على فعلهِ وعلم الله في الازل بما يأتي بهِ العبد لا يقتضي كونهُ مجبوراً عليهِ فان العلم بما يفعلهُ المختار لا يوجب الاضطرار ولو كان العلم بالشيء يستلزم عدم الاختيار فيهِ كان الحق تعالى غير مختار في افعالهِ لعلمهِ بها في الازل. نعم ليس الاختيار في العبد في الدرجة التي توهمها اهل الاعتزال حتى جعلوهُ في افعالهِ كانهُ ذو استقلال ولا في الدرجة التي تخيلها اهل الجبر حتى جعلوهُ ذا اضطرار في ذلك الاختيار حتى قال قائلهم

ما حيلة العبد والاقدار جارية عليهِ في كل حين ايها الرائي
القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال لهُ اياك اياك ان تبتلّ بالماء

والحق التوسط بين المذهبين. وجعل اختيار العبد بين بين. وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة. والقائلون بغيرهِ كالسارين في دجنّة. (السادسة) ان الحق سبحانهُ حكم عدل لا يظلم احدًا والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ وانهُ اعطى كل شيءٍ خلقهُ ثم هدى. وانهُ لم يخلق شيئاً سدى. فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ الاَّ نفسهُ. (السابعة) انهُ سبحانهُ ذو قدرة باهرة لا يعجزهُ شيءٌ وهو فاعل مختار وفي جميع افعالهِ حكم واسرار. (الثامنة) انهُ سبحانهُ وتعالى لا ينالهُ نفع ولا ضر وعدم محبتهِ للشر ليس على الصورة التي نتصورها في البشر. (التاسعة) انهُ سبحانهُ اوجد ما اوجد على ابدع صورة واجمل وجه. ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت. (العاشرة) انهُ يجب على العبد الرضاء بالقضاء ويفرق بين القضاء والمقضي ألا ترى ان المريض اذا سقي علاجاً مرًّا تراهُ راضياً بفعل الساقي وان لم يكن راضياً بما نشأ عن الشراب من المرارة ونحوها. بقيت مسئلة وهي ادق جميع المسائل وهي ان يقال اذا كان بعض الانواع يلزم وجودها شر وان كان قليلاً فهلاَّ بقيت في عالمها الاول. وقد اجابوا عن ذلك

بان شأن الالوهية يقتضي وجود كل نوع من الانواع الممكنة لطلبها الايجاد بلسان الاستعداد وترك خير كثير لما يتضمنهُ من شر قليل شرٌّ كبير. الا ترى ان الغيث يعدُّ نعمة كبرى وان تضمن خراب بعض المنازل. فان قيل فهل في العالم شر محض قلت هذا ينكرهُ كثير من المحققين نعم يمكن وجود شر محض بالنظر لبعض الافراد لا لمجموع العالم

ولطالما رأينا وسمعنا اناساً يعترضون على المقتطف شفاهاً او تحريراً لظنهم انهُ قد خالف الدين في ذكر القضاء والقدر واسباب إطالة الاعمار وهما المسألتان اللتان دعتا الى خبط كثيرين وعلاقتهما بعضهما مع بعض شديدة. فمن يعتقد بالقضاء والقدر على النحو الذي يعتقدهُ الجهمية القائلون بابطال الاسباب لا يقول بطول العمر اذا استُعملت الاسباب اللازمة لذلك ومن توسط في الامر كما هو مذهب العلامة المشار اليهِ وطائفة من اهل العلم والعقل يحسّن كل ما يرد على صفحات هذه المجلة من التدابير الصحية المشروعة المعقولة

قال الاستاذ المنوه بهِ ايضاً في طول العمر: قد استفاض في الالسنة الدعاء بطول العمر وسعة الرزق وقد وردت آثار شتى تدل على ان بعض الاعمال الحسنة سبب لبسط الرزق وطول العمر. وقد أُورد على ذلك ان العمر والرزق مقدران في الازل فكيف يتصور الزيادة فيهما واجاب بعض من تصدى للجواب بان المراد بذلك زيادة البركة واما نفس العمر والرزق المقدرين فلا يقبلان الزيادة. قال العلامة القرافي(١) في الفروق ان هذا الجواب عندي ضعيف بسبب ان البركة ايضاً من جملة المقدرات فان كان القدر مانعاً من الزيادة فليمنع من البركة في العمر والرزق كما منع من الزيادة فيهما . . .

وكذلك نقول الدعاء يزيد في العمر والرزق ويدفع الامراض ويؤخر الآجال وغير ذلك مما شرع فيهِ الدعاء فهو من القدر ولا يخل بشيء عن القدر بل ما رتب الله سبحانهُ مقدوراً الاَّ على سبب عادي ولو شاء لما ربطهُ بهِ اه

وبهذا ينحلُّ لك الاشكال الذي يتوهم في قولهِ تعالى (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا الاَّ ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) فان بعضهم قال

(١) شهاب الدين القرافي المتوفى بمصر عام ٦٨٤ ﻫ انتهت اليهِ رئاسة علماء المالكية في عصرهِ وكتابهُ الفروق جمع بين صحيح النقل وصريح العقل وقد احسن طابعهُ في تونس بطبعهِ على حاشيتهِ كتاب العلاَّمة ابن الشاط السبتي المتوفى سنة ٧٢٣ وهو في تعقب الفروق والنقد على صاحبهِ وحبذا لو جرت المطابع المصرية على مثل هذه الطريقة في نشر المصنفات النافعة مشفوعة بآراء العلماء فيها واسقاط التقاريظ التي ألفها المتأخرون وهي لا تنبيء بفضل مهما حوت من المدح والثناء

كيف يستكثر من الخير على تقدير الاطلاع على الغيب والذي في الغيب هو الذي قدرهُ الله من الخير. وقد افردهُ العلامة المذكور بالجواب فقال ما ملخصهُ : ان الله تعالى قدّر الخير والشر في الدنيا وجعل لكل مقدور سبباً يترتب عليهِ ويرتبط بهِ. والعلم سبب عظيم لتحصيل مصالح ودرء مفاسد في الدنيا والآخرة . فالذي وضع لهُ السمّ فاكلهُ فمات قد قُدِّر موتهُ بالسم مع جهلهِ فلو قدر نجاتهُ منهُ قُدِّر اطلاعهُ عليهِ فالمقدر على تقدير الجهل نمنع انهُ مقدَّر على تقدير العلم بل المقدر على تقدير العلم ضدهُ • والرزق المقتر انما قدر لاهلهِ على تقدير جهلهم بالكنوز وغير ذلك من اسباب الرزق اما مع علمهم بهذه الاسباب العظيمة الموجبة في مجرى العادة لسعة الرزق فلا نسلم انهُ قُدِّر لهم ضيق الرزق كما نقول ان الله قدر للمؤمنين دخول الجنة على تقدير الايمان اما مع عدمهِ فلا نسلم انهُ قدر لهم الجنة وبهذا يتضح لك ترتُّب استكثار الخير وعدم مس السوء على تقدير الاطلاع على الغيب . ثم قال وقد كثُرت لك النظائر لتستيقظ لهذه القاعدة وسرّ القضاء والقدر فيندفع السؤال وهو موضع حسن . اقول وهذا السؤال احد الاسئلة الاحدى والعشرين المسماة بالاسئلة الهندية وهي في سبعة فنون وقد جعلها السائل لرياضة الافكار . وبما ذكرناهُ يظهر لك معنى قولهِ تعالى (وما يُعمَّرُ من معمر ولا ينقص من عمرهِ الاَّ في كتاب) وان الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيهِ ان اطاع عمروٌ فعمرهُ ستون والاَّ فاربعون. ونقل العلامة ابن خاتمة الاندلسي في كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد عن عمر رضي الله عنهُ انهُ قال لبيتٌ بركبة[٢] احبُّ اليَّ من عشرة ابيات بالشام. ونقل ان الامام مالكاً قال في الموطإ يريد لطول الاعمار والبقاء وشدة الوباء بالشام والله اعلم

محمد كرد علي

غنى افريقية الجنوبية

كتبنا في ما سبق فصولاً كثيرة في غنى الترنسفال الذي جرَّ عليها حرباً عواناً سفكت فيها انهار من الدماء وانفقت بدرات الاموال ولكنها نشرت فوقها لواء العدل والحرية واثبتت فيها حسن الادارة والنظام فصارت مقصداً للذين ضاقت عليهم بلادهم او دفعهم الجور الى هجرانها فيجدون فيها مجالاً واسعاً ومنتجعاً طيباً . وقد عثرنا الآن على فصل في غنى افريقية

(٢) رُكبة بضم الراء وادٍ بالطائف بين غمرة وذات عرق وقيل ارض بني عامر بين مكة والعراق وهي ارض صحراوية سكانها اطول اعماراً واصح ابداناً

الجنوبية في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية كتبهُ قومندان الجيش العام في مستعمرة الراس فلخصناهُ لما فيهِ من الفوائد. قال الكاتب :

لا يعلم جمهور القراء عن غنى افريقية الجنوبية حتى الآن الاَّ قليلاً · واراني في موقف حرج لا ادري من اي باب ألج الموضوع لاصف هذه البلاد

في سنة ١٨٦٧ كشف الماس في املاك انكلترا على ضفاف نهر الڤال فعلمت ان في افريقية الجنوبية ما يجعلها من اغنى املاكها. ثم توالت الاكتشافات وكثرت مناجم الماس حتى لم يعد يخشى من نفادهِ بل صار يخشى من انخفاض ثمنهِ. واشهر تلك المناجم منجم جاجرسفونتين في الجنوب الغربي من مستعمرة نهر الاورنج ومنجم لاس قرب مدينة كرونستاد ومنجم البريمير قرب مدينة يوهنسبرج في الترنسفال · وكثيرًا ما يعثر على الماس في الجهات الشرقية من مستعمرة نهر الاورنج مما يدل انهُ منتشر كثيرًا في تلك الاراضي

وفي جوار مدينة كمبرلي مناجم دى بيرس المشهورة وقد وحَّدها المرحوم سيسل رودس وبلغت قيمة ما استخرج منها في السنين الاربع الاخيرة ١٦ مليونًا من الجنيهات . فيضاف الى الماس الذي يتحلى بهِ الناس ما ثمنهُ اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات كل سنة وهو ليس مما يتلف بالاستعمال ومع ذلك لا يرخص ثمنهُ (ولا خوف من ان تكتشف مناجم جديدة يستخرج منها ما يزيد كمية الماس فيرخص ثمنهُ لان الشركات الحاضرة تشتري تلك المناجم وتبقي المستخرج على قدر الطلب ليبقى ثمنهُ على حالهِ)

وننتقل من الماس الى الذهب · اول من عثر عليهِ في جنوبي افريقية سائح الماني يسمَّى كارل موخ وكان ذلك في سنة ١٨٦٦ في مقاطعة تسمى تاتي على حدود بلاد المتابيل فبذل السرجون سونبرن وغيرهُ جهدهم في استخراج الذهب من تلك الاراضي ولكنهم لم ينجحوا واضطروا اخيرًا الى تركها وقد أُعيدت الكرة مرارًا لاستخراج الذهب من هناك فلم تأتِ بفائدة. وبعد قليل اكتشفت مناجم الذهب في الشمال الشرقي من الترنسفال لم يشرَع في استخراج الذهب من مناجم ويتوترسراند الاَّ سنة ١٨٨٤ وهذه المناجم غيَّرت تاريخ افريقية الجنوبية في اقل من عشرين سنة وكانت باعثًا على بناء مدينة يوهنسبرج التي هي اكبر مدن المناجم وحاملاً لانكلترا على ضم البلاد التي بين لمبو ونهر الاورنج الى ممالكها ولولا ذلك لبقيت من المجاهل الى امد بعيد . ومن ثم كثر استخراج الذهب من مناجم الترنسفال حتى بلغ ما استخرج منهُ في السنة التي سبقت الحرب الاخيرة ١٦٠٤٤١٣٥ جنيهًا وكان الذهب يستخرج من حرف طولهُ اربعون ميلاً وقد ثبت الآن ان هذا الحرف يمتد ثلاثين ميلاً اخرى والذهب

موجود فيها بكثرة . واكتشفت حروف أُخرى يكثر الذهب فيها وغيرها ممَّا فيهِ ذهب ولو كان قليلاً يُرجَع اليهِ بعد نفاد الذهب من المناجم الغنيَّة حين تسهل وسائل النقل والعمل . واكتُشف الذهب في رودسيا ايضاً ويستخرج منهُ ١٥٠٠ اوقية كل شهر وهي تساوي ٤٠٠٠٠ جنيه

على ان الماس والذهب يحتاجان الى الفحم الحجري لاستخراجهما . وقد كشف في الترنسفال ورودسيا مناجم للفحم غنية جدًّا ولكنها لم تستغل حتى الآن لان الخط الحديدي اللازم لاستغلالها لم ينجز بعدُ . واذا ذكر الفحم الحجري اتجه الفكر الى الحديد ففي ناتال والترنسفال ورودسيا مناجم كبيرة من الحديد ومن المرجح انهُ سيكشف غيرها ايضاً وهي تكفي لان تشغّل سكان افريقية الجنوبية اذا فرغت مناجم الماس والذهب والفحم . وحينما تتم نبوة كارنجي الذي تنبأ بقرب نفاد الحديد من انكلترا واميركا يعلم الناس قيمة مناجم الحديد في افريقية الجنوبية

ويأتي النحاس بعد الذهب والفحم والحديد وقد زاد الطلب عليهِ في هذا الزمن ولهُ مناجم في بلاد الراس يستخرج منها الآن ٣٦٠٠٠ طن في السنة ومناجم اخرى في غيرها ولكن المستخرج منها قليل وقد كُشف لهُ منجم جديد في شمالي رودسيا حيث تمد سكة الحديد التي يراد ايصالها الى القاهرة . ويقال ان النحاس كثير هناك ومعهُ مناجم من الفضة والرصاص والتوتيا والحديد

وممَّا يكثر في تربة افريقية الجنوبية ايضاً القصدير وكان يستخرج من سوازيلند قبل الحرب وقد اكتشفت حديثاً مناجم واسعة منهُ على مسافة ١٦ ميلاً من مدينة الراس . وكشف هناك تراب الخزف الصيني وهو كثير جدًّا يقدر بمئات الملايين من الاطنان

ويكثر معدن الرصاص الممزوج بالفضة في الترنسفال وفيها معدن الاسبستوس او حجر الفتيلة وهو كثير في بلاد الراس وكان يستخرج قبل الحرب . وكشف فيها معدن الكوبلت ولكنهُ اكثر من حاجة الناس اليهِ . وفيها رخام جيد وكان يستخرج قبل الحرب ويرسل الى انكلترا . ويقال بنوع عام ان جنوبي افريقية اغنى بلدان الدنيا في المعادن ولكن المعادن محدودة في كل بلاد ولا بدَّ من ان تنفد يوماً ما وفائدتها انها تساعد على استعمار البلاد وترقيتها الى ان يتيسَّر لاهاليها استثمار معادنها التي لا تنفد وهي الخيرات الزراعية

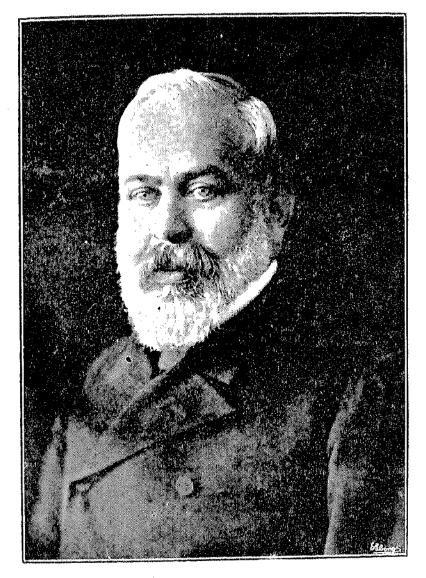
وربَّ قائل يقول هل تربة تلك البلاد غنيَّة تصلح للزراعة وتربية المواشي ولقوم ممن يهاجر اليها في طلب الرزق فاجيب ان البلاد الجديدة التي فيها مراعٍ واسعة لرعي الغنم والبقر لا تدعو الحال فيها الى زرع الحبوب والبقول بل يُفضَّل ان تستخدم لرعي المواشي ولكن اقتناء القدر الكبير من المواشي يقتضي رأس مال كبير جدًّا فهل يستطيع المهاجر الفقير ان يعيش في

تلك البلاد من الزراعة فاجيب نعم اذا كان صحيح الجسم قوي البنية لا يأنف من العمل لان باب الزراعة واسع امامهُ وجميع الحبوب الاوربية قابلة النمو في وادي الفال وما يجاورهُ . واول من شرع في الزراعة هنالك ڤان ربيك وكان ذلك في سنة ١٦٥٢ بايعاز من الحكومة فاخذ في زرع بعض الاثمار وغيرها ليجهز بها السفن العابرة فنجح في عملهِ واشترى من الاهالي قطعان غنم وبقر فنمت وكثرت . وقد كانت الخمر تصنع في افريقية الجنوبية قبل قدوم الهيجونوت الذين هاجروا اليها من فرنسا. ثم ان دخولهم كان سبباً لتقدم تجارتها حتى اصبحت اليوم خمور الترنسفال تعادل اجود خمور اوربا. والكنياك الذي يعمل في الكاب من اجود ما عرف. ومما يدلك على ربح تجارة الخمر ان الحكومة اشترت منذ عشرين سنة كرماً مساحتهُ ٣٣٠ فداناً بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه وانفقت على اصلاحهِ ٢٠٠٠ جنيه ومنذ اربع سنين عُرض عليها خمسون الف جنيه ثمناً لهُ وفي العام الماضي عُرض خمسة وسبعون الف جنيه فابت ان تبيعهُ اذ هي تربح منهُ المبالغ الطائلة. ويقال انهُ بعد ثلاث سنوات يصير ربحها السنوي من خمرهِ ١٢٠٠٠ جنيه . على ان ذلك الكرم ليس من الكروم المشهورة بخصبها بل ان في البلاد من الكروم ما يربح منهُ اصحابهُ اضعاف ما تربحهُ الحكومة من ذلك الكرم ولكن كرم الحكومة بمثابة مدرسة لتخريج الشبان في فنون زراعة الكرم وعصر الخمر وتدريسهم اياها درساً عملياً . وفي الزنبورج حقلٌ ثانٍ يخص الحكومة وفيهِ نحو سبعين تلميذاً ١٤ منهم من الانكليز وجميعهم يتعلمون فنون الفلاحة والزراعة

وفي مقاطعات الكاب سهول فسيحة جداً يزرع فيها القمح . وكذلك في مستعمرة الاورنج المعروفة بالاقاليم المفتتحة اراضٍ واسعة يزرع فيها القمح بكثرة . اما الذرة فتزرع في المقاطعات الشرقية وفي شمالي الترنسفال. وفي كل هذه الاراضي يزرع الدخن المعروف عندهم "بدخن الكفرة" ويعمل منهُ نوع من البيرة يقال انها من احسن الواقيات من داء الاسكوبوط وعملها مباح هناك لنفعها

وقد ابتدئ بزرع الاثمار لتصديرها الى الخارج وبيعها في داخلية البلاد واهتم سسل رودس بترغيب السكان في زراعة البساتين فاشترى بساتين كثيرة وسلمها الى اناس درسوا فن الزراعة في كاليفورنيا فنجحت ولكن ازدياد السكان لم يبقِ شيئاً من الاثمار لتصديرها الى الخارج . وفي تلك البلاد اراضٍ واسعة جداً تصلح لزراعة الاثمار

وقال الكاتب ان قصده في ما كتبهُ هو لكي يظهر للانكليز انهم حيثما توجهوا في المستعمرات البريطانية فابواب الرزق مفتوحة امامهم وان الرزق في بلاد الترنسفال خصوصاً ايسر من الرزق في غيرها وابوابهُ اوسع لمن كان مجداً في عملهِ اميناً في معاملاتهِ صبوراً على معاناة المشاق



رشاد پاشا

رشاد باشا

لو لم يكن صاحب الترجمة من افاضل رجال الدولة العلية واكابر ادبائها وكتّابها لما اخذت القلم لاخطّ عنهُ حرفًا واحدًا . ولكن القارئ سيرى في سيرة هذا الرجل ان بين رجال الترك بقيةً لو كان للدولة حظٌّ بالبقاء لألقت اليهم مقاليد الادارة ليصلحوا ما فسد فيها وليؤلفوا بين عناصر الشعوب المختلفة فيثبتوا بذلك دعائم عرش دولتهم كما كان يفعل المرحوم رشاد باشا في البلاد التي تولّى ادارتها

ولد في الاستانة العلية في ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٣ (٣ رمضان سنة ١٢٦٠) وانتقل الى دار البقاء في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٣ . وسبب تسميتهِ بهذا الاسم هو انهُ قبل ولادتهِ بيوم وُلد الامير محمد رشاد افندي ولي عهد السلطنة واخ الحضرة السلطانية . وكانت العادة ان يخرج المنادون لينادوا باسم الامير المولود فسمّي صاحب الترجمة باسمهِ تيمُّنًا

وترعرع في حضن امهِ وتحت مراقبتها لان والدهُ واسمهُ اسكندر بك كان قد عُيّن كاتبًا لسفارة الدولة في باريس على عهد الملك لويس فيليب . وكان رشاد مكبًّا على درس اللغة التركية والفارسية في المدارس الابتدائيَّة الى ان عين والدهُ متصرفًا على باطوم فاصطحبهُ معهُ. ولما لم يكن في تلك المقاطعة مدارس اضطرَّ ان يعلمهُ مبادئ الفرنسويَّة بنفسهِ . وكان في اثناء ذلك يدرس التركية والفارسية باجتهاد حتى بلغ السادسة عشرة . وسنة ١٨٥٩ عُيّن عمهُ معمر باشا واليًا على ازمير فاخذهُ معهُ ووضعهُ في مدرسة افرنجية فاكبَّ على درس اللغة الفرنسوية غير مهمل التركية ولم تمر سنة ونصف حتى نجح فيها نجاحًا باهرًا

وفي شهر يونيو من سنة ١٨٦٠ اتى فؤاد باشا معتمدًا عاليًا الى سورية لاصلاح شؤونها وشؤون لبنان على اثر مذابحهما الفظيعة فاستدعى معمر باشا من ازمير وعينهُ مشيرًا للشام لاعتقادهِ حسن درايتهِ . فاضطرَّ رشاد ان يترك المدرسة ليرافق عمهُ . واذ كان فؤاد باشا يعتقد في اسكندر بك الاستقامة والبعد عن التعصُّب استدعاهُ الى سورية وعينهُ رئيسًا للجنة فحص المسلوبات والتحري عن السالبين فقام بمهمتهِ بصدقٍ وامانة فعينهُ متصرفًا على حماه ثم نُقل الى اللاذقية فصحبهُ ابنهُ رشاد وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ . وبقي مواظبًا على دروسهِ الفرنسوية والتركية وكان يقوم بمهام المتصرفية خير قيام حين يذهب والدهُ لتفقد احوال متصرفيتهِ في جبال النصيرية . فاكتسب محبة الجميع بلطفهِ وحسن درايتهِ وعظم في عيون الاهالي ولاسيما في عيون القناصل . وسنة ١٨٦٣ سافر الى الاستانة ودخل في قلم الترجمة

بنظارة الخارجية وواظب على العمل بهمة ونشاط · وكان عارفي باشا ترجماناً لباب همايون فكان يأتمنهُ على اهم الاوراق ويستدعيهِ الى منزلهِ مع بعض رفقائهِ ليترجموا ويبيضوا بعض المنشورات الاجنبيَّة. وبعد نحو سنتين انتُخب ترجماناً لمجلس الوالي الذي تشكل في الباب العالي وتعرَّف بضيا باشا وكمال بك الكاتبين الشهيرين وبعطوفتلونوري بك المعروف باخي الحضرة السلطانية في الرضاع فشكلوا جمعية سرية سموها "تركيا الفتاة" وانضمَّ اليها عدد من الشبان الاذكياء. وكان البرنس مصطفى فاضل باشا المصري قد هرب الى اوربا لامور ذات شأن حدثت بينهُ وبين السلطان عبد العزيز والصدر الاعظم عالي باشا واذ كان يحتاج الى كتبة متفننين استدعى نخبة اعضاء تركيا الفتاة الى باريز ومن جملتهم صاحب الترجمة فاقام في باريز ولندن ينشر مع اصحابهِ جريدة "حرّيت" وظهرت اول نسخة منها ممضاة باسمهِ وكان لها شأن عظيم في ذلك العهد وبقي في باريز الى ما بعد الحرب السبعينيَّة واحتمل مع صديقهِ نوري بك الضيق والجوع في حصارها فكانا يشتريان الدجاجة بعشرين فرنكاً وكسَّرا خشب البيانو ليطبخا الطعام ودُعي لحمل السلاح مع الغارد ناسيونال لمحاربة الالمان

وبعد ذلك صدر عفوٌ شاهاني عن جميع المهاجرين السياسيين فرجع رشاد الى الاستانة بعد ان درس الحقوق وانشأ جريدة دعاها "عِبْرَت" وكان ذلك في عهد صدارة محمود نديم باشا . فاستدعى هذا رشاداً واصحابهُ وخاطبهم قائلاً "عليكم ان تقبلوا احد ثلاثة امور اعرضها عليكم . فاما ان ترجعوا الى اوربا لاني لست عالي باشا لاخاف كتاباتكم . واما ان تقبلوا النفي الى بلاد بعيدة . واما ان تقبلوا بلا تردُّد الخدمات التي تعرضها الحكومة عليكم" فاجابهُ رشاد "ولِمَ لا تطلقون لنا حريتنا فنعيش من اقلامنا" فاجابهُ الصدر الاعظم "انك لاتخلو من القحة وانا لا اسمح لكم ان تخطُّوا هنا حرفاً واحداً" . وفي اليوم التالي استدعاهُ اليهِ وعينهُ قائمقاماً لقضاء بلاجيك ورفع راتبهُ من الفي غرش الى ثلاثة آلاف وخمس مئة وقال لهُ ان هذا المركز وان يكن صغيراً الاَّ انهُ موافق لحداثة سنك وهو اداري وسوف يوصلك يوماً ما الى هذا المسند (قال هذا مشيراً بيدهِ الى كرسي الصدارة) . فبقي يتقلب في الوظائف من القائمقاميات الى المتصرفيات كمتصرفية جبل بركات وقوظان (بولاية ادنه) واماسيا وصمصون (بولاية سيواس) حتى اواخر سنة ١٨٨٥ لما ارتقى كامل باشا الى مسند الصدارة وكان بينهما معرفة من قبل فلما ذهب رشاد باشا ليهنئهُ التفت اليهِ الصدر وقال على مسمع من الحضور "يا حضرة الباشا ان عندنا قحطاً في الرجال والذين نظيركم من الزم الرجال لنا" . ومنذ ذلك الحين اخذ كامل باشا يسعى بكل واسطة ليرقيهُ الى رتبة والٍ ثم الى

وزارة الداخلية او الخارجية . ولكن عناصر المابين كانت تحبط مساعيهُ لان الجميع كانوا يعلمون ان رشاد باشا لا يملك مالاً ولا عقاراً حتى وان امتلكت يدهُ شيئاً فهو لا يشتري الوظائف شراء. وذات يوم استدعاهُ كامل باشا وقال لهُ "انت تعلم حق العلم اني اشد الناس رغبةً في ترقيتك ولكن الموانع قد حالت دون ذلك فاطلب اليك ان لا ترفض ما قد دبَّرتهُ لك وذلك وظيفة قوميسير عالٍ في بلغاريا براتب ١٥٠ ليرة في الشهر غير نفقات الانتقال والاستقبال . وسيعيّن لخدمتك قطارٌ بخاري يأتي بك الينا كلما مسَّت الحاجة لمخابرتنا في المهام واذا قبلت هذه الوظيفة فانك تخدم السلطان والدولة وتكون الوظيفة افضل واسطة ترفعك الى ما تشتهيهِ (يعني بذلك وزارة الخارجية) فقبل رشاد باشا تلك الوظيفة والحّ عليهِ الصدر الاعظم ان يستعد للسفر عند اول اشارة . ولكن المابين لم يصادق على تعيينهِ

ولما رأى كامل باشا ان مساعيهُ تقاوَم مع انهُ يريد ان ينفخ في جسم المملكة روحاً جديدة ورأى ان الدولة في حاجة الى رجال ذوي عزم ودراية عاد فاستدعى رشاد باشا اليهِ في اواسط سنة ١٨٨٦ وعرض عليهِ متصرفية سرفيجه . وهي متصرفية مستقلة ومخابراتها مع الباب العالي رأساً . وموقعها في مكدونية على حدود تساليا اليونانية وسالونيك ومناستير ومعظم سكانها من اليونان الروم وفيها جمهور من المسلمين وعدد قليل من الفلاخ وعدد لا يذكر من البلغار . وقال لهُ الصدر الاعظم يومئذٍ ان هذه المتصرفية في مقام ولاية نظراً الى استقلالها وهي غاية في الاهمية لوقوعها على الحدود اليونانية فبقبولك هذه الوظيفة تخدم مصالح وطنك لان المتصرفية محتاجة الى درايتك ولاسيما في الوقت الحاضر فان لنا جيشاً جراراً على الحدود تحت قيادة المشير احمد ايوب باشا وقد حصل بيننا وبين اليونان بعض مناوشات ولكن الاحقاد تكاد تزول ومتى وصلت رأيت السبل ممهدة والامور رجعت الى مجراها الاول . فقبل رشاد باشا متصرفية سرفيجه وصدرت لهُ الارادة بفرمان طويل كفرمان الولاة فذهب الى مركز مأموريتهِ وبعد وصولهِ بايام قليلة اخذ يجول في مراكز البلاد ليختبر بنفسهِ احوالها وحاجات اهلها واميالهم فنشر الوية العدل وساعد الضعفاء وانصف المظلومين وضرب على ايدي الظالمين حتى طار صيتهُ واجتذب قلوب الجميع اذ لم يميز بين المذاهب والعناصر . وكانت القلوب لا تزال نافرة من حكم الاتراك والجرائد اليونانية ومكاتبوها يسلقون الحكام العثمانيين بالسنةٍ حداد ولكن عدالة رشاد باشا جعلت تلك الجرائد ومكاتبيها يغيّرون لهجتهم حتى صاروا ينشرون كل ثناء عليهِ مذيعين فضلهُ وعدلهُ وعزمهُ الامور التي لم يروا مثلها في الايام الماضية

وقد كنت ايامئذٍ في تلك البلاد فاستطلعت آراء رؤساء الاساقفة وهم اصحاب الكلمة

والقول الفصل فقالوا لي " لو كنا نتأكد ان الحكومة ترسل الينا حكاماً عادلين كرشاد باشا او انها تبقيهِ هنا حتى يثبّت دعائم العدل ويترك للخلف مثالاً ينسج عليهِ لما رأيت احداً من الاهالي يميل الى دولة اجنبية ايًّا كانت " . وهذه افضل شهادة لهُ

وفي اواخر سنة ١٨٨٨ عُيّن متصرفاً مستقلاً للقدس فاتى فيها اعمالاً مشكورة وارضى بحسن سياستهِ جميع الطوائف والبطاركة والقناصل فانهالت عليهِ النياشين من الدول فانعمت عليهِ الحضرة الشاهانية بالمجيدي الاول ومنحتهُ المانيا نشان التاج البروسي غران قوردون وقلدتهُ فرنسا نشان اللجيون دونور من رتبة قومندور . ومنحتهُ روسيا نشان سان ستانيسلاس واقتدت بهنَّ ايطاليا واليونان

وكان عالي الهمَّة ذا مروءة نادرة المثال شاعراً اديباً وكاتباً بليغاً مغرماً بمطالعة التاريخ والمؤلفات البليغة وقد جمع في مكتبتهِ افضل كتب الفرنسويين وبعض كتب العرب والترك . وترجم جزءًا كبيراً من ڤولتاي ولكنهُ لم يطبعهُ . ومن اغرب صفاتهِ ان كل من رآهُ احبهُ وتوسم فيهِ الخير . وكان ربعةً ابيض الوجه ذا عينين زرقاوين وراس كبير . صنع لنفسهِ تمثالاً في باريس من شاهدهُ ظنهُ تمثال الملك ادورد السابع لشدة المشابهة بينهما

وهنا اذكر بعض ما جرى لهُ مع سمو البرنس هنري اخي جلالة امبراطور المانيا وسمو البرنسس زوجتهِ لما زارا القدس لاظهر للقارىء ما كان عليهِ من اتقاد الذهن وسرعة الخاطر والقوة في اجتذاب القلوب بحسن بيانهِ ولطيف حديثهِ . فانهُ لما اتى البرنس المذكور مع زوجتهِ قصد السياحة في بلاد الشام على صورة غير رسمية اراد جلالة السلطان ان يجعل زيارتهما ذات رونق رسمي فارسل يأمر رشاد باشا ان يذهب الى يافا ليستقبلهما ويلتمس منهما ان يكونا ضيفي الحكومة . فذهب وعرض على سموهما ما أُمر بهِ . فاعتذر اليهِ البرنس بقولهِ لقد وضعت خطةً لسياحتي واريد ان تكون خالية من الابهة والرسميات ويعزُّ عليَّ اني لا اتمكن من قبول دعوة جلالة السلطان . فاجابهُ رشاد باشا على الفور " مولاي ان لسموكم الامر على كل حال ولكنني اخشى عدم رضى جلالة مولاي السلطان عني فيظن بي عدم الاهلية لهذه المهمة التي عهد بها اليَّ " . فتبسم البرنس وقال لهُ " يا حضرة الباشا لا يسعني والحالة هذه إلاَّ ان اقبل دعوتك واكون ضيفاً على جلالة السلطان "

ثم جاءَا القدس وكان رشاد باشا قد اعدَّ كل لوازم الضيافة متفنناً في اتقانها واكثر من الشمبانيا لان البرنس لا يشرب الماء واذ كان هو وسمو البرنس يحسنان الرماية ولهما ولع شديد بالصيد كانا يجلسان بعد تناول العشاء مع البرنسس ويتبادلان الحديث عن الصيد وعما اصطادهُ

كلٌّ منهما في ماضي ايامهِ . فذكر البرنس انهُ اصطاد مرة ثعلباً احمر . وفي الليلة التالية قال رشاد باشا انني اصطدت مرة ثعلباً ازرق. فضحكت البرنسس حتى استلقت على كرسيها وقالت "وهل يكون الثعلب ازرق" ؟ فاجابها " انهُ لم يكن ازرق تماماً يا مولاتي ولكنهُ كان مائلاً الى الازرقاق" . فعادت الى الضحك مسرورة من حسن تخلصهِ فقال لها ثانية "ولِمَ لم تستغربي يا مولاتي الثعلب الاحمر الذي اصطادهُ سمو البرنس فارجو من سموك ان تفسحي لثعلبي الازرق مجالاً يمرُّ بهِ كما مرَّ ثعلب سمو البرنس الاحمر وواحدة بواحدة" فضحك الجميع مسرورين

وحدث بين بطركخانتي الروم واللاتين مشاكل اقامت بطريركيهما وقنصل روسيا وفرنسا واقعدتهم فازال تلك المشاكل على احسن اسلوب ولم يدعها تصل الى الباب العالي او الى السفارتين . وساعد الاسرائيليين كثيراً اذ كانوا مضطهدين حتى انهُ لما زار المسيو ادمون ده روتشيلد القدس وعلم بما اجراهُ شكر لهُ وعاد الى بلادهِ فرحاً مسروراً

ولو اردت ذكر كل مناقبهِ وتعداد اياديهِ على الذين رآهم او عرفهم ما كفاني جزء كامل من المقتطف ولكنني اكتفي بذكر حادثة واحدة وهي انني رأيتهُ ذات يوم في سنة ١٨٩٢ ذاهباً الى البنك العثماني وعلى وجههِ لوائح الاهتمام فسألتهُ عن السبب فقال ان صديقي فلاناً في حاجة شديدة الى المال وانا ذاهب لارهن بيتي وامدَّهُ بالمال

وقد ترك نجلين وهما عطوفتلو علي فروخ بك القوميسير السلطاني في بلغاريا وهو من ابرع الكتبة العثمانيين وابلغ شعرائهم ومن المقربين وقد عيّن سفيراً للدولة العلية في الولايات المتحدة قبل ان تجاوز الثلاثين . والثاني شقيقهُ محمود بك السكرتير الاول للسفارة العثمانية في مدريد وهو شاب على غاية اللطف ودماثة الاخلاق وقد تخرَّج في احسن مدارس باريس. ولهما والدة وشقيقة وهما من فضليات السيدات عزاهم الله جميعاً واعطاهم الصبر الجميل

كليانتس فيلبيذس

المدفع الكهربائي

اخترع الاستاذ بركلند النروجي مدفعاً كهربائياً مغنطيسياً . وهو مؤلف من سلك كهربائي لولبي الشكل موضوع داخل انبوبة تنجذب الى داخلها القنبلة بقوة مغنطيسية كهربائية ثم تقف في منتصف السلك حيث يعاق المجرى الكهربائي الجاذب ويبقى المجرى الدافع . فتستمر القنبلة على سيرها الى ان تخرج من فوهة الانبوب بعزم شديد اذا كانت قوة المجرى الكهربائي شديدة

الارتقاء الفكري في تركيا

من كتاب واقعة السلطان عبد العزيز لمؤلفهِ احمد صائب بك

لا يخفى على كلّ من طالع اسفار التاريخ العثماني ان الواقعة الخيرية (اي انقراض الانكشارية) كانت اعظم فاعل في احوال الدولة العثمانية . ولو درسناها بالتدقيق لرأيناها اقوى عامل على تنظيم المعيشة العمومية وتنوير اذهان قسم من الاهالي ووضع اساس العلوم والآداب العثمانية . فانهُ بعد حدوث هذه الواقعة قام فينا من الرجال والوزراء من كانوا يقدرون مراكزهم حق قدرها و يقومون بواجباتهم خيرَ قيام ولهم من الخبرة في احوال الدولة والاطلاع على الآداب العصرية ما كان يكفي لحاجاتنا . وكذلك قام فينا من الشعراء والكتّاب من بلغوا اعلى درجة من آداب الغرب والشرق وتفننوا في اساليب الكتابة وتعلموا الفنون الحديثة ولكنّ الترقي الادبي عندنا كان يسير سيرًا بطيئًا بالنسبة الى اليابان مثلاً والسبب في ذلك ميل اهل السيادة منا منذ القديم الى الشرّ اكثر من الخير وعدم مبالاة اصحاب المناصب العليا بهذا الامر او عدم قدرهم اياهُ حق قدرهِ . زِدْ على ذلك تمسك الاهالي باذيال القديم ونفورهم من كل ما هو جديد . ولكنّ روح الآداب لم تلبث ان سرتْ بين الافراد بالرّغم عن الموانع والصعوبات الكثيرة التي كانت تعترض في سبيلها . فان الآداب القديمة كانت عبارة عن التعاليم الدينيَّة وقسم من اصول الانشاء ولم تكن طريقة التعليم التي وضعت منذ عهد العباسيين كافية لتوسيع الاذهان اذ ان الطالب كان يحصر همهُ في مطالعة المؤلفات المخطوطة ولا يلتفت الى العلوم الحديثة او بالحري الى الآداب الغربية حتى ان المطبعة التي أُنشئت في الاستانة سنة ١١٣١ هجرية لم تدم كثيرًا لرغبة علمائنا عنها ونفورهم من الاختراعات الحديثة وهكذا لم يهتم اولياء الامور منا بما عليهِ يتوقف توسيع المعارف ونشرها

ولكن بعد الواقعة الخيرية شرع اصحاب الحمية الوطنية في نشر العلوم على قدر الامكان فأُنشئت سنة ١٢٤٢ هجرية مدرسة الطبّ العسكري وأُصلحت مدرسة الطوبجية التي أُسست في عهد السلطان سليم الثالث وانشئت المدرسة الحربية في بداءة ملك السلطان عبد المجيد وعقبها انشاء المدرسة البحرية وفي اواخر ملكهِ انشئت مدرسة المعادن . وعدا عن هذه المدارس العليا انشئت مدارس اعدادية ورشدية في عدة اماكن مهمة فسدَّت بعض حاجاتنا العلمية والمدارس التي أُنشئت على عهد السلطان عبد العزيز لم تكن اقلّ فائدة من المدارس التي انشئت على عهد عبد المجيد فمن تلك المدارس مدرسة الفنون الملكية التي أُسست بهمة محمد باشا القبرصلي

والمدرسة السلطانية التي انشئت بهمة سفير فرنسا الذي كان نافذَ الكلمة في ذلك الحين وهي احسن مدارس الاستانة وقد خرج منها تلامذة خدموا الوطن خدمات تذكر فتشكر ولغة التدريس فيها الفرنسوية وكانت هذه لغة مدرسة الطب العسكري ايضاً ولكنها الغيت وابدلت بالتركية . وفي تلك الايام ايضاً انشئت مدرسة الطب الملكية وهي مستقلة عن الاولى . وكانت الهمة مصروفة الى انشاء المدارس الاعدادية والرشدية التي هي اغزرُ فوائد من المدارس العليا لنشرها المعارف بين ابناء الطبقة العامة . وازداد شوق الاهالي الى المطبوعات التي لا تقلّ عن المدارس في تنوير الاذهان وتوسيع دائرة العقول فأنشأ الكسندر بلاك الفرنسوي سنة ١٢٤١ هجرية جريدة في ازمير كانت تصدر باللغة الفرنسوية وكان قد انشئ قبلها جريدة على عهد السلطان سليم الثالث في سفارة فرنسا في الاستانة ولكن مواضيعها لم تخرج عن حدِّ اخبار انتصار الفرنسويين في محارباتهم واذ لم يكن لها ايرادٌ يكفي للقيام بادارتها ابطلت . واجتهد الكثيرون في انشاء المطابع فاخفق سعيهم ولم تدم جريدة مدة طويلة الّا الجريدة التي كانت تصدر في ازمير وكان اسمها في الاول (Spectateur de l'Orient) اي ناظر الشرق ولكن أُبدل بعدئذٍ " برائد ازمير " (Courrier de Smyrne) . وكانت تنشر الاخبار الصحيحة وتبحث في المواضيع الموافقة لروح العصر وتنقل اخبار الثورة اليونانية من ميادين الحرب بسرعةٍ عجيبة فذاع صيتها حتى في نفس اوربا . وفي سنة ١٢٤٦ هجرية دعا السلطان محمود صاحبها الى الاستانة واحسن اليهِ وامدَّهُ بمالٍ ليصدر جريدة هناك باسم (Moniteur Ottoman.) (الرقيب العثماني) وبعد سنة امر باصدار جريدةٍ اخرى تركية في الاستانة تسمّى " تقويم الوقائع " وجعلها تحت ادارة محرر " الرَّقيب العثماني " . فكانت تنشر اوامر الحكومة الرسمية وترفض المقالات الاخرى بخلاف جريدة الرقيب العثماني التي كانت تنشر مقالات وابحاثاً شتّى عن الاحوال الداخلية والخارجية حتى عدّتها اوربا لسان حال الباب العالي . ودامت هاتان الجريدتان على هذا المنوال عدة سنوات . وفي سنة ١١٥٩ هجرية أُنشئت في الاستانة جريدة اخرى تدعى " جريدة الحوادث " وكانت تنشر حوادث خصوصية واخباراً رسمية ووقائع متنوّعة فراجت رواجاً باهراً في زمن قليل وُعدّت من الجرائد الرسمية للحكومة . ثم أُنشئ في الاستانة وفي غيرها جرائد غير رسمية فكثرت الصحف حتى بلغ عددها في اواخر سلطنة عبد المجيد واوائل سلطنة عبد العزيز ما ينيف على الثلاثين . وكان بينها اربع مجلات فنية بين شهرية ونصف شهرية واسبوعية . وهذا مما يدل على ان الرغبة في بثّ المعارف كانت تزداد يوماً فيوماً عند العثمانيين حتى ان بعض رجال الدولة من ملكيين وعسكريين

بذلوا جهدهم في اواخر ملك السلطان عبد العزيز في تعميم العلوم والمعارف بين ابناء وطنهم ليذوقوا ما ذاقوا هم من حلاوة العلوم

ولكن الحكومة لم تبقَ على ما كانت عليهِ بعد الواقعة الخيرية فان تقليد المأمورين العثمانيين للاجانب في لباسهم تعدَّى الى كبار الموظفين الذين اصبحوا يقلدونهم ايضاً وهم لا يعرفون كيف يخدمون الوطن اوكيف يسعون في اعلاء شأنهِ. على انهُ وُجد بينهم من كانوا يعرفون قيمة الاصلاح في الدولة والانتظام في دوائر الحكومة كما عرفوا منبع الثورات في داخل البلاد العثمانية بدليل ما ورد في آثارهم ومؤلفاتهم العلمية والادبية . ومنذ عهد السلطان عبد المجيد كثرت المطبوعات وازدادت وكان اكثرها خاصًّا بامور المسلمين ولكن وجد بينها ما كان معرَّباً عن اشهر المؤلفات الغربية . وفي هذه الاثناء ظهرت مؤلفات في غاية الاهمية من اقلام بعض مشاهير الكتَّاب العثمانيين كاحمد وفيق باشا وجودت باشا ومن شاكلهم من الكتَّاب الذين جمعوا بين الآداب الشرقية والعلوم الحديثة الغربية ووضعوا اصول الانشاء والبلاغة واحيوا الآداب التركية وشجعوا الادباء على السَّير في كتاباتهم على ما يوافق روح الزمان والمكان وحرَّضوهم على متابعة الآداب العصرية الحديثة .فوقع هذا التغيير لدى الكتبة العثمانيين موقع القبول واجتهدوا في تعميم فوائدهِ لتنوير اذهان الاهالي ولكنهُ لم يلبث طويلاً حتى سقط عن اول درجة عند صعودهِ سلّم الترقي بسبب ما وضعت لهُ يد الظلم من العقبات في سبيلهِ وما تضعهُ الى يومنا هذا . فقد كانت مطبوعاتنا في بادئ الامر حرَّةً بلا قيد ولا قانون معيّن وكان كلٌّ حرًّا في انشاء اي جريدة او مطبعة شاء . ولكنهُ لما ازدادت الجرائد صارت تنشر الاخبار المحلية والمقالات المختصة بالامور الداخلية وتنتقد احيانًا افعال الموظفين في اكبر وظائف الدولة مما امتعض لهُ اولياء الامور واستاؤُا فاكتسبت تلك الجرائد عداوتهم فعملوا على ايقاف مطبوعاتها عند حدها ونزع حرّيتها اذ كانت على زعمهم تضرّ بالصالح العام فوضعوا سنة ١٢٨٢ هجرية اول قانون للجرائد في البلاد العثمانية وابتدأوا في تطبيقهِ بكل شدة وصرامة. وهذا النظام يقضي على كل من اراد اصدار جريدة بأخذ رخصة رسمية من الحكومة لكي تلجمها ولا تدعها تتكلم كما تشاء وتضعها تحت مراقبتها الدائمية. وعليهِ أُنشئ من ذلك الحين قلمٌ خاص لمراقبة المطبوعات الداخلية في الباب العالي ولا يزال الى يومنا هذا يصب كاس الغضب والنقمة على كل من خالف ذلك النظام من اصحاب الجرائد . ولو دققنا النظر في هذا القانون لرأيناهُ منافيًا لمنافع الحكومة والاهالي معًا ومجحفًا بحقوقهم اشد اجحاف وذلك

اولاً لانهُ لم يكن الاَّ نتيجة خوف الحكومة من انتقاد الجرائد اعمالها وهو عيبٌ يحطُّ من قدرها ويدل على قلة ثقتها بنفسها

وثانياً ان الحكومة اظهرت بهذه الواسطة اشتراكها في ما يحدث في داخل البلاد من الامور المباينة للعدل والانصاف اذ سدت في وجه الجرائد منافذ الانتقاد وحرمت عليها ولوج باب الصدق في نشر ما يقع من الحوادث داخل الممالك العثمانية وهكذا هدمت ركن ما بني من قصور آمال لاجل الاصلاح

ثالثاً ان هذا النظام زرع بزور الخصومة والعداوة الشديدة في قلوب اصحاب الحمية الوطنية والغيرة الملية من رجال الدولة ووكلائها وقد ظهرت هذه النتيجة بعد بضع سنوات من وضع هذا النظام اذ تأسست جمعية الاحرار العثمانيين في اواسط ملك السلطان عبد العزيز . واول مؤسس لهذا الحزب اي حزب تركيا الفتاة مصطفى فاضل باشا المصري احد اعضاء عائلة محمد علي باشا الكبير . وكان قد تربى تربية حسنة وتلقى مبادئ العلوم والفنون الحديثة وعندهُ ثروة طائلة كاكثر افراد عائلتهِ ولكنهُ لم يتفق مع اسمعيل باشا بعد ان تبوأ الاريكة الخديوية فذهب الى الاستانة ودخل في عداد الوكلاء ولم يقم هناك طويلاً لعدم اتفاقهِ مع الوزراء المقتدرين كعالي باشا وفؤاد باشا فترك الاستانة وذهب الى باريز لينشر ما لديهِ من الاعتراضات على نظام الدولة في ادارة المملكة ويميط اللثام عن تلك المعايب وهو في تربة الحرية ولم يلبث ان انضمَّ اليهِ اصحاب الاقلام الذين نفروا من ادارة عالي باشا فاصدروا عدة جرائد باللغة التركية وكتبوا فيها مقالات شديدة اللهجة على مساوىء الدولة في ذلك الحين وانتقدوا اعمال فؤاد باشا وعالي باشا الشخصية كعدم توزيع المبالغ التي جمعت لتفرّق على المنكوبين بحريق الاستانة الكبير وضياع حقوق الدولة في تسليم القلاع العثمانية التي أُقيمت في بلاد الصرب . واخذ الاموال الباهظة من الخزينة لتسكين حادثة الشام . والتساهل في اخماد ثورة كريد . وسوء استعمال الاموال الطائلة المقروضة . وما شاكل ذلك

هكذا ظهرت جمعية الاحرار لاول مرة في البلاد العثمانية ولم تظهر الاَّ بعد ان عيل صبر هؤلاء الرجال واحتملوا ما لا يطاق من الاهوال فاجتمعوا في باريز وارسلوا من هنالك نور الحرية على البلاد العثمانية وهاجوا الافكار العمومية فأقبل الاهالي على منشوراتهم حتى بيعت في الاستانة نسخةٌ من جريدة "حريت" التي طبعت في باريز ودخلت البلاد العثمانية سرًّا بليرة عثمانية . ولكن هؤلاء الاحرار لم يبقوا كثيرًا حتى عاد اكثرهم الى اوطانهم بعد وفاة عالي باشا اذ شملهم العفو الشاهاني وكانت الدولة ترقبهم من طرفٍ خفيّ على الدوام ولكنهم شكلوا فرقة الاصلاح فصارت

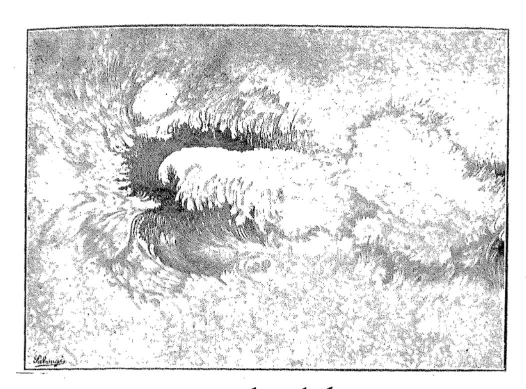
الحكومة تهتمّ بكل ما يقولونهُ وتعيرهُ اذنًا مصغية فازدادت شهرتهم وعدوا في مقدمة الاحرار العثمانيين سواءٌ كانوا من الذين عادوا الى الاستانة او من الذين لم يغادروا اوطانهم . وكان ضيا باشا اشعر شعراء العثمانيين يشغل مركزًا ممتازًا بين افراد هذا الحزب فحثّ على تعلم النظم والنثر واجتهد في اعلاء شأن الوطن كثيرًا فخلد في قلوب الامة اسمًا يذكر فيشكر . وكان نامق كمال بك اشهر رؤساء هذه الجمعية وهو رجل شريف العواطف والاميال رزين العقل متوقد القريحة محبٌّ لوطنهِ مشغوف بترقيتهِ يكرهُ الرياء والمداهنة ويحب الحق والحرية وهو من الرجال الذين تندر امثالهم ولكن المامهُ بالسياسة كان سطحيًّا . فاتحد مع شناسي احد ادباء الترك المشهورين وعملا يدًا واحدةً على استئصال شأفة الانشاء القديم وغرسا مكانهُ بزورًا جديدة فانعشا الآداب التركية وحركا عواطف الامة باشعارهما حتى استحق نامق كمال بك ان يلقب باستاذ ارباب الفكر والقلم العثمانيين . وصاهر مصطفى فاضل باشا وكان يكتب في جريدة "حرّيت" ونُفي مرارًا بعد عودتهِ الى الوطن لانهُ كان لا يفتأُ يظهر حميتهُ واخلاصهُ حتى داخل المالك العثمانية . وكان في هذه الفترة مديرًا لادارة جريدة "عبرت" التركية التي كانت تصدر في الاستانة

وثاني مشاهير الاحرار كان علي سعاوي افندي . فهذا بعد ان درس الفقهَ في الاستانة قصد باريز واقام فيها عدة سنوات تعلّم في خلالها اللغة الفرنسوية واطّلع على الآداب الاوربية ووقف على احوال السياسة العمومية ثم ذهب الى لندن ونشر كتبًا تختص بالاسلام والعثمانيين واصدر جريدة باللغة التركية اسمها "مخبر" وهو آخر من رجع الى الاستانة من الاحرار فكان يخطب في الجوامع والمحافل الخصوصية ويسعى في تنوير عقول الاهالي وترغيبهم في العلوم وليس من ينكر محبتهُ لملتهِ ووطنهِ وشغفهُ الزائد بهما حتى ذهب ضحية الوطن كما هو معلوم عند الجميع

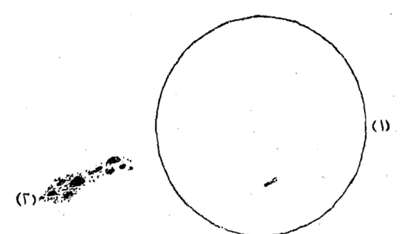
وكان احمد مدحت افندي المقيم اليوم بالاستانة من الاحرار الذين كانت تحوم حولهم الابصار . ولا ينكر احد خدماتهِ للمطبوعات العثمانية واجتهادهُ في تدريب الاهالي على الانشاء والمطالعة ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اكثر ترجمة وتأليفًا من اسلافهِ . ولقد طالع كتاباتهِ اكثر الناشئة الجديدة من الكتّاب الذين كثر ولله الحمد عددهم وتلقى عنهُ الكثيرون صناعة الانشاء ولكنهُ مع ذلك كلهِ كان متقلقلاً في جميع اعمالهِ غير ثبت في اشغالهِ وهو نفسهُ لا ينكر هذه النقيصة

ومن اولئك الاحرار الذين لا يزالون احياء يرزقون ابو الضيا توفيق بك وليس من ينكر فضلهُ ايضًا على المطبوعات العثمانية وشهرتهُ واسعة كما لا يخفى

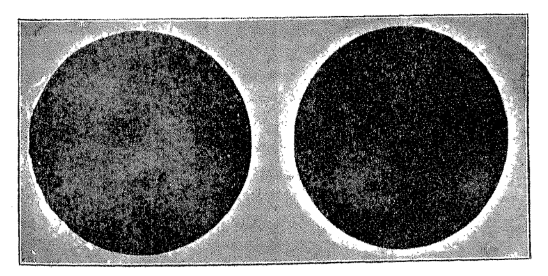
هؤلاء هم احرار ذلك العهد ولكن كان ايضًا بين الضباط المتخرجين من المدارس من



كلفة كاملة من كلف الشمس



(١) الشمس والكلفة فيها كما رأيناها بنظارة صغيرة في ١١ نوفمبر
(٢) هذه الكلفة كما رأيناها بنظارة المرصد الخديوي



النتوات حول الشمس كما رئيت في كسوف سنة ١٨٦٠

كانوا يعدون من حزبهم وكثيرون من تلامذة المدارس العالية حتى الاعدادية كانوا يعضدون هذا الحزب بكل قواهم ويميلون اليهِ ميل الرجال الى غادة حسناء وكلهم كانوا يبتغون الاصلاحات الاساسية لتخليص وطنهم ساعين وراء سعادة الملك والملة وسعادة انفسهم

كلف الشمس

يقول بعض العلماء الباحثين في تاريخ العمران الاوربي ان العلم حُفظ في الاديرة وأُذيع على يد الرهبان ولولاها ولولاهم لما ابقت العصور المظلمة على شيءٍ منهُ . وسواء صحَّ هذا القول على اطلاقهِ او لم يصحَّ فكثيرون من الرهبان ولاسيما من طغمة اليسوعيين خدموا العلم خدمةً كبيرة تذكر لهم بالشكر . وقد اطَّلعنا الآن على مقالة لواحد منهم وهو الاب كورتي اليسوعي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تشهد لهُ بغزارة العلم ودقَّة البحث فاقتطفنا منها الحقائق التالية

ظهرت كلف كبيرة على وجه الشمس في الخامس من شهر اكتوبر الماضي وغابت عنهُ في الثامن عشر من الشهر وبلغ اتساعها تسعين الف ميل اي كانت مساحة سطحها اكثر من مساحة سطح الارض الفاً وثلثمئة مرة. ولم تظهر هذه الكلف على غير انتظار لانهُ ظهر في الشمس الاضطراب منذ شهر سبتمبر من العام الماضي كأَنها ملَّت السكون وارادت العود الى الثوران كما يبين من ظهور الكلف الكثيرة على وجهها و بروز المشاعل والالسنة النارية منها وكلها دليل على ان دور الاضطراب حان عودهُ والنار المخبوَّءة تحت الرماد عادت الى الاتقاد . ويظهر من ارصاد جرينوتش ان مساحة المشاعل التي تظهر على وجه الشمس قد زادت في العام الماضي وهذا العام . واذا حسبنا عدد الكلف دليلاً على اضطراب الشمس فقد كان الاضطراب على اشدهِ اخيرًا سنة ١٨٩٣ لان عدد الكلف التي ظهرت حينئذٍ كان ٢٨٥ ثم نقص حتى بلغ ٧٣ كلفة سنة ١٨٩٩ و٤٥ كلفة ١٩٠٠ و٢١ كلفة سنة ١٩٠١ و٢١ كلفةً ايضاً سنة ١٩٠٢ وكانت الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠١ اضيق مساحة من الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠٢ فسنة ١٩٠١ اقلُّ السنين كلفاً في هذا الدور . ثم عادت الشمس الى الاضطراب من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ والمرجح ان اضطرابها يبلغ اشدهُ في العام المقبل اي سنة ١٩٠٤ لان زمن الانحطاط في عدد الكلف طويل متدرّج اقتضى تسع سنوات واما زمن الارتقاء او العود الى الاضطراب فسريع قدير تكفيهِ سنتان . وهذا شأن كل الافعال الطبيعيَّة التي لها ادوار

تدور فيها فان الهبوط يكون بطيئاً متدرجاً واما الصعود فيكون سريعاً قصير المدة

واكتشاف الكلف على وجه الشمس كان من اول اثمار التلسكوب اكتشفها غاليلو سنة ١٦١٠ ورآها غيره في العصور السابقة بعيونهم من غير نظارة ولكن كان يُظَن انها اجسام طائرة في الهواء تمرّ امام الشمس فترى كالكلف على وجهها . ورأى الكلف حينئذٍ الاب شينر ويقال انهُ اخبر رئيسهُ بما رأى فقال لهُ الرئيس لعلّ ما رأيتهُ ناتج عن خلل في التلسكوب او في عينيك لان ارسطوطاليس حتم بان وجه الشمس نقي لا شائبة فيهِ . الّا ان الاب شينر ظلّ يرقب كلف الشمس وظن في اول الامر انها اجسام بعيدة عنها تدور حولها كالسيارات ثم تحقق انها متصلة بسطحها وعرف منها مدة دوران الشمس على محورها وهي ٢٥ يوماً ونصف يوم بالتقريب وعرف ايضاً اتجاه محور الشمس . وكان يرصدها بتلسكوب بسيط قائم على محور متجه الى نجم القطب فيبقى متجهاً الى الشمس في مدارها . وكان يديرهُ بيدهِ كما يدار التلسكوب الآن بآلة الساعة ويلقي صورة الشمس منهُ على ستار وينظر اليها كما يُفعَل الآن في رسم الكلف وغيرها من الظواهر الشمسية

الّا ان الكلف التي ترى احياناً على وجه الشمس ليست سوى تفاقم ما يوجد على وجهها دواماً من البقع والمشاعل فانهُ اذا رُصد وجهها بتلسكوب كبير والقيت صورتها على ستار في غرفة مظلمة ظهر في وجهها دائماً تبقيع كثير . وقد صوَّرها المسيو جانسن صوراً فوتوغرافية ظهر التبقيع فيها ظهوراً واضحاً وظهر فيها ايضاً خطوط ونقط مظلمة ولذلك فوجه الشمس الذي نراهُ بعيوننا بسيطاً صقيلاً مؤلف من بقع او مشاعل (لان المشاعل اذا نُظِر اليها من الاعلى بانت بقعاً منيرة) واذا زادت هذه المشاعل في جهة تكوَّنت منها الكلف. ثم ان الاستاذ هايل صوَّر الابخرة التي حول قرص الشمس في مرصد ياركس بشيكاغو فوجدها خليطاً من ابخرة الكلسيوم والهيدروجين والحديد وغيرها وهي منتشرة حول الشمس كلها ويزيد اضطرابها واشراقها في جوار الكلف وتماثل ما حول الكلف من البقع فهي تؤيد ما تقدَّم من علاقة الكلف بالبقع او المشاعل

وتتولَّد الكلف هكذا : يضطرب وجه الشمس في المكان الذي تظهر فيهِ الكلف الكبيرة بعدئذٍ وترى فيهِ كلف صغيرة ومشاعل تختفي ثم تعود ثانيةً . ويظهر من الرسوم التي رسمناها في مرصد ستونيهرست[1] منذ شهر يوليو الماضي انهُ ظهر على وجه الشمس حينئذٍ مجموع صغير من

(١) مدرسة ستونيهرست Stonyhurst. من اشهر مدارس الكاثوليك في البلاد الانكليزية ومرصدها من المراصد الشهيرة ايضاً بلغ معظم شهرتهِ في عهد مديرهِ المرحوم الاب بري

النقط لا تكاد تسمَّى كلفاً ظهرت بقرب المكان الذي ظهرت فيهِ كلف اكتوبر وكان ذلك المكان هادئاً منذ عدة اشهر. ولما اتمت الشمس دورتها ظهرت هناك كلفة صغيرة في ١٧ اغسطس. وظهرت هذه الكلفة في الدورة التالية في ١٥ سبتمبر وكان معها نقط صغيرة والظاهر ان هذه النقط اجتمعت معاً وتكوَّنت منها نواة الكلفة الكبيرة التي ظهرت في اكتوبر وهي اكبر كلفة ظهرت منذ سنة ١٨٩٨ وتكاد تقارب الكلفة التي ظهرت سنة ١٨٨٢ (٢)

وتبتدئ الكلفة الكبيرة غالباً ببقعة صغيرة منيرة يظهر فيها نقط سوداء تجتمع معاً بعد يوم او يومين ويصير منها كلفتان كبيرتان يتبعهما كلف اخرى صغيرة وتكون الكلفة المتقدمة من الكلفتين اوضح من اختها واحشك وقد تكون هذه اوسع مساحة من الاولى وحينئذٍ تأخذ الكلفة الاولى تسير في طريقها بسرعة تقدَّر بمئات الاميال في الساعة ويظهر كأن الكلفتين تتدافعان في بعض الاحيان ويملأ الفراغ الذي بينهما بكلف صغيرة ويتم ذلك كلهُ في مدة خمسة ايام الى سبعة من حين ولادة هذا المجموع. والغالب ان تكون كلف المجموع ممتدة في خط موازٍ لقطر الشمس الاستوائي . وبعد يومين او ثلاثة تزول الكلف الصغيرة التي بين الكلفتين الكبيرتين فتبقيان وحدهما

لما ظهرت كلف اكتوبر على الطرف الشرقي من قرص الشمس في اليوم الخامس من الشهر كان عمرها يوماً او يومين وفي السابع منهُ ظهرت فيها الكلفتان الكبيرتان وفي العاشر ظهرت الكلف الصغيرة بينهما وتكاملت بين الثالث عشر والخامس عشر ثم زالت حينما بلغت الكلفة المتقدمة طرف الشمس الغربي في السابع عشر من الشهر. واذا جرى هذا المجموع المجرى العادي فالكلفة التابعة من الكلفتين المتقدمتين تتمزق وتختفي وتبقى المتقدمة وحدها وتصير سوداء مستديرة . وتعود الى الظهور في الحادي والثلاثين من اكتوبر بدوران الشمس على محورها ما لم تتمزَّق وتختفِ قبل ذلك وهذا بعيد الوقوع في كلفة كبيرة مثل هذه فان بعض الكلف التي انفردت كذلك بقيت على وجه الشمس مدة اربع دورات او خمس من دوراتها

وسير الكلف على ما تقدَّم من الظهور والنمو والتقدم والتمزُّق والاختفاء مستنتج من اربعة آلاف رسم رُسمت في مرصد ستونيهرست لكلف الشمس منذ سنة ١٨٨١ وقد اختير منها ٣٠٠ مجموع من مجاميع الكلف ظهرت في ١٢٠ اضطراباً من اضطرابات الشمس ولذلك فهي عامة لاكثر الكلف وتدلُّ على استيلاء النظام والقياس حتى على الاضطراب

ومن اوضح العلامات على ان الكلفة بلغت حدها من النمو وقاربت الاضمحلال ان

(٢) رصدنا تلك الكلفة في بيروت وكنا نراها بالعين المجرَّدة

المشاعل التي حولها تكون متصلة في اول الامر ثم تتشعب متى شاخت الكلفة وتمتد منها السنة منيرة في فسحات كبيرة وقد تبقى هناك مدة دورتين او اكثر من دورات الشمس بعد ان تزول الكلفة تماماً ولكن يقل اشراقها باتساع سطحها. وقد يحدث فيها انفجار جديد حينما تبلغ الكلف معظمها ولذلك يتكوَّن منها منطقة حول الشمس في دور تكاثر الكلف

واسوداد الكلفة غير منتظم بل بعضها اشد سواداً من البعض الآخر ويقال للقسم الاوسط منها الظل ويظهر شديد السواد ولاسيما في الكلف الكبيرة المستديرة . وحول الظل حلقة كبيرة يمتدُّ منها طرائق مشرقة يفصل بينها خطوط مظلمة وهذه الحلقة تسمَّى الظليل . وقد توجد بقع من الظليل منفصلة عن الظل ولكن لا تكون فيها الطرائق المشرقة وكأنَّ هذه الطرائق مواد منيرة تجري وتنصبُّ في كهف مظلم والظل ذلك الكهف او كأنها انهر منيرة جارية على جوانب جبل مظلم والظل ذلك الجبل

ثم ان الظل نفسهُ ليس من لون واحد في سوادهِ بل فيهِ نقط احلك سواداً من باقيهِ وتسمى بالنوى . وقد اختلف الباحثون في كون الكلفة كهفاً او جبلاً اي في كونها انخفاضاً في الكرة المنيرة المحيطة بالشمس او ارتفاعاً فوقها . وقد امعن بعض العلماء نظرهم في ستمئة كلفة فوجدوا ٤٥٠ كلفة منها ينطبق عليها القول الاول اي انها انخفاض او تجويف في الكرة المنيرة والباقي ينطبق عليهِ القول الثاني اي انها ارتفاع فوق الكرة المنيرة . وامعن غيرهم نظرهم في كلف اخرى فوجدوا اكثرها لا ينطبق عليهِ القول الاول بل الثاني ولذلك فان كان بعض الكلف مجوَّفاً فتجويفهُ سطحيٌّ غير غائرٍ كأنهُ صحاف الطعام

وسواءٌ كانت الكلف مجوفة او محدبة فهي مؤَلفة من غازات معدنية اكثرها من القناديوم والتيتانيوم . وهذه الغازات تحت ضغط شديد كما يظهر من البحث بالسبكترسكوب . والكلف نيرة جداً ولكنها تظهر مظلمة لشدة نور الكرة المنيرة حولها ولان الابخرة التي حولها تمتص نورها

ثم انتقل الكاتب الى الامر العملي الذي ادَّت اليهِ مراقبة كلف الشمس ذلك ان رجلاً صيدلانيًّا من اهالي دسو اسمهُ شواب رصد الكلف خمساً وعشرين سنة فاستنتج انها تكثر وتقل في ادوار محدودة طول الدور منها نحو احدى عشرة سنة . واثبتت الارصاد التالية هذه النتيجة وبيَّن الدكتور لُكيَر ان للكلف دوراً آخر وهو خمس وثلاثون سنة فاذا صحَّ ذلك فنحن الآن في بداءة دور الزيادة العظمى كما حدث سنة ١٨٧٠

ومن المرجح ان تكاثر كلف الشمس يدلُّ على زيادة ما يصدر منها من النور والحرارة ولذلك فكل ما يتعلق على الشمس يزيد بزيادة الكلف وينقص بنقصانها كالتغيرات المغنطيسية

والكهربائية والشفق القطبي وحرارة الهواء وضغطهُ ورطوبتهُ وحركة الرياح ومقدار السحاب والمطر وفيضان الانهار وسير انهر الجليد وعدد ما ينكسر من السفن وما يفلس من البنوك وما يحل من المواسم وما يحدث من القحط والمجاعات والحروب بل عدد ما يطير من الحشرات وما يثور من البراكين وما يحدث من الزلازل ومقدار ما يتكوَّن من الاوزون . ويقال جملة ان الخصب والرخاء يتوقفان على كلف الشمس اكثر مما يتوقفان على غيرها

ولكن لم يثبت من هذه الامور ثبوتًا قاطعًا الاَّ علاقة كلف الشمس بمغنطيسيَّة الارض فاذا زادت الكلف زادت الانواء المغنطيسيَّة في هذه النوبة انحرفت الابرة المغنطيسيَّة في الثاني عشر من اكتوبر في مرصد ستونيهرست ٥١ دقيقة من القوس وانحرفت وقت ظهور الكلفة الكبيرة سنة ١٨٩٢ ثمانين دقيقة من القوس وعند ظهور الكلف في نوفمبر سنة ١٨٨٢ درجتين و٢٣ دقيقة من القوس . لكن يستحيل ان يكون هذا الانحراف ناتجًا عن كلف الشمس مباشرةً كما ابان لورد كلفن بل المرجح ان هناك سببًا آخر يفعل بالشمس وبمغنطيسيَّة الارض في وقت واحد ولعلَّهُ عصائب من الالكترونات تفعل بالارض فتسبب الانواء المغنطيسيَّة فيها وتفعل بالشمس فتسبب توازنًا كهربائيًا تظلم بهِ الابخرة التي تكوّن الكلف كما ارتأى الاب سدجريفس

اما من حيث علاقة كلف الشمس بالحوادث الجوية فلم يتقرَّر شيء حتى الآن ولكن في مباحث السر نورمن لُكير والدكتور لُكير عن علاقة الكلف بضغط الهواء ما يقوّي الامل بالوصول الى نتيجة مفيدة من هذا القبيل فاذا استطعنا ان ننبئ بحدوث القحط في بلاد الهند قبل حدوثهِ بناء على ما علمناهُ من ظهور كلف الشمس نكون قد افدنا فريقًا كبيرًا من نوع الانسان فائدة لا تقدَّر . انتهى

هذه خلاصة المقالة التي كتبها الاب كورتي . وقد حاولنا روية هذه الكلفة بالعين المجرَّدة بعد إضعاف نور الشمس بزجاجة مسوَّدة بالدخان فلم نستطع ولكننا رأيناها بنظارة صغيرة جدًّا من النوع المعروف بنظارة الاوبرا راقبناها بها عند كتابة هذه السطور في الحادي عشر من شهر نوفمبر وكانت قد بلغت اول الربع الاخير من قطر الشمس من الجهة الغربيَّة فرأيناها كما في الشكل التابع لهذه المقالة . ثم رأيناها بنظارة المرصد الخديوي في العباسية فوجدناها مؤلفة من كلف كثيرة رسمناها بالتقريب في الرسوم التابعة لهذه المقالة

ولم ينصرم شهر اكتوبر حتى ظهر تأثير هذه الكلفة في مغنطيسيَّة الارض ظهورًا نادر المثال فقد كتب الاب كورتي من مرصد ستونيهرست الى الدكتور لكير يقول " مرَّ بنا

نوء كهربائي شديد جدًّا في يومي السبت والاحد (٣١ اكتوبر و ١ نوفمبر) وهو اعظم نوء رُصد عندنا بلغ فيهِ انحراف الابرة المغنطيسية درجتين و ٤٦ دقيقة "

وجاءتنا الجرائد الاوربية عند كتابة هذه السطور مشحونة باخبار هذا النوء وانقطاع الانباء البرقية بهِ فالرسائل التي أُرسلت الى انكلترا من روسيا واسبانيا وسويسرا وفرنسا والمانيا وبلجكا وغيرها من البلدان يوم السبت وصلت اليها متأخرة ساعة او اكثر عن ميعادها. وقال مدير التلغرافات العام ببلاد الانكليز انهُ لم يشاهد مثل هذا النوء الكهربائي منذ اثنتي عشرة سنة . وشعر اهالي الولايات المتحدة الاميركية بهذا النوء كما شعر بهِ اهالي اوربا فتأثرت منهُ الاسلاك البرقية واسلاك التلفون ودام فعلهُ ثماني ساعات وبلغ مقدار الكهربائية في الاسلاك البرقية ٦٧٥ فلطاً اي ما يكفي لقتل الانسان مع انها لم تكن متصلة ببطرية كهربائية. ثم ان النوء الكهربائي الذي حدث سنة ١٨٧١ بلغت كهربائيتهُ على الخط الذي بين السويس وعدن ١٧٠ فلطاً فقط فنوء هذا العام اشد منهُ كثيرًا

وقال ناظر التلغراف والبريد في باريس ان الانباء البرقيَّة انقطعت بسبب هذا النوء بين فرنسا واميركا واسبانيا والبرتغال وايطاليا والجزائر وتونس

وظهر الشفق القطبي في اماكن كثيرة فرآهُ اهالي نيويورك واهالي ارلندا وسكتلندا في الجهات الشماليَّة ورآهُ اهالي استراليا في الجهات الجنوبية وكان ذلك في يوم واحد اي في غرة نوفمبر

وحدثت الزلازل في اماكن كثيرة فشعر بها اهالي ايطاليا والمانيا واهالي طرشيز في بلاد فارس وغيرهم في اماكن اخرى

وكتب الدكتور لكير في الجزء الاخير من مجلة ناتشر يعلل حدوث هذا الاضطراب الكهربائي ويعلقهُ بالنتوات التي تظهر على وجه الشمس . وقد نُظرت اولاً حينما كُسفت الشمس كسوفاً تامًّا سنة ١٨٦٨ بارزة حول ظل القمر ثم اشار السر نورمن لكير والدكتور نانسن بطريقة لرؤيتها في كل حين وقد رسمناها في الشكل التابع لهذه المقالة وهي تدل على زيادة الاضطراب في الشمس . وقال ان الكلف مهما كبرت لا تعدُّ شيئاً بالنسبة الى هذه النتوات وانبأ بان هذا الاضطراب الكهربائي سيمتد من الآن الى سنة ١٩٠٦ او ١٩٠٧ فيظهر الشفق القطبي مرارًا في هذه الاثناء ثم يعقب ذلك عشر سنوات او احدى عشرة سنة يسود فيها السكون

وغنيٌّ عن البيان ان قلة فيضان النيل في السنوات الاخيرة وقلة الامطار في بلاد الهند موافقتان لزمن قلة الكلف وقد زاد الفيضان هذا العام وزادت الكلف ايضاً فاذا ثبتت علاقة كلف الشمس بفيضان النيل فتكون السنوات الست التالية سنوات خصب ورخاء

مكاتب الاولاد في اميركا

تمتاز مدن الولايات المتحدة بكثرة المكاتب العمومية المجانية حيث يزدحم الناس من كل الطبقات للمطالعة . وكثيرًا ما تكون مجامع علمية يجتمع فيها اعضاء المنتديات الادبية لدرس المواضيع التي يبحثون فيها في منتدياتهم مما لا نرى لهُ اثرًا في بلادنا. والاميركيون يحرّمون الاشتغال يوم الاحد تحريمًا دينيًا ولكنهم يبقون مكاتبهم مفتوحة للذين يزورونها فيهِ لان كثيرين لا يمكنهم المطالعة فيها الاَّ في ذلك اليوم

ومن اكبر هذه المكاتب مكتبة بوستن المجانية انشأها رجل اسمهُ يشوع باتس وهو من اهالي مستشوستس وكان قد هاجر الى لندن وصار مديرًا لبنك بارنغ فلم ينسَ بلادهُ مسقط رأسهِ بل ارسل اليها ما يزيد على خمسين الف ريال وخمسين الف كتاب لانشاء مكتبة في مدينة بوستن . فبنيت وتجدد بناؤُها سنة ١٨٩٥ وزيد عليها دائرة تحفظ فيها تقارير القناصل الامركيين ونوابهم الذين يعوّل عليهم في نشر التجارة في البلاد الاجنبية فانهم يكتبون تقارير مسهبة عن تجارة البلاد التي هم فيها ويذكرون ما يروج هنالك من البضائع واسباب رواجها والالوان او الاشكال الموافقة لذوق اهاليها ويبدون آراءهم في ما ينتظر من هبوط الاسعار او صعودها وهكذا يتمكن التاجر الاميركي من الوقوف على احوال التجارة في كل اصقاع المعمور

وتلقى في تلك المكاتب خطبٌ في مواضيع شتى مما يوافق ذوق الجمهور وترسل منها الى معلمي المدارس وتلامذتها كتبٌ في المواضيع التي يهمهم البحث فيها والى منتديات الامهات كتب في كيفية الاعتناء بالاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل والصحة وغير ذلك من الكتب المفيدة فيطالعها النساء في بيوتهنَّ لان اشغالهنَّ لا تسمح لهنَّ بالذهاب الى المكاتب . وقد أُنشئ فروع لهذه المكاتب في جهات مختلفة تكفي النساء مشقة السفر الى المكاتب الكبرى لتسليم الكتب المقروءة واستلام غيرها

قلنا ان هذه المكاتب ترسل كتبًا الى معلمي المدارس وتلامذتها وقد دعا هذا الامر الى انشاء مكاتب خصوصية للاولاد يباح لهم ان يختاروا ما يشاؤُون من كتبها للمطالعة وليس هنالك ما يخشى منهُ على آدابهم اذ ليس فيها كتبٌ خارجة عن حد الآداب . وقد أُقيم في مدينة بوستن عشرون شخصًا من الرجال والنساء لمطالعة الكتب الجديدة قبل وضعها في تلك المكاتب لئلا يكون فيها ما ينافي الآداب وان اختلف هؤُلاء العشرون في آرائهم فيها فلمديري المكتبة

الحق في قبولها او رفضها . ولا تقبل فيها كتب المطاعنات الدينية ولا كتب المجادلات ولا الكتب التي تولد في الانسان روح الزهد والقنوط . وتكثر فيها الروايات الخالية مما يشين الآداب ككتب سيَر العظماء والسياحات ومبادئ العلوم الطبيعية والتاريخ وكتب الحكايات على انواعها لان الصغار يرغبون فيها . ويحق لكل من كان عمرهُ تحت السادسة عشرة الدخول الى منتدى الاولاد واخذ الكتاب الذي يريدهُ بشرط ان يرجعهُ الى مكانهِ بعد الفراغ من مطالعتهِ . ويُسمح لمن كان عمرهُ فوق الثانية عشرة باخذ كتبٍ يطالعها في بيتهِ بشرط ان لا تتجاوز مدة المطالعة وقتًا محدودًا هو في الغالب اسبوعان . فاذا اساء استعمالها او فقدها او اخَّرها غُرِّم . وهذا قليل الحدوث لدقة الاولاد في محافظتهم على الكتب والاوقات . ويسمح لمن كان فوق العاشرة باستعمال المعجمات وما يماثلها بطلب رسمي من معلمهِ

واذا قربت ايام الاعياد والمواسم عُلِّقت في المكاتب صور وشروح تاريخية متعلقة بذلك العيد او الموسم . فاذا احتُفل مثلاً بتذكار واقعة حربيَّة عُلِّقت اخبارها في مكاتب الاولاد ومعها صور القواد والضباط الذين اشتهروا فيها ونحو ذلك حتى يرسخ تاريخها في اذهانهم وشُفع ذلك باشارات الى الكتب التي تحوي اخبار تلك الواقعة . وفي الاحتفال بمولد العظماء كشكسبير وملتون ونيوتن ولابلاس ووشنطون تُنشر صورهم ويُذكر ما عملوهُ من الاعمال العظيمة . ويسمح للاولاد حينئذٍ ان يعرضوا ما عندهم من ازهار ونباتات ورسوم وغيرها فيُمنحون الجوائز عليها

وفي بعض المكاتب يفرض على الاولاد ان يذهبوا اولاً الى بيت الغسيل لينظفوا اياديهم قبل ان يمسكوا الكتب . ويعطون علامات مخصوصة كالشرائط الحريرية ونحوها يضعونها في الكتاب ليتذكروا المكان الذي وصلوا اليهِ في قراءتهم من غير ان يثنوا اوراقهُ . وكثيرًا ما يكون مكتوبًا على تلك العلامات جملٌ حكمية تتخذها المكتبة شعارًا لها . فالعلامات التي تستعملها مكتبة كلفلند مثلاً مكتوب عليها " قلوب طاهرة وايدٍ نقية وكتب نظيفة "

وقد ظهرت فائدة هذه المكاتب بانها جعلت الاولاد يشبُّون على اللطف والدعة والنظافة والاعتراف بالجميل مع الرغبة في العلوم والمعارف . وعلى هذا النمط يزيد ارتقاء الامة الاميركية لان وسائل التعليم والتهذيب ميسورة لجميع اعضائها حتى الاطفال . فعسى ان يكون في ذكرنا ذلك عبرة لاهالي المشرق الذين اذا قصدوا عمل مبرة اوقفوا اموالهم على اطعام الكسالى والمنقطعين للعبادة فلا تنفعهم ولا تنفع بلادهم

تركيب الانسان

المرء مطبوع منذ حداثتهِ على البحث والتنقيب للوقوف على الاسرار والمخبئات . فاذا اعطيت صبيًّا لعبةً تراهُ لا يهدأُ لهُ بال حتى يعلم كيفية تركبها وتحركها ولو ادَّى ذلك الى تكسيرها وتخريبها . ومن الغريب ان الانسان لا يدع شيئًا حولهُ حتى يتأملهُ ويدرسهُ اما تركيب جسمهِ فقلما يكترث لهُ وقد لا يعرف عنهُ سوى ما يتلقنهُ عنهُ في المدارس من المصطلحات العلمية والمسميات الاعجمية حالة كونهِ من ابدع ما خلق الخالق ودرسهُ من الذّ الدروس واشهاها . ولذا عنيت بجمع طرف مما وصل اليهِ بحث العلماء في هذا الشأن وافرغتهُ في قالب قريب المأخذ تفكرة للذين يودون معرفة انفسهم بغير ان يتكلفوا عناء المطالعة في المطولات

جسد الانسان مؤلف من بعض الغازات والسوائل والجوامد وهو على اختلاف انواعهِ ودرجاتهِ من الزنجي الى القوقاسي ومن الملك الى الصعلوك ومن الحكيم الى الجاهل مؤلف من عناصر متماثلة لا تفرق في الواحد عما هي في الآخر

وهو وان ظهر للعيان جامدًا فاكثرهُ مؤلف من غازات اذا أُفلتت منهُ ملأَت وعاءً كبيرًا اتساعهُ ٣٦٤٩ قدمًا مكعبةً . والعناصر الرئيسية التي يتركب منها ثمانية خمسة منها غازيَّة . وهي الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكلور والفلور . وثلاثة جامدة وهي الكربون والجير والفصفور . وفيهِ غير ما تقدم كميات قليلة من ستة عناصر اخرى . وهي الحديد والكبريت والصوديوم والبوتاسيوم والسليكون والمغنيسيوم . ومجموع ذلك اربعة عشر عنصرًا . وقد يوجد في بعض الاجسام مقادير صغيرة جدا من عناصر اخرى دخيلة عليها كالنحاس والالومنيوم والمنغنيس والرصاص والزئبق والزرنيخ والليثيوم

وهاك نسبة الاربعة عشر عنصرًا بعضها الى بعض في جسم الانسان المعتدل (١) مرتبة بحسب مقاديرها :—

	قمحة	اوقية	رطل
اوكسجين	٠	٠	١٠٦
كربون	٠	٨	٢١
هيدروجين	٠	٨	١٣
نيتروجين	٠	٨	٤

(١) اطلقنا عبارة الجسم المعتدل هنا على الانسان الذي يبلغ وزنهُ ١٥٠ رطلاً مصريًّا

	قمحة	اوقية	رطل
جير	٠	٠	٢
فصفور	٠	٨	١
كلور	٠	٤	٠
صوديوم	٠	٣	٠
كبريت	٢٤٠	٢	٠
فلورين	٠	٢	٠
بوتاسيوم	٠	١	٠
حديد	٤٨	٠	٠
مغنيسيوم	١٢	٠	٠
سليكون	٢	٠	٠
مواد اخرى	١٧٨	٣	٠
والمجموع	٠٠٠	٠	١٥٠

"والاوكسجين" اهم تلك العناصر واكبرها مقداراً ويدخل في تركيب اللحم والعظم. وهو منضغط ضغطاً شديداً في الجسم فان حجمهُ الطبيعي لو أُفلت منهُ يملأُ انبوبة زجاجية اتساعها من الداخل قدم مربع وطولها ١١٩١ قدماً اي نحو ربع ميل. واذا افرغناهُ في براميل اقتضى ٢٠٢ يسع كلٌّ منها ٣٦٠ رطلاً

اما "الهيدروجين" فاعظم حجماً من الاوكسجين لكنهُ اخف منهُ وزناً. ففي الجسم المعتدل من الهيدوجين ما يكفي لطيران بالون يحمل ذلك الانسان والمركبة التي يجلس فيها. وحجمهُ يساوي ٢٤٠٠ قدم مكعبة وهو يملأُ غرفةً ارتفاعها عشر اقدام وطولها ١٥ ١/٢ قدماً في مثلها عرضاً

"والنيتروجين" لا يزيد مقدارهُ في الجسم على نصف اوقية في كل رطل منهُ. اما حجمهُ عند افلاتهِ فيبلغ عشرين ضعفاً من الجسم اي ٥٨ قدماً مكعبة ومع ذلك فانهُ لا يشغل فيهِ سوى بضعة عقد مكعبة. ومن خواصهِ العجيبة انهُ يكرهُ الاتحاد مع غيرهِ من العناصر ولذلك أُطلق عليهِ اسم الازوت اي العنصر العديم الحياة. امَّا اذا أُكره على الاتحاد فحينئذٍ تظهر قوتهُ وتتجلى فعلهُ فيفيق من سكونهِ ويهبُّ بفرقعة شديدة ويصبح اشدَّ العناصر فعلاً. واليهِ ينسب فعل جميع المواد المفرقعة المعروفة كمركَّب النيترو جليسرين او مركَّب كلوريد النيتروجين الذي هو اعظم المتفرقعات فتكاً واكثرها خطراً فانهُ يشتعل بمجرد وقوع اشعة الشمس عليهِ

اما في الجسم فينسب اليهِ فعل الدماغ والاعصاب وذلك بواسطة اتحادهِ مع عناصر اخرى ومنهُ تبدو كل ظواهر الحياة والنشاط مع انهُ في حدّ ذاتهِ مثال الموت وعدم الحياة

"والكربون" — وهو آخر العناصر التي تشغل حيزًا كبيرًا من الجسم — ووزنهُ ٢١ رطلاً ونصف رطل. وهو وقود الجسم فمنهُ نستمد الحرارة وبهِ نستعين على الحركة وعليهِ نتوقف حياتنا الحيوانية

ويتضح مما تقدم ان الاربعة العناصر السابق ذكرها يتألف منها ٢/١ ١٤٥ رطلاً من جسم الانسان المعتدل القامة وتدخل في تركيب الدم واللحم والعظم. اما العشرة العناصر الباقية فلا يزيد وزنها كلها على اربعة ارطال ونصف رطل الاَّ انها غاية من الاهمية للحياة لا غنى للجسم عنها كما سيجيءُ

* ففي الجسم رطلان من "الجير" و ٢٤ اوقية من الفصفور ولولا هذان العنصران لما انتصبت قامة الانسان ولا سار على قدميهِ بل عاش رخو العظام لينها يزحف كالدبابات على وجه البسيطة. وعليهِ فرطلا الجير في الانسان هما علة ايجاد المعامل واصطناع الآلات في العالم وسبب انشاء السفن ومدّ السكك الحديدية وبهما اقيمت الابنية الشاهقة وعمرت الممالك الآهلة. ولو خلق الانسان بدونهما لكان مأواهُ شقوق الارض ومغاير الجبال يخرج منها صباحًا ليلتقط البقول والاثمار واوراق الاشجار ويدبُّ اليها ليلاً للمبيت والالتجاء

اما "الفصفور" فمن غريب امرهِ انهُ رغمًا عن كونهِ سمًّا زعافًا يحوي الجسم منهُ رطلاً ونصف رطل في عظمهِ ولحمهِ وعصبهِ بغير ان يتأثر من فعلهِ السام مع ان كمية كهذه تكفي لقتل سكان قرية من القرى الكبيرة عن بكرة ابيهم اذا هم تناولوهُ . او تكفيهم ليعملوا منهُ ما يلزم لهم من عيدان الفصفور لانهُ يصنع من هذا المقدار الصغير ٨٠٦٤ علبة من العيدان في كل منها ٦٠ عودًا . وفائدة الفصفور للعظام انهُ باتحادهِ مع الجير والاكسجين يكوّن ما يعرف بفصفات الكلس وهي مادة صلبة جدًّا واليها تنسب متانة العظم وصلابتهُ . واما فعلهُ بانسجة الجسم الاخرى فلم يكشفهُ العلم للآن تمامًا لكن هذا الفعل كبير ودليل ذلك انهُ اذا نقصت كمية الفصفور في جسم الانسان انحرفت صحتهُ وفترت همتهُ ولا تعاودهُ قوتهُ الاَّ اذا استردَّ القدر اللازم منهُ بواسطة المداواة والتغذية . وقد ذهب جمهور من العلماء ان من هذا العنصر تتولد القوى العقلية في الدماغ ومما لا ريب فيهِ ان للفصفور فعلاً شديدًا في القوى العصبية

"والحديد" ضروري جدًّا لحياة الجسم فلولاهُ لعجز الدم في دورتهِ عن نقل الاكسجين من الرئتين الى جميع اطراف الجسد . واذا استخرجناهُ من جسم اشد الرجال بأسًا وقع بعد

برهة ميتاً مع ان كميتهُ فيهِ لا تزيد على عُشر اوقية اي ما يعادل اربعة او خمسة من المسامير الصغيرة

والخلاصة ان الحكمة الالهية قضت بان كل عنصر في الجسم يكون ضرورياً للحياة سواء كان مقدارهُ فيهِ كبيراً او صغيراً ولذا يتعذر علينا تفضيل احدها على الآخر . ويطول بنا الشرح لو اتينا على الفوائد الكثيرة التي يجنيها الانسان من كلٍّ من بقية العناصر البسيطة الداخلة في تركيب جسمهِ وهي الصوديوم والبوتاسيوم والكبريت والكلور والفلور فنقصر الكلام على المواد التي تتركب من اتحاد عنصرين فاكثر معاً اذ قلما نجد عنصراً بسيطاً يسرح في الجسم مستقلاً عن غيرهِ الاَّ اتفاقاً كبعض آثار من الاكسجين او النيتروجين او قليل من دقائق الكربون في الرئتين . بل نراها كلها متمازجة بعضها مع بعض بكميات مختلفة واشكال متنوعة . وميلها الى الاتحاد شديدٌ طبيعيٌّ لا تفصم عراهُ الاَّ بفعل كيماوي قويّ . وما قوى الانسان سوى تحويلٍ بعض اشكال تلك المواد المركبة الى اشكال اخرى ابسط منها . ولا يخفى ان تركيب هذه المواد يتمُّ في المملكة النباتية بفعل الشمس ثم تنتقل من النبات الى الحيوان بطريق الغذاء

و"الماء الزلال" اكثر العناصر المركبة في الجسم واهمها . وهو مؤلف من اتحاد جزئين من الهيدروجين بجزءٍ من الاوكسجين . وتبلغ كميتهُ في الجسم المعتدل من ٩٠ الى ٩٦ رطلاً وفوائدهُ للحياة متعددة لكن اعظمها ما يأتي :

من المعلوم ان القسم الاكبر من العظام والدهن يتألف من مادة غير آلية اي لا حياة فيها . اما المادة التي تجعل الجسم حيًّا فهي "البروتوبلازم" ومنها يتركب الجزء الاعظم من العضل والدماغ والعصب والرئتين والقلب الخ . والبروتوبلازم ملايين من الكريات الصغيرة مرصوفة الواحدة بجانب الاخرى وملتحمة بعضها ببعض على انساب مختلفة . وهي لا تعيش الاَّ في الماء كالسمك واذا أُخرجت منهُ ماتت في الحال . فحيثما يكون البروتوبلازم في الجسم (وهو في جميع اجزائهِ تقريباً) تراهُ غارقاً في مسيل من الماء الجاري يقضي فيهِ كل مدة وجودهِ

والماء فضلاً عما تقدَّم ضروري لكل عمل يأتيهِ الجسم فهو الذي يحلل الطعام ويحمل كريات الدم ويرطب الاغشية المبطنة للفم والانف والحلق وكافة الجدران الداخلية . وهو الذي يتجمع كوسادة حول القلب واعضاء البطن فيصونها من العطب ويخفف حرارة الجسد عند تبخرهِ في شكل العرق الى غير ذلك من المنافع الجزيلة . وكلما غزرت كمية الماء في الجسم زادت الحياة نشاطاً فاليهِ ينسب ميل الاولاد الى كثرة الحركة والى قلتهِ في الشيوخ يعزى بطوء حركتهم

" وملح الطعام " لهُ شأن عظيم في الجسم وهو من جملة المواد المركبة فيهِ ويتألف من امتزاج عنصر الصوديوم الجامد بعنصر الكلور الغازي . ويظهر انهُ ضروري لحياة كل عضو من الاعضاء وهو موجود في الدم والعضل وسائر السوائل والجوامد. وفائدتهُ انهُ يهيّئ السوائل لتمرّ في ادق الاوعية ويساعد في تحويل الغذاء من المعدة والامعاء الى مجرى الدورة الدموية وفي انتقال الدم من اطراف الشرايين الدقيقة الى الانسجة المختلفة . وقد دلنا الاختبار على انهُ اذا حُرِم الانسان من ملح الطعام اعتلّ جسمهُ سريعاً وانتهى الى الموت . وكميتهُ العادية في الجسم نحو ست اواقٍ او سبع فقط ومع ذلك فان الانسان لا يحرص عليهِ بل يفرّط فيهِ ويضيع منهُ نصف اوقية يومياً

" والصودا اوكربونات الصودا " مادة مركبة من اتحاد الصوديوم بالكربون والاكسجين ولها فعل عظيم لاغنى عنهُ البتة . فان كمية صغيرة جدًّا منها تدور مع الدم ذائبة فيهِ الى جميع اجزاء الجسد كالكنّاس الذي يسير في الطرق ليجمع الزبالة فتقبض على كل ما تعثر بهِ من ذرّات الحامض الكربونيك السام وتحملهُ الى الرئتين لتطردهُ مع الهواء الى الخارج . وهذا الحامض السام يتولد بلا انقطاع في الجسم كلما عمل عملاً شاقًّا كان او طفيفاً فكل خفقة في القلب وارتفاع في الصدر بل كل ثنية اصبع او اغماض عين يفرز جزءًا من الحامض الكربونيك . واذا لم يبادَر الى تطهر الجسم منهُ اولاً فأولاً تجمَّع فيهِ سريعاً في بضع دقائق واوردهُ حتفهُ . والصودا من المركبات التي تكوّن العظام والاسنان بامتزاجها مع فصفات الكلس وفصفات المغنيسيا وفلوريد الكلس

وفي الجسم املاح كثيرة غير ملح الطعام تتولَّد باختلاط الصوديوم والبوتاسيوم والالومينيوم مع الهيدروجين والاكسجين . وفائدتها انها تحفظ الدم وبقية السوائل في حالة قلوية دواماً اي انها تقي اجسامنا من احد الاخطار التي تهدد حياتنا لانهُ اذا استحال الدم يوماً الى حامض خمدت انفاسنا في الحال . ومن تلك المركبات ايضاً " كلوريد الامونيوم " وهو للجسد كالبهار للطعام . ومنها " كلوريد البوتاسيوم " " والحامض الهيدروكلوريك " وهذا الاخير من المواد الاساسية لحفظ الحياة فيتركب منهُ كمية صغيرة في المعدة عند اللزوم لقتل اكثر انواع الميكروبات السامة التي تدخل الجوف مع الطعام وهو يمنع الاختمار ويساعد الهضم . وفي اجسام المتمدنين مركّبات اخرى " كالحامض البوريك " " والحامض السليسيليك " تستخرجها من اللبن والزبدة واللحوم لكنهـا لا تدوم فيها طويلاً . وكذلك تستخلص الحديد والنحاس والانتيمون والزرنيخ مما يتناولونهُ من الشاي والبيرة والخضر المخللة وما اشبهها

هذا وكل المركبات السابق ذكرها وكثير غيرها مما لم نذكرهُ تعرف بالمواد غير الآلية (اي المستمدة من المملكة الجمادية التي لا حياة فيها) . اما المركَّبات الآلية (المأخوذة من المملكتين النباتية والحيوانية) فمتعددة ايضاً وهي تتألف من المركَّبات غير الالية كما تتألف هذه من العناصر البسيطة . واكثر المواد الآلية حوامض توجد في الجسم بكميات صغيرة جدًّا ولولاها لذابت الاجسام كقطعة من السكر

" فالبروتئيد " — او المادة الزلالية وقلما تختلف عن بياض البيض — من المركبات المؤلفة من اتحاد بعض الاملاح والحوامض والعناصر المارّ ذكرها . وهي المادة الحية في الجسم وتدخل في تركيب العضل والقلب والرئة والدماغ والعصب والدم وتوجد في كل جامد وسائل ما عدا الصفراء . والبروتئيد يدخل الجسم من اللبن واللحم والبيض والسمك وبكميات قليلة من الخضر . ومن مميزاتهِ انهُ يحتوي على النيتروجين

وربما كان اقرب تعريف للحياة انها فصل الكربون والنيتروجين من البروتئيد . وما التفكر وتأليف الكتب والقاء الخطب وابتكار المخترعات والاهتداء الى المكتشفات وغير ذلك من افعال العقل سوى انفصال الكربون عن النيتروجين في دماغ المؤلف والخطيب والمخترع والمكتشف الخ

" والنشاء " " والدهن " يتناولها الجسم من الطعام ايضاً . ويتركبان من كربون واكسجين وهيدروجين على نسب معلومة وتمرُّ عليهما بعد دخولها الجسم تقلبات عجيبة . فاغلب الدهن يلتقي في الاحشاء بمادة قلوية جاءت اليها عمدًا من الكبد والبنكرياس لتتحد بهِ ويكوّنان مركبًا اشبه بالصابون ويتخلَّف عنهما كمية من الجليسرين ايضاً . ولا يصعب على الجسم ان يصطنع الدهن من نفسهِ اذا قدَّمت اليهِ لحمًا هبرًا او غذاء نشويًّا او سكرًا فيحولهُ الى دهن نقي عند الاقتضاء . وكذلك ينقلب النشاء في الجسم الى سكر باتحاد قليل من الماء بهِ لان السكَّر نشاء وماء متحدان معاً . ومتى بلغ السكر الدم فإِما ان يحترق في الانسجة او يظلّ سائرًا الى الكبد حيث يخرج الماء منهُ ويعود نوعاً من النشاء . وعند ما يشعر الانسان بالجوع يتحول هذا النوع من النشاء الى سكر ثانية ويدخل الدم ويحترق فيهِ ويتحول الى حامض كربونيك وماء . فالسكر في الجسم كقطع النقود الصغيرة في الجيب تنصرف سريعاً ولكن كميتها فيهِ تبقى قليلة على الدوام . اما اذا اراد الجسم ان يكون مقتصدًا حوَّل السكر الى مادة تعرف بالإِينوسيت وهي حلوة نظيرهُ لكنها لا تذوب في الماء فتبقى طويلاً في الكبد والطحال والرئتين والعضل وتكثر في ابدان المدمنين على الاشربة الروحية

ومن المركبات الآلية الاخرى في الجسم "الكحول" ويوجد في الدم والصفراء والعضل والدماغ. "والصمغ" ويوجد في الغدد التي تفرز اللعاب وفي الرئتين. "والببسين" الذي يهضم الطعام في المعدة. ونوع او نوعان من "الخمير". وكذلك "الاصبغة" التي تكسب الشعر والعينين الوانها. ومن المقرر انهُ لا قدرة للجسم على اصطناع هذه المركَّبات من المواد التي تتألَّف منها بل ترِد اليهِ جاهزةً. وغاية ما يعملهُ انهُ يحوّل مادة مركَّبة الى اخرى ابسط منها

ولا شبهة في ان "الدم" يُصنع داخل الجسم وان كانت طريقتهُ لم تعرف تماماً حتى الآن. واذا خسر المرءُ رطلاً من دمهِ استعاضت الاوعية عنهُ حالاً برطل من الماء تمتصهُ من الانسجة ثم تشحنهُ سريعاً بالعناصر اللازمة ليقوم مقام الدم المفقود. فمقدار الدم ووزنهُ ثابتان في الانسان الواحد لا يتغيران في حالة الصحة وان اختلفا غالباً باختلاف الاشخاص. وتقدر كمية الدم بجزء من اربعة عشر الى جزء من اثني عشر من ثقل الجسم المعتدل اي بين ٤/٣ ١٠ الرطل و ٢/١ ١٢ رطل. ونسبتهُ اقل من ذلك في جسم المرأة وفي جسم الرجل السمين

ومن غريب اعمال الجسم انهُ يستخلص من المادة الواحدة — وهي الدم — جميع المواد اللازمة لبناء كل عضو من اعضائهِ المختلفة. فينتقي منهُ المركبات المشتملة على الجير والفصفور والاكسجين والهيدروجين والكربون لعمل "الهيكل العظمي" وهو دعامة اعضائهِ وسندها ويبلغ وزنهُ ١٤ في المئة او نحو سبع جسم الرجل و١٣ في المئة او نحو ثُمن جسم المرأة اي انهُ ٢١ رطلاً في جسم الرجل المعتدل

ويتناول الجسم مواد اخر من الدم لتركيب "العضل" وهو يحتوي على نصف كمية الماء ونصف مادة البروتئيد في الجسم كلهِ ووزنهُ يبلغ ثلاثة اسباع الجسم اي نحو ٦٣ او ٦٤ رطلاً

ويستخرج الجسم "الدهن" من الدم تام التركيب في الغالب ويخزنهُ الى وقت الحاجة ثم يستعملهُ كغذاء. والدهن اكثر المواد تغيرًا في مقدارهِ فيختلف مقدارهُ في الشخص الواحد سريعاً باختلاف الصحة والهواء والطعام والعمل وغير ذلك من تقلبات الحياة. لكنهُ يعدل بين جزء من اربعين وجزء من عشرين من الجسم اي بين ٤/٣ ٣ و٢/١ ٧ من الارطال

وما بقي من وزن الجسم يقدر بنحو ٥٠ رطلاً كما تراهُ في الجدول الآتي على وجه التقريب

الهيكل العظمي	٢١	رطلاً
العضل	٦١	"
الدهن	٥	"

الدم	١١	رطلاً
الكبد والرئتان والقلب والطحال والنبكرياس والكليتان والاحشاء والدماغ والاعصاب والجلد والشعر و الاظافر	٥٠	"
والمجموع	١٤٨	"

والخلاصة ان بناء الانسان جسمهِ يضادُّ على خط مستقيم بناء الاشياء التي يعملها لنفسهِ. فهو يشيد القلاع مثلاً من الصخر الاصمّ لكي تظلّ قائمة اعواماً عديدة ويبني السفن من الحديد الصلب حتى تقاوي الدهر زماناً طويلاً اما جسمهُ فيبنيهِ ليتلف سريعاً فلا شيء ثابت فيهِ بل هو عرضة لتحليل وتجديد مستمرين ما عدا عظامهُ واسنانهُ . يعمّر البيت من الحجر والجير والرمل بغية ان تدوم راسخة فيهِ طالما هو مشيد الاركان ويقيم جسمهُ من مواد كهذهِ وغيرها ولكن لكي تقاتل بعضها بعضاً وتعمل الواحدة منها على هلاك الاخرى . وما الحياة سوى زحام وعراك

يوسف بشتلي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سباق الكاس الاميركية

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

طالعت في مقتطف اكتوبر مقالتكم عن سباق اليختين الانكليزي والامركاني في ميناء نيويورك في شهر اغسطس الماضي ولما كنت قد شممت منها رائحة ميلكم الى الظن ان اليخت الانكليزي شمروك الثالث اقلّ سرعة من اليخت الاميركاني جئتكم بهذه الاسطر لاذكر ما علمتهُ عن هذا السباق من ارباب الفن الذين يعوّل عليهم في هذه الامور

ان هذا السباق لا يدل على ان اليخت الانكليزي اقل سرعة من اليخت الاميركاني . وما دامت الشروط المفروضة على ما هي عليهِ الآن لا يؤمل نجاح يخت انكليزي لسببين مهمين—

الاول لان احد الشروط يقضي بان يبنى اليخت في بلاد الانكليز ويؤتى بهِ الى نيويورك على قماشهِ (كما هو معروف في اصطلاح البحرية) وان لا تجرهُ باخرة الاَّ ان سكنت الريح اياماً محدودة وهذا نادر جدًّا في الاوقيانوس الاتلانتيكي. ولا يخفى على احد ان يخت السباق كفرس السباق فكما ان تكون هذه ضئيلة نحيفة لا تصلح لجر الاثقال او الركض على الارض الوعرة بل على ارض السباق المستوية كذلك اليخت يبنى من موادّ خفيفة يؤثر فيها اقل طارىءٍ يطرأ عليها . فسفر اليخت من بلاد الانكليز الى اميركا على قماشهِ مدةً لا تقل عن خمسة عشر يوماً في الاوقيانوس يضرُّ بهِ ضررًا عظيمًا لان امواج المحيط الهائلة تلطمهُ كل يوم الف لطمة والرياح تدفعهُ من جهة الى اخرى فلا يصل الى اميركا الاَّ وقد تغيرت خطوطهُ الاصلية واختلَّ الحساب الذي بني عليهِ . ويعلم القارىءُ مقدار ذلك الخلل مما طرأَ على احد هذه اليخوت اذ وصل الى اميركا وقد اعوجّ كالقوس فاصبح اقل صلاحية للغرض الذي عُمل لاجلهِ . فان تغيرت شروط السباق الحالية وسُمح بارسال اليخت الى اميركا على ظهر احدى البواخر ليصل على حالتهِ الاصلية قوي الامل بعودة الكاس الى بلاد الانكليز

والثاني ان ربان اليخت الانكليزي وبحريتهُ هم اقل خبرةً باحوال ميناء نيويورك من سابقيهم الاميركان ولهذا يسهل الفوز لهؤُلاء لانهم ادرى بساعات هبوب الريح والجهات التي تهب منها ومدة دوامها وغير ذلك من الامور التي تتعذر معرفتها على الغرباء غير الخبيرين باحوال ذلك الميناء

وربما كان هناك سبب ثالث وهو ان الاميركان يبنون عدة يخوت يمتحنونها اولاً ويعينون السابق منها لمسابقة اليخت الانكليزي ولا يخفى على اللبيب اهمية ذلك . فترى مما تقدم ان هذا السباق ربما دام الى ما شاء الله ولا يكون فيهِ الفوز للانكليز ما دامت شروطهُ هي هي . على ان ارباب السفن يعلمون ان هذا لا يبرهن عجز الانكليز عن بناء يخت يضاهي اليخت الاميركاني في السرعة

وقد انبأَنا البرق حديثًا ان السر توماس لبتون اقترح ان يجري سباق بين اليخت الانكليزي والاميركي من اميركا الى انكلترا لتحقيق افضلية احدهما . فاذا اجيب اقتراحهُ فسيرى العالم ان انكلترا كانت ولا تزال ربة البحر مهما ارتقى غيرها من الامم في علوم البحر. واقبلوا فائق احترامي

الاسكندرية احد القراء

العربية والمدرسة الكلية

طالعت الخطبة الانيقة التي فاه بها حضرة الاستاذ جبر افندي ضومط عن اللغة العربية في المدرسة الكلية ونُشرت في الجزء الاخير من المقتطف فاعجبت بالادلة التي اقامها لتبرير ما فعلتهُ المدرسة من نقلها التعليم الى اللغة الانكليزية ولا اقول انهُ الجبان خلا بارض فانهُ فارس الجدل وإمام البحث ويبعد عن الظن انهُ لم يفرض قيام المنتقدين والمعارضين ولكن هل ذكر كل ما يُحتمل انهم يعترضون بهِ عليهِ ودفع حججهم باقوى منها حتى لا يبقى سبيل لقائل . لننظر في ما احتجَّ بهِ نظر المنصف قال : "انهُ لما رأت عمدتنا ودائرة مدبريها بعد اربع عشرة سنة من تأسيسها ان من خرجوا منها وهم نحو من ستين بكالورساً وما يماثل هذا العدد من الاطباء ممن درسوا في اللغة العربية يكفون في سد حاجة البلاد الوقتية . . . وان ما زاد على هذا العدد مالم يكونوا متقنين لغة اجنبية لايجدون لهم مراكز يشغلونها لا في الشام ولا في غيرها بل يصبحون عالةً على البلاد لم ترَ افضل من استبدال لغة التعليم فجعلتها من حينئذٍ الانكليزية بدلاً من العربية "

وهذا تعليل حسن لكنهُ اعرج من وجهين الاول ان مدبري المدرسة ابدلوا العربيَّة بالانكليزية لانهُ تعذَّر على مَن جدَّ من اساتذتهم الاميركيين اتقان العربيَّة ليعلّموا بها ويؤلفوا ولم يتيسَّر للمدبرين ان يتخذوا الاساتذة من الوطنيين . والثاني ان الانكليزية لم تكن شائعة حينئذٍ في سورية ولا في البلاد التي يرجى ان يصل اليها السوريون ولا كانت المهاجرة الى اميركا شائعة ولا كان المدبرون انبياء حتى ينبئوا باحتلال الانكليز لمصر وبقائهم فيها وتدويخهم للسودان واستيلائهم عليهِ . ولا أُنكر ان نتيجة هذا الابدال جاءت حسنة جدًّا ولكنها لم تكن مقصودة حينئذٍ ولو قصدت اليها عمدة المدرسة لابدلت العربية بالفرنسوية لان الحاجة الى الفرنسوية كانت حينئذ امس من الحاجة الى الانكليزية

ثم لو بقيت سورية آخذة في الارتقاء كما كانت في السنين الاولى من عهد انشاء المدرسة ولو بقيت مصر والسودان كما كانتا قبل الاحتلال او لو فاز عرابي وانشأ في مصر مملكة عربيَّة — وكل ذلك كان اقرب حصولاً حين ابدال العربيَّة بالانكليزية مما حصل بعدهُ فماذا كان يفعل ابناء المدرسة الكلية الآن بلغتهم الانكليزية . وغاية ما يقال في هذا الموضوع ان مدبري المدرسة اضطروا الى عمل بحكم الضرورة حينما استعفى بعض اساتذتها ثم طرأ على مصر والشام طوارئ غير منتظرة جعلت ذلك العمل صالحاً لتلامذتها ولو خسرت بهِ بلادهم خسارة قد تفوق ما كسبوهُ

احد ابناء العصر الذهبي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

تكسر العظام

نعني بتكسر العظم كسرهُ الى قطعتين او اكثر . والعظام المستطيلة اكثر تعرضاً للتكسر كما في عظام الساق والذراع . ولكن الجمجمة قد تتكسر وكذلك الاضلاع والخطر من تكسرها اشد من الخطر من تكسر السوق والاذرع لانهُ اذا دخلت شظايا العظم الى الدماغ او الرئتين فقد تكون النتيجة مشومة

وقد ينكسر العظم الى قطعتين فقط او ينكسر الى عدة قطع فتخرق اللحم . وشرٌّ من ذلك ان يتحطم العظم فيتحول اللحم حولهُ الى هلام وتنقطع الشرايين وينزف دم المصاب حتى الموت ما لم يكن بقربهِ احد خبير بايقاف النزف

وايقاف النزف في هذه الحوادث يحفظ الحياة ولكنهُ لا يحفظ الاعضاء . لانهُ اذا تحطمت العظام وتمزَّق اللحم وانقطعت الشرايين فلا يبقى الاَّ البتر . وسآتي على كيفية ايقاف النزف في فصل آخر

ويمكنك ان تعرف بسهولةٍ ما اذا كان العظم قد انكسر حقيقةً او لم ينكسر لانهُ اذا انكسر يتغير شكلهُ في محل الكسر ويصير اقصر مما كان ويمكنك ان تسمع صوت اطراف العظام المنكسرة

وحينما يعرض عارض مثل هذا لا يبقى الاَّ ان تمنع الخطب من التفاقم . مثلاً اذا كان الكسر بسيطاً اي اذا انكسر العظم الى قطعتين فقط فيمكنك ان تمنعهُ من ان يصير مركباً . وذلك بان تمنع العظام من التكسر الى قطع متعدّدة وتمنع شظاياها من خرق اللحم والجلد واحداث الالتهاب . لان ذلك يمنع الجرَّاح من تجبير العظم المكسور . فاول ما عليك ان تفعلهُ اذاً المبادرة الى تثبيت العضو ومنعهُ عن الحركة

هذا هو الوقت الذي يجب على المرء ان يستعمل فيهِ عقلهُ والمواد التي تصل اليها يداهُ

لنفرض ان رجلاً سقط عن جوادهِ وهو يصطاد فكسر ساقهُ . فافضل ما يمكن لرفاقهِ حينئذٍ عملهُ ان يأتوا بقضيبين ويضعوها على جانبي ساقهِ المكسورة ويربطوها بالمناديل . ثم يخلع احدهم رداءهُ ويضع المصاب عليهِ وينقلونهُ الى اقرب منزل او يعود احدهم ويأتي بمركبة فيضعونهُ فيها ويضعون لوحاً من الخشب تحت الساق المكسورة ليسندها ويمنعها عن الاهتزاز ويسيرون بهِ الى البيت

لنفرض ايضاً ان رجلاً كسر ساقهُ او ذراعهُ في احد شوارع المدينة . فاقرب شيءٍ يمكن عملهُ استعمال المظلات او العصي او الجرائد السميكة بعد لفها . ولكن مهما فعلت لا تحمل المصاب الاَّ على لوح او ما اشبه . حدث من عهد قريب ان رجلاً مرَّ قطار سكة الحديد على ساقيهِ فسحقهما فحملهُ رجل على ظهرهِ الى المستشفى وساقاهُ متدليتان في حالة يقشعرّ لها البدن والدم ينزف منهما . ولا خلاف في انهُ كان لا بدَّ من قطع ساقيهِ ولكنهُ كان قد فقد مقداراً وافراً من الدم فمات بعد ساعات قليلة

فلو اعتُني بهذا الرجل من اول امرهِ ونُقل الى المستشفى بطريقة مناسبة لنجا من آلام مبرحة وسلمت حياتهُ

واذا أُعيد العظم الى مكانهِ فيسهل اذ ذاك تمريض المصاب لاسيما اذا وُضع العضو في الجبس او الجبار . فاذا كان العضو المكسور ساقاً وجب ان لا يكون الفراش كثير الليونة وعلى المصاب ان يبقى في الايام الاول مضطجعاً على ظهرهِ مستقيماً واما بعد ذلك فيمكنهُ ان يتحرك في الفراش ويقلب من جانبٍ الى آخر حينما يراد ترتيب فراشهِ وتنظيفهُ وبعد ان تضع يديك تحت الساق المكسورة وترفعها

واذا لم تتخذ الوسائط اللازمة في مداراة المريض فقد تصيبهُ قروح الفراش لان الجبس او الجبار لا ينزعان قبل مضي ستة اسابيع على الاقل . فعليك اذاً ان تتخذ كل التحوطات التي ذكرتها لك لمنع قروح الفراش . واذا لم يمكنك الحصول على وسادة هوائية فاصنع لك وسادةً لينة مستديرة مثقوبةً في وسطها

اما من جهة الطعام فيمكن للمصابين تناول ما يشاؤُون ولكن لانهم لا يكثرون من الرياضة فالافضل لهم ان لا يكثروا من الاطعمة

انكسار الجمجمة

اذا كان من السهل تمريض رجل انكسرت يدهُ او رجلهُ وجُبّرت فليس من السهل تمريض رجل انكسر رأسهُ ولا سيما اذا كان المكسور قاعدة الجمجمة وكان هناك نزف دمٍ في الدماغ

ويستطيع الطبيب ان يعرف ما اذا كانت الجمجمة قد انكسرت او لم تنكسر ولكنهُ لا يستطيع ان يتأكد ما اذا حصل عاهة او نزف في الدماغ الّا بعد مضي ٢٤ ساعة. ويبني حكمهُ في ذلك على ما تخبرهُ بهِ من مراقبتك لحالة المصاب . فاسمح لي اذًا ان اخبرك ما الذي يجب ان تراقبهُ وتطلع الطبيب عليهِ

اولاً لاحظ ما اذا كان الدم يخرج من الفم او الانف او الاذن . وقد يدوم خروجهُ ٢٤ ساعة ويتبين وجود النزف الدماغي من طول الوقت الذي يدوم فيهِ خروج الدم ولو كان ينقط نقطًا . فيجب عليك اذًا ان تلاحظ المدة التي يدوم فيها خروجهُ

ثانيًا لاحظ ما اذا تبع الدم وهو جارٍ من الانف والفم والاذن سائلٌ ابيض صافٍ

ثالثًا لاحظ ما اذا كان العليل يحاول البلع فان كان كذلك فلا بد من وجود شيءٍ يبلعهُ . فقد يسيل الدم الى الحلق ويجري منهُ الى المعدة فلا يظهر للعين ولكن الملاحظ المدقق يكشف حالاً حركات البلع

وفي كل عوارض الرأس يلقى المصاب على ظهرهِ وتوضع وسادة واطئة تحت رأسهِ ويمال رأسهُ قليلاً الى احدى الجانبين وعليهِ ان يمتنع عن كل حركة

ويجب ان لا تسمح لاحد بدخول غرفتهِ وعليك ان تتحاشى الحديث معهُ

ولا يغذّى المصاب الّا بالاطعمة السائلة واذا امكن تبريدها فلا بأس . وناولهُ الطعام بالملعقة . والقليل من الطعام خير من الكثير منهُ

وقد يأمر الطبيب بكيس من الثلج فلا تنسَ ان تكسر الثلج الى قطع صغيرة وتغسلها بالماء لتذهب باطرافها الحادة ولا تكثر من وضع الثلج مرةً واحدة لئلاَّ تثقل الرأس. ثم لاحظ الامور التالية وهي

اولاً ما اذا كان المصاب واعيًا او كان ثمت شيء من دلائل الشعور

ثانيًا الحركات التي يحركها بارادتهِ واي عضو يتحرك وفي اي جانب من جسمهِ

ثالثًا ما اذا اصابتهُ نوب او تشنجات واين وكيف تبدأ وهل هي في الابهام فان هذا يسهّل على الطبيب معرفة النقطة التي اصابها الاذى في الدماغ. واهم هذه كلها الحركة الاولى التي يتحركها المصاب

ولاحظ ايضًا لون المصاب وهل تحول لونهُ الى البياض الشديد او الى الزرقة او غير ذلك

انكسار السلسلة الفقارية

قد ينقطع الحبل الشوكي بسبب حمل ثقيل او سقطة عنيفة او غير ذلك . والفقرة السادسة

من السلسلة الشوكية معرضة للانكسار اكثر من سواها . واذا انقطع الحبل الشوكي بطل الحس في الجزء الاسفل من الجسم بانقطاع الاتصال بينهُ وبين الدماغ فتبطل الحركة

واذا حدث الانكسار فوق الفقرة السادسة فنتيجتهُ الموت العاجل . واذا ابنت لك ان السلسلة الشوكية (وهي الانبوب الطويل الذي يحيط بالحبل الشوكي) قد تنكسر وحدها ويبقى الحبل الشوكي داخلها سالماً اتضح لك انهُ من المهم جدًّا ان ينقل المصاب بكل تأنٍّ واعتناء لانهُ اذا زادت الفقرات انكساراً ودخلت شظاياها الحبل الشوكي فالنتيجة اما الموت العاجل او انشلال الاعضاء السفلى

اما تمريض المصابين بهذه العوارض فانها من اصعب الامور . وقبل ان تضع المصاب على الفراش ضع تحتهُ ملاءة مطوية اربع طيات لكي يمكنك ان ترفعهُ عليها في الفراش ولكن لا لزوم لهذه الملاءة الاَّ اذا مست الحاجة اليها فيقف على كل من جانبي الفراش رجل ويمسك بطرفي الملاءة ويمسك ثالث برجلي المصاب فيرفعهُ الثلثة بكل اعتناء وتأنٍّ

ولا بد من ان يوضع المصاب على ظهرهِ مستوياً ويوضع تحت راسهِ اوطأ الوسائد وتجد الممرضة اعظم صعوبة في كيفية وضع الكرسي (المستعملة) تحت المصاب والافضل ان لا يوضع الكرسي تحتهُ ولاسيما في اول الامر بل تضع يديك تحت عجزهِ وترفعهُ بلطف ثم يأتي آخر بخرقة سميكة ناعمة ويضعها تحتهُ حتى يقضي حاجتهُ عليها ولا بدَّ من ان يغسل عجزهُ جيدًا وتتخذ كل الوسائل الواقية من قروح الفراش

امنع المصاب عن كل حركة غير ضرورية واعطهِ في اول الامر غذاء قليلاً وخفيفاً

مرض بُط

ان هذا الداء العياء ويسمَّى مرض بُط نسبة الى الدكتور سيڤل بُط الذي وصفهُ اولاً يكثر حدوثهُ على اثر آفة تلحق السلسلة الفقارية لاسيما في الاطفال والفتيان والفتيات في سني نموهم ولكنهُ قد يصيب ايضاً الاولاد المصابين بالتدرن حتى من غير ان يعرض لهم عارض . فاذا عرض لعظم شيء اضرَّ بها او اذا ضعفت السلسلة الفقارية بسبب مرض حتى لم تعد تستطيع حمل الجسم مستقيماً فان ثقلهُ يدعو الى انحنائها فيشب الولد وهو محدودب الظهر

وفي بداية الامر لا تبدو لهذا الضعف دلائل خارجية ولكن يشكو الولد تعباً والماً حينما يتحرك فاذا سقط منهُ شيء فلا ينحني ليلتقطهُ بل يقعد القرفصاء ويلتقط ما سقط منهُ ثم ينهض . فاذا بدت عليهِ هذه الاعراض فعلى اولي امرهِ ان يبادروا ويدعوا طبيباً لفحصهِ لانهم اذا اهملوا امرهُ تحمل آلاماً شديدة كان يمكن اجتنابها وشب محدودب الظهر

وتقتصر مداواة هذا الضعف غالبًا على الادوية المقوية والاطعمة المغذية والاكثار من تناول اللبن والبيض وما شابههما وقضاء الوقت في الهواء النقي ولكن بدون ترويض الجسم على الاطلاق . ومن افضل طرق المعالجة ان يبقى العليل مضطجعًا على ظهرهِ ولا تسمح لهُ ان يجلس في سريرهِ ولا دقيقة واحدة . ويجب ان يكون الفراش مستويًا والوسادة واطئة وان يستلقي على الفراش مستقيمًا . وقد يضعهُ الطبيب في جبار فيضطر الى البقاء بغير حركة ولكن يجب ان تنزع الجبار كل يوم ويغسل جسمهُ كلهُ وهذا يقضي عليهِ وعلى والدتهِ او ممرضتهِ بالتعب الشديد لان الولد يجب ان يتسلى ويلهو والاَّ فتكون حياتهُ عبئًا ثقيلاً عليهِ

ويجب ان يخرج سريرهُ كل يوم الى حديقة او الى شرفة ويوضع في الشمس شتاء وفي الظل صيفًا

وقد يحدث خراجات في اربية الفخذ فيجب ان تُفتح وتنظَّف كل يوم وتضمد . واذا نقل المصابون الساكنون بعيدًا عن البحر الى السواحل البحرية والساكنون على السواحل البحرية الى الجبال ينتج عن ذلك نفع جزيل . ولكن افضل العلاجات واحسنها الراحة التامة والصبر الجميل ولا سيما في البالغين الذين اصابهم هذا المرض لعارض عرض للسلسلة الفقارية . وواضح ان ما يكابدهُ البالغون اشد مما يكابدهُ الاولاد لان البالغين يتألمون من اجسامهم ومن افكارهم ايضًا

الحرق والسلق

لقد تعجب من قولي ان السلق الواسع شرٌّ من الحرق الضيق ولو كان الحرق اعمق من السلق . والسبب في ذلك ان من وظائف البشرة مساعدة الكليتين بالافراز فكلما اتسع السطح المتضرر كثر العمل على الكليتين وبالنتيجة زاد ما يكابدهُ الجسم من التعب

اذا رأيت انسانًا لعبت النار بثيابهِ فافضل ما تفعلهُ ان تبادر الى ملاءة او سجادة وتلفهُ بها . هذه هي الطريقة الوحيدة لاطفاء مَن علقت النار بثيابهِ بدون ان تسبب لهُ اذًى . واكثر الناس يفقدون رشدهم اذا لعبت النار بثيابهم فيجرون على غير هدًى ولا يعلمون انهم بفعلهم هذا يزيدون اللهيب قوَّةً بتهويتهِ . فاذا لم يكن على مقربة ممَّن اصابتهُ النار احد فعليهِ ان يبادر الى شيءٍ يلف بهِ جسمهُ فتنطفئ حالاً . وهذا العمل يمنع امتدادها ولكنهُ لا يرد ما قد سببتهُ من الاذى . فاذا كان الضرر قد حصل فهذا ما عليك فعلهُ . انزع الثياب عن المصاب بكل تأنٍّ واعتناء لكي لا ينتزع الجلد معها ثم لفهُ ولا سيما القسم المحروق او المسلوق منهُ بثيابٍ لمنع الهواء عن مس الجلد المحروق وضع قليلاً من مسحوق الحامض البوريك او ماء الورد في ماء سخن وضع العضو المحروق في الماء واغسلهُ باعتناء وامسحهُ بخرق من الشاش الناعم او

القطن المندوف واغمس خرقة بقليلٍ من زيت الزيتون النقي وضمد بها الجراح ثم ضع فوقها خرقةً ناشفةً واربطها الى ان يحضر الطبيب

وقد يأمر الطبيب بغسل الحروق يوميًّا في محاول البورق الفاتر او زيت اليوكالبتوس او ما شابههُ . فعليك ان تستعمل خرقةً ناعمة نظيفة او نسالة . مُد الدهون عليها بسكين نظيف مدًّا متساويًا واطوها وضعها في علبة نظيفة من التنك لتستعملها عند الحاجة . وتحتاج ايضًا الى قطن مندوف وربائط . ولا تدع الضماد يجف على الجرح فيسبب المًا مبرحًا وضررًا بليغًا . فاذا اردت ابدال الضمادات فبلّ الحرق اولاً لكي لا تنزع الجلد عند نزعها . واذا كانت الحروق كبيرة جدًّا فالمحروق في خطر بسبب وقوف القلب عن العمل . فعلى اولي امرهِ ان يعتنوا بهِ كل الاعتناء ويغذوهُ دائمًا باللبن والشاي . وقد تدعو الحاجة الى المنبهات اذا هبطت درجة حرارتهِ او أُغمي عليهِ

الاولاد ملوك الملوك

مهما علا شأن الملك او الامير او الوزير او العالم الكبير فان الطفل الصغير يملك عليهِ كما يملك هو على اوضع الناس واحقرهم . وقصص الملوك والامراء والوزراء والعلماء مع اولادهم واولاد اولادهم اكثر من ان تحصى ويستدلُّ منها كلها على ان الشأن الذي يكتسبهُ الانسان من سنهِ او مقامهِ او علمهِ واختبارهِ يغفلهُ الطفل الصغير وينظر اليهِ كانسان تجرَّد عن كل هذه الزوائد وهو ينظر الى نفسهِ كذلك في حضرة الاطفال فيخلع ثوب العظمة ويعود الى الفطرة الاولى

اذكرنا هذا الموضوع فصلٌ قرأناهُ الآن في جريدة المرآة اليومية (الدايلي مرور) عن ملكة ايطاليا الشابة فان لها طفلتين وهي تترك ابهة الملك لاجلهما مع ما عندها من الخدم والحشم فلا يتكلم نساء ايطاليا عن حللها الفاخرة ولياليها الراقصة عشر معشار ما يتكلمنَ عن هاتين الطفلتين واعتنائها بهما . واذا زارها نساء ايطاليا فضلت الكلام مع الحديثات السن منهنَّ وكان كلامها معهنَّ على تربية الاطفال . وهي تقضي مع طفلتيها كل الوقت الذي تمتلكهُ وتقوم اليهما في الليل مرتين على الاقل

ملكة ايطاليا

رأينا بعد كتابة ما تقدم ان نلخص هذا الفصل كلهُ لان الملكة شرقية على نوع ما ويود نساء المشرق قارئات المقتطف ان يعلمنَ ما يكون شان اخواتهنَّ الشرقيات اذا تعلمنَ وتهذبن مع بنات الملوك ولبسنَ التاج مثلهنَّ

هي ابنة امير الجبل الاسود وقد صاهر ابوها الملوك مع ان سكان بلاده اقل من سكان جبل لبنان عدداً . ولدت سنة ١٨٧٣ وربيت في بيت ابيها مع مربية سويسرية علمتها اللغة الفرنسوية . وأُرسلت الى مدرسة سمولنا في بطرس برج وعمرها اثنتا عشرة سنة فدرست هناك اللغة الروسية والالمانية وعلوم الادب والتاريخ والموسيقى والتصوير ثم عادت الى الجبل الاسود حيث اتمت دروسها مع ابيها ومع سندسك الشاعر السربي . وقد ورثت من ابيها الميل الى نظم الشعر فنظمت اشعاراً كثيرة بالفرنسوية والروسية نشرتها في المجلة الروسية ندااليا وفي غيرها من المجلات الروسية والفرنسوية تحت اسم مستعار معناهُ الفراشة الزرقاء

وهي مولعة بالصيد والرماية والالعاب الرياضية التي تجلو الصدر وتجيد الصحة . وقد سافرت مراراً الى درسدن وفينا وفنيس لدرس التصوير والتقت ببرنس نابلي ملك ايطاليا الحالي في احدى سفراتها وكان راغباً عن الزواج فلما رآها احبها واحبتهُ واقترنا سنة ١٨٩٦ . ونظم لها الشاعر سندسك السربي ابياتاً خاطب زوجها بها فقال ما ترجمتهُ

يا ابن الملوك الصيد سبط الخالدِ الا — قوال والافعال والآثارِ
يا ابن الكريم ومالك القطر الذي يسمو برونقهِ على الاقطارِ
قد جئتنا فسلبتَ اثمن درّةٍ من تاجنا في اعين النظّارِ

والحق يقال انها درّة ثمينة وهي زوجة ووالدة كما كانت وهي ابنة . وقبل ان تبوأ زوجها عرش الملك كان يقضي اكثر وقتهِ معها وكانت ايامهما كلها نعيماً وحبوراً لاشتراكهما في الاذواق والمشارب فهو يحب بساطة المعيشة ويكره ابهّة الملك وهي كذلك مفطورة على حب البساطة وتكره الظهور والابهّة فقضيا اكثر اوقاتهما في البحر اما في البحر المتوسط او في البحر الشمالي . ولم تتغير اطوارها بعد ان صارت ملكة ايطاليا . وخلاصة تاريخها من حين تزوجت الى الآن انها زوجة محبة لزوجها وامٌ رؤُوف على ابنتيها

وهي سوداء الشعر والعينين اجتمع فيها لطف امها وهمة ابيها

سلطة المرأة

كتب بعضهم في جريدة المرآة اليومية يقول ان الرجل الخاضع لسلطة المرأة يهزأ بهِ الرجال دواماً وقد يهزأ بهِ النساء ايضاً . ولا شبهة انهُ ليس من الحكمة وسداد الرأي ان يجعل الرجل رأيهُ خاضعاً لرأي زوجتهُ وارادتهُ طوع ارادتها لاسيما وانها غير مسؤُولة عما يفعل مثلهُ . فانهُ يجب على المرء ان يكون حرًّا في افعالهِ ما دام هو مسؤُولاً عنها لكن كل من ينكر فائدة آراء

النساء ولاسيما اذا تعلمن وتهذبن كمن ينكر نور النهار . وتأثير النساء في مصالح الناس للخير لا للشر لانهنَّ اقرب الى الفضيلة من الرجال واذا تعلمن وزاد الاعتماد على آرائهنَّ زاد النفع وقل الضرر

وقد قيل ان التي تهزُّ السرير تهزُّ العالم وهو قول مأثور والادلة على صحتهِ كثيرة لان للمرأة يداً في كل مصالح الناس واعمالهم . والغالب انها هي التي تدير اعمال الرجال وتتحكَّم في نتائجها . وما من رجل استشار امرأتهُ في اشغالهِ وتبع مشورتها ثم ندم على ما فعل . وهذا امر قلما ينكرهُ احد

واذا زاد علم المرأة واختبارها زاد شعورها بانها مسؤولة عما تشارك بهِ زوجها من الآراء والافعال وبانهُ يُطلَب منها ان تكون عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية وفي كل مصالح الناس بل ان مستقبل نوع الانسان متوقف عليها وهي التي تفرغ عقول الناس وافكارهم في القالب الذي تختارهُ . فامامها مطلب من اعز المطالب واسماها وقد يعزُّ منالهُ على كثيرات من النساء ولكن مجرَّد النظر اليهِ يرقي آمال المرأة ويشرّف مقاصدها

الحديث على المائدة

يقول علماء الفسيولوجيا ان الحديث على المائدة يسيغ الطعام ويسهل الهضم . ولعلَّ سبب ذلك انهُ يمنع انشغال البال الذي يوجب توارد الدم الى الدماغ وقلتهُ في المعدة . والغالب ان النساء اميل الى الحديث من الرجال حتى قيل ان الله لما خلق آدم وحواء ووضعهما في الفردوس انزل عليهما اثنتي عشرة سلة من الكلام فاسرعت حواء واخذت تسع سلال منها وابقت ثلاثاً لآدم الاَّ ان الابناء يرثون امهاتهم والبنات آباءهنَّ ومن ثم تساوى الفريقان في الميل الى الحديث رجالاً ونساء

والمرأة التي تولم وليمة في بيتها يكون همها الاكبر اذا ارادت ابهاج ضيوفها ان تفكهم بالحديث . فاذا لم تستطع ذلك ولا كان في بيتها من يستطيعهُ وجب عليها ان تدعو واحداً مشهوراً بطيب الحديث وفكاهتهِ والاَّ فاذا جلس المدعوون على المائدة ولم يكن بينهم من يسامرهم ويطايبهم بحديثهِ امست وليمتهم وضيمة مأتم اوكان مجتمعهم بمثابة مطعم يأكل فيهِ التجار مسرعين وكلٌّ منهم مهتم بتجارتهِ

قالت السيدة ماري مري في نبذة كتبتها حديثاً في هذا الموضوع ان النساء قد يفقن الرجال في طيب الحديث ويغنين عنهم ولاسيما اذا تكلمن على المواضيع التالية وهي الفنادق

والطبخ والثياب فان الكلام على الفنادق يقود الى الكلام على الاسفار وما يجده الانسان فيها لاسيما وانهُ يكثر ان يكون بعض المدعوين من الذين سافروا فيأخذون يصفون الفنادق التي نزلوا فيها . والكلام على الطبخ والوان الطعام يجعل الآكل فصيحاً فيشترك اكثر المدعوين في الحديث . واذا دار الكلام على انواع اللباس فمدح الرجال ازياء النساء والنساء ازياء الرجال زاد الوفاق والوئام بين الفريقين

باب التقريظ والانتقاد

واقعة السلطان عبد العزيز

الراسخ في الاذهان ان الترك رجال سيف وسيادة لا يعنون بغير الحرب ولا يرتاحون الأَ الى الامارة وانهم اذا ذكرت دولتهم اعماهم الغرض فلم يروا لها عيباً . لكن من يطالع نفثات اقلامهم يجد انهم أهل قلم كما انهم اهل سيف وانهم من اقرب الكتَّاب الى الانصاف . ولدينا الآن كتاب تاريخي وضعهُ حضرة احمد صائب بك الذي كان ياوراً المختار باشا الغازي جعل مدارهُ واقعة السلطان عبد العزيز وتكلم فيهِ عن معايب ولاة الامور بصراحة لم نرَ مثلها في كتاب عربي ولا في جريدة مهما كانت متغالية في انتقاد اعمال الولاة العثمانيين . عرفنا مؤلف هذا الكتاب وهو شهم فاضل يتقد غيرة على دولتهِ وبلادهِ فاذا كان امثالهُ كثيرين بين ابناء الاتراك فلا يعقل انهم يرضون بهذه الحال زمناً طويلاً

والكتاب يبتدئ من عهد السلطان سليم الثالث ويذكر نكبة الانكشارية التي سماها بالوقعة الخيرية ويتدرَّج في وصف احوال الدولة السياسية والاجتماعية الى خلع السلطان عبد العزيز . وقد نقلنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على طريقة بحثهِ وهو مترجم الى العربية بقلم محمد افندي توفيق جانا

الاخاء المتين بين العلم والدين

هو محاورات بين شيخ وفيلسوف وقسيس وضعهُ حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس فرج صفير لكي يثبت ان العلوم الطبيعية لا تناقض الدين المسيحي . وقد سرَّنا ما قرأناهُ في هذه المحاورات وهو ان مجالس التفتيش لم تنشأ بامر الكنيسة الكاثوليكية ولا برضاها ولكن الكنيسة

قبلت ان تعترف بها ثم لما رأَت ان ملكة اسبانيا تخترق حرمتها وتسيء استعمالها استرجعت براءتها ونقضتها من اساسها . الاَّ ان ما قرأْناهُ من تاريخ هذه المجالس لا ينطبق على ذلك تمام الانطباق . ومهما يكن من امر انشائها وسيرها فقد أُلغيت والحمد لله . ولا بدَّ من ان يزيد الصلاح ويزيد العلم ما داما نافعين لنوع الانسان جريًا على سنة الخالق في خلقهِ وهي بقاءُ النافع وزوال الضار . و يظهر لنا ان الجدال لا يُقنع ولا يفيد وان رجلاً يبذل وسعهُ في تهذيب الاخلاق ولو بسيرتهِ يفيد في نصرة مذهبهِ اكثر من مئات يحاولون تعزيزهُ بالادلة والبراهين . فحبذا لو اشتغل كتَّابنا الفضلاءُ عن الجدل بغيرهِ مما يفيد البلاد والعباد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسأَلتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تاريخ تلماك

مصر . ابرهيم افندي رزق . ذكرتم في الجزء الاخير من رواية كليوباطرة المنشورة في المقتطف ان امرأَة ديون كانت تتحدث مع صاحباتها بحوادث تلماك . ومعلوم ان رواية تلماك الفها فنلون في اواخر القرن الثامن عشر (ولو انها مرتبطة بالحوادث المذكورة في ايلياذة هوميروس) ورواية كليوباطرة تشتمل على حوادث وقعت قبل المسيح بزمان اي قبل ان تظهر رواية تلماك للوجود وهو نقص ظاهر في رواية كليوباطرة ربما فات المؤَلف

ج لا شبهة في ان الرواية التي صنَّفها فنلون مبنية على القصة المذكورة في هوميروس فقد ذكر في هوميروس ان تلماكس هو ابن اوذسيوس (وباللاتينية اولسس) وبنلوبي وكان طفلاً لما تركهُ ابوهُ ومضى لمحاربة ترواده فشب في غيبة ابيهِ وصار رجلاً لان اباهُ غاب عشرين سنة واتت الالهة اثينا الهة الحكمة وتزيت بزي منطور وسارت معهُ للتفتيش عن ابيهِ فزار بيلوس وسبرطة ثم عاد الى اثيكا حيث وجد اباهُ في زي متسوّل وسار معهُ وقتل خطَّاب امهِ . فالقصة قديمة من عهد هوميروس او من قبل عهدهِ وكان اولاد اليونانيين يستظهرون اشعار

هوميروس ويتسامرون بها واخذ فنلون هذه القصة القديمة وبنى عليها كتابهُ المشهور . ولم يذكر ابيرس مصنف رواية كايو باطرة كلمة تلماك بل كلمة اولسس فابدلناها في الترجمة بكلمة تلماك لانها اشهر عندنا والمراد واحد

(٢) جبن جرافير

ومنهُ . كيف يصنع الجبن الفرنسوي جرافير

ج رأينا هذا الجبن يصنع في مجابن سويسرا من حيث يشتريهِ الفرنسويون ووصفنا كيفية عملهِ بالاسهاب كما رأيناها مرأى العين . وتجدون هذا الوصف في الصفحة ٧٦٥ من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٣) عملهُ في القطر المصري

ومنهُ . هل يمكن صنع هذا الجبن في القطر المصري

ج لا نظن الاَّ اذا بُرِّد مكان عملهِ تبريداً صناعيًّا وحينئذٍ تكثر نفقاتهُ ويمتنع عملهُ من باب تجاري

(٤) رحلة فرغوسن

ومنهُ . هل رحلة فرغوسن في اواسط افريقية بالبالون وضعية او حقيقية

ج نظن انكم تريدون رواية ذكر فيها رحلة رجل بالبالون في افريقية ولم نطَّلع على هذه الرواية ولكن لا بدَّ من ان تكون موضوعة لانهُ لم يستتب لاحد حتى الآن ان يرحل في بالون يسير بهِ كيفما شاء

(٥) دواء حب الصبا

السنبلاوين . توفيق افندي لولي . ماهو الدواء لازالة حب الصبا من الوجه

ج لحب الصبا ثلاثة اشكال الاول البسيط وهو الدرجة الاولى او هو حب الصبا قبلما يلتهب . ويعالج بعصر الحبوب الصغيرة واخراج المادة الدهنية منها ودهن الاقسام المصابة بمحلول بي كلوريد الزيبق وتكرار الغسل بالماء الحار

الثاني الوردي وهو يصيب الانف واكثر ما يصيب المولعين بشرب المسكرات ويعالج بالامتناع عن شرب المسكرات وباصلاح الهضم وغسول اللوز او الغلسرين واذا كانت العلَّة شديدة يوضع على الوجه لزقة من الخبز ليلاً

الثالث المتصلب وهو الحبوب التي تتصلَّب قواعدها وتلتهب وتستعصي وتبقى مدة بدون تقرُّح . وعلاجهُ الغسل بالماء الفاتر مع قليل من الجلاتين ثم يدهن بدهان هيبوكلوريد الكبريت

---

(٦) حمل طويل

دمياط . احد القراء سيدة انقطع املها من الحمل منذ سبعة اعوام وفي شهر نوفمبر الماضي ابتدأ حملها وظهر معهُ مرض شديد في الاحشاء فكان يعتريها نوبات شديدة حتى يكاد يغشى عليها مع برد في الاطراف وصفرة شديدة في اللون وهزال في الجسم . ومرَّت

اشهر الحمل وكانت علاماتهُ ظاهرة بالبحث الطبي وبارتكاض الجنين منذ شهر ابريل الماضي . وعند حلول الشهر التاسع ابتدأ نزف دم شديد وخروج مواد اخرى سائلة ومضى الشهر التاسع والعاشر الى الثاني عشر ولم تضع ولا يزال الجنين يرتكض كالعادة وتشعر احياناً بقرب الوضع ولكنها لا تضع مع انها قبل سبعة اعوام كانت تحمل وتضع بسهولة فما سبب تأخر وضعها الآن او ما هي هذه الحالة

ج يقول الطبيب الذي اطّلع على سؤالكم انهُ يحتمل امر من ثلاثة امور الاول ان يكون الحمل كاذباً ولو شعرت بالارتكاض الذي تشيرون اليهِ والثاني ان يكون حدث اجهاض فمات الجنين ولم يخرج حتى الآن والثالث ان يكون الحمل الحقيقي حدث بعد التاريخ الذي تشيرون اليهِ . والطبيب الماهر في فن الولادة يستطيع ان يعين الامر الواقع فلا بدَّ من ان يستدعى لها طبيب ماهر في فن التوليد ان لم يكن قد انجلى الغامض منذ ارسال سؤالكم الى الآن

(٧) عدوى التثاؤب

جزيرة البحرين . احد المشتركين يقول ابو العلاء المصري

تثاءب عمرٌو اذ تثاءب خالد
بعدوى فما اعدتني الثؤباءُ

فما سبب التثاؤب وهل دعوى العدوى صحيحة

ج التثاؤب نوع من التنفس يحدث بفعل منعكس لكي يدخل بهِ مقدار كبير من الهواء الى الرئتين كأنهُ موروث في الحيوانات البرية التي تتثاءب من اسلافها لما كانت بحريةً وبريَّة وتحتاج ان تفتح افواهها وتدخل مقداراً كافياً من الهواء الى رئاتها . اما العدوى فقال بها البعض وحسبوا ان للتثاؤب ميكروباً لكن لا دليل على صحة هذه الدعوى والصحيح ان التثاؤب يحصل بالقدوة اي ان نظر المتثائب يؤثر في الاعصاب تأثيراً يهيجها للتثاؤب كما ان نظر الليمون الحامض يفيض اللعاب من الفم

(٨) اللك

الاسكندرية . عبد المتعال افندي نبيه . يوجد حشرة تسمَّى حشرة الراتينج lac insect هل هي من الحشرات النافعة وما هو نفعها

ج نعم من الحشرات النافعة ونفعها انها تفرز صمغ اللك او تصنعهُ من صمغ الشجر الذي تعيش عليهِ . واللك كثير الاستعمال في الصنائع ولاسيما في صناعة الدهان وتقدَّر قيمة تجارتهِ الداخلية في بلاد الهند بنحو مليون جنيه في السنة

(٩) شجرة البقر

ومنهُ . يقال انهُ يوجد في احد اقسام اميركا الجنوبية شجرة تعرف باسم شجرة البقر

cow-tree يستخرج منها لبن صباح كل يوم فهل ذلك صحيح

ج نعم يوجد شجر عصارهُ لبني غزير وهو يستخرج بثقب قشر الشجرة فيتحلَّب منها غزيرًا حتى يملأ قنينة عادية في نصف ساعة وطعمهُ مثل طعم لبن البقر ورائحتهُ مثل رائحتهِ ويصفرُّ بعد قليل ويجمد ويصير كالجبن وهو مغذٍّ مثل اللبن ولكن تركيبهُ الكيماوي يختلف عن تركيبهِ ويأكلهُ الزنوج وهنود اميركا

---

(١٠) البابوات وحلق الشعر

دمشق الشام . احد القراء . قرأت في الجزء التاسع من المقتطف مقالة نفيسة في البابوية وانتخاب البابوات اجاد فيها كاتبها وافاد لكنهُ لم يذكر لنا لِمَ يحلق البابوات لحاهم وشواربهم مع ان السيد المسيح كان بلحية وشاربين وكذا الرسل الاطهار فنرجو ان تذكروا لنا السبب الذي حملهم على ذلك ومتى ابتدأت فيهم هذه العادة

وورد علينا مثل هذا السؤال من النبطية ومن الاسكندرية وطنطا

ج ان حلق اللحى والشوارب عادة قديمة في اوربا من عهد الرومانيين وكان بابوات رومية يجرون عليها مرةً ويخالفونها اخرى حسب شيوعها في بلادهم حاسبين ان ليس للشعر شأنًا دينيًّا . فالبابا ليبريوس الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٣٥٢ كان يحلق لحيتهُ وشاربيهِ وكذلك البابا بونيفاشيوس الرابع الذي رقي السدَّة البابوية سنة ٦٠٨ وادريانوس الاول (٧٧٦—٧٩٥) ولكن البابا يوليوس الثاني (١٥٠٣ — ١٥١٣) وبولس الثالث (١٥٣٤ — ١٥٤٩) وسكستوس الخامس (١٥٨٥ — ١٥٩٠) واكليمندس الثامن (١٥٩٢ — ١٦٠٥) لم يكونوا يحلقون لحاهم وشواربهم . ويفضّل الاوربيون حلق اللحى والشوارب في القضاة والقسوس ورؤساء الدين لكي تظهر ملامح وجوههم تمامًا وكان حلق الشعر دليلاً على النقاوة عند المصريين القدماء ولا علاقة بين الشعر والدين

---

(١١) الترابة الافرنجية

الكورة . الخواجه ميخائيل سركيس . كيف تصنع الترابة الافرنجية واي تربة او صخر موافق لها

ج يظهر لنا انكم تريدون ما يسمَّى بالسمينتو الروماني وهو يصنع من الدلغان (الطفال) الذي فيهِ حبوب كبيرة من الحجارة الكلسية الصلبة او الحديدية والغالب ان يكون تركيبهُ الكيماوي من ٦٦ جزءًا من كربونات الكلس و١٨ جزءًا من السلكا و٧ من الاليومينا و٦ اجزاء من اكسيد الحديد . يكلَّس هذا الطفال ويطحن حتى يتكون منهُ مسحوق ناعم فيكون الترابة الافرنجية التي تجمد سريعًا بعد بلها ولو وضعت تحت الماء

(١٣) الكلس الافرنجي

ومنهُ . كيف يصنع الكلس الافرنجي واي الصخور يوافق لعملهِ

ج نظن انكم تريدون الجص او الجبس فان كان الامر كذلك فهو يصنع بحرق حجارة كبريتات الكلس كما يصنع الكلس العادي بحرق الحجارة الكلسية التي هي كربونات الكلس ثم يسحق ناعماً بعد حرقهِ. والحرق يخرج الماء منهُ فاذا جبل بالماء بعد ذلك امتزج بهِ ورجع صلباً كما كان قبل حرقهِ. ولا بدَّ من ان تكون الحرارة التي يحرق بها واطئة لا تزيد على ٢٥٠ درجة فارنهيت فاذا بلغت ٤٨٠ درجة لم يعد يجمد اذا مزج بالماء



باب الاخبار العلمية

دواء السرطان

ادَّعى الدكتور اوتو شمت الالماني انهُ اكتشف ميكروب السرطان ومصلاً يشفي منهُ وقرأ بعضهم مقالةً في جمعية ابردين الطبية بيَّن فيها ان الدكتور شمت ربَّى ميكروب السرطان الذي اكتشفهُ وقتلهُ وصنع منهُ طعماً يحقن بهِ المصاب بالسرطان فيشفى منهُ . وحتى الآن لم يجرب هذا العلاج احد غيرهُ والباحثون في هذا الموضوع لا يستطيعون ان يبدوا حكماً لا سلباً ولا ايجاباً الاَّ بعد ان تكثر التجارب وتظهر نتائجها

اصل الهكسوس

كتب ثلاثة من مدرسة لڤربول الجامعة في جريدة التيمس انهم اكتشفوا ادلة جديدة على ان الهكسوس المعروفين بالملوك الرعاة الذين استولوا على القطر المصري بين سنة ٢٢٣٠ و ١٧٠٠ قبل المسيح اصلهم من الحثيين سكان سورية وكذلك اصل الترسكانيين الذين نزلوا ايطاليا فتصدَّى لهم كثيرون من الكتَّاب وقالوا ان هذا الرأي قديم جمع الادلة الكثيرة على صحتهِ الاب ده كارا اليسوعي ونشرها سنة ١٨٨٩

مرض النوم

ظهر من بحث الكولونل بروس الذي أُوفد الى اوغندا للبحث عن مرض النوم ان لهُ ميكروباً تنقلهُ الذبابة المعروفة بالتستس من المرضى بهِ الى الاصحاء ولا خوف منهُ حيث لا توجد هذه الذبابة

الحمى الصفراء والبعوض

خفَّت وطأَة الحمى الصفراء في جزيرة

كوبا منذ استولى عليها الاميركيون حتى كادت تُستأصل منها . والسبب في ذلك الاهتمام بقطع دابر البعوض . وقد كان الاعتقاد العام ان الحمى الصفراء داء قتال ينتقل باللمس . اما اطباء جيش الاحتلال الاميركي فبيّنوا فساد هذا الاعتقاد واثبتوا انها تنتقل بواسطة البعوض . وكانت نتيجة اتخاذ الوسائط لابادة البعوض ان خفت وطأتها وتقلص ظلها وصار يُرجى ان تتطهر مدن كوبا الكبيرة منها

ازالة اضرار التبغ

اكتشف الاستاذ هر جيرولد احد علماء الكيمياء بالمانيا طريقة يستطيع بها ازالة المضار التي تحدث من الافراط في شرب التبغ كالدوار وخفقان القلب وامراض الصدر . وذلك بان تغمس اوراق التبغ قبل تهيئتها في محلول من الحامض التنيك فيتحد هذا الحامض بالنيكوتين ويتولد منهما مادة خالية من الاذى . ولكي تزيد لذة طعم التبغ يعالج بعدئذٍ بنقيع المردكوش فلا يختلف طعمهُ حينئذٍ عن التبغ الاعتيادي . والتجارب التي اجريت في بعض الحيوانات كالضفادع وبنات عرس حتى وفي الانسان نفسهِ برهنت على ان استعمال هذا النوع من التبغ لا يضر . فان ضغط الدم ونبضان القلب يبقيان اعتياديين ويزول الشلل الذي كان يعتري الحيوانات من التسمم بالنيكوتين

التصوير من غير شمس

لا يخفى ان الصور الفوتوغرافية لا تنقل الى الورق ما لم توضع في الشمس وقد استنبط احد اهالي فلادلفيا قنديلاً نورهُ بنفسجي تنقل الصور على نورهِ الى الورق حالاً باسرع مما تنقل في نور الشمس ويمكن ان يصنع بهِ تسع مئة صورة كل يوم

نيازك نوفمبر

لم نحوّل الانظار الى نيازك نوفمبر لئلاَّ يقلق لها الناس على غير طائل . لكن الذين راقبوها رأَوها كثيرة بعد نصف الليل وقبيل صباح السادس عشر من نوفمبر حتى بلغ عدد ما راهُ راصد واحد من الساعة الرابعة الى الخامسة ١٢٠ ومن الخامسة الى السادسة ١٤٠ وذلك في العروض الشمالية . وبلغ معظم ظهورها في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين فكانت ثلاثة في الدقيقة

اعلى الجبال

اعلى جبال الدنيا جبل افرست وهو قنة من قنن جبال حملايا في اواسط اسيا فان علوهُ تسعة وعشرون الف قدم وعلى مقربة منهُ قنن كثيرة تدانيهِ علوًّا . وليس في قارة اخرى جبل يبلغ هذا الارتفاع . واقرب الجبال اليهِ جبل اكنكاغوى في اميركا الجنوبية فان ارتفاعهُ ٢٣٠٩١ قدماً . وترى في الجدول التالي اسماء ارفع الجبال في اربع عشر من القارات

والجزائر ولم يذكر بينها الاَّ اسم ارفع جبل من كل قارَّة وجزيرة وهي

		اقدام	
جبل افرست في اسيا	ارتفاعهُ	٢٩٠٠٠	
اكنكاغوى في اميركا الجنوبية	«	٢٣٠٩١	
مكنلي في اميركا الشمالية	«	٢٠٤٦٧	
كليمنجارو في افريقية	«	١٩٦٨٠	
منت بلانك في اوربا	«	١٥٨٠٠	
مونا كيا في جزائر هواي	«	١٣٨٠٨	
كينابالو في جزيرة بورنيو	«	١٣٠٩٤	
فكتوريا في غينيا الجديدة	«	١٣٠٢٢	
غوننغ كورنتجي في سمطرة	«	١٢٤٨٠	
فوجياما في اليابان	«	١٢٤٠٠	
اربوس في فكتوريا لند	«	١٢٣٦٥	
كوك في زيلندا الجديدة	«	١٢٣٥٠	
يكودي تيدي في جزائر كناري	«	١٢٢٣٤	
غوننغ سمرو في جزيرة جاوى	«	١٢٠٣٧	

الغنى بالاختراع

اخترع رجل الماني فقير كبسولاً ميكانيكيًّا يوضع في القنابل ويشتعل في وقت محدود فاشترى معمل كروب هذا الاختراع منهُ بعشرة آلاف جنيه دفعها لهُ نقدًا وتعهد ان يعطيهُ خمسة غروش عن كل كبسول يصنعهُ

تلغراف ارتوم

يظهر انهُ سيكون للايطاليين شأن كبير في التلغراف الخالي من السلك فقد استنبط واحد منهم اسمهُ الاستاذ ارتوم طريقةً لتوجيه التموجات الكهربائية كيفما يشاءُ فاذا اضيف استنباطهُ الى استنباط مركوني وفى تلغراف مركوني باكثر مما ينتظر منهُ

الاستاذ ممسن

توفي الاستاذ ممسن المؤرخ الالماني الشهير في غرة نوفمبر وعمرهُ ٨٦ سنة . وكان من اكبر مؤرخي العصر ومن اسلسهم عبارة. نُفي من بلادهِ لانهُ كان شديد الانتقاد على سياستها فلجأ الى سويسرا ثم عاد الى بلادهِ وجُعل استاذًا للتاريخ في مدرسة برلين الجامعة . وكان من اكبر خصوم بسمارك انتقد سياستهُ من الانتقاد وسماهُ مرةً "بالنصَّاب" فقبض عليهِ وحوكم بالقذف فبرأتهُ المحاكم ولهُ تآليف جمة تعدُّ بالمئات بين كتب ورسائل

هبة عظيمة

توفي المستر غودون ماكي الغني الاميركي ويقال انه ترك لمدرسة هارفرد الجامعة خمسة ملايين من الجنيهات فان صحَّ هذا الخبر فتكون تلك المدرسة قد صارت اغنى مدارس الدنيا فقد كانت املاكها تساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فصارت بهذه الهبة ثمانية ملايين من الجنيهات

كتاب ثمين

بيعت نسخة من كتاب المزامير الذي طبع سنة ١٤٥٧ بسبعة وعشرين الف ريال

جوائز نوبل

حكمت جمعية العلوم التي يناط بها توزيع جوائز نوبل السنوية ان تعطي جائزة الآداب هذه السنة لابسن وجورنص وجائزة العلوم الطبيعية لمركوني وجائزة الطب لفنسن

جائزة للانتفاع بالعنب

كثر العنب في ولاية كليفورنيا من ولايات اميركا حتى ضاق اصحابهُ ذرعاً بهِ ورخص ثمنهُ جدًّا فصاروا يبيعون الطن منهُ بعشرة ريالات . وقد وعدوا الآن باعطاء خمسة وعشرين الف ريال لمن يستنبط طريقة لاستخراج حامض الطرطير من العنب حتى يكون رخيصاً تسهل المتاجرة بهِ

طيران الانسان

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالة في الطيران بيَّنت فيها ان كل الذين حاولوهُ اخطأُوا في تقدير القوة اللازمة لهُ لانهم قدَّروها باكثر مما يلزم . وقالت ان اللقالق تقطع من بلاد المجر الى بلاد الهند مرتين في السنة والمسافة نحو ٢٤٠٠ ميل تقطعها في اربع وعشرين ساعة فتبلغ سرعتها مئة ميل في الساعة على ضعف قوتها والحيوانات البرية القوية لا تقطع مئة ميل في اقل من اربع وعشرين ساعة . واكثر الطيور سريعة الطيران على هذا النمط مع خفَّة اجسامها وضعف قوتها

كرسي الملكة فكتوريا

ارسل ملك الانكليز الى معرض اميركا المقبل كرسيًّا من العاج اهداهُ الى امهِ مهرجا تراڤنكور في يوبيلها . قالت جريدة السينتفك اميركان في وصفهِ انهُ من معجزات الصناعة قوائمهُ في شكل قوائم الاسد ويداهُ منتهيتان برأسي اسدين وظهرهُ في شكل صدفة قائمة على ظهور افيال وفرشهُ من المخمل الاخضر مطرز بالذهب والفضة تحيط بهِ عذبات ثمينة وجسم الكرسي كلهُ منقوش بتماثيل الناس والحيوانات

علاج الذئب الاكال

قال الدكتور فنسن في اكادمية العلوم انهُ عالج ٨٠٤ بالنور فشفي ٤١٢ منهم ومن هؤُلاء ١٢٤ مضى عليهم من سنتين الى ست سنوات ولم يعاودهم الداء والباقون احدث منهم عهداً ولا دليل على ان الداء سيعاودهم

سرعة القطارات

في النية ان تزاد سرعة الاكسبرس بين مصر والاسكندرية حتى يقطع هذه المسافة في ساعتين ونصف ساعة . الاَّ ان زيادة السرعة الى هذا الحد يزيد نفقات الوقود نحو تسعين في المئة فقد ثبت بالامتحان ان القطار الذي سرعتهُ ٣٢ ميلاً في الساعة اذا زيدت سرعتهُ حتى بلغت ٤٨ ميلاً في الساعة زادت نفقاتهُ نحو تسعين في المئة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثامن والعشرين

الفصل الخامس والعشرون

شرع جورجياس يقصُّ قصتهُ فقال انهُ رافق ديون الى المرفإ ثم عاد الى النادي حيث يسمع اخبار كل ما يجري في البلاد فرأى فيهِ كثيرين من المكدونيين وسمع كثيرًا من الاخبار المتناقضة عن الجيش والاسطول ثم ورد الخبر عن خيانة من في الاسطول وانضمامهم الى العدو وتلاهُ خبر تنحي الجنود عن القتال فرسانًا ومشاة وانضمامهم الى الاعداء وجاء احد اعيان المدينة وقال انهُ شاهد انطونيوس على رصيف المرفإ ومعهُ بعض الاعوان ووجهتهم القصر الصغير

واتفقت الآراء على انهُ لم يبقَ لانطونيوس الاَّ ان يتجرَّع غصص المنون بيدهِ كما فعل بروتس وغيرهُ من عظماء الرومانيين ثم وردت الاخبار انهُ انتحر او حاول الانتحار. ولما بلغ جورجياس هذا الخبر اسرع الى القصر الصغير فوجد انهُ يستحيل الوصول اليهِ لشدة الازدحام حولهُ ثم بلغهُ ان انطونيوس نُقل من ذلك القصر وسار مشيعوهُ في شارع الملك. والتقى بواحد من عبيدهِ وكانت عيناهُ حمراوان كالدم من كثرة البكاء فاستوقفهُ وسألهُ عمَّا يعلم من امر مولاهُ فقال لهُ انهُ لما رأى ان جنودهُ خانتهُ كلها وانضمت الى الاعداء هرب الى القصر الصغير فلم يكد يصلهُ حتى بلغهُ ان كليوباطرة سبقتهُ الى عالم الاموات فأمر عبدهُ اروس ان يقتلهُ فاستلَّ العبد سيفهُ وعوضًا عن ان يقتل بهِ مولاهُ وضعهُ في صدرهِ وسقط عليهِ فوقع ميتًا فقال لهُ انطونيوس لقد علَّمتني كيف انتحر ثم انهُ استلَّ خنجرهُ وطعن بهِ صدرهُ وكانت الطعنة بالغة جدًّا لكنها لم تقتلهُ فوقع يختبط بدمائهِ ويستغيث بالذين حولهُ ليجهزوا عليهِ وما منهم من يجسر على ذلك. وكان كل هذه المدة ينادي باسم كليوباطرة ويقول اني سالحق بكِ سريعًا. ثم جاءهُ ديوميدس كاتب الملكة الخاص لينقلهُ اليها الى المدفن الذي لجأت اليهِ فحُمل اليها واوصى قبل خروجهِ من القصر ان يدفن عبدهُ اروس باكرام يليق بهِ لان كرم اخلاقهِ لم يفارقهُ حتى وهو محتضر

فلما سمع جورجياس ذلك اسرع الى المدفن ولم يستطع الوصول اليهِ من شارع الملك فدار الى زقاق ضيق سار فيهِ وكان كيفما سار يرى الجنود الرومانية بالسلاح الكامل كأن المدينة استحالت الى معسكر وبينهم كثيرون من الالمانيين والاسبانيين وغيرهم من الشعوب المنضوية تحت اللواء الروماني ولما بلغ هيكل ديوسكورس رأى فرقةً من الجند قبضت على انتلس ابن انطونيوس وحاكمتهُ في مجلس عسكري وحكمت عليهِ بالقتل وقتلتهُ وحدث كل ذلك في دقائق قليلة . وقد دلَّ على انتلس معلمهُ ثيودوتس لكن الرومانيين رأوهُ يخبئ جوهرة كبيرة في منطقتهِ

بعد ان اختلسها من عنق سيده فكتفوه وساروا به وراء جثة انتلس وبلغ جورجياس بعد ذلك انهم حاكموهُ وحكموا عليهِ بالصلب جزاء خيانتهِ واختلاسهِ

ولما وصل الى المدفن وجد الحرَّاس حوله من كل جهة وكانوا يعلمون انهُ بانيهِ فسمحوا لهُ بالدخول . وتأخرهُ عن الوصول اليهِ بهذه العوائق كفاهُ رؤية منظر يفتت الاكباد لكن ديوميدس كاتب الملكة اخبرهُ عن كل ما جرى بالتفصيل وكان قد رافق انطونيوس الى المدفن كما تقدَّم . وخلاصة ما اخبرهُ بهِ ان كليوباطرة لجأت الى المدفن حالما علمت ان الدائرة دارت على جنودها ولم تسمح ان يرافقها اليهِ احد الاَّ شارميان وايراس فساعدتاها على اقفال الباب النحاسي وشاع الخبر حينئذٍ انها انتحرت وبلغ انطونيوس فحملهُ على الانتحار . ولما جيءَ بهِ اليها حاولت هي وشارميان وايراس ان يفتحن الباب النحاسي فلم يستطعن فجعلت تفتش في المدفن عن مدخل آخر لانها قالت لا بدَّ لي من ان اراهُ واغمض عينيهِ بيدي واموت معهُ واخيرًا اهتدت ايراس الى البكرات المنصوبة فوق السطح لرفع اللوح النحاسي فصعدن اليها ودعون حاملي انطونيوس الى ربطهِ بالحبال وجعلن يرفعنهُ بها رويدًا رويدًا . قال ديوميدس انهُ لم يرَ الراؤون منظرًا يصدع الفؤاد مثل منظر ذلك الجبَّار معلقًا بين الارض والسماء وهو في غمرات المنون يتململ من شدَّة الالم ولكنهُ باسط يديهِ الى المرأة التي ملك حبها فؤادهُ . وظلَّ يناديها باسمها مع تعسر النطق عليهِ اما هي فكانت صامتة لا تتكلَّم تشدُّ بالحبال مع شارميان وايراس بكل جهدها حتى تجرَّحت يداها وسال دمها فرفعنَهُ رويدًا رويدًا الى ان بلغ اعلى السطح ولكن تعذَّر عليهنَّ ان يتناولنَهُ ويضعنهُ على السطح وحينئذٍ صعد ديوميدس اليهنَّ وساعدهنَّ على تناولهِ وانزالهِ على سلم المدفن الى داخلهِ ووضعهُ على الارائك الموضوعة هناك ثم خرج ووقف على السلَّم لكي يكون قريبًا من الملكة يساعدها اذا احتاجت الى مساعدتهِ وكانت تلهث من شدة التعب وقد انحلَّ شعرها فمزَّقت ثيابهـا وجعلت تلطم صدرها وتخمشهُ باظافرها وتبكي وتنوح ثم القت خدها على جرح انطونيوس لتسدَّهُ بهِ وتمنع نزف دمهِ ونادتهُ باحب الاسماء كما كانت تناديهِ في صباها وامتزجت دموع الحبيبين فانعشت ما ذبل من زهر الحب ولوعة الغرام . واشتدَّت عليها حرقة الحزن كما اشتدت لواعج الحب . وكأَنها تذكرت في تلك الساعة كل ما رأتهُ في حياتها من بسالتهِ وشهامتهِ وغرامهِ بها واخيرًا غلبها الكمد فلم تعد ترى غير ما هو فيهِ من الالم المبرح وما امامهُ وامامها من الهوَّة الفاغرة فاها لابتلاعهما فنسيت مسراتها الماضية ولم تأمل ان ترى شيئًا يسرُّها بعد الموت فاستسلمت لليأْس ولم تكن قد تعلمت الصبر على الشدائد فجعلت تندب وتنوح وكادت تمزق قلبها بيديها

واتت شارميان بشيء من الخمر وسقت انطونيوس منهُ فانتعش قليلاً وجعل يتوسّل الى كليوباطرة لتهتم بسلامتها اذا وجدت الى ذلك سبيلاً لا يثلم صيتها وقال لها ان بين رجال اكتافيانوس رجلاً اسمهُ ارمينيوس يمكنك ان تثقي بهِ . ثم طلب منها ان لا تنوح عليهِ بل تعدّهُ من اسعد الناس لان السعد خدمهُ في حياتهِ اكثر ممَّا خدم اي انسان كان . فقد كان اقدر رجال عصرهِ واحبتهُ اجمل النساء وافضلهنّ وهو يموت الآن بين يديها رومانيًا شريفًا لم يقهرهُ الاَّ روماني آخر مثلهُ . قال ذلك واسلم الروح بعد احتضار قصير . وكانت ترقب انفاسهُ فاغمضت عينيهِ بيديها وارتمت عليهِ وقد جفَّت عيناها ثم أُغمي عليها ورأسها ملقى على صدرهِ

ورأى كاتبها كل ذلك ثم عاد الى الطبقة الثانية من المدفن والدموع ملءُ عينيهِ فالتقى هناك بجورجياس واخبرهُ بما سمع ورأى كما تقدَّم ولم يكد يتم حديثهُ حتى جاءت مركبة ووقفت امام المدفن ونزل منها رجل من وجهاء الرومانيين . وكان هذا الرجل ارمينيوس الذي قال عنهُ انطونيوس انهُ رجل امين يوثق بهِ . قال جورجياس " ورأيتهُ فاذا هو اشم الانف بادي المهابة مثل اشرف ابناء جنسهِ جاء من قبل اكتافيانوس وقال انهُ كان من انصار قيصر ومن المعجبين بهِ و بلغنا عنهُ قبلاً انهُ شاعر اديب وعلى جانب عظيم من الثروة وقد مدحهُ تماجنس واثنى عليهِ لشهامتهِ ولعلهُ كان مصيبًا في مدحهِ لهُ ولكن اذا عرضت مصالح البلاد فقد تضيع معها شهامة الرجال . اوفدهُ سيدهُ لامر كان يجب ان يترفَّع عنهُ وسيأتي وقت يلعن فيهِ الساعة التي اطاع فيها امرهُ

نزل من المركبة وقرع باب المدفن طالبًا الدخول وقال انهُ جاء بامر اكتافيانوس ليعرض على كليوباطرة شروط الصلح . فقالت لهُ هات ما عندك ولكنها لم تسمح لهُ بالدخول . وممَّا طلبتهُ ان يعترف اكتافيانوس بولديها من انطونيوس ملكين على مصر . فقال لها انهُ يعرض طلبها عليهِ ووعدها خيرًا ثم سألها عن موت انطونيوس واخبرها عما تمَّ لجنودهِ . وهو ليس مهذارًا يكثر الكلام على غير طائل ولكنني لحظت انهُ كان يريد ان يطيل الكلام الآن لغرض ما واتضح لي بعدئذٍ انهُ كان منتظرًا كرنيليوس غالوس قائد الاسطول وهو ايضًا من عظماء رومية ولكنهُ باع نفسهُ وشهامتهُ لاكتافيانوس فلما وصل تنحى ارمينيوس وبقيتُ انا مكاني اسمع ما يقولهُ كرنيليوس فجعل يصف ما خامر قلب اكتافيانوس من الحزن على صديقهِ انطونيوس وما اراقهُ من الدموع حينما بلغهُ خبر موتهِ . وظهر لي ان كرنيليوس كان يطيل الحديث قصدًا ثم جاءني احد رجالي وقال لي ان ارمينيوس وضع سلمًا وراء المدفن

وصعد عليهِ مع اثنين من اتباعهِ فبادرت للحال لكي اخبر الملكة بهذه الخيانة ولكنني وصلتُ اليها متأخرًا ولو علمتُ قبلاً بصعوده واخبرتها قبل وصولهِ اليها لقضي الامر ونجت مما يحيق بها الآن من العار او مما سيحل بها من الصغار . لما اخبرتها بنزول هذا الرجل اليها استلّت خنجرها من نطاقها لتطعن بهِ صدرها فلمع في يدها كالبرق متألقًا بانوار الثريا المعلقة في المدفن. وهنا تعوزني مخيلة الشاعر لاصف لك ما رأيتهُ وما سمعتهُ في تلك اللحظة. جدران المدفن وسقفهُ واعمدتهُ من البرفير والرخام الضارب الى السواد ولكنها صقيلة كالمرآة وفي القاعة التي كنّا فيها حيث الناووس الكبير المعد لكليوباطرة وانطونيوس ثريًّا كثيرة المصابيح يتألق النور منها وينعكس عن الجدران حتى كأن الواقف تحتها واقف في حفلة انس وطرب لا في مدافن الاموات. والهواء الصاعد من اسفل المدفن الى اعلاهُ يعبث بالمصابيح فيزيدها اشراقًا فرأيت على تلك اليد البيضاء والصدر المرمري كل خمش ولطخة دم آثار ما فعلتهُ تلك المرأة بنفسها وهي تلطم صدرها وتمزقهُ باظافرها ووراءها وفي المخادع المتصلة بالقاعة ظلام دامس اذا اخرج الانسان فيهِ يدهُ لم يكد يراها . وتزيد ظلمتهُ للواقف في نور الثريا حتى ان اطراف القاعة حيث يصل النور ضئيلاً تُرى شديدة الظلام للواقف تحت المصابيح الا بقعة صغيرة ينزل اليها نور الشمس من فتحة السلم الواصل الى السطح فيرى كحبل من النور يرقص فيهِ الهباء كمخاط الشيطان . ما ارهب ذلك المنظر وما ابدعهُ وربة الجمال واقفة فيهِ وفي يدها القضاء المبرم وقد احاطت بها هالة من النور كما تحيط بشمس الزوال بل هي البدر في الليلة الظلماء ووراءها قتام دامس . فوقفتُ مبهوتًا وقف النقّاش المصورُ يتأمل منظرًا بديعًا يعجز الخيال عن تصويرهِ وكان حقي ان اهجم عليها وانزع الخنجر من يدها ولكن فعل غيري ما لم افعلهُ وما لم استطع منعهُ وكانت قد اشارت الى ايراس وشارميان لتفتحا بابًا سرّيًّا وتنزلا الى غرفة المواد الملتهبة وتضرما فيها النار واستلّت خنجرها كما تقدّم لتطعن بهِ صدرها واذا بارمينيوس هجم عليها كالاسد الضاري وامسك بيدها ونزع الخنجر منها قوةً واقتدارًا . فالتفتت اليهِ وقد انقلبت ملامحها من الكآبة والقنوط والزروح تحت اثقال القدر المحتوم الى الغيظ والازدراء واحتقار الدنايا . تحوّل نور وجهها الى نار آكلة . هذه هي النقمة التي تحلّ على رؤوس الخونة الادنياء . ارمينيوس الرجل العظيم والشاعر البليغ الذي تغنّى بمدحهِ الشعراء على ضفاف التيبر ومدحهُ المؤلفون في كتبهم ارتكب ما تترفّع عنهُ شهامة الرجال. وقبض على ابنة الملوك الصيد وريثة البطالسة ورافعة لواء مجدهم قبض عليها بكلتا يديهِ لينزع من يدها ما تنجو بهِ من العار . حاولت التخلص منهُ جهدها ووقفتْ امامهُ كاللبوة الثاكل تنظر اليهِ شزرًا فاراها ان ذراع الرجل اقوى من

ذراع المرأة . لكن النظرات التي رشقتهُ بها خرقت فؤادهُ وستعاوده جراحها وهو على فراش الموت ولو رشقتني بها لقلت على الدنيا السلام . ولكنها لم ترتدّ خائبة حتى عن ذلك الروماني الغشوم لانها اذهبت نضارة وجههِ فوقف امامها ممتقع اللون اذ عرف من نفسهِ انهُ فعل دنيئة لا يأتيها كريم لاسيما بعد ان مدّ يديهِ وفتش ثيابها لئلا يكون معها مدية اخرى او سم تجرعه . وفتش تابعاهُ ثياب ايراس وشارميان ولم يكفّ عن المواعيد الكاذبة بل بقي يقول لها ان اكتافيانوس لا يقصد لها شرًّا وسيمنحها كل ما تطلبهُ منهُ . ثم فتح باب المدفن وسار بها الى قصر لوخياس وكنتُ واقفًا في مكان مظلم أرى منهُ ولاأُرَى فبقيت في مكاني كالصنم لااستطيع حراكًا لان ما رأيتهُ اذهلني عن نفسي ولاسيما بعد ان رأيت الملكة استحالت في لحظةٍ من صورة تتعشقها النفس لجمالها الى يأس تجسَّم في جسم امرأة وازدراء شمخ فوق الدنايا وحنق قام يطلب الانتقام . لا اصفها لان لساني يعجز عن الوصف . تانك العيناك النجلاوان وقد جحظتا من الغضب . ذلك الشعر المهلهل وقد تلطخ بدم من تحبهُ . ما ارهب ذلك الموقف وما اجلهُ

لم استطع ان احذّرها من الخطر ولا ان اقف بينها وبين ذلك الخائن لكنها نظرت اليَّ نظر اللوم كأنها توبخني على اهمال او على جبن . ولا تزال تلك النظرة تتبعني كيفما سرتُ او اتجهت وتحرمني راحة البال . اين هيلانة فلعلَّ نظرةً منها تنسيني ما انا فيهِ

فوضع ديون يدهُ على كتفهِ وجعل يبيّن لهُ ان شدائد ذلك النهار ستعود عليهم وعلى مدينتهم بالرفاء والهناء فسكن روعهُ وعاد الى تتمة الحديث فقال :

خرجتُ من المدفن وسرت في طريق بيتي كالسكران وحاولتُ مرارًا ان اتبع الملكة فلم استطع لان الحرَس كان يمنع كل احد من اتباعها ثم علمتُ من انوكس ان اكتافيانوس سمح لها باختيار القصر الذي تريدهُ لتقيم فيهِ فاختارت قصر لوخياس . ولما وصلتُ الى قرب الجمنازيوم رأيت ازدحامًا شديدًا سدَّت بهِ كل الشوارع لان اكتافيانوس كان قد دخل المدينة فخرج اليهِ السكان من بيوتهم وجعلوا يحيونهُ ساجدين لهُ على ركبهم . وعرفني كثيرون من الذين رأيتهم هناك فوسعوا لي حتى دخلت الجمنازيوم ورأيت الناس ينتظرون اكتافيانوس وكان لا يزال في رواق اورجيتس حيث سلم لهُ رجال الدولة واعضاء المجلس البلدي

ورأيت فركسس هناك فاوصلني الى مكان مرتفع ارى منهُ ما حولي واخبرني انهُ لما دخل اكتافيانوس الرواق رأى اريوس خال بارين فهشَّ لهُ لانهُ كان استاذهُ وصافحهُ وامرهُ ان يسير معهُ . ويظهر ان لاريوس مقامًا رفيعًا في عينيهِ وهذا يفيدك يا ديون ويفيد امرأتك . واكتافيانوس يكرمهُ كثيرًا كما سترى ولا اظن انهُ يرد لهُ طلبًا وهو يستحق هذا الاكرام لعلمهِ

وشجاعتهِ . ولم يطُل انتظارنا حتى دخل القيصر (اي اكتافيانوس) ووقف امامنا فجثت لهُ كل ركبة وبسط وجهاؤُنا اياديهم اليهِ كأنهم شحاذون يتسوَّلون او جناة يتوسَّلون فجثوت معهم ولو حاولت البقاء واقفاً لامتدَّت اليَّ مئة يد والقتني على الارض

فقال ديون وكيف رأَيت اكتافيانوس

فقال رجلاً تحفُّ بهِ المهابة وتبدو الفتوَّة من عطفيهِ حليق الوجه جميل الملامح كأَنهُ مخلوق لتنقش صورتهُ على النقود . كل ملامحهِ واضحة محدَّدة . كلُّ ما فيهِ يدل على انهُ كريم الحسب من الطراز الاول لكنهُ خالٍ من العواطف ورقة القلب . جميل انوف حازم يُخشى شرهُ ولا يُرجَى خيرهُ . وكان ممسكاً بيد اريوس وابناء اريوس سائرون وراءهما فلما وقف على المنبر نظر الى الالوف الجاثية امامهُ من غير ان يبدو اقل اثر في وجههِ كأَنهُ الراعي ينظر الى الغنم. وقف صامتاً لحظةً من الزمان ثم قال بعبارة يونانية فصيحة اني اعفو عن اهل الاسكندرية اكراماً للاسكندر الكبير باني هذه المدينة وقاهر المسكونة ولان جمال الاسكندرية اخذ بمجامع قلبي ولان فيها صديقي اريوس واود ان افعل ما يسرُّهُ

فهتف لهُ الحضور كلهم من اكبرهم الى اصغرهم ويحقُّ لهم الهتاف لانهم كانوا واقفين بين اليأْس والرجاء فازال الخوف من نفوسهم . ولم يكد يخرج من الجمنازيوم حتى نسوا ما كانوا فيهِ واخذوا يضحكون ويهذرون . قال لي ممنون النجار الذي صنع ابواب قصرك ان الدلفين انقذ اريوس مرةً من البحر فانقذ اريوس ملكة البحر من الهلاك وواحدة بواحدة سواء

ولم اصل الى بيتي الاَّ بالمشقة لان الشوارع كانت غاصَّة بالجنود الرومانية واغنياء المدينة يدعونهم الى الحانات ويسكبون لهم الخمر دهاقاً . ونزل كثيرون في البيوت ونزلوا في بيتي ايضاً فارتاعت منهم جدة بارين وقضي عليها

وقد فُتحت ابواب المدينة الآن لابنة اخت اريوس ولا يبعد ان يقابلها الناس بالاناشيد وهي تستحق كل اكرام لانها تركت لاجلك مدينة يُعبَد الجمال فيها واقامت معك في هذه الجزيرة القفراء. اما انت فاني اخاف عليك من حسد الالهة اذا زادت نعمتك فوق ما أُعطيت من زوجةٍ كالشمس وابن كالبدر

فقال لهُ ديون اراك نسيت ما أُعطيت انت ايضاً وفاتك ان كثيرين يحسدونك على هيلانة اما انا فقد كنت اُوجس شرًّا ولكن جاءتني الاقدار باحسن ممَّا اشتهي فهلمَّ واخبر هيلانة وبارين عن وفاة جدتهما ثم بشرهما بما بشرتني بهِ ولكن لا تصف لهما الليلة ما رأَيتهُ في المدفن بل دع وصفهُ الى الغد

وفي اليوم التالي وهو الثاني من اغسطس وردت الزوارق الى جزيرة الافاعي تحمل برنيكي واولاد اخيها اريوس وغيرهم من اصدقاء ديون ووجهاء المدينة الذين كانوا يترددون على بيت بارين فهنأوها وهنأوا زوجها بسلامتهما وعادوا بهما الى المدينة وكانوا يحسبون انهم يجدونهما نحيفين نحيلين فوجدوها على احسن حال

وقد اسف اهالي الاسكندرية على ما اصاب ملكتهم وعلى زوال استقلالهم لكنهم سروا بالمعاملة الحسنة التي عاملهم بها اكتافيانوس ورجاله فانهم حفظوا لهم دمهم وعرضهم ومالهم . وودَّ كثيرون منهم ان يستقبلوا ديون استقبالاً بهيجًا لكنهُ ابى ذلك حدادًا على جدة زوجتهِ . ثم مات ددبموس بعد ايام قليلة . ودخل ديون وزوجتهُ قصرهما ولا صوت يحييهما غير صوت طفلهما ثم لما رأى ديون زوجتهُ لابسة ثياب الحداد قال هذا ما قالهُ جيورجياس عن حسد الالهة لنا ولولا هذه المرارة لكانت كاس الحياة احلى من ان تساغ

وعاد ديون حالاً الى تدبير شؤونهِ والاشتراك في تدبير شؤون المدينة وعاش مع زوجتهِ عيشة يُحسَدان عليها ولم تزدهما السرَّاء الاَّ استمساكًا بعرى الحب والفضيلة

الفصل السادس والعشرون

لما خرج ديون من الجزيرة اهدى الى ديوني ابنة بروس مالاً وافرًا صداقًا لها فتزوجت بربان بارجة ارخيبوس وكان ذلك بسعي انوكس جارية شارميان . وظلت هذه الجارية تتردَّد على جزيرة الافاعي الى ان اقنعت بروس بمسك صل والمجيء بهِ الى ساحة السمك واضعًا اياهُ تحت الاعشاب البحرية في اسفل سلتهِ ولما اخبرتهُ بغرضها من الصل وهو ان الملكة وجدت بالامتحان ان سمهُ اقتل السموم وانهُ يقتل من غير الم وعزمت ان تنتحر بهِ ابى ان يلبي طلبها فاخذت تجادلهُ وتبين لهُ ان الملوك ليسوا مثل سائر الناس فيجوز لهم مالا يجوز لغيرهم وبمثل هذا الكلام اقنعتهُ حتى مسك صلاًّ وجعل يأتي بهِ كل يوم الى ساحة السمك حتى تجدهُ حالما تطلبهُ

اما كليوباطرة فسمح لها اكتافيانوس ان تقيم في قصر لوخياس بمظاهر ابهة الملك وردَّ اليها اولادها من انطونيوس التوأمين والاسكندر واما قيصاريون ابنها الاكبر من يوليوس قيصر فعاد من الصعيد باغراء معلمهِ فقبض عليهِ وامر بقتلهِ لانهُ كان يخشى شرَّهُ لما فيهِ من الشبه لابيهِ . وبلغ كليوباطرة ذلك فزاد نغصها لكنها كانت قد صرمت حبال آمالها ولم تعد تبالي بالرزايا وصممت اولاً على الموت جوعًا وامتنعت عن الطعام . فارسل اكتافيانوس يتهددها بقتل اولادها الباقين ان هي اصرَّت على ذلك فجزعت وتغلب عليها الحنو فعادت تأكل على جاري عادتها

وطلب كثيرون من امراء المشرق ان يحتفلوا بدفن انطونيوس فقال اكتافيانوس ان الملكة احق بذلك من كل احد واباح لها ان تفعل ما تشاء احتفالاً بدفنهِ فسرَّت بذلك واحتفلت بجنازتهِ ودفنهِ احتفالاً لا مثيل لهُ

وكانت تخرج الى بستان دديموس لانهُ صار متصلاً بالقصر وترى اولادها يلعبون فيهِ وارخبيوس يعلمهم ويهذبهم وكانت تحاول المزح معهم احيانًا لتسليتهم فلا تستطع ذلك الاَّ لحظةً من الزمان ثم تجول الدموع في عينها فتضطر ان تتركهم . وكانت تشعر كأَنَّ الحياة التي سمح لها اكتافيانوس بها دين ثقيل عليها لا بد من ايفائهِ وتود ان يتقاضاهُ منها باسرع ما يكون ولم تكن ترتاح الاَّ الى ذكر الموت والاساليب التي تستطيع ان تموت بها من غير الم وهذا كان اكثر حديثها مع شارميان وايراس فكانتا تخرجان من حضرتها كئيبتين بعيون دامية . واعدَّت ايراس كثيرًا من الدبابيس السامَّة بعد ان امتحنتها في الحيوانات ووجدت انها تميتها باسرع ما يكون اما كليوباطرة ففضَّلت لسع الصل لانهُ يميت من غير الم. ولما اخبرتها شارميان انها وجدت سبيلاً لاحضار الصل اليها حالما تشاء ابرقت عيناها كان كربتها انفرجت لكن اكتافيانوس بقي يتودَّد اليها و يعدها بالاعتراف باولادها ويحفظ حياتها وهي تقابل ذلك بالابتسام غير مصدقة ولكن غرس الامل ابتدأ ينمو في قلبها

وكان في حاشية اكتافيانوس رجل من عائلة كرنيليوس الشريفة اسمهُ دولابلاَّ كان ابوهُ صديقًا لكليوباطرة ولما قتل قيصر بعثت اليهِ بالجنود ليحارب بها كاسيوس . فجعل يتردَّد عليها ويعجب بما يراهُ من ذكاء عقلها وجمال طلعتها مع انها كانت غائصة في بحار الحزن . وحزنها زاد اعجابهُ بها واكرامهُ لها وودَّ ان يخدمها في امر من الامور وكان يرافقها حينما تذهب الى بستان دديموس وترى اولادها فاحبهُ الاولاد لما رأَوهُ فيهِ من جمال الطلعة وبشاشة الوجه ولطف الحديث . وعرفت كليوباطرة منهُ اموراً كثيرة عن اكتافيانوس فانهُ لم يكن يخفي عنها شيئًا وكان اذا قابل اكتافيانوس يكلمهُ في امرها ويحاول استعطافهُ عليها واذا قابلها مدح لها كرم اخلاقهِ وحسن طويتهِ لانهُ كان يعتقد فيهِ ذلك وقال لها انكِ لو طلبتِ مقابلتهُ لانتهى كل شيء على ما تحبين وكان يعتقد انهُ يستحيل على رجل مثل اكتافيانوس ان يقابلها ويكلمها ولا يرثي لحالها ويجيبها الى كل مطالبها

اما هي فكانت تنفر اشد النفور من لقاء رجل جلب عليها كل هذه الرزايا الاَّ انها لم تنكر ما قالهُ دولابلاَّ وهو ان اكتافيانوس يجد رد مطالبها اذا طلبتها بنفسها اعسر عليهِ من ردها لو طلبها لها آخر

وعلم ارمينيوس ان انطونيوس طلب من كليوباطرة ان تعتمد عليهِ وتثق بهِ فندم على ما فرط منهُ ندامة الكسعي وقال في نفسهِ ان التاريخ سيذكر ما فعلتهُ باللوم والتعنيف . وحاول ان يجد سبيلاً للتكفير عن ذنبهِ فبذل جهدهُ في تخفيف مصابها وحسب ان مقابلتها لاكتافيانوس تعطفهُ عليها فيعفو عنها وعن اولادها ويجيبها الى ما تطلبهُ منهُ

وقال ارخبيوس لشارميان ان هذه المقابلة لا تضرُّ ان لم تنفع وقد دلنا الاختبار انهُ ما من احد استطاع ان يقابل كليوباطرة من غير ان يمسي اسيرًا لها وهي اقدر على اجتلاب القلوب بعد ان حلّت بها الرزايا . من يستطيع ان ينظر الى وجهها الجميل ويسمع صوتها الرخيم وما في كلامها من درر المعاني ولاسيما بعد ان كسر الحزن ما كان يخامرها من الانفة ولا تذوب نفسهُ اشفاقًا عليها . وهي في ثياب الحداد اجمل منها في حال الملك

ورآها مرةً وكانت الحمَّى قد حمَّرت وجنتيها فقال انها لم تكن في صباها اجمل منها الآن . وكان يعلم انها لم تعد تودُّ البقاء بل صارت تفضل الموت واللحاق بانطونيوس وانها عازمة ان تصرم حبل حياتها في اول فرصة تعرض لها وكل ما تفعلهُ الآن انما تفعلهُ استعدادًا لذلك واهمهُ تدبير امر اولادها من بعدها وان مالت الى مقابلة اكتافيانوس واسترضائهِ فيكون لهذا الغرض

وترجَّح لكليوباطرة ان اكتافيانوس لا ينوي الايقاع باولادها والاَّ ما ردَّهم اليها بعد ان اوقع بقيصارون لانهُ كان يفرق بين ابن قيصر واولاد انطونيوس فلا يخشى شرَّ هؤُلاء كما يخشى شر ذلك . واخيرًا اذنت لارمينيوس في ان يطلب لها مقابلة اكتافيانوس فجاءَها الجواب منهُ حالاً انهُ هو يأتي اليها لمقابلتها فقالت لشارميان لا بدَّ من بتِّ الامر في هذه المقابلة فليكن الصل حاضرًا

وكان الحرس الروماني قد انس بانوكس وعذوبة منطقها فصار يسمح لها ان تدخل الى قصر لوخياس وتخرج منهُ من غير معارض لكنهُ كان يفتشها دائمًا دفعًا لكل مظنة

وقربت الساعة وكانت شارميان تودُّ ان ترى بارين وابنها قبل مغادرتها الحياة ولم تستدعها اليها الى القصر لكي لا تنغّص ايراس برؤيتها . وفي آخر الاسبوع جاءَ ارمينيوس يقول ان القيصر (اكتافيانوس) سيزور الملكة بعد ظهر ذلك النهار فاضطربت كليوباطرة وودت ان تزور قبر زوجها قبل ذلك وذهبت ايراس معها اما شارميان فارسلت واستدعت بارين وابنها وقابلتهما في بستان دديموس ولما وقعت عينها على الطفل ورأَت فيهِ صورة جدهِ ليونكس ابي بارين تذكرت حبها القديم لهُ فانتقلت من الحاضر الى الماضي في لحظة من الزمان لكنها استردت افكارها حالاً وجعلت بارين تخبرها عن اهلها وعن اقتران هيلانة بجورجياس ومرَّ

الوقت من غير ان تدريا واذا باحد الخصيان يقول لشارميان ان الملكة عادت من المدفن وسألت عنكِ فاعتنقت بارين وودعتها وطلبت منها ان تذكرها بالخير وتزور قبرها من وقت الى آخر وتضع عليهِ زهرة لان ليس لها اقارب يفعلون ذلك . وبينما هي تكلمها كذلك اقبلت ايراس بثيابها السوداء ووجهها الشاحب كأنها اليأْس والشقاء في جسم انسان فلما وقعت عين بارين عليها تخسها ضميرها لانها شعرت انها هي السبب في شقاء هذه المرأَة وودت ان تدنو منها وتعتذر اليها وتستصفح لكن ايراس نظرت اليها شزرًا ثم التفتت الى الطفل فخافت بارين ان تصيبهُ بعينها وغطت وجههُ بطرف نقابها وعلمت ايراس مرادها فقالت لها اهذا ابن ديون ولكن مالي ولهُ وفي القلب مشاغل اخرى لا يسع غيرها ثم دارت الى شارميان وقالت ان الملكة تطلب ان تكوني معها في مقابلتها لاكتافيانوس

وكانت الملكة قد ذهبت الى المدفن وناجت روح زوجها لكي تساعدها وتجعل اكتافيانوس ينقذها من الحالة التي كانت فيها معلَّقةً بين الرجاء واليأْس . ورافقها دولابلاً من المدفن الى القصر فقالت لهُ اخاف ان يتركني اكتافيانوس من غير ان اعرف منهُ ماذا ينويهِ لي ولاولادي. فقال لها ان فعل ذلك فيكون من اقل الناس شهامةً . فقالت لهُ عدني انهُ ان لم يخبرني بما ينويهِ لي ولاولادي وكنت تعلمهُ فانك تخبرني بهِ . عدني بذلك اكرامًا لابيك الذي كان من اعز اصدقائي . فقال لها اني سافعل اذا استطعت . ثم ادار وجههُ لكي لا يرى الخصيان الوقوف على الباب يفتشون ثيابها

ودخلت القصر وجلست على اريكة والقت رأْسها على وسادة وحاولت ان تنام قليلاً لانها كانت متعبة وقبل ان تغمض عيناها سمعت وقع حوافر الخيل وقيل لها ان اكتافيانوس اقبل لزيارتها ولم تكن تنتظرهُ في تلك الساعة بل وقت الغروب وكان ارخبيوس وارمينيوس قد اشارا عليها ان لا تقابلهُ وحدها ولمَّح الثاني الى ان اكتافيانوس يودُّ اذا فعل مكرمة ان يفعلها على عيون الناس حتى يشهدوا لهُ بها . فامرت ايراس وشارميان وبعض رجال حاشيتها ان يكونوا معها فاستدعتهم حالاً اليها وكانت تود ان تخلع الثياب التي زارت بها القبر وتلبس غيرها ولكن دهمها الوقت فلم تستطع ذلك ولا استطاعت ترتيب شعرها ولم يكن الاَّ لحظة حتى وقف اكتافيانوس بالباب وقال لها " لقد دعوتني فلبيتُ والسيادة لربات الجمال حتى على الظافرين "

فاحمرت خجلاً وقالت لهُ لم ادعُ وانما طلبتُ ان يُسمح بالمقابلة واشكرك على كل حال لانك تنازلت واجبت طلبي واذا خيف على الرجال من جمال النساء فانت في امن من ذلك هنا . لان الجمال لا يقيم مع هذا العذاب بل الحياة نفسها لا تطاق معهُ . وكنتُ اودُّ ان

اقضي عليها لكنك منعتني فان عدلت فامنح المرأة التي حرمتها الموت حياة تستطيع عليها صبرًا
فحنا لها رأسهُ وقال اني سابذل جهدي حتى يكون لكِ كل ما تستحقين
فقالت اذًا خلصني من هذه الحالة ولا تتركني معلقة بين الرجاء واليأس فانك لستَ من الذين ينظرون الى الحاضر ولا ينظرون الى المستقبل
فقال اظنكِ تشيرين الى رجل آخر كان يمكن ان يكون معنا الآن لو احسن نظرهُ في العواقب. وكانت تنظر اليهِ نظر الدعة والانكسار فلما قال ذلك شمخت بانفها وقالت لهُ "دع الموتى في راحتهم". ثم ملكت طبعها وقالت ان الرجل الذي اصبح سيدًا للمسكونة يدبر امور المستقبل كما يدبر امور الحاضر و يبعد عن الظن ان لا يكون قد قضى بما يريد ان يفعلهُ لاولادي قبلما يرى امهم ولا اظن انك كنت توجس شرًّا الاَّ من ابن خالك
فقال لم يكن لي بد مما فعلت ولكنني حزنت عليهِ كما اسفت على انطونيوس
فقالت ان كان ذلك كذلك فهو دليل آخر على كرم اخلاقك وانا لما نزع ارمينيوس الخنجر من يدي لامني لاني ظننت فيك الصرامة والعتو
فقال صفتان من ابعد الصفات عن طبعي
فقالت وهب انهما فيك فلا سبيل لك لاستعمالها اذا صحَّ ما بلغني عنك وهو انك تودُّ ان تسير في خطوات خالك العظيم. فقد منحتني الالهة اعظم المنح واجلها محبة ذلك الرجل الالهي واي محبة. قد يجهل الناس ما كان لي من المنزلة في عينيهِ ولكنني لا اريد ان يبقى ذلك مكتومًا عنك انت وريثهُ لاسيما وان القضاء عليَّ اولي يُنتظر منك. وهذه المكاتيب حجتي التي ادافع بها عن نفسي وعليها اعتمادي كي اريك نفسي كما انا لا كما يصفني اهل الحسد والنميمة. هاتي صندوق العاج يا ايراس. هذا الصندوق هدية من خالك القيصر العظيم وفيهِ مكاتيب الحب التي بعث بها اليَّ
وفتحت الصندوق بيدين مرتجفتين وهي تقول هذا الصندوق الصغير اثمن ما عندي من الجواهر والكنوز والصفحات التي فيهِ تنطق بغير لسان لان اعقل الرجال واعظمهم نسج بردها ورب البلاغة والبيان نظم عقدها فعبَّرت عن الحب الطاهر الذي كان يفيض من نفسهِ الشريفة. لو كنتُ احب الافتخار يا اكتاڤيانوس لحسبت كل سطر من هذه السطور عنوان فخر ابدي فان المرأة التي قال عنها يوليوس قيصر انها تسلَّطت على قلبهِ يحق لها ان تفتخر ولو وقفتِ الآن تتوسَّل الى خليفتهِ لكي يريحها من الحياة
فقال من ينكر عليك ان هذه المكاتيب ثمينة كما تصفين

فقالت بل هي اثمن من كل ثمين لانها شهودي التي تبررني في عيني العالم كما ساتلو عليك. وان لمن اقبح الامور في عيني ان نستعمل ما لا يُقصَد بهِ الاَّ مخاطبة القلوب وسيلةً لغرض من الاغراض ولكنني في حاجة الى من يدافع عني وهذه هي وسائل دفاعي وهي ترفع اصغر الصعاليك الى مقام الملوك . فان يوليوس قيصر لم يخضع الاَّ لسلطة اثنين لسلطة الموت القهَّار ولسلطة هذه المرأة التعيسة . ما اشأم هذا الطباق ولكنني لا أأباهُ وارجو منك المعذرة ان كان في ما اتلوهُ مدح لنفسي او تثقيل على سمعك فان للضرورات احكامًا . اسمع ما يقول خالك "منكِ ايتها المراة البريعة [١] عرفتُ طيب الحياة بعد ان زالت نضرة الشباب"

قرأت هذه العبارة وسلمت الكتاب اليهِ واخذت تفتش عن غيرهِ فردهُ اليها قائلاً اني ارى انفتكِ من استخدام هذه السطور في الدفاع عن نفسكِ واني اعلم ما فيها كأَني قرأت كل حرف منها وهل احتاج الى شهادة مكتوبة وانا ارى امامي سحرًا يختلب العقول

فتبسمت لهُ تبسمًا من نوع الكلام الذي كان يتملقها بهِ ولحظ ذلك فقال في نفسهِ حقًّا ان جمال هذه المرأة فتَّان وهي في هذا السن فكيف كانت في صباها

كانت لا تزال فتانة تفتن من ينظر اليها بجمال منظرها واعتدال قوامها ورخامة صوتها و بمهابة الملك البادية في هيئتها وحركاتها وزادها الحزن اجتذابًا للنفوس. اما اكتافيانوس فكان يعرف كيف يتقي سهام لحاظها اكثر من خالهِ لكن بقاءها في قيد الحياة كان لازمًا لهُ ولذلك تظاهر بالاعجاب بها لكي يصرفها عن عزمها ويدخل مدينة رومية ظافرًا وهي في موكبهِ فيقنع الرومانيين واهل المسكونة انهُ اقدر من خالهِ واعظم . وكان لا بدَّ لهُ من ملاطفتها ومجاملتها لكي لا توجس منهُ شرًّا فقال لها بلسان ذلق : " ان خالي العظيم كان يعنى بربات الجمال ومن ينظرنَ اليهِ بعين الرضى فيقابلهنَّ بالمثل ولقد كان امهر مني في امور كثيرة فافلح فيها كلها اما انا فاراني دائمًا غائصًا في مهام الملك وحروب الدولة ومشاغلي الكثيرة تمنعني من الاستسلام لربة الجمال كما استسلم لها خالي في هذا المكان ولو اطعت قلبي لما كنت اطلب مبتغى قلبي الاَّ من يدكِ ولكن هيهات فاننا نحن الرومان نتعلم ان نكبح نفوسنا ونفضل مطالب الوطن على مطالب القلب لان الزواج ليس من لوازم الحياة . مالكِ تنغضين رأسك ألم يعجبكِ كلامي

فقالت كلاَّ لانهُ غير صحيح واذا صدق حزري فانت تشير الى زواجي بانطونيوس بعد زواجهِ باختكَ . وكنت اود ان لا اتكلم في هذا الموضوع ولكنك اجبرتني على الكلام فيهِ بهذا التلميح ولو كان صديقك ارمينيوس يشير اليَّ من ورائك لكي لا اتكلم فيهِ . فاني انا كنت زوجة

(١) الفائقة عقلاً وجمالاً

لانطونيوس حسب شريعة هذه البلاد قبلما زوجتهُ اختك فلا تحسب انهُ تركها لاجلي بل قد تركني لاجلها. وقد زوجتهُ بها لا لانهُ يحبها بل لان السياسة اقتضت ذلك لاجل حفظ السلم والامن في البلاد

فقال نعم ولكي نحجب دماء الوف من العباد لقد ادركتِ غرضي بفطنتكِ ولولا ذلك ما كنتُ اخترتُ لاختي رجلاً لا تضمن لها السعادة معهُ ولا الومهُ على تركها بعد ان رآكِ وانا لولا رغبتي في مشاهدة المرأة التي خصتها الالهة بما لم تخص بهِ امرأة اخرى من جمال الطلعة وذكاء العقل ما كنت وصلت في حروبي الى هنا ولكن قلب النساء لا يفتح لرجل سادج مثلي كما فتح ليوليوس قيصر ومرقص انطونيوس

فقالت ان كان فيَّ شيءٌ من ذكاء العقل فقد اذهبتهُ ليالي الشقاء الذي حاق بي . وان كنتَ تود ان تعرف ما وهبتني اياهُ الالهة فخلصني من هذه الحال واسمح لي بالحرية التي تطلبها نفسي

فقال ان امركِ موقوف عليكِ فان شئتِ فلكِ كل ما تتمنين

فقالت كيف تقول ذلك وامرنا كلهُ في يدك ولا اطلب منك الاَّ ان اعرف ما اعددتهُ لي ولاولادي

فقال لقد اعددت لكِ كل ما تشتهين

فقالت اتقول ذلك وانت تحاول ان تتجنب التصريح بما اعددتهُ لي ولاولادي

فقال اتلومينني وتشكين مني وانا الأحقُّ بالشكوى . ألا ترين ان إخلاصي ابقى لكِ هذا المقام في نفسي بعد ان بذلتِ جهدكِ في اغاظتي فقد كنتِ ناوية ان تحرقي كل كنوزكِ وجواهركِ لكي لا يقع منها شيءٌ في يدي . نعم ان الغالب لا يحقُّ ان ينتظر الصداقة من المغلوب ولكن اكبر الاعداء لا يقدم على عملٍ شر من هذا

فقالت ما لنا وللماضي من في الدنيا يحفظ امواله لمن يأتيهِ محاربًا . يقال انهُ اذا هجم الصيَّاد على الوعل وسدَّ عليهِ طرق النجاة دفعهُ الوعل عن شاهق ولو وقع معهُ وهلك الاثنان معًا . وهذا شيءٌ في الطبع لا يمكن التغلب عليهِ فلننسَ الماضي . وقل لي انك تسمح لاولادي بتبوُّءِ عرش مصر تحت سيطرة رومية وتسمح لي ان اسكن حيثما شئت فاسلم اليك كل ما املكهُ عن طيب نفس

فقال ان الغالب لا يصعب عليهِ ان يستولي على كل ما يملكهُ المغلوب هذه بشروط الحرب المتبعة عند جميع البشر ولكنني لا اريد ان اجري عليها معكِ لاني اراكِ فوق البشر . ويقال

ان ثروتك واسعة جداً وقد بذّر انطونيوس جانباً كبيراً منها ولكن الذهب في هذه البلاد كالعشب كلما قطعتهُ زاد نمواً

فقالت انك تتكلم عن الكنوز التي جمعها اسلافي العظام بنصال سيوفهم وحسن سياستهم مدة ثلاثة قرون متوالية وزينوا بها ملكهم وملكاتهم. ولقد كان البخل ابعد الطباع عن انطونيوس ولكن مهما كان طمع الانسان شديداً لا يستقلُّ الكنوز الباقية . وهاك جريدة ما في خزائننا من الجواهر والحلى وكل ما فيها من ذهب وفضة

وكان سلوقس امين بيت المال واقفاً والجريدة في يدهِ فقال ان الملكة اختلست بعض الجواهر وامرتهُ ان لا يذكرها في الجريدة . ولما قال ذلك امتقعت كليوباطرة واصفرت شفتاها ثم صعد الدم الى رأسها ولم تعد تستطيع ان تتمالك نفسها فلطمت ذلك الخبيث على وجههِ مراراً حتى نهض اكتافيانوس وتوسل اليها ان تكف عن لطمهِ ولو كان يستحق ذلك لئلاَّ توجع يديها

فجلست تلهث وقد تملكتها سورة الغيظ ووضعت يدها على صدغيها والتفتت الى اكتافيانوس وقالت اعذرني عمَّا بدا مني ومن يستطيع ان يملك طبعهُ وهو يرى عبداً خسيساً مثل هذا يتهمني هذه التهم . ولكن مالنا ولهُ الآن لقد جئتني واعداً اياي بالخير فهل وعدك لي كنقط الافيون التي يسقاها المحموم لتسكين الحمى وهل تقصد بهذه المواعيد خداع هذه المرأة المسكينة

فرفع راسهُ وقال بصوت واضح ولفظ صريح حاشا لي ان افعل ذلك وكل من يظن ان خليفة قيصر يستطيع ان يخدع امرأة كريمة وملكة عظيمة كانت عزيزة على قلب خالهِ فانهُ يهينني اهانة لا اغتفرها لهُ . ولكنَّ غيظك دعاك الى هذا القول فلا الومك وانما انا شاكر لما حدث لانهُ اراني اياكِ في اجمل صورة صورة الغيظ مما يشين والترفع عن الدنايا . اراني نفس ملكة مصر تكاد تضطرم من شدة انفعالها

وكانت لحاظ كليوباطرة قد فعلت باكتافيانوس رغماً عن اتقائها فقال لعلها تحبني كما احبَّت خالي وتعلمني ما هو نعيم الحياة كما علّمتهُ ما اجمل هذه الطلعة وما اذكى هذا العقل وما ابهى هاتين العينين وما ادلها على عواطف نفسها . من يقول ان نضارتها ذبلت وجمالها ذوى . لا تزال فتّانةً كما كانت حينما رآها يوليوس قيصر ومن تعطف عليهِ يقيم معها في نعيم مقيم . وحاول ان يدنو منها ويقبل يديها ولحظت منهُ ذلك فتبسمت تبسم الازدراء لانها قالت في نفسها كيف اخون عهدي لزوجي واستسلم للقوّة وابقي لاولادي اسماً يلعنهُ الخلف . فاكتفت بما بدا من اكتافيانوس من الاستسلام لقوتها وقالت لقد قهرت القاهر فتبسمت تبسم الازدراء كما تقدم وادرك الخطر الذي كان فيهِ فتربَّص في مكانهِ وخجل من نفسهِ فصعد الدم الى رأسهِ حتى كاد يطفر من

وجهِهِ فنظر حوله ورأى كل عين شاخصة اليهِ فزاد اضطرابهُ . لكنهُ تمالك نفسهُ ورفع رأسهُ كبرًا وقال احبُّ الينا ان نراك ساكنة مطمئنة كما يليق بالملوك ويتعذّر عليَّ ان ادرك ما تكنهُ النفوس المتقدة وانا على ما ترين من السداجة والتأني

فاستغربت هذا الانقلاب فيهِ لانهُ عاد الى الحذر والتوقي بعد ان كاد يقع في هواها . ورجل مثلهُ لا يُلسع من جحر مرتين فعزمت ان تبيّن لهُ انهُ اخطأ في حكمهِ عليها وفسّر انعطافها اليهِ على غير ما قصدت فقالت لهُ بأنفة

ان الشقاء الذي انا فيهِ يطفئ كل نار اما الحب فان قلب المرأة لا يُفتح لهُ اذا يئست من كل سلطة ومسرّة . انت لم تزل في عنفوان صباك ولذلك تتوق الى الحب وهذا لا يخفى عليَّ . اما انا فلم اعد اتوق الاَّ الى خطيب واحد يريحني من هذه الحياة وعندهُ اجد الراحة التي تمنيتها منذ صباي الراحة الخالية من الالم . اراك تتبسم ويحق لك التبسم لان ماضي حياتي لا ينطبق على ما اقول وللناس اهواءٌ ومذاهب والمرءُ يجهل نفسهُ فكيف يعرف غيرهُ . ولقد رأى الناس ان الراحة هربت مني او اني انا هربت منها ولكن لا بدَّ لي من ان اجدها وبحري اني نجوتُ من امرين من الذل ومن العار . ووقفت هنا لحظةً كأنها ارادت تفسير معناها ثم قالت اني واثقة بكرم اخلاقك فتقي من هذين العدوين المرأة التي رأيتها الآن اهلاً لاكرامك اولما يفوق الاكرام لان هذا لم يخفَ عليَّ وساحفظ ذلك ولا انساهُ . والآن ايها الامبراطور العظيم قل لي ماذا اعددت لي ولاولادي وما اتوقعهُ من كرمك

فقال ان مستقبلك ومستقبل اولادك يتوقفان على مقدار ثقتك بكرمي

فقالت وان كنتُ اثق بكرمك واعتقد انك تمنحني كل ما اطلبهُ وذلك ليس بالامر الصعب عليَّ فاي شيءٍ تعدهُ لي

فقال الشيءُ الذي تريدينهُ صوريهِ كما تشائين حسب قوّة خيالك الذي فسّر كل نظرة نظرتها اليكِ وجعل اعظم رجال رومية اسعد الاحياء . وتطلَّع حينئذٍ من شباك الغرفة ورأى الشمس فاقسم بزفس وقال فات الوقت وصارت الساعة الرابعة بعد الظهر واني آسف جدًّا لانهُ لم يعد في طاقتي ان اطيل هذا الحديث البهيج وللضرورات احكام ولا بدَّ لي من ان استأذنكِ في الانصراف

قال ذلك ووضع يدهُ على صدرهِ . فقالت لهُ وهي تلهث واين جوابك عن سؤالي فقال هل اكرر ما قلت لكِ . حسنًا . اني اعفو وامنح واكرم على مقدار ما تثقين بي وتتكلين عليَّ . ثم ودّعها وخرج

ولما أُغلق الباب وراءهُ قالت ايراس ذهب كالزيبق الفرّار لا يُمسك ولا يُقبض وقالت كليوباطرة بل كالجليد في بلاد الشمال بارد صقيل فلا امل ولا رجاء . فقالت ايراس ولكن دولابلاَّ وعدكِ ان يطلعكِ على ما اعدَّهُ لكِ ولا بدَّ من الانتظار

ولما خرج اكتافيانوس وجد دولابلاَّ واقفاً ينظر الى خيل مركبتهِ فقال لهُ أَرأَيت ما اجمل هذه الجياد اهداها اليَّ اهل المدينة هلمَّ معي ما اعجب هذه المرأَة وما اذكاها

فقال دولابلاَّ اظن ان هذا رأْي كل من رآها. فقال اكتافيانوس انها ليست اصغر من امك ومع ذلك فاني اخشى عليك منها ما اعذب كلامها وما اوقعهُ في النفوس . لطفٌ على جلالة قدرٍ وانسٌ مع مهابة ولكن لا يليق بي ان اصبَّ زيتاً على نار الحب فقد يكون قبسها في فؤادكَ ولقد كادت تلعب عليَّ وهي تخاطبني في اهم الامور . ثم ضحك على غير عادتهِ

فقال لهُ دولابلا قلَّما اراك تضحك فلا بدَّ من ان تكون هذه المقابلة انتهت على ما تشتهي

فقال هذا الذي ارجو وقد تلطَّفتُ لها في الحديث ما امكن

دولابلاَّ — حسناً فعلت وبماذا وعدتها يا ترى

اكتافيانوس — ان أُحسن اليها اذا وثقت بي

دولابلاَّ — وكيف يكون حالها وحال اولادها

اكتافيانوس — على حسب ما تثق بي

وكان اكتافيانوس يودُّ هذا الفتى ويثق بهِ ويتوقَّع ان يكون من اقوى انصارهِ فقال لهُ بصوت منخفض لا اخفي عليك اني امنح هذه المرأَة العجيبة كل ما تريد بعد ان آخذها في موكبي الى رومية فاني ان لم آخذها معي حقَّ للرومانيين ان يلوموني وسنمضي عن قريب الى سورية اما هي واولادها فارسلهم الى رومية بعد ثلاثة ايام فان كانت تسير في موكب الظفر الذي ادخل فيهِ رومية وتؤَثر التأْثير الذي انتظرهُ في نفوس السكان فلا يصعب عليَّ ان احسن اليها بعد ذلك

سمع دولابلاَّ هذا الحديث صامتاً ثم ودَّع اكتافيانوس وعاد ادراجهُ الى قصر لوخياس وبعد دقائق قليلة عرفت كليوباطرة كل ما دار بينهما

الفصل السابع والعشرون

ذهبت انوكس في الصباح الى بستان ارخبيوس في قنوبس وعادت بسلة من انخر التين ومرت على ساحة السمك وانفردت بالصياد في قاربهِ ثم عادت الى القصر وسلة التين معها .

وذهبت الملكة الى المدفن في الصباح ووضعت اكليلاً من الزهر على ناووس زوجها وقالت له لبَّيك لقد طلبتَ في وصيتك ان تدفن الى جانبي فلا ابخل عليك بذلك لان لا شيء من رزايا الحياة اصعب عليَّ من فراقك . وسارت من هناك الى البستان وعانقت اولادها ولم يخفَ غرضها على ارخبيوس لكنهُ تجلّد ولم يقل شيئًا فجعلت تشكرهُ على عنايتهِ الماضية والتالية وتتكلم عن قرب التقائها بانطونيوس . فقال لها وهل نسيتِ تعاليم ايبقورس عن الفناء الخالي من الالم فقالت اني لم ارَها صحيحةً من كل وجه بعد ان عرفت ما في كاس الحب من الالم ولا بدَّ من آلهة اخرى غير الآلهة التي اخبرنا ايبقورس عنها فاني افضّل الآن الخلود ولو في العذاب على الفناء الذي لا اشعر فيهِ بالم ولا بلذة واظن انك من رأيي

فقال اني كذلك بعد ان ذقت كاس الحب وعلمت ان راحتهُ عنّي واولهُ سقمٌ وآخرهُ قتلٌ . ولما قال ذلك انحنى على يدها ليقبّلها فامسكت رأسهُ بين يديها وقبّلت جبينهُ فنسي سنّهُ وخانهُ الجلَد فخنقتهُ العبرات . وعادت الملكة الى القصر متكئة على ذراع شارميان ثم اغتسلت ولبست انخر ما عندها من ثياب الحداد واتكأت على اريكة وقُدّم لها الطعام فاكلت هي وشارميان وايراس وانتهنَّ انوكس بسلة التين فاكلنَ منها وادَّعت الملكة انها استحسنت منظرها فابقتها امامها على مائدة وقالت انها تودُّ ان تنام قليلاً فخرج الخدم من حضرتها ولم يبقَ معها الاَّ شارميان وايراس فنظرت اليهما وقالت . ملكة مصر تُجَرُّ في الشوارع وراء مركبة اكتافيانوس فرجةً لاهل رومية . ما ابدع هذا الرأي وما امهر مبتدعهُ . يدَّعي هذا الاحمق انهُ يعرف طبائع الناس ويستطيع ان يخفي مقاصدهُ عنهم . ساء فألهُ وكذبت ظنونهُ . سأريهِ ان ابنة البطالسة لا تؤخذ على غرَّة

قالت ذلك وابرقت اسرتها وبدا الابتسام على وجهها وجعلت ترفع التين من السلة تينة تينة الى ان وصلت الى الصل فقالت ها هو ثم التفتت الى ايراس وشارميان وقالت لهما اني اشكركما يا عزيزتيَّ على حبكما لي واعتنائكما بي . الموت رهيب ولكن لا بدَّ من تجرُّع كاسهِ . ما لي ارى الصل لا يتحرَّك قد تحرك الآن لبَّيك يا انطونيوس لبيك . اليوم انال الراحة التي سمعتُ عنها في بستان ايبقورس وهل هي اليمة او خالية من الالم لا اعلم لكن الحب لا يخلو من الالم . اين الاولاد ماذا يقولون عن امهم . قالت ذلك وانَّت لان الصل لسعها حينئذٍ في ذراعها ولم يكن الاَّ ثوانٍ قليلة حتى امست جثة بلا روح

فنظرت ايراس اليها وقالت ما اجملكِ حتى في الموت لقد عجز الدهر عنكِ وابى ان يذلّك في موكب الظافر . ثم ارتمت عليها تقبل يديها ووجنتيها واغمضت عينيها وفعلت شارميان مثلها

وسمعتا حينئذٍ صوت وقع الاقدام في الرواق فقالت شارميان اين الدبابيس فناولتها ايراس دبوساً وقالت لها انخسيني بهِ ولا تؤلميني كما المّتني مرةً يوم ساعدتِ ديون عن الانفصال عني. لكنني عفوت عمَّا مضى ولا اذكر لكِ الاَّ حبكِ لي وان شئتِ فانا انخس يدكِ بدبوس آخر فضمتها شارميان الى صدرها وعانقتها ثم نخست ذراعها بالدبوس ومدَّت لها ذراعها فنخستها هي ايضاً بدبوس آخر

وفعل السم فعلهُ حالاً وأُغمي على الاثنتين وبعد قليل قُرع الباب ولما طال القرع ولم يفتح احد كُسر قفلهُ وفُتح فاذا شارميان مطروحة على الارض وايراس في غمرات الردى وهي تصلح التاج على رأس كليو باطرة. ودخل رجال اكتافيانوس حينئذٍ ونظروا الى كليو باطرة وهي متكئة على اريكتها والتاج على رأسها كأنها لا تزال في قيد الحياة. فقال واحد منهم "ما من امرأة مثلها اعجب بها اعظم الرجال واحبها اسماهم. ردَّدت الامم صدى شهرتها في كل المسكونة وسيدوم اسمها مدى اجيال الدهر. اذا اطنب الناس في وصف جمالها الفتان وعقلها الراجح وعلمها الواسع وحبها الذي عجز الموت عن ان يضع لهُ حداً وشجاعتها التي جعلتها تفضِّل الموت على العار وجب ان لا ينسوا مدح هاتين الامرأتين اللتين اقامتا بموتهما معها اعظم تذكار لها. لان المرأة التي تستطيع ان تربط قلوب وصيفاتها بها حتى يفضلنَ الموت معها على الحياة بعدها لا بدَّ وان يكون فيها من الحب والصلاح ما لا يكون في غيرها (٣)

وانتشر نعي كليوباطرة في المدينة فكان في كل بيت مناحة عليها. وكانت قد كتبت الى اكتافيانوس تخبرهُ بعزمها على الانتحار فلما قرأ كتابها صار الضياء في عينيهِ ظلاماً لكنهُ امر ان تدفن دفناً يليق بشانها وحسب لهُ ذلك من كرم الاخلاق فدُفنت مع زوجها انطونيوس ودفنت معها ايراس وشارميان. واظهر هذا الكرم لاولادها حتى يكتسب رضى الناس واعجابهم فكفلتهم اختهُ اكتافيا وربتهم في بيتها واناطت تعليمهم وتهذيبهم بارخيبوس حسب مشيئة امهم

ثم امر اكتافيانوس بكسر التمثال المنصوب لكليو باطرة وانطونيوس لكنهُ سمح ببقاء كل التماثيل المنصوبة لكليو باطرة وحدها. ويقال ان ارخيبوس اعطاهُ الفي وزنة حتى سمح بذلك فافتقر اكراماً لتذكار الملكة التي اخلص لها الولاء

(٣) هذا الكلام منقول حرفياً عن المؤرخ فلوطرخس في كلامهِ على كليو باطرة

ملحق للمترجم

حاولتُ اتباع الاصل على قدر الامكان لكنني اوجزت في بعض الاماكن لكي لا يمل القارئ ولا تطول الرواية اكثر مما قدرتُ لها واستثقلت اسم بروكيولجوس فسميتهُ ارمينيوس . وقد وقع في الرواية اغلاط مطبعية وغير مطبعية تركت اصلاحها لفطنة القارئ

والاشخاص التاريخية الذين بُنيت عليهم الرواية ستة وهم

(١) ﴿ كليوباطرة ﴾ وهي ابنة بطليموس اوليتس ولدت سنة ٦٩ قبل المسيح واوصى لها ابوها بالملك من بعدهِ مشتركةً مع اخيها الاصغر فتكون زوجةً لهُ وشريكة في الملك لكنَّ وصيّي اخيها طرداها من مصر فلجأَت الى سورية وجيَّشت الجيوش وحينئذٍ جاء يوليوس قيصر الى مصر وهو يطارد القائد بمبيوس فرآها واحبها وساعدها على استرجاع الملك وولدت لهُ ولداً سُمي قيصاريون اي القيصر الصغير ثم تبعتهُ الى رومية . ولما اغتيل ونشبت الحرب الاهلية بين خلفائهِ دعاها احدهم مرقص انطونيوس الى طرسوس وهو ناقم عليها فسارت اليهِ وكانت في الثامنة والعشرين من عمرها ففتنتهُ بجمالها وعاد معها الى الاسكندرية . ثم مضى الى رومية واقترن باكتافيا اخت اكتافيانوس لكنهُ هجرها حالاً وعاد الى كليوباطرة فلاقتهُ الى سورية وسارت معهُ الى الفرات وعاد معها الى مصر وبذل لها كل مرتخص وغالٍ حتى كرههُ الرومانيون . وكان قد اقتسم المملكة الرومانية هو واكتافيانوس فحرَّضتهُ على محاربتهِ فكانت واقعة اكتيوم البحرية التي دارت فيها الدائرة على اسطولها ثم انتحرت كما تقدَّم في الرواية وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها وليس بين نساء التاريخ ملكة اشهر منها

(٢) ﴿ يوليوس قيصر ﴾ هو اشهر قياصرة الرومانيين ولد سنة ١٠٢ قبل المسيح ودرس البلاغة في جزيرة رودس على ابولونيوس وعاد الى رومية سنة ٧٤ قبل المسيح وكان من الحزب الجمهوري فصار من اكبر زعمائهِ وغلب حكومة سلاً بمساعدة بمبيوس وكراسس واعاد الحكومة الدستورية والَّف معهما ما يسمَّى بالزعامة المثلثة Triumvirate وانتُخب قنصلاً وزوَّج ابنتهُ جوليا لبمبيوس ليشد ازرهُ بهِ ولما انتهت مدة قنصليتهِ جُعل والياً على غاليا وشمالي ايطاليا وشرقيها فغزا الغزوات الكبيرة ومرَّن جنودهُ على القتال واخضع بلاداً كثيرة للسلطة الرومانية حتى بلغ بريطانيا في غزواتهِ . وغار منهُ بمبيوس وجعل مجلس الشيوخ يأمرهُ بان يستعفي و يصرف جنودهُ وانتدب المجلس بمبيوس لمحاربتهِ فدارت الدائرة على بمبيوس فلجأَ الى بلاد اليونان وجمع

الجنود منها ومن مصر والشام لكن يوليوس قيصر تبعهُ الى ثساليا وحاربهُ في سهول فرساليا ومزّق شملهُ فهرب الى مصر واغتيل فيها

وسار قيصر الى مصر وفُتِن بجمال كليوباطرة وردَّ لها الملك كما تقدَّم وعاد الى رومية ثم تبع شبيو وكاتو من قواد بمبيوس الى افريقية وقهرهما فدانت له المملكة الرومانية كلها واجرى العدل فيها فلُقّب بابي بلادهِ وبالامبراطور وجُعل قنصلاً مدة عشر سنوات وعُدَّ شخصهُ مقدسًا ووضع تمثالهُ في الهياكل مع تماثيل الآلهة وسُمي شهر يوليو باسمهِ وبينما هو مهتم بامور كثيرة تفيد بلادهُ تآمر ستون من اشراف البلاد عليهِ واغتالوهُ لانهُ عزم ان يجعل الولاية وراثية وكان ذلك سنة ٤٤ قبل الميلاد

(٣) ❁ الطونيوس ❁ هو مرقص انطونيوس احد القواد الثلاثة الذين تولوا المملكة الرومانية بعد اغتيال يوليوس قيصر. ولد سنة ٨٣ قبل المسيح وكان مبذرًا في صباهُ فهرب الى اثينا من وجهِ مداينيهِ وسمع الفلسفة هناك ثم جُعل قائدًا للفرسان وحارب في فلسطين ومصر فامتاز بالشجاعة والاقدام وعاد الى رومية وساعد يوليوس قيصر فجعلهُ قائدًا للفرسان وولاهُ على ايطاليا . ولما اغتيل يوليوس قيصر نهض انطونيوس واثار الرأي العام على مغتاليهِ حتى اضطروا ان يهربوا من رومية فخلا لهُ الجوُّ فيها . ثم جاءهُ اكتافيانوس وحاربهُ وقهرهُ فذهب الى غاليا وعاد منها ومعهُ القائد لبيدوس واتفق الثلاثة على الولاية معًا فاخذ اكتافيانوس افريقية وسردينية وصقلية واخذ انطونيوس غاليا ولبيدوس اسبانيا وحاربوا جمهورية رومية وقتلوا خصومهم وتزوَّج انطونيوس باكتافيا اخت اكتافيانوس. واستتبت السيادة لهذين القائدين على المملكة الرومانية كلها . فتولَّى اكتافيانوس نصفها الغربي وانطونيوس نصفها الشرقي واكتفى لبيدوس بافريقية (حيث بلاد تونس الآن) . وانغمس انطونيوس في الملذات مع كليوباطرة كما تقدم فقهرهُ اكتافيانوس في واقعة اكتيوم البحرية والجأهُ الى الانتحار في الاسكندرية سنة ٣٠ قبل المسيح

(٤) ❁ اكتافيانوس ❁ هو الملقب اغسطس قيصر ولم يذكر بهذا اللقب في الرواية لانهُ لُقب بهِ بعد حوادثها . ولد سنة ٦٣ قبل المسيح من بيت غنًى ومجد وابوهُ كايوس اكتافيوس وامهُ اتيا ابنة اخت يوليوس قيصر . ربي في رومية وتبناهُ يوليوس قيصر وجعلهُ وارثًا لهُ وبعث بهِ الى ابلونيا ليدرس الفنون الحربية فلما اغتيل يوليوس قيصر عاد اكتافيانوس الى ايطاليا ودخل رومية وكانت قد انقسمت بين الحزب الجمهوري وحزب انطونيوس . الاَّ ان الفوز كان لانطونيوس فعامل اكتافيانوس بالجفاء في اول الامر وابى ان يسلمهُ ميراث خالهِ فنشب القتال

بينهما وكان الفوز لاكتافيانوس وانتصر لهُ شيشرون الخطيب المشهور فمال الشعب اليهِ وحسب زعيمًا للجمهورية . ثم عاد انطونيوس ولبيدوس واتفقا مع اكتافيانوس على الغاء الجمهورية واقامة زعامة مثلثة فاقتسموا السلطة وتوالت الحوادث المذكورة في الكلام على انطونيوس كما تقدم . وعاد اكتافيانوس الى رومية سنة ٢٩ قبل المسيح وقد دانت لهُ المسكونة بعد ان اصلح امور مصر والشام وبر الاناطول وبلاد اليونان فأغلق هيكل يانوس (اله الخروج للحرب) ونادى بالسلام العام في المسكونة كلها . وأُطلق عليهِ حينئذٍ لقب اغسطس اي المقدَّس ثم لما مات لبيدوس سنة ١٢ قبل المسيح لُقِّب بالحبر الاعظم . فاحسن سياسة البلاد واكثر من تشييد المباني الفخيمة حتى قيل انهُ وجد رومية مبنية بالقرميد فبناها بالمرمر وبنى مدنًا كثيرة في انحاء السلطنة الرومانية وعضد العلوم والآداب ونبغ في عصرهِ الشعراء والخطباء وسمي شهر اغسطس باسمهِ اكرامًا لهُ . وتوفي سنة ١٤ للمسيح وهو في السابعة والسبعين من عمرهِ

(٥) ﴿ بمبيوس ﴾ قائد روماني مشهور كان مناظرًا ليوليوس قيصر ولد سنة ١٠٦ قبل المسيح واشتهر في صباهُ بقيادة الجيش فلُقِّب بالعظيم (مغنس) . وانتخب قنصلاً للجمهورية الرومانية سنة ٧٠ قبل المسيح وحارب متردات ملك بنطس وتغران ملك الارمن وانطيوخس ملك سورية وقهرهم واخضع اليهود وفتح اورشليم وتزوج بجوليا بنت يوليوس قيصر فتمكنت ربط الوئام بينهُ وبين حميهِ لكنها ماتت بعد قليل فوقعت النفرة بينهما ولجأ الى حزب الاشراف فنشبت الحرب الاهلية ودارت الدائرة عليهِ فلجأ الى مصر واغتيل فيها

(٦) ﴿ ابيقورس ﴾ فيلسوف يوناني مشهور ولد في جزيرة ساموس سنة ٣٤١ قبل المسيح وجاء اثينا وعمرهُ ١٨ سنة وعكف على درس الفلسفة وانشأ مدرسة للفلسفة في مثيلين ثم عاد الى اثينا وانشأ مدرسة فيها في بستان اشتراهُ لهذه الغاية فسمي اتباعهُ بفلاسفة البستان وكان يعلّم ان اللذة هي الخير الاعظم وعاش هو وتلامذتهُ عيشة العفة والبساطة فكثر اتباعهُ جدًّا واحبهُ مريدوهُ لسمو عقلهِ وكثرة انسهِ ولين عريكتهِ . وتوفي سنة ٢٧٠ قبل المسيح

وألّف في ما قيل ٣٠٠ مجلد في كثير من المواضيع الفلسفية والطبيعية . ومن اشهر تعاليمهِ ان اكثر الشرور التي تصيب الناس مصدرها الخوف من الآلهة ومن الموت ولذلك يجب بذل الجهد في ازالة هذين الخوفين

اما الاسماء الباقية فموضوعة او قليلة الشهرة



مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الثامن والعشرون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزيّة تدفع سلفًا

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

فهرس المجلّد الثامن والعشرين

